

اللُّسَانُ الْعَرَبِيُّ

مَجَلَّةٌ دَوْرِيَّةٌ لِلأَبْحَاثِ اللُّغَوِيَّةِ وَفِشَاطِ التَّرْجُمَةِ وَالتَّعْرِيفِ

سِجِلُ الأَعْمَالِ

مَجَامِعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

• المَجَالِسُ الْعُلْيَا لِلْعُلُومِ وَالأَدَابِ وَالفُورَةِ

• الجَامِعَاتُ وَالعَاهِدَةُ الْعَامِيَّةُ

• الرِّيَاسَاتُ وَالمَرَاكِزُ وَالسُّبُكُ الوَطَنِيَّةُ لِلتَّعْرِيفِ

• رِجَالُ الفِكْرِ وَالقَامِلِينَ لِإِعْلَالِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

• وَهَدَايَا فِي مَسْتَوَى اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْمُحِيَّةِ

المَجَلدُ الثَّامِنُ

الجزءُ الأوَّلُ

١٢٠٤٤١

يُضَدُّ مَرَّةً

المَكْتَبُ الدَّائِمُ لِتَنْسِيقِ التَّعْرِيفِ فِي الوَطَنِ العِسْكَوِي

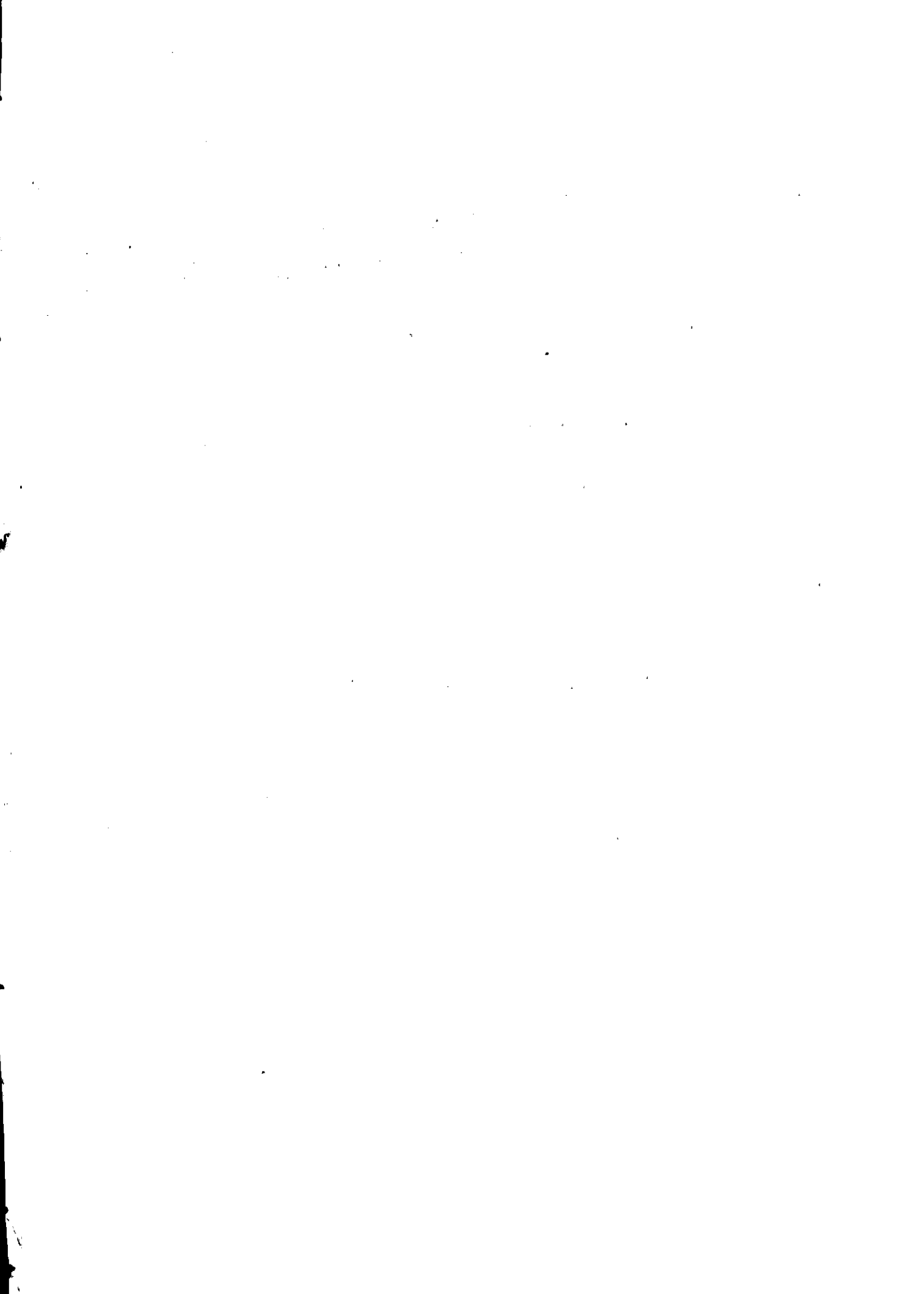
المُنْظَمَةُ العَرَبِيَّةُ لِلتَّرْبِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ وَالعُلُومِ

بِجَامِعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ

الرِّبَاطُ دَالِ المَلِكَةِ العَرَبِيَّةِ

دراسات لغوية

- تنظيرات ومقارنات حول معنى العامية في المغرب والاندلس
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- من اسرار العربية في البيان القرآني
للدكتورة عائشة عبد الرحمن
- من خصائص اللغة العربية
للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح
- هل كانت العربية لغة خليل الرحمن ؟
للاستاذ علي الخطيب
- الحياة في اللغة العربية
للاستاذ الياس قنصل
- دخيل ام اثيل ؟
للاستاذ عبد الحق فاضل
- حوار في العراق حول : اللغة كاداة للتعبير في مصر التكنولوجيا
- العوامل الطارئة على اللغة
للدكتور محمد عيد
- تعليق وتقد
للاستاذ علال الفاسي
- الاضداد في اللغة
للاستاذ حسين محمد
- تحليل وتقد
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- التطور اللغوي ونشوء العربية
للاستاذ محمد يوسف نور الدين
- تعريب المصمم
الامانة العامة لجامعة الدول العربية
- تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله
للاستاذ عبد الحميد المهيري
- تأثير العربية في سنفسال
للاستاذ مالك انجاي
- نظرة في الصلات العربية الفارسية
للدكتور محمد التونجي
- لغة البادية
للاستاذ عبد الله بن خميس
- الصراع بين الفصحى والعامية
للدكتور زكي عبد الملك
- اساليب ومناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي
للدكتور باناهي
- اللغة عنصر من عناصر الحياة
للاستاذ الياس قنصل
- الالقاء عند العرب والمسلمين
للشيخ طه الواسي
- تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- تدريس العربية كلفة حية في الولايات المتحدة
للدكتور سامي عياد والدكتور نجيب جريس



تنظيرات ومقارنات حول : فضحي العامية في المغرب والاندلس الأستاذ عبدالعزیز بنعبداللہ

فقال : (لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من اجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكنش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقرىها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصحة ما استعملها المراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتها على لهجاتي المغرب والاندلس لنأخذ من خلال هذه المقارنات كيف ان لهجة المغرب كانت أقرب الى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابن بكر محمد بن حسن ابن مدحج الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة » باشراف الدكتور رمضان عبد التواب استاذ الاداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي أصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابن علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بأنه « شيخ اللغة

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحي العاميات في كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا - لبنان - مصر - الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة في المغرب واللغة الفصيحة وضرينا مات الامثلة للدلالة على اصالة عاميتنا وقد عثرنا في كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفتها العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بالذم من أعماق اللسان الجاهلي الذي عدل عن استعماله في العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بضرب مثل حي باللهجة الواجبة في ناحية زعيم الواقعة على ابواب عاصمة الرباط مما يدل على ان الدخيل في العامية المغربية كان قليلا اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت من طريق الفصحى من الفارسية وفي اليهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية في جولاتها قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات في البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا المفردات الاندلسية التي وصلت اليها معرفة من اصلها العربي وجدناها أقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن « عجائب اللهجات » (1)

- 2 (2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .
- 3 (3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذباب (31) .
- 4 (4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .
- 5 (5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرعار .. والصواب عرعر (ص 48) .
- 6 (6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .
- 7 (7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الشباب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .
- 8 (8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفل (بالفتح) (ص 64) .
- 9 (9) يقولون فلان مدهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .
- 10 (10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كلية (ص 67) .
- 11 (11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه المطر واصناف الحلبي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .
- 12 (12) ويقولون مقذاف السفينة .. والصواب المجذاف (ص 69) .
- 13 (13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه الجبال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .
- 14 (14) ويقولون للانه المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .
- 15 (15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موسى ويعودون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

والعربية بالاندلس « كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « اوجد عصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا في نظر الثعالبي (4) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقرئ هذه الانظار كلها بقوله (5) : « هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق » .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجتزئ الان بذكر اربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

- 1 (1) درة الفواص في اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتها لابن منصور الجواليقي (540 هـ) .
- 2 (2) رسالة في اغلاط العوام للسيوطي (911 هـ) مرتبة على حروف المعجم .
- 3 (3) التثبيح على غلط الجاهل والنيبه لابن كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لفة) .
- 4 (4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه في العدد الاخير من مجلة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشراف المجمع العلمي العربي ببغداد كما سبق ان نشرت مجتئنا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول العامية في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني في حقب تطور اللغة العربية - ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصيح - بنية وشكلا - من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

- 1 (1) بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج او المنطقة .. والصواب ابريم (ص 15) .

- 2 (2) مطمح الانفس 53 / 23 .
- 3 (3) وفيات الاعيان 1 / 514 .
- 4 (4) يتيمة الدهر 1 / 409 .
- 5 (5) نفع الطيب 5 / 24 .
- 6 (6) سماء السيوطي في بغية الوعاة ص 82 بلحن العامة .

- 16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان اذا تزوجا اختين .. والصواب سلف (بكسر اللام) (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81) .
- 17) ويقولون لم افعل هذا ماد بمعنى حنى الان .. والصواب لم افعل هذا بعد (ص 83) .
- 18) ويقولون لريحانة طيبة الريح نعنن (بالفتح) .. والصواب نعنن بضم النونين (ص 87) .
- 19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .
- 20) ويقولون سفرجل فيضمون (اي الجيم) .. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح الفصيح هو لغة المغرب) .
- 21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب) (ص 90) .
- 22) ويقولون لبعض الاصماغ المحنوبة لوبان (بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب) (ص 93) .
- 23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب حمص بالتشديد (كما في المغرب) (ص 94) .
- 24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .. والصواب صاقور (ص 97) .
- 25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفلى (ص 99) .
- 26) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب) (ص 100) .
- 27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون في المغرب) .
- 28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه اجنة .. والصواب جنة يجمع على جنان وليس الجنان بواحد (ص 111) .
- 29) ويقولون لمن يقعد من المشي والقيام من علة او خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .
- 30) ويقولون للنبت الذي يشبه الخطمي خبير .. والصواب خباز (ص 115) .
- 31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خاخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما في المغرب) .
- 32) ويقولون قصعة (بالكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117) (مثل المغرب) .
- 33) ويقولون نافق القميص .. والصواب نيفق (ص 125) .
- 34) ويقولون للشجر الذي يمصر منه الزيت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132) .
- 35) ويقولون للظرف الذي يقلى فيه العصب وغيره مقله .. والصواب مقلى بلا هاء (كما في المغرب) (ص 140) .
- 36) ويقولون شورة العروس والبيست .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل في المغرب) .
- 37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جيس .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المخصص) .
- 38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جير .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضا (ص 145) .
- 39) ويقولون عند الاستعمال هيا (بالفتح) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148) .
- 40) ويقولون كافظ بالطاء المجمة .. والصواب كاغد بالدال غير المجمة (ص 152) (كافظ بالطاء المشالة بالمغرب) .
- 41) ويقولون صوف موضح بالضاد .. والصواب مودح بالدال المجمة (ص 155) (يقال في المغرب ليقة اي صوفة مودحة بتسكين الدال) .
- 42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران (ص 157) .
- 43) ويقولون سكرانة بينونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .
- 44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق (ص 166) (في المغرب زاواق) .
- 45) ويقولون هو مبطل اليد .. والصواب مبطل الا ان يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمي في الدوائر
المخزنية .

58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنون
المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة
كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .

59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال
زنة الشيء الذي يثقل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا
ينقص (ص 221 - 222) .

60) ويقولون لعود الشراع صار والصارى
الملاح (ص 224) .

61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد
جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جص او
جيار (ص 224) (ويقولون في المغرب القرمود لنفس
المسمى الاندلسي والقرمود في اللغة ولد الوعل) وقد
أشار الزبيدي الى ما ذهب اليه يعقوب من أن القرمد
خزف يطبخ وقال انه ليس بصحيح وهو ما أخذ به
المغاربة في العدوتين .

62) ويقولون أسطوان البيت الذي يشرع الى
الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

63) ويقولون للكثيرى اجاص والاجاص ضرب
من المشمش (وفي النبات لابي حنيفة الدينوري ج 5
ص 41 : والاجاص عند اهل الشام الكثيرى وبسمون
الاجاص المشمش) .

ومعلوم ان كلمة اجاص المستعملة في كل من
الشام والمغرب اصلها اجاص وهي تعني في الحقيقة ما
(وهو البرقوق في مصر prune يسمى بالفرنسية
او المعروف فلفا بالخوخ في الشام) .

64) ويقولون سانية للخشب تدبره الدابة اذا
سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231)
(وتطلق السانية في المغرب على الجنة التي تسنا) .

65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كبير
(ص 227) .

66) ويقولون « باع » لوسع الخطا والباع ما
بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .
(يلتقي المغرب مع الفصحى في هذا المفهوم) .

67) ويقولون آرى لمعلم (بكسر الميم) الدابة
والآرى الجبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه

46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونها على
صمغ .. والصواب صومعة (ص 171) .

47) ويقولون للمطهرة مبيضة .. والصواب
مبيضة بالهمزة (ص 174) .

48) ويقولون لسام ابرص وزفة فيخففون ..
والصواب وزفة (بالتحريك) (ص 179) .

49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره
.. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قبيح
(بكسر القاف) .. والصواب قبيح (بفتح فسكون)
(ص 185) .

51) ويقولون لجمع الحدأة احدية .. والصواب
حداء (ص 189) (احدية للمفرد في المغرب كما في الحجاز)
حداء (ص 189) (وهي لغة نصيحة) .

52) ويقولون لجماعة الصاحب صحاب
(بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكون
فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشباب
(ص 191) (وفي المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة
في بداية الكلمات غالبا) .

53) ويقولون امرأة عروسة فيلحقون الهاء ..
والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس
بالمغرب) .

54) ويقولون مخدة التي توضع تحت الخد ..
والصواب مخدة بالكسر وهي أعظم من المصدفة
(تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب
عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا ورجل
عزب (ص 201) .

56) ويقولون يا غايث المستفيثين .. والصواب
يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث في المغرب بصيغة
المبالغة) .

57) ويقولون بنيقة للقطعة من الشقة تخاط
بجانب القميص والبنيقة لبنة القميص التي فيها
الازرار (ص 213) (والواقع ان البنيقة تطلق كما في
التاج على اللبنة والجربان والدخرص كما تطلق على
زعمة الكرم او السطر من النخل وهو المجاز الذي أخذ
به المغاربة عندما اطلقوا البنيقة على قطعة او غرفة من

- 81) ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .
- 82) ويقولون للذي يعضر من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275) .
- 83) ويقولون سموت في الامر .. والصواب سميت في الامر (ص 276) (كما في المغرب) .
- 84) ويقولون للحبل الذي يربط به الدابة طولال .. والصواب طول (ص 282) .
- 85) ويقولون موش الطائر .. والصواب عش (ص 284) (كما في المغرب) .
- 86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغربل (ص 284) .
- 87) ويقولون لجمع القطف قطاطيس .. والصواب قطف (ص 287) (قطوط بالمغرب) (القطوس هو القطف بالبربرية) .
- 88) ويقولون قليح المركب ويجمونسه على قلعوع .. والصواب قلاع وجمعه قلعوع (ص 287) (كما في المغرب) .
- 89) ويقولون للبيت الذي بجانب البيت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون في جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .
- 90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .
- 91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) (كما في المغرب) .
- 92) ويقولون للحجر المطبوخ لاجور .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .
- 93) ويقولون لقة المداد فيشددون .. والصواب ليقة (ص 293) (كما في المغرب) .
- 94) ويقولون للذي يصيبه البلاء مجلدام والمجلدام النافذ في الامور الماضي (ص 294) .
- 95) ويقولون مرقاة بالتخفيف .. والصواب مرقاة ومرقاة للجمع (ص 294) .
- 96) ويقولون المكني بابي فلان .. والصواب المكني بفتح الميم (ص 297) كما في المغرب (المكني بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

- المغرب محرفا الى اروي على الملفف (بالفتح) (اي مكان الملف) .
- 68) قولهم الوادي للنهر خاصة .. والوادي كل يطن مطمن الارض (ص 240) .
- 69) ويقولون ريحان للاس خاصة دون سائر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .
- 70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكون على الاسرة خاصة وللحاف ما التحف به من ثوب (ص 242) (ويطلق في المغرب على المنجد من السرر) .
- 71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملت البكور بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنبي فتكون عامية المغرب والاندلس بذلك نصيحة .
- 72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .
- 73) يقولون لضرب من المصافير براطيل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل (ص 262) .
- 74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .
- 75) ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحون الرء .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .
- 76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبا (ص 267) .
- 77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل والحنبل الغرو عن الشيباني (ص 268) .
- 68) ويقولون خممت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خممت بالنون من التخمين (ص 271) .
- 79) ويقولون لما وتي به الحائط من حطب او حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبني حولها (ص 274) .
- 80) ويقولون للطائر زرزول باللام .. والصواب زرزور (ص 274) (كما في المغرب) .

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد
واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والمفرد
(ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح أن عامية المغرب
اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس : واحد وثلاثين
في المائة (حيث أن 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ
في المغرب بنية عربية فصيحة في حين أن المائة كلمة
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى)

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء ..
والصواب أمواه للجمع الاقل ومياه للكثير (ص 298) .
(مياه في المغرب) .

98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء
(ص 298) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري (بكسر الراء)
.. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .

مَسْرُورَاتُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ

الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » القاهرة

فيما اشتغل به على المدى الطويل من دراسة البيان القرآني ، أدركت أننا سنظل محجوبين من أسرار لغتنا ، إذا لم نعد فنجتليها في القرآن الكريم ، معجزة النبي العربي ، وكتاب العربية الأكبر .

وذكرت أننا مضينا على أن نختار لابنائنا النماذج العليا من دواوين الشعراء ونثر الكتاب . وتخصي دراستهم للعربية وأدبها ، بمعزل عن هذا الكتاب المحكم المبين ، الذي يجلو ذوتها الأصل المرهف ، في ذروة نغائه وأعجاز بيانه .

وإذ أخضع في مهمل لبیان القرآن ودلالات الفاظه ، للمنهج الدقيق الذي تلعبته من « استاذنا أمين الخولي » في استقراء الاستعمال القرآني لكل لفظ أو عبارة ، وتدبر سياقاتها الخاص في الآية والسورة ، والسباق العام في الكتاب كله ، بدأ لي بعد طول التدبر والتأمل ، أنه حيثما يحشد المسرون مدة الفاظ في تفسير لفظ قرآني ، يبييني أن أضغ لفظا منها في موضع اللفظ الذي نزل به الكتاب المحكم ، دون أن يضيح سر الكلمة .

وما من هرف تألوله زائدا أو قدره محذوفا ، يمكن أن تقوم العبارة على التأويل بزيادته أو حذفه . ولفتني هذا إلى أسرار للعربية احتجبت منا ، لطول ما اختلطت الدلالة القرآنية بالدلالات المجبية ، ولطول ما احتكمت قواعد الصنعة الامرابية والمنطق البلاغي المدرسي ، في توجيه النص الأعلى الذي ينبغي أن تعرض عليه كل قواعد النحاة واللغويين والبلاغيين .

ولا يتسع المجال المحدود هنا لعرض كل ما اجتليت من هذه الأسرار التي حجبت منا ، وإنما حسبني أن أقدم منها المثل والشاهد ، في سر البيان في الحرف لا يفتني منه سواه وفي الكلمة لا يقوم مقامها غيرها من حشد الالفاظ المقول بترادفها ، وفي التعبير يتهدى كل محاولة لتأويله على غير ما جاء به في البيان المعجز :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

سر الحرف

ما من حرف في القرآن الكريم ،
تأولوه زائدا أو قدروه محذوفا أو
فسروه بحرف آخر ، إلا ويتحدى
بسرّه اللباني كل محاولة لتأويله
على غير الوجه الذي جاء به في
البيان الممجز .

*

من سر الحرف ، أتمد هنا شواهد من حروف
قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها
أن يعدلوا بها على وجه التقدير والتأويل ، عن نظمها
الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكي تلبى مقتضيات
الصنعة الاعرابية أو أحكام الصنعة البلاغية .

وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتغيير
أو تقدير بحذف وزيادة .

ولناخذ مثلا ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :
« وما ربك بغافل عما تعملون »
« لست عليهم بمسيطر »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هذه
الباء زائدة في خبر « ما » و « ليس » لا يمتنون بزيادتها أنها
جاءت عبثا أو لغوا ، وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد .

وتد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائدة في
الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة الباء .
وأدرجها جميعا تحت حكم عام ، هو معنى التأكيد
المستفاد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائدة في الخبر ،
للتأكيد ، جرت الصنعة الاعرابية على تصر عملها على
الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبر
ويبقى الحكم الاعرابي على أصله ، منصوبا بفتحة
مقدرة على آخر الخبر ، منع من ظهورها اشتغال
المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلا بعد جيل .
ويتلقاه الطلاب جميعا تلقينا لا يملكون إلا أن يحفظوه .

دون أن نتردد في قبول القول بزيادة الباء وتد
صار من القولات البديهية التي نقولها على وجه
الضرورة والالزام .

وباستتراء ما في القرآن من خبر « ما ، وليس »
تلقنا ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتها ، في
خبرها المفرد الصريح غير المؤول .

فخبر ليس ، تلزمه الباء في ثلاث وعشرين آية ،
ولا تتخلف إلا في ثلاث آيات نعرض لها بعد حين .

وخبر « ما » النافية تلزمه الباء أيضا ، لا تتخلف
فيها أذكر إلا في بعض آيات لها سياقتها الخاص نتدبره
بعد حين في موضعه .

وإنما يطرد استغناء الخبر عن الباء ، إذا كانت
« ما » النافية ، متلوة بالفعل كان ، فينصب الخبر به
صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، في مثل آيات :
البقرة 16 :

« وما كانوا مهتدين »

ومعها آيتا : الانعام 144 ، يونس 45
آل عمران 67 :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا »

الاعراف 7 :

« فلننقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين »
الأنفال 33

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »
الاسراء 15 :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »
الاسراء 20 :

« وما كان عطاء ربك محظورا »
يوسف 111 :

« ما كان حديثا يفترى »
الكهف 51 :

« وما كنت متخذ المضلين عضدا »
مريم 64 :

« وما كان ربك نسيا »
الشعراء 8 :

« وما كان أكثرهم مؤمنين »

+ 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ،
190 .

(1) معنى اللبيب : ج 1 من 91 ، الجمالية بالقاهرة 1329 .

الشعراء 209 :

« ذكرى وما كنا ظالمين »

النمل 32 :

« ما كنت تاطعة أمرا حتى تشهدون »

القصص 45 :

« وما كنت ثاويا في أهل مدين »

القصص 59 :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها

رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا

وأهلها ظالمون »

الاحزاب 40 :

« ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول

الله » .

الانعام 33 :

« الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

والنبي بـ « ما » في مثل هذا الاسلوب ، لا

يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من

(كان) واسمها وخبرها .

*

اما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء
تلزمه ، لم تتخلف الا في آية المجادلة :

« ما هن أمهاتهم » وآية يوسف : « ما هذا
بشيرا » .

وامام هذه الظاهرة الأسلوبية من غلبة اقتران
خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بانها حرف
رائد ، اذ أن مقتضى القول بزيادتها ، امكان الاستغناء
منها ، وهو ما لا يوميء اليه البيان الاعلى .

والمسرون مع النحاة في أن هذه الباء زائدة
للتأكيد (1) .

وفي منهجنا ، لا تؤخذ الباء في آية من الآيات ،
بمعزل عن نظائرها في القرآن كله ، وقد نرى أن الباء

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة القلم

كما تحتل تأكيد النبي في بعض الآيات ، تحتل نقص
النبي في آيات أخرى .

فاننظر اذن في كل الآيات التي يقترن خبر (ما
وليس) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي أستغنى
الخبر عن الباء ، لعل الاستقراء يهديننا الى خطة
بيانية من أسرار العربية .

ونبدأ بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كان ،
فمراها قد لزمته اطرادا في آيات :

البقرة 8 :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر
وما هم بمؤمنين » .

البقرة 74 :

« وما الله بغافل عما تعملون » —
« يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ،
144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الانعام 132 :

« وما ربك بغافل عما يعملون » — تعملون
— معها آيات : هود 123 ، النمل 93 .

الانعام 107 :

« وما جملناك عليهم حيننا وما انت عليهم
بوكيل » معها : الشورى 6 .

البقرة 96 :

« يود احدكم لو يمر الف سنة وما هو
بمزهزجه من العذاب ان يمر »

البقرة 102 :

« وما هم بضارين به من احد الا باذن الله .
ق 29 :

« ما يبذل القول لدي وما انا بغلام للمبيد »
معها : فصلت 46 .

البقرة 167 :

« كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما
هم بخارجين من النار »

هود 29 :

العلم 2 :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

« وما أنا بطارد الذين آمنوا ، أنهم ملأوا
رهبهم » ، معها : آية الشعراء 114 .

هود 83 :

مهل تكون الباء زائدة مع اطراد مجيئها في هذه
الآيات ، لم تتخلف فيما أذكر الا في آيتي المجادلة :
« ما هن أمهاتهم » ويوسف : « ما هذا بشرا » ؟

« وما هي من الظالمين ببيعد »

يوسف 17 :

أو هل يكفي القول بأن الباء زيدة لمجرد تأكيد
النفى ؟

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »

التحليل 46 :

العربية تعرف اساليب عدة للتأكيد اللفظي
والمعنوي ، كالتقسيم والتكرار ، وادوات التأكيد
المعروفة

« أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين » .

غافر 56 :

ولا بد أن يكون لكل أسلوب منها ملحظ بياني
يميزه عن سواه .

« أن في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه » .

ابراهيم 22 :

وقد نحس في كل الآيات التي اقترن فيها خبر
« ما » بالباء ، أن سياقتها لجحد المنفى وانكاره .
ولعله قد أفنى من الباء في آيتي (المجادلة ويوسف)
التقرير المستفاد من أسلوب القصر بعدها :

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » .

يوسف 44 :

« الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ان
أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم » « وقلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم »

« قالوا أضغاث أحلام وما نحن بثاولي الاحلام
بمعالمين » .

الشعراء 138 :

« وما نحن بمعذبين »

النحل 81 :

وننظر في خبر « ليس » فليلفتنا البيان القرآني
الى خطأ ادراجها جميعا تحت حكم واحد ، يقول
بزيادة الباء للتأكيد .

« وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم » معها :
آية الروم 53 .

طاهر 22 :

وأول ما يهدي اليه الاستقراء ، هو أن نفرق بين
الجملة الخبرية منها ، والجملة الاستفهامية :

« وما أنت بمسمع من في القبور »

الصافات 163 :

فحيث يجيء النفي بـ « ليس » في الجملة
الخبرية ، في سياق جحد المنفى وانكاره ، اقتصرن
الخبر بالباء : كما في آيات :

« ما أنتم عليه بفاتنين » .

التكوير 22 ، 24 :

البقرة 267 :

« ولستم بأخديه الا ان تمضوا فيه »

آل عمران 182 :

« ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام
للعبيد » ومعها آيات : الأنفال 51 ،
الحج 10 ، فصلت 46

« وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق
المبين . وما هو على الغيب بشئين »

الطسارق 14 :

« أنه لتقول غصص . وما هو بالهزل » .

الأنعام 66 :

« قل لست عليكم بوكيل »

الأنعام 89 :

« إن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين »

الأنعام 132 :

« كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

المائدة 116 :

« قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بهق »

الحجر 20 :

« وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين »

الأحقاب 32 :

« ومن لا يجب دامي الله فليس بمعجز في الأرض »

المجادلة 10 :

« وليس بضارهم شيئا إلا بأذن الله »

الغاشية 22 :

« مذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر »

ويستغني البيان القرآني في الجمل الخبرية ، من هذه الباء في خبر ليس ، حين يكون السياق لغير جحد المنفي وتقرير انكاره . فآية (الرمذ) : المنفي فيها من المشركين وما كانوا على يقين مما ينفونه ، وأنه للحق لا ريب فيه :

« ويقول الذين كفروا لست مرسلنا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم » 43 وآية (النساء) : سياقتها الامر بوجود التبيين والتأكد ، قبل التمجيل بالنفي : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون مرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيرا » 94 .

وآية (هود) تد الغنى من تقرير النفي بالباء ، التعميق على الجملة الخبرية بما ينقلها من غيب لسم يقع ، الى ما مضى قد تقرر وكان :

« ولئن آخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحسبه ، إلا يوم يأتيهم ليس مصروما عنهم وحقاق بهم ما كانوا به يستهزئون » 8 .

وهذه الآيات الثلاث محسب هي التي لم يقترن خبر « ليس » فيها بالباء ، في الكتاب العربي المبين .

وسياقتها على ما رأينا ، غير السياق في سائر الآيات التي اقترن فيها خبر « ليس » بالباء ، فأمادت من الانتكار البات ما لا يدع مجالا لأي شك في نفي الخبر المقترن بها .

ولا غنى عن الباء في مثل هذا السياق ، فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب والباء هي التي تنقله من أصل وضعه الأول ، الى دلالة النفي البات والانتكار العاسم .

*

فماذا عن خبر « ليس » في الجمل الاستهامية ؟ أما هذه فيطرد مجيء الخبر فيها مقترنا بالباء ، ولا يتخلف في القرآن كله .

وما من آية منها ، يمكن أن تحتل نفيًا أو تأكيدا لنفي ، بل ينتفض النفي بالباء فيها جميعا ويصير الى اثبات جازم وتقرير ملزم ، بحيث تستغني عن جواب المستفهم منه ، أو يجاب بلفظ « بلى » المختص بإيجاب ما يستفهم عنه منفيًا .

وهذا استقراء لكل ما في القرآن من استفهام عن جمل منفية بـ « ليس » والخبر فيها صريح مفرد .

الأنعام 30 :

« ولو ترى إذ ، وقفوا على ربهم ، قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

الأنعام 53 :

« ليس الله بأعلم بالساكرين »

الأمراء : 172 :

« وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم ، قالوا بلى شهدنا »

هود 81 :

« ان موعدهم الصبح ليس الصبح بقريب »
المنكبوت 10 :

« ليس الله باعلم بما في صدور العالمين »

يس 81 :

« اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العظيم »
الزمر 26 :

« ليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذي من
دونه ومن يضل الله فما له من هاد . »

الزمر 32 :

« ليس الله بعزيز ذي انتقام »

الاحقاب 34 :

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار ليس
مدا بالحق قالوا بلى وربنا »

القيامة 40 :

« ليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى »

التين 8 :

« فما يكذبك بعد بالدين ، ليس الله باحكم
الحاكمين . »

النفي في هذه الآيات جميعا قد انتقض وخرج الى
تقرير بات واثبات جازم .

هل جاء معنى التقرير والاثبات في مثل هذه
الآيات من خروج الاستفهام عن معناه الأصلي على ما
قرره علماء البلاغة ، فلا شأن للبلاء به ؟

معروف ان الاستفهام قد يخرج الى هذا الوجه من
التقرير ، كما قد يخرج الى وجوه أخرى كالاسترحام أو
الزجر والوعيد أو التوقع والانتظار .

وهذه الآيات خاصة بالاستفهام عن منفي بليس ،
وقد انتقض النفي فيها جميعا وخرج الى تقرير واثبات ،
لا الى أي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها البلاغيون في
خروج الاستفهام عن أصل معناه .

ومن حيث اطراد اقتران الخبر فيها جميعا بالبلاء ،
تعين ان يكون لهذه البلاء أثرها في تحديد الدلالة البيانية
وتعيينها على الوجه الذي لا يحتل وجها آخر .

ولو قلنا مثلا :

« الست غاملا عما حولك » أو « اليس الصبح
تريبا » .

لا يحتل الاستفهام ان يكون على معناه الأصلي ،
وان يخرج الى التوبيخ أو التنبيه أو السخرية والتهكم أو
التوقع والترقب .

ولا شيء من هذه المعاني والدلالات مما تحتله
آيات الاستفهام عن منفي بليس ، وانما هي للتقرير
والحسم والاثبات ، لا لمعنى آخر .

وهذا هو سر البلاء التي قالوا انها زائدة للتأكيد ،
ثم جروا على ابطال عملها أصالة في الخبر ، وأعربوه
منصوبا بفتحة مقدرة ، منع ظهورها اشتغال المحل
بحركة حرف الجر الزائد .

كانما هو حرف مقحم يمكن الاستغناء عنه ، لكيلا
يشغل المحل بحركته فيمنع من ظهور الحركة الأصلية

*

وخلاصة ما هدى اليه الاستقراء لآياتها في البيان
القرآني :

— ان الجمل الخبرية المنفية بما ، اذا تلاها الفعل
« كان » بقي خبره منصوبا غير مقترن بالبلاء .
ووجه الاستغناء عن البلاء ان النفي بحرف « ما »
لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على
مضمون الجملة من : كان واسمها وخبرها .

— حيثما جاء الخبر منفيا بما أو ليس في الجمل
الخبرية واتترن الخبر بالبلاء ، أفادت الإنكار بما
لا يدع مجالا لشك في نفي الخبر المقترن بها .

وتلزم البلاء خبر (ما) و (ليس) في الجمل
الخبرية بالبيان القرآني في هذا السياق ، ولا
تتخلف الا حيث يكون المقام مستغنيا عن تقرير
النفي أو محتملا لشك في نفي الخبر .

— في الجمل الاستفهامية يطرد اقتران خبر ليس
بالباء . وبها ينتقض النفي ويخرج الاستفهام الى
اثبات جازم وتقرير بات ، لا الى أي وجه آخر
من الوجوه التي يعرفها علم البلاغة في خروج
الاستفهام عن معناه الاول في أصل اللفظة .

ولا يمكن الا يكون للبلاء أثرها في تحديد هذه
الدلالة البيانية وقد اطراد اقترانها بخبر (ليس) في
اسلوب الاستفهام بالبيان القرآني .

واذ كشف حرف الباء عن سره في البيان الاعلى، يبدو القول بزيادته مما يجفوه حسب العربية المرفه ، ولا يلفظ من هذه الجملوة أن لم يمتوا بها الحشو والفضول بل ادرجوها تحت الحكم العام لمعنى التاكيد بالباء الزائدة .

ولا ادري ما اذا كان يجدي أن أقول في هذه الباء غير ما قررته النحاة ، لتبقى حرفا أصليا غير زائد على اصل معناها في الإصاق (1) .

وتعمل عملها المباشر في الخبر ملصقة به غير مقول بزيادتها ، ومنها ما يستفاد خبر المنى بما وليس ؟

غير اني لا اشك في اننا لو عرضنا كل الحروف المقول بزيادتها على البيان القرآني المعجز لهدى الاستقراء والتعبير الى ملاحظة بيانية ذات بال .

وسياتي في القسم الثالث من هذا البحث مثل آخر من قولهم بزيادة حرف (لا) النامية قبل القسم في مثل قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » .

ونظير في حروف أخرى لم يتأولوها على تقرير زيادتها بل قد روها محذوفة ، ومضوا في تفسير الآيات على تقدير الحرف محذوما وهو مراد .

ولناخذ مثلا ، حذف حرف (لا) مقدرا في آيات :

يوسف 85 :

« قالوا بالله تفتأ تذكر يوسف »

النساء 176 :

« بين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء

عليم »

البقرة 184 :

« وعلى الذين يطبقونه عدية طعام مساكين »

قيل فيها جميعا بحذف « لا » النافية مقدرة ، وهي مرادة

وتأويل الحذف فيها يخضع للقاعدة النحوية في حذف « لا » النافية .

والنحويون يقولون بحذفها اطرادا في جواب القسم اذا كان المنى مضارما ، وقدموا له شواهد قليلة من الشعر .

اما القرآن الكريم فقدموا منه الآية :

« تالله تفتأ تذكر يوسف »

والذي نفهمه هو انه متى اطراد الحذف كقولهم (2) فالسياق حتما مستغن عنه ، ولا وجه اذن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه .

لان السياق متى اعطى المعنى المراد مستغنيا عن هذا الحرف أو غيره ، كان ذكره من الفضول أو الحشو الذي ينأى عنه الكلام البليغ فضلا عن البيان المعجز .

أما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراد ، فذكر « ابن هشام » في (معنى اللبيب) أنه قيل به في آية :

« بين الله لكم أن تضلوا » .

على تقدير « لتلا تضلوا » ، ثم اضاف :

« وقيل المحذوف مضاف ، أي كراهة أن تضلوا »

والآية من آيات الأحكام في التشريع القرآني للموارث ، وسياقها مستغن تماما عن تقدير حرف محذوف لم يجد النص القرآني حاجة الى ذكره ، اذ لا يخطر على بال من له أدنى الفهم بالعربية ، ايهام أن يكون المعنى : بين الله لكم لتضلوا !!

وأما بين الله لنا ما نتقي به الضلال .

ومتى اعطى السياق المعنى المراد مستغنيا عن الحرف الذي تدروه محذوما ، فذكر المحذوف الذي لا حاجة اليه ينتزه عنه البيان العالي ، اذ لو كان الحذف

(1) انتصر « سيويه » في (الكتاب) على الإصاق في معنى حرف الباء . وأحمس « ابن هشام » أربعة عشر معنى لها ، الإصاق أولها . وذكر فيه :

« وقيل هو لا يفارقتها »

انظر حرف الباء في الجزء الاول من (معنى اللبيب) .

(2) معنى اللبيب : 2 - 155 ط مصر .

ما يوقع في شبهة ابهام ، لاقتضى المقام في آية
تشريع ، وجوب ذكره دفعا لأي وهم أو لبس .

*

وتبقى آية البقرة في تشريع أحكام الصوم :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن
كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » 184 .

والكلام فيها يطول :

الحذف فيها ليس مما يطرد على تواعد النحاة ،
وانما هو مما يجوز ولا يطرد .

وقد اختلف المسرورون في تاويلها :

— منهم من قال بأن الحكم فيها منسوخ بالآية
بعدها ، والرخصة فيها للمريض والمسافر . وهذا القول
بالنسخ ، هو ما اختاره الامام « الطبري » في تفسيره
ونقله « الزمخشري » في (الكشاف) « وأبو حيان »
في (البحر المحيط) مع التصريح بأن « هذا قول أكثر
المفسرين » (1) .

على أن « الامام الطبري » نقل كذلك قول من
قالوا « لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت
من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة » (2) .

واحترز « ابن كثير » مقال بعد تلخيص اتوال
المفسرين تبلى :

« نحاصل الامر ان النسخ ثابت في حقيق
الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه ، وأما الشيخ
الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يطر ولا
قضاء عليه ، لأنه ليست له حال يصير اليها يتمكن
فيها من القضاء » (3) .

وتردد « الزمخشري » بين القول بالنسخ وبين
أن يكون تاويل الآية على تقدير : وعلى من « يتكفونه
على جهد منهم وهر ، وهم الشيوخ والمجانز . وحكم

هؤلاء الاطوار والمدنية ، وهو على هذا الوجه غير
منسوخ » (4) .

على أن القائلين بعدم النسخ قد ذهبوا في
تاويل الآية مذاهب شتى :

— فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا »
الفانية وهي مرادة . ونقلوا عن ابن عباس قوله :
« لا رخصة الا للذي لا يطيق الصوم » .

وعن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد
ولا بشيء من الجهد . وأما من استطاع بجهد فليصمه
ولا عذر له في تركه » .

وقال « أبو حيان » في البحر .

« يجوز بعضهم أن تكون « لا » محذوفة ، فيكون
الفعل منغيا وتقديره : « وعلى الذين لا يطيقونه » حذف
لا وهي مرادة » .

ثم عتب :

« وتقدير « لا » خطأ ، لأنه مكان الباس ، الا
ترى ان الذي يتبادر اليه الفهم هو أن الفعل مثبت .»

— وآخرون من المسرورين لم يصرحوا بتقدير « لا »
محذوفة ، وان كانوا يؤولون الآية بما يعطل الحكم مع
الاثبات في « يطيقونه »

أما بتقدير : وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
سبابهم وصحتهم ثم هجزوا عنه بالشيخوخة والمرض .
نقله الطبري وأبو حيان . واخذ به البغوي فقال :

« وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب
نجزوا ، والرخصة ثبتت للذين لا يطيقونه (5) .

وأما بتأويله على تقدير : من يدركه رمضان وعليه
صوم قضاء من رمضان المتقدم ، فقد كان يطبق في تلك
المدة فتركه ، فعليه الفدية .

ولا اهل خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والمدنية
للشيخ الهرم والمريض لا يرجى برؤه فيقتضى ، لكنهم
اختلفوا في المرضع والحامل تياسا على الشيخ الهرم :

(1) أبو حيان : البحر المحيط ، 36/2

(2) تفسير الطبري : 82/2

(3) تفسير ابن كثير : 405 ط المنار .

(4) الكشاف : ج 1 سورة البقرة

(5) تفسير البغوي على هامش ابن كثير : 404 ط المنار .

فالامام الشافعي قال بالفدية تباسا على الشيخ الهرم
وأوجب عليهما القضاء مع الفدية .

أما الامام أبو حنيفة فأوجب على الحامل والمرضع
إذا خافتا على الولد القضاء لا الفدية . وأبطل القياس
على الشيخ الهرم لأنه لا يجب عليه القضاء ويجب
عليهما . قال : فلو أوجبنا الفدية مع القضاء ، كان
جمعا بين البدلين وهذا غير جائز .

وأن لنا بعد هذا كله ان نقدر الآية ونرد الى
القرآن ما تنازعوا فيه . القول بنسخ الحكم فيها
بالآية بعدها ، ان لم يوهنه قول من قرروا انه حكم
مبني من لدن نزلت الآية الى تيام الساعة .

نقد بقي ان الآيتين تشرعان لحالتين مختلفتين .
الفدية على من يطيقونه .

والقضاء على من كان مريضا أو على سفر . ولا
يكلف بالقضاء الا من أنظر لعذر عارض لميصوم بعد
زوال العذر ، عدة من أيام أخر . وفي مثل هذا لا تقبل
الفدية بديلا من القضاء .

وانما الفدية بنص الآية « على الذين يطيقونه » .
فهل هم الذين لا يطيقونه .

نستبعد ان تكون « لا » محذوفة هنا وهي
مرادة ، فالآية من آيات التشريع والاحكام ، والفعل
فيها مثبت ، وتأويلها على تقدير « لا » محذوفة ينقض
الاثبات بالنفي .

ولو كانت الفدية على من لا يطيقونه ، لأخذ حرف
النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ولم يدع لنا مجالا
لان نختلف على تأويله بين التقيضين من اثبات ونفي .

واذ قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » لما
ينبغي ان نتاويلها بالنفي فنخرجها الى تعريض حكمها
الصريح المثبت نصا .

واحسب ان الذين تناولوا الآية على تقدير حذف
« لا » صراحة أو مالا ، فهموا « يطيقونه » بمعنى
يستطيعونه . وليست الكلمتان سواء .

في لفظ الاستطاعة حس الطوامية والمواتسة
والقدرة .

أما الطاقة فهي في العربية لغة القرآن ، أقصى
الجهد ونهاية الاحتمال .

وحين يقول العربي لصاحبه :

« هل تطيق هذا »

لا يقولها الا وهو يقدر ان هذا مما لا يحتمل ولا
يطاق .

واستعمال القرآن للطاقة اسما وعملا ، يؤذن
بانها مما يستند الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد
بذلك آياتها الثلاث وكلها من سورة البقرة .

« تناولوا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » 149

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » 286 وبها
نستأنس في فهم الآية الثالثة :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين »
فندرك أن الأمر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقة
وخرج الى ما لا يطاق ، سقط التكليف ، لانه لا تكليف
شرعا بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفسا الا
وسمها .

فالفدية تيسير على الذين يطيقونه ، بمعنى
يستغذ الصوم طاقتهم وانص احتمالهم فليسوا بحيث
يستطيعون القضاء عدة من أيام أخر .

ويصدق الحكم على المريض لا يرجى شفاؤه ،
وعلى من يتكلفونه على جهد منهم ومسر وهم الشيوخ
والمجانز ، وحكم هؤلاء الاطوار الفدية . وهو على
هذا الوجه غير منسوخ .

تيسيرا على من لا يستطيعون القضاء عدة من
أيام أخر .

وتبقى الآية على صريح نصها .

« وما الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

من لا يستطيعون القضاء .

دون تأويلها على حذف « لا » الزائدة وهي
مرادة .

وهذا مثل مما قالوا فيه بحذف الحرف . يمكن
ان يصدق على حروف أخر تناولوها على الصلح .
ويقوم النص في البيان القرآني مستغنيا عن تقدير
حرف محذوف ، ولاننا الى سر البيان في الاستغناء عن
كل حرف تدروه محذوف .

*

وننظر في حروف أخرى لم يقولوا فيها بتأويل
على تقدير زيادة أو حذف ، وانما أخذوا فيها بمذهب

القرآني ، ومناط التعبير فيه ، هذا الانغماس والملابسة
المحفوظة في ظرفية « في » .

وحرف « عن » في آية الماعون :

« نويل للمصلين . الذين هم من صلاتهم
ساهون » .

نستبعد قول من تأولوا السهو عن الصلاة في
الآية ، بأنه سهو في الصلاة ، فليس السهو فيها
بخطيئة ولا منكر ينذر معه الساهي بويل . وكل مؤمن
عرضة لأن يسهو في صلاته ، فينجبر هذا السهو فيها
بوجود السهو أو بالسنة والنوافل على ما هو مقرر
في باب الصلاة من أحكام الفقه .

وانما الويل للساهين عن صلاتهم الغافلين عن
كونها تليما بين يدي الخالق ، يكبح غرور الإنسان
وينهاه عن الفحشاء والمنكر ، ويرهف ضميره ليقني الله
في اليتيم وفي المسكين مؤديا حقهما في التواصل
بالمرحمة .

وصلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام
المسكين ، لا يمكن أن تصدر عن قلب خاشع وضمير
مؤمن . ونحن لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ،
فذلك هو السهو عنها ، تعود به طقوسا شكلية
ونفاقا يرائي به الناس .

*

ومن الحروف التي تأولوها في القرآن الكريم
حرف الواو في آية النساء :

« ماتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع » قالوا ان الواو فيها نائبة عن « أو » وقد يكنى
ان أنقل هنا رد « ابن هشام » :

« ولا يعرف ذلك في اللغة وانما يقوله بعض
ضعفاء اللغويين والمفسرين » .

ثم نقل من كلام : أبي طاهر حمزة بن الحسين
الإصهاني ، في كتابه المسمى « بالرسالة المعربة عن
شرف الأهراب » :

« القول فيها — أي آية النساء — بأن الواو
بمعنى (أو) ، عجز عن درك الحق . فاعلموا أن

للنحاة يقول ان حروف الجر يمكن ان تتعاقب فيأخذ
احدها مكان الآخر وينوب بعضها عن بعض . وهذا
ما يتداولونه ويستدلون به كما اشار الى ذلك « ابن
هشام » في (المغنى) (1) .

وهو مذهب رفضه من وصفهم « أبو هلال
المسكري » بالحقين من أهل اللغة ، ونقل عن « ابن
درستويه » قوله :

« في جواز تعاقبها — أي الحرفين — أبطال
حقيقة اللغة ، وامسأد الحكمة فيها ، والقول بخلاف
ما يوجب العتل والقياس .

« قال أبو هلال : وذلك ان الحروف اذا تعاقبت
خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر
فاوجب ذلك ان يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد.
فأبى المحققون ان يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق
المعاني » (2) .

وقال « ابن هشام » تمقيا على تولهم ان بعض
حروف الجر ينوب عن بعض :

« وتصحيحه بادخال (قد) على تولهم : ينوب
عن بعض ، والا تعذر استدلالهم به ، اذ كل موضع
ادموا فيه ذلك ، لا نسلم ان هذا مما وقعت فيه
النيابة ، ولو صح تولهم لجاز ان يقال : مررت في زيد
ودخلت من عمر وكتبت الى القلم . على ان البصريين
ومن تبعهم يرون في الأماكن التي ادميت فيها النيابة ،
ان الحرف باق على معناه » فان كان تجوز فهو في
الفعل ، لان التجوز في الفعل اسهل منه في الحرف (3)

ونعرض هذا الخلاف على البيان الاعلى فيأبى
ان نتاول حرفا فيه بحرف آخر .

من ذلك مثلا :

قوله تعالى : « فهم في ريبهم يترددون » التوبة .
قول ان حرف « في » يمكن ان يتأول بحرف « من »
أو « اللام » على تقدير :

« فهم من ريبهم » ، أو ، لريبهم ، يترددون »
ولا يمكن ان يقوم احد الحرفين مقام الحرف في النص

(1) مغنى اللبيب 163/2 مصر .

(2) أبو هلال المسكري : الفروق اللغوية ، 13 ط الحلبي

(3) ابن هشام : مغنى اللبيب 163/2 .

اتشابهت جميعا على ان ينكحوا اما مثنى واما ثلاث واما رباع .

واظن ان هذه المثل التي تقدمتها تكفي لاجتلاء سر الحرف لا يقوم مقامه غيره . ويغنى عن مزيد تتبع هنا ، ما قد يتاح لنا من تدبر الحرف في سياقه القرآني عند الحديث عن (الظواهر الاسلوبية وسر التعبير) .

« دلالات الالفاظ وسر الكلمة »

من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها . والبيان القرآني يجب ان يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه ، حين يهدي الى سر الكلمة لا تقسوم مقامها كلمة سواها من الالفاظ المقبول بترادفها .

والامر كذلك في الفاظ القرآن ، ما من لفظ منها يمكن ان يقوم غيره مقامه ، وذلك ما ادرکه العرب النصحاء الذين نزل عليهم القرآن مصر البعث وامياهم ان ياتوا بسورة من مثله .

واحتاج هنا الى وثقة قد تطول عند مشكلة الترادف التي طال الجدل فيها والخلاف عليها .

ولا يشغلنا تعدد الالفاظ للمعنى الواحد ، اذا كان عن اختلاف لغات القبائل ، وذلك ما لا خلاف فيه فيما علم (2) .

وانما يشغلنا الترادف حين يقال فيه بتصدد الالفاظ للمعنى الواحد دون ان يرجع الى تصدد اللغات :

منا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات وتحديد معاني الالفاظ ، او يراه من الفضول والتزيد الذي لا فائدة فيه (3) .

ومنا من يرى هذا الترادف ظاهرة فنى وسعة وقدرة على التصرف . وما اكثر من يباهون بهذا الثراء اللغوي ويمدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة . وان يكن تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة

الاعداد التي تجمع تسمان : قسم يؤتى به ليضم بعضه الى بعض وهو الاعداد الاصول نحو « ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » ، « ثلاثين ليلة واتبعناها بعشر ممت ميعات ربه اربعين ليلة » .

« ولم يقولوا ثلاث وخماس ، ويريدون ثمانية ، كما قال تعالى : « ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم » وللجهل بموقع هذه الالفاظ استعمالها « المتنبى » في غير موضع التقسيم يقال :

« احاد ام سداس في احاد ليلتنا المنوطة بالنادي »

ونستانس في مهم مثنى وثلاث ورباع باية ناطر:

« الحمد لله ناطر السموات والارض جامل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع » 34 وآية سبا : « تل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى » 46 .

فتدرك الملحظ البياني للواو في مثل هذا السياق ،

بما تفيد من كون الملائكة ليسوا جميعا سواء ، بل منهم اولو جناحين ومنهم اولو ثلاثة واولو اربعة . وفي آية سبا ، تضيير يكون لهم فيه ان يقوموا فرادى وان يقوموا مثنى . ولو قيل « مثنى او فرادى » للزم ان يقوموا جميعا اما مثنى واما فرادى ، ولم يكن لهم ان يقوموا في بعض الحالات مثنى ، وفي بعض الحالات فرادى .

وبهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم ، بل لا نراه يصح اطلاقا ، اذا ما وضعت (او) مكان (الواو) في آية النساء . لان مقتضى التعبير بحرف (او) انه لا يسوغ لهم الا ان ينكحوا جميعا مثنى او ثلاث او رباع ، بحيث لا يختلف رجل من رجل ، وليس هذا هو الحكم المستناد من الآية في اباحة تعدد الأزواج ما بين مثنى وثلاث ورباع ثم لا يتجاوز وزنها السى المحظور وراء رباع (1) ويخطئ سر العربية من يفرق بين مثنى وثلاث ورباع ، وبين اثنتين وثلاث وأربع المعادلة لتسع ا

كما يخطئه من لا يميز بين « مثنى وثلاث ورباع » وبين : مثنى او ثلاث او رباع ، بما تفيد « او » من

(1) انظر تفسير الطبري والزمخشري : سورة النساء .

(2) السيوطي : المزهري 405 ط الحلبي

(3) ابن فارس : الصحابي في لغة 11 .

ولما سأل ابن خالويه : فأين الهند ، والصارم ،
والغضيب ، والحمام ، و .. و .. ؟

اجاب : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين
الاسماء والصفات (2) .

وصنف أبو هلال العسكري « كتابه (الفروق
اللغوية) لبيان أن اختلاف الألفاظ في لغة واحدة ،
يوجب اختلاف المعاني . فإذا جرى اسمان على معنى
من المعاني أو عين من الأعيان في لغة واحدة « فإن
كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، والا
لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه » .

قال : « وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء ،
واليه أشار « البرد » في تفسير قوله تعالى من آية 48 ،
سورة المائدة :

« لكل جعلنا منكم شرمة ومنهاجا » فمطف
شرمة على منهاج ، لأن الشرمة لأول الشيء
والمنهاج لمعظمه ومتسعه ... ويمطف الشيء على
الشيء وأن كانا يرجعان إلى شيء واحد ، إذا كان
في أحدهما خلاف للآخر ، فأما إذا أريد بالثاني ما
أريد بالأول فهو خطأ .

قال أبو هلال : « والذي تاله « البرد » هاهنا
في المطف ، يدل على أن جميع ما جاء في القرآن ومن
العرب من لفظين جاريتين مجرى ما ذكرنا ... معطوف
أحدهما على الآخر ، فأنما جاز هذا ليهما لما بينهما من
الفرق في المعنى . ولولا ذلك لم يجز مطف زيد على أبي
عبد الله ، إذا كان هو هو (3) .

وإلى هذا ذهب « ثعلب » ونقل قول « ابن
الأمري » : « وكل حرمين أوتمتهما العرب على معنى
واحد ، في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، وربما
عرفناه فأخبرنا به ، وربما فمض علينا فلم نلزم العرب
جهله .

وصرح « ابن فارس » في كتابه الصحاحي :
« ومذهبنا أن كل صفة منها - أي الصفات الواقعة
على الشيء الواحد - معناها غير معنى الأخرى .
وقد خالف قوم في ذلك فزعموا أنها وإن اختلفت الفاظها
فإنها ترجع إلى معنى واحد »

المفاضلة الساذجة بين اللغة العربية وغيرها من
اللغات ، ووجهنا إلى البحث في خصائص العربية
منتمين بما قدمت البحوث العلمية الحديثة في اللغويات
والتصويبات ، فلم تعد كثرة الألفاظ الدالة على المعنى
الواحد مدعاة فخر ومباهاة ، وإنما أصبحت قضية
تلتهمس حلا .

وحين ننظر فيما وصل إلينا من كتب اللغوية
ومعاجمها ، نراها تسلك مسلكين مختلفين متباعين:

منها ما يترر وجود الترادف فيحشد للمعنى
أبواب اللفظ ذات عدد ، وهذا هو مسلك « أبي
سحل الأمري » (في القرن الثاني هـ) في كتابه (النوادر)
« وابن السكيت » (ق 3 هـ) في (الألفاظ) .
وللفيروزآبادي صاحب (التاموس) كتاب في
الترادفات أسماه (الروض المسلول فيما له اسمان
إلى اللف) .

وكتاب آخر في أسماء العسل جمع فيها ثمانين
اسما .

ونقل « ابن فارس » قول من سمع « ابن
خالويه » يقول :

« جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحبة مائتين »

كما نقل خبر « الأصمعي » حين سأل « الرشيد »
في شعر غريب ففسره ، فقال الرشيد : يا أصمعي ،
إن الغريب عندك لغبر غريب .

مقال : يا أمير المؤمنين : إلا أكون كذلك وقد
حفظت للحجر سبعين اسما ؟ (1) .

ومن قالوا بالترادف : الفراء ، وتطرب ،
والفخر الرازي ، والتاج السبكي . ويوشك أن يكون
هذا هو مذهب « جلال الدين السيوطي » .

وانكره علماء آخرون انكارا باتا ، إلا ما كان منه
في لغات عدة . منهم « أبو علي الفارسي » الذي سمع
« ابن خالويه » يقول في مجلس سيف الدولة بطلب :
أحفظ للسيف خمسين اسما .

فتبسّم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسما
واحدا هو السيف .

(1) السيوطي : المزهري في علوم اللغة 405 حلبى بالقاهرة

(2) ابن فارس : الصحاحي في لغة 15 السلفية بالقاهرة

(3) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 12

ونبه « الجاحظ » في أكثر من موضع في كتبه ورسائله إلى بطلان الترادف ، إلا أن يكون اختلاف لغات (1) .

*

وظلت القضية فيما أهدم معلقة لم يستقر فيها أصحاب العربية على رأي حاسم ، وإن كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في العصور المتأخرة . ويقول به اليوم عدد من أصحاب التخصص في لغة اللغة وعلم الاجتماع (2) .

والى ماض قريب ، كانت قضية الترادف من بين ما شغل به المجمع اللغوي في القاهرة . وقد اقترح أحد السادة المجمعين أن نخفف من عبء المترادفات فنصنف بعضها للألفاظ العربية يستبعد ما زاد في المعنى الواحد من لفظ واحد يختاره المجمعيون من معاجم العربية (3)

*

والقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، ومن الحق ألا نأخذ في هذه القضية برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين « .

ولقد شهد التتبع الاستقرائي لما درست من ألفاظ القرآن الكريم ، أنه ينفي الترادف ، إذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن أن يؤديها لفظ سواه ، في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عددا من الألفاظ قل أو أكثر .

وهذه بعض أمثلة تجلو موقف البيان الأعلى من قضية الترادف التي اختلفوا فيها :

الحلم والرؤيا :

تفسر المعاجم أحد اللغتين بالآخر .

ونستقرىء مواضع ورودهما في القرآن ، ونتدبر سياقاتها فلا يترادفان :

استعمل القرآن الأحلام ثلاث مرات : يعطى سياقاتها جميعا أنها الأضغاث المشوشة والهواجس المختلطة . وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع ، دلالة على الخلط والتشوش ، لا تمييز فيه .

يقول تعالى على لسان المشركين :

« بل قالوا أضغاث أحلام بل انتراء بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » الانبياء : 5 .

وعلى لسان الملا من قوم العزيز :

« قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » يوسف : 44 .

أما الرؤيا فجاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة . وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد ، دلالة على التميز والوضوح ، وجلاء المرئي وصفاء الرؤيا .

ومن بين المرات السبع ، جاءت الرؤيا خمس مرات للأنبياء ، فهي من الإلهام القريب من الوحي :

رؤيا إبراهيم عليه السلام في آية الصلوات :

« وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين » 109 .

ورؤيا يوسف إذ يقول له أبوه :

« يا بني لا تصعب رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للإنسان عدو مبين » 50 .

وتابع سياقاتها في السورة فتراها قد صدقت وتحقتت :

« ورفع أبويه على المرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » 60 .

ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الإسراء :

« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » 60 . ورؤياه في الفتح :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

(1) انظر مثلا : الحيوان : 56/4 ، 200/7 .

(2) منهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالات الألفاظ) والدكتور علي عبد الواحد في مقال نشره عن مزايا لغتنا العربية ومضائلها وشرمها ، سنة 1963 .

(3) المجلد الثامن ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ومتصرين لا تخافون ، فاعلم ما لم تعلموا فجعل من
دون ذلك فتحا قريبا « 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا
للأنبياء . والمرتان الأخيران في رؤيا العزيز ، وقصدت
صدقت . وفي آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك
بالرؤيا لوضوحها في منامه وجلالها وصدق الهامها ،
وان بدت للملأ من تومه هواجس أو هام واضغاث
أحلام .

« وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات
يا أيها الملأ أفقوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون.
قالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»
سورة يوسف 43 — 44 .

وتمضي القصة في سياقتها القرآني ، فاذا هي
رؤيا صادقة وليست كما بدت للملأ من توم الملك
اضغاث أحلام .

✱

آنس وأبصر :

في المعاجم : آنس الشيء أبصره ، والصوت
سعه ، واستانس استاذن .

فهل نقول في « آنس نارا » أبصرها ، أو نظرها ،
أو اشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل ان تتعاقب على
هذا المعنى ؟

نستقرئ استعمال القرآني فيعطينا حس
العربية المرهف لا تقول : آنست في الشيء تبصره أو
تسمعه دون ان يؤنس .

فاذا قال العربي : آنست ، فقد رأى أو سمع
ما يؤنسه . والقرآن قد استعمل الفعل «آنس» خمس
مرات ، منها أربع في النار التي رآها موسى
عليه السلام حين سار بأهله في البرية فانس إليها .
وهذه آياتها :

طسه 10 :

« اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى » .

النبل 7 :

« اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سأتيكم
منها بخبر أو آتيكم بشهاب تبس لعلكم
تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من
جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جدوة من النار
لعلكم تصطلون » .

والمرة الخامسة في آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فآنس
آنستم منهم رشدا فادعوا اليهم أموالهم » .

ليس الایناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشد
المادية الحسية، ولكنه الطمانينة المؤنسة ، بعد الإبتلاء
والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجاءت من المادة في القرآن صيغة الفعل المضارع
من الاستئناس في آية النور :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وانما
هو حس الایناس لأهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا
يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : استأنسس
الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وانما هو
الاستئذان ليس فيه حس ایناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » في رؤية عدو ،
أو سماع هزيم رعد أو زئير وحش .

✱

الآنس والآنسان (1) :

وحس الآنس نقیض الوحشة ، هو الملحظ العام
المشترك في الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الآنس والآنسان :

يلتقيان في الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة
« ان س » على نقیض التوحش .

(1) تقدمت الاستقراء الكامل لاياتها في كتابي « مقال في الانسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان بلحظ خاص من الدلالة يميزه عن الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ تسيما للجن ، وعددها ثمانى عشرة آية .

ولحظ الانسية فيه ، بما تعنى من تقييد التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو من ظواهر التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا من اجناس اخرى خفية مجهولة غير مالوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا .

وأما الانسان فليس مناط انسانيته فيها نستقرىء من آيات البيان المعجز ، انه انس محسب ، وانما الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال تبعات التكليف وامانة الانسان ، وما يلابس ذلك من تمرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم : في خمسة وستين موضعا نتدبر سياقاتها جريما لتهدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجن من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والعلم (الملق) والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان) ، النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17 . والجندل (الكهف 54) .

ويحتل الوصية (لقمان 14 ، العنكبوت 8) .

وهيوم المكابدة وانتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الامانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفتن منها (الاحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ، 4 ، العنكبوت 15) .

ويزدهيه الغرور فيطفي ويستكبر ، ويفضله وهم الاستغناء من خالقه (الملق 6) وما أكثر ما يذكر القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجماح غروره تبيلا يتجاوز قدره فيطفي ! وهو مظنة أن يتمادى به الطفيلان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه سبحانه موقف خصيم مبین (النحل 4 ، مريم 67 : الانطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ، العاديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما في البيان القرآني بلحظ خاص يميزه عن الآخر فلا يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصيغتين ، والمسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتله الدلالة المعجبة للمادة .

ونستقرىء الصيغتين في القرآن كله ، فنراه يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها ، مفردا وجمعا ، في القرآن وعددها ثلاثة وخمسون موضعا .

أما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد ذلك أيضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها وعددها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتل صريح سياقاتها أي تأويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطور 17 :

« ثم لتسالن يومئذ عن النعيم »

« ان المتقين في جنات ونعيم » .

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة النعيم لنعيم الآخرة ، ان نفسرها بما حشدت كتب التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تأتي في القرآن الا بصيغة نعمة او نعماء .

الواقعة 89 :

« فأما ان كان من المقربين . فمروح وربحان وجنة نعيم »

وسر البيان فيها ان الذين الهام الكاثر في اعراض الدنيا عن التزود لآخراهم سيسألون يوم يرون الجحيم عن اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي اضاعوه والهام عنه التكاليف على نعم الدنيا الفانية واعراضها الزائلة (1)

المعارج 38 :

« ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم »

المطففون 22 :

« ان الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم » .

النسأى والبعد :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تاويلا لاحدهما بالآخر ، دون اشارة الى فرق بينهما .

الانسان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

وفرق بينهما من انكروا الترادف . ونستقرىء مواضع الاستعمال القرآني للنسأى والبعد فلا يترادفان :

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا »

المائدة 65 :

« ولادخلناهم جنات النعيم »

فليس في القرآن نأى ، الا بمعنى الاغراض والصد والاشاحة ، بصريح النص والسياق في آيات .

يونس 9 :

« تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » .

« واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه »

الحجج 56 :

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم » معها آيتا : الصافات 43 ، الواقعة 12 .

الانعام 26 :

« حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ، وهم يفترون عنه ويؤمنون به وان يهاكون الا انفسهم وما يشعرون »

لقمان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » .

اما « البعد » فيأتي في القرآن على الحقيقة او المجاز ، في البعد المكاني او الزماني . المادي منهما والمعنوي ، كما هو واضح في آيات :

القلم 34 :

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

« لو كان مرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعثوك ولكن بعثت عليهم الشقة »

الشمراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

سبا 19 :

« فقالوا ربنا بعدد بين اسفارنا »

وتبقى آية التكاثر :

(1) اوضحت ذلك بمزيد تفصيل في تفسير سورة التكاثر بالجزء الاول من (التفسير البياني للقرآن الكريم) .

- الزخرف 28 :
« قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين »
- الانبياء 109 :
« وان ادري الاقرب ام بعيد ما توعدون »
- الفرقان 12 :
« ذا رانهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »
- النمل 22 :
« فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبا يقين »
- سبأ 52 ر 53 :
« واتى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيث من مكان بعيد »
- فصلت 44 :
« اولئك ينادون من مكان بعيد »
- ق 32 :
« وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد »
- آل عمران 30 :
« تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »
- المارج 6 :
« انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا »
- الانبياء 101 :
« اولئك عنها مبعدون »
- هود 83 :
« وما هي من الظالمين ببعيد »
- هود 95 :
« الا ابدا لمدين كما بعدت لمد »
- هود 14 :
« وقيل بعدا للقوم الظالمين »
مما هود 60 ، 68 المؤمنون 41 ، 44 .
- « ويبعد في المعنويات مثل شقاق بعيد (البقرة 176) ، الحج 53 ، فصلت 52) وضلال بعيد (ابراهيم 3 ، 18 النساء 6 ، 126 ، 136 ، 167 ، الحج 12 ، الشورى 18 ، سبأ 8 ، ق 27 ، الشورى 18) .
- ياتي دائما في مقابل القرب .
- على حين يخلص النأي للمعنوي المحض ، في الصد والافراحي نقبض الاقبال .
- حلف ، والقسم :
- يقال بترادفهما كما نص على ذلك صاحب التاموس . وقد تانى حلف في شواهد من الشعر الجاهلي بمعنى اقسام ، في مثل قول النابغة :
- « حلفت فام اترك لنفسك ربية »
- والاعشى :
- « حلفت له بالراقصات الى منى »
- وشاس بن عبده :
- « حلفت بما ضم الحجيج الى منى »
- لكن التتبع الاستقرائي للمادتين في القرآن الكريم يمنع ترادفهما :
- جاءت مادة « حلف » في ثلاثة عشر موضعا ، كلها بغير استثناء في الحث باليمين .
- والغالب ان ياتي بالفعل مستندا الى المنافقين كآيات التوبة :
- « وسيحلفون بالله لو استظمنا لخرجنا معكم ، يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » (42)
- « ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم » (56)
- « يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله احسق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين » (62)
- « يحنقون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم » (74)
- « يحلفون لكم لترضوا فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (96)
- « وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد بانهم لكاذبون » (107)
- ومعها في المنافقين كذلك آيات :
- النساء 62 ، المجادلة 14 ، 18 .
- وآيسة القلم :

« ولنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » البقرة
35 والاعراف 19 .

« فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك »
طسه 117 .

على حين يستعمل « امرأة العزيز ، وامرأة نوح ،
وامرأة لوط ، وامرأة فرعون .

وقد يبدو من اليسير ان يقوم احد اللفظين مقام
الآخر ، فنفس زوج آدم بامرأة آدم ، وامرأة فرعون
بزوج فرعون .

وذلك ما يباهه البيان المعجز .

وهو الذي يعطينا سر الدلالة فى الزوجية مناط
العلاقة بين آدم وزوجه فى قصة اول زوجين من
البشر . ولم تكن زوج آدم نمطا من النساء او امرأة
من اخريات ، بل كانت وحدها الزوج ، وكانت الزوجة
ولا شىء غيرها ، مناط علاقتها بآدم وسر وجودها .

وليس الامر كذلك فى امرأة العزيز وامرأة نوح
وامرأة لوط وامرأة فرعون ، وسياق الحديث منهن من
حيث هن أنماط من النساء ، وليس عن العلاقة الزوجية
بينهن وبين أزواجهن . والعبرة فى قصصهن ان كل
واحدة منهن مضرب المثل :

امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ؟

امرأة نبي وتخونه !

امرأة طاغية متجبر كافر ، تؤمن بالله .

ونستقري استعمال القرآن للفظ زوج وأزواج
فنجد هذا الملحظ فى كون العلاقة الزوجية هي التي
يوجه اليها السياق :

آيات (النساء) فى النفس الواحدة خلق منها
زوجها (الاعراف 189 ، الزمر 6 ، الروم 21 ، النحل
72) وفى الزوجين خلقهما الله من نفس واحدة ، او
من ذكر وانثى : (النساء 1 ، الاعراف 188 ، الزمر 6 ،
النحل 72 ، الروم 21 الشورى 11) ومعها : النبأ 8 ،
الشعراء 166 ، والذاريات 49 ، النجم 45 ، القيامة
19 ، فاطر 11 .

وفى فلك نوح جعل فيها من كل زوجين اثنين :

المؤمنون 27 ، هود 40 .

وفى ما شرع الله من أحكام الزوجية ، وما نزل
فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من توجيهات ،

« ولا تطع كل حلاف مهين ، هزاز مشاء بنميم .
مناع للخير معتد أثيم »

وجاء الفعل مرة واحدة مسندا الى الدين آمنوا ،
نوجبت عليهم كفارة الحنث باليمين :

« ذلك كفارة إيمانكم اذا حلفتكم » المائدة 89 .

* x *

اما القسم فيغلب استعماله فى الايمان الصادقة .
وجاء موصوفا بالعظمة فى آية :

« وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

وجاء الفعل فى الشهادة ومثلها ، حيث لا يحمل
الحنث باليمين . كالشهادة حين الوصية (المائدة
106 ، 107) .

وحين يسند القسم فى القرآن الى المجرمين او
الكنار ، فانهم يقسمون عن اقتناع بصدق ما يقسمون
عليه .

السرور 55 :

« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة »

الانعام 109 :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية

ليؤمنن بها »

ومعها آيات :

الاعراف 49 ، ابراهيم 44 ، المائدة 53 ، النحل
38 ، النور 53 ، فاطر 42 .

وامام هذا البيان القرآني ، لا يهون ابدا ان نفسر
القسم بالحلف ، وصنيع القرآن يلفت الى فرق دقيق
بين هذين اللفظين المقول بترادفهما .

فان لم نقل ان القسم لليمين الصادقة ، والحلف
لليمين الكاذبة ، على اطلاقهما . فلا اقل من ان يكون
بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم
لمطلق اليمين بعمامة . ويختص الحلف بالحنث فى
اليمين ، على ما اطرده استعماله فى البيان الاهلى .

* x *

زوج ، وامرأة :

وترى البيان القرآني يستعمل لفظ « زوج »
حيثما تحدث عن آدم وزوجه :

مثل آيات البقرة 230 ، 240 ، آل عمران 90 النساء
11 ، 19 الانعام 139 ، الحجر 88 ، النور 6 ، 30 ،
طه 131 ، التحريم 1 : 5 ، المجادلة 1 ، المتحنة 11 ،
الاحزاب 28 ، 37 ، 50 : 59 .

* × *

واكتفى بما قدمت من شواهد وأمثلة تؤيد ما
ذهب اليه المحققون من أهل اللغة في انكار الترادف الا
ان يجيء في لفتين : « فاما ان يجيء في لغة واحدة
فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن غير
المحققين من النحويين واللفويين ، وانما سمعوا العرب
تتكلم بذلك على طبامها وما في نفوسها من معانيها
المختلفة، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرف
السامعون تلك الملل والفروق فظنوا ما ظنوه من ذلك
وتاولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم » (1)

وقد ينبغي لي ان اعترف هنا بقصوري من لمسح
سر الدلالة لبعض الفاظ تبدو مترادفة ، فليس لي ان
اثر بالمجز وانا اتمثل بكلمة ابن الاعرابي :

« كل حرفين أو قمتها العرب على معنى واحد ،
في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه
فاخبرنا به ، وربما فمض علينا فلم نلزم العرب
جهله » (2) .

الاساليب وسر التعبير

قد تكون عرفنا البلاغة العربية علما وثقناها
صناعة ومنطقا .

غير اننا ما نزال في اشد الحاجة الى ان نجعلها
ذوقا اصيلا وحسا مرهقا في آيات الفصاحة العليا
والبيان الممجز .

الاستفناء عن الفاعل :

واحاول فيما بقي من المجال المحدود للبحث ،
ان اقدم بعض ما هدى اليه البيان القرآني في اساليب
غاب عن كثير منا سر التعبير فيها والبيان .

(1) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 12 .

(2) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 65 .

من الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان الممجز
ظاهرة الاستفناء عن الفاعل التي توزعت في دراساتنا
وكتبتنا بين ابواب شتى متبادلة ، لا تغطي سر هذا
الاستفناء ، فانت تقرا في الصرف كيفية بناء الفعل
للمجهول وصيغ المطاوعة . وفي النحو احكام نائب
الفاعل . اما لماذا حذف الفاعل فذلك موضوع آخر
ندرسه في علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن
الاعراب فعاد هذا الاعراب صنعة ، وهو في الاصل من
صميم المعنى . كما ندرس في علم البيان اسناد الفعل
الى غير فاعله على سبيل المجاز ، دون ان نحاول جمع
هذا الشتات المنتشر للظاهرة الاسلوبية لاجتلاء سرها
الذي من اجله تستغنى العربية عن الفاعل فتسند الى
غير فاعله : بالبناء للمجهول ، او بالمطاوعة ، او
بالاسناد المجازي .

— ◆ —

وقد لفتني اطراد ظاهرة الاستفناء عن الفاعل في
البيان القرآني في موقف واحد هو موقف القيامة :

اما بالبناء للمجهول في مثل آيات :

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة »

« وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة »

« اذا رجعت الارض رجاء . وبست الجبال بسا »

« يوم ينفخ في الصور فتاتون اوجاجا »

« وفتحت السماء فكانت ابوابا . وسيمرت

الجبال فكانت سرايا »

« فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت .

واذا الجبال نسفت »

« اذا الشمس كورت . واذا النجوم اكدرت .

واذا الجبال سيرت . واذا المشار عطست . واذا

الوحوش هشرت . واذا البحار سجرت . واذا النفوس

زوجت . واذا الموهودة سئلت . باى ذنب قتلت . واذا

الصحف نشرت . واذا السماء كسحت . واذا الجحيم

سعرت . واذا الجنة ازلقت . علمت نفس ما احضرت »

« كلا اذا دكت الارض دكا دكا »

« وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكرى »

« افلا يعلم اذا بعث ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور »

ومعها آيات النسخ فى الصور ، وكلها بلا استثناء مبنية للمجهول .

واما ان يستغنى عن ذكر الفاعل ، باسناد الحدث الى غير فاعله مطاوعة او مجازا كما فى آيات :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »

« اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انثرت »

« اذا السماء انشقت . وادنت لربها وحقت »

« واذا الارض مدت . واقنت ما فيها وتخلت »

« يوم تشقق الارض عنهم سراعا »

« يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا »

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين »

« فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع

الشمس والقمر »

« واخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالها .

يومئذ تحدث اخبارها »

والبلاغيون يقولون فى حذف الفاعل ، انه يحذف

للكوف منه او عليه ، وللعلم او الجهل به .

وقد مضى المفسرون على تقدير فاعل محذوف

لاحداث يوم القيامة ، هو الله سبحانه ، او ملك من

ملائكته ؛ مع وضوح العمد فى البيان القرآنى الى صرف

النظر من الفاعل والاستغناء عن ذكره . واكثر ما قالوه

فى تاويل ذلك ، ان الفاعل محذوف للعلم به . وفى القرآن

آيات لا تحصى لم يحذف الفاعل فيها مع يقين العلم

به . فما سر ظاهرة الاستغناء عنه فى احداث القيامة ؟

يهدينا تدبر السياق الى :

ان اساليب البناء للمجهول والمطاوعة والاسناد

المجازي الى غير الفاعل ، تلتقي جميعا فى الاستغناء

عن ذكر الفاعل .

ان اطراد هذه الظاهرة فى موصف البعث

والقيامة ، ينه الى اسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة

الاعرابية والاحكام البلاغية التى نجمت فى اجراءات

المنطق البلاغى .

فبناء الفاعل للمجهول ، فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه .

والمطاوعة ، فيها بيان للطواعية التى يتم بها الحدث تلقائيا او على وجه التسخير ، وكآته ليس فى حاجة الى فاعل .

والاسناد المجازي ، يعطى المسند اليه فاعلية مؤكدة محققة ، تجعله يحل محل الفاعل الاصلي ويغني عن ذكره .



السجع ورعاية الفواصل :

منذ بدأ عصر التأليف فى الدراسات القرآنية

والبلاغية ، فرضت قضية الفواصل نفسها على الاجيال

الاولى من علماء العربية ، وان لم تستقل بمباحث مفردة ،

بل جاءت عارضة فى ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة .

فابو عبيدة من القرن الثانى للهجرة ، يقف فى

كتابه (مجاز القرآن) عند الفاصلة بين حين وآخر ،

اذا لاحظ فيها عدولا عن مالوف الاستعمال اللغوي ،

موجها همه الى الاحتجاج لهذا المدول بان « المرب

تفعل ذلك فى كلامها » وهى العبارة التى تلقانا كثيرا

فى (مجاز القرآن) .

كذلك لم يعرض « الفراء » وهو من لغوي القرن

الثانى - ت سنة 207 هـ - لمسألة الفواصل عرضا

مباشرا فى كتابه (معاني القرآن) ولكنه حدد رايه فى

موقف القرآن منها تحديدا صريحا فى تفسيره اللغوي

لمعاني القرآن ، وترجيحه بين القراءات . وهناك من

القرآن يراه الفاصلة عمدا ليتحقق بها جمال النظم :

فيقدم او يؤخر ويؤثر لفظا على آخر فى منشاء ، او

يعدل من صيغة للكلمة الى صيغة اخرى ، رعابة

للفاصلة ، او رموس الآيات ، كما يسميها ، كالذي

تراه مثلا فى توجيهه لفواصل من سور الرحمن ،

والضحى ، والفجر .

وعلى كثرة ما عرض « القراء » للفواصل وبخاصة

فى السور المكية ، لم يذكرها باسم الفواصل وانما هي

عنده رموس آيات ، وان ثبت على مذهبه فى ان القرآن

يرعاها قصدا الى رعابة الجرس الصوتي والمشاكلية

اللفظية . مع تحاشيه ذكر « السجع » .

وانكر « ابن قتيبة » مذهب « الفراء » فى هذه

الرعاية اللفظية للمقاطع ورموس الآيات .

والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تنبئه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غير صحيح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف ، والتكلف في كليهما مدموم مرفوض . اما ان يأتي التماثل والتقارب طوعا سهلا وتابعا للمعاني ، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضرب لعنوه في الفصاحة .

ثم قال . . . « واظن ان الذي دما اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التسمية قريب ، فاما الحقيقة فما ذكرناه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لدم السجع على الإطلاق ونفيه عن القرآن جملة . فهناك سجع بليغ ، الفاظه حاوة حادة طنانة رنانة لا غنة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها » (5) .

« وأبو هلال العسكري » في فاتحة (أسرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليغ ، اللفظ فيه استدعاه المعنى . وعنده ان مثل هذا السجع حلية في الكلام ، ويمجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من أسرار الامجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع من (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخلاف بين الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائلين بنفيه ؛ لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكانما كان الحسن المؤمن ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن التغطية ما لبثت ان دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فارتبطت بالامجاز بالنظم ، وبدأت تستقل بمباحث مفردة :

الإشاعة تردوا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع ، محاولين ان يفرقوا بينهما ، بان الفواصل يتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه تمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل عنهم « الباقلائي » فهو يقيم الفرق أحيانا على ملاحظ شكلية من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولا وقصرًا ، وهذا عنده اخلال بضوابط السجع ومقاييسه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيًا باتًا ، مقررين ان الفواصل بلاغة والسجع عيب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في امجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بان العبارة فيها بالمعنى . وان لم يمتنع عنده ان يكون للجرس الصوتي والتلاف الإيقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من البلاغيين من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان أجمعوا على امجاز البيان القرآني .

منهم « ابن سنان الخفاجي » السدي قال في (سر الفصاحة) :

« واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها أسجعا . وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يعمل المعنى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة

(1) الباقلائي : امجاز القرآن ، (في نفي السجع من القرآن) .

(2) ثلاث رسائل في امجاز القرآن : ص 97 ، ط الذخائر .

(3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .

(4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .

(5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 - ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .

(6) أسرار البلاغة : 7 .

البلغاء ، ويقع في الكلام المنشور ، وهو في مقابلة التصريح في الكلام المنظوم الموزون في الشعر » (1)

وواضح من مسنكه في الاستشهاد لكل نوع من أنواع التسجيع آيات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع في القرآن .

وعندهم ان الامر في التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع في القرآن ، بعد ان شاع اطلاقه على سجع الكهان .

« وابن ابي الاصبغ المصري » (585 : 654 هـ) في كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على رأي في الموضوع ، ففي باب (ائتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفي باب (التسجيع) يأسى بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتدته الصنعة اللفظية والزخرف البدعي ، في اساليب المصور المتأخرة ، بعد ان اصطنعه الكهان في العصر الجاهلي .

ومن ثم نؤثر ان نمضي على تسمية مقاطع الآيات في النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه اكثر المفسرين .

واراني اطلت في عرض اقوال السلف في الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر أسرار التفسير في هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .

وبعد الذي سقناه من خلافهم فيها بين اللفظ والمعنى نتدبر الفواصل القرآنية فلا نرى البيان القرآني يتعلق في أي فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرواق اللفظي ، وانما تأتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية بيانية مع نسق الايقاع بهذه الفواصل ، وائتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .

وقد رأينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم «الفراء» ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات بإيثار نسق على آخر أو المدول عن لفظ الى غيره في معناه .

ففي البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع في القرآن نفيا باتسا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

ونختلف معهم ابتداء في القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك في الترادف وسر الكلمة .

وبين القول بوجوده في النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفي البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء » في ان السجع في القرآن مقصود لذاته ، وانه ربما عدل عن نسق الى آخر وءائر لفظا على غيره في معناه ، تصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الآيات .

ثم ننظر في هذه الفواصل :

وبين من انكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الاثير، ان تكون معاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ .

« والضحى والليل اذا سجي . ما ودمك ربك وما قلى »

ورأينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتمائل او آخرها او تقاربها ، وهو رأي «القاضي الباقلاني» . واما بملحظ معنوي في مجيء اللفظ تابعا للمعنى أو العكس كراي «علي بن عيسى الرماني» .

قال « الفراء » ان القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « تلاك » - ومن : فأوى فهدي ، فأفنى - لمشاكلة رؤوس الآيات .

لكن اكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

(1) الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .

(2) بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالجيزة 1957 .

(3) الرازي : التفسير الكبير ، سورة الضحى .

ومثله « النيسابوري » في تفسيره لآيات الضحى (1) .

ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الحذف لمجرد النسق اللفظي ، لما عدل من رعاية الفاصلة في الآيات بعدها :

فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر .
وأما بنعمة ربك فحدث «

وليس في السورة كلها ثناء فاصلة .

بل ليس فيها ثناء على الإطلاق .

وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترمى بمثل لفظ « فخير » - وأما بنعمة ربك فخير - لتستقيم العنقة البلاغية .

ونرى أن حذف الكاف من « وما لى » مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة واللفظ ، هي تحاشي خطابه تعالى حبيبه المصطفى في موقف الإناس : « وما قلاك » لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض . أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الاحباب ، والفراق فيه على كره ، ومع رجاء العودة .

وحذفت كاف الخطاب في الآيات بعدها ، لان السياق بعد ذلك أغنى عنها ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنيا عن الكاف ، فذكرها من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان .

— ◆ —

وآيات الفجر :

« ... والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . ألم تر كيف فعل ربك بمداد . أرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . ونمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد ... »

قال « الفراء » في (معاني القرآن) أن ياء العلة حذفت من الفعل : يسر (ي) قصد المشاكلة بين رؤوس الآيات . وكذلك ذهب « ابن سنان الخفاجي » إلى أن حذفها وحذف ياء : بالواد (ي) لتماثل الفواصل

(1) على هامش تفسير الطبري . ط مصر .

ويكفي للرد عليهما وعلى كل من ذهب إلى مثل ما ذهبنا إليه ، أن نذكر أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذف الياء هنا في مقاطع الآيات ، ليقل أنه قصد إلى مجرد رعاية الفواصل وتماثلها .

وإنما حذفت ياء الممثل الآخر المرفوع ، وواوه أيضا ، وياء المنقوص المحل بال ، في أواسط الجمل ودرج الكلام ، كالذي في آيات :

ق 41 :

« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب »

التازعات 16 :

« إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »

طه 12 :

« فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة »

النمل 18 :

« حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون »

السرود 53 :

« وما أنت بهماذ الممى عن ضلاتهم »

هود 105 :

« يوم يأت لا تكلم نفس إلا بأذنه »

الإسراء 11 :

« ويسدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير »

البقرة 186 :

« وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي »

القمر 6 :

« فتول عنهم يوم يدع الدعاء إلى شيء نكر »

القمر 8 :

« يهتفون إلى الدعاء يقول الكافرون هذا يوم مسر »

- ولا مجال لقول في هذه الآيات وأمثالها بحذف ياء المنقوص المعرف بال ، أو آخر المضارع المرفوع الممثل بالواو والياء ، لرعاية الفواصل ومشاركة رؤوس الآيات . وهذا ما فات الذين تعجلوا بمثل هذا

القول في آيتي الفجر ونظائرهما ، محتكبين إلى قواعد اللغويين في احكام الحذف لحرف العلة او الايات ، في المضارع المعتل الآخر والاسم المنقوص . حين ينبغي ان نعرض قواعدهم على ما يهتدي اليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والايات في الكتاب المحكم والبيان المعجز .

وآيتنا الاعلى :

« سبح اسم ربك الاعلى . الذي خلق نسوى »

والليل :

« الا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى » ليست صيغة الاعلى ممدولا اليها فيها عن العلي لمجرد رعاية الفاصلة ، ولا اريد بها المفاضلة بين اعلى وعال ، على ما وهم بعضهم . وقد اشار « الفخر الرازي » الى ما تعاق به الملاحظة في : ربه الاعلى « من اقتضاء ان يكون هناك رب آخر » (1) على ما يقضي به منطوق التفضيل وقواعده .

وذلك من عقم الحس فيهم ، يغيب عنه السر البياني في اطلاق هذه الصيغة دون قصد الى مفاضنة او ترتيب ، وانما القصد الى المضي بالملو الى نهايته القصوى بغير حدود ولا قيود .

وهو نفس الملحوظ الدلالي لصيغ : الحسني ، واليسري ، والانتقى ، والاشقى ، في سورة الليل ، للدلالة على غاية الحسن والتقوى ، واقصى السوء والشقاء الذي لا يماثله شقاء .

ومثلها صيغة الاكرم في آية القام :

« اقرا وربك الاكرم . الذي علم بالقلم »

تناولها المفسرون على المفاضلة بين اكرم وكريم ، وساقوا وجوها لاكرميته تعالى . (2)

والاستقراء القرآني ، يشهد بان صيغتي الافعل والفعل ، تفيدان الاطلاق الى القصى المدى ، بغير قيد ولا حدود .

وهذه هي دلالة الآية الكبرى في (النازعات والنجم) وآياتنا الكبرى في (طه) والبطشة الكبرى في (الدخان) والطامة الكبرى في (النازعات) والشار الكبرى في (الاحقاف) والكلمة السفلى والكلمة العليا في (التوبة)

— * —

وفي التقديم والتأخير قالوا برعاية الفاصلة في في مثل آية الليل :

« ان علينا للهدى . وان لنا الآخرة والاولى »
علل البيان القرآني فيها عما هو مالوف ومتبادر ، من تقديم الاولى على الآخرة . وليس يتعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى وحده تقديم الآخرة هنا على الاولى . وانما اقتضاه المعنى في سياق البشري والوعيد ، اذ الآخرة خير وابقى ، وعذابها اكبر واشد ، واخرى وابقى .

وكذلك قدمت الآخرة على الاولى في سياق البشري للمصطفى بآية الضحى : « والآخرة خير لك من الاولى » .

كما قدمت الآخرة على الاولى في سياق الوعيد لفرعون اذ ادبر وتولى « فاخذ الله تكال الآخرة والاولى »

النفس مع القسم :

ومن الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان القرآني مجيء القسم بعد لا النافية في مثل قوله تعالى :

« لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة »

وقد اختلف اللغويون في تاويل حرف « لا » وتوجيه القسم بعده . وجاء به « ابن هشام » في باب : لا ، الزائدة في الكلام لمجرد تقويته وتاكيد .

ولخص مختلف اقوالهم فيها :

— قيل هي نافية . ثم اختلفوا في تاويل المنفى بها :

منهم من قال انها تنفي شيئا تقدم في سورة اخرى . انكر المشركون البعث فقيل لهم : لا ، ليس الامر كذلك . ثم استؤنف القسم : اقسم .

ووجه هذا التاويل مندهم ان القرآن كنه كالسورة الواحدة . ولهذا يذكر الشيء في سورة ، وجوابه في سورة اخرى ، ومما ذكروه من ذلك ، قوله تعالى :

« وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون »
جوابه في سورة اخرى :

« ما انت بنعمة ربك بمجنون »

ورده ابو حيان بانه لا يجوز ، لان في ذلك حذف اسم « لا » وخبرها . وليس جوابا لسائل سأل

(1 ر 2) الفخر الرازي . التفسير الكبير ، سورة الليل . وسورة القلم .

فيحتمل ذلك ، نحو قوله : لا ، لمن قال : هل من رجل في الدار (1)

واما انها تنفي الفعل « اقسام » وذلك على ان يكون اخبارا لا انشاء ، على تقدير ان المقسم به يستحق اعظاما فوق القسم «

وقيل هي زائدة . على خلاف كذلك في فائدتها : منهم من قال انها زيدت توطئة وتمهيدا لنفس الجواب محذوفا . وتقديره في آية القيامة « لا اقسام بيوم القيامة . ولا اقسام بالنفس اللوامة » لا يتركون سدى .

ورد هذا التاويل بان الجواب مثبت في مثل قوله تعالى :

« لا اقسام بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الانسان في كبد » وقوله تعالى :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه للقرآن كريم » .

— وذهب آخرون ممن قالوا بزيادتها الى انها زيدت لمجرد التاكيد وتقوية الكلام ، كما في قوله تعالى :

« لثلا يمام اهل الكتاب الا يتقدرون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

ورد بانها لا تزداد لذلك في صدر الكلام ، بل يجب ان تزداد حشوا . لان زيادة الشيء تفيد اطراحه ، وكونه في اول الكلام يفيد الاعتناء به (2)

وقول ثالث : انها ليست نافية ولا زائدة ، وانما هي لام الابتداء كقول الشاعر :

« اهوذ بالله من العقراب »

اشبعت الفتحة فتولدت منها الف ، وانما هي : لاقسم . وهي قراءة الحسن لآية « فلا اقسام برب المشارق » اشبعت فتحة اللام حتى تولدت منها الف ، كقراءة هشام لآية ابراهيم : « فاجمل اثنيده من الناس

تهوى اليهم » بياء بعد الهمزة ، تولدت من اشباع كسرتها (2) .

ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الفعل ، قدروا دخولها في الآية على جملة من مبتدأ وخبر : فلانما اقسام . ثم حذف المبتدأ .

ورد « الزمخشري » بان اللام في هذه القراءة لا تصح ان تكون لام القسم لامرين : احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة ، والاخلاق بها ضعيف قبيح ، والثاني ان سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع النجوم واقع ، ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف ان تكون للاستقبال ، وفعل القسم يجب ان يكون للحال (3) .



وبعد هذا كله نرد الى القرآن ما تنازعوا فيه ، فنستبعد باديء ذي بدء ان تكون (لا) في آيات القسم ، ردت على كلام سبق في سورة اخرى . وهذا التاويل يبدو غريبا فيما نظرنا له من قوله تعالى : « ما انت بنعمة ربك بمجنون » ردا على ما حكى من قولهم « انك لمجنون » ووجه الفرابية فيه ان الرد سابق في النزول على ما حكى القرآن من قولهم : « انك لمجنون »

اذ كيف تكون آية من سورة القلم ، وهي ثاني سورة نزلت من القرآن ، ردا على آية نزلت بعدها في سورة الحجر ، وترتيبها في النزول الرابعة والخمسون؟ وتاويل « لا اقسام » بانها « لا اقسام » اشبعت فتحة الالف فيها فتولدت منها الف ، يبدو من شطط التاويل تجاه اطراد مجيء « لا » في كل آيات القسم القرآني حيثما كان الفعل مسندا الى الله تعالى :

الواقعة 75 :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه للقرآن كريم »

الحاقة 38 :

« فلا اقسام بما تبصرون . وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم »

(1) البحر المحيط : 8 / 212 سورة الواقعة .

(2) ابن هشام مغني اللبيب 1 / 184 — وأبو حيان في البحر المحيط : ج 8 .

(3) الزمخشري : الكشاف 4 / 61 سورة الواقعة .

المعارج 40 :

« فلا أقسم برب المشارق والمغرب أنا لقادرون »

القيامة 1 :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة . أيعسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه . بل قادرين على أن نسوي بنانه »

التكوير 15 :

« فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسس والصبح إذا تنفس . انه لقول رسول كريم »

الانشقاق 61 :

« فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا انسق . لتركن طبقا عن طبق »

البلد 9 :

« لا أقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الإنسان في كبد »

ولم يأت فعل القسم في القرآن كله ، مسندا الى الله تعالى بغير « لا » .

كما لم تات « لا » مع القسم مسندا الى غيره تعالى .

وهذا الاطراد يبعد احتمال ان تكون « لا » هي لام الابتداء ، اشبهت فتححتها فتولدت منها الف .

كما يبعد احتمال ان تكون (لا) زائدة والمعنى : أقسم ، كما اختار أبو حيان . وقد قالوا هم أنفسهم ان زيادة الشيء تفيد اطراحه ، ولا يمكن اطراح « لا » وما من آية أسند فيها فعل القسم الى الله سبحانه وتعالى ، لم يجيء بعد « لا » .

فهل هي مزيد توطئة للنفي وتأكيد له ؟ قالوا ان ادخال لا النافية على فعل القسم جاء في كلام العرب واشعارهم كقول امرئ القيس :

فلا وابيك ابنة العاصري

لا يدمسى التوم انى اسر

وقال غوبة بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال

لتحزننى فلا بك ما ابالى

وقال آخر :

* فلا وابى امدائها لا اخونها *

وجملوا منه قوله تعالى :

« لئلا يعلم اهل الكتاب الا بقدرتون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

والآية ، كما لاحظ ابن هشام ، في سياق النفي . وكذلك كل الشواهد الشعرية التي ذكروها ، سياقها النفي . وليس الامر كذلك في آيات « لا أقسم » وكلها في سياق الاثبات والتقرير .

ونفهم ان تاتي « لا » في سياق النفي فتؤكد ، اما ان تاتي لتؤكد الاثبات بالنفي فذلك ما يبدو غريبا حقا !! والقسم هو اقوى اساليب التأكيد ، ولا يمكن تأكيد بنفيه ، لان النفي يقضي التأكيد ، فاذا نفيت القسم انتقض بنفيك اياه . والجمع بينهما اولى بأن يستطهما كليهما على القاعدة الاصولية في الدليلين تعارضا فتساقطا .

افلا يهدينا تدبر سياق آيات « لا أقسم » لله تعالى ، الى ان « لا » تنفي حاجته تعالى الى القسم ؟

بلى ، وانما نحتاج نحن البشر الى ان نقسم دفعا لمظنة الاتهام وازاحة للشك . ومن ثم نلمح سر العربية اذ تستعمل هذا الاسلوب حيث تنفي الحاجة الى القسم ، في مواضع الثقة واليقين .

ومن نفي الحاجة الى القسم ياتي التأكيد والتقرير ، لانه يجمل المقسم او المقسم عليه ، في غشى بالثقة واليقين عن الاتسام . والسر البياني لهذا الاسلوب يعتمد في قوة اللفت على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لافسى الانتباه . وما نزال في مالوف استعملنا نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها الى قسم ، فتقول لمن تثق فيه : لا تقسم او : من غير يمين . مقررنا انه موضع ثقتك فليست بحاجة الى ان يقسم لك . كما تقول لصاحبك : لا اوصيك بفلان ، تأكيدا للتوصية بنفي الحاجة اليها .

واذا اكنفى بهذا القدر مما هدى اليه البيان القرآني من اسرار لغتنا في الحرف لا يفني عنه سواء ، وفي الكلمة لا تقوم مقامها اخرى غيرها ، وفي النظم لا تعرف العربية ما يدانيه بلاغة وبيانه .

ارجو الا يظن بي أنني اجهد جهود سلطنا الصالح فيما اصلوا من علوم العربية والاسلام ، فالحق انسى

وبعد فما أزعج ، وما ينبضي لي ، انسي فيما
اجتليت واجتلي من اسرار العربية في البيان القرآني
قد شارفت افقه العالي .

ولكنها محاولة ابتغي بها ثواب المسمى وشرف
الوسيلة والقربى ، بطول العكوف على خدمة القرآن
الكريم ، وجهد التدبير لاسرار بيانه المعجز .

وينفذ القول ولا تنفذ كلمات ربي :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطية)

استاذة الدراسات القرآنية بجامعة القرويين

اشعر بالقصور والخجل تجاه ما تركوا لنا من عطاء
سخى باذل ، كان لنا على مر العصور وتتابع الاجيال
ذخيرة ومددا . وما ارانا تكون خلف صدق لهم اذا لم
نحمل امانة وجودنا ، فنضيف الى تراهم ما نتركه
للاجيال من بمدنا عطاء وميراثنا .

وقد يشق علينا ان نضيف الى ما اصلوه من علوم
العربية والاسلام جديدا ذا بال ، الا ان يفسرغ
المتخصصون منا في الدراسات العربية والاسلامية
لتدبر القرآن الكريم نجتلي من اسراره ودلالاته ما
يكون قد غاب عن سلفنا الصالح وهم عاكفون على
تاصيل قواعد علومهم ، بالكتاب الاكبر الذي يظل على
امتداد الزمان والمكان سر وجودنا وذخر حياتنا .



(تصويبات)

- ولمت اخطاء مطبعية في هذا البحث نستذكرها فيما يلي : (1) يتعدى (بدل ويتعدى) : ص 12 سطر 4 - صلح 1 -
(2) في مثل آية (بدل في آية) : ص 13 - 20 - ص 1 - 3) يؤنس (بدل يؤسد) : نفس الصفحة - ص 26 - 4) يهسه
(بدل يهسه) : ص 15 - 5 - ص 2 - 5) لاحتل (بدل لا يحتل) : ص 16 - 4 - ص 2 - 6) وحسر (بدل وحر) :
ص 18 - 30 - ص 1 - 7) وهلى (بدل وعا) : ص 19 - 25 - ص 2 - 8) ثلاث او رباع (يهدف ما بعدها وهو : بحيث لا
يختلف رجل عن رجل ..) : ص 21 - 28 - ص 1 - 9) لا يتجاولون (بدل لا يتجاول) : ص 21 - 30 - ص 1
(10) من لا يقرئ (بدل من يقرئ) : ص 21 - 31 - ص 1 - 11) التفسير بين (بدل التاليف جميعا على) : ص 21 - 1
(12) الواحد التاليف (بدل الواحد التاليف) : ص 22 - 10 - ص 1 - 13) 105 (بدل 109) : ص 19 - 2 و 5 (بدل 50) :
ص 22 - 2 و 100 (بدل 60) : ص 26 - 2 (ص 23 - 14) حس (بدل وحس) : ص 24 - 28 - ص 2 - 15) وهواله
(بدل وهو انه) : ص 25 - 6 - ص 2 - 16) صيلة (بدل صيلة) : ص 25 - 26 - ص 2 - 17) وان كان كلبا في
الواقع حذفت بعد « عليه » : ص 28 - 14 - ص 1 - 18) الزوجية (بدل الزوجية) : ص 28 - 14 - ص 2 - 19) الا ان
(بدل ان) : ص 29 - 15 - ص 1 - 20) مرهلا (بدل مرهلا) : ص 29 - 25 - ص 1 - 21) الا جاء (بدل لم يجرى) :
ص 36 - 27 - ص 1 - 22) مزجة (بدل مزج) : ص 36 - 28 - ص 1 - 23) فوبة (بدل فوية) : نفس الصفحة - ص 33
- ص 1 .

من خصائص أصل اللغة العربية

الأستاذ أحمد عبد الرصيم الساجي - جامع الأزهر

اللغة العربية خصائص ومميزات يمتاز بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المألوفة قطعاً، ما تسحر به الالباب وتأخذ بالانهام وتتألق بالمقول في عالم السمو والحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لدات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيب له الحالة النفسية التي تحفزها الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود في ثوب مغوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

(1) الدلالة المعنوية

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الالفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسية .

قال جورج زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاصل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو مأخوذ من عقل الناقة أي ربطها والفعل ادرك ، الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان ادرك القطار أي لحقته ؛ والفعل « بنى » وضع اصلا للدلالة على الوصول الحسي في المكان والزمان ، بل ان الاصل في معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهب رفوته ، ثم قيل : فصح بمعنى وضع و « الراي » اصله من « رأى » أي شهد بعينه

وفي العربية ابنية وصيغ وقوابل دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على « فعلان » (بالتحريك) دل على الحركة والاضطراب كالنزوان ، والغليبان والضربان والهيجان . وما كان على « فعلان » (بسكون

العين) دل على صفات تقع من احوال كالمعشجان والفرحان والشعبان والريان والفضبان ، وما كان على « افعل » دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر ، وكذلك العيوب تكون على افعل نحو ازرق واحول وامور واقرع واقطع وامرج واخيف وتكون الادواء على « فعال » كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالتصراخ والنباح والضباح والرفاه والشفاه والخوار ، وفصل آخر منها على « فعيل » كالضجيج والهرير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والصفير والنميق والنميب والخرير والصرير . وحكاية الاصوات على « فعلة » كالصريرة والقرقرة والفرقرة والقعقة والخشخشة واطعمة العرب على « فعيلة » كالسبخة والنفيسة والمريرة والنقيصة والعقيقة ، واكثر الادوية على « فعول » كاللوق والسعوط والوجود والحدود والدرور والنتول ، واكثر العادات في الاستكثار على « مفعال » نحو مطعم ومطعم ومضرب ومضرب ومضياف ومكثار ومهدار وامرأة معطار ومذكار ومثناث ومثام ،

وصيغ الافعال واوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على سروري وظلال تنصاف الى المعنى الاصلي ، دون زيادة في اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة قال الثعالبي في الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » وقوله ، يدبحون ابتداءكم » و (فعل) يكون بمعنى (افعل) نحو خبر واخبر وكرم وكرم ونزل وانزل ويكون مضافا له نحو افطر اذا جاوز الحد وفطر اذا قصر قال الشاعر:

لا خير في الافراط والتفريط

كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط الممل ، والتفريط المخل .

و (افعل) يكون بمعنى فعل نحو استقى وسقى وامحضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

(وفعال) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وخاربه وقاتله ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل ، قاتلهم الله اي قتلهم .

(وفعال) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراهي به ويكون بمعنى اظهر نحو : تفاعل وتجاهل وتماضى وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا وليس بفاعل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفاعل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة التي منعمنا

وكت زمانا في ضمان اساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددننا واعدننا رويدا

منى كنا لامك مقتوبنا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ويكون لاخذ الشيء نحو : تادب وتفقه وتعلم ويكون تفعل بمعنى : فعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير

وان لهذه القمم انقسامها

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعظم اي تعظم واستكبر اي تكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استعظم واستنقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اي قر ويكون بمعنى صار ، نحو استنوق الجملة واستنسر البغاث .

(وافتعل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اي شوى واقتنى اي قنى اي كسب ، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر واقتنن واما انفعل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرتة فانكسر وجبرته فانجبر وقلبتة فانقلب قال ابن جنى : « فاذا رايت العرب اصلحوا الفاظها - العربية - وحموا حواشيها وهدبوها وصقلوا غروبها واردهوها فلا ترين ان العناية اذ ذلك انما هي بالالفاظ : بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوماء وتحسينه وتركيبه وتقديسه وانما المعنى بذلك منه الاحتياط لنوعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يمر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه .

وذاك ان العرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشمر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلتزمها وتكلف استمرارها . فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرها في نفوسها فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومراميتها اصلحوها ورتبوها وبالقول في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد .

فكان العرب انما تعلى الفاظها وتديبها وتشبها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم لا شك اشرف من الخادم والاخبار في التلطف بغدوية الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتى عليها او يحشم للحال تعب بها .

واعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها محصلة هيت

العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (1).
 وشيء آخر يجعل اللغة العربية أكثر مرونة في
 الواقع من غيرها . وهو أنها أكثر اللغات قبولا
 للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة
 أن تؤدي معاني الحضارة والاشتقاق في العربية يقوم
 بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الاصلي وتلويحه إذ
 يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية
 ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه
 في اللغات الآرية مثلا إلا بالفاظ خاصة ذات معان
 مستقلة ، وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة
 بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس
 وما هو حركة في الجوارح . العربية تفرق مثلا بين
 الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادولفو الى
 هذه الظاهرة فلم يسعه إلا أن ينوه بها في كتابه عن
 الغزالي فقال « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي
 والكبر الخارجي . الداخلي هو استعداد في النفس
 والخارجي ناتج من افعال الجوارح واللفظ الفرنسي
 الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil أما التكبر
 فأولى أن يكون مرادفه الفرنسي Superbe .

ولاحظ كارا دونو ايضا ان هذه الفروق المصنوية
 الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية
 ليس من اليسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات
 الأخرى . وخاص من هذه الملاحظة الى التنويه بما
 تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل
 الفلسفي العميق ما دام أن أحداث تغيير طفيف في
 بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين
 الحالة النفسية وبين العادة البدنية التي تطابقها .
 ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريدة في الاشتقاق
 قد زودها بلخييرة من المعاني لا يسهل ادائها في
 اللغات الأخرى في نطاق التركيز الجواني الذي هو
 شيمة الاسلوب العربي الاصيل وقد لاحظ السبوطي
 هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف
 الاشتقاق بأنه « اخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها
 معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى
 الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة .

وجلي : ان هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها
 من بعض تجعل من اللغة جسما هيا تتوالد اجزأؤه
 ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة ، وتفني

عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنزلة التي كان
 لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين
 الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية
 ظاهرة وهي الحروف أو الاصوات الثلاثة . وثبات
 قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرة أو مختفيا
 مستترا . خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة
 تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح
 لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان طريقتها حيوية
 توليدية وليست آلية جامدة .

قال الدكتور عثمان امين : واذا أردنا مثلا على
 ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف
 فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية .
 فهو يرى في كلمة مثل « صهر » أي اذاب الجسم
 بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة
 من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول
 انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور ، وفي
 العربية منهاجا آخر مخالفا للغات الأخرى فان
 العربية تسدل بالحركات على المعاني المختلفة .
 من غير أن تكون تلك الحركات اثرا لقطع أو بقية من
 أداة فيكون ذلك في وسط الكلمة وأولها وآخرها
 فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول
 في مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول
 نحو : كتب وكتب وبين الفعل والمصدر في مثل علم
 وعلم وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح وبين
 المفرد والجمع في مثل اسد واسد وبين الفعل والفعل
 في مثل قدم وقدم وبين الاسم والاسم في مثل :
 سحور وسحور .

2 - العربية وفلسفة الاعراب

اللفة العربية : من اللغات العربية المنبت
 الواسعة الافق اتسعت فاحاطت بإبعاد انغلاقات
 الفكر وارتفعت حتى وصلت أرقى اختلاجات
 النفس .

ولقد زادت مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة
 على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الذي
 تعيشه الإنسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصاله الجاهدة المولدة
 المعمادة . والبيزات المطاوعة المتطورة .

(1) الخصائص لابن جني الجزء الاول من 225 - 228 . طبعة الهلال - مصر

ولما كانت معاني السمين مختلفة كان الأعراب الدال عليها مختلفا أيضا . وكأنه من قولهم : «عربت معدته» أي لسدت . كأنها استحالت من حال إلى حال ، كاستحالة الأعراب من صورة إلى صورة .

الأعراب إذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى بعض الباحثين والدراسين من علماء مقارنة اللغات أن الأعراب أرقى ما وصلت إليه اللغات في الوضوح والإبانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة إلا الألمانية .

أما اللغات الأرية الحديثة - وتشمل معظم لغات أوروبا الحديثة - فقد خلت من حالات الأعراب ولا مبرر فيها بين الرفع والنصب والجر ، وإنما يقوم مقامها الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها مما لا يخرج عن الوضع الخارجي في المكان ، هذا في حين أن اللغة العربية قد استلذت من أول الأمر - ما دام الأعراب مرهبا - وأن يكون الفكر الواسع محددًا للوضع الخارجي وأن يكون النظر إلى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير وتأكيد الإسناد ، وغير ذلك إلا تسرى أنك إذا سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالأعراب يعرف الخبر من الإنشاء والمفعول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والمتعجب من الاستفهام والنعت من الحال إلى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز المراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الأعراب فالأعراب في مثل (ما أحسن زيد) بفتح نون أحسن وضم ذال زيد كانت « ما » نافية و«تريد» أن زيدا لم يحصل منه أحسان .

وإذا قلت (ما أحسن زيدا) بفتح النون والدال كانت « ما » تمجيبية و«تريد» أن شيئا عجيبا جعل زيدا حسنا .

وإذا قلت (ما أحسن زيد) بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية و«تريد» معرفة أي شيء حسن في زيد علمه أم أدبه أم أخلاقه .. الخ ..

وانك لتحس هذا في كلماتها التي تمثل خطرات النفوس ونبضات القلوب وكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة نفسها .

ولهذا صارت - بفعل عوامل مختلفة - لغة هية بأوزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها مائة وإبانة وانصاحا من المعاني : الأعراب .

والعربية لغة تتوخى الإيضاح والإصالة والأعراب إحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غابة الإيضاح والانصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الأعراب يعتمد أهل اللغة على القرائن وعلى إضافة كلمات إلى الجملة لفهم المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما لا يطرد - كما يقول صاحب الطراز - فأوجب العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والأول وقع اللبس والابهام .

والأعراب : مصدر أعربت من الشيء إذا أوضحت عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه أي مبين له وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا إذا برفته . وذلك بأن تنسف أسفل حافره .

ومعناه : أنه قد بان بذلك ما كان خفيا من أمره لظهوره إلى مرأة العين بعد ما كان مستورا وبذلك تعرف حاله أصلب هو أم رخو وأصبح هو أم سقيم وغير ذلك .

وأصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما يعزى إليه من الفصاحة والأعراب والبيان ومنه قولهم في الحديث « الشيب تعرب عن نفسها »

والمعرب صاحب الخيل المعرب وعليه قول الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطوى
صهيلا تبين للمعرب

أي إذا سمع صاحب الخيل المعرب صوته علم أنه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجملة وذلك أن يوم الجمعة أظهر أمرا من بقية الأسبوع لما فيه من التأهب لها والتوجه إليها وقوة الأشعار بها قال الشاعر العربي القديم :

يوالم رهطاً للعروبة صيما

فمن قال : زيد جاءني أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التمييز من أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهمة أو معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم وإن زيدا قائم وإن زيدا لقائم متفائرة كلها في الأدلة وإن استوت من طريق الإصراب فإن الأول العاري عن التأكيد إنما يفيد الخالي الدهن والثاني المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .

وكثير من كواكب الاستشراف وعلما اللغات ، نوهوا بخصوصية الأعراب في العربية قال العلامة « بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التمييز عن علامات الأعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية .

وقال البهانة : « لوي مسينيون » في حين أن اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الضاد أن تشيد بناء ضخما من الأعراب يضع أمام الإبصار مشهدا فلسفيا ذا روعة وأصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني الدقيقة والمعاني الثانوية التي تصل إلى نهاية الإبداع وكمال الصنع ، ما يملك على السامع مشاعره ويستخدم حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والأعراب في ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء في مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا إبهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل وضوح وإبانة وهدى وانصاح .

3 (العربية والحركة

اللغة العربية من أعرق اللغات منبتا وأكثرها رسوخا والقواما جلادة وأشدها بنيانا وفي ظل الحضارة الإسلامية صارت أبعد اللغات مدى وأوسعها أفقا وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية .

واستطاعت العربية في رحاب عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر وترتفع حتى تصعد أرقى اختلاجات النفس .

وقد يفرقون بين المعاني بالحركات وغيرها فبالحركة يقولون : « مفتوح » لئلا يكسر الميم وفتح التاء و« مفتوح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز بناء التانيث وعدمها فيقولون امرأة طاهر بدون التاء إذا أرادوا طاهرة من الحيض لأن الرجل لا يشاركها فيه وإذا أرادوا طهارتها من العيوب الخلقية قالوا امرأة طاهرة لأن الرجل يشاركها فيها فيحتاجون إلى التمييز بينهما ومثله امرأة قاعد إذا انقلبا الحبل وقاعدة من العمود أي جالسة لأن الرجل يشاركها فيه فيقال : رجل قاعد . ويروى أن رجلا دخل على أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - فقال له من فيسر أعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له أمير المؤمنين « بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت أبي الأسود الدؤلي وقفت مرة تشاهد السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لابيها « ما أحسن السماء » فقال ابوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا أسأل وإنما أنا تعجب » فقال لها اذن قولي « ما أحسن السماء » وأفتحي فاك . وسمع أبو الأسود قارئا يقرأ قوله تعالى « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله فأكبر أبو الأسود ذلك وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله .

وكان هذا سببا في وضع علامات الأعراب للمصحف بأمر زياد .

ويروي ابن قتيبة أن رجلا من الخوارج مدح رئيسهم شيبيا بن يزيد الخارجي بقصيدة في بيت منها :

ومنا سويد والبطين وقعناب

ومنا أمير المؤمنين شيبب

فاخذه عبد الملك بن مروان وسأله وهو يحاكمه عن هذا البيت فقال لم أقل هذا بل قلت : ومنا أمير المؤمنين شيبب بفتح الراء في أمير أي يا أمير المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى الأعراب عند العرب فقال : إن كلامهم أي العرب - واسع وكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الأعراب والإبانة إلا ترى أن قولهم : زيد جاءني مغاير لقولهم : جاءني زيد . من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم .

ولقد زادتها مرونتها وقهرتها على التفوق تبلورا
وتفاعلا ونماد وامعتها طاقة خلاقة وحياء مدهشة .

وكان لحركتها التي امتازت بها : الاصلية
الجاهدة المولدة المطاوعة والميزات المطاوعة المتطورة ولم
تعد حروفا وقوالب فارغة يملأها الفكر فتحمله ،
بل انها بعض الانسان المسلم بعض كينونته ، هو
ينبوعها وهي مجراه وقلنا انها بعض الانسان المسلم
لانها لغة القرمان الكريم وانك لتجد الاحساس الحقيقي
متمكلا في مفرداتها وينجلي هذا في التركيب ، نكل
كلمة لها في الجملة مكان يحس بها التكلم وان شئت
بمباراة اخرى فقل : تحس بها الكلمة نفسها .

وتكاد تمثل كلماتها خطرات النفوس وتصور
الفاظها مشاهد الطبيعة تكاد تتجلى معانيها في اجراس
الانفاذ وتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها
نبضات القلوب ورحيق الحياة ومشامل القوة .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من
الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات
تعجز اللغة العربية ، عن تصويرها بالاحرف والكلمات
تصويرا صحيحا هي المقاطع يارز القسامات .

والحياة في العربية حياة خلاقة مبدعة ذات
مبقرة خاصة وكلماتها تنم بهذه الحياة في الحين
الذي نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة
لا يعرف فيها معنى الحياة الا بعد ان تجتمع منها الى
بعضها وتؤلف بمباراة .

واذا كانت بقية اللغات أدوات للتعبير متى
بلغتها فقد بلغت الغاية التصوي وانتهت مهمتها فان
اللغة العربية لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد ان
يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد هدفها الى اكثر
من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال واللون
والذكاء نكرة تندلع بصورة تلقائية وتتوالد من نفسها
لأنها في تفاعلها وتطورها كأنها كائن حي يذهب ويجه
ونموذج فيه العواطف والاحاسيس ، وكلماتها الحية
ذات الاصول الثابتة تنفرع منها المعاني المتقاربة فمثلا:
النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجدر في مختلف
معاني البروز انظر الى فروع هذا الجدر فنجد ان
معنى :

نبت : برز من الارض ، ونبسط : اخرج
ماء البشر

ونبغ : خرج من العين ، ونبغ :
خرج وظهر

الى اآخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في
الاصل والعربية في مبقريتها لم تكتف بهذا المنطق
الذي هو في حد ذاته قاعدة بل عمدت الى اكثر من
ذلك وها هي ظاهرة من ظواهر حياتها حتى في
الكلمات فهي تتساهل اشمل ما يكون التساهل حيال
من يتكلمها كما يفعل الرجل الشهم ازاء صاحبه
تماما ، خذ مثلا كلمة « فضرور » ان اجتماع العين
والضاد ينقل احيانا على اللفظ وتناسق الحروف في
الكلمة يجعلها سريعة الانفصال من اخواتها في
المباراة وفي السرعة ، فماذا تفعل العربية لتتلاشى
هذا الامر انها تتساهل معك وتقول لك اذا لم تستطع
ان تلفظ كلمة « فضرور » فألفظ « فضرور » فانها
هي نفسها ، فهي لا تمتد الى الدرجة التي تشمر
بالبيض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى .

وكان اللغة العربية بهذه الحركية والحيوية تريد
ان تدفع بابناء الاسلام الى المجد دفعا وتصل بهم في
ظل القرمان الكريم الى ذروة ما قدر لهم من نجاح وهز
وسؤدد ، وتفرس فيهم حب العمل والحركة
والايمتداد على ان لا امل لهم الا في انفسهم وتبعت
في قلوبهم النشاط وتقشع السكون والاستكانة فلا
ينبغي ان تكون لغة القرمان متحركة حية واهلها
جامدون ساكنون .

ولقد امرت من الحياة في اللغة العربية المالم
النحوي ابو الفتوح عثمان بن جني فوضع القول من
الكلام والقول وانما يدلان على الحركة والسرعة
والقوة .

وذكر ان معنى « ق و ل » ابن وجدت وكيف
وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره منه
انما هو للخفوف والحركة وجهات تراكيبها الست
مستملة كلها لم يهمل شيء منها وهي :

ق و ل ، ق ل و ، و ق ل ، و ل ق ،
ل ق و ، ل و ق .

الاصل الاول : « ق و ل » وهو القول وذلك
ان الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمدلان به وهو
بضد السكوت الذي هو داهية الى السكون الا ترى
ان الابتداء لما كان داخل في القول لم يكن الحرف
المبدوء به الا متحركا ولما كان الانتهاء داخل في
السكوت لم يكن الحرف الوقوف عليه الا ساكنا .

الاصل الثاني : « ق ل و » منه القلو حصار
الوحش وذلك لخفته واسرعه قال العجاج :

تواضح التقريب قلووا مفلجا

ومنه قولهم : قلو ت البسر والسويق فهما
مقلوان وذلك ان الشيء اذا قلى جف وخف وكان
اسرع الى الحركة والطف قال :

قد مجبت مني ومن بعيليا

لما راتني خلقها مقلوليا

اي خفيها للكبر طائشا

قال :

وسرب كمين الرمل عوج الى الصبا

بواعف بالحدادي حور المدامع

سمن غشاء بعد ما نمن نومة

من الليل فاقولين فوق المضاجع

اي خففن لذكره نزال عنهن نومهن واستلقاوهن
على الارض .

الاصل الثالث : « و ق ل » منه الوقل للوعل ،
وذلك لحركته وقالوا : توقل في الجبل اذا صعد فيه
وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .

قال ابن مقبل:

مودا احم القرا ازمولة وقللا

ياي تراث ابيه يتبع القللا

الرابع : « و ل ق » قالوا ولق يلق اذا اسرع
قال :

جاءت به عنس من الشام تلق

اي تخف وتسرع وقريه «اذ تلقونه بالسنتكم»
اي تخفون وتسرمون .

الخامس : « ل و ق » جاء في الحديث لا تكل
من الطعام الا مالوق لي .

اي ما خدم وامملت اليد في تحريكه وتلييقه
حتى يطمئن وتضام جهاته ومنه اللوق للزبدة وذلك
لخفتها واسراع حركتها .

(2) حتنسى : اي مستوية

السادس : « ل ق و » منه اللقوة للعقاب ،
قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها قال :

كاني بفتخاء الجناحين لقسوة

دغوف من المقبان طاطات شملا

ومنه اللقوة في الوجه والتقاؤهما : ان الوجه
اضطرب شكله فكانه خفة فيه وطيش منه وليس له
مسكة الصميم ووفور المستقيم ومنه قوله :

وكانت لقوة لاقت قيسا

واللقوة الناقة السريعة اللقاح وذلك انها
اسرعت الى ماء الفحل فقبلته ولم تنسب منه نبر
العاسر .

واما « ك ل م » فهذه ايضا حالها وذلك انها
حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة
والستعمل منها اصول خمسة وهي : ك ل م ،
ك م ل ، ل ك م ، م ك ل ، م ل ك واهملت
منه ل م ك فلم تات في ثبت .

فمن ذلك الاصل الاول « ك ل م » منه الكلم
للجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قوله تعالى:
«دابة من الارض تكلمهم» قولين احدهما من الكلام
والاخر من الكلام (بضم الكاف) اي تجرحهم وتاكلهم
وقالوا : الكلام (بضم الكاف) ما غلظ من الارض وذلك
لشدته وقوته ، وقالوا رجل كلم اي مجروح وجريم
قال :

عليها الشبخ كالاسد الكلم

الثاني : « ك م ل » من ذلك كمل الشيء وكمل
فهو كامل وكميل وعليه بقية التصرف والتقاؤهما :
ان الشيء اذا تم وكمل كان حينئذ اقوى واشد منه
اذا كان ناقصا غير كامل .

الثالث : « ل ك م » : منه اللكم اذا وجات
الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله
انشد الاصمعي :

كان صوت جرهما تساجل

هايك هانا حتنسى (2) تكابل

لدم المعجى تلكمها الجنادل

السابقين الامرة والقضاء وقد جاء في القروان :
« وادبناه الحكم صبيا » أي ادبناه الحكمة

ومن الحكم بمعنى الحكمة اشتقوا « الحكيم »
مثل اشتقاق الطبيب من الطب واللطيف من اللطف ،
والنبيل من النبل وبسبب ازدحام المعاني على كلمة
« الحكم » اختصت لفظة الحكيم بمعنى الحكمة وبقيت
« الحاكم » تعني الامر او القاضي ولا تعني الحكيم
خلافا للامر والامير والفاضل والفضيل والجاهل
والجهول التي تشترك كل واحدة منها في معنى
صنوها .

وقد كثر استعمال صيغة « الحكمة » لعنى
الحصافة والفتنة لانها ابين من الفرض من لفظة
« الحكم » المزدوجة المعنى ، التي كانت ما تزال
تستعمل في كلا المعنيين عند ظهور الاسلام وهكذا
زال معنى الحصافة من الحكم والحصيف من الحاكم
بدافع من الرغبة في اجتناب اللبس فتخصص
معناها في التسايط والقضاء كما زال معنى الامرة من
« الحكمة » و« الحكيم » فاختص معناها بالحصافة ولما
كانت المحاكمة تتطلب مناقشة القضايا وتمحيصها ،
فقد صارت هذه الكلمة تعني بالاضافة الى ما تقدم
نفاذ الفكر وسداد المنطق فقالوا : « فلان قوي
المحاكمة » أي ثاقب البصيرة في تمحيص المسائل
العقلية دون ان يكون للامر علاقة بالقضاء بين
المتحاكمين من الناس .

وفي العهد الاسلامي اطلقت « الحكمة » على
الفلسفة وما هو بسبيلها من العقلانيات ثم اطلقت
« الحكمة » على الطب وسمي الطبيب حكيما وظاهر
ان سبب ذلك هو ان الكثيرين من « الحكماء » - أي
الفلاسفة زاولوا الطب على ذلك العهد مثل الكندي
والخيام وغيرهما .

ولا بأس ان نورد هنا مثلا كان شائعا في العراق .
يوم كان الطبيب يسمى حكيما هو قولهم : « لا سلط
الله عليك حاكما ولا حكيما » ولا زال يستعمل في
صعيد مصر .

وهكذا تعددت مناحي تطور هذه الكلمة فصار
لها نشاطها الخلاق في ميادين السياسة والادارة
والقضاء والفلسفة والطب بالاضافة الى معناها
الثقافي العام .

هذه هي الحياة في اللفة العربية حياة جمتها
اكثر مرونة من غيرها من اللغات فانت ترى انها اكثر

الحكمة : كلمة ثقافية جلية وهي كلمة فصامية
نشأت وارتفعت من اصل متواضع اصلها من اربطة
الدواب ، ان الحكمة جاءت من « الحكمة - وزان
السمكة - وهي جزء من لجام الفرس : الجزء المحيط
بالحنك من اللجام قالوا - المرء الاقدمون « حكمت
الفرس واحكمته » - من باب ضربته وادبته بمعنى
وضعت الحكمة في فمه ، ووضعك الحكمة في فم
الفرس يعني سيطرتك عليه ، ومن هنا صار « الاحكام »
وزان الاحسان بمعنى التوثيق والالتقان ، وصار
« الحكم » وزان اللطف يعني السيطرة ، و« الحاكم »
يعني المسيطر والامر والسلطان ، ثم اشتق من هذه
المادة « التحكم » وهو تكلف الحكم او التمسك فيه
وبعد ان ثبت هذا المعنى للحاكم اشتقوا منه
« المحاكمة » فقالوا : « حاكمت الرجل » بمعنى
خاصمته الى الحاكم ، و« حاكم الرجلان » اليه
بمعنى تخصصا اليه « فحكم بينهما » أي اصدر حكمه
فيهما ، ومن هنا صار « الحكم » يعني القضاء اي
الفصل بين « المتحاكمين » ايضا ومن هنا اشتقت
« الحكمة » وهي دار « الحكم » او دار « المحاكمة » او
دار « التحاكم او الاحتكام » ، وصار الحاكم يعني
القاضي وهكذا أصبح للحاكم معنيان : أحدهما :
الامر المسيطر ، والثاني القاضي والقاضي غير
القاضي الشرعي ، يسمى في العراق « الحاكم »
والجمع « الحكام » وبعد ان اخذت الكلمة معنى
القضاء اصبح من السهل اشتقاق « الحكم » - وزان
القلم والتحكيم منها ، كذلك اصبح للتحكيم نفس
المعنيين أي التسليط وطلب الرأي فقالوا مثلا : حكم
الرجل عاطفته او عقله في المسألة بمعنى سلط
عاطفته عليها او عرضها على عقله للوصول الى رأي
فيها ، وقالوا : حكمناه في الخلاف بمعنى طلبنا
حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب
الجاهلية (الحكومة) بمعنى طلبنا حكمه فيه او
جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة)
بمعنى : « حكم الحكم » فقال شاعرهم :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولكننا لا نستعمل « الحكومة » الآن الا بمعناها
السياسي المعروف .

ولما كان الناس انما « يحكمون » الى ذي عقل
وفطنة فقد اصطبغ « الحكم » وزان السكر - بهائين
الخصلتين ، اي العقل والفطنة بالاضافة الى معنييه

فالعربية بحيويتها المدهشة لم تمجز ولم تضق
بكل ما ادركه الانسان من علم وثقفه من صناعة ،
والعربية لغة القرءان الكريم ، القرءان الذى حفظها
رغم ما مر بها من مصور الركود والجمود وما فشت
فى ظل القرءان تفيض بالقوة والانطلاق .

(للحديث بقية)

اللغات قبولا للاشتقاق ، وجلي ان طريقة العربية
فى توليد الالفاظ بعضها من بعض جعلت من اللغة
جسما حيا تتوالد اجزائه ، ويتصل بعضها ببعض
باوامر قوية واضحة وهذا الارتباط بين الفاظ
العربية الذى يقوم على ثبات عناصر اصيلة خصبة
عظيمة تسمح لنا بالقول بان ارتباطها حيوي وان
طريقتها توليدية .

المراجع

- (1) الخصائص لابن جنى طبعة الفجالة بمصر سنة 1913 م .
- (2) الكامل للمبرد . القاهرة سنة 1956 .
- (3) الطراز لليمنى الجزء الاول .
- (4) ميون الاخبار لابن قتيبة - القاهرة .
- (5) ادبيات اللغة العربية طبعة 1909 .
- (6) الفلسفة اللغوية . جورجى زيدان .
- (7) مقدمة ابن خلدون طبع كتاب التحرير سنة 1966 القاهرة .
- (8) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان امين .
- (9) تاريخ آداب اللغة العربية جورجى زيدان الجزء الاول .
- (10) احياء النحو ابراهيم مصطفى 1926 م القاهرة .
- (11) الزهر للسيوطى طبعة دار احياء الكتب العربية
- (12) فقه اللغة للشمالبي المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
- (13) فقه اللغة لمحمد المبارك . دمشق 1960 م
- (14) مجلة الاقلام المجلد الاول . العراق .
- (15) مجلة اللسان العربي . الرباط المغرب . « جميع الاعداد الاربعة الاولى » .

هَلْ كَانَتْ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ؟

الأستاذ علي الخطيب ، مجمع بحوث الإسلاميه ، القاهرة

صفحات عدة من هذا السفر العظيم (1)، نوجز تلخيصه وتحديد موضوعاته فيما يأتي :

1 - تحدث عن الشخصيات الطاهرة التي نزلت مكة وقت كان ليس بها أحد ولا ماء ، وهم : الخليل ابراهيم ، وهاجر وابنهما الرضيع اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

2 - نبي زمزم لهاجر وولدها .

3 - قدوم بطن عربي جرهمي واستئذانه هاجر في السماح له بالاقامة في مكة راضين بشرطها « الا حق لهم في الماء » ، وأستقدموا اهلا لهم ، وقد شب اسماعيل عليه السلام بينهم ، وتزوج منهم مرتين .

4 - زيارات ثلاث لل خليل الى مكة لوديعته - مدا الاولى التي قدم فيها باهله اليها ، وكان آخرها تلك الزورة التي بنى فيها البيت مع ولده - عليهما الصلاة والسلام - وأمر فاذن في الناس بالحج .

وهذا الحديث الشريف يعطي حقائق موضوعية هامة توضح بعض ما غاب عن التاريخ في منهجه الحديث :

اولها : بيانه الواضح من مبدأ تاريخ العمران في مكة ، والذين يعنون بتسجيل العصر التاريخي للامم القديمة ليس امامهم وثيقة أدق من هذا الحديث لبيان بدء العمران بمكة وارتباع الناس فيها وسكناتهم بها ، فاذا كان الخليل - صلوات الله عليه - قد عاش

لغة خليل الرحمن ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - شغلت الباحثين من علماء الاديان في العصر الحديث ، وبخاصة بعض الذين يهمهم أن ينحرفوا ببحوثهم في اتجاه معين مسبوق بتخطيط ينسوخ بسببه العرب من صلتهم بال خليل ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

واذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - قد وضع كتابه : « ابو الانبياء : الخليل ابراهيم » و « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » وتصدى فيهما لهذه القضية واستطاع أن يرد الى نحر المنحرفين سهامهم . وتبع - رحمة الله عليه - منهج «تقصي الحقائق» في بحثه الذي اشتمل عدة مناهج تلاقت نتائجها في النهاية عند حقائق مشيرة تثبت صلة ابراهيم الخليل الوثيقة بالعبودية في وقت مبكر يقع بين القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد .

ونحن نقصر هنا - مستعينين بالله - على منهج « الحديث النبوي الصحيح » في الكشف عن لغة خليل الرحمن ، فان السنة المطهرة قد استقام بها كثير من حقائق التاريخ والكون حين تعرض لها رسولنا الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد ساق الامام البخاري رضي الله عنه في صحيحه حديثا ، رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ابان عن امر الخليل بمكة وافاض فيه حتى ليكاد يكون الحديث الوحيد الذي استوجب

(1) صحيح البخاري 172/4 مطابع الشعب بالقاهرة 1378 هـ

بين القرنين السالطين من قبل الميلاد ، كان ذلك يعني ان هذه الفترة مبدا دخول مكة عصرها التاريخي .

ثانيها : يوضح هذا الحديث الشريف في جلاء نادر « حلقة مفقودة » لدى المؤرخين الذين توصلوا الى ممالك الاسماعيليين في شمال الجزيرة مثل : تيماء ، ودومة الجندل وغيرهما ، دون ان يصلوا - عن طريق منهجهم - الى «مهاد» هذه الرؤوس الشريفة من ابناء اسماعيل ، اعني الصدر الاول من ابناءه لا احفاده ومن بعدهم ، فقد ظلت هذه المهاد حلقة مفقودة الا في هذا الحديث ، فهو وحده الذي يقدمها عبر ضوء شديد ينير من حولها كل السبل ويقطع بان الاسماعيليين صعدوا من الجنوب (مكة) فامتلكوا في الشمال (اعالي الجزيرة) وليس العكس.

ثالثها : لغة خليل الرحمن - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، وهنا يعني ان نتحدث عنها وحدها دون ان نتعرض للغة اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وذلك الامر واحد ، هو ان اسماعيل نشأ رضيعا في قبيلة جرهم وتلقى العربية عنهم ، وفي هذا الحديث الشريف جاء عنه .. « وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم » لذلك نريد ان نتحدث عن لغة خليل الرحمن وحده ، وهو الذي لم يقطن مكة ولم يجاور جرهم الا سويعات في الزيارة الثانية والثالثة ، ومدة بناء البيت في الرابعة . اما الاولى فلم يكن بمكة يومئذ احد وربما لم يمكث فيها ساعة من نهار ، وها هو الجزء من الحديث الخاص بها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن «هاجر» - عليها السلام : ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في اهل المسجد ، وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ! اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله الذي امرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت . »

ولا يمكن ان يقال : ان ابراهيم مكث شيئا ذا بال بمكة ، انه ما ان وضعها حتى انطلق راجعا ، وبالتالي ما كان فيها من احد لغير اهله .

ولما كانت الزيارتان الثانية والثالثة كلاهما ذا اهمية في الموضوع نسوقهما لتعرف منهما : ما لغة

خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ؟ وكلتاها كانتا بعد زواج اسماعيل صلى الله عليه وسلم . واسماعيل تزوج مرتين من قبيلة جرهم العربية ، قال :

« فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امراته عنه ، فقالت : خرج يبغني لنا ، ثم سالها عن عيشهم وهيشهم فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابي ، فلما جاء اسماعيل كانه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك ، فاخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فاخبرته : انا في جهد وشدة ، قال : فهل اوصالك بشيء ؟ قالت : نعم ، امرني ان اقرا عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذلك ابي ، وقد امرني ان افارقك .. الحقي باهلك ، فطلقها »

هذه كانت الزيارة الثانية ، ويمكن ان يضع لها القاريء تقدير الوقت الذي استغرقته ، وهذه هي الثالثة .. قال :

وتزوج منهم (يعني من جرهم التي تزوج منها اولاً) اخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم اتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امراته فسالها عنه ، فقالت : خرج يبغني لنا ، قال : كيف انتم ؟ وسالها عن عيشهم وهيشهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، واثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرايبكم ؟ قالت الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دها لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يشب عتبة بابي . فلما جاء اسماعيل قال : هل اتاكم من احد ؟ قالت : نعم ، انا شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه ، فسألني عنك فاخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فاخبرته انا بخير ، قال : فاوصالك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك ان تشب عتبة بابك ، قال : ذلك ابي واثنت العتبة ، امرني ان امسكك . »

وتعيد لفت نظر القاريء الى النظر في قدر هذه الزيارة الزمني . ثم نلاحظ ان الخليل نسي كلتي

الزياريتين اعقبهما بالرحيل فلم يمكث بمكة مقدار شهر او اكثر حتى نقول : انه اخذ اللسان العربي ابان اقامته .

واذا كان من الحقائق الهامة التي يقدمها هذا الحديث الشريف ان زوجتي اسماعيل : الاولى والثانية من جرهم - اذ نص على ذلك حيث يقول عن الاولى : « فلما ادرك زوجوه امرأة منهم » وعن الثانية « وتزوج منهم اخرى » . - فهذا يعني ان كلا الكنتين هريبتان خالصتان ، ومن العسف ان يدعي مدع انها تعلمتا لغة اخرى غير العربية .

كذلك ثبت لنا ان خليل الرحمن - علي نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - لم يمكث بمكة قدرا يلمه العربية ، وكان يخاطب كنتيه، وقد انفرد بكل منهما - دون ثالث يمكن ادعاء انه ترجم بين لسانيهما .

وهذا امر يعني - دون تردد - ان الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - كان ذا لسان عربي مبين فما كانت «المخاطبة» بينهما - في كل مرة - كلمة عابرة تؤديها اشارة ، ولكنها حوار دار بين اخذ ورد انتهى بحكمه على كل منهما ، فواحدة كانت شؤم بيت زوجها والاخرى كانت حسنه وخيره

واذا كان الخليل - عليه السلام - ذا لسان عربي ولم يكن من اهل مكة ، ولا كان من اهل الجنوب (اليمن وما حولها) وكان من الشمال ، فهذا يعني ان العربية كانت مسيطرة - كلفة حياة ومعاش - في هذا الشمال الذي كان فيه الخليل وهنا نلتقي بالاستاذ المقاد - رحمة الله عليه - الذي يعطي بحثه نفوذ العربية القديمة في شمال الجزيرة حتى تخطت العراق وما كان الى غربه وشماله .

وحتى يتم لقاء «علمي» بين الحديث الشريف و « التاريخ » في منهجه الحديث ينبغي النظر في الهجرات العديدة التي تمت في العصر التاريخي لجنوب الجزيرة ، اعني منذ اربعة الاف سنة من قبل الميلاد ، فقد توالى هجرات منه الى الشمال في خطين . وامتلكت بعض هذه القبائل الشمال ودان لها ، وفي منتصف هذه الالاف الاربعة ظهر الخليل عليه السلام كعربي اصيل ، لانه منها ، ولانه يستحيل ايضا ان يدعو الى دين الله في قلب الجزيرة : ويؤذن للناس بالحج - وفي مقدمتهم جرهم القاطنة حول البيت - بلسان فير عربي، قال تعالى: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (ابراهيم 4) والحج شريعة الخليل عليه السلام .

ولسنا نقول : انه عليه السلام تحدث بالعربية التي هي هريبتنا - اعني لغة القرءان الكريم التي بها انزل - لكنها عربية زمانه بفصاحتها ، وما من شك انها كانت وثيقة الصلة : اصولا وفروعا بعربية القرءان الكريم .

ولقد اوحى الى رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ببعض دعائه في تعويذة كان يعوذ بها ولديه : اسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام ، فعوذ بها المصطفى - صلى الله عليه وسلم ولديه : الحسن والحسين ، فقال : اهيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »

قد لا تكون هين الالفاظ ، لكنها العربية ، وليس الفرق بينهما الا ان الاولى عربية الخليل عليه الصلاة والسلام ، والاخيرة عربية المصطفى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الحياة في اللغة العربية

الأستاذ إلياس فنصل الأرمينية

- 1 -

شكلية خلاصتها اضافة زوائد على الكلمة او تغيير آخرها .

وهذا التحوير يكبر الكلمة في « العين » فقط .
وما هكذا اللغة العربية .

ان اللغة العربية حين تود ان تضع الكلمة في قالب المبالغة تعمد الى « الحياة البشرية » منتقبس منها ما يبيح في الكلمة روح هذه الحياة .

واترك الموضوع قليلا على ان اعود اليه بحد سطور .

ان الرجل الذي ينعم بميزات الرجل لا يستطيع ان ينال من تحديقك اليه ما ينال الرجل الذي شامت الطبيعة ان تضع فيه بعض ميزات المرأة .

انك تمر بالرجل « العادي » فلا تحفل به .

ولكنك اذا مررت برجل قد برز نهداه — مثلا — فلا يسلمك الا التفكير به قليلا او كثيرا لان بروز النهدين من خصائص المرأة لا من خصائص الرجل .

وما نقوله عن الرجل نقوله عن المرأة .

ولا نعبأ بشمورك ازاء هذا التجاوز او ذاك على الحدود الرسومية لاحد الجنسين : ما نشير اليه هو ان هذا التجاوز يلفت نظرك .

وقد ادركت اللغة العربية هذه الظاهرة فطبقتها على صيغة المبالغة .

تختلف اللغة العربية من غيرها من اللغات بأن « الحياة » التي فيها حياة خلقة مبدعة ذات عبرية خاصة . وفي الوقت الذي نجد بقية اللغات أدوات للتعبير متى بلغت مقد بلغت غايتها القصوى وانتهت مهمتها نجد ان الضاد لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد ان يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد هدفها الى اكثر من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال والسذوق والذكاء : فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء .

ولو احببنا ان نضع للامر مثلا بسيطا يقربه الى الازهان لاستطعنا القول ان بقية اللغات كالمسامات العادية تضبط لك الوقت اترب ما يكون الى الدقة ، اما اللغة العربية فكالمساعة الذهبية التي لا يمكن الا ان تكون مثال الدقة في ضبط الوقت لان معدنها يحمل صانعها على مراعاة تيمتها وتوفير الانسجام بين آلتها الداخلية وغلافها الثمين — دفعة واحدة — آلة لمعرفة الوقت بالدقة المتناهية واداة للزينة تلمست الانتظار ورصيد مادي يحتفظ بتيمته الابرائية .

وياتيك البرهان في صيغة من صيغها العديدة :

« المبالغة » في ايسر صورها هي تضخيم الشيء بحيث يتوجه اليه الانتباه وقد حلت اللغات الاخرى هذه المشكلة — اذا جاز لنا ان نسيبها مشكلة — بطريقة

وليعذرنا الجنسان — اللطيف والخشن — لما
أردنا الا تقريب الغضبية الى الاذهان .

ان لغتنا تمتاز كما اشرنا بهذه النفحة من الحياة
التي تطل من تراكيبيها وصيفها ومشتقاتها ومن كلماتها
أيضا . وهذا سر من اسرار عظمتها وجبروتها .

لقد حاربها الطغاة في مختلف مهودهم وحاولوا
ان يقضوا عليها .

ثم .. ذهب العناية وظلت لغة الضاد تزود
القومية العربية بالقوة والجمال والخلود .

— 2 —

الحياة في اللغة العربية حياة خلقة مبدعة ذات
عبقرية خاصة — كما اشرنا سابقا — وهي لا تكتفي
بمسيرة التطورات المستحدثة — كما تفعل بقية اللغات
— بل يجد الباحث فيها « حركة بشرية » في تعاملها .
فكانها كائن حي يذهب ويجيء وتموج فيه المواطنسف
والاهاسيس .

ومن أبرز الميزات في اللغة العربية ان كلماتها تنم
بهذه الحياة وبهذه الحركة التي نصف في الوقت الذي
نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة لا يدب
فيها شيء من الحياة الا بعد ان تجتمع طائفة منها الى
بعضها وتؤلف عبارة .

كتبت فئة من المتبحرين في علم اللغة ان الكلمات
العربية ذات اصول ثابتة تنفرع منها المعاني المتقاربة
— مثلا النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف
معاني البروز والنبو — فانظر الى نموع هذا الجذر :

نبت = برز من الارض .

نبط = أخرج ماء البئر

نبح = خرج من المين

نبح = خرج وظهر

نبق = خرج وظهر

نبك = ارتفع

الى آخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في
الاصل .

هذا ما كتبه فريق من العلماء وقد اتخذوا كثيرا
من الاصول ادلة واضحة صريحة .

فماذا شامت ان تصف رجلا كثير الرحلات قالت
عنه انه « رحالة » .

انها تقدمه لك وقد لحقت به التاء التي كان من
حقها ان تلحق بالكلمة المؤنثة . جعلت ذلك لتلفت نظرك
الى صلة المبالغة فيه .

واذا وصلت لك رجلا واسع العلم قالت عنه انه
علامة .

وهكذا .

ان اللغة العربية في عبقرتها لا تكتفي بالطريقة
المشككية باضافة التاء الى الكلمة بل تمتد كذلك الى
المعنى فتغير صفته وتملا « عينيك وخاطرك » في نفس
الوقت .

ان خصائص التانيث في الكلمة هي الوجه الاخر
الذي يضع امام « الفكر » صورة صادقة من المبالغة في
حين ان اضافة الحرف — التاء — وتشديد عين الكلمة
هي الوجه الاول الذي يضع امام « العين » الصورة
المطلوبة .

وانت تنتقل بالمبالغة من « المين » الى « الفكر »
ليتم المتعود من التحوير لتستطيع ان تلم اوسع الالمام
بالمبالغة المتوخاة من التغيير .

وما ينطبق على الكلمات المذكورة ينطبق على
الكلمات المؤنثة ولكن بوسيلة مكسبة .

ان صيغة المبالغة في الاولى هي الحاق علامة
التانيث بها .

ومن الطبيعي والمنطقي ان تكون المبالغة في
الكلمات المؤنثة حذف لامات التانيث منها .

واذا بالمرأة التي تصون نفسها امرأة « مصونة »
— لا امرأة مصونة — . واذا الحرب التي لا تبقى ولا
تذر الحرب الفروس — لا الحرب الفروسية — .

ان هذا التغيير او هذا القلب يجعل عينيك
تلتفت الى ما اريد من المبالغة ، ويجعل عقلك يمتلئ
بالصورة التي وضعت لها .

ان تاء علامة ورحالة وما اليهما هي بروز النهدين
في الرجل .

وان حذف تاء التانيث من مصونة وفروسية وما
اليهما هي اللحية في ذقن المرأة .

واجتهادنا الوضيع في هذا الصدد ان اللغة العربية في معبريتها لم تكتف بهذا « المنطق » الذي هو في حد ذاته قاعدة بل عمدت الى ابعاد من ذلك . وها هي ظامرة جديدة من ظواهر حياتها وحركتها حتى في الكلمات :

ان اللغة العربية « تتساهل » اسمى ما يكون التساهل حيال من يتكلمها كما يفعل الرجل الكريم الشيم ازاء صاحبه تماما .

خذ مثلا كلمة غضروف :

ان اجتماع الغين والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الحركات في الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن اخواتها في العبارة - وفي السرعة الزلل .

لماذا تعمل اللغة العربية لتتلاقى هذا الامر ؟

انها تتساهل معك وتقول :

اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غضروف » فاللفظ كلمة « فرضوف » فانها هي نفسها .

وهكذا تترك لك اللغة المجال واسعا حتى اذا استتقلت اجتماع الغين والضاد وضعت بينهما الراء او اذا انسابت الكلمة من فمك سريعة الانفصال عن مكانها في العبارة امنت الزلل الذي يمكن ان تقع فيه من تناسق الحركات في الكلمة .

ان اللغة العربية لا تمنعت الى الدرجة التي تشعر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى ماذا أنت من « نبالة عواطفها » ومن « شهامة اخلاقتها » اسير لا تكاد تملك من أمرك شيئا .

وهاك مثلا ثانيا :

« القاف » حرف حلتى يصعب لفظه على البعض ولا بد من لفظه على من يتكلم الضاد . ولكن اللغسة العربية لا تتزمت بل تتساهل كماداتها وتقدم لك برهانا جديدا على « طيب عنصرها » .

اذا لم يكن من الهين عليك ان تقول :

دق : ومعناها كسر .

فلا بأس قل :

دك : ومعناها هدم .

ان اللفظتين تتقاربان في الاداء بحيث يمكنك ان تنيب الثانية مناب الاولى - هذا اذا كنت كما اشرنا ترى من الصعب التلفظ بالقاف .

وهذا التساهل من طبع اللغة العربية ولا يسري على كلمة مفردة بل على كلمات كثيرة .

وليس من عمل الصدف ان تكون لفظة « ريك » قريبة جدا من لفظة « رتيق » .

وليس من عمل الصدف ان تكون كلمة « قط » مرادفة لكلمة « قد » و « تت » .

وليس من عمل الصدف ان تكون « لفضس » و « لفظل » بمعنى واحد تقريبا .

واذا لم تشأ ان تقنع بهذا التساهل الفريد بين جميع لغات العالم احنائك الى الدليل الذي ما يصده دليل على ان التساهل هو من طبع هذه اللغة .

لقد نوعت اللغة الحركات على كثير من الكلمات حتى اذا لفظتها - على غير يقين من شكلها - لم تكن فيها على خطأ .

البصل البري اسمه المنصل (بضم الصاد) والمنصل (بفتح الصاد) والمنصلا (بضم الصاد) والمنصلا (بفتح الصاد) .

والاربعاء الفظها كما يمن على بالك بضم الباء او فتحها او كسرهما .

وهذا التنوع والتشكيل في المصدر :

فاس فوصا وقياما وقيامة ومفامسا

اتريد ارحب من هذا الميدان ؟

اتريد اكرم من هذا الكرم ؟

لا . لا .

اننا نحن الذين لم نعرف قيمة هذه اللغة الفريدة من نوعها .

اننا نحن الذين لم نجعل حتى الآن الا القليل القليل من اسرارها .

اننا نحن الذين لم ندرك ما في كلماتها وحروفها من حياة وما في تراكيبيها من منطق وشعور .

دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 2 -

الأتون :

ينطق بضم التاء مشددة أو مخففة ، وهو موقد نار الحمام ، يقال انها من الارمية (اتونو (atouno) التي جذرها (تن tan) دخن . واذا كان هذا الامل ينقصه الحرف الاول في الارمية فاننا نجده كاملا في العربية بحروفه الثلاثة في صيغة (عثن) . فان عثنت النار : دخنت ، والعثن - زنة الولن - هو الدخان . ونذكر بالنسبة ان الاله الشمس كان من اسمائه باللغة الفرعونية (آتون Aton) يقابله بالشومرية (اتنو Utu) فالظاهر ان التسمية اقدم من تاريخ ظهور الارميين في المنطقة ، اي قبل تاريخ نزوحهم من المربة وانشاءهم من بني جلدتهم واستقلال لغتهم .

اسا الجرح :

داواه . ار (1) : (اسي aci) : شفي .
اصل معنى الكلمة في العربية من قولهم آسيته بنفسي مؤساة اي ساوبته ، وقولهم آساه في ماله : قاسمه فيه . وتوسع معنى المؤساة فصارت تشمل اعانة المنكوب وتمزيته ثم عيادة المريض ، ثم مداواة الجرح ، واخيرا ظهر في الارمية بمعنى الشفاء .

في العدد الماضي من « اللسان العربي » تناولنا عددا من الالفاظ التي نعدّها هريبة ائيلة ولو ان اللغويين يمدونها دخيلة في العربية من ال ارمسي . وقد اخترنا تلك الالفاظ لوضوح هروبيتها ، ولطرافة الحديث منها وردّها الى ائلهما العربي .
وستنمضي الآن في تناول الالفاظ التي نطن انها ائيلة في العربية ، بايجاز ، حسب تسلسلها في كتاب « غرائب اللغة العربية » للاب رفائيل نخلة اليسوعي ، على اختلاف اهميتها ، معترفين بأنه لفقدان المراجع الضرورية لدينا عمل يثقل عليه طابع الاستمجال ، او الارتجال . وستنقل طبعا الالفاظ التي مالجنها في المقال السابق .

الاب :

هو الاقنوم الاول في الثالوث المسيحي ، ومعناه (الاب) . لكن هذه الصيغة خاصة بذات الله ولا تستعمل للبشر . ولا يستبعد ان تكون هذه الصيغة منحدرة من الارمية (آبو abo) لكن ائلهما العربي هو (الاب) ورسها قول الطفل (بابابا) ، قلبت فعارت (اب) كما قلبت (ماما) نصارات (أم) . ولو قلت بسرعة (اب اب اب . . .) مرارا لشمرت بزوال الهجزة بالتدريج ووجدت نفسك تقول (بابابا . . .) .

(1) سنقول « ار » بدلا من القول ان الكلمة في الارمية كذا . .

وفعل (واسى مواسة) ائله (ساوى مساواة)،
وكنا قد رسنا من محاكاة صوت انكسار فسن دون
انفصال طرفيه احدهما عن الآخر ، هكذا : طو -
طوى - زوى - وزى ، وازى - واسى - آسى -
اسا .

الاطلسي :

نسيج من حرير رفيع . وقد وردت في الاربية
بنفس اللفظ .

والكلمة تطلق في العراق على نسيج اسود لامع .
ويخيل لنا ان التسمية جاءت من لونه ، فالدُّب
الاطلس : هو الاغبر الى سواد ، والطلس ، زنة الدرس ؛
الطيلسان الاسود . وائل الكلمة دلس ، ومن معناها
تدلس الرجل : تكتم واختفى ، واندلس الشيء :
اختفى ، والدلس (زنة البلد) والدلسة (زنة
الشرفة) : الظنمة . ومن اخواتها ادلج : سار الليل
كاه ، والدلج (زنة البلد ايضا) : الساعة من آخر
الليل . والظاهر ان دلس من دمس الغلام او الليل :
اشتد سواده ، وهذه من طمس النجم او البصر :
ذهب ضوءه ، وطمس الشيء : اندرس وانمحي ،
وكذلك طلس البصر : ذهب ضوءه ، وطمس الكتاب :
انمحي . ومن نفس الاسرة اللقوية درس واندرس .

وقد كان الاطلس يطلق في العربية اول الامر
على النسيج الاسود ، من الحرير او غيره فيما يظهر ،
ثم تخصص بالحرير . وربما سمي جبل الاطلس
بهذا الاسم لقبوته وسواده ، او ربما اطلق اولا على
جزء منه او على ارض ما ، ثم انتقل الاسم الى الجبل
بل الجبال المسماة بهذا الاسم ، وهو معروف لدى
الافريق ، وتقول اسطورة لهم ان اطلس كان ملكا
جبارا يحمل السماء على عاتقه فلما قتله هرقل هوى
على الارض فصار جسده جبل اطلس (Atlas)
ومن هنا جاءت تسمية المحيط الاطلسي . وهذا الاسم
قديم جدا كان قدام المصريين يطلقونه حسب رواية
افلاطون على قارة اطلنطا - او اطلنطيد - المفقودة :
العائصة في البحر .

الاكلييل :

هو التاج . ار : (كليلو (killo) .
اما نفس العربية فمعناه بالاضافة الى التاج :

شبه عصاة تزين بالجوهر ، وما احاط بالظفر من
اللحم . وفعل كلل السحاب السماء : احاط بها من
كل جانب ، وتكلل بالشيء : احاط به ، والكللة - زنة
العلة : الغشاء الرقيق كالخيمة على السرير للوقاية
من البعوض ، والصوفة الحمراء في راس الهودج .
فواضح ان مادة الكلمة تعني الاحاطة بالشيء او
الارتفاع عليه ، وهذا ما يعنيه الاكليل يعلو السراس
ويحيط به . ووزنه الافعليل ليس بدعا في العربية
فهو من باب الاضربيع (الثوب الاصفر) والاحليل
(مجرى اللبن من الثدي) . وعلى هذا ليس مستبعدا
ان يكون الاكليل عربيا الله وصيفته . واذا افترضنا
ان الصيغة بهذا المعنى ارامية فتكون مصوفا من مادة
(كلل) العربية التي نطق ائلهما ظلل ومنها جلل .

آمن :

يقول الاب نخلة في شرح معنى هذا الفعل
« صدق حقيقة اوهاها الله تعالى » ، وانها من
الاربية (هيمن hayman) .

لكن الايمان لا يقتصر في العربية على معناه
الديني بل ان (آمن به) تعني صدقه ووثق به ،
و (آمن له) : خضع وانقاد ، و (آمنه) :
امنه - بتشديد الميم - أي اعطاه
الامان . واما (هيمن) - بالهاء - فقد وردت في
العربية ايضا بمعنى الايمان .

وائل (ءامن) هو (امن) اي اطمان . والامن
جاء من (اليمن) - بضم الباء - لان العرب كانوا
يتفاهلون باليمن ويتشاءمون بالشمال ، ومن هنا
اشتق قدامى الحجازيين (الشؤم) من اسم بلاد
(الشام) التي تقع على شمالهم و (اليمن) من اسم
بلاد (اليمن) التي تقع على يمينهم . ومن معنى اليمن
والامن نشأ معنى الايمان اي الوثوق وعدم الخوف ،
الذي تطور الى معنى التصديق . ان مشتقات الكلمة
في العربية بصيغتها (آمن) و (هيمن) اكثر منها
في الاربية ، كما اننا نعرف ترسيبها في العربية ،
وقد تطرقنا اليها في تأثيل التيمن (انظر العدد
السابق من « اللسان العربي ») .

امهات :

جمع ام . ار : (امهوتو emhouto) .

والنبش للعيال : التكسب . والنبش - زنة
الفكر - نوع من الشجر . والانبوشة : كل ما ينبت .
فالكلمة تعني في العربية الحفر موما كما تعني
اشياء اخرى خاصة ، وليس هناك ما يدل على
اقتباس الانبوشة من (نبش) الارمية .

وفعل نبش من الاسرة العربية الشهيرة : نب ،
با ، نبت ، نبث ، نبج ، نبض ، نبض . . .
الى آخر السلسلة ، وهي اسرة مرفها للفويون العرب
قديما واتخذوها مثالا لتعاقب المعاني مع تعاقب
الالفاظ وقد اكثر المحدثون ايضا من ترددها
والاستشهاد بها .

البلول :

الشهر التاسع بالتقويم الميلادي . ار :
(ابلول ayloul)

الكلمة بابلية ، ولعها مشتقة من الايلولة اي
الرجوع . ويجوز ان تكون الارمية قد توسطت في
نقلها الى العربية .

الايسل (زنة السيد)

حيوان من نوع الفباء . ار : (ايلو aylo)

لعل سبب التسمية من الايلولة ايضا : اي من
فعل (آل يؤول) ، فان صح ذلك يكون هربيا لان الله
يكون عندئذ آب يؤوب ، وقد رسنا الكلمة من
محاكاة صوت الهواء (في كتابنا «مغامرات لغوية») . ولعها
كانت في لغة الارميين منذ مبارحتهم العربية .

البابوس

الطفل . الصبي الصغير . ار : (بوبوسو
bobougo) .

نظن انها البؤبؤ : انسان العين ، ورسه هو :
بابا ، التي سبق ذكرها ، اطلقت اولا على انسان العين ،
ولصفره اطلق بعد ذلك على الطفل . وفي الموصل
ينطقونها بببي ، بمعنى انسان العين بلغة الكبار ،
والطفل الرضيع بلغة الاطفال . ومنها في اللاتينية
pupus يتيم ، وتصغيرها pupus
صبي . وهي بالانكليزية pupil بمعنى التلميذ

الانبوب :

ما بين عقدتين من القصب وما اشبهه من كل
اجوف مستدير . ار : (ابوبو aboubo) قصبه او
انبوب اجوف يسيل فيه الماء او غيره .

الذي يبدو لنا ان الانبوب المشتق من فعل
(نب نبيا) اصل معناه الماء وما يتصل به من الاشياء
بدليل قولهم (تنبب الماء) بمعنى تسيل - بالتشديد .
والل فعل نب هو (اب) - بالتشديد ايضا - واصل
معناه الماء ايضا فان (الاباب) يعني الماء والسراب .
ويؤيد ذلك ان الصيغة الارمية بلا نون اي (ابوبو) .
ولعل العرب ايضا نطقوا بالانبوب بدون نون اول الامر
اي (الابواب) بتخفيف الباء الاولى ثم بتشديدها ثم
فكوا الادلغام بادخان النون . وما دمنا لا نستطيع ان
نحرم كيف تكونت صيغة الانبوب فاننا لا نستطيع
كذلك الجزم بنسبتها الا الى اية من اللغتين . لكن
المادة هربية على كل حال .

الانبوشة :

يقول انها الشجرة المقلوحة باصلها وانها من
الارمية (نبش nbach) : حفر .

ان النبش يعني الحفر في العربية ايضا ، بل
انواعها من الحفر : من نبش المستور ونبش الكنسر
ونبش القبر .

المعنى بعد قلب الكلمة من اللعاب واللعب الى (البلع) . ومنها في الفرنسية *avaler* البلع . اما صيغة البلوعة فمشاركة ليس لدينا ما يقطع بانتسابها الى احدي اللغتين ، لكن وجود صيغتين اخريين لها (البلاعة والبلوعة) في العربية قد يرجح ائلاها العربي .

البرخ :

زيادة نماء ، نماء . ار : (بورختو *bourkhto*) .
الكلمة من البركة ايضا ، كالذي قلناه آنفا .

البرانسي :

الخارجي . ار : (برويو *baroyo*)
وهذه من (برونوويت *baronoylt*) في خارج كذا .

ان الكلمة في نظرنا عربية . وقديما قال العرب (برا وجوا) بمعنى داخلا وخارجا . وما زالت كلمة (برا) وقد تنطق (بره) تعني خارجا في معظم الدارجات العربية ان لم نقل كلها . وقد جاء في الحديث « من اصلح جوانبه اصلح الله برانيه » . والبراني بالمفربية : الغريب عن البلد ، الاجنبي .

واثل الكلمة (برا) بمعنى خلق ، ومن ذلك البرية ثم البرية : الخليفة . ثم صارت تطلق على البر المشب المزدهر باعتباره خليفة ، وفي الموصل يطلقون (البرية) على البر خارج المدينة في ابان ازدهاره حين يذهبون اليه للنزهة . ومن ذلك اشتقت صيغ البساريه : الخالقي ، والبسريه ، والبراءة . . فاللادة مشاركة والاثل عربي ولا نجد ما يبرر القول بأن صيغة (البراني) مقتبسة من الارمية .

البرية :

بتشديد الراء والياء : الصحراء . يقول انها من (برو *baro*) الارمية . ان البر ضد البحر نشأ من صيغة البرية التي تحدثنا عنها توا في (البراني) .

البريمة :

المثقب . ار : (بورومو *bouromo*) .
قد تكون الصيغة ارمية بهذا المعنى لكن مادة

وانسان المين . . اما بمعنى الرضيع فهي بالانجليزية *baby* وبالفرنسية *bébé* . لهذا لا نرى ما يمنع ان تكون كلمة عربية ولها في العربية هذه الوشائج .

بأزله الله :

سبحه . ار : ابرخ *barekh* .

الذي نلظنه باختصار أن البركة اصل معناها من بروك الابل ، أي الابل القادمة بما تحمل من احباب وضيوف او ساج وخيرات . وقد تعددت استعمالات البركة في العربية على الحقيقة والمجاز . ونطقها الارميون بالخاء بدل الكاف ، ولا يستبعد ان يكون معنى تسبيح الله خاصة من استعمال الارميين اقتبسه العرب فاضافوه الى استعمالات الكلمة الاخرى عندهم .

الباكورة :

اول الثمر . ار : (باكورتو *bakourto*) .

والمقصود اول ما ينضج من الثمر في بكور موسم ، كما ان الكلمة تعني اول كل شيء . ومادة الكلمة عربية . ولعل اصل المعنى من بكرة البئر وتسبق المستقين عليها من بكور الصباح لذلك صار قولك « بكرت الى الشيء » يعني مجلت اليه ، والبكرة - زنة العقدة - يعني الفتوة أي الذهاب صباحا . ومن معنى العجلة والاسراع في صيغ البكر والتبكير والابكار اطلقت الباكورة على الفاكهة التي تسرع بالنضج في اول موسمها . والظاهر انهم امتدوا هذه الصيغة ارمية لانها من الشؤون الزراعية التي ظنوا الارميين اسبق اليها من جميع العرب . اما نحن فنكتفي بالقول انها من الصيغ المشتركة التي ان لم تكن صيغتها عربية فان مادتها الالهية عربية .

البلوومة :

يقول انها من (بلوومو *bolou'to*) . وهي في العربية بالوومة ، وبلاومة ، زنة سيارة ، وبلوومة زنة زنوبة . وبذلك سميت لانها تبلع الماء المنساق اليها من صحن الدار . والبلع كلمة عربية ولها مشتقات ، ونحسب ائلاها : لعب الصبي : سال لعبه من فمه . ولما كان المرء يبلع لعبه فقد انتقل

الكلمة عربية من (برم الحبل) لان هذا النوع من المتقب يشبه الحبل المبروم شكلا ويشتب به ببرمه .

البيرود :

يقول انه من ار : (بزرو) : البازر ، اي نائر البور .

ويخيل لنا ان ائل الكلمة عربي وهو (برز) لان البزر يبرز من النبات هند نضجه ولاسيما بعد جفافه، ثم قلبت الكلمة فصارت بزور ثم بذر . وكون الكلمة زراعية لا يبرر نسبتها الى الارمية ولاسيما ان في العربية الفاظا زراعية كثيرة خالصة النسبة لم تقتبس من الارمية او غيرها مما يدل على انها ليست عالية في الشؤون الزراعية على اللغات الاخرى

بسيط :

غير مركب . سهل . ار : (فشيطو fchito) .

والمقصود ان هذه الصيغة فقط مقتبسة من الارمية، اما صيغها الاخرى : بسط ، بساطة ، مبسوط ، منبسط .. فلا يقولون عنها شيئا . لكن صيغة الفعيل كثيرة الاستعمال في العربية فليس مستعبدا ان يصوغ العرب البسيط من فعل (بسط) كما صاغوا الفسيح من فسح والاريطس من ارض والبعيد من بعد .. الخ ، وليس ثمة ما يدهو الى اقتباسها من (فشيطو) . ولعل البسيط اطلق اولا على الارض المنبسطة السهلة ثم استعمل مجازا في معنى السهل غير المعقد او العويص . اما بالمعنى الفلسفي اي ضد المركب فلا يبعد انه استعمل في الارمية اولا لانها سبقت العربية في الترجمة من الاغريقية ، لكن صيغة البسيط نفسها بمعناها اللغوي العام قديمة ائيلة في العربية .

البشقة :

خرقة تشد المرأة طرفيها تحت ذقنها لوقاية الخمار من الاوساخ . ار : (فشموكو fchmogo) .

والذي نراه ان ائل الكلمة هو (البخنق) - زنة القنفذ - بنفس المعنى ، وائله فيما نظن (المخنق) - زنة المصعب - من معنى الخنق لان البخنق يشد طرفاه تحت الدقن كما في حالة الخنق

بالحبل . فعلى افتراض ان البشقة صيغة ارمية فهي مشتقة من المادة العربية . لكن ابدال النون ميما في الارمية يرجح ان صيغته البشقة العربية ائل .

البسط :

الطائر المائي المعروف . ار : (بطو bato) .

كنا في بحث سابق قد قلنا ان فعل (بسط) نشأ من محاكاة صوت انبعاث ضفدع يطؤه الانسان . والالغب ان اسم (البطة) اطلق اولا على الضفدع ثم انتقل الى هذا الطائر المائي لانه يعم في الماء كالضفدع . لهذا نرى ان العربية هي الائل .

البمير :

نجو ذوات الخف والظلف . ار :

(بمورو : b'ouro) : نجو ذوات الأريج .

ان ترسييس الكلمة في العربية يطول حديثه لكننا نكتفي بالقول اننا نرى ان ائل البمر هو الريح - زنة الطبع - وهو الدار ، او ما حولها ، او المحلة والمنزلة ، اي الموضع يرتجسون فيه ، ثم انتقل المعنى الى الجماعة من الناس . وقد قلبوا الكلمة فصارت البمر . وكانوا اذا راوا بمرأ في البادية يقولون انه الريح او البمر بمعنى ان الموضع كان ربما يحل فيه ناس ، ثم تخصصت صيغة البمر بالرجع الذي تخلفه ماشيتهم فان صح تاييلنا للكلمة فهي عربية اقتبستها الارمية .

البمير :

الجمل البازل اي الذي طلع نابه . ار : (بيمرو

b'iro) دابة تحمل احمالا او تجر مركبة .

نعتقد ان اسم البمير مشتق من بمره .

الببيبو :

مجري الماء الى الحوض . ار : (بيبو bibo)

قناة .

ويبدو لنا ان ائل الكلمة هو الانبوب الذي تقدم تاييله من فعل نب نبيبا . ومجري الماء الى الحوض

تموز :

الشهر السابع بالتقويم الميلادي . ار : (tamouz)

والاسم بابلي أيضا ، لكنه يرجع الى اثل سومري (دموزي dumuzi) وهو اسم الاله الخضرة الذي يختفي في العالم الاسفل في نهاية الصيف مدة ستة اشهر ، ثم يظهر ستة اشهر من اول الربيع أي من اول السنة الرافدانية القديمة . ويبدو ان اثل الكلمة (دموس) - زنة عروس - والفعل دمسي يدمس دمسا ودموسا . ودمس الليل : اشتد سواده ، ودمست الشئ : غطيته ودفنته واخفيته ؛ فلعلم سموا هذا الاله الذي يختفي في العالم الاسفل نصف السنة (دموسا) من هذا المعنى . اما صيغة (تموز) فيبالية محرفة من (دموزي) ، ويقال في انتقالها الى العربية ما قلنا في اسما الاشهر البابلية الاخرى .

التنور :

ار : (تنورو tanouro) من (بيت نورو beyt nouro) مكان النار .

هذا التخريج لا يبدو لنا حاسما ، فيمكن مقابله القول ايضا بان الكلمة من العربية (بيت النار) . ان بعض المعاجم العربية تدرج التنور في مادة (تنر) لكننا نعتقد انها من مادة (النور) اي النار . وقد وردت في العربية صيغ افعال اثار ، وتنور ، وانتور . والظاهر ان التنور قد صيغ من احداها .

تسب (بكسر الاول) :

اجلس ، اي فعل الامر من جلس . ار : (تسب . qes)

ان (تسب) في العربية فعل امر من وثب . وكانت تعني عند اهل اليمن اجلس . وربما كانت تقال اول الامر للراقد لينهض فيجلس ثم صارت تقال للواقف ليجلس . وقد جاء في اخبارهم ان ملك اليمن قال (تسب) لحجازي كان وقد عليه في قصره المشرف على الوادي ، يقصد : اجلس ، فظن الحجازي انه يامره بان يثب في هوة الوادي فامتنع ، فكور عليه الملك : تسب ، فالتى نفسه من شرفة القصر فمات ، فتعجب الملك ثم اخبروه بمعنى الكلمة عند

ولاسيما اذا كان مغطى واضح الشبه بالانبوب . ومما قد يؤيد كون البيب ائله الانبوب هو ان الانبوب في الانجليزية والفرنسية : pipe . وعلى هذا يكون استعمال (البيبة) بالدارجة المصرية بمعنى (الغليون) له اثل من العربية . ويخيل لنا ان البيب هذا هو اثل الباب في العربية لانه يفتح ويسد ويفضي الى داخل الدار كما يفتح البيب - مجرى الماء - ويسد ويؤدي الى داخل الحوض . ومما يؤيد ذلك ان بعض الالهجات اللبنانية ما زالت تنطق الباب (بيب) وتجمعه على بيبان .

مما تقدم يبدو ان كلمة (البيب) هربية . ولا يقال ان الارميين سبثوا الى الحضارة فان الكلمة تعني عندهم القناة بوجه عام ، اما عند العرب فتعني مجرى الماء الى الحوض ، وكل الاعراب يعرفون الاحواض التي يجمعون فيها الماء لسقي ابلهم .

تبر الشيء :

كسره . ار : (تبر tabar)

نظن ائلهما بتر بتر ، ومن اخواتها في العربية بتك وبتل ، وائلهما بت ، وكلها تعني القطع . ومن فعل التبر نجد في الفارسية (تبر tabar) بمعنى الفأس وعريبتها الطبر .

التبر (زنة الفكر) :

زجاج مكسر . ار : (تبرو tebro) كسرة .

ان القول فيها كالتقول في الكلمة السالفة ، اي من معنى الكسر الذي تطور من معنى القطع .

تشرين :

تشرين الاول والثاني هما الشهران العاشر والحادي عشر بالتقويم الميلادي . ار : (تشرين techrin) .

ائل الكلمة بابلي (تشرى) . ولا نعرف المادة اللغوية التي صيغت منها والمعنى الاصلي المراد بها . وشانها شان بقية اسما الاشهر العربية المنحدرة من البابلية ، يجوز ان تكون الارمية واسطة انتقالها الى العربية .

(ثعالة) التي توجد صيغة مشابهة لها في
الارمية .

الثالثون :

ار : (تليويوتو (lltoyoto) .

الصيغة دينية نصرانية لهذا يصح القول دون
تردد انها مقتبسة من الارمية . لكن مادة الكلمة هي
(الثلاثة) العربية

الثنيان (زنة البنيان) :

من كان دون السيد في المرتبة . ار : (تنيونو
(tenyono) . الثاني .

لا نرى ما يرجح كونها ارمية لا عربية سوى
حجة الحضارة التي كنا رددنا عليها . ولعل بعض
الاصطاع العربية كاليمين اقدم حضارة من الارميين .
يضاف الى ذلك ان للكلمة مرادفا في العربية هو
(الثني) - زنة الفكر - وكلتاها من مادة (ثني ثنيا)
العربية .

(الجبر) :

الجبار : المتسلط ، المتكبر ، العاتي . ار :
(كبرو (gabro) قدير

الجبر : الرجل ار : (كبرو (gabro

الجبروت : القدرة العظيمة . ار : (كبروتو
(gabrouto

الجبورة : (بتشديد الباء) : الكبرياء . من
اثل الجبروت .

تجبر : تكبر . ار : (اكبر (etgabar .

هذه خمسة الفاظ محسوبة على العربية من
الدخيل وهي كلمة واحدة من مادة جبر . وفي العربية
اشتقاق اخرى للكلمة لم يعدوها من الدخيل لانهم
لم يجدوا لها مقابلا في الارمية . فكان وجود مقابل
للصيغة العربية في الارمية يكفي لامتبارها دخيلة في
العربية ايلة في الارمية .

ان مادة (جبر) اثلها (جب) اي قطع ، وقد
نشأت منها الفاظ : جبا ، جبت ، جيد ، جيز ، جيس

الحجازيين . فالكلمة مشتركة اذن بين الارمية وبعض
قبائل العرب . وهذا يذكرنا بان بعض العرب البائدة
الذين تبحثوا على اثر انكسار سد مارب قد هاجروا
الى ديار الشام واقاموا فيها واندثروا اي اندمجوا
بأهلها ، ولعلمهم الذين نقلوا هذه الصيغة الى الارمية .

ثسب :

فعل ماض من وزن ثسب : جلس متسكنا . ار :
(يتسب (yiteb

يلوح انها نفس الكلمة السابقة ظهرت لها في
الارمية صيغتان متقاربتان بمعنيين متقاربين .

الثبور :

الهلاك . ار : (ثبورو (tboro) خراب ،
من (تبر (tbar) كسر .

الثبور نؤلها في العربية ايضا من (تبر) التي
قلنا آنفا ان اللهيا بتسر ، فهي مشتركة بين العربية
والارمية ، والمادة عربية .

الثريا :

مجموعة من النجوم . ار : (ثورايا (touraya) .

ان اسم الثور قد تشعبت منه اسماء كثيرة في
التاريخ القديم ، وكان مقدسا عند بعض الشعوب
على صور مختلفة . ونحسب ان اثل اسم الثريا هو
(الثوريرة) تصغير الثور اي البقرة . وعلى هذا يبدو
ان الارمية هي التي اقتبست منها اسم (ثورايا) .
اما الحديث عن اشتقاقات اسم الثور في اللغات
السامية وغير السامية فطويل وله مقام آخر .

ثعالة :

اثنى الثعلب . ار : (تملتو (t'alto

ان تعوير الاسماء في العربية كثير ، واسماء
الحيوانات التي تعدد صيغها غير نادرة . وقد قال
العرب (مثملة) للارض التي تكثر فيها الثعالب كمثل
قولهم مأسدة ومدابة . وجمع الثعلب ثعال مثل
ثعالب . فاسقاط الباء من الثعلب لا يقتصر على

اجتبيى :

اختار . ار : (كبو gbo) .

اي ان اللفظة الارمية هي نفسها التى تعنى (الجباية) ، وحكم هذه حكم تلك . وقول العرب : « اجتبى الشيء » كقولهم « اجتب الشيء لنفسه » اي اقتطعه واستأثر به .

جادف السفينة :

دافعها بالجداف . ار : (كدوفو gadof) .

ان فعل جدف الله (جد) اي قطع ايضا . ومن نظائره : جذب ، جدت ، جدر ، جدع ، جدل ، جدم ، جدا (جدو) .. وكلها كانت تعنى القطع اول الامر ثم تطورت معانيها مع الزمن ، وما زال الجدم يعنى القطع ، والجدوى تعنى العطية اي الهبة المنتظمة من مال المعطي . واصل معاني الجدف هو القطع ايضا .

والرجل الجدوف اليد : المقطوعها ، ومجازا التصبرها .

وجدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين ، تشبيها بالرجل الجدوف اليدين .. ومجازا : جدف الظبي : قصر خطوه ، تشبيها بالطائر الجادف . ويبدو انهم انما قالوا جدف (بتشديد الدال) بمعنى ساق الزورق بالمجدافين تشبيها لهما بالجناحين المقصوصين . صفوة القول ان مادة الكلمة تحمل من المعاني ما يكفي لاستنباط التجديف والمجداف منها . ولا يقال ان الاربين اسبق من العرب الى الملاحة فان العرب كانوا ملاحين منذ كانوا ، لاحاطة البحر بجزيرتهم . وبالرغم من كل ما اصاب الحضارة العربية من تخلف فى المصور الاخيرة ظلت ملاحظتهم مزدهرة فى الخليج العربي والساحل الجنوبي الى الهند شرقا وافريقيا غربا .

جيدف :

الفعل الماضى من التجديف . ار : (كدوف gadaf) .
تحدثنا عنها فى (جادف السفينة) .

جبل ، جبن ، جبه ، جبا (جبو) ، جبي . وقد تغيرت معانيها ، لكن معنى القطع لا يزال صريحا فى بعضها مثل جبهه : قطعه ، وجبله (بتشديد الباء) : قطعة قطعا شتى . ويظهر انهم اطلقوا الجبر على كسر المعظم اولا ثم صار يعنى اصلاح الكسر من باب التضاد . ثم قالوا جبره على الامر واجبره بمعنى الزمه به واكرهه عليه . ثم صار الجبار يعنى العالى من معنى اجباره الاخرين على طاعته ، ثم صار يعنى المتكبر ايضا . ومن معنى الكبرياء والعتو نشأت الصيغ الاخرى .

الجبين :

طعام . ار : (كبنو goubno) .

نعتقد ان الجبن ايضا من القطع بمعنيه : الطعام والتهيب .

وما زالوا فى العراق مثلا يقولون ان الحليب او اللبن قطع بمعنى انفرز ماؤه منه . وهكذا يتكون الجبن اي بانفصال مصل الحليب وتجمد مادته . وبلاحظ ان جمد وتجمد من ائل جد اي من معنى القطع ايضا مثلما كان جبن وتجن من ائل جب . واما معنى الخوف فكثيرا ما قال العرب ان الرجل جوبه بكذا فانقطع ، اي لم يعد يقوى على المقاومة قولا او فعلا . فحين قالوا جبن فلان قصدوا انه انقطع اول الامر ثم صار المعنى يدل على الخوف .

فالذى يبدو ان الارمية هي المتبسة لكلمة الجبن ، ولعل الاصح ان الكلمة ائيلة فى الارمية المنسلخة من العربية .

جبا الخراج :

جمعه . ار : (كبو gbo) .

بخيل لنا ان اصل معنى قولهم جبا الخراج هو اقتطعه ، مثلما يقال « جبر له من ماله جبرة » بمعنى قطع له قطعة . وقد تطور معنى القطع لصار قولهم « جبي الماء فى الحوض » يعنى جمعه . والظاهر ان المقصود من القول ان الكلمة ارمية هو استعمالها لجمع الخراج خاصة ، وليس ذلك بمستبعد . وعلى هذا تكون المادة عربية والاستعمال ارميا .

جلاف السفينة :

يقول انها من (جادف) . وقد ابدينا فيها
وابناسا .

الجاروشة :

« رحي اليد التي يجرش بها اي يطحن بدون
تنعيم » . ار : (كوروشتو gorouchto) .

اثل جرش هو (جش) بنفس المعنى اي الطحن
دون تنعيم . ومن اخوات جش نذكر : جت ، جث ،
جد ، جز ...

وتظهر جرش في الانجليزية بنفس اللفظ
(crush) ونفس المعنى . ومن اخوات جرش
في العربية جرن الحب : طحنه . وتظهر هذه لى
الفرنسية بصيغة granuler . ومن فعل جرش
صاغ العرب اسم الجاروشة لآلة الجرش ويقال لها
الجاروش ايضا على فرار صياغتهم اسم الطاحونة
والطاحون لآلة الطحن .

الجرام (زنة الغراب) :

النواة ، التمر اليابس . ار : (كرمو garmo) .
ولا ندرى لماذا يقال انها من الازمية . قال العرب
جرم بمعنى قطع ، ثم قالوا « جرم الناقة » بمعنى
جز وبرها . وتدرجت الكلمة في تطور المعنى مرحلة
اخرى فقالوا « جرمت النخل » بمعنى قطعت ثمره .
ومن هنا ظهرت صيغة الجرام - زنة
القلامة - فقالوا « جرام النخل » اي ما سقط من
ثمره عندما يجرمونه . ولما كان التمر اليابس والحشف
اكثر ما يسقط من التمر حتى من تلقاء ذاته دون ان
يجرمة جادم او تمزه ربح ، فلا جرم ان انتقل المعنى
الى التمر اليابس فسموه الجرام بضم الجيم ،
والجرام بفتحها ، والجريم زنة الكريم . ثم انتقل
المعنى الى النواة .

الجرن (زنة السكر) :

حجر منقود للماء او غيرهه . ار : (كورنو
gourno) غرفة حمام كلها من حجارة .
قلنا ان فعل جرن الحب يعني طحنه ، وائل

الجرن هو الجرش الذي اصل معناه القطع . ولعلمهم
من معنى القطع صافوا اسم الجرن وهو الحجر الذي
يقطع على شكل وماء للماء او غيرهه كما تقدم . اما في
الازمية فقد تطور المعنى فصار يعني غرفة حمام كلها
من حجارة .

الجاسوس :

ار : (كوشوشو gochoucho) .

ان مادة جس خرجت منها في العربية صيغ
كثيرة . وذكر صيغة الجاسوس فقط مع الدخيل
يعني انها عندهم وحدها المقتبسة من الازمية .
وبدون توسع في دراسة مادة الجس نكتفي بالقول ان
الجاسوس له في العربية صيغتان اخريان هما
الجيسس والجساس ، ولم يقولوا انهما ايضا من
الازمية لانهما لا وجود لهما فيها . ولو كانا موجودين
فيها لقليل لهما كذلك دخيلان في العربية . وصيغة
القاعول على كل حال ليست نادرة في العربية فمنها
الطاحون والناعور والمأمون والناقوس والناقور .

الجسر :

المبر على نهر او نحوه . ار : (كشرو
guechro) .

يخيل لنا ان اثل الجسر هو السرج ، لان
قنطرة الجسر المنصوبة على مجرى الماء تشبه
السرج شكلا .

الجيل (زنة الخف) :

هو من الدابة كالثوب من الانسان . ار :

(كلو galo) .

نظن ان جمل اثلها كلل ، وقد تحدثنا عنها
عند الكلام على الاكليل . والصيغة الازمية لا توحى
بانها الاثل . فان كانت كذلك فهي مصوغة من المادة
العربية .

الجليد :

الماء الجامد . ار : (كليدو gildo) .

الجمد والجلد اثلها جد ، وكلاهما اطلقا على
انجماد الماء . والكلمة في اللاتينية محركة الاول كما

من غير ريب ، فأثقلها (الجرم) أي الجسم ، ومن ذلك جرم الانسان والاجرام الفلكية والحجارة ، ومنه نشأ (الرجم) أي القذف بالحجارة أي الحجارة . وسمي المرض المذكور جمرة لشبهه بما يصيب الجسم اذا احرقته جمرة النار ، فان لم تكن الجمرة موجودة في الارمية بمعنى النار فلا يمكن استعمالها فيها بمعنى هذا المرض الا مقتبسة .

الجنينة :

ار : (كنتو ganto) .

اطلقها العرب على الحديقة ذات الشجر من نخيل واعناب وغير ذلك . وهي من فعل (جن) أي ستر ، لان الجنة تستر من يدخلها ، وذلك شبيه باطلاقهم اسم الغابة على اجمة القصب لانها تغيب من يدخلها . وصاروا في العهد الاسلامي يستعملون بمعنى الجنة كلمة البستان ربما للتفريق بينها وبين جنة السماء .

المجنن (بتشديد النون) :

الترس . ار : (مكينو mgueno) .

الصيغة عربية ، فهي صيغة اسم الآلة من فعل (جن) أي ستر كالذي قلنا توا ، على فرار صياغتها المقص من قص والمسن من سن . ولا نرى وجهها لاعتبارها دخيلة .

جنز الشيء :

اخفاه . ار : (كنز gnaz) .

فعل (كن يكن) - بالتشديد - يعني ستر مثل (جن) ومن كن نشأ فعل كنز ، ومنه ايضا نشأ فعل جن ومن هذا الاخير نشأ فعل جنز ، وكلها تعني اخفاء الشيء وستره . فالكلمة مشتركة بين اللغتين والائل عربي .

جنز الميت (بتشديد النون) :

وضعه على سرير ، صلى الكاهن عليه ، وهي في الارمية من اصل جنز .

يقول القاموس المحيط ان التجنيز في قول حسن البصري : وضع الميت على السرير . وهو فيما

في العربية (gelidus) متجمد من البرد ، تلجي . و gelida بارد كالثلج . وقد تسربت الى بعض اللغات الحديثة منها glace ثلج بالفرنسية ، و glass زجاج بالانكليزية .

الجلام (زنة الجبار) :

جزاز الصوف . ار : (كولومو goloumo) .

انها من جلم ، ولها في العربية اخوات : جلع ، جلع ، جلف ، جلّه ، جلا . . وهذه كلها تبدأ بنفس الحرف أي الجيم . ولها اخوات اخريات تبدأ بالقاف : قام ، قلع ، قلع ، قلف . الخ . وجلم تعني قطع . وجلم الصوف : جزه . والجلم والجلمان بصيغة التثنية : مقص الصوف . فاشتقاق صيغة الحرفة وهي صيغة المبالغة من اسم الفاعل (الجلام) من كل هذا لا يتطلب استعانة بلغة اخرى ، بل ان أي اعرابي خليق بان يسمي الشخص الذي يحترف جلم صوف الماشية جلما .

جيم المكيال :

ملاه الى راسه : ار : (كمم gamem) .

لعل اثل الجم هو الجب - بضم الجيم - أي البئر العميقة ، ومنها نشأت (الجمّة) - بفتح الجيم : البئر الكثيرة الماء ، ثم صارت تعني مجتمع ماؤها . وجمت البئر : تجمع ماؤها ، وجم الماء : تركه يجتمع . ومن ثم صار فعل الجم يعني الجمع والتجمع والامتلاء ، ومنه نشأت صيغة (جمع) نفسها . ومن قولهم جم المكيال أي ملاه الى راسه ، نشأت صيغة طم الاناء : ملاه وقالوا جم المكيال مثل جمه . والجمام والجمم : ما علا رأس المكيال فوق طفانه . فان كان الارميون هم الذين بدؤوا استعمارة معنى الجم لعل المكيال خاصة فمادة الكلمة عربية على كل حال .

الجمرة :

بشرة عريضة في اللحم مع التهاب شديد . ار : (كمورتو gmourto) .

المقصود ان الكلمة بهذا المعنى من الارمية ، واما (جمر) الحجر او النار فلا . ان مادة الكلمة عربية

الحرب :

ار: (حربو harbo) سيف ، تدمير ، حرب .
من (حرب harb) : حرب ، حارب ، قتل .

من فعل نقت الدجاجة نقيقا نشأت العمال :
نقر ونقد ونقب ... ومن نقب نشأ نخب ، ومن هذا
نشأ نخرب ، ثم حرب ، ومن هذا نشأ حرب . واما
معنى السيف فى الاربية فله فى العربية صبغة
خاصة قريبة من معناه وهى الحربة . وفى اللاتينية
harpe تعنى السيف المنحنى . والظاهر ان
الكلمة قديمة ومشاركة بين اللغتين كانت فيهما قبل
انفصالهما .

* × *

تكتفى بهذا الآن ، ونعقب عليه بملاحظة نعيد
فيها خلاصة رأينا فى الكلمات المشتركة بين اللغتين،
فهى اما (1) ان تكون الاربية قد صاغتها لمعنى
مخصوص من المادة العربية المشتركة ، واما (2) ان
العربية هى التى صاغتها فاقبستها منها الاربية
فظنها النفويون دخيلة فى العربية لمجرد وجودها فى
الاربية بحجة كونها حضارية او زراعية او بدون حجة
احيانا ، واما (3) انها قديمة كانت فى لغة الاربين
قبل انسلاخهم من القبيل العربى الذى يمتون اليه .

نظن تطوير للمعنى الاصلى الذى كان يقصد به ذفن
الميت ، لان مادة كن وكنز وجزن تعنى كلها
الستر والاختفاء كما قلنا . اما صلاة الكاهن على
الميت فتطوير آخر نصراني للمعنى .

الخاتمة (رنة السلافة) :

ما بقى على المائدة من الطعام : ار : (حوتومو
houtomo) . خاتمة ، نهاية .

ائل حتم هو حث الشيء : حكه وازاله . ومنها
نحت . فاصل معنى الحتم هو الحث والاصل الاقدم
هو القطع . ومن الحتم نشأ الحطم بدليل قولهم
« تحتم الزجاج بعضه على بعض » : تكسر ، اى
تحطم . وقد سميت فضلات الطعام على المائدة حتامة
لانها افلاذ وكسر ، ولذلك سموها الفتات ايضا . اما
(حوتومو) الاربية التى تعنى الخاتمة والنهاية فائلها
العربى ختم ، وهذه من خت . واصل معنى ختم هو
كسر الطين الذى تسد به الجرة ، ثم انتقل المعنى
الى الطين الذى تختم به الرسالة الذى صار السراة
يخلطونه بالمسك ف قيل « مسك الختام » ، ولما كان
ختم الرسالة ياتى بعد الانتهاء من كتابتها صار الختام
يعنى النهاية وصار الخاتم والختم آلة طبع الاسم او
السمة على مادة الختم طينا او شمعا او غيرهما . اى
ان الختم كان اولاً يعنى كسر الطين ثم صار يعنى
ابيات الطين وطبعه ..

حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التأخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا
بمنسوان :

((اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا)) ، والمقال يتضمن مجموعة من
الآراء في الموضوع لعند من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكتور
السادة : عبد اللطيف البديري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن
فهيم جمعة ، والإستاذة السادة : كوكيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ،
وجرجيس فتح الله مدير تحرير التأخي .

والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون
الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى
عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة وإذا كتبوا كانت
لفتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما
مرد ذلك ؟

لعل للغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب
افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في
وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل
هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون
غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية
والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات
التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف
حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت - في ما لجأت اليه - الى «استمارة»
كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات اخرى لا سيما
من اليونانية واللاتينية وأدخلتها في صلب المصطلحات

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

إذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن
الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية
فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي إذ
ان اكثر الاختصاصات كالتطب والهندسة والتكنولوجيا
تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأى
ما أو فكرة كتابة وفي اللغة العربية يموزه الكثير من
المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمنا العلمية
الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهناك تباين
شاسع أو واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر .
وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع
الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة
أو المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع
على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في
العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع
مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة اخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي
الاختصاص في العلوم ، كالتطب والهندسة والفيزياء

التي تعد اليوم انكليزية بحثة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستمارة غيرا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستمارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احراانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التمريب » هو العباد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العود اليه ، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اثنا نشر في كتب التراث القديم ، على الالفاظ الاصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا كيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفرايبي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوارزمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نم كيف تسنى لهم ان يغموا تلك التصانيف النفيسة في بابها ويعبروا فيها عن الحقائق العلمية بمبارة سليمة قوية ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فنقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والدأب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » لبيئنا نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الشمار .

وبعد هذا التحليل القيم عن دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاساتذ احمد زكي ان ينشروا عدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترتضيها قواعد اللغة .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لنضع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة فلم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوها وانشاء؟ فابن ذهب تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، ففي ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب بأسلوب يمتوره ضعف ؟ ولماذا يخطئه في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بمد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستمرار على العناية بلفظه لتتركها وشأنها انصرانا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعلمه من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موافقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم الشخص بالتقضية العلمية نفسها . وبما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يتقنى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية - القوة اللفظية والاسلوبية - التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستسافة . والذي اهرقه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير - مما يجعلنا نقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير ربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية - ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التأليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (او اكثر) : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يمشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارئ العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

لا يستطيع التعبير عن أفكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

وأول هذه الأسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة وأسسها وحسب علمي أن وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو أن تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الإغراب يكون بلغة أجنبية في العراق إذ لا زلنا نعتد على المراجع العلمية الأجنبية ولمدم توفر هذه باللغة العربية أخذنا بطريقة التدريس بلغة أجنبية .

والسبب الثالث هو أن لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الإذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سجد أن اللغة العامية تتقرب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التأليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب أن يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من أعضاء الهيئة التدريسية .

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي . كيف نعالج هاتين المحتنتين ؟ لا بد من العودة بذلك إلى الجامعة وما تيسره من فرص للتأليف وما تخلقه من حب حقيقي للمعلم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . وتحتاج إلى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها إشارة سريعة . في عجالة كهذه .

ولا ننكر أن الصعوبة التي يحسها المختصون في العلوم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شأنها . وقد اتضحت لي أنا شخصا - يقول الاستاذ جرجيس فتح الله - هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب - تراث الإسلام - المعروف إلى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبمدها أخذت أكتب وأترجم إلى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وقرائها . فقد أدركت من الوهلة الأولى سبب وقوف - لجنة النشر للجامعيين - المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الأول إلى العربية فاخفت في منتصف الطريق ، أي عندما اصطدمت بآبواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتعريف الخ ...

وزيادة في الإيضاح يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في العلوم كالأطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى أن البعض منهم

العوامل الطارئة على اللفنة دراسة لقضايا اللفنة وتصحيح والتوليد العربي... في ضوء علم اللفنة الحديث الدكتور محمد سعيد : كلية دارالعلوم جامعة القاهرة

فقال : اوليس بظريف ابن اخي يتكلم بالفارسية ،
فلن معاوية ان الكلام بالفارسية لحن « ومن ذلك
البيت المشهور للفزاري

منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها ايضا « التورية » باستخدام معنى
قريب وارادة معنى بعيد ، وعلى ذلك الف ابن دريد
كتابه « الملاحن » قاصدا به استخدام الكلمات وارادة
معان اخرى لا تخطر لأول وهلة على الدهن عند سماع
الكلمة ، وفي مجال المعنى ايضا اطلقت على الخطأ في
المعاني ، وذلك باستعمال الكلمة او التركيب كله على
غير وجهه الذي قرره له العلماء ، وقد الف المفضل
ابن سلمه كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه الغامة » من
هذا النوع من الخطأ في المعاني ، وجاء في مقدمته
قوله : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة
في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون

لكتابة هذا البحث حول معنى اللحن في الكلام
العربي وتطور استعماله ومقاومته ينبغي - كما هو
واضح في عنوانها - تناول الامور الآتية :

1 - معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع
تقديم نماذج لها .

2 - بيان تطور استعماله في الكلام العربي
باختصار .

3 - حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في
جهود العلماء لتنقية اللحن .

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن »
وتمدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويذكر في هذا
الصدد ان من معانيها « الفطنة والذكاء » استنادا الى
قول الرسول (لعل احدكم ان يكون الحن بحجته من
بعض) او التطرف في الحديث بخلطه بالكلام الاجنبي
او الكلام المتعمد فيه الخطأ كما روى ابن دريد انه
« قيل لمعاوية : ان عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ،

معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فيبناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره .

فهذه المعاني وغيرها تندرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت فى تصور متفاوتة خاضعة فى ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات فى كل اللغات او استعملت بمعان متعددة فى عصر واحد بعد ان تجمعت حول الكلمة ، والذي يبين احد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذى وردت فيه .

ولا علينا من ذلك كله ، فان اللحن الذى تقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح من مجرى الصحة فى بنية الكلام او تركيبه او امرابه بفعل الاستعمال الذى يشيع اولا بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك الى لغة الخاصة » واللحن بهذه الصفات امر طاريء على اللغة الفصحى ، اذ ان المفترض فى نطق العرب لها اولا هو الصحة والسلامة امتدادا على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الاصل ، فما حاد عن هذا الاصل الفطري المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نطقه حينئذ بانه « لحن » وغالبا ما يضاف « اللحن » الى « العوام » او « العامة » تنبيها على الاصل الذى جاء منه الخطأ فى الاستعمال .

— قال ابن دريد : فاما اللحن فى العربية ، لانك اذا قات (ضرب عبد الله زيد) لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب ، فكانك قد عدلته عن وجهه ، فاذا امرت عن معنالك فهم (1) عنك .

— سمع ابو عمرو بن العلاء ان ابا حنيفة يبطل القود الا ما كان قتلا بحديد ، فقال له ابو عمرو: ارايت ان ضربه بكذا ، ارايت ان ضربه بكذا ، قال لو ضربه بابو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال ابو عمرو: هذا كلام شنع ، قال : وما الشنع ؟ قال : ولا تعرف الشنع ايضا !! (2)

— روى الزجاجي : كان سيبويه مستمليا لحمام بن سلمة — وكان حماد فصيحاً — فاستملاه يوما قول رسول الله (ص) : ليس من اصحابي احد الا ولو شئت اخذت عليه ليس ابا الدرداء ، فقال سيبويه (ليس ابو الدرداء) فصاح به حماد : لعنت

يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت وانما هو استثناء ، فقال سيبويه : لا جرم والله لاطلبن علما لا تنحني معي ، فمضى ، ولزم مجلس الاخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين (3) .

— قال ابن الجوزي : واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمنون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون المدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون فى الكلمة ، وتارة ينتقصون منها ، وتارة يضعونها فى غير موضعها ، الى غير ذلك من الاقسام (4) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التى يوصف الكلام من اجلها « باللحن والخطأ » فابن دريد يرى الاخلال بالامراب فى مثل (ضرب عبد الله زيد) لحن فى العربية ، وهذا حق ويفسره بالمدول عن الوجه فيه من نصب (زيد) فى العبارة السابقة ، وهذا حق ايضا لكنه يتوسع فى فهم المدول عن الوجه فى الكلام بما يشمل الدلالة ايضا « لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب فاذا امرته فهم منك » وهذه وجهة لفهم اللحن فى المعنى ، ويصادفها المرء كثيرا فى الكتب التى تناولته بالدراسة ، وان لم تصل الى الفهم الشائع منه من الخطأ فى الاعراب .

وابو عمرو بن العلاء يصف نطق ابي حنيفة (ضربه بابو قبيس) بانه « كلام شنع » مستخدما صيغة المبالغة فى وصف الخطأ الامرابي فى الكلام الذى هو « اللحن » وهو ما ذكره صراحة حماد ابن سلمة لسيبويه حين اخطأ فى مثل ما اخطأ فيه ابو حنيفة من قوله (ليس ابو الدرداء) ، اذ صاح به حماد (لعنت يا سيبويه) فمن ذلك يتضح ان اللحن يطلق على الخطأ فى الاعراب اذا حدث فى اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثرا بما شاع بين العوام وفى الكلام الدارج ، كما انه يشمل ايضا ما عدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم الخ . . وهذا فى معظمه يتعلق ببنية الكلمات ، وقد سماه « غلط العامة » ايضا .

(1) الملاحن ص 6 .

(2) مجالس العلماء ص 110 .

(3) السابق ص 154 .

(4) تقويم اللسان ورقة 2/ .

3 - ومن ذلك (الحشمة) يضمها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال : ان ذلك لما يحشم بني فلان ، اي يغضبهم (3) .

4 - ويقولون (بكرت اليك) بمعنى هدوت خاصة ، وقال ابو بكر (ابن دريد) البكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار ، يقال : انا ابكر اليك العشية ، وانشد ابو زيد لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وهن في الندي
بسل عليك ملامتي ومقابلي

يقال : بعد وهن ، يعني حيناً من الليل (4)

5 - قولهم للثوب (وشاح) قال محمد (الزبيدي) والشواح نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما ، ويعطف احدهما على الآخر ، وتتوشح به المرأة على كشحها (5) .

6 - ويقولون (ذو نفع ضر) فيضمون ، قال محمد (الزبيدي) والصواب (ضر) بالفتح ، واما (للضر) فهو السقم ، قال الله عز وجل : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (6) .

7 - ومن ذلك (الاستحمام) يكون عندهم بالماء الحار والبارد ، وليس كذلك ، انما الاستحمام بالماء الحار خاصة (7) .

8 - قول المتكلمين (هذه المحسوسات) خطأ ، والصواب (المحسات) لانه يقال : احسست الشيء بمعنى ادركته ، فاما المحسوس فهو المقتول ، ممن حسه اذا قتله (8) .

9 - وتقول (استخفيت من فلان) والعامية تقول (اختفيت منه) وانما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش (مخف) (9) .

10 - وتقول (اصبح القوم) اذا صاحوا وجلبوا ، والعامية تقول (ضجوا) وانما يقال (ضجوا) اذا جزموا (10) .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وتارة يضمون الكلمات في غير مواضعها » وانهم من ذلك ما يشمل تاليف الكلام العربي ووصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامهما على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الاخير جانب اطلق العلماء عليه ايضاً انه « لحن وخطا » وان لم يكن من الكثرة والشهرة ما للاخلال بالاهراب او بنية الكلمات .

فقد اندرج تحت ما اطلق عليه « اللحن » امور ثلاث ، اقلها شهرة واهتماماً الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ او التركيب في غير ما هو له من المعنى ، واعظمها شهرة وكثرة واهتماماً من علمائنا الخطأ في بنية الالفاظ او الاهراب ، وساقدم هنا امثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ، فان مؤلفات اللحن وحدها - فيما استقرانه - بلغت اكثر من اربعين مؤلفاً ، تحوي مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة ، وسياتي عرض ذلك فيما بعد .

اولاً : من نماذج الخطأ في المعاني :

1 - مما تضمنه العامة في غير موضعه قولهم (خرجنا نتنزه) اذا خرجوا الى البساتين وانما (التنزه) التباعد عن المياه والارياض ، ومنه قيل : فلان يتنزه من الاقدار ، اي يتباعد منها ومنه قول الهدلي :

اقب طريد تنزه الفلاة لا يرد الماء الا اثيابا (1)

2 - ومن ذلك (الطرب) يذهب الناس الى انه في الفرح دون الجرع ، وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجرع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

واراني طرباً نسي الرهم

طرب الواله او كالمختبل (2)

(1) اصلاح المنطق ص 287 .

(2) 3 - 2) أدب الكاتب ص 18 - 19 .

(3) 4 - 5 - 6) انظر لحن العوام ص 137 - 206 - 244 .

(7) لحن العوام ص 256 .

(8) ذيل الفصيح ص 102 .

(9) 10) رسالة في اغلاط العوام ورقة 101 .

يخلط فيه العامة ، والعرب تقول (دخل في خماس الناس) أي فيما يواريه ويستره منهم حتى لا يبين (1)

2 - ويقولون (مقداف السفينة) قال محمد (الزبيدي) والصواب (المجداف) ومنه جدف الطائر بجناحيه يجدف جدوفا ، اذا كان مقصوفا ، فرأيته كأنه يرد جناحيه الى خلفه ويدارك الضرب (2) .

وواضح ان الخطأ في هذين المثالين سببه التطور الصوتي ، لقرب المخرج بين كل من الخاء والغين في (خماس وغمار) وكذلك بين كل من الجيم والقاف في (مجداف ومقداف) وربما نطقت الجيم اولا (ج) ثم تطورت الى القاف .

3 - قال الجاحظ : كان هند عمر بن عبد العزيز رجلا ، فجعلنا يلحنان ، فقال الحاجب (قوما فقد اوديتما امير المؤمنين) قال عمر : انت آذى لي منهما (3) .

4 - قال ابو عمرو : يقال : انزلت له زلة ولا يقال (زلت) وقد افلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلق) وقد افلقته فهو مقفل ولا يقال (مقفل) (4) .

5 - ويقولون (هبت الارياح) مقياسة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب ان يقال (هبت الارواح) كما قال ذو الرمة :

اذا هبت الارواح من نحو جانب
به اهل مي هاج قلبي هبوبها

والعلة في ذلك ان اصل (ربح) (روح) لاشتقاقها من (الروح) وانما ابدلت الواو ياء في (ربح ورياح) للكسرة التي قبلها ، فاذا جمعت على (ارواح) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العنة (5) .

6 - ويقولون للمطهرة (مبيضة) وبعضهم يقول (مبيضاء) والصواب (مبيضة) بالهمزة ، والجمع (مواضيء) (6) .

ويكفي هذه الامثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ في المعنى ، او ما وصف بأنه « لحن العوام » والملاحظ على هذه الامثلة - وشبهها كثير - ان الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال في فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ في الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التي قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست احجارا جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرا عليها التفسير في معانيها ، والتطور في دلالاتها بحسب العرف القوي السدي يستخدمها ، ومن المفيد ان نلاحظ ايضا ان معاني هذه الكلمات العشر التي حكم عليها بالخطأ ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر - وانه لا يخطر ببال احد استعمالها بالعرف الذي رأى العلماء انه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذي يفهم من (خرجنا ننزوه) التبعاد عن المياه والارياض ، ومن (الطرب) الحزن والسرور معا ، ومن (الحشمة) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن (البكور) التعجل عامة ، ومن (الوشاح) نظمان من اولاد لا الشوب ؟؟ ومن الذي يستخدم (الضر) بالفتح في مقابل النفع، ويتترك (الضر) بالضم ويفهم من (الاستحمام) انه للماء الحار خاصة ، ومن (لاختفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح ان تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التعميد والتحديد ولم يأخذ في اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراستهم في واد والاستعمال في واد آخر ، ولست مغالبا ان قلت : ان هذه الجهود كلها افادت من حيث الدراسة في ذاتها ، لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ، ولذلك لم تغد كثيرا في تعديل ما اطلق عليه (اللحن) في عصرهم او بعد عصرهم .

ثانيا : من نماذج الخطأ في بنية الكلمات :

1 - قولهم (دخل في غمار الناس) هذا مما

- (1) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص 246 .
- (2) لحن العوام ص 69 .
- (3) البيان والتبيين ج 3 ص 24 .
- (4) اصلاح المنطق ص 227 .
- (5 - 6) لحن العوام ص 169 - 174 .

7 - ويقولون (يوم مهول) ، والصواب (يوم هائل) و (امر هائل) يقال : هالني الشيء يهولني هولاً ، فهو هائل (1) .

8 - يقولون (استهتر الرجل فهو مستهتر) (بالكسر) والصواب (استهتر فهو مستهتر) (بالفتح) وهو الذي يخلط في اقواله وافعاله ، حتى كأنه بلا عقل (2) .

9 - وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة ومنحفة وملة ومذبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقية ومبسررد ومطررد ومبضع ومنديل والمساح - موضع بطريق مكة - والرنج - النجم - كله بكسر الميم والعامة تفتحها (3) .

10 - ويقولون في جمع بيضاء وصفراء وسوداء ، ييضاوات وصفراوات وسوداوات ، وهو لحن فاحش ، لان العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث افعال بالالف والتاء ، بل جمعتها على (فعل) نحو بيض وصفر وسود ، كما جاء في القرآن (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) وفي قول امرئ القيس :

وتحسب سامي لا تزال تسرى طلا

من الوحش او بيضا بميثاء محلال (4)

فالنماذج العشر السابقة - ومثلها كثير - تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك ان الحكم عليها « باللحن والخطا » جاء في ضوء القواعد الصرفية لبعضها يتعلق باختلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان آخر في (شمار وخمار) و (مقدار ومجداف) او باجراء الاعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الاعلال والابدال كما في (ازلتت وزلت) او صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكميتها مثل (مفلق ومفلوق - مقفل ومقفول مهول وهائل - مروحة ومروحة .. الخ) . او في الهمز والتسهيل كما في (ميضاه وميضاة) او بناء الفعل للمماوم والمجهول حسبما ورد من العرب وقررت كتب الصرف كما في (استهتر واستهتر واستضحك

واستضحك) او في صيغة الجمع للمفرد كما في (ييضاوات وييض) . فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادئ محددة ، وفي ضوء هذه المبادئ غالباً نظروا الى طريقة استعمال اللغة على مدى العصور ، فكل ما وجدوه مخالفاً لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه الى العوام .

ومن المفيد ان يعرف ان هذا النوع من الخطا قد حظي بعناية العلماء من ائمة فائقة في « كتب لحن العامة » مما لم ينل مثله المظهران الاخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني او التركيب والاعراب ، ولعل ذلك يرجع الى الاعتقاد بان هذا المظهر من اللحن اشد خطورة على اللغة من المظهرين الاخرين لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالإضافة الى ما اطمانوا اليه من ضخامة الجهود النحوية التي تقى من « اللحن » في الاعراب بالنسبة للجهود في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثاً : من نماذج الخطا في التركيب والاعراب :

1 - تقول (شكرت لك ونصحت لك) ولا يقال (شكرتك ونصحتك) وقد نصح لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) (5) .

2 - قال الاخفش : اخبرني المبرد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي هشرونان ثنتان

فقلت له : ايها الامير ، هذا لحن ، لان امراباً

لا يدخل على امراب (6) .

3 - من اللحن قولهم (العوام) فيه تبارك وتعالى (هذه صفة ذاته ، وهو مبين بالذات) قال محمد (الزبيدي) ولا يجوز ان يلحق الالف واللام (ذو ولا ذات) في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات ، وانما تقع ابداً مضافة الى

(2،1) لحن لعوام ص 253 - 255 .

(3) تقويم اللسان ورقة 25 .

(4) تصحيح التصحيف وتحريير التحريف ورقة - 104 .

(5) ما تلحن فيه العوام ص 25 .

(6) الوشح ص 357 .

9 - (عند) لا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن ،
وتقول العامة (ذهب الى عنده) لحن (7) .

10 - وتقول (ما رايت من امس ومن ايام) وهو
غلط ، لان (من) تخص المكان ومد ومد يختصان
الزمان (8) .

وبلاحظ على الامثلة العشرة السابقة ان الكثير
منها يتعلق بتأليف التركيب العربي ، والامر الذي
استقر عليه هذا التأليف بين النحاة ، وما جاء مخالفا
للطرائق المنظمة لذلك ، ينبغي ان يدخل دائرة «اللحن
والخطا» كما هو واضح تماما في (ادخل باللس
السجن) و (شكرت لك ونصحت لك) و (لا افعل
هذا قط) والصحيح فيه (ما فعلت هذا قط) وكذلك
(لا غير) والقواعد تقضي بان التعبير الصحيح هو
(ليس غير) - كما ان بعض الاخطاء تعود - في نظر
النحاة - الى استخدام الادوات بطريقة غير ما استقر
عليه الامر - وبخاصة حروف الجر - كما في (ذهب
الى عنده) وصحتها (جئت عنده) و (جئت من عنده)
وكذلك (ما رايت من امس) وتقضي القواعد استخدام
(منذ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك
الى الشكل الاعرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ،
كما في (مشرونان) اذ قال المبرد منبها على الخطا
فيها « ايها الامير ، هذا لحن ، لان اعرابا لا يدخل على
اعراب » وكذلك قول ابي حنيفة (يدخل الجنة قوم
حفاة مراة منتنين) حيث صححها له ابو زيد الانصاري
بقوله (منتنون) تشبيها على الخطا الاعرابي في
الصفة .

وطريقة تأليف الكلام واستخدام الادوات
النحوية والاعراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو
مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغوي
واسراره .

والذي افهمه ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية
في دراسة « لحن العامة » هو ايراد لما حدث في
« اللغة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة

الظاهر ، - الا ترى انك لا تقول (اللو ولا الدوان ولا
الدون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما
ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاته ولا
بذاتك) وقد غلط في ذلك اهل الكلام واكثر المحدثين
من الشعراء والكتاب والفقهاء (1) .

4 - قال ابو زيد الانصاري : لقيت ابا حنيفة ،
فحدثني بحديث فيه (يدخل الجنة قوم حفاة مراة
منتنين قد احمشتهم النار) فقلت له : انما هو
(منتنون قد محمشتهم النار) فقال : ممن انت؟؟ فقلت:
من اهل البصرة ، فقال : اكل اصحابك مثلك؟؟ قلت:
بل انا اخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم
يكون مثلك اخسهم حظا (2) .

5 - ويقولون (ادخل باللس السجن) والصواب
ان يقولوا (ادخل اللس السجن) لان الفعل تارة
يعدى بهمزة النقل كقولك (خرج واخرجه) وتارة
بالياء ، كقولك (خرج وخرجت به) فاما الجمع بينهما
فممتنع (3) .

6 - العامة تقول (فعل الغير ذلك) فيدخلون
على (غير) اداة التعريف ، والمحققون من النحويين
يمنعون من ادخال الالف واللام عليه ، لان المقصود
بدخول آلة التعريف على النكرة ان تخصصه لعينه ،
فاذا قيل (الغير) اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى
كثرة (4) .

7 - والعامة تقول (لا افعل هذا قط) في
المستقبل (ولا افعله ابدا) وهو غلط ، والصواب ان
تقوله في الماضي (ما فعلت هذا قط) اي فيما انقطع
من عمري (5) .

8 - (غير) اسم ملازم للاضافة في المعنى ،
ويجوز ان يقطع عنها لفظا ، ان فهم المعنى وتقدمت
عليها كلمة (ليس) ، وقولهم (لا غير) لحن ، ويقال
(قبضت عشرة ليس غيرها) (6) .

(1) لحن العوام ص 12 .

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 38 .

(3) - 4 تصحيح التصحيف وتحريف التحريف ورقة 59 - 240 .

(5) تصحيح التصحيف وتحريف التحريف ورقة 254 .

(6) المفنى ج 1 ص 157 .

(7) المفنى ج 1 ص 651 .

(8) رسالة في اغلاط العوام ورقة 122 .

اللحن على أن النحاة انفسهم قد خطاوا فيما بعد قول
النافذة الديباني :

نبت كاني ساورتنى ضئيلة
من الرقش في انيابها السم نافع

وقالوا : كان حقه ان يقول (ناعما) لا (نافع)
فان النكرة لا تصف المعرفة .

وعلى كل حال فان كلمة «اللحن» قد تردت بين
العرب مع ظهور الاسلام فيما نقل عن عهد المبكر ، اذ
نقل ان الرسول (ص) قال : انا من قريش ، ونشأت
من بني سعد فاني لي اللحن ، ونقل عن الصديق (ص)
نوله : لان اقرا فاسقط احب الي من ان اقرا فالحن .
وكان قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق
ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وجاء فيه
« من ابو موسى الاشعري » وما رد عليه عمر من قوله:
اضرب كاتبك سوطا واحدا واجز عطاه سنة (2) .

فان هذه الروايات المتناثرة - ان صححت - تدل
على معرفة اللحن في ذلك العصر وفيما قبل ذلك
العصر الاسلامي المبكر ، اذ ان استخدام اللفظة في
ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينذاك قد
سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم ، وفي
ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك في الجاهلية
وان لم ينقل ذلك وتنقل مظاهره .

وحين تاخر الزمن قليلا - في عهد الامويين في
القرن الاول الهجري - اصبح اللحن قضية ذات
خطر في استعمال اللغة ، وهذا طبيعي اذ اتسعت
الدولة الاسلامية ، وكثرت دواعي الاختلاط بالاجانب
من الحرب والجوار والخدمة والمعايشة ، وجاءت من
ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحن بين
الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب
نفسه استحقت الرواية والتناقل ، ولنا ان تخيل
الاطعنا الكثيرة مما لم ينقله احد او يعني به ، لانه كان
يحدث بين الناس العاديين من جمهرة العرب
والمسلمين ، واكبر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته انه
كان سببا في بداية النحو العربي حول النصف الاول
من القرن الاول الهجري على اختلاف الرواة فيمن
تنسب اليه تلك النشأة .

في مجالات المواقف الجادة من القول بين العلماء
والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبول ما رآه بعض
الدارسين من ان « المصوام » الذين اضيف اليهم
« اللحن » في كتب « لحن المصوام » هم مصوام
العلماء والخاصة ، فهو رأي يقبل من هذه الاخطاء
القليلة التي تتعلق بالتركيب والاصراب اما ليس
ذلك من مظاهر اللحن المتعلقة بالمعاني او بنية الكلمات،
وكذلك في هذا المظهر في اضافته الى العامة من
الناس العاديين ، فالغلب ظني ان كل ذلك كان شائعا
الى حد الكثرة ، وانه لم يكده القرن الثاني ينقضي
حتى تنوحت العاميات وكثرت الاخطاء بين الناس
العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدأ اللحن في الكلام العربي وكيف
تطور ؟

لا يستطيع الوصول الى حقيقة حاسمة من هذه
الظاهرة في العصر الجاهلي - شأنها في ذلك شأن
كثير من ظواهر اللغة والادب من هذا العصر - فان
كثيرا من شؤون الجاهلية تكاد تكون مطموسة
تماما ، او على الاقل غير مؤكدة ، اذ تعتمد على الظن
الغالب لا الادلة المتينة ، والغالب ان اللغة العربية في
العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلف
فيما بينها باختلاف القبائل وعرف كل قبيلة في
لهجتها ، وان اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم
بين الجميع حدث فيها احيانا اللحن والخطا ، ولو صح
ان الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن الى
العصر الجاهلي ، لجاتنا كتب في «لحن العامة» من
هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما
تلاه حين نضجت الدراسة وتنوحت ، وكان اللحن احد
المظاهر التي اهتمت بها . وقد روى ان طرفة بن العبد
قال وهو صغير :

يا لك من قبرة بمممر
خلا لك الجو فيبيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري
قد رفع الفخ فماذا تحلدري

لا بد يوما ان تصادي فاصبري (1)

فما هو الوصف الذي كان من المتوقع ان يطلقه
النحاة على عبارة (ماذا تحلدري) غير الضرورة او

(1) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج 3 ص 110 .
(2) انظر : مراتب النحويين ص 5 - 6 .

والمنف مع من يلحن في كلامه كما هو واضح في ذلك
الإنكار والردع من الحجاج لهند بنت أسماء - كما
تدل في الجانب المقابل على أن «الخلو من اللحن»
يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه
الفخر والثناء ، كما هو واضح من أسلوب الإعجاب
الذي يقرر به الاصمعي هذه الحقيقة عن الشمبي
وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روي من « مواقف اللحن » في القرن الاول
الهجري قد لابسه العار والاحتقار او الإنكار والردع ،
او استحقاق من يعري عنه الفخر وحسن الذكر مما
يفهم منه أن اللحن كان يمثل في ذلك الوقت أمرا
جديدا خطيرا ، او بعبارة أدق : أن شيوعه بين
الناس كان ظاهرة جديدة خطيرة يستحق من يبرأ منها
الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر
والنكران .

فإذا ما تأخر الزمن الى القرن الثاني الهجري -
وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - أصبح ما كان
احساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا ، وما كان
مواقف متناثرة تذكر فتنكر أمرا شائعا بين الناس من
غير تكيز ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع ، ففي
رواية اللغة رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن
الحضر بعد أن شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللغة - في
نظرهم - أهلا للنقل والاحتجاج ، وفي الدراسة
اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه
الفترة بكتاب الكسائي الذي لا يزال موجودا بين
أيدينا لأن من « ما تلحن فيه العامة »

* قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر احدكم لو
تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر احدكم أن
يكون لسانه كلسان عبده أو أمته (4) !! .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم
بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا أمير
المؤمنين انه قد لحن . فقال الرشيد للفراء : اتلحن
يا يحيى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إن طباع أهل
البدو الأعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا
حفظت أو كتبت لم اللحن ، وإذا رجعت الى الطبع
لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه (5) .

* كان لخالد بن يزيد بن معاوية أخ ، فجاهه
يوما فقال : إن الوليد بن عبد الملك يعيبني
ويحتقري ، فدخل خالد على عبد الملك - والوليد
منده - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد قد
احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره - وعبد الملك
مطرق - فرفع رأسه وقال : (إن الملوك إذا دخلوا
قرية افسدوها - الآية) فقال خالد (وإذا أردنا أن
نهلك قرية - الآية) فقال عبد الملك : أفي عبد الله
تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحننا !! فقال
خالد : أفعلى الوليد تمول !! فقال عبد الملك : إن كان
الوليد يالحن ، فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن
كان عبد الله يلحن ، فإن أخاه خالد - في كلام كثير
طويل (1) .

* تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة ،
فلحنت وهي عند الحجاج ، فقال لها : اتلحنين وانت
شريفة في بيت قيس !! فقالت : أما سمعت قول أخي
مالك لامرأته الانصارية ؟ قال : ما هو ؟ قالت :
منطق صائب وتلحن أحيانا

وخير الحديث ما كان لحننا
فقال لها الحجاج : إنما مني أخوك اللحن في
القول - إذا كنى الحديث مما يريد - ولم يعن اللحن
في العربية فأصلحي لسانك (2) .

* وروي عن الاصمعي قوله : أربعة لم يلحنوا
في جد ولا هزل ، الشمبي وعبد الملك بن مروان
والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج
افصحهم (3) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث أنها جاءت
من شخصيات لها تميزها في العصر الأموي سواء من
حدثت منه أو من حدثت في حضرته أو من قبلت
منه ، ويعود هذا التميز الى أنهم من اصحاب الحكم
او من أهل العلم في العصر الأموي ، فكيف كان
الأمر بين العوام من الناس ؟ ومع ذلك فإنها تدل على
العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في
حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحظة الحادة بين
خالد بن يزيد وعبد الملك من عبد الله بن يزيد
والوليد ابن عبد الملك كما أن فيها دلالة على التشدد

(1) صبح الامشى ج 1 ص 168 .

(2) أمالي المرتضى - القسم الاول ص 15 .

(3) أمالي الزجاجي ص 20 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 168 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

على طرق السابطة ، وبقرّب مجامع الاسواق (2) «
 وإذا كان اللحن قد امتد الى هؤلاء الاعراب والعلماء
 المتقمرين في نطق اللغة ، فلنا ان تصور ما كان بين
 عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع او بالصنعة .
 اما في القرن الرابع الهجري - الذي انهى في
 آخره الاستشهاد - فقد وصل الامر الى مده ، وطفى
 اللحن على الخاصة والعامة وعلى اصحاب الطبع في
 البادية واصحاب الصنعة في الحضر .

* يقول الامدي : والمتأخرون لا يكادون
 يسلّمون من اللحن ، وهذا في اشعارهم كثير جدا (3) .
 * ويقول ابو جعفر النحاس : وقد صار اكثر
 الناس يظن على متعلمي العربية جهلا وتمديا حتى
 انهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال :
 النحو اوله شغل ، وآخره بني (4) .

والامدي وابو جعفر النحاس من علماء القرن
 الرابع الهجري الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد
 باللغة الذي كان من اهم عوامله شيوع اللحن بين
 الناس حتى الشعراء انفسهم ، واصبح اللحن لا
 يكاد احد من المتأخرين يسلّم منه - كما يقول الامدي
 من معاصريه - وصار اكثر الناس يظن على متعلمي
 العربية جهلا وتمديا - كما يقول النحاس - ومن قبل
 كان تعلم العربية من الامور التي يتوأسى بها الناس ،
 ويحضر عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الامر ،
 فاصبح تعلم العربية من طريق الصنعة النحوية موضع
 سخرية الناس « والنحو اوله شغل وآخره بني » -
 تماما كما كنا نعيش اليوم في عصرنا الحاضر .

وليس من المفيد كثيرا ان نتابع تطور « قضية
 اللحن » بمد عصر الاستشهاد ، فقد اصبح « اللحن »
 هو القاعدة بين الناس في حياتهم العامة ، وتسرب
 الى التأليف العلمي نفسه ، كما هو واضح في بعض
 موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده -
 وستاتي نماذج من ذلك - حتى قال احد المتأخرين
 « ان اللحن قد فشا في الناس والالسنة قد تغيرت ،
 حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام
 الفصيح عيبا (5) » .

لماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

* وكان الرشيد مما يعجبه فناء الملاحين في
 الزلازل اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ،
 فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء
 شعرا يفنون فيه ، فوجه الى ابي العتاهية - وهو
 سجين - فصنع لهم « زهديته » التي ابكت الرشيد
 حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح

لتموتن وان عمرت ما عمر نوح (1)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة قصدا عن
 « عهد الرشيد » الذي عاصر الفترة الاخيرة من
 القرن الثاني ، وهي تدل على الامور الآتية :
 ان اجادة الفصحى اصبحت صناعة يحث
 الرشيد ابتداء على الاخذ منها بما يصلح النسان كيلا
 يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد والاماء في اللحن
 والخطا .

وان العلماء انفسهم كانوا يلحنون في حياتهم
 العادية ، ولم يروا ذلك عيبا يفض من شأنهم ، وقد
 اعترف بذلك الفراء قائلا « اذا حفظت او كتبت لم
 اللحن ، واذا رجعت الى الطبع ، لحننت » ونال هذا
 الاعتراف استحسان الرشيد ، لانه الحقيقة .

وان العامة كانوا اشد من ذلك لحننا ، ويمثلهم
 هؤلاء الملاحون في الزلازل الذين يفنون على مقتضى
 طبيعتهم ، فيعجب فناءهم الرشيد لكنه يتأذى بفساد
 كلامهم ولحنهم ، فمنع من نفسه التأذي بتقديم الكلام
 الفصيح لهم لكن من السلي يمنع ذلك منهم او من
 غيرهم حين يفنون او يتكلمون في غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعه ،
 واطرد نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث اقل حظا
 في الفصاحة من القرن الثاني ، وفي الجانب المقابل
 عظم اللحن اكثر من ذي قبل .

وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة من « اللحن في
 القرن الثالث » في كتابه البيان والتبيين مما سمعه
 ووصفه ، وعابه على من يتكلمون الفصاحة من علماء
 اللغة والاعراب ، فقال : « ان اقبح اللحن لحن اصحاب
 التعمير والتعميب والتشديق والتعطيط والجهورية
 والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاماريب النازلين

(1) انظر : الالهاني ج 3 ص 171 .

(2) البيان والتبيين ج 1 ص 146

(3) الموازنة ج 1 ص 416 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 171 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها - مما عرفته على قدر جهدي - يوضح ذلك :

لقد نظر علماء اللغة اليه من زاوية « الخطأ » فقاوموه بمنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم معه ، بل أن العكس هو الصحيح ، إذ انتصر اللحن بقلبة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور باستمرار .

الإشارة الى ما هو موجود	المؤلف وتاريخ وفاته	اسم الكتاب
مطبوع	(172) عني بن حمزة الكسائي	1 - ما يلحن فيه العوام
	(207) يحيى بن زياد الفراء	2 - ما يلحن فيه العامة
	(210) لابي عبيدة معمر بن المثنى	3 - ما يلحن فيه العامة
	(231) لابن نصر احمد بن حاتم الباهلي	4 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	(244) لابي السكيت يعقوب بن اسحاق	5 - اصلاح المنطق
	(248) لابي عثمان المازني	6 - ما يلحن فيه العامة
	(250) لابي حاتم السجستاني	7 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	(276) لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة	8 - تقويم اللسان (ادب الكاتب)
	(290) لابي حنيفة احمد الدينوري	9 - لحن العامة
	(291) لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب	10 - ما يلحن فيه العامة
	(300) لابي الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي	11 - ما يلحن فيه العامة
	(377) هاشم بن احمد الحلبي	12 - اللحن الخفي
مطبوع	(380) لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي	13 - لحن العوام
	(395) لابي هلال العسكري	14 - لحن الخاصة
مطبوع	(501) عمر بن مكي الصقلي	15 - تثقيف اللسان
مطبوع	(516) لابي محمد القاسم بن علي الحريري	16 - درة الفواص
مطبوع	(539) لابي منصور الجواليقي	17 - تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة
مصور	(597) لابي الفرج عبد الرحمن الجوزي	18 - تقويم اللسان
مصور	(600) ابن هشام محمد بن احمد اللخمي	19 - لحن العامة
مصور	(727) محمد بن احمد بن جامع	20 - ناظر انسان عين الماني
	(733) لابن هاني محمد بن علي السبتي	21 - لحن العامة
مخطوط	(911) جلال الدين السيوطي	22 - غلطات العوام
مطبوع	(940) لابن كمال احمد بن سليمان	23 - التنبيه على غلط الجاهل والتنبه
مطبوع	(971) رضى الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي	24 - بحر العوام فيما اصاب فيه العوام
مصور	(1000) مصطفى بن محمد خسرو زاده	25 - غلطات العوام
مطبوع	(1307) محمد صديق بن حسن البخاري	26 - لف القماط لتصحيح ما استعملته العامة
مصور	() (مجهول)	27 - افلاط العوام والخواص
مصور	() (مجهول)	28 - سقطات العوام
مطبوع	(1322) حسن توفيق العدل	29 - اصول الكلمات العامية
مطبوع	() حسن علي البدرابي	30 - تهذيب العامي والحرف

ملاحظات على مقاومة العلماء اللحن :

1 - بنظرة واحدة الى الجدول السابق الذي امكنني معرفة مافيه من كتب لحن العوام - الموجود منها والمفقود - يتضح ان مقاومة العامة كان شديدا في القرن الثاني والثالث والرابع ثم بدأ يقل تدريجيا بمد ذلك ، ولهذا دلالة ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن في الفترة التي كانت اللغة موردا للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التي امتقدوا تقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة في الحضرة قياسا عليها .

2 - كان من المفترض ان تعتمد التنقية على استقراء لاستعمال اللغة التي يماصرها المؤلف والتي تستعمل بين الناس في عصره ، ولكن الذي حدث - فيما اطلمت عليه منها - لم يكن كذلك ، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقون غالبا ما اورده من سبقوهم في كتبهم وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة في « تقويم اللسان » على ابن السكيت في « اصلاح المنطق » واعتمد الزبيدي في « لحن العوام » على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر اسماءهم دون كتبهم - واعتمد ابن الجوزي في « تقويم اللسان » على كتب من سبقوه ، وذكر في مقدمة الكتاب انه جمع فيه ما رآه مبددا في كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما تم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر ، ونقل السيوطي كتاب ابن الجوزي بومته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان « غلطات العوام » .

3 - يلاحظ انه يقصد بالعوام والعامة فيما اطنمت عليه من تلك الكتب الناس العاديون بدليل النص احيانا على الخواص والخاصة ، ولكن الذي قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد ان أصبحت تستعمل في مستوى خاص ، وتسرب اليها « لحن العوام » فبقيت النسبة الى العوام ، وان كان المقصود بذلك ما حدث في اللغة الفصحى التي يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي (في مقدمة كتابه « لحن العوام » ص 8) « فهذا مما اسدته العامة عندنا ، فأحاولوا لفظه او وضعوه غير موضعه ، وتابهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنتها

الشعراء الثعالب ، واستعمله جلة الكتاب ومنية الخدمة في رسالهم ، ولتأقوا به في محافلهم ، فرأيت ان أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه » .

وعلى ذلك فانه لا معنى للتكلف بتوجيه معنى (العامة) الى «عامة العلماء» كما حاول ذلك بعض الدارسين في العصر الحديث .

4 - تمنيت ان اجد في احد هذه الكتب حديثا من « اللحن » فكرة وموضوعا ، لكن لم تتحقق لي تلك الامنية في احدها ، اذ يتجه الحديث فيها مباشرة - بمد مقدمة قصيرة - الى ايراد الكلمات وبيان خطئها او صحتها امتناذاً منى النقل في غالب الاحيان كما سبق ذلك .

5 - ومع نظرة الى هذه الجهود الطيبة المخلصة في الجدول السابق - والى غيرها مما لم امره - يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود في حل قضية اللحن ، وايقاف تياره المتدفق ؟

تسأل يتضح المقصود منه في الفقرة التالية ان شاء الله .

نظرة النحاة الى اللحن بين القواعد والاستعمال :

ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير لا يمر فيه ، فقد نظروا اليه من زاوية « الخطأ » واعتبروه انحرافا عن الطريقة الصحيحة التي ينبغي ان ياتي عليها النطق العربي السليم ، ولم يؤخذ في الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فان اللغة - شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها - تتطور باستمرار في معانيها وبنيتها وتراكيبها ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة والنظام الجميل ، لان اللغة نظامها الذي يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، وعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادره ، وملاحظته لا تجميده ، فان المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وان امكن ذلك بالنسبة لدراستها ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما اسماه « اللحن » من زاوية « الخطأ » كان سندها « القواعد الحادة » التي وضعوها والزموا انفسهم بها ، وان لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأيبده بالامور الثلاثة الآتية :

- 1 - جهود النحاة فى مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد .
- 2 - خضوع النحاة انفسهم لسطوة اللحن مع انهم حراس القواعد .
- 3 - التصاعد الذى قام - واستمر قائما - بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد ارتبطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التى رويت عن ذلك كلها تقر هذه الفكرة صراحة او تمثيلا بوصف صورة النطق الملعون فيه والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد، ويبدو ان هذه الصلة بين القواعد واللحن فى فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تقدم الزمن ونضج الدراسة ، وهى صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج من هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على ان تكون القواعد - من وجهة نظر النحاة - هي الحكم فى هذه المظاهر ، او بعبارة اخرى ان القواعد هي « الصواب » وان ما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو « الخطأ » .

* قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع ابو الاسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع والنصب والجزم (1) .

* وروى القفطى عن ابي الاسود قال : دخلت على امير المؤمنين علي - عليه السلام - فاخرج لي رقعة فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لعنى) قال : فقلت : ما دعائك الى هذا ؟ قال : رايت فسادا فى كلام بعض اهلي ، فاحببت ان ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطا ، فاخذ ابو الاسود النحو من علي - عليه السلام - ولم يظهره لاحد (2) ، ثم اظهره ليما بعد .

وينبغي التوقف فى فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رايت فسادا فى كلام بعض اهلي فاحببت ان ارسم رسما يعرف به الصواب من الخطا) فان هاتين الروايتين تؤيدان ما نزعناه عن طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التى يطلق عليها « اللحن » منذ البداية ، واتخاذ القواعد - منذ البداية ايضا - سلطة للتمييز بين « الصواب والخطا » كما قال - عليه السلام - ان صحت نسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائما على مدى الزمن ، اذ طبقة الدارسون ، وخضع له الناطقون بل ازداد مع تقدم الزمن قوة وثباتا ، وفى الوقت نفسه اطرده نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » فزادت مؤلفات النحو تضخما ، وفى الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشارا ، وحين الف سيبويه « كتابه » كان اللحن فى الحضر خطرا صرف العلماء عن لغته الى البداية .

كما انه بالاطلاع على الكتب التى الفت نصا فى مقاومة اللحن - مر جدول عرضها فى الفقرة السابقة - يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذى يجعل القواعد مقياسا للصواب فيما رسم باللحن والخطا من معاني الكلمات وينبئها وتراكيبها ، ويتبين ذلك فى طريقة العرض او فى ذكر القواعد احيانا لتصحيح الخطا .

* قال الكسائي : وتقول : شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال : شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب (3) .

* وقال ابن السكيت : باب ما جاء على (فعلت) بالفتح مما تكسره العامة او تضمه يقال (ما عسيت ان اصنع) قال الله جل ذكره (فهل عسيتم ان توليتم) ولا ينطق منها باستقبال (4) .

* وقال الحريري : يقولون : انضاف الشيء اليه وانفسد الامر عليه (وكلا اللغتين ليستا من كلام

- (1) طبقات فحول الشعراء ص 12 .
- (2) انباه السرواه ج 1 ص 5 .
- (3) ما تلحن فيه العامة ص 25 .
- (4) اصلاح النطق ص 188 .

العرب ، وإنما يقال (اضيف الشيء اليه ولسد الامر عليه) فلا يأتي منهما ذلك (1) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التي سلكها العلماء في جهودهم لمقاومة اللحن ، وإذا كان الكسائي يصحح الخطأ قائلا (هذا كلام العرب) فابن السكيت والحريري يذكران « القواعد » مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطأ واللحن ، فقامدة ابن السكيت في المثال السابق هي « ما جاء على فطت بالفتح مما تكسره العامة او تضمه » وقامدة الحريري « المطاوعة تأتي من الثلاثي المتعدي ، أما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك .

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن ، يلخصه انه « التمسك بالقواعد اساسا للتصويب ، وإيراد ما لا يوافق من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة »

أما الامر الثاني الذي يدل على سطوة القواعد على اذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين فيمثل تلك المفارقة الطريفة من أفراد من علماء النحاة نسب الى بعضهم انه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب الى البعض الآخر انه كان يلحن في كلامه ، وربما اعترف أحيانا بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئا يفض من شأنه .

وعلى الرغم من أن هذين المظهرين يمثلان طرفين متباينين في الكلام فان النظرة المدققة تكشف انهما يصدران من ظرف لغوي واحد هو « سطوة الاستعمال » الذي وصفه ابن سلام بقوله « غلبت السليقة ، ولم تكن نحوية » فقد دلح ذلك بعض النحاة التي التظاهر أحيانا من التمكن من تلك السليقة النحوية : فأهربوا في حديثهم ولغموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع ، فخضعوا له معترفين بأنه الواقع وان خالف قوانين النحو وقواعد الاعراب .

ومن النحاة الاول الذين روي عنهم التقصير والاعراب عيسى بن عمر الثقفي (ت 149) الذي روي عنه ذلك في كتب الطبقات التي ترجمت له ، ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذي كان يضرب فيه بالسياط لوديعه أضاعها وهو يصيح قائلا : « والله

ما كان الا ايبابا في اسفاط قبضها مشارولا (2) » وروي ذلك أيضا عن أبي علقمة النحوي الذي ساق السيوطي منه المشهد الطريف التالي :

* مر أبو علقمة يوما على عبد حبشي وصقلي ، فاذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الأرض فادخل ركبتيه في بطنه ، وأصابه في عينيه ، وهض اذنيه ، وضربه بمعا فشجه ، وأسال دمه ، فقال الصقلي لابي علقمة : اشهد لي ، فمضوا الى الامير : فقال له الامير : بم تشهد ؟ فقال : اصلى الله الامير ، بينا انا اسير على كودني ، اذ مررت بهذين العبدين ، فرأيت الاسحم قد مال على هذا ، لا يتبع ، فخطاه على فدفد ، ثم ضغطه برضفتيه في احشائه ، حتى ظننت انه تدعج جوفه ، وجعل يلج بشناصره في جحمتيه يكاد يفتؤهما ، وقبض على صناريه بيديه ، وكاد يحدهما ، ثم علاه بمنسأة كانت معه ، فمجنفه بها ، وهذا اثر الجريان عليه بينا .

فقال الامير : والله ما فهمت مما قلت شيئا .

فقال أبو علقمة : قد فهمناك ان فهمت ، واعلمناك ان علمت ، وأدبت اليك ما علمت وما اقدر ان اتكلم الفارسية .

فجهد الامير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الامير راسه ، وقال للصقلي : شجني خمسا ، واعفني من شهادة هذا (3) .

وقد يشير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على ابي علقمة الذي يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقعر والاعراب ، امام الامير الذي يعاصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لانه يمثل الاستعمال العادي للكلام ، ومع ذلك فان لابي علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف عصره ما يقدم له المصدر في طريقته الفريية ، فهو نحوي قام في نفسه ان الكلام العادي داخله الفساد ، ومن حقه ان يستعمل طريقة توالق لغة النحو التي يستنبط منها قواعد .

أما لحن علماء النحو في حياتهم المادية واعترافهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، اذ ان في هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى

(1) درة الفواص ص 22 .

(2) معجم الإدياء ج 16 ص 149 .

(3) بنية الوعاة ج 2 ص 139 .

على النحاة الذين يناصبون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي .

* اورد الاصفهاني ان مروان بن ابي حفصه وجه كلامه لحمد الرواية في حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا في مجلس امير المؤمنين وهو لحانة !! فتهاقت الشيخ ، ثم قال : يا ابن اخي ، انا رجل اكلم العامة ، واتكلم بكلامها (1) .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم بكلم لحن فيه ، فقال له جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى !! فقال : يا امير المؤمنين ، ان طباع اهل البدو الاعراب وطباع اهل الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم اللحن ، واذا رجعت الى الطبع لحننت ، فاستحسن الرشيد كلامه (2) .

* وقال ابو الطيب اللغوي : كان على المدني لا يغير الحديث وان كان لحننا ، الا ان يكون من لفظ النبي (ص) فكانه يجوز اللحن على من سواه (3) .

فهذه المواقف المتناثرة - على قلتها - قد اعترف فيها بعض النحاة على انفسهم باللحن وانهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم في مجال الدراسة ، لم يأخذوا ذلك في الاعتبار ، بل حكموا القواعد في ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطا

اما الامر الثالث والاخير - فيما نحن بصدده - فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللفظة ؛ وهذا امر حدث مبكرا ، ونقلت اليها بعض نماذجه في المشاحنات التي كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابي اسحاق والفردق وبين الاخفش وشار وبين ابن خالويه والثنبي - ونماذجه اشهر من ان تذكر - وفي هذه المواقف - على قلتها - يتمثل ايضا الصراع بين القواعد في يد النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يخضع لتلك القواعد .

وإذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فان واقع الامر اخطر من ذلك وأكثر ، اذ ان مظهر الصراع بين القواعد التي استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يتوافق مع تلك القواعد - على الاقل منذ القرن الثاني الهجري - ترتب عليه

اتساع الهوة دائما بين طرفي القضية ، فعانى النحاة من ذلك قديما ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

اخيرا :

يتضح من عرض الامور الثلاثة السابقة لموقف النحاة مما اطلق عليه « اللحن » تأييد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطا » وان الذي وجه هذه الرؤية هو مقياس (القواعد لا الاستعمال) وضع ذلك في جهودهم اللغوية ، وبعض مواقف حياتهم الشخصية ، وفي هذا الفراق والخصومة القائمة بين كلا الامرين القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، اما مدى توفيقهم فيها ، فله حديث آخر في القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

— * —

« التصحيف والتحرير »

معنى التصحيف والتحرير وعلاقتها باختلاف المعنى والبنية والاعراب :

« التصحيف والتحرير » لفظتان بينهما صلة حميمة ، وقد جمعهما العلماء احيانا عنوانا لمؤلف واحد ، كما فعل ابو احمد السكري في مؤلفه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير » وكما فعل من بعده الصفدي في كتابه الموسوعي « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » وقد شرح « التهانوي » في « كشاف اصطلاحات الفنون » المقصود منهما في مكان واحد .

وتعود الصلة بين اللفظتين - مع التجاوز منها فيهما من جنبات لفظي - الى ان مجال البحث فيهما - كما فهمه المتقدمون من العلماء - واحد ، وهو البحث من الخطا الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطا الاملائي في قراءة الحروف المكتوبة ، سواء اكان الخطا في نطق الحروف او شكلها او تبادلها الامكنة .

فالتصحيف والتحرير مظهران للخطا في قراءة الخط المكتوب ، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة

(1) الاثاني ج 14 ص 110 .

(2) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

(3) مراتب النحويين ص 6 .

قد تكون صحيحة لفة ومعنى ، لكنها غير الكلمة التي قصدتها صاحبها حين نطق بكلامه ، أو نطق كلمة ذات بنية معرفة في صيغتها ، ويرجع احرافها الى التغيير في حروفها أو الشكل الداخلي لها ، بل ان مؤلفات « التصحيف والتحريف » قد ورد فيها أحيانا أمثلة - وان كانت قليلة - لاختلاف اعرابية تعود ايضا الى الخطأ في الكتابة أو التوسع في فهم ما يطلق عليه « التحريف » بما يشمل ما يطلق عليه اسم « اللحن » ويتضح هذا المظهر الاخير في كتاب الصفدي (ت 764) « تصحيح التصحيف وتحريف التحريف » اذ اورد كثيرا من أمثلة « اللحن » في كتابه ، ويؤيد هذا نصا ما أورده في بداية كتابه من انه نقله من السابقين عليه ، وقال « لم يكن لي في هذا غير التهذيب وحسن الصرف في التيوب الا ما يتخلل انحاء ذلك من تفسير وتقييد وتقرير وتمهيد » وقد حدد ما اعتمد عليه من كتب السابقين ، وكان منها ما هو نص في « لحن العوام » مثل « ما لحن فيه العامة » للزبيدي ، و « تثقيف اللسان » لابن مكى و « درة الفواص » للحريري ، و « تقويم اللسان » لابن الجوزي الخ . . فما صنعه الصفدي يحتمل امرين ، الرغبة في تضخيم كتابه فأورد فيه ما يتعلق « باللحن » ايضا وان لم يكن من « التصحيف والتحريف » أو التوسع في فهم المقصود « بالتحريف » بما يشمل اللحن ايضا ، وسواء اكان هذا أو ذاك ، فان ما يهم في هذا الموضوع ان الصفدي قد اورد في كتابه كثيرا من أمثلة « اللحن » وان غيره من سابقيه قد ورد ذلك عنهم على قناعة . . .

التي رويت امثلتها من علماء القرن الثاني الهجري مما نقلته ابنا كتب الادب العامة أو الكتب المؤلفة نصا في موضوع « التصحيف والتحريف » فيما بعد ، وقد جاءتنا هنا وبين تلك المؤلفات مقتصرزة على تلك اللفظة وحدها واقدماها - فيما اعلم - ما صحف فيه الكوفيون لنصولي (ت 335) و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة بن الحسن الاصهاني (ت 360) ويبدو ان كلمة « التصحيف » استخدمت وحدها اولا في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت اليها فيما بعد كلمة « التحريف » مع تداخل المقصود منهما أو تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة كما سيتبين بتفصيل فيما بعد .

هذه مقدمة عامة عن لفظتي « التصحيف والتحريف » من حيث الصلة بين معنيهما واستخدام العلماء لهما ، لندرج من ذلك الى بيان الامور الآتية عن هذين المظهرين من مظاهر الخطأ في اللغة من وجهة نظر علمائنا الاقدمين :

- 1 - التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحريف .
- 2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .
- 3 - علاقة مظاهر الخطأ التي تربت على ذلك في المعنى والبنية والاهراب والبحث في اللغة مع انها تعود اصلا الى رسم الكتابة .

قبل سوق ما ذكره العلماء عن معنى « التصحيف والتحريف » ينبغي اولا معرفة انواع التغيير التي يمكن ان تحدث في قراءة الكتابة العربية ، ويترتب عليها رواية خاطئة ، وهي اربعة يوضحها للجدول الآتي :

لكن « ليس معنى ما تقدم ان كل واحدة من اللفظتين « التصحيف والتحريف » لم تكن تستخدم الا ومعها الاخرى ملازمة لها ، فان لفظة « التصحيف » استخدمت وحدها كثيرا في مواقف الخطأ في القراءة

تغيير في الازراب	تغيير في الحروف		تغيير في الحركات		تغيير في النقط	
	تغييرها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	مقابلهما	الكلمة
لو قرأ قاريء في الصحف (ان الله	الماء	المايس	جمهور	جمهور	الثوم	الثوم
يسريء ميين	بفغان	بيغان	دمشق	دمشق	الفصل	العسل
المشركين ورسوله)	راجل	رجل	عفريت	عفريت	رجل	رحل
يكسر اللام في (رسوله)	بن الله من	بن الله من	رصاص	رصاص	غم	غم
	وجيل	وجيل				
	شواته	سراينة				
			قنديل	قنديل	القاضية	القاضية

وهذه النماذج السابقة قد ورد لها مواضع ونصوص تؤيدها ليس هنا مجال ذكرها ، فان القصد من ذكرها هنا ايضاح انواع التغيير تمهيدا لايراد آراء العلماء من التصحيف والتحريف .

* قال حمزة الاصفهاني : اجاب اهل المعاني في معاني التصحيف فقالوا : ان يقرأ الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، واما لفظ (التصحيف) فان اصله ، - فيما زعموا - ان قوما كانوا اخذوا العلم عن الصحف من غير ان يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عندها : قد صحفوا فيه ، اي : رووه عن الصحف ، ومصدره (التصحيف) مفعوله (مصحف) فاما (المصحف) فمأخوذ من (اصحف اصحافا) واصله ان الصحف جمعت فيه ، فقيل : قد اصحف - ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز (1) .

* قال ابو احمد العسكري : فاما معنى قولهم (الصحنى والتصحيف) فقد قال الخليل : ان الصحنى الذي يروي الخطا على قراءة الصحف باشباه الحروف . (2)

* قال المراكشي : المخالفة في الحديث ان كانت بتغيير حرف او حروف مع بقاء صور الخط ، فان كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وان كان بالنسبة للشكل فالمحرف . . واما اللحن فلما يرجع للاهراب (3)

* قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات ان كانت بتغيير الحروف او الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فان كل ذلك بالنسبة الى النقط يسمى ذلك الحديث (مصحفا) وان كان بالنسبة الى الشكل والاهراب سمي (محرفا) - وابن الصلاح وغيره سمي القسمن (محرفا) . (4)

ومن هذه الروايات الاربعة لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحريف ،

ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشملته التصحيف والتحريف من انواع التغيير السابقة اذ ان الذي يفهم من حديث الاصفهاني والمسكري عن (التصحيف) انه كما قال اولهما نصا « ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز » فهو اذا مطلق تغيير او تبديل في قراءة الشيء على غير ما اراده كاتبه - كما عرفه الاصفهاني - او رواية الخطا على قراءة الصحف باشباه الحروف - كما عرفه المسكري رواية عن الخليل - سواء اكان ذلك في النقط او الشكل او الحروف .

لكن المراكشي يفرق فيما تناوله من التغيير الذي يحدث للحديث بين التصحيف والتحريف ، بان اولهما يكون في تغيير النقط فقط ، واما ثانيهما فيكون في الشكل ، ويتوقف عند هذا الحد ويزيد عليه التهانوي ان التحريف يكون في الشكل والاهراب ايضا ، وان بعض العلماء يسمي كل ما يحدث له تغيير « محرفا » .

والحقيقة ان المطلع على نماذج التصحيف والتحريف في مصادرها يلاحظ ان الامثلة التي ترد عن ذلك يتنوع التغيير فيها دون ان ينص على ان هذا تصحيف وذاك تحريف وان منها ما يتعلق بتغيير النقط او الشكل او الحروف واحيانا الالهراب .

ومن كل ذلك نستخلص الامور التالية دون تحديد حاسم :

اولا : ان كلا من التصحيف والتحريف يطلقان على رواية الخطا الناتج عن قراءة الرسم العربي ويدلان على مطلق التغيير والتبديل فيما يتعلق بذلك .

ثانيا : يكاد يكون من المتفق عليه ان التغيير الذي يحدث في النقط والشكل والحروف املايا يندرج تحت « التصحيف والتحريف » اما التغيير في الشكل الالهرابي فالظاهر انه خارج عن هذا الموضوع ، فنماذجه قليلة في كتب المتقدمين الخاصة بالتصحيف والتحريف وان اكثر الصنفدي - وهو متأخر - من

- (1) التنبية على حدوث التصحيف ص 36
- (2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 13
- (3) منح المغيث في جواز اللحن في الحديث ص 5
- (4) كشف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 836 .

هذه النماذج في كتابه « تحرير التحريف » لأنه اعتمد فيه على كتب لحن العوام ، ونقل منها ما ضخم به كتابه .

ثالثا : ان كلمة « التصحيف » في هذا النوع من الخطا ذات شهرة تفوق في ذلك كلمة « التحريف » وربما كان ذلك لقرب دلالتها على هذا النوع وارتباطها بسببه الذي هو القراءة من الصحف .

رابعا : الفرق بين « التصحيف والتحرير » و « اللحن » ان النوع الاول يتعلق بالخطا المترتب على قراءة الخط ، اما الثاني فمتشبه خطأ النطق لعدم اجادة اللغة .

لكن ما هو السبب او الاسباب التي جعلت هذه الظاهرة تحدث في رواية اللغة ؟!

والاجابة على ذلك بمباراة مختصرة هي « يرجع السبب الاساسي في ذلك الى الخط العربي وقابليته للتصحيف » ذلك ان حروفه متشابهة يميز بينها النقط التي توضع فوقها او تحتها كما ان التمييز بين صيغ الكلمات يعتمد على الحركات التي اصبحت تابعة للحروف ، ولم تعتبر في الرسم العربي حروفا مستقلة ، بل رسمت اولا تقطعا فوق الحروف وتحتها وبين يديها ولما حدث الامجاء - وهو تقطع كذلك - ومع تقدم الزمن ، أحدث الخليل بن احمد رسمها ابعاضا للحروف ، كما هي الصورة المستعملة حتى اليوم .

فالخط العربي في البداية لم يكن منقوطة ولا مشكولا ، كما حدث ذلك في المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان للامصار ، واستمر الناس يقرؤون فيها - على هذه الصفة - ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، وفي عهد عبد الملك بن مروان - حين كثرت الخطا والتغيير - وضع نصر بن عاصم - فيما يقال - النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد « بالشكل » ثم كان الامجاء الذي يميز بين الحروف المتشابهة كالجيم والحاء مثلا ، وكانت نقط الشكل تباين في شكل المداد نقط الامجاء ، واستمر الامر كذلك على ما فيه من مشقة - الى ان أحدث الخليل - فيما يقال - الشكل الذي يرسم على هيئة ابعاض الحروف فاراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .

فطريقة الرسم العربي في تشابه حروفه وتمييزها بالنقط وضبط نطقها بحركات - لم يكن لها رسم خاص بها مطلقا ، ثم رسمت منفصلة وتابعة

للحروف العربية - يعود اليها المسؤولية الاولى من ظاهرة « التصحيف والتحرير » .

ومع ذلك فقد عاون على اشاعة هذه الظاهرة وخطرها « النساخ » الذين يسمون « بالوراثين » اولئك الذين تنحصر جهودهم في احترام الوراثة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالبا على علم باللغة ، حتى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة او حركة او تغيير أحد الحروف ، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك في الكتابة ، وهذا نفسه معنى التصحيف والتحرير .

ويشارك في هذه المسؤولية ايضا - على قلة - علماء اللغة انفسهم ، فان احدهم قد يفهم الكلمة فهما خاما يسوفه السباق له ، او يسوفه هو لنفسه ، ثم يقرأها ويرونها كما فهم وان لم يتفق ذلك الفهم مع اصلها وما قصدته منها صاحبها ، ويترتب على ذلك ايضا حدوث التصحيف ، وما يؤدي ذلك ضياع مؤلفات « التصحيف والتحرير » بايراد تصحيقات العلماء في تسم خاص بهم ، بل ان بعض هذه المؤلفات يفرق بين البصريين والكوفيين في ذلك ، فيذكر أشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج من تصحيقات كل واحد منهم ، وأول اثر في هذا الموضوع - فيما اعلم - هو كتاب الصولي ، وعنوانه « ما صحف فيه الكوفيون » وقد أورد حمزة الاصفهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » تسم خاصا للعلماء سماه « تصحيقات العلماء في شعر القدماء ص 68 وما بعدها » وعدد من علماء المصريين خمسة وعشرين عالما ، فأورد نماذج من تصحيقاتهم ، وفعل مثل ذلك ابو احمد العسكري ، فجعل تسم خاما لـ (ما وهم فيه علماء البحرين) وتسم آخر من « ما وهم فيه علماء الكوفيين » .

لهذه الامور الثلاثة السابقة - الرسم العربي والنساخ وهم العلماء - يعود اليها مجتمعة مسئولية « التصحيف والتحرير » وان كان الرسم الكتابي اعظمها مسئولية في ذلك .

قال حمزة الاصفهاني : الذي ابدع صور حروف كتابة العرب لم يفهمها على حكمة ، ولا احتاط لمن يجيء بعده وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة ، وهم (الباء والتاء والثاء والياء والنون) .

وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مبانسة
للاخرى حتى يؤمن عليه التبديل. (1) .

* وقال الجاحظ عن تحريف النساخ : لربما
اراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحا او كلمة ساقطة
فيكون انشاء عشر ورفات من حر اللفظ وشريف
المعاني يسر عليه من امام ذلك ذلك النقص ، حتى
يرده الى موضعه من اتصال الكلام ثم يصير هذا
الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيفسر فيه الوراق
الثاني سيرة الوراق الاول ، ولا يزال الكتاب تتناوله
الايدي الجانية والامراض المفسدة حتى يصير غاطا
صرفا وكذبا مصمتا (2) .

* وقال ابو احمد المسكري : فلاحتراس من
التصحيف لا يدرك الا بعام عزيز ورواية كثيرة وفهم
كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدها
مما يشاكلها ، وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ،
ويمتنع من وقوعه بعدها ، وتميز هذا مستعصب
عسر (3) .

فهذه النصوص الثلاثة متجمعة تحتوي على
العوامل التي يحدث بها التصحيف والخطأ في رواية
اللغة بناء على ذلك ، واطرها ما ذكره الاصهاني من
« اتخاذ الصورة الواحدة في الكتابة للدلالة على
الحروف المتعددة » وهذا - في فهمي - نموذج للشباب
بين الحروف في الصورة .

ترتب عليه التفسير والتبديل الذي هو معنى
التصحيف والتحريف بصورة عامة تشمل هذا النموذج
وغيره من مظاهر التفسير في الكتابة .

والجاحظ يصور بمرارة واسف ما يحدث
لنصوص والمؤلفات من جنابة ونساذ بسبب تداولها
بين النساخ - ومن ذلك التحريف طبعا - وما يعانيه
المؤلف - ومثله المحقق - من مشقة اذا اراد اصلاح
ما فيد او اكمال ما نقص .

و ضمانات الاحتراس من التصحيف تلخص
- من النص الاخير - في كثرة الرواية وسعة الفهم
واليقظة لسياق الكلام اوله وآخره ، وكل ذلك - كما

قال المسكري - مستعصب عسر حتى على العلماء ،
ولا غرابة اذن في حدوث التصحيف منهم .

اما الفكرة الثالثة والاخيرة في هذه الفقرة فهي
بيان الصلة بين خطأ التصحيف والتحريف - الذي
يرجع في نشاته اساسا الى الرسم الكتابي - والبحث
في اللفظة .

ان الذي يرد على الذهن لاول وهلة ان هذا النوع
من الخطأ يتعلق بالرسم الاملائي وقصور الكتابة
العربية ، وينبغي بحثه في هذا النطاق ، ولا شأن لذلك
بدراسة اللغة التي تنجبه أصلا الى النطق لا الكتابة ،
ويتفرع على ذلك ان الخطأ الذي يوجه باحث اللغة اليه
اهتمامه هو خطأ اللغة حين تنطق ، اما الخطأ الذي
ينود للكتابة ، فيتكفل به ما سماه ابن قتيبة في كتابه
« ادب الكاتب » تقويم اليد .

ذلك امتراض وارد ، وفيه كثير من الحق ، فان
قضية التصحيف والتحريف تعود الى الرسم العربي
قبل أي شيء آخر ، ولو كان الامر مقتصر على ذلك
ما كان لها مكان في البحث عن الصواب والخطأ في
اللغة ، لكن خطأ الكتابة لم يقتصر عليها ، بل تعدى
ذلك الى اللغة المنطوقة ، وبدا ذلك في مظهرين :

الاول : ان رواية اللغة مشافهة كان لها صلة
قوية بالكتابة .

الثاني : ان قراءة الكتابة - وهي نطق - حملت
اخطاء التصحيف والتحريف في معاني الكلمات وبنياتها،
بل ومخالفة قواعد النحو أحيانا .

ان رواية اللغة بطريقة علمية منظمة بدأت نشاطها
في القرن الثاني الهجري ، وأول الرواة العلماء - فيما
هو مشهور - أبو عمرو بن العلاء (ت 154) وحماد
الرواية (ت 155) ، وقد عاصروهم وجاء بعدهم رواية
اللغة الذين يعود الفضل الى جهودهم الرائدة في جمع
التراث اللغوي القديم كله ، ومن المعروف ان هؤلاء
العلماء الرواة لم يقتصروا في رواية اللغة على ما
عاصروهم فقط ، بل رووا الكثير من العصور التي
سبقتهم في الجاهلية والاسلام مما لم يعاصروه ، ولم
يسموا قائله ، وقد وصلهم ذلك من طرق متنوعة كان

(1) : التشبيه على حدوث التصحيف من 36 .

(2) : انظر : العيون ج 1 ص 79 .

(3) : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف من 2 .

اهمها - كما قرر ذلك الباحثون في العصر الحديث (1) - ما كان مدونا بالرسم الكتابي وما دامت الكتابة لنصوص اللغة كالت مصدرنا للرواية الشفهية التي تظاهر بها العلماء ، فقد انعكس خطأ التصحيف والتحرير بداهة على تلك الرواية الشفهية نظقا وقد اورد حمزة ابن الحسن الاصبهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » عبارة منطقية من ارسطو تقول « كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها ، لان ما في الخط دليل على ما في القول ، وما في القول دليل على ما في الفكر وما في الفكر دليل على ما في ذوات الاشياء » (2) ويصح فهم معنى هذه العبارة بطريقة اخرى بان نقول : ان ما في ذوات الاشياء يعكس على الفكر ، وما في الفكر يعبر عنه القول والخط يثبت التعبير بالقول ويحافظ عليه ، ويمكن الرجوع اليه حين ارادة النطق به مرة ثانية ، فاذا احتمل الخط الغلط والخطا والوهم ، ظهر ذلك في النطق .

ويؤيد هذا الفهم النظري السابق ما حدث فعلا في كتب التصحيف والتحرير ، اذ ان وصفها لتحرير العلماء وتصحيقاتهم فيما اوردته من مواقف وامثلة جاء صريح الدلالة على ان ذلك قد حدث نظقا لا كتابة ، وسماها لا رسما .

ومما ساقه حمزة الاصبهاني عن العلماء المصحفين نصا قوله :

* ابو عبيدة : روى بيت امرئ القيس :

تجاوزت احراسا واهوال معشر
على حراس لو يسرون مقتلى

اي : اظهروا ، والصواب في رواية الاصمعي (لو يسرون مقتلى) ومعناها : يظهرون .

* ابو زيد : حكى ابن دريد عن ابن حاتم قال :

انشدت الاصمعي :
(جايا ترى بيله مسجعا)

فقال : صحفت ، وانما هو (ترى قليلة مسجعا)
ثم قال : من انشدك ؟ قلت : اعلم الناس فتغافل عني -
وانما عني ابو حاتم ابا زيد .

* اللحياني : املى اللحياني (مثل استمان بدقنه) فقام اليه ابن السكيت - وهو حدث - فقال يا ابا الحسن ، انما تقول العرب (مثل استمان بدقته) لان البعير اذا رام النهوض استمان بجنبه ، فقطع الاملاء . (3) .

فالرواية والانشاد والاملاء كلها من صفات المشافهة لا من صفات الكتابة ، مما يدل على ما نحن بصدده من ان التصحيف والتحرير وان كان منشؤهما الرسم والكتابة ، فقد حمل خطأهما نطق اللغة وروايتها

ولقد سبق ان مظاهر التصحيف والتحرير تكون في تبادل الحروف المتميزة بالنقط ، او الشكل الذي يحدد نطق هذه الحروف ، ويفرق بين الصيغ ، او وضع حرف مكان آخر واحلاله محله مما يفسر نطق الكلمة ، وينتج من ذلك احيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وان كان ذلك قليلا .

والذي يترتب على تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما اراده منتج النص اصلا ، وقد تكون الكلمات المجردة من التصحيف لا معنى لها على الاطلاق ، وانما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا .

اما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه في النطق امثلة جديدة تتدرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قبلا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة اصلا ، فيحكم عليها بالخطا ، والاول من هذين النوعين انحراف في المعنى ، والثاني انحراف لغوي في بنية الكلمات .

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه ايضا كلمات جديدة ذات معنى مغاير لما قصده منها صاحبها الاصلي ، او كلمات مجردة البنية يحكم عليها ايضا بالخطا .

(1) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، فقد تفصل البحث كله بانها طرق نقل اللغة الى العلماء ومنها الكتابة . وساق لذلك ادلة مقنعة .

(2) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 .

(3) انظر : السابق ص 69 و 77 و 93 على التوالي .

ففي النموذج الاول ترتب على تغيير نقط الحروف وجود كلمتين هما (تعتر) و (تمنز) تنازع حولهما الشيباني والاصمعي ، وكلاهما صحيح لفة ومعنى .

اما النموذج الثاني فان تغيير نقط حروف الكلمات فيه أنتج كلمات لا معنى لها حتى ظنها الجاحظ كلاما « بالمرانية » وقدم للمعلم بسببها النصح الساخر قائلا « ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد .

ثانيا : التغيير في شكل الحروف :

* قال خلف الاحمر : انشد المفضل للمخبل :

واذا لم خيالها طرقت
هيني ، فماد شئونها سجم

فقلت : انما هو (طرفت) فلج ساعة ، ثم رجع عنه (3) .

* قال ابو احمد العسكري : ومما يقع فيه التصحيف حتى شك في ذلك بمض العلماء ، فجمال له تفسيراً آخر - روى أن النبي (ص) أتاه الملكان ، فسقا بطنه ، ثم قال احدهما (ايتني بالسكينة) فرواه بعضهم (ايتني بالسكينة) بكسر السين على انها مؤنث (سكين) وانما هي (السكينة) بفتح السين والكفاف غير المشددة .

قال : وقد فسره ابن الانباري على انه لفة في (السكين) واكثر اهل اللغة لا يرفون ادخال الهاء فيها، وهذا ذهاب عن الصواب (4) .

ففي النموذج الاول غيرت (طرفت) الى (طرقت) فوجدت كلمة جديدة ، وكل منهما تختلف عن الاولى في الصيغة الصرفية ، علاوة على ما غير من النقط فيها ، وكل منهما صحيحة من حيث الصيغة والمعنى .

اما الثاني فان التصحيف بتغيير الحركات أنتج كلمة ليست من اللغة ، وحكم عليها العسكري بانها « ذهاب عن الصواب » .

واما ما يترتب على التصحيف والتحرير من خطأ النحو ، فيبدو اذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة او استخدام اداة في تركيب لغوي لا يتطلبها المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وان كان قليلا الا انه يمثل جانبا يستحق الدراسة والاهتمام .

واليك نماذج قليلة تمثل الاصناف السابقة واحتمالاتها :

اولا : التغيير في الحروف المميزة بالنقط :

* عن ابي عمرو الشيباني قال : كنا بالرقبة فانشد الاصمعي :

عنتا باطلا وظلما كما تمنز عن حجرة الربيض الطباء
فقلت له : انما هي (تعتر) من العتيرة . والعنز : الدبح ، فقال الاصمعي (تمنز) اي : تطمن بالمنزرة ، وهي الحربة ، وجمل يصيح ويشغب ، فقلت : تكلم كلام النمل واصب ، والله لو نفخت في شبور يهودي ، وصحت الى التناد ، ما نفعت شيء ، ولا كانت الا (تعتر) (1) .

* وعن الجاحظ قال : مررت بمعلم وهو يلقي صبيا :

يا ابا الفياش جنسى
اخرج الفتيان غشا

لبش في الارض اياس
شربوا املج مشا

فقلت : بالمرانية هذا ؟ قال : لا ، هو بالعربية ، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا ابا المباس حبسى
اخرج الفتيان عشا

ليس في الارض اناس
شربوا املج منسا

فقلت : ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد ، قال : نعم ، قدور ومرزايق (2) .

(1) المزهج ج 2 ص 359 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير ص 93 مع اختلاف سير .

(2) محاضرات الادباء ج 1 ص 63 .

(3) التنبيه على حدوث التصحيف ص 78 .

(4) تصحيف الحديث ص 126 .

ثالثا : التغيير في الحروف غير المنقوطة :

* روى الاصمعي بيت « أوس بن حجر »

اجون تدارك ناقتي بقرالها
واكبر ظني ان جونا سيفعل

قال ابن الاثيري : صحف الهمي ، انما هو
(تدارك ناقتي بقرالها) اي : ما دمت اطمع فيها (1).

* ورد في كتاب « دليل لغة العرب » الكلمات
الآتية والتعليق عليها .

الماس - الماذ تحريف

ببغان - ببغفلن تحريف (2)

وفي النموذج الاول واضح الفرق بين (قرى لها)
و (قراها) بسبب تغيير الباء باللام، واما الامثلة الاخيرة
فالصورة الحادثة بالتحريف صورة خاطئة لغويا ،
فالكلمات حرفتا نتيجة تغيير السين ظاء في الاولى ،
وتغيير الباء هينا في الثانية .

رابعا : ظواهر النحو في التصحيف :

* عن ابن عمرو قال : انشدت الفرزدق ويده
في يدي لابن احمر :

فاما زال سرح من معد

واجدر بالحوادث ان تكونا

فلا تصلى بمطروق اذا ما

سرى بالقوم اصبح مستكينا

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 74 .

(2) دليل لغة العرب ص 32 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 77 .

فقال لي : ارشدك ام ادعك ؟ قلت : ترشدني ،
قال : اذا كان ممن يسرى بالحي ، فليس بمطروق
وانما هو (اذا سرى في الحي) فعلت اني افعلت ذلك ،
ونا الامر كما قال .

وهذا من التحريف لا من التصحيف (3) .

فمن الواضح ان الخطأ في الجملة جاء من
استخدام حرف الجر (الباء) في الموضع الذي
يقتضي فيه المقام حرف الجر (في) وهو خطأ يعود
الى المعاني التي ترد في النحو لاستخدام حروف
الجر في مواطنها المناسبة ، وقد هلك المسكري على
ذلك بانه من التحريف لا من التصحيف ، ويبدو ان
هذا الفهم لما يشمله التحريف من بعض ظواهر النحو
قد اتسع مداه فيما بعد حتى سوغ ذلك للصفدي في
القرن الثامن الهجري ان يورد في كتابه « تصحيح
التصحيف وتحريف التحريف » ما يشمل مظاهر اللحن
في النطق ، ولا يقتصر في ذلك على النطق المترتب
على الخطأ في الكتابة .

واخيرا :

فان الذي سوغ لنا في البحث من الصواب
والخطأ في اللغة ان نتعرض لقضية « التصحيف
والتحريف » - مع انهما يرجعان اصلا لرسم الكلمات
وكتابتها - ما تبين مما سبق عرضه من الصلة بين
الكتابة والرواية الشفهية من ناحية ، وما ترتب على
الامر من الخطأ اللغوي المنطوق في معاني
الكلمات وبنيتها الصرفية ، وبعض الظواهر النحوية .

تعليق نقد

علاء الفاسي

الأستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس

ان هذا البحث طريف وقيم تناول فيه الدكتور محمد عبد قضايا اللحن ، والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث .

تحدث أولا عن معنى « اللحن » في الكلام العربي والتطور الذي حدث في استعماله ونفى وسائل مقاومته ، فقد عرف اللحن أولا بمعنى الفطنة والذكاء وبالتظرف في الحديث ، حينما يخلط بالكلام الاجنبي او الكلام الذي يعتمد فيه الخطأ .

ثم اطلق اللحن على التورية وهو الذي عمل له ابن دريد كتابه الملاحن .

ثم استعمل اللحن في الخطأ في المعاني . وفيه لف الفاضل بن سلمه كتابه الفاخر « فيما تلحن فيه العامة » .

كل هذه الاطلاقات استعملت في معنى اللحن، فصلها المؤلف واستدل لها ولكنه لم يذكر تاريخ التطور الذي تحدث عنه بالمعنى الدقيق للتاريخ . وعلى كل حال فالبحث يتناول بالذات اللحن بمعنى خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصنعة في بنية لكلام او تركيبه او امرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع اولا بين العامة ويتسرب بعد الى الخاصة .

ولا شك ان هذا اللحن امر طاريء على اللغة اذ المفروض في كلام العرب هو الصحة وما حاد عنه يعتبر خطأ .

ثم يتحدث المؤلف عن السمات التي يوصف من اجلها الكلام باللحن . ومنها الخطأ في الاضراب كتنصب الفاعل ورفع المفعول . وكذلك وضع الكلمات في غير موضعها وخطأ المعاني كقولهم خرجنا نتشره اذا خرجوا الى البساتين مع ان التنزه هو التباعد من المياه والارياض ، ومنها استعمال الطرب في الفرح فقط والحشمة في الاستحياء .

وقد اوضح المؤلف سر اعتبار هذا لحننا ، وزعم انهم لم يراعوا تطور الدلالة في الكلمة ، مع ان الكلمات ليست احجارا جامدة .

ثم حاول تفسير الخطأ في احوال بعض الحروف محل بعضها كقولهم دخل في غمار الناس ، مع ان العرب تقول دخل في خمار الناس - بالخاء لا بالعين - بالتطور الصوتي . وبعد ان حدد عشرة امثلة تتعلق ببنية الكلمة قال : ان الحكم عليها بالخطأ جاء في ضوء التواعد الصرفية ، ثم اشار الى نهاية العلماء بهذا النوع من الخطأ .

ثم ذكر امثلة مشرة ، لنماذج الخطأ في التركيب لاهراب كقولهم شكرت لك ونصحت لك ، والصواب شكرتك ونصحتك ، وبين ان الكثير منها يتعلق بتأليف التركيب العربي والامر الذي استقر عليه ، وهو من مباحث علم النحو . وقد اكد ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسة (لحن العامة) ايراد لما حدث في اللغة الفصحى ، ويكون متصورا على اوساط العلماء وان اطلقوا عليهم العامة ، بخلاف النماذج الاخرى فانها همت مختلف الطبقات .

وقد اوضح صعوبة الوصول الى معرفة تاريخ بدء اللحن وتطوره في العصر الجاهلي ، وان انتقد النحاة بعض العبارات الجاهلية لمغايرتها للقواعد النحوية والصرفية الموضوعتين من بعد .

ولكن اللحن تردد عند العرب مع ظهور الاسلام على انه كان معروفا . وفي عهد الامويين اصبح اللحن ظاهرة خطيرة في استعمال اللغة ، وترتب عنها نشاط علمي متنوع . جاء بامثلة منه كالرحلة للبادية وتأليف الكسائي كتابه الذي لا يزال موجودا بين يدينا (ما لحن فيه العامة) . واستمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، فالقرن الثالث اقل فصاحة من القرن الثاني واكثر لحنا . وفي القرن الرابع وصل اللحن الى مداه .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

نظر العلماء الى هذه الظاهرة من جهة الخطأ ، فقاوموه بعنف ، وبدأت مقاومتهم منذ القرن الثاني ، وهنا جاء بقائمة لاسماء العلماء الذين كتبوا في تقويم اللحن ، تصل حد الثلاثين كتابا .

ثم لاحظ ان هذه المقاومة كانت في القرون الثلاثة الاولى قوية ثم ضعفت بعد .

وقد اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، دون ان يحاولوا استشهادات جديدة وسماحات من العرب غالباً .

وتصدوا غالباً بالعامة الناس العاديين بدليل قولهم الخواص او الخاصة . وجهودهم كلها تنصرف الى تنقية اللغة الفصحى .

لا وجود في هذه الكتب لحديث عن اللحن فكرة وموضوعاً .

ثم يتساءل هل نجحت هذه الجهود التي قام بها اولئك العلماء ؟

وفي فصل خاص يحلل هذا الموضوع ارادة الجواب عن السؤال ، ويقول ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير ، لانهم نظروا اليه من زاوية الخطأ وامتبروه انحرافاً ولم يأخذوا في الاعتبار قوة الاستعمال وقهره والتطور الذي يمكن تربيته على ذلك . مع ان لحن النحويين انفسهم في الاستعمال دلالة على خطورة الاستعمال . والخلاصة انه يؤكد في النهاية ان ما اطلق عليه النحاة منظور اليه من زاوية الخطأ ، وقبل ان يبين مدى نجاحهم فيما قصدوا اليه ، جاء بفصل في :

معنى التصحيف والتحرير وملاقتهما باختلاف المعنى والبنية والاهراب ، وانتهى الى القول بان مجال البحث في الكلمتين واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الاملائي .

ولم تستعمل الكلمتان دائماً في مكان واحد ، بل في معان لها صلة بالخطأ ، من جهة :

1 - من جهة التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحرير .

2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 - علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك .

وقد فصل هذه الجهات الثلاث وارجع السبب في ذلك الى الخط العربي الذي لم يكن منقوطة ولا مشكولة . ثم ميزت حروفه بنقط وحركات منفصلة وتابعة للحروف العربية ، ويسأل كذلك عن هذه

السئلة علماء اللغة الذين يعطون لانفسهم حرية رواية الكلمة كما فهموها من السياق .

فالمسؤول اذن الرسم العربي ، والنسخ ووهم العلماء .

وبعد ان اتى بنماذج تمثل الاسباب السابقة ، عقد فصلا لمقاومة التصحيف والتحريف بأسلوب الرواية وتنقية الاخطاء فذكر تطور ذلك على ما يأتي :

1 - ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 - ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 - تنقية الاخطاء بجمعها في مؤلفات .

وقد جاء بانتقادات للعلماء على هذه الاسباب الثلاثة وعدم كفايتها لوفاية اللغة من التصحيف والتحريف .

ولاحظ ان هذا الجانب الذي هو تنقية اللغة بجمع ما صحف وحرف في مؤلفات جانب دراسي بدأ في القرن الرابع الهجري . كتب فيه المؤلفون الذين لم يكتفوا بنماذج التصحيف بل اضافوا الى ذلك تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها .

ثم تساءل : اكان هذا المجهود حلا للقضية ؟

وقبل الجواب من ذلك فقد فصلا :

لمعنى التوليد في الالفاظ ومصادره اللغوية .

1 - ثم جاء بعرض تاريخي للمولد من حيث استعمال اللفظ ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - وبالتحديد النظري لمعنى التوليد كما رواه الاقدمون .

3 - وتحدث عن مصادر التوليد في الالفاظ ودراسة العلماء لنماذجه .

وبعد ان فصل هذه الموضوعات تساءل ايضا عن :

مدى توفيق العلماء في مباحث التوليد ؟

وقبل الجواب منه ايضا انتقل الى بحث عن :

حركة التمريب وتطورها استعمالا ودراسة .

وطبعا فانه يعني بالتمريب معناه الاصيل الذي هو ادخال كلمة اعجمية في الكلام العربي وتبنيها ، لا بالمعنى الحديث الذي نستعمله حينما نطالب بتمريب التعليم والادارة مثلا .

وقد بين في هذه الفقرة :

1 - الصورة العلمية لحركة التمريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد

2 - الصورة العلمية لدراسة العرب في الكلام العربي بمد عصر الاستشهاد .

وقد اجاد في بحث الموضوعين وما تفرع عنهما وجود الدخيل في القرآن ، وجاء بقائمة المؤلفات المهمة في موضوع التمريب .

ولاحظ ان التأليف في هذه الظاهرة تأخر نسبيا .

وضمنت فكرة التمهيد لذكر الكلمات العربية بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة .

3 - كلمة الدخيل جملة عنوانا لبعض الكتب في موضوع التمريب .

4 - من المؤلفات كتب في التصريب وضعت أخيراً الأمر الذي يدل على أنه لا يريد تناول التصريب في القديم فقط .

- أما الجانب اللغوي فقد عرض فيه نظراً لاقدمين للمعرب وجهودهم في إخضاعه لمسلك الصيغ العربية .

وقد فصل القول في هذا الجانب واتى بتدقيقات مهمة .

ثم تساءل ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين آراء النقل من اللغات الأجنبية ؟
يتلخص ذلك في امرين :

1 - قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا في فترة زمنية خاصة .

2 - فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة

ولتقييم ذلك أحال المؤلف على القسم الأخير الذي يجب فيه من الأسئلة المتقدمة .
وفي هذا القسم تناول رأي علم اللغة الحديث من :

1 - اللحن بين محكم القواعد وتطور الاستعمال

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر الرسم العربي .

3 - الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة .

4 - التصريب بين قبود النحاة وحاجة الاستعمال .

وقد فصل آراء العلماء اللغويين المعاصرين في هذه النقط وبين ميزة التسامح التي ظهروا بها آراء المسألة الأولى ، وادلى بآراء اللغويين عرب واهاجم ودعا الى :

1 - تنحية الفكرة القديمة عن المجموعة المدونة فيما لحن فيه العوام واعتبارها تطورا يهدينا الى دراستها في مراحل استعمالها

2 - النظر في هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ليعلم مدى انتشارها في الاستعمال فيقبل منها ما تحقق له ذلك . وتناول بعد ذلك امر التصحيف والتحريف وأبدى إعجابهم بجهود العلماء فيها وقال : ان العلماء بعد ان عرفوا الضعف الموجود في الرسم العربي لم يحاولوا تغييره ، وقال ان الرسم العربي شأن غيره في اللغات الأخرى قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضا عنها ارتكاباً لأخف الضررين ، واستدل على ذلك بنص للعالم اللغوي فندريس .

أما من المولد فقد اعتبر ان الألفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

وان موقف النحاة من هذه الألفاظ قد تحكمت فيه اعتبارات اعترفوا بها ثم استسلموا لها ، وينتقد عليهم خروجهم عن واجب الاستقرار الى الحكم بالإباحة أو المنع على الألفاظ واعتبر ان الحق المطلق لبعض الناس في ظروف معينة ينبغي ان يعمم على كل جماعة وكل عصر فيقبل ما ولدوه من كلمات دعت اليها حاجة اللغة وهدت اليها سليقتها .

ثم انتهى باستخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة .

1 - اعتبار التطور في اللغة من اساس النظرية الحديثة للمستوى اللغوي ، وتفسير هذا التطور حسب رأي - فيرس - التغيير المستمر بين عناصر اللغة .

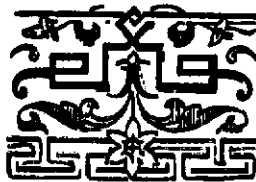
2 - لا تتطابق الكتابة لاية لغة مع نطق هذه اللغة فنحن ، كما يقول فندريس ، لا نكتب كما نتكلم بل نكتب كما يكتب غيرنا .

3 - ان تغير الظروف الاجتماعية ينمكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدث الاضر واستعماله .

4 - نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية بخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، وهذا امر عادي لا خطر فيه .

اعتبر ان هذا الكتاب يكون بحثا قيما خاضعا لمنهج البحث اللغوي الحديثة متسلسلا في افكاره وموضوعاته وفي الاستنتاجات المترتبة عليها ، وانه استقرأ باختصار مباحث الاقدمين عن العوامل الطارئة على اللغة بكيفية لم يسبق جمعها في كتاب حديث ، ثم اعاد تقييمها على ضوء آراء علماء اللسانيات ، ومباحث العرب التي شغلت اوقات الجامع العربية ازيد من نصف قرن ، ولم يتقدم المؤلف باقتراحات تلقائية في تجديد اللغة خارجة عما ورد على السنة الباحثين المجمعين في الشرق العربي . ويظهر ان المؤلف لم يطلع على بعض البحوث التي قام بها المغاربة المختصون لاسيما في اصلاح الرسم العربي الذي وضعه الاستاذ الاخضر والذي يسمدني ان اقول مرة اخرى انه يصلح من ميوب الرسم العربي الشيء الكثير ، كما انه فيما يظهر لم يطلع على جهود مكتب التعريب المغربي ومحاولته لاحصاء كلمات الحضارة واستقرائها والاكتفاء بما هو موجود منها في كتب اللغة او في المجتمعات العربية عن اتخاذ الدخيل الذي ينزع اليه عند عدم وجود الاصيل .

والكتاب بهذه الصفة جيد وجدير لقبوله من اللجنة المحترمة واجازته ، وبالمقارنة مع الباحث الاخرى وآراء المقررين فيها يقع التفاضل وبشم الترجيح ، وان كنت اوصي بكل اخلاص بمجازاة هذا المؤلف على جهده المشرف وطبع رسالته .



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر في هذا العدد من مجلتنا القسم الأول من البحث (حول الاختلاف في مفهوم الأضداد) مرجئين إلى العدد المقبل بعون الله القسم الثاني حول (جمع الأضداد وتدوينها) :

هذه الألفاظ جميعا تتحدث عن الأبل وما تعلق بها ، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . أو يكون ذلك الطابع من المصدر السدى وردت فيه ولفظ الانظار ، كان تكون في القرآن أو الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القرآن ، وغريب الحديث . أو يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كان تكون هذه الألفاظ مهمولة ..

ومن الضرب الأخير « الأضداد » . فقد كان الذي لفت الأنظار إليها ما تتحلى به من ميزة خاصة ، إذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الأضداد ليما نعرف من الرسائل اللغوية الأولى ، ولكنه تأخر عنها قليلا . وفي القرن الثاني تنبه اللغويون إليها ، فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون إليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعية أول تدوين للأضداد في اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الأولى باكورة عدة ثمار : جمعت الأضداد أو درستها . وحول هذا الثمار ندور في الصفحات الآتية : متاملين ، ومتدوقين ، ومقدرين ..

ودعائي إلى الله أن يمنحني التقصد فلا أجور ، والقدرة فلا أمجر ..

لا يماري انسان اتصال بالصرب أو ادبهم أو ثقافتهم أدنى اتصال انهم يرتبطون بلفتهم ارتباطا قل ان نرى مثيلا له في الامم الأخرى ، وان هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير - مهما كانت تفاهته - يجري عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسمتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللغة . فقد اخذ العرب يتحدثون في شيء من مسألتهما منذ وقت مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع إلى ما قبل الاسلام ، كما تنبئ بعض اخبارهم . ولست أريد ان أضرب في وادي الأوهام ، أو أركن إلى الظنون . فما اتحدث عنه في هذا الكتاب فني عن ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون في المجتمع ، ويعملون هذه الصفة ، في القرن الثاني ، بل ربما لا أعالي اذا قلت أواخر القرن الأول . ولم يزد جهد الأولين من هؤلاء « العلماء بالعربية » على مدارس تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا إلى « التدوين » : تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل إليه جهدهم الخاص ..

وكانت الثمرة - في المجال اللغوي الخاص - رسائل تحاول ان تجمع الألفاظ لغوية ذات طابع خاص . ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كان تكون

تصريف الأضداد

الأضداد ، ولم يزد عليه غير شيء من البسط والشرح والتمثيل والتفريع . قال أبو علي قطرب : « الكلام فى الفاظه بلفظة العرب على ثلاثة أوجه :

1 - فوجه منها - وهو الأعم الأكثر - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمرأة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان أكثر الكلام عليه . وقد نشر من هذه العبارة الأخيرة أن قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن أحمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العين ، والحق أن القدماء يقولون أن كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متأخر من وفاة قطرب ..

2 - والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد . وذلك مثل مير وحمار ، وذئب وسيد ، وسمسم وتعلب ، واتى وجاء ، وجلس وقعد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكانهم انما أرادوا باختلاف اللفظين ، وأن كان واحد مجزئا ، أن يوسعوا فى كلامهم والفاظهم ، كما زاحفوا فى اشعارهم ليتوسموا فى أبيتها ، ولا يلزموا أمرا واحدا ..

3 - والوجه الثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الأمة يريد الدين ، وقول الله : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله » منه .. والأمة : القامة ، قامة الرجل . والأمة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى لغرضه ، إذ أبان أن هذا المشترك من الكلمات - الذى ذكره سيبويه - نستطيع أن نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الأمة ، وأخرى يرداد التخالف الى أن تتضاد ، وهي « الأضداد » التى ألف من أجلها الكتاب ..

ان من أقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون التفرقة بين الأنواع التى يمكن أن تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون أن علي بن ابي طالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويذهب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ..» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يفتنى ان القدماء كان فى خلدكم ان تقسيم الكلام العربى كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من أقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى تتكلمة ..

واقدم ما يفتنى من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون أن يبين انقله عن أحد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذى أورده ثلاثا أيضا يمكن ان أضمه على النحو التالي .

النوعان من كلامهم :

1 - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ...
نحو جلس وذهب .

2 - اختلاف اللفظين والمعنى واحد ...
نحو ذهب وانطلق .

3 - اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...
نحو : وجدت عليه : من الموجدة ،
وجدات : اذا اردت وجدان الضالة ..» .

والنوع الثانى بالنوع الثانى ما سماه اللغويون (النوع الثالث) والنوع الثالث ما سموه المشترك ..

والنوع الثالث ما دونه سيبويه « كتاب » النحاة فى بيان ما كان من كلامهم وجمعوا اليه وافادوا منه : وكان سيبويه قد كان طبيعيا ان نجد هذا التقسيم فى كلامهم (2) . وكان طبيعيا بل أوغل فى ذلك أن نجد هذا القول - ان نجد هذا التقسيم فى صدر كتابه الذى ألفه فى

نزهة الألباء 2

المزهر للسيوطي 1 : 388 - 9

التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين » .

الاختلاف في وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث مما يندرج تحتها من الفاظ ، وعلمها احيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعتزفت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتهى اليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها في العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد . .

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري . اما الاولان فقد وجدت جندهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز منك ان تجيء لفظتان في

وانقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب اخر في الاضداد ، هو الذي الفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمته في مقدمته ، وازاد اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الامرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، وامن ان كل كلمة منها لها معنى ليس في اختها ، احيانا نعرفه واحيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري رأي ابن الامرابي ودعمه بالحجج التي تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فانفق هو وقطرب على قلتها . .

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق عن الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بمد قطرب على هذا الابهام . فاكفى ابو حاتم السجستاني بان قال في مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ابن الانباري في وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توهمها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤيدا عن ممتين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه في صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نأفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل . . وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليس ضدان ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اهم من

(4) 6 - 8 .

(5) 1 .

(6) 1 .

(7) ذكر الجواليقي في شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس في كلام العرب ضد . .

لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب

- وان اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177)

والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية في كتابه منه الى درجة تجعل

المراء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى منه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد

مقابل معناه ، لعله من العلل . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك

واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل

الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شك ، لا

يقينا ولا كذبا » (الاضداد 16) .

(8) المخصص 13 : 259 .

وأما ابن الأنباري فقد تناول واحدا من أهم آراء المنكرين للأضداد ورد عليه . بل لعله أهم رأي لهم ، إذ صدر عن راسم ابن درستويه ، واستفلكه جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل إلينا، كنا مضطرين إلى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ، وما تساقط إلينا من أقوالهم ، في تصور آرائهم . وتؤكد لنا هذه الحكايات أن المعارضين رفضوا الأضداد جملة ، وانكروا وجودها في اللغة . قال أحمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذي يمد رأس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للتكوب : قد ناه : إذا طلع . وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد ؟ فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى انكار الأضداد ، وان له في ذلك تأليفا » .

وعندما نتبع الأقوال التي اتى بها المنكرون لدعم رأيهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير أقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية . وأهمها الرأي الذي رد عليه ابن الأنباري ، وجاء ابن درستويه في شرح الفصيح حين قال (14) : « إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني . فلما جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتفظية .. » .

وتتقف هذا القول من ابن درستويه فشان من الناس . أبدا بالفئة المتأخرة في الوجود ، إذ عاشت بيننا في العصر الحديث ، وتقبلت القول في نيسة حسنة ، ودافعت عنه في مواجهة بعض ما وجه إليه

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ (يشير إلى المشترك) فلا يخلو في ذلك أن يجوره أو يمنعه . فان منعه ورده ، صار إلى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه الألفاظ ، فانها أكثر من تحمى وتحصر ، نحو « وجدت » الذي يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ، و « جلست » الذي هو خلاف قمت ، و « جلست » الذي هو بمعنى اتيت نجدا (وتسمى جنس) . فاذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . وإذا جاز وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ، إذا لُذض ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا ..

ولم يلجأ ابن فارس إلى المنطق، والجدل العقلي، في دفاعه عن الأضداد . وإنما اعتمد في أحد رأييه على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود ، والجون للابيض » . فالأضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف . واعتمد في رايه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الأضداد وموقفنا منهم . فقال يصف رأي المعارضين (10) : هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف «مهندا» والفرس «طرفا» هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد » فابن فارس يوجب أن نوحده موقفنا من هؤلاء الرواة . فان شككنا فيما رووا من الأضداد وجب علينا أن نشك في بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك أمر مستحيل . فان وثقنا بما رووا من غير الأضداد، كان واجبا أن نشك بما أوردوه منها . والحق أن ابن فارس كان أكثر توفيقا في دفاعه عن الأضداد ، وأقرب إلى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا ألا نعرض على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الأضداد ، ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، في قوله (11) : « وقد جردنا في هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

(9) الصاحبى 97 .

(10) الصاحبى 98 .

(11) الصاحبى 98 .

(12) الصاحبى 98 . المزهري 1 : 387 .

(13) المزهري 1 : 396 .

(14) المزهري 1 : 385 . أضداد ابن الدهان 5 .

من نقد على المصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) :
 « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة ،
 وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان
 تقبل ان المعاني الاولية المتضادة يتفاهم الناس عنها
 بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد اكبر
 جدا من التي تنشأ من الاشتراك . واذا قيل : ان
 القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة
 التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس
 من طبيعة اللغات في سداقتها . وانما هو طور آخر
 فوق ذلك » .

اما الفئة الاولى في الوجود فكانت مربية . ولم
 تقبل القول الا لتستند اليه في الطمن على العرب ،
 اذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الاضداد في
 مان واحد ، واقامت عليهما من الاحكام ما يتسق مع
 ما ربهما الحاقدة . قال ابن الانباري (16) : ويظن اهل
 البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم
 لتقصان حكمتهم ، وقلة بلافتهم ، وكثرة الالتباس في
 محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسالون عن
 ذلك ، ويحتجون بان الاسم منبئ عن المعنى الذي
 تحته ودال عليه ، وموضع تاويله . فاذا امتور اللفظة
 الواحدة معنيين مختلفان لم يعرف المخاطب ايها اراد
 المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على
 المسمى »

وكان رد ابن الانباري على هذه الفئة الشعبية
 بقوله (17) : « احدهن ان كلام العرب يصحح بعضه
 بعضا ويرتبط اوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب
 منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز
 وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لانها يتقدمها
 ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون
 الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى
 واحد . . ومجرى حروف الاضداد مجرى الحروف
 التي تقع على المعاني المختلفة وان لم تكن متضادة ،
 فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف
 ويتاخر بعده مما يوضح تاويله . »

وتساقط البنا من اقوال منكري الاضداد ما
 يكشف عن ادلة اخرى لهم . ولكن هذه الاقوال لا

تحاول ان تهدف القاعدة التي قامت عليها الاضداد
 كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل تسير
 في اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع ان
 نعلم عليها ونستفيد منها في موضع واخر . ولذلك
 نرجو عرضها والحديث عنها الى ذلك الموضع ،
 وننقل الى المحدين من الشرقيين والمشرقيين .

فيبرز امامنا عبد الفتاح بدوي اكثر الرافضين
 للاضداد تطرفا وتوسعا في رايه ، اذ انكرها انكارا
 بانا ، واعين : « واننا لتتحدي الذين يرممون ان في
 اللغة اضدادا ونباهلهم ، بجميع كلمات اللغة العربية ،
 ان ياتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد .
 فان لم يفعلوا ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد » .
 وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه
 اساسا ثم اقام عليه عنته في هذا النفي المطلق
 للاضداد . قال : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد
 مناف لطبيعة اللغة ، وانه لا يسهل التفاهم بين
 الناس . فمن الصعب ان تقبل ان المعاني الاولية
 المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة
 التي تنشأ من التضاد اكبر جدا من التي تنشأ من
 الاشتراك » . ورد على ابن الانباري قائلا : « واذا
 قيل : ان القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما
 حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على
 القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداقتها ، وانما
 هو طور واخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي
 الاضداد الى طوائف ، واتبع كل واحدة بما يبطلها في
 نظره . واعان ان امثالها موجود في اللغات المختلفة ،
 واتي بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور
 منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في
 انكار الاضداد ، فكانت كما يلي :

1 - كانت معظم الكلمات التي اوردها مؤلفو
 الاضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

اما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد الا في
 روايات نادرة ، بل روايات جديدة بالشك .
 ولا ريب ان بعض الالفاظ التي اوردها
 كتب الاضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

(15) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اضداد .

(16) الاضداد 1 .

(17) الاضداد 3 .

ما رواه ابو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى صدقته . وبعض العرب يقول : تصدق : سال ، والجيد : تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان القديما انفسهم - وجامعي الاضداد - هم الذين تقدموا مثل هذا اللفظ ، وابتاعوا الرديء والجيد منه ، كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند ابي الطيب (20) : « قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا التقدير كثيرة عند ابي حاتم وابن الانباري وابي الطيب خاصة ..

2 - يعوز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد الموثوق بها ، حتى قال جيز Gliese انه لم يعثر في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد . وذهب هرفشايد الى ابعد من ذلك . فعقب على قول جيز ملنا (21) ان هذا العدد يمكن ان تقلل منه لو اردادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس : الحميم من الاضداد ، يقال الحميم للحار ، والحميم للبارد . ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحار .. » . واعلم ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجره مجرى الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي : اي مثالي . قال ابو بكر (ابن الانباري) : وهذا عندي

قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب : العقل ضد الحق ، والايمان ضد الكفر . والذي ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » .

ولكن الحق ان القديما اوردوا كثيرا من هذه الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهملة . فلم يوردوا لها شواهد البتة ، او اوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد . مثال ذلك دهور ، وزجور ، ونهوز ، وبحتر ، في اضداد قطرب (24) ، وعنه روتبه بقية كتب الاضداد دون ان تكثرث لاضافة الشواهد (25) . والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وابي حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القديما لم يكونوا يشعرون بوجود ايراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل ابو حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال شواهده ومعبده ومغلب .

3 - لا يجوز الاعتماد في البات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في حال افراده عندما يركب في جملة ، لان السياق قد يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرج به الى التضاد مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تصنفي » يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

(18) ابو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .

(19) 110

(20) 437

(21) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .

(22) 82 . وانظر اضداد ابي الطيب 208 .

(23) 7 .

(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .

(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . ابو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .

(26) 17 ، 30 - 32 .

(27) انظر ادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اضب ، امعن ، وغيرها .

(28) 196 ، 199 .

(29) 160 .

وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من افقت آراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اترفوا بها ومن رفضوها ، والقديما والمحدثون ، والعرب والمستعربون . وان كثيرا من الآراء التي اتى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتلميل وجودها ، ولذلك ادخرتها لاوردتها هنا .

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، في كثير من الاحيان. فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى المصور القديمة، عندما كان العقل البشري في سداخته، فلم يكن يفطن لما يعثره من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للوائل من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق رواجاً حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguest الذي ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الايفال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلن جيز ان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلية قد تختلف ابحاءا ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذا كان الشيء المدحرج ثقيل احيانا ، وخفيفا احيانا ، فقد اتمدت العربية على هذين الايحاءين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير .

واقصد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جيز مثالا لذلك بالفعلين باع وشري . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما هرفت النقود ، اخصص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حياتنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحدائة عهد الناس بالحديث الذي يدل عليه . فلما

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من ترك الظلم لك والحنف عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فاما اذ لم تنصفتني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون، اي قد وقع له في عنقه جل وهز انه يكون لهم ذرية تعبه وتستغفر لهم . فلم يكن ليوقع بهم هدايا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لفروب العذاب التي لا يقع معها الجوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجذب في السنين التي لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعلهز ، وكذاب السيف والاسر الذي لحقتهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والاسراع والايان بما لم يات به السابقون. فتجلى عند ابن الانباري، ومن اخذ منه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصفاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا آخر ، يمكن ان نسميه - اذا احسنا الظن - تساهل اللغويين ، واذا اسأناه سميناه حب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . فقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل المعصر والحزور والروح والقلب والهاد وزنا ونسل . الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التي تحل فيها الاسباب التي ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد، ولذلك ابقيا الى حين معالجة انواع الاضداد ..

اصول الاضداد

منذ تلبس اللغويون الى الاضداد، واختلفوا فيها، وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها ،

عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الدفر ، التي تطلق على الرائحة الطيبة والكريمة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتأفف منها اآخر وينفر لشدتها ..

اما اللغويون العرب فقصروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يعمدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التي رأيتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من آثار اللهجات الكثيرة التي ضمتها العربية الفصحى . قال ابن الانباري (30) : « قال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن احد المعنيين لهي من العرب ، والمعنى الاخر لهي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فآخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجون الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي اآخر . ثم اخذ احد الفريقين من الاخر .. » . وترددت اصداء هذا القول عند أبي علي الفارسي (31) ، وأبن الدهان (32) ثم الكتاب الحديثين . وكان احد الدعائم التي استند اليها ابن درستويه (33) في اتيار الاضداد ..

وأورد ابن الانباري رأيا آخر لم ينسبه الى احد ، وكان له صداه ، أيضا في الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال ليل صريم . وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ والمستفيث ، سميا بذلك لان المفيث يصرخ بالاغاثة ، والمستفيث يصرخ بالاستفاة ، فأصلهما من باب واحد .. » .

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رأيين له في تعليق نشأة الاضداد قال (35) :

كنا حديثي مهد بالقناطر (الكباري) التي تفتح وتغلق ، لم نستطع ان نستقر بعد على اعطاء لفظ واحد لكل من عملها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اهلقت في وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واهلقت طريق المراكب أيضا . وربما اجتمع الى حدائة المهد اختلاف النظرة .. فأصحاب المراكب يقولون عنها : فتحت ، اذا فتحت لهم واهلقت نسي وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنيها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير في اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى في الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التي تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب في ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الاخر الذي اورده دائرة المعارف الاسلامية أيضا منسوبا الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للاخر . مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يخفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وثانيهما نتيجة لاولهما . ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل في مشقة ، وحمل الحمل . ومثلها ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان اآخر الامر قد يكون اولا لغيره ، وما يكون اولا لامر قد يكون اآخر لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذي بين النور والظلمة ، يمكن ان تختلف فيها القبائل أو الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده أو الظلام وحده .

وآخر ما جمعه جيز من أسباب التضاد فموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص الى اآخر ، وتسرب هذا الفموض الى الالفاظ التي تدل

(30) 11 .

(31) المخصص 13 : 59 .

(32) 5 .

(33) الزهر 1 : 385 .

(34) 8 .

(35) الاصول 174 .

التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفصل برادفه في المعنى أو ما نعرفه اليوم باسم التضمين . ويجدر بنا - قبل أن نترك ابن درستويه - أن نلاحظ أنه اضطر إلى الاعتراف بأنه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع أن ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلم خلوها التام منه ، وإنما أعلن أنه « نادر » وله علله ..

واسم أبو علي الفارسي في التعليل أيضا ، فأضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « أما .. اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتقلب فتصير بمنزلة الأصل » . وقد كان لهذا الرأي الأخير صداه الواسع في تقسيم الأضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في مرض تعليل الأضداد حيناً ، ومعرض انكاره حيناً آخر . وتلقفها عنهم المحدثون فأذوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسعين فيها أخرى ، ومتشعبين بها في أحوال كثيرة حتى خلصوا إلى آراء ما كانت تدور في خلد القدماء ..

وبقي أمامي المذهب الثاني الذي جمعه الشيخ محمد الخضري (38) علة لنشأة الأضداد وهو أن يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره أحيانا ، فلا يفتن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد .. مثال ذلك عنده الجون ، فالأصل فيها أن تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الأبيض ومنه الأسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وأنه يطلق على الأبيض من السحاب تارة ، وعلى الأسود أخرى ، فهو إذن من الأضداد . وليس الأمر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لأنه لا يدل إلا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وآخر العلل التي عثرت عليها ما أضافه الدكتور منصور فهمي مستقيا إياه من أقوال القدماء عن

أولهما أن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصالح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يفتن الناس من هذه الفكرة المشتركة يفتنون أن اللفظ من الأضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل أو النهار . وأصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لأنه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لأنه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان . ومصدق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع أن نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوي التضاد في الفعل باع . فقد رأى أن المعنى الأصلي له مد باعه ، سواء للاخذ أو العطاء ، ومن هنا اطلق على الشاري والبائع لأن كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلمتين أخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تمعية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل ، كما يجيء فعل وأفعال . فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين ، وأن اتفاق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من الصرب ، فالتأويل عليهم خطأ . وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ . وذلك أن الفعل الذي لا يتمدى فاعله ، إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر ، بأن يراد في أوله الهمزة ، أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . إلا أنه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال ، وثبوت المفعول وأمرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف . أو يشبه الفعل بفعل آخر متعدد على فيسر لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقيهما في المعنى ، كقولهم : حبست ، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فأسباب

(36) الزهر 1 : 385 .

(37) المخصص 13 : 59 .

(38) الأصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، إذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسما الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والمدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا هائل » . ولا زلنا نحن نسمع فى المقاهى عبارة : « خذ الملبان » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدى بنا التأمل الدقيق فى العلل التى أوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للثور على نظرية عامة او الإبتاد فى مجاهل التفكير البشري ، يؤدى بنا هذا النوع من التأمل الى ان اهم ما قالوا من طلل واخطره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان ، وفى حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يابه بما حولها من ملايسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدى اليه من نتائج ، ولا بما قطعه اللفظ من اشواط سائرا فى طريق معتدلة اانا ومعوجة داونة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، فمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما أحيط به من ظلال ، جعلته مشوباً بالفموض أحيانا ، وهرضة للخطأ أحيانا اخرى .

واما بقية العلل فهى اربابا لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور . كذلك يؤدى بنا التأمل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو فريبة ولكنها حقيقة واقعة . اعني أنه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصالتها ، اريد أنهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء ، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظيين متميزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع

من الالفاظ (الذى نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التى سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي . .

ويؤدى بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فابن درسيويه من المعارضين يصفها « بالشئ النادر » ، وابن الانباري من المؤيدين يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب » .

شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا منه ، عندما استقصى النظر فى اللغة ، او احتوى قوله على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضهم .

فقد كان فى وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل فى اللغة . فحاولوا جمعها وابرأها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله فى كتابه كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا امامهم من كتب فى الاضداد . فآخذوا يمدون النظر فيها ، وفى اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التى دونوها فى كتبهم . وبالرغم من ذلك اتبع هذه الشروط لاهميتها فى توضيح «صورة الاضداد» فى اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم .

واهم مؤلفا يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليعده من الاضداد :

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

الطاحي مندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح
للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحى .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) :
« قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت
المرأة : اذا جمعت لها كالنومتين من حلق ونسف -
والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذى
يمضد نابت فى الجبين - قال : ويقال للدوابية
جمار . ويقال : للمرأة جماران ، اي ذؤابتان ضفرتا
مقبتين على وجهها . . فقول قطرب : جمرت المرأة
ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان
جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار
لما يضاد للدوابية ، فلا وجه لادخاله فى حروف
الاضداد » .

فاين الانباري يشترط ان يكون المعنيان
المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين ، وكل منها
على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن
ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصفة الواحدة معنيان
متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46) :
« قال بعض الناس : طرب : حرف من الاضداد .
يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن . . ولم
يصب هذا القائل مندي ، لان الطرب ليس هو
الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان فى
وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه فى هذا الرأي ،
قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد
المائم . فالمائم النساء المجتمعات فى فرح وسرور ،
والمائم النساء المجتمعات فى غم وحزن ومناحة . . .
وقال غيرهما : المائم جماعة النساء ، لا واحد لها
من لفظها ، وسواء كن فى وليمة او مناحة او فى
غيرهما بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس المائم
عنده من الاضداد » .

1 - ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين
المتضادين واحدة . فاخرج من الاضداد ما كان احد
المعنيين لافعل والاخر لفعل . قال (41) : « قال
قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النمل :
اذا انقطعت مروتها وشسما ، واخدمتها : اذا
اصلحت مروتها وشسما . وهذا ليس مندي من
الاضداد ، لان (خدمت) لا يقع الا على معنى واحد ،
وكذلك (اخدمت) . ولفظ اخدمت يخالف لفظ
خدمت . وما لم يمر الا من معنى واحد بلفظه لا يكون
من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن
الانباري فى هذا الرأي ، بل فى كلامه الذى اذكره
بعد ما يدل على اتفاقه معه فى حديثه عن كل الصيغ
التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد
وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من
الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم
والشحم ، وبدن تدينا : اذا اسن وكبر وضعف .
قال ابو بكر : وليس الامر مندي على ما ذكر قطرب ،
لان (بدن) لفظه يخالف لفظ (بدن) . وما لا يقع الا
على معنى واحد لا يدخل فى حروف الاضداد » .

واخرج منها على ما كان على فعل وفعل وفعل
من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من
الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الاجابة
الى الداعي اذا دعاه . . ويقال : رجل نجد : اذا كان
مفرغا من أي وجه . . وقال غير قطرب : يقال
للمفزع : منجود ونجيد . . قال ابو بكر : وليس
النجد مندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على
معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل فى
الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44) :
« ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنضجع .
والطاحي : المرتفع . . هذا قول قطرب . وليس

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .

(42) 310 .

(43) 320 .

(44) 302 .

(45) 279 .

(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .

(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .

ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، اذ تختلف الملل ، الصرفية التي وصلت بها الى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الاضداد - زعم التوزي - قولهم : رجل مود اي هالك ، ورجل مود اذا كان ذا سلاح قويا . قال ابو الطيب : وليس كذلك ، لان المودي الهادي غير مهموز ، وفاء الفعل منه واو ، يقال : اودى الرجل يودي ايداء اي هلك . . والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وانما معناه ذو اداة الحرب . يقال : قد ادى يؤدي : اذا تمت ادائه للحرب وسلاحه . . فهذا غير الاول » . وقد ادى به هذا التصور للاضداد الى ان يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه منقلبة عن ياء او واو ، اذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الالف ، مثل الميتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المبتز والمحتز والمختص . ووضع في اواخر الكتاب (54) .

واخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الاصلي فيها ، قال (56) : « قال ابو حاتم : ومن الاضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء اذا ظهر وبدا . . قال اللغوي ، واما انا فلا ارى هذا من الاضداد ، لان شرط الاضداد ان تكون الكلمة اتواحدة بمينها تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع يضيع من الضياع انما الالف فيه منقلبة عن ياء . . وقولهم ضاع اذا ظهر الالف فيه منقلبة عن واو »

بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرى والمصدر منه من الافعال ، ومد ذلك اختلافا بينهما . قال (57) : « ومن الاضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالتانع الراضي ، والتانع السائل الطالب . . قال عبد الواحد : ليس هذا عندي من الاضداد ، لان شرط الاضداد ، على ما اصلنا

واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب انما تقولها العامة » .

واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعمالهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الاضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : اذا عرضت عنه ، وهجرت الناقة : اذا شددت في انفها الهجار - وهو حبل - لتعطفها على ولد غيرها . . وهذا القول عندي بعيد ، لان المعنى الثاني لم يستعمل في الناس » .

ويبدو ان ابا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ، وان لم يطن ذلك صراحة « قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الاضداد التفل . فالتفل المنتن ، والتفل المتطيب . قال ابو الطيب : المعروف من التفل المنتن » .

واشترط ابو الطيب الا يكون المعنى الثاني مجازيا . فاخرج من الاضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشاء الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والارة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى الا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناه بي الحمل ، ويا خيل الله اركبي . ولم يعد ذلك من الاضداد (52) .

وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ،

(48) 267 .

(49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .

(50) 113 . وانظر 163 .

(51) 711 .

(52) 720 .

(53) 671 .

(54) 691 .

(56) 452 .

(57) 577 .

أولا ، أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ من معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها . والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناها وقنمانا - أي رضي - فهو قانع وقنع . والقانع - بمعنى السائل - يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره . . . وإذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الأضداد .

ونستخلص من هذا غموض صورة الأضداد في ذهن قارئ أو عدم وجود حدود لها ، وأخذها في الوضوح والجلالة والتحدد على مر الزمن . فكانت اللغات الأولى عنها عند أبي حاتم السجستاني . لم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الأنباري وأبي الطيب .

انواع الأضداد

نستشرف من الحديث السابق عن أسباب الأضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير صورها عند اللغويين ، نستشرف منه أن الأضداد لم تضم فئة واحدة من اللفاظ كان من المحتمل أن يتفق عليها العلماء أو على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بأن الأضداد ثبات مدة ، لم يجد بين القدماء من حاول أن يصنفها ، تصنيفا قاصرا أو شاملا . وبالرغم من أن المحدثين اضطروا إلى الفصل بين أنواع منها ، ليسهل عليهم رفضها أو تمليلها ، فإنهم لم يرتقوا بهذا الفصل إلى أن يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو أنه أراد أن يعرض ما فات اللغويين ، فإمطانا تقسيمين لا واحدا . أما التقسيم الأول لصغير ومحكم ، ويقوم على أساس نحوي . فقد جعل الأضداد أربعة أنواع :

1 - أضداد في اللفظ المفرد ، كالقمره للحيض والظهر .

2 - أضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 - أضداد في التراكيب ، كعبارة « تهببت الطريق وتهببني الطريق » .

4 - أضداد في المتعلقات ، كرفب عنه ورفب فيه .

وكان التقسيم الثاني واسعا ، ينظر إلى عدة أسس بحيث تفيب عن النظر الذي يريد أن يصل إليها . فالأضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف ، هي :

1 - الأضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المفيث والمستفيث .

2 - الأضداد التي يكون أحد معنيها حقيقيا والآخر مجازيا ، مثل اطلاق الكأس على الإناء والشراب الذي فيه .

3 - الأضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 - الأضداد التي يصح أن ينسب مصدرها إلى أي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 - الأضداد التي تتوافق منطقيا وتختلف تصريفا ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذي اختار ، والشئ الذي اختير .

6 - الأضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه .

7 - الأضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 - الأدوات والحروف ، مثل ان واذا وإذا .

9 - الأضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درعاه ، وماتم . .

10 - الأضداد الناتجة من تصف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فإني لن أنسى كثيرا بالتقسيمات النظرية ، وأن كنت لن أهملها كل الإهمال . وأجعل ههنا كلة في تتبع الأنواع المختلفة التي ادخلها مؤلفو الأضداد فعلا . في كتبهم ، إذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . وأبدأ بأول مؤلف : قطرب ، إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده إلى نقده . ورفض كثيرا منها . ولن أقف عند التقسيم ، بل أتبع كل صنف بما وجه إليه من نقد . وهالك ما وجدته من أصناف عند قطرب :

أكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثني ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تريا : اذا لصق بالتراب من الفقر . . واترب الرجل يترب اتروا : اذا كثر ماله ككثرة التراب . فالترب المحتاج ، والترب الفني » وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوري : ومن الاضداد لبث الرجل اذا اعطيته من الثواب ، وابته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » .

1 - الاضداد الحقيقية ، اهي الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « العقوق للحامل والعقوق للحائل ايضا » . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، أي جعلته باردا . وبردته : سخنته . قال : وانشدنا بعضهم :

سكت البرد في المياه ، فقلنا

برديه توافقيه سخينا

اما الاصمعي فوجدت عنده مثلا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار . واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) اي العادلين . وقال في الجائرين : (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) . . » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالالف : عدل لا غير » بدليل صبارة (لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره .

قال قطرب : معنى برديه في هذا البيت سخنيه . وقال ابو حاتم : هذا خطأ ، انما هو برديه (يريد : بل رديه) من الورد ، ولكنه ادغم اللام في الراء ، كما يقرا (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت . وقال ابن الانباري عن لفظ ماخر (61) : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا - او بهترا بالهاء ايضا - ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على ان البحتر يقال للعظيم » .

3 - الالفاظ التي تنفق في الصيغة والحدث ،

وتختلف في نسبتها الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعيل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : « الريبة : التي تربب . والريبة : التي تربت . قال الله عز وجل في الريبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

2 - الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الالفعال ، وفعل وفعل وفعيل من الصفات . وقد اوردت اثنا امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد ، واخرجهما ايهاها من الاضداد . والحق معهما ، ولذلك لم يوافق قطريا من اتى بعده من مؤلفي الاضداد . فاستبعده

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري 114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .

(59) 133 . واورده ابو حاتم ، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .

(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .

(61) 257 . واورده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .

(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .

(63) 124 .

(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .

(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174 ، وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11 ، والصغاني 472 .

الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : (وان الله تواب حكيم) . وقال الله تعالى : (ان الله يحب التوابين) .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 - الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهنف الرجل اهنافا - بالنون والتاء : ضحك ضحكا وريدا . واهنف أيضا : بكى . ويقال : تهانف الرجل تهانفا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الأنباري : « تهانف معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكسي والضاحك ، فالمعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تنصل به . ومثله الماتم كما رأينا .

ولم يتفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من أصحاب الأضداد . فقد اورد الاصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا تفد ابن الأنباري لها . ولم اجد عند أبي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وأبي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال أبو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبخته الشمس اي احرقته ، وطبخته في التنور : اي شويته .. » فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء اكان بالشئ ام بالفلي في القدر ..

والغريب ان ابن الأنباري الذي تفد كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي عن كثير منه . ومن اغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الأضداد . يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : (لئنما ركوبهم) لما يركب . وركوب للفاعل أيضا مثل ضروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الآخر : « يدمن صوان الحمصي ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب . وقال اوس :

تضمنها وهم ركوب كأنها
اذا ضم جنبه المخارم رزق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده » .

وصيغة فاعل أيضا ، قال (67) : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم ، وامر عارف ، وما انت بحازم عقل : اي محزوم عقل ، وهذه تظليقة بائنة : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا عاصم اليوم من امر الله) كانه يريد لا معصوم ، و (هو في ميثمة راضية) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ... » . ويرى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بمد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتم صاحب او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في مد هذا النوع من الأضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جمع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعيل ، وفترتها بعضهم الآخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعيل . واتبعه في الأمرين أبو حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي اوردها (154 - 163) . وجمع الاصمعي بمض صيغ فعول دون عنوان (87 - 91) واهمل صيغ فعيل . فاتبه ابن السكيت .

واضاف أبو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه . قال (68) : « التواب : التائب

(66) 13 . واورده الاصمعي 90 ، و أبو حاتم 154 ، وابن السكيت 362 ، وابن الأنباري 239 و أبو الطيب

306 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 481 .

(67) 33 - 44

(68) 196 . واورده ابن الأنباري 338 ، و أبو الطيب 111 ، وابن الدهان 8 ، والصفاني ، 411 .

(69) 52 . واورده ابن الأنباري 258 ، و أبو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .

(70) 211 . واورده أبو الطيب 462 ، والصفاني 554 ، ووضعه ابن الأنباري في اشباه الأضداد 185 .

(71) 225 . وانظر 227 .

يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى (اراد لا تقربوا المصلى ، هذا تفسير ابي عبيدة وغيره . وقال عز ذكره : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) والصوات عني بها كنانس اليهود ، واحدتها صلاة .. فالصلاة موضع صلاة الانسان ، مسلما كان او مسيحيا او يهوديا او غيرهم .

ويتمثل هذا النوع ايضا في اشداد ابي الطيب ، وابن الدهان ، والصفاني ، بسبب كونها تستهدف الجمع ، فهي تورد ما اورده الكتب السابقة عليها . بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين يدي من كتب . ومثالها ما اورده الصفاني في قوله (72) : المجباء : التي يتمجب من حسنها ، والتي يتمجب من قبحها . واللفظ عني عن التعليق ، فالواجب ان يفسر بانه التي يتمجب منها ، سواء كان ذلك التمجيب للحسن او القبح او غيرهما .

5 - المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعا لاختلاف التعلقات ، مثل قول قطرب (73) : «ومنه ايضا راغ عليهم : اناهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم وتنهى . وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضربا باليمين) اي اقبل عليهم ضربا بالالفة .. » وقد نقد بعضهم قطربا على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري : « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا ان يكون مخفيا رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابدا الا بمعنى رجع على السبيل الذي ذكر الفراء ، وليس بحرف من الاشداد على ما ادمى قطرب » . وواضح ان معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد الحرف الذي يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة . فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالا ومجيئا . واذا كان عن ، كانت الحركة ادبارا وابتعادا .

ولكن قطربا لم يتفرد بهذا النوع من الاشداد ، بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاشداد . ومثاله عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكي ان الاقهام الجوع ، وانشد : - وهو الى الزاد شديد الاقهام - يقال : اقهم من الطعام واقهى : اذا لم

يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري وابن الدهان والصفاني ما ذكره سابقوهم من هذا النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا النوع هو عبد الفتاح بدوري في قوله : « جلي الا تفاد في شيء من الرغبة او السروغ او الانصراف (في قولنا رفيت فيه ومنه ورغت عليه ومنه وانصرفت اليه ومنه) انما الضدية بين معنى في وعن ، وعلى وعن ، والى وعن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ، ليست من الضدية التي نبحث عنها في شيء ، فابن اللفظ الذي له معنيان متقابلان » .

6 - الالفاظ التي اختلفت في العدد الذي تدل عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ، الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان . والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240) على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطأ ، لا يعرف الزوج في كلام العرب لاثنين ، انما يقال للاثنين زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب . قال الله عز وجل (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما بذكر وانثى . وقال عز ذكره : (ثمانية ازواج من الضأن اثنين ، ومن المزر اثنين) وكذلك ما بعدهما ، فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .. فمن ادمى ان الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على صحة تأوله » . واظن ان سبب هذا الخلط ، ان اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذي لا بد من اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد الدال عليه فحسب : واحد او اثنين ، وليس هذا بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابو عبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضعف حرف من الاشداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضعف الشيء

(72) 574 .

(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .

(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288 ، وابن الانباري 144 ، وابو الطيب 596 وابن الدهان 18 ، والصفاني 636 .

(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصفاني 492 ونقده ابن الانباري 281 .

(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصفاني 551 .

ومغضبنا ورغبتنا ، لعلنا باننا اذا فعل شيئا فعلناه
ابنا . ولهذا اللة قال الله جل ذكره : **ارسلنا ،
وخلقنا . ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى
صار الواحد من هامة الناس يقول وحده : قمنا
وقعدنا ، والاصل ذلك .**

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الاضداد ،
واسوتنا في ذلك من اهملة من اللغويين امثال الاصمعي
وابي حاتم وابن السكيت وابي الطيب ..

7 - الاضداد من اللغات . قال قطرب (79) :
« **المصر - في لغة قيس واسد - التي قد دنت من
الحيف . وامعرت المرأة امصارا . وقد دنا امصارها .
وبلغة الازد : التي قد ولدت او تعنتت .** وسار
على هذا المسلك جميع المؤلفين في الاضداد ، وان
عارضهم بعض اصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال
هذا النوع عند الاصمعي قوله (80) : **في المادة الاولى من
كتابه : « القراء عند اهل الحجاز الطهر ، وعند اهل
العراق الحيف .. » . وفي اصداده ايضا (81) :
« قال ابو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة ، وفي
لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :**

وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

اي اسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح .
وقال المجاج : « - واقطع الليل اذا ما اسدفا - اي
اظلم » . وقال ابو حاتم (82) : « **العنوة : القهر .
واهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : اخذته عنوة
اي قهرا ، وقال اهل الحجاز طاعة ، وانشدوا :**

هل انت مطيمي ايها القلب عنوة
ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال كثير :

مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاف لها
المداب ضميين) قال ابو العباس ، عن الاثرم ، عن
ابي هبيدة معناه يجعل المداب ثلاثة امدبة ، قال :
وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه . وقال ابو عبد
الله هشام بن معاوية : اذا قال الرجل : ان اعطيتني
درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب
لا تفرد واحدهما ، انما تتكلم بهما بالثنائية . وقال
غير هشام وابي هبيدة : يقع الضعف على المثلين .
قال ابو بكر : وفي كلام الفراء دلالة على هذا .
وفي هذا القول مغالطة ، لان ضعف الشيء اما ان يراد
الشيء معه فيصير الجميع مثلي الاول ، واما ان
يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار في طريقهما ابن الانباري ، اذ ارتضى
قول الفراء (77) : « **مثل حرف من الاضداد ، يقال :
مثل ، للمشبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ،
للضعف فيكون واقعا على المثلين . زعم الفراء : انه
يقال رايتمكم مثلكم . يراد به رايتمكم ضعفكم ، ورايتمكم
مثليكم يراد به رايتمكم ضعيفكم . من هذا قول الله عز
وجل : (يرونهم مثليهم رأي العين) معناه
يرى المسلمون اي ثلاثة امثالهم ، لان
المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وارمة عشر رجلا ،
وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان
المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة امثالهم »
وفي هذا القول ما في اللفظ السابق من خطأ في
الشرح .**

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذي ادخله
ابن الانباري في اشباه الاضداد قال (78) : « **ومما
يشبه حروف الاضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنتين
والجمع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا .
وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والاصل في
هذا ان يقول الرئيس الذي له اتباع يفضبون بفضبه ،
ويرضون برضاه ، ويقتدون بافعاله : امرنا ونهينا ،**

(77) 79 . واورده ابن الدهان 19 ، والصفاني 657 .

(78) 113 . واورده ابن الدهان 20 .

(79) 101 . واورده ابن الانباري 136 وابو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصفاني 584 .

(80) واورده قطرب 99 ، وابو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الانباري 8 ، وابو الطيب 571 ،

وابن الدهان 17 ، والصفاني 620 .

(81) 43 . واورده قطرب 5 ، وابو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الانباري 564 ، وابو الطيب

346 ، وابن الدهان 12 ، والصفاني 500 .

(82) 185 . واورده قطرب 173 ، وابن الانباري 42 ، وابو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبت ليلى عنوة ان تزورها
وانت امرؤ في اهل ودك تارك

الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد من جاء
بعده .

ورد في اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ
الانقياص ، اذ قيل في مادة (قلص) (86) : « ويقال
قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا
جم وكثر . قال الراجز :

يا ربهما من بارد قلاص
قد جم حتى هم بانقياص

والانقياص : ان تشق الركبة طولاً او السن ، قال
أبو ذؤيب الهذلي :

فراق قميص السن فالصبر انه
لكل اثاث عشرة وجبور «

وسها ابن السكيت في عمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي،
فالتقط اللفظ ، وخصص له مكاناً بين اضداده ، بعد
مادة قلص . ولكن احداً غيره لم يقع في هذا
السهو ..

10 - الالفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن
الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكون
بمعنى اعظم كقولك : هذا فوق فلان في السلم
والشجامة ، اذا كان الذي فيه منهما يريد على ما في
الاخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولك : ان فلاناً
لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ،
وانه لاحمق وفوق الاحمق ، اي هو دون المدموم
باستحقاقه الزيادة من الدم . ومن هذا المعنى قول
الله عز وجل (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما
بموضة فما فوقها) يقال : معنى قوله : « فما
فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء:
الاختيار ان تكون فوق في هذه الآية بمعنى اعظم ،
لان البموضة نهاية في الصغر ، ولم يدفع المعنى الاخر
ولا رءاه خطأ وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

اي طائفاً . وكل ما ذكره السالفون من
اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن
السكيت وابن الانباري وابو الطيب وابن الدهان
والصفاني .

8 - الفاظ الثنائية التي لا تفرد . قال قطرب
(83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وداخره .
ومنه مصراعاً الباب يلمان ايضاً . ضدان . ذلك لاول
النهار وداخره » . وتابعه في هذا ابن الدهان وحده .
واعترض عليه ابن الانباري قائلاً : « وقال غيره :
الصرعان الفداة والمشي جميعاً ، ولا يقع على واحد
منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما
يقال لليل والنهار : اللوان ، والفتيان ، والرذفان ،
والمصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات » .
واغفله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم
يرضوا عن هذا النوع .

9 - المشترك من الالفاظ دون ان يتضاد .
ومثاله ما اورده مانفا من جمرت الشمر ، وللمرأة
جماران . ونقد ابن الانباري له . ويرغم ذلك لم يبرأ
بعض اللغويين من الخلط بين الالفاظ ذات المعاني
المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط ، كما فعل
قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضية :
اي مظيمة . ويلة غاضية : شديدة الظلمة » .
والتضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية
هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت في اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان
الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما
قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين »
فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال :
ضننت اذن ضناً . والظنين المتهم ، وهو من الظنة
اي التهمة . » فهما اقرب الى كتب الابدال منهما

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127 .

(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصفاني 559 ،
وابو الطيب 524 .

(85) 109 .

(86) 11 ، وابن السكيت 286 .

(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 616 ، وانظر
قطرباً 163 .

لما لم يقع . وفى التفسير (منع منا الكيل) . أي يمنع منا . و (نادى اصحاب النار) أي ينادون . وقال الحطيثة :

شهد الحطيثة حين يلتقى ربه
ان الوليد احق بالمدد

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلتقى ربه ، ولم يلقه بعد .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله :

ولقد امر على اللثيم يسبني
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت عنه . وقال الآخر :

واني لايبكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

أي ما يكون فى غد . . . » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاصباد - وهي آخره (يريد آخر الكتاب) - : اذ فى القرآن لما مضى فى معنى اذا ، واذا لما يستقبل ويجرى ايضا فى معناها . وقال الله عز وجل (ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت) و (لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى يفرغون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا : (واذا قال الله يا هبسى ابن مريم) وكان القول يكون فى القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال أبو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جرى
جنات عدن فى العالسى العلى

كانه قال : اذ يجري ، لان هذا لم يقع بعد . . . وقال اوس :

والحافظ الناس فى الزمان اذا
لم يرسلوا تحت هائد ربعا

وهبت الشمال البليل واذا
بات كميع الفتاة ملتفعا

الوصف كقول العرب : انه قليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال : لا يجوز أن تكون فوق فى هاتين المسألتين بمعنى دون لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان . . . » .

وهذا التمليل لجمال «فوق» من الاضداد خاطيء، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى «دون» ابدا . وصبارة انه لاحق وفوق الاحق ، أي يريد منه حمقا ، لا دونه حمقا . فالتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة فى وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال «فوق» مع جميع الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول ايضا انها بمعنى «اعظم» لا لغير . فمعنى الآية «ان الله عز وجل لا يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة» وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ، مثل الذباب والطيور والكلب والحمار ، التي استمد منها الامثلة فى الآيات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة الضالة والصفر ، فالمنى انه سبحانه وتعالى لا يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها صفرا وضالة شأن . فالتفسيران يبينان ان «فوق» لم تخرج من معناها الاصلي ، وهو «اعظم» .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذى يشير منا ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور وبيض الامجاز ، وليال درع : بيش الصدور وسود الامجاز ، وشاة درعايا هذا : بيشاء المؤخر سوداء المقدم ، وشاة درعايا - سوداء المؤخر بيشاء المقدم » وقال ابن الانباري مملقا « وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسّر الليلة الدرعايا والشاة الدرعايا كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط بياضها وسوادها كأنها تلبس درعايا ، دون اشارة الى المقدمة والمؤخرة فاستراح من هذا فى الاضداد . وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 - الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل :

(88) 142 . واورده أبو حاتم 132 ، وابن الانباري 165 ، وأبو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ، والصغاني 465 .

(89) 121 .

(90) 218 .

فقال : اذ واذا فى معنى واحد ... » .

وإرضى أبو عبيدة هذا النوع من الأضداد ،
وإدخله فى كتابه . قال ابن الأنباري (91) : « قال
أبو عبيدة : كان من الأضداد ، يقال : كان للماضي ،
وكان للمستقبل . فأما كونها للماضي فلا يحتاج لها
إلى شاهد ، وأما كونها للمستقبل فنقول الشاعر :

فأدرت من قد كان قبلي ولم ادع

لمن كان بعدي فى القوائد مصنما

أراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ،
كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيمًا) معناه والله
غفور رحيم .

« قال أبو عبيدة : ويكون من الأضداد أيضا ،
يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه
للمستقبل لا يحتاج إلى شاهد ، وكونه للماضي قول
الصلتان يرثي المفيرة بن المهلب :

قل للقوائف والغزاة اذا غزوا

والبكريين وللمجد الرائح

ان الساحة والشجاعة ضمنا

قبرا بمرؤ على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الجلاد وكل طرف سابع

وانضح جوانب قبره بدمائها

فلقد يكون أخدام وذبالح

أراد : فلقد كان .

« قال أبو بكر : والذي نذهب إليه ان « كان
ويكون » لا يجوز أن يكونا على خلاف ظاهرهما ، إلا
إذا وضح المعنى . فلا يجوز لقائل أن يقول : كان عبد
الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال أن
يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله .
لأن هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فإذا انكشف
المعنى حمل أحد الفعلين على الآخر ، كقوله جل
اسمه (كيف تكلم من كان فى المهد صبيا) معناه : من
يكون فى المهد فكيف تكلمه ، فصلح الماضي فى موضع
المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

(91) 28 - 69 .

(92) أوردته أبو حاتم 198 ، وابن الدهان 18 ، والصفاني 646 .

فمن كان لا ياتيك إلا لحاجة

يروح لها حتى تقضى ويفتدي

فاني لا يكتم تشكر ما مضى

من الأمر واستيجاب ما كان فى غد

أراد ما يكون فى غد . وقال الله عز ذكره
(ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) فمعناه :
وينادى ، لأن المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا أيها
منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا .
وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقي ربه

ان الوليد أحق بالمدر

معناه : يشهد الحطيئة . وقول أبي عبيدة : كان
زائدة فى قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفورا
رحيمًا) ليس بصحيح ، لأنها لا تلقى مبتدأة ناصبة
للخبر ، وإنما التأويل البتداء عند الفراء ، « وكائن الله
غفورا رحيمًا » فصلح الماضي فى موضع الدائم ،
لأن أفعال الله جل وعز تخالف أفعال العباد ، فأفعال
العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك
مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم
شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلمًا وحكمة ، فقال الله
جل وعز : (وكان الله غفورا رحيمًا) أي لم يزل الله
عز وجل على ما شاهدتم » (92) .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الانفصال لم
تخرج من زمنها ، سواء ادلت على الماضي أم على
المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الإصويل . وإنما
استعمال المضارع فى الماضي التفات ذهني ، كما يبرز
القائل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت
سمع السامع والقارىء وبصرهما ، وكأنها تحدث فى
الحاضر ، لتكون أشد تأثيرًا فيه ، وانطباعًا فى
ذهنه . واستعمال الماضي فى الزمن الحاضر التفات
ذهني ، كما يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الانفصال
فى المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكأنما قد وقعت
حقًا وانتهى الأمر . أما استعمال الانفصال الماضية
والمضارعة فى غير زمنها فى بعض الشعر لغير فرض
بلاغي ، فإنما هو أمر فرضته - فى غالب الظن -
الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الأضداد .

أرى ثم وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجهه وقبح حامله

وقال أبو دواد يذكر نرسا :

فهي شوهاء كالخوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم «

وأورد أبو حاتم وغيره هذا اللفظ أيضا ، ونسره
الأول تفسيرا واضحا ، إذ قال : « قال أبو عبيدة :
مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال أبو حاتم : لا
اظنهم قالوا للجميلة : شوهاء إلا مخافة أن تعيبها
مين ، كما قالوا للفراب : أمور لعدة بصره » .

وهذا النوع من التمجير ليس من الأضداد
أيضا ، لأن قائله يريد أن يوهم السامع بحقيقة اللفظ
لا ضده ، أو يوهم نفسه أيضا ، فهو حين يصف
المددوغ بالسليم يريد أن يوهم نفسه وساميه بأنه
سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد بأي حال من
الأحوال أن يتصوره مددوغا متألما . وكذا الحال في
بقية الألفاظ . وقد تقدم مبدأ الفتح بدوي هذا النوع
فقال منه : « إذا طبقنا بسائط علوم اللغة من أمثلة
هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازيا للكلمة ،
والأول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية
لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لانهما لا يتساويان في
فهمهما من الكلمة ، وإنما الذي يفهم هو المعنى
الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني إلا بتقرينه ،
وبالانتقال من المعنى الأول حتما ، فيفوت معنى
الضدية .

13 - صيغة افعال قال قطرب (98) : « ومنه
أيضا شكاني فلان فأشكيت : إذا شكاك فاعتنته ، وقد
يقولون أيضا : فأشكيتك ، أي زددته شكوى . ويقال :
شكا الي ما لقي فما أشكيتك أشكاه ، وقال الراجل :

12 - عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب
(93) : ومنه أيضا : رجل أمور : للذهاب العين ،
ورجل أمور : للحديد البصر . ويقال غرب أمور ،
لعدة بصره ، وقال الشاعر : - في الدار تحجال
الفراب الأمور - « وقال (94) : « وقالوا : البصير :
الصحيح البصر ، والبصير : الأعمى . والآدم :
الأيض ، والظبية الأدماء : البيضاء . وآدم : أسود .
وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الأضداد جميعا ،
وعند غيرهم . قيل في أضداد الأصمعي (95) : « قال
أبو زيد : التاهل في كلام العرب : العطشان ،
والتاهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطامن الطنعة يوم الولى
ينهل منها الأسل التاهل

أي يروى منها العطشان . وقال الأصمعي : الأثى
ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : أي معطش ،
وأبل نهال : أي مطاش ، يتطيرون بها من العطش
فيقولون : هذه أبل ناهلة .. » .

وقال الأصمعي (96) : « سموا المفازة مفعلة من
فاز يفوز : إذا نجا ، وهي مهاكة ، قال الله جل
لناؤه : (فلا تحسبنهم بمفازة من المذاب) أي منجاة .
وأصل المفازة مهلكة ، تنفاهلوا بالسلامة والفوز ،
كقولهم للمددوغ سليم ، والسليم : المعانى » .

وأضاف أبو عبيدة عبارات التطير ، إذ قيل
في أضداد الأصمعي (97) : « قال أبو عبيدة يقال :
فرسي شوهاء . أي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا
شيء . ويقال : لا تشوه علي ، أي لا تقل : ما أفصحك ،
فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها إلا في هذين
الحرلين ، وأما التبح فيقال : قد شوه الله خلقه ،
ورجل أشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

- (93) 75 . وانظر ابن الأنباري 269 ، وأبا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .
(94) 76 ، 17 . وانظر أبا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .
(95) 45 . وأورده قطرب 55 ، وأبو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الأنباري 65 ، وأبو الطيب
637 ، وابن الدهان 20 ، والصفاني 680 .
(96) 38 . وأورده ابن السكيت 319 ، وابن الأنباري 59 ، وأبو الطيب 560 والصفاني 615 .
(97) وأورده أبو حاتم 220 ، وابن الأنباري 181 ، وأبو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .
(98) 201 . وأورده أبو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الأنباري 140 ، وأبو الطيب 390 ،
وابن الدهان 13 ، والصفاني 526 .

وتائم : اذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل ، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب في المعنى الآخر . . . وقال ايضا تحت حرف من الاضداد ، يقال : تحت الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحت اذا تجنب الحنث . . . » .

وقال الرضى 103 : « والاغلب في تفعل معنى صيرورة الشيء ذا اصنه ، كناهل وتالم . . اي صار ذا اهل ، والم . . . فيكون مطاوع فعل الذي هو لجعل الشيء ذا اصله اما حقيقة كما في البته فتالب واصلته وتاصل ، واما تقديرا كما في تاهل ، اذ لم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل . ومن الطبيعى ان هذه الصيغة تأتي من الافعال التي تصلح فيها المطاوعة . .

وقال الرضى ايضا (104) ان تفعل تأتي للتكلف نحو تشجع وتحلم ، وما هو بشجاع ولا حلیم . . اي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه ، وللاتخاذ ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الرداء والوسادة . فهذا المعنى يأتي من الاشياء المادية لا المجردة . وتأتي ايضا للعمل المتكرر في مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنى استفعل في الطنب ، والاعتقاد في الشيء انه على صفة اصله ، نحو تنجزته واستعظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متمد لا لازم ، واخيرا تأتي للتجنب .

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفرق الجلي . فالصيغة فيهما جميعا - ماعدا التكلف - متمدية لا لازمة ، بخلاف الحال في معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والائنان يفيدان السلب كما رأينا ، لان متكلف الشيء يشمر بعدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة للتجنب ، مثل تائم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

تمد بالاعتناق او تلويها

وتشتكي لو اننا نشكيها

وارضى الاصمعي هذا النوع ، وادخله في الاضداد ، قال (99) : « اطلبت الرجل : اعطيته ما طلب ، واطلبته : الجأته الى ان يطلب ، ومنه قول ذي الرمة :

اضله راحيا كلية صدرا

عن مطلب وطلى للاعتناق تضطرب

يقول : بعد الماء منهم حتى الجاهم الى طلبه ، ويروى : - عن مطلب قارب وراده عصب - . « ويقال : اشكيت الرجل : اذا اثبت اليه ما يشكو منه ، واشكيت : نزلت شكايته .

قال الراجز :

تمد بالاعتناق او تلويها

وتشتكي لو اننا نشكيها

والامر في هذا النوع يسير ايضا ، فالمعنى الاصلي فيها التعدية ، قال الرضى (100) : « المعنى الغالب في افعل تعدية ما كان ثلاثيا » ، فالمعنى الاصيل لاطنب واشكى جواه يطلب ويشكو . ولكن هذا الطاب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا في الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكوى . فارتبط السبب (الشكوى) والسبب (ازالته) في ذهن العربي ، فربط بينهما في لفته ، واطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حين اطلقه على المسبب . .

14 - صيغة تفعل ، قال قطرب (101) : « ويقال : تائم فلان : كره الائم ، وهو من لفظ الائم ، وحر ج ايضا بخرج : ائم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتائم حرف من الاضداد ، يقال قد تائم الرجل اذا اتى ما فيه المائم ،

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابن الانباري 48 ، وابو الطيب 457 ، والصغاني 561 .

(100) شرح الشافية 1 - 86 .

(101) 90 .

(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، وابا حاتم 231 .

(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .

(104) شرح الشافية 1 : 104 - 107 .

والاصل : انا منقود لك ، وانت منقود لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير ، فكهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكهوا حركتها فأسكنوها ثم قلبوها الفا . وكذلك مكثال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكهوا حركة الياء فأسكنوها ، ثم قلبوها الفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، أسلها معتدد ، بالكسر للفاعل . ومعتدد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت السدالان : فأسكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانية فاستوت اللفلتان » .

ورضي التوزي وابن الدهان من هذا النوع فادخلها في اصدادهما ، ولكنه لم يحفظ بمثل هذا القبول منذ غيرهما ، فنقده ابو الطيب - كما رأينا - نقداً مرا ، ونفاه من الاصداد واكتفى فيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رايه في هذا النوع في قوله : « ولا جرم ان دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنخمة الصوتية فقط ، مع تناسي حقيقة الكلمة ومقياسها فمختار الذي اصله مختير بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي اصله مختير بفتحها . ومن ثم تكمن دعوى التضاد في هذه الطائفة اشبه بالهدر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسي هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام (اصوات الكلمات) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاصداد ، وما وجد بحث فيها . ونسي ان الصرفيين عندما يقولون ان مختار اصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل ، او بفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكرهت حركة الياء فحذفت ، وقلبت الياء الفا ، لا يريدون بذلك ان العرب نطقوا بها - اول ما نطقوا - بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسبم اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جعلهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في اصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

للتكلف والشظاهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تأتي للتجنب مأخوذة من امور مستكرهه ، وهي : تحنت ، تأثم ، تخرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجود مستكره للاتقياء الذين يجمل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالها في غيره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلك قال الرضي (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك ان تقول في ظرف : اظرف ، وفي نصر : انصر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو التقل مثلا ، فليس لك ان تستعمل اذهب بمعنى ازال الذهب ، او عرض للذهب ، او نحو ذلك » . وبدلنا عن ذلك انهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 - الصيغ المتشابهة في ظاهرها المتضادة المعاني وفقا لاختلاف تصريفها واصلها .
قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل : امنته وارديته ، وقول الله جل ثناؤه (ودعا يصدقني) وقالوا ايضا : ارديته : امنته ، وارديته : اهلكته » وظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افتعل » و « انقل » من الاجوف والمضامف . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اصداده ، قال (108) : « ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع الفين ، او من المضامف على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء ، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اجترت هب الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار ، وكذلك المزدان من الزين ، والمعاض ، والمقتال والمعتد ، الفاعل والمفعول به ، يقال : امتد فلان شيئا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد . وكذلك المنقاد ، تقول : اتقدت لك ، فانا منقاد (لك) ، وانت منقاد لك .

(105) انظر تاج العروس : حنت .

(106) شرح الشافية 1 - 84 .

(107) 185 .

(108) 175 .

« ويقال ناقة نني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها .. »

وسار المتأخرون على هذا النهج ، الذي اختطه الرعيل الاول من اللغويين ، فاورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الدهان والصفاني ما اورده السائقون عليهم من امثلة هذا الصنف من الاضداد . واورد ابو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « المجرم : المود الذي يدخن به . والمجر ايضا : الذي يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته
وافتر قارحه كلز المجرم

اراد انه اول ما بزل ، فقارحه مثل الحديد التي يلزمها المجرم مثل الشميرة او اصفر »

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اضداد الاصمعي (114) : « الراوية : البمير الذي يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروي رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المرادة ، قال ابو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل
مشي الروايا بالمواد الاثقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت عطشى ثم رويت فعطنت ، فيفتح ضرعها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذي ذكرته مانفا . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في أي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلزمه ، لاتجاه الدهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصالته يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

التغيير الى ما صارت عليه . فكانما اقام الكاتب رده على افتراضات . واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصفتان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا - بوجه انهيار نقده - لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاصل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التي اطلق عليها قطرب لفظ الاضداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا - وزادوا عليها انواعا اخرى، فتتبعها في كلامنا التالي ..

16 - الاضداد المجازية ، اي التي احد معنيها حقيقي ، والاخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

(ا) فالصنف الاول : الالفاظ التي تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند ابي عمرو بن العلاء . قيل في اضداد الاصمعي (109) : « قال ابو عمرو : الارة : النار ، والارة : الحفرة التي فيها النار » . ووجد عند ابي زيد ، قيل في اضداد الاصمعي (110) « الظمينة : المرأة على البمير ، ويجوز ان تكون في بيتها . قال ابو زيد : الظمائن : الهوادج ، وانما سميت النساء ظمائن لانهن يكن فيها » . وارفضى ابو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اضداد الاصمعي (111) : « قال ابو عبيدة : الكاس : الاناء الذي يشرب فيه ، والكاس : ما فيه من الشراب » وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اضداده (112) :

(109) 64 . واورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصفاني 373 .

(110) 68 . واورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصفاني 566 .

(111) 67 . واورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصفاني 639 وجعله ابن الانباري من اشباه الاضداد .

(112) 65 . واورده ابن السكيت 339 وابن الانباري 211 وابو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصفاني 416 .

(113) 273 . واورده ابن الدهان 8 .

(114) 69 . واورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11 .

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم فى الواقع والذهن .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115) : « امة حرف من الاضداد يقال : امة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون طمعا فى الخير ، كقوله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) . ويقال : امة لتجماعة ، كقوله عز وجل : (وجد عليه امة من الناس يستقون) . ويقال : امة ايضا للواحد المنفرد بالدين .. » .

وواضح ان عد هذا اللفظ من الاضداد فيه تصف . فالمعنى لم يتضاد فى اطلاق اللفظ على المفرد او الجماعة . بل انى اعتقد انه - حين يطلق على الفرد - يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بانه كان يعادل فى دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، او انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها فى شخصه ، او انه كان كل المؤمنين فى وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواعا اخرى ، لست على يقين اكلمها من عنده ام ينقلها عن غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرأيين الا فيما استنده الى غيره . وهالك هذه الانواع :

17 - الافعال التعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه عن فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... وغان حرف من الاضداد . يقال : خان التميم فلانا ، وغان الدهر التميم فلانا . فيكون التميم فاعلا فى حال ، ومفعولا فى حال ، وغان غير متغير اللفظ .. وطل حرف من الاضداد . يقال : طل فلان دم فلان اذا ابطله ، وطل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار طل دمه .. ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفيف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان باللرزم ثم حدثت منه اداة التعدية للخفة .. »

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصفاني 381 .

(116) 175 - 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .

(117) 116 .

(118) انظر كتاب التطور النحوي لفة العربية لبرجشتراسر .

(119) 191 .

18 - الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ، ، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما احد . وحكى الكسائي ايضا عن العرب : ان قائما ، على معنى ان انا قائما ، فترك الهمز من انا ، وادغمت نون ان فى نون انا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترميني بالطرف اي انت مذنب
وتقليشني لكن ايباك لا اقلي

اراد : لكن انا ايباك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء فى تفسير قوله جل وعز (فذكر ان نعت الذكرى) معناه : فذكر قد نعت الذكرى . ومن هذا الصنف ايضا ملاحه لهل ، وما ، واو ، وقلده فيها الصفاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » ويبدو انه يريد بذلك الكسائي فى هذه المادة . وحقيقة الامر فى هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت الينا من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطيع الحكم بان هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد عقب عبد الفتاح بدوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد فى هذه الطائفة تهاوت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى نعت تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 - التصغير ، افاضه ابن الانباري فى قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التأليف : ضيقا وانساعا ، ليألف مع جيرانه ويتجه معها في اتجاه واحد . ويجب أن تقوم دراسة الأضداد على الألفاظ المفردة ، لا المؤلفات في عبارات .

20 - ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات . واعتقد أن الذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض فيه اتصاله بالقرهان . ونستطيع أن نصنفه إلى ثلاث فئات ، هي :

أ - الآيات القرآنية ، وهي أكثر الفئات ورودا في الكتاب ، وأكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذي يطيل في بعضها ، ويورد أقوال المفسرين المختلفة . ومن أقصر الأمثلة على ذلك قوله (121) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن هو من آل فرعون ، أي من أمته وحبه ومن يدانيه في النسب . . ويقول آخرون : الرجل المؤمن ليس من آل فرعون ، إنما يكتم إيمانه من آل فرعون . وتقدير الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون » .

ب - الشعر ، وهو أن كان أقل من الآيات عددا إلا أن حفظه من التناول لا يقل عن حفظ الآيات طولا . ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب
لعمره وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : أراد بقوله : غير موقف راكب ، إلا أن راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن «غيرا» نعت للرسم ، تأويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ، أي ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامحاء معالمه فمتى بصر به الراكب من بعد دهر منه ، فلم يقف به . . » .

العرب : أنا سر يسير هذا الأمر ، أي أنا أعلم الناس به . ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة : أنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب ، أي أنا أعلم الناس بها . فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . والجديل : تصغير الجدل ، وهو الجذع ، وأصل الشجرة . والمحكك : الذي يحتك به ، أراد أنا يشتفى برأيي كما تشتفى الأبل أولات الجرب باحتكاكها بالجذع . والعذيق : تصغير العذق ، وهو الكباسة ، والشمرخ = العظيم . والمرجب : الذي يعمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويبية تصفر منها الأنامل

فصفر الداهية معظما لها لا محقرا لشأنها . . . » .

واختلف العلماء في التصغير ، قال الرضى (120) : « قيل : يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية في العظم ، لأن الشيء إذا جاوز حده جانس ضده . . . واستدل لجيء التصغير للإشارة إلى معنى التعظيم بقوله :

وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويبية تصفر منها الأنامل

ورد بأن تصغيرها على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم بها ، إذ المراد بها الموت : أي يجيئهم ما يحتقرونه مع أنه عظيم في نفسه تصغر منه الأنامل . واستدل أيضا بقوله :

فويق جبيل شاهق الرأس لم تكن
لتبلغه حتى تكمل وتمملا

ورد بتجاوز كون المراد دقة الجبل وأن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشد لصعده » .

نضيف إلى ذلك أن تصغير اللفظ المفرد لا يفيد إلا الصغر وما أحاط به من ظلال وإبحاءات كالرحمة والاشفاق والعطف والتدليل وما إليها . أما المعاني الأخرى التي تسبغ على الألفاظ المصغرة نتائجها من تأليفها مع الفاظ أخرى في سياق واحد واللفظ لا

(120) شرح الشافية 1 : 191 .

(121) 292 . وانظر 167 - 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 - 3 ، 297 ،

299 ، 333 ، 341 ، 353 - 57 .

(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج - الاقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ،
ويتفاوت حفظها من طول تناول . واقصر امثلتها
قوله (123) : « ومن الاضداد ايضاً : قولهم : ائسنت
ان تذهب معنا ، يحتمل معنيين : احدهما ائسنت
الا تذهب معنا ، والآخر ان تذهب معنا . وكذلك
نشدتك انه ان تذهب معنا ، يحتمل المعنيين
جميعاً ... » .

ووضع هذه العبارات في الاضداد غريب ،
انكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا
يوجد لفظ معين يمكن ان يلحق به معنيان متضادان .
وانما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 - المقلوب من العبارات ، بان ينسب الحدث
الى غير فاعله . وامثلته نادرة عنده كقوله (124) :
« ويقال تهيبت الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا
من الاضداد .. قال ابو بكر : وهذا عندي مما يقلب
لان اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ،
لانه معاوم ان الطريق لا تهيب احداً .. » .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب
الاضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها
بعض التمييز ، وسماها احياناً « اشباه الاضداد »
واحياناً « ما يجري مجرى الاضداد » ونجد تحت
الاسم الاول الاصناف التالية :

1 - الالفاظ ذوات المعاني الحقيقية والمجازية
قال (125) : « سمع حرف من الحروف التي تشبه
الاضداد يكون بمعنى وقع الكلام في اذنه او قلبه ،
ويكون سمع بمعنى اجاب . من ذلك قولهم : سمع
الله من حمده ، معناه اجاب الله من حمده . ومن هذا
قوله عز وجل : (اجيب دعوة الداعي اذا دعان) قال
بعض اهل العلم : معناه اسمع دعاء الداعي اذا دعان .
وقالوا : يكون سمع بمعنى اجاب ، واجاب بمعنى
سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، اي
دعوت من لا يسمع ، وانشدنا ابو العباس :

دعوت الله حتى خفت ان لا

يكون الله يسمع ما اقول
اراد يجيب ما اقول . وقال جماعة من المفسرين :
معنى الآية اجيب دعوة الداع اذا دعان فيما الخيرة

(123) 200 - 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206 .

(124) 56 .

(125) 80 . واورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بان فيه نظراً .

(126) 231 .

للداعي فيه ، لانه يقصد بالدعاء قصد صلاح شأنه ،
فاذا سئل ما لا صلاح له فيه فان صرفه عنه اجابة
له في الحقيقة . . . والحق ان الاجابة معنى مجازي
لسمع ، لان السمع اول مرحلة من مراحل اجابة
الطلب او الدعاء ، او هي نتيجة السمع عند الرضى .
فلا اجابة بدون سماع . ولما كان الامران بهذا الارتباط
صح توسيع معنى السمع والاجابة بحيث تشمل
المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجاوز لا تضاد .
ولا شبهه . ويبدو من عبارة ابن الانباري انه ينقل
كلام بعض الناس قبله . ونفع في هذا السنف
لنظري كس وطبخ الذي سبق الكلام عليهما .
واعترهما ابن الانباري من اشباه الاضداد .

2 - الالوان . قال (126) : « وما يشبه حروف
الاضداد الاحمر ، يقال : احمر للاحمر . ويقال رجل
احمر اذا كان ابيض . قال ابو عمرو بن العلاء : اكثر
ما تقول العرب في الناس اسود واحمر . »

قال : وهو اكثر من قولهم اسود وابيض ، وانشد
ابن السكيت لاوس بن حجر :

واحمر جمدا عليه النسور
وفى ضينة تغلب منكسر
وفى صدره مثل جيب الفتا
ة تشفق حيناً وحيناً تهر

قوله : في ضينه : معناه وفي ابطه . والشغلب :
ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله :
تشفق حيناً : شقيق الطمئة ان تدخل الريح فيها
فتصوت . وهر : معناه تقبب . وكذا قال عن
الاصفر والاخضر والاسود . ولكن هذه الالفاظ
جميعاً لا تضاد ولا شبهه فيها ، وانما الالوان نفسها
لا تكون خالصة ، فبعضها اصفر مائل الى السواد ،
وبعضها ابيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها اخضر
يغلب عليه السواد . . . وهكذا . ولم تضع العرب
الفاظاً خاصة لجميع هذه الالوان الفرعية ، اكتفاء
بالرئيسية منها ، فاصبح اللفظ الواحد يطلق على
الدرجات المختلفة من اللون ، فظن انه من الاضداد .
وادخل الصغاني وابن الدهان هذه الالوان كلها في
اضدادهما ، كما ادخل قطرب فيها الاصفر .

3 - عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم في الاستهزاء : مرحباً بفلان ، اذا احبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحباً به . فالمعنى الاول اشهر واخرى من ان يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاءه الـ

خير او غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء ودم ، معناه مرحباً بالذي اذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير او غاب . وتأويل مرحباً : لا مرحباً به

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم) معناه عند نفسك ، فاما عندنا فليست عزيزاً ولا كريماً . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيباً بقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » (ارادوا انت الحليم الرشيد عند نفسك) قال الشاعر :

فقلت لسيدنا يا حليم

انك لم تأس اسوا رفيقاً

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعاقل . واهني بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واهني بذلك انه لم يرد ان تصور انساناً جاهلاً بقولسه « يا عاقل » ، بل ارادنا ان تصور انساناً عاقلاً ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمثلها احساساً بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق

الصورة عليه . ومن المفارقة في الصورتين يأتي الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انساناً جاهلاً بقوله هذا ، ما جعلنا نضحك ، لان الصورتين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التي يختلف في هويتها او امجبيتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال فيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه كطه من خليقتكم

لا قدس الله اخلاق الملايين

وقال الاخفش : طه علامة لانقطاع السورة من السورة التي قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة السم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفياً بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على انه انزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها والالفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . «

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربياً لان العرب تسمى ذكر الحجل يعقوبا ويجمعونه بعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاقيب

اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثاً وهذا الشيب يطلبه

لو كان يدركه ركض البعاقيب

واجري نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التي قيل انها حبشية ، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذي اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .

(128) 314 .

(129) 337 .

تحليل ونقد

الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني
الرباط

وكان أبو الطيب اللغوي هو الذي أزال كل ابهام عن اللفظ فقال : ضد الشيء ما نأفاه ، وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له .

وذكر في الفصل الثاني أن موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الألفاظ اختلف ، فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعللها أحيانًا ، وكانت هذه الجماعة أسبق في الظهور من معارضتها إذ كان منها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وتلاميذهم ، واستمر المنتسبون إليها في البقاء إلى يومنا هذا .

أما الجماعة الأخرى فاعترضت على الأضداد وانكرتها ، و نعرف من انتمى إليها من القدماء غير ابن درستويه ولا تصح نسبة ذلك لشعرب ، وكثير أرباعها في العصر الحديث ، فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة (ضدان) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة أضداد) وكان منهم أغلب المستشرقين الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الأضداد .

وقد دافع القائلون بها عن وجودها وردوا على ما قاله المعارضون ولعل أهم من قام بهذا العمل أحمد ابن فارس ، وابن سيده ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، فأقام ابن سيده دفاعه على الجدل العقلي ، واعتمد ابن فارس في أحد رأيه على طبيعة اللفظة

كتاب (الأضداد في اللغة) تأليف حسين محمد ، من الجمهورية العربية المتحدة تناول فيه بالدرس العميق الهادي الرزين المستوعب ظاهرة الأضداد في اللغة العربية من جوانبها المختلفة ، وأولى عناية خاصة لدراسة مواقف المؤلفين من الأضداد قديما وحديثا خصوصا المشتبين والنافين لها . ويقع في 129 ص ، وقد جمعه في مقدمة وبابين وخاتمة ، فاستعرض في المقدمة نشأة الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، مؤكدا أن اللغويين تنبهوا للأضداد في القرن الثاني فشرعوا يلتفتونها ، ويشيرون إليها ويتحدثون عنها .

وكانت الشجرة الطبيعية أول تدوين للأضداد في اللغة العربية ، وكانت هذه الشجرة الأولى باكورة عدة ثمار جمعت الأضداد ودرستها ، وحول هذا الثمار تدور الصفحات الآتية : متاملين ، متدقيقين ، ومقدرين .

وتناول الباب الأول الاختلاف في مفهوم الأضداد وفيه خمسة فصول : تعريف الأضداد ، والاختلاف في وجود الأضداد ، وأصل الأضداد ، وشروط الأضداد ، وأنواع الأضداد .

فذكر في فصل تعريف الأضداد أن قطريا ذكر أن من اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متفادا في شيء وضده ، وتابعه ابن الأنباري ، وأبو حاتم السجستاني .

العربية . وفي الراي الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ، وكان ابن فارس اكثر توفيقا في دفاعه عن الاضداد واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الاضداد .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من آراء المنكرين ورد عليه بل لعله اهم راي لهم .

ولما كانت كتب المعارضين من القدماء، لم تصل الينا كنا مضطرين للاعتماد على حكايات غيرهم عنهم .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في انكار الاضداد ...

وفي اصل الاضداد ، ذكر ان اللغويين منذ تنبهوا الى الاضداد واختلفوا فيها وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها وكيف وجدت في اللغة ، واشترك في هذه المحاولة من اتفقت آراؤهم ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها والقدماء والمحدثون والعرب والمستعربون.

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية في كثير من الاحيان ، فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة عندما كان العقل البشري في سداجته فلم يكن يفتن لما يحتويه من تناقض ، وتوسط بعضهم في الايفال فام يرجع الى التاريخ البشري واقتصر على التاريخ العربي القديم . وان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابعاءاته فقد ادى ذلك الى التضاد في اللغة .

واقصد بعضهم الاخر ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج .

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد وما يسودها من ظواهر ذات تاثير في اللغة فذهب الى ان بعض المعانسي المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى في الذهن فيتؤدي الى التضاد .

اما اللغويون العرب فقصروا جهدهم على الالفاظ العربية ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها ، ويؤدي بنا التأمل الدقيق في العال التي اوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون حاجة الى الفلسفة او للعشور على نظرية عامة او الابعاد في مجال التفكير البشري الى ان اهم ما قالوه من علل واخطره هو المعنى الاصلي للالفاظ فنحن في حاجة الى اعادة النظر في هذه الالفاظ وفيما ذكره لها اللغويون من معان ونسب حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذي لا يابه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط من اشواط، سائر في طرق معتدلة آنا ومعوجة آونة ، فان وصلنا الى ذلك المعنى غمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى.

واما بقية العال فهي ارتباد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد ، مثل اللغات، والمجاز والحذف للتخفيف وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق في الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقية واقعة ، اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد في اللغة العربية الفصحى ، فمن رفضوا اضدادا ورفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين في كل شيء بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدها لفظين متمايزين غير ان معنييهما متضادان ، كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها في تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذي نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد والطرق التي سلكتها الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون هي قلة الاضداد في اللغة العربية الفصحى ...

وفي شروط الاضداد ذكر انه اذا كان من انكر
الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا
منه عندما استقصى النظر في اللغة ، او احتوى قوله
على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها
عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعبارة .

لقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد
الفاظ تلال في اللغة فحاولوا جمعها وبراءها وتحت
اثر من هذا الاحساس ومن هذه الغاية جمعوا مع
الاضداد الفاظا كثيرة مدوها اضدادا وهي واهنة
الصلة بها وكان اكثر المؤلفين وقوما تحت هذا الاثر
قرب اول من كتب عن الاضداد ، فاضطر من جاء
بعده الى ادخال ما قاله في كتابه ، كيلا يتهم بان
فاته من الاضداد شيء .

ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد
اخذوا يتخصصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا ما راوا
امامهم من قبل كتب الاضداد ، فاخذوا يبيدون النظر
فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها
كثيرا .

وعند تتبع هذا النقد استخلص المؤلف كثيرا
من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه
في الاضداد ، ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط
اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من
الالفاظ التي دونوها في كتبهم .

وبالرغم من ذلك تتبع المؤلف هذه الشروط
لاهميتها في توضيح صورة الاضداد في اذهانهم ،
وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال
هو ابو بكر محمد ابن القاسم الانباري ونستطيع ان
نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليمده من
الاضداد :

1 - ان تكون صيغة اللفظ في المعنيين المتضادين
واحدة ، اي ان يكون المعنيان المتضادان لفظيين او
اسمين او صفتين ، وكل منهما على صيغة واحدة ،
ولا يحكم بالتضاد فيما شد من ذلك .

2 - كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة
معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد .

3 - واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون
المعنيان لصيحين لا من ابتكار العامة .

4 - واشترط ان يكون المعنيان معروفين
استعملهما العرب في حوارهم . . وبيندو ان ابا
الطيب يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ،
وان لم يعان ذلك صراحة .

5 - واشترط ابو الطيب ان لا يكون المعنى
الثاني مجازيا .

6 - واشترط في المعنى ان لا يكون مقلوبا
او مزالا عن جهته .

7 - وانفرد ابو الطيب- اللغوي باخراج مجموعة
من الالفاظ تتضاد في معانيها ، وتماثل في صورتها
ولكن هذه الصورة التماثلة في ظاهرها مختلفة في
حقيقتها اذ تختلف العنل الصرفية التي وصلت بها الى
صورتها .

8 - بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من
الاضداد ما اختلف صيغ المجرد والمصدر منه من
الانفعال . ثم استخلص من هذا مجموع صورة الاضداد
في ذهن قطرب ، او عدم وجود حدود لها ، واخذها
في الموضوع والجلء ، والتحدد على مر الزمان فكانت
اللمحات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني ، ثم
كان كمال التحدد والبروز عند ابن الانباري وابي
الطيب .

ويعتبر الفصل الخامس في (انواع الاضداد)
اطول فصول الباب الاول ، اذ يستغرق احدى وثلاثين
صفحة . وبالرغم من احساس العلماء بان الاضداد
ثبات عدة ، فان المؤلف لم يجد بين القدماء من حاول
ان يصنفها قاصرا او شاملا ، وبالرغم من ان المحدثين
اضطروا الى الفصل بين انواع منها ليسهل عليهم
رفضها او تمليلها فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان
يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو
عبد الفتاح بدوي ، ويبدو انه اراد ان يعرض ما فات
اللفويين فاعطانا تقسيمين ، اما الاول لتصنيف ومحكم ،
ويقوم على اساس نحوي ، فقد جعل الاضداد اربعة
انواع .

وكان التقسيم الثاني واسعا ينظر الى عدة اسس
بحيث تغيب عن النظر الذي يريد ان يصل اليها
للاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف .

وبعد ان ذكرها المؤلف ذكر انه يعني كثيرا
بالتقسيمات النظرية وان كان لن يهملها كل الاهمال

وإنه سيجمل همه كله في تتبع الأنواع المختلفة التي أدخلها مؤلفو الأضداد فعلا في كتبهم إذ اختلف النظر والتطبيق عندهم ، وإنه سيبدأ بأول مؤلف : قطرب إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده إلى تقضيه ورفض كثير منها ، وإنه سيتبع كل صنف منها بما وجه إليه من نقد .

قد وصلت الأصناف عنده إلى ستة عشر صنفاً وضاف ابن الأنباري إليها خمسة أنواع أخرى فصارت واحداً وعشرين نوعاً ، قبل مؤلفنا منها نوعاً واحداً هو ما سماه بالأضداد الحقيقية ويبين في العشرين الباقية كلها أنها ليست من الأضداد في شيء .

ووجد ابن الأنباري مجموعة من الألفاظ تقارب الأضداد ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها أحياناً (أشباه الأضداد) . وتناول الباب الثاني جمع الأضداد وتدوينها وفيه أربعة فصول : أسباب هذا الجمع وأهدافه . وبواكير جمع الأضداد ، وكتب في الأضداد وفصول في الأضداد .

وقد لخص الفصل الأول في آخره فذكر أن الدفاع الذي حمل اللغويين على تدوين الأضداد تغير من جيل إلى آخر ، فقد بدأ هوية في القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على إزالة ما قد يمتري بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ، ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدهاوي الشعوبية في أوائل القرن الرابع وحب المعرفة المجردة في ذلك القرن أيضاً ، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين من المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة .

وتغير الهدف الذي سعى إليه كل من هؤلاء المؤلفين : فبينما كان أولهم قطرب يسعى إلى استقصاء الأضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا أبو لحاتم ووجد الأسبيل إليه واقتصر على التطلع إلى جمع ما أمكن ، ثم سعى ابن الأنباري إلى الجمع ولكن من الكتب المؤلفة قبله ، وإضافة بعض الشواهد والمثل ، وسمى أبو الطيب إلى ذلك مع التخصيص بقدم ، ثم كان الهدف الاختصار والجمع معاً .

وبواكير جمع الأضداد ، ذكر أن الخليل كان بعد الأضداد من عجائب الكلام ووسع العربية

قد أشار إلى قدر منها في (المعين) وروى واحد من الأضداد من يوسف بن حبيب ، ورويت ثلاثة عن الكسائي وما نسب إلى الفراء لا يتعدى الضد أو الاثنين .

وتكثر الأضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني ثم تكثر وتتنوع عند أبي زيد الأنصاري ، وبقي بعض الناس يوردون أضداداً بعد عهد التأليف فيها ، دون أن يشاركوا هم في تدوينها في كتب خاصة ، مثل ابن الأعرابي .

ويعتبر الفصل الثالث من الباب الثاني الخاص بكتب الأضداد أطول فصول الكتاب إذ أنه يقع في 52 صفحة .

فقد عثر في أثناء بحثه عن الأضداد على أسماء ثلاثة وعشرين كتاباً فيها ، ثم أورد أسماءها مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها ، مع بيان المفقود والوجود منها والمخطوط والمطبوع .

ثم تصدى للكلام على كل واحد منها بخصوصه ، وأصفاً دارساً مقارناً ناقداً . في أثناءه وثبت وأنصف .

وفي الفصل الرابع والأخير عن فصول في الأضداد ، درس ما ورد في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والمخصص لابن سيده ، والزهر للسيوطي .

ولخص في (الخاتمة) النتائج التي توصل إليها في الكتاب .

الأضداد ظاهرة لغوية :

فالداهن ينكرها للوهلة الأولى ، ويأبى أن يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده ، وعلى هذا الأساس أنكرها من أنكرها ، ولكن هذا الأساس لم يمنع أن يؤمن بها جماعات من القدماء وقلة من المحدثين ، وكانت الفئة الأخيرة أو أفراد منها هي التي حاولت أن تملل هذه الظاهرة الغريبة ولعل ظاهرة لغوية أخرى لم تحط بمثل سوء التفاهم الذي أحيطت به ظاهرة الأضداد ، فمنذ عهد ميكر اختلف اللغويون فيها ، وما زالوا مختلفين ، فإذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاعلهم وعباراتهم تتناثر وتتصادم ، والمؤدى الأخير لما يقولون واحداً ، فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد . وفي

مجالين لا مجال واحد ولو تحدثوا عن تصور واحد ،
وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة ويقل
كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للأضداد ينظرون في مجال
ضيق لا يتجاوز آية لهجة قبلية على حديثها ، ولما لم
يعتزوا على الأضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا
الأضداد برمتها وأبوا أن يسموا بالأضداد ما جاء دالا
على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وأن
ضممتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الألفاظ في وضعها
الأول واعتنوا أنهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب
حين وضعوه إلا على معنيين متضادين ، أما إذا كان
الاستعمال أو التبدلات اللغوية أو التغييرات الصرفية
قد أدت بعد ذلك إلى أن تزول الفوارق بين بعض
الألفاظ ذوات المعاني المتضادة فتبدو الآن في صورة
واحدة ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الأضداد
عندهم .. وتستطيع أن تقول : أن كل لفظ توفر له
سبب ما فإدى به إلى الدلالة على معنيين متضادين
يأبى المنكرون أن يسموه ضدا ، مهما كان السبب :
لهجات قبلية أو حذفا ، أو تخفيفا ، أو ابدالا ، أو
إملا ، أو مجازا ، أو تبالا وتطيرا ، أو ما شاكل
ذلك من أمور ، وإنما الضد عندهم يجب ألا يكون
هناك سبب في دلالة هذه ، بل وضع أصلا لها .

أما المؤيدون للأضداد فوسعوا نظريتهم
ومجالهم : نظروا إلى اللغة العربية في شمولها
وعومها فنفت نظريتهم وجود هذه الفئة من الأضداد ،
ثم لم يعنوا بالبحث عن أسبابها ، أو - أن شئنا
الدقة - لم تهتمهم الأسباب فقد عرفنا أسبابا
للظاهرة ، وأعلن أكثرهم أن كثيرا من الأضداد دالية
من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه
الطائفة من الألفاظ ، ولا خلاف بينهم وبين المنكرين
غير أنهم ارتضوا تسمية هذه الألفاظ القبلية بالأضداد ،
ولم يرتضها الآخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظريتهم على الألفاظ عند
وضعها الأول ، بل أهملوا هذا الوضع هامدين إذ لا
أهمية له عندهم . وامنوا النظر في الألفاظ العربية
التي يسمونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون ،
فوجدوا فيها فئة من هذه الألفاظ التقطوها ومنحوها
اسم الأضداد ، دون أن يابهاوا للأسباب التي أدت إلى
ذلك ودون أن ينكروا هذه الأسباب ، بل لقد شاركه

بعضهم كقطرب في الكشف عن بعضها
كالتوسع وما شاكله لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافى
عندهم مع التسمية .

ولعل الإجابة عن الأسئلة التالية تزيد كل لبس
أمام المتنازعين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها
اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ومعنيين متضادين ؟

اعتقد أن أحدا لا يستطيع أن ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الألفاظ ظاهرة خاصة يجدر
بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد أن أحدا
لا ينكر هذا أيضا ، وأضيف إلى ذلك أن هذه الظاهرة
لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات
السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض
اللغات الأوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي ،
وإذن لوجود الأضداد ليس منقصة للغة العربية كما
ظن الشمويون قديما ، وكما يفهم من أقوال بعض
المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع
- في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على
المغالاة في رفض الأضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟
اعتقد أن كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها أن
يكون لها اسم خاص ، أما المؤيدون فقد سموها
(الأضداد) فإذا كان المنكرون يجدون لها تسمية
أكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 - هل الأضداد بالشيعوع الذي صوره القدماء؟
واضح من الدراسة الماضية أن تصور الأضداد اختلف
من وقت لآخر ، ومن رجل إلى رجل ، فضاقت حينها
وأتسع آخر ، فكان تصور الأضداد ضيق المجال في
بإدائه الأمر مند المتحدثين فيها دون أن يحاولوا لها
جمعا أو تدوينا ، ولكن هذا التصور اتسع اتساعا
غريبا عند أول مؤلف في الأضداد ، قطرب ، لتشمل
شئنا غريبا من الألفاظ ، مما يدل على أن قطرب لم
يكن يحسن تصور الأضداد ، ولا أحسن وضع الحواجز
الفاصلة بينها وبين غيرها ، واضطر أكثر من جاء
بعد قطرب إلى تضيق المجال الذي وسعه ونفى كثير
من الفئات والألفاظ التي أدخلها في كتابه ، فأخذ
تصور الأضداد في الوضوح وحدودها في البروز ،
ثم اتسع المجال مرة أخرى عند ابن الأنباري خاصة لما
أدخل من أنواع جديدة من الأضداد ، وإذن فالمجال

كان متغيراً عند القدماء ، وما أظن إلا أنه كذلك عند
المحدثين وأن كان أضيقت مندهم منه عند القدماء .

5 - هل تمد كل الأنواع التي اتفق عليها
القدماء من الأضداد ؟

اعتقد أن أحداً لا يجادل في أن ذلك مستحيل ،
وأن بعض ما عده القدماء من الأضداد لا يستحق
هذه التسمية ، وضرب لذلك أمثلة :

1 - ما اختلف في تفسيره من الآيات والأشعار
والأقوال .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير
والاستهزاء

ج - ما وضع في الألفاظ تعسفاً أو تكسراً ،
مثل الألفاظ التي تختلف معانيها دون أن تتفاد ،
والألفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من
أدوات كرفب عن والى

6 - ما السبيل إلى معرفة اللفظ الجدير باسم
الضد ؟

اعتقد أن السبيل الوحيد إلى ذلك هو المعنى
الذي يدل عليه اللفظ ، وهنا احتراز فأقول المعنى
الذي يدل عليه اللفظ ، وأعني بهذا الاحتراز أمثال

هذه الألفاظ التي لم يحسن بعض اللغويين التنبه إلى
معناها الحق ونسبوا إليها معاني بدت متفاداة ،
فالصريم الوقت المنقطع أعني الوقت المنقطع من وقت
آخر ، كالليل يقطع من النهار والنهار يقطع من الليل ،
وليس الصريم الليل خاصة ولا النهار خاصة

وأمثال ذلك كثيرة ، تفتن إليها بعض القدماء
أنفسهم ...

وإذن فما وجدنا من الألفاظ معانيه تؤول إلى
معنى واحد لا تضاد فيه يجب أن نخرجه من الأضداد ،
وما دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجياً أو ذهنياً يجب أن نخرجه من الأضداد ، وما
دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجياً أو ذهنياً يجب أن نخرجه من الأضداد .

وإنما يجب أن يكون الضد لفظاً واحداً ، ذا
صورة واحدة ، ومميين متضادين حقاً لم يكن
الجمع بينهما ، تلك هي الصورة الصحيحة للأضداد ،
وذلك هو السبيل التويم إلى تطبيقها .

ويتجلى من هذا المرض القيمة العلمية لهذا
الكتاب وما يدل فيه مؤلفه من الوقت والجهد وما
تحلى به من الصبر والتثبت والثبات ، وما تحراه من
دقة التعبير والتجرد .

النظرة اللغوية ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
بيروت

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر... وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبماكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية أو بالحري الى اللغة العربية القديمة . ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح ، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدرتها علمية ، على الايصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة (المستشرق جاك بيرك) .
- والتطور اللغوي ونشوء العربية مفاخرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع مالد الى شواطئه الحاضر ، محمل بلاليه الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اماليه... ثم اكتشاف فني سديد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوي تسير فلان توقف بعد اليوم .
فاللغة بالاصل وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايها نظرت تطالعك البهجة . فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واخطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

وعندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .
وقد ماش هذا القلق المصري ، مفامر ، يتخطى ، نكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضادات معاصرة ، تتائر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جملة .
وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايها نظرت تطالعك البهجة .
من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجرهاها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل والفتقر غناها ، لهم روحها التي بها تحيا ، واذا تبعت العيون وشاهت الوجوه حالت المرايا وتمكر صفاؤها وانسد استمدادها ، فالصور الصطوبمة عليها وجهها الذي تبدو .

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .
لكن المنازل تفنى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة اليها والوجوه المصورة عليها .

اللغات موطن الشعوب ومرايا أشتاتهم .

ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال أقرب الى الغموض منها الى التبيين . ومحاولة الكشف عليها تبسط رأيا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات اهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية في هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت في ادوار ثلاثة ، مرتقية منها ام غير مرتقية .

1 - دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفي هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ..) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المخافت والمتكرر بحركة الفكين .

2 - دور المقطعين : اي دور الجمع بين مقطعين واحدين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة في مختلف اصواتها ، وفي آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (هوا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلمات في العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدين فقط .

وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (هوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 - دور المقاطع : اي دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور يقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت في الثلاثي .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملاساتها في حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التأثير وهذا الطابع .

1 - طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة في كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالقربة في محيطه العربي وبين ذوي قرباه .

2 - الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تتحقق للعربي ، ما لم يلم الاما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا في حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا امدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الفيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة في العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم بأكثر من لغة ليتسنى له ان يسير في تيسار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 - الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة في الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والمقلي من كل الوجوه .

وليس في جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب مرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلفتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها إلا ان في نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان في قانون نحوها ، وصرفها ، أو املاؤها أو اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الغوضى .

وإذا كان الإنسان الفطري لم يتوصل إلى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فإنا توصل إليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

وإذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فإنه يمكننا الإطمئنان إلى انفصال اللغة عنه ثنائية ثلثية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفاً .



ان الإنسان القديم جمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الإنسان يسمى وراء مقاصده في هذا الدور ، وأخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي أكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الإنسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاستقاق .

واننا نورد هنا مقالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبي ، والمعلات .

المثال الاول : عبي، تحلل إلى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزليري ، ب وتدل على البيت .

ا - ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليلة من باحثي الاستقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلاً : اخي اصلها وحي :

ب - الحذف والتضعيف : وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا إليها وهي بلا ريب عظيمة الأهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الإنسان حاكي الطبيعة بمختلف أصواتها ، وقصد في آخرها إلى التأليف من منطقتهم بالمعنى الذي أوضحناه ، للتأليف والجمع بين مقطعين احاديين وترك ثروة هي أكثر المقاطع الثنائية .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بأدوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وأنها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حبيبت لغات واميتت لغات، وهناك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الأخيرة وحدها الفت المهسد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق إلى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

1 - الإنسان الفطري: ان لبحث الإنسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الإنسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الإنسان الفطري في موضوعي هو البحث عن أصواته السليقية ، التي استقرت في هايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الأصوات لهجة ما لم تستقر .

أما إذا أخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور، واليك بعض الأمثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل ، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل إلى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات ، ج ومعناه جبل ، وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع، ر : ومعناه رأس .

أما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له رأس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل إلى حروفها ، ج : ومعناه ينظر إلى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب أو للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نظمن إلى القول ، بأن لغات العالم تفرمت من مصدر واحد ، وانما هي وليدة أسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطبايع والظروف .

ومن المعقول بأن المنطق اللغوي قد امتد الى آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع الحجر الاساسي في بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان في المنطق اللغوي على غير تناسب ولا نظام ، اجتهد في اصطناع كلماتها لابرار ما في نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة ويجاور المسكن .

وتتألف من :

1 - المفردات ذات المقطع الواحد . . أصبحت فيما بعد الجدول الهجائي .

ب - المفردات ذات المقطعين ، وهي العملات في دور النضج اللغوي .

ج - وأخيرا ذات المقاطع . . . وهي في النهاية ذات وحدة في العربية منها تصدر كلمات العربية واليها تنسب .



ولقد اخترمت الكتابة في هذا العهد ، ما يثبت لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقيلة اللغوية الراقية ، ويشير الى سمو هذا القسم من الوجة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان لم يعد يتكلم في تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على المصادفات الطبيعية والملابس الظرفية بل اصبح يلجأ الى التاليف والتركيب عند الحاجة وحسب المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 - لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء على وجهه .

2 - وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة ومكانها ، فكان يريد على الثاني هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة .

وهناك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكتثار من اللغة ويرجع هذا الى فرقتين أساسيتين هما: التركيب والتقصيد .

1 - فالثلاثي في المنطق اللغوي كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا في مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه والثلاثي في

ورأينا كذلك حالة لا بد منها في نشوء اللغات ، واليه يرجع الثاني بما في ذلك العملات ، رأسا على وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .



لقد كان يقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع الثنائية لتأليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت وحدتها في هذا الدور واستقرت في الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهدب الذي تم فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض ادوار النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير اخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجآت المحضنة .

ولقد كان الانسان بحاجة في هذا الدور الى الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق .

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير في اساسها ، وانما اختلفت في نسب جعلت بينها تفاوتنا ارتقائيا فقط . . .

- وفي بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر في التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

1 - يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب - تكثير اللغة وخوض الزيادة . . .

ج - النضج اللغوي عند العرب كما يظهر في قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د - المعاني التركيبية ، وطريقة الغربي في وضع الرباعي من الثلاثي . . .

هـ - المنطق اللغوي . . . والتعبير عن الحاجة .

لقد بدل الانسان ما في اسمه في سبيل ان يخضع ما حوله من أجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين منطقته بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على مقياس من تفكيره وحوادثه . . .

الاكثار اللغوي كان عبارة من مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الابية . :

2 - ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .



بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بأنه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه أولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغويون (الفيلولوجيون) اسمى وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لمرتب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاهوام العربية التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي من معقوله اللغوي الراقى بقاعدة على مواد اللغة .

1 - تصحيح المعاجم

ب - الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج - ان ناخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، ولر العربي لفته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه الممومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغة .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداعي الخروج من جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعاني التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبني سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا اثبتت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنهدت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 - زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 - زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 - زيادة التصريف : من قبل كنفعل واستفعل ، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 - اما زيادة الاسناد : كفربت ليست من اقسام الزيادة على معنى التأليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تصاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة .

لاستحصال الرباعي والخماسي .

التطور في اللهجة

لهجة منزلة كبرى وذات أهمية من اللغة ، ولا تقل شأنًا من الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا أن نقول أن تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس ويتكلمها خلق كثير فعلىنا إذن أن نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة أو لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 - التطور الصوتي :

أن الباحثين والمدققين عن اللهجات أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو المسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلة مرة لها لبن لرج .

النفويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية، مع اعتبار أن الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات في عهد من المهود اللغوية السابقة كافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة أن يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الاثير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 - بقاء اللهجة المتدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنتر كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفري غضوب جصرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

وأن هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء أن يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا بأس من ايراد امثلة تؤكدها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بأن القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكواث، ولما كان الورق من البردي على نسق ، أبسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموما الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

- وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنى : ومعناه شدة المسير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير عنى غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

- وختلم : ويرجع الى ختل في الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فأخذ العربي من الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه نوائد أهمها :

1 - وضع حد للتعريب .

2 - وضع قاعدة صحيحة لابعاث اللغة .

3 - افاة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 - تصحيح المعاجم من الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث - اثير - ومثل شعثب من شق - حطب -

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة او الواو ،
ويبدو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املايته. ومن
بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان
كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت
عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها
للتفريق بين عمرو و عمر فأمر هو اقرب الى التخريف
منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا - النصوص الحميرية : مثل اخت امهواى
اخت امه .

ب - ما فى لسان بعض القبائل من تحريك
ضمائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف
فى الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج - احتفظت العربية بالوقف بالروم فى بعض
المواقف ، والروم مختلطة تميل الى الضم .

د - لقد زادت العرب النون فى فعل فعلو
واصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من
الصوتية .

هـ - بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل
فعلون فهذا من أفعال الاتباع وهو قانون شائع فى اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن فى هذا القسم هو انه من المؤكد انها
محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين
ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل
اللغة تنهيا للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل ، وعليه
فقد بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع
الكلمة اى لم تمد تنطق كذلك باطراد ، ومن ثم كان
وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد
بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع الكلمة لم
تمد تنطق كذلك باطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

ولمى امتدادنا وبحثنا ان اللغة دارت دورتها وكانت
طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلمت فيه من حركة الاخر،
ولكنها تخبطت فى تجارب كثيرة حتى خرجت العربية
نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

- ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب
كتاب (احياء النحو) دوس هذه الظاهرة على وجه
تعليمي نشوئي ولو درس العربية للنهج التطوري الذي
ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه فى
اشياء كثيرة .

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين فى
اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون فى المعاجم القديمة الى
بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 - ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري
وابن منظور فى لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم،
كلمة نعم بانها نصت بنعم كما كذلك وردت فى نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال
مضارعة الرية بقيت فى اللغة على سبيل التحفة الالرية.

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي
وتاج العروس بان العربية مرت بمهدين :

ا - العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية
على الحروف ، ومحافظتها على اسلوب القرآن الكريم
بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المصنوي
- مثل شيمال وشمال .

ب - العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام
العربية على الحركات وبثورها ، ولكن تحررا موضعيا
من الصوتية وبتركتها قوانين تمد اللغة للتحرر عنى
الاطلاق .

ونقدر ان نقول بان فى هذا العهد بلغت اللغة
الشوط النهائي من ترقى اللهجة .

ب - صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثانى
تطور اللغة العربية بامور هامة جدا وهي :

- على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا
مما يدلنا انه كان هنالك كلمات فى اللغات العربية
ولدت بمهود صوتية كما فى المثل المتقدم سابقا ،
شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك
بمهود كانت اكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف
ذات اصول لمغلولات بعضها .

- يفرض على المتكلم ان يبدأ كلامه بحركة ساكنة،
وان ينهى حديثه بمتحرك ، نظنه الواو كما فى الاشوية
والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان
اللغة مرت فى عهد اكثر سكون ونطقت فيه ساكنة
الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، امشوشب ، وقد
اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق بالساكن من مثل :
امرؤ امرأة ابن الخ ...

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميث التطور الصوتي ولا يقصد الى التكاثر والتزايد، ولكن وجدت هناك اسباب عملت على حفظ تلك الاثرية في اللغة، مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجة التي قصد اليها العربي، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشياؤه الباقية .

الاسباب التي حفظت الاثرية

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثرية في اللغة العربية هي :

- 1 - التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .
- 2 - القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .
- 3 - حداثة الارتفاع : ومن ذلك انطور وطومار .
- 4 - الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 - التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمدلول معين ، فمن الممقول جدا الا يتأثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثرية في هذا القسم من حفظ الاثرية من الافعال المضارعة .

- 1 - يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .
- 2 - يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .
- 3 - يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .
- 4 - يقطين : نبات معروف .

ب - القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمة او التركيب ليس الا المعنى المثلى فقط ومن الاثرية المحفوظة في القصد الكنائي يا جوج وماجوج .

اما القصد بكلمة يا جوج ما يلزم عن معناها الكنائي من التاجيح المتدافع ، والتاجيح في كل شيء . اما لغويا فياجوج فعل مضارع من ثلاثي اجج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التاجيح للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية . فبقي لها امكنة واسعة رحبة .

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورت يرت .

- الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثرية في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المدبر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بمد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في الميسرات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابس اللفظ للمعنى ملاسبة حقيقية .

ومن ذلك ان المثني شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كئارا يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

التطور في اللغة

كان بإمكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لخرابين أساسيين من

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، وأخصمها لقانون بياني ثابت وأمات ما هو متراوح الفوص فيها، وانعشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به غير مرة من المقدمة. وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قریش في افصح محتوياته ، والذي أمات منها القسم الغوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى امتداد تجديد هذه الغوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

— من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

ا — ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الضم اقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب — كان لاببدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، ولابد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج — ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها، وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهن من نطقت بـ نثدلان، وكذلك اخرى تقول زئبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج — تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الالعمال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان يستندان الاهمية التي امترضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عيننا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

ا — نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدم .

ومنها صارت الى الثاني والثالثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مفادرة العربي لجزيروته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب — اللغويون الاولون :

للمعنى التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبذون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن نبتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبذون رايهم وفي هذه الراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بمت الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

نسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 - دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل امر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى اصعب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامري قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 - براع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال فى العهد الصوتي .

- براع : فعل ماضي متخلف ...

- ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين ، لان شكلية الحروف كان لها تأثير فى تمام له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير فى المعنى واتمامه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، وحاولت التخفيض من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى فى الوضع الاخير .

3 - وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطا والضعف والخوف .

- واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل وامتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة فى باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 - التصحيح مع موجب الاعلال .

ب - الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا تقدم المثال الاخير والارقي

4 - وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي

هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد مباراة الفيومي فى كتابه المصباح ، وتصديق كل ما رايناه وجئنا به .

وخلصة القول فى هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

- ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور اميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر فى انه يتبع المضارع .

- ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية .

- ان توحيد ابواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

- الاعلال متأخر فى الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم فى بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فعيل ، فعل ، تنوي كلها فى اصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل المات قصد ببعضها التنوع وبالمعنى الاخر الامانة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل فى كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الاسباب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين فى ابحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول ابحاثهم فى اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي ان يعرض بها على كل المواد اللغوية ، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مفادرة الجزيرة ، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتفى بما وصل اليه وامر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا فى المصدر من الفعل ان العرب استغنوا فى بعضه باسماء وقعت موقع المصادر كما فى وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقية وسامية ، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما فى طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي ، واما التصحيح مع موجب الاعلال ليفيد المعنى بتكلف او باضطراب ، كما فى طول فانه يفيد التكلف فى الطول .

الارتقاء فى تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

واضحة في منطقتي القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيان فهم يبتدعون لها وجوها من التعليل ، كاختلاف القبيلة ، تداخل اللغات ، والفرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصدق عمله في الاسلوب والبيان على شتى اوضاعهما ، فكتاب (المجاز) لمحمد بن المثنى المعروف بابي عبدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابدما ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 - اثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانعزال والتشذيب ، ولكي يتسنى للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهناك ابهر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظما وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع ويبدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم التصاليد .

اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتى التطورات النثرية ، حتى يكاد يحتك النثرية ، حتى يكاد يحتك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بان القرآن يجمع بين مختلف السور البيانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتى من الاساليب في القرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني ، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

1 - هوية وتعني صوت الدنب ، وتمتبر اقدم الامثلة .

2 - الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتاب الايضاح ، ويظهر ان الاتمام اعلان بين ايدي التطور ، فمثلا نطق اول مرة شوق .

- ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقيل : شيق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

- وخلاصة قولنا في تطور الاعلال هو : ان الممل كان على التصحيح اقدم عهد اللغة .

- ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .

- ان الاتمام الى الضم اعلان اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

- ان الاتباع يميل في الاعلال على التناسب ولو لادنى ملاسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 - اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 - اثر التطور في الشعر .

1 - فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان - فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

1 - كان الجدول الهجائي بحركاته لفة للانسان القديم .

ب - نشأت العربية نشوا تطوريا من الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج - تطورت العربية اللفظية من اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظرية : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الانماء سواء في الاشتقاق ، والاهراب والموازين والاعلال والاعمال والمصادر وتطلعنا على تلك المسافات التي بقيت

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فأشد الكتاب طرفا منه أشدهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غدى القرآن والغاية، ان القرآن امتاز الفوضى في اللغة وأجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما أوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازن ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لفته ، ولن تطمئن بين أشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبها بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشددهم في السماع وفي ما يكتم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية المصرية والمستقبلية .

التنقيح في اللغة العربية

في الفصول السابقة التي أوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا عمل التطور في العربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون أن تنتهي ، ولكنها مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الإخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، وأقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة في مواضع قلقه وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 - لغة القرآن الكريم :

ب - اللغة التي تبدأ بالقرن العشرين .

وقد تفاوتت كلتا اللغتين تفاوتا يكون لا أقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في

امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهمهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرغ الذي يأخذون الناس به ، وأعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة أدق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين انهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بأبه المحدثون .

- ولا تكون على مقربة اذا قلنا بان موقف اللغويين المتفاوت بأسباب أهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صبغة تعصبية صرفا .

فنقد تشددوا بمنطق الاستماع وهدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الاغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحا .

وينتظم التنقيح للغة العربية بأربعة ادوار :

1 - كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قطحان .

2 - كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرحم .

3 - بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .

4 - كان بعمل علماء المصريين ، الكوفة، البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحتك بغيرها ...

- التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرة ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا مما كان يقصد من لفته، في هذين السببين يكمن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيك عن مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها عن مطالب العصر ، وتطور المستقبل . ولا بأس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة أصبح ضروريا أن نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

أهداف التنقيح الجديد :

ان من أهداف التنقيح الجديد ان :

1 - نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يعني ان نخلص العربية من هوائق الفوضى في افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب : وفاقا لما اوضحناه فيما قبل .

كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي في لغته ، ان في قواعد الأهلل أو في كل ما يتفرع من بحث الأفعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 - يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان ، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق أي الموازين أو قل التحرك من الداخل ، لان العربية غنية في موازينها التي تبلغ الثلاثمائة للثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه في كتابه النحو الضخم .

3 - تخصيص هذه الموازين مفردة أو مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي في الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما رأينا في وجوه التخلف .

4 - توحيد المعاني في المادة الواحدة ... ونمضي بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة أم مزيدة ، مما يصحح معه اشتقاق المجرود من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 - الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت ...

6 - الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 - المعاقبة أو الإبدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات أهمية خطيرة في نتائجها .

ومن مجموع هذه الأهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقة

تلبى متطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بما يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف، ونحو وسجع وغير ذلك من التابيعات ، كالأعجاز والتضمين ، والفك ، في حمل الإدغام للدلالة والتصحيح في موجه الامتثال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 - داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفقدون البيان عنه بأي الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا في متحف يكتفي الناس منها بالنظر اليها . واني غير مطمئن الى ان الجماعة تقر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكمنه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنها المعاجم بالنقل من لسان العرب قبل ان يراه ما يراه ، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن أهمها :

1 - فصور العربية من تناول مقتضيات الفكر، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر في تعريفها ان كيفية النسبة في التضايب (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والتضبية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 - جمود اللفظ في معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بأنه ينكمش في طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقة الاورنج ، اللفظ العربي بأنه (كليشة) لا اكثر وسمي العربية (لغة الاكليشات) .

- نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يمد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، أو كان الاثر الفعال اليها ، ولكنني على ما يرى من عجيب اؤكد بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المترتبة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يمبرهن
أفراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يثنى
لهم أن ينفصلوا بأى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا
هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها لغة التشريع
والإبتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي
يتميز بها الخاصة إلا لأسباب مائة لها حدتها ولها
منها .

فالانصراف الذي نلمسه فى العامية قد كان اذن
لاسباب لا يحقر ابدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد
أوخد بأن هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بأن العامية
نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لاسباب اكثر
وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها
وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ،
والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة
الخطاب .

— ان الفوارق فى اللغة قد حملت الواضع على
اختصاصها الا اذ ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور
وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان
تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة
نراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة
والمواقف من كل الجهات ، على منحنى موزون خذ مثلا ،
(فمفعيل) الذي يظهر ان أصله (فيعمل) (وفعليت)
الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما
سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة
التشاكلية ، وان كنت اقطع بانى مع هذا لا امثل تمام
معقول العربي فيها ولكنى اطمئن اليها على اى الاحوال .

الا ان الملاحظة التي لازمتنا فى دراسة الموازين ،
ان العربية كانت تصدر عن لواحق تزداد على الوزن اذا
كان المراد الافادة من معنى اللاحقة زيادة على معناه ،
بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر فى العربية
كسابقة (است) فى استعمل التي تفيد الطلب او
الصيرورة او المد . واطن بان هذا يقطع هرق النزاع
كما يقولون من انه كان فى العربية سوابق ولواحق لم
تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نفوس فى اشياء نحن بغنى عنها
لاسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا
تخلو من البمثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم
صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ،
ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي
تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية
اللغة ، ان يضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا
بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل
المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير فى الموازين
الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية المريقة ، وان
كانت ظواهر الدرس تقتضى بان العربي كان يعتمد
لواحق بعينها للدلالات بعينها ، ومن يشك فى هذا اذا
تناولنا بعينين عن تشبيه الدهشة من استنفار هابت
مثل فعلوت ، وفعلوت ، وتفعلوت ، وفعلان ، فلم
وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه
يظهر فيها صورة قاطمة للتردد فى أن العربية كانت
خاضعة لما يدعونه باللواحق فى مذهب زيادتها ، ولكن
تشدبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن
لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للمربية بخلاف ما
اذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط
فانه يكون فى فايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك
فرقا واضحا بينهما وان كنت اهود فأقرر بان ظواهر
الدرس الذي اخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا
وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم
تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رأيت فى مفعولت ،
وتفعلوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من
أهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على اكثر العدد
الذي تكون منه كلمة فى العربية . ان لاجتمع فيها
لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلائين)
(وكفمفعيل) لا يجيء منه فمفعيلين) وهكذا من مثل
هذه الانماط .

من الظاهر بان اللاحقة تعتبر فى اكثر من
حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا
أصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن
رغم انا نظن بانه مذهب العرب على صورة مؤكدة
فلاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان ويميز عنه حين نقول (مفعلاء) للذي يوجد في مكان العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح ان يسمى به مكروب العفونة .
مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال وفعلية .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل ايضا على مضاعفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران) للمجهر المضاعف ...

وهناك زيادة اخرى الا وهي زيادة النون .

فنهال : فنهال : فنعلى ، فنعلاء ، فنعلال ، فنعنلوه ، فنعنل ، فنعنلة ، فنعنل .

الزيادة بالسواو .

هفعولة : وتدل على اشارة الوصف بحيث ينتسب الى كل جزء على انفراد اذ نقول (هرمول) للارض التي تشيع الرمال ، في كل مكان من انحائها ، ونقول كذلك هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي الامشي ، بقوله :

هركولة فسق درم مرافقهـ

تمشي الهويئا كما يمشي الوجي الوجلي

وهذا في وصف امرأة في أحد ابائته الشهيرة في وصف النساء ، فهناك كلمة هر كولة في المعنى المناسب .

فهركولة اذن هي المرأة السمينة ذات الارداق

— وهناك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسيجين ، الذي يعرف في اللغة العربية بكلمة اكسيد . قبل

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة المادة نقول (رنج) للشيء فيه الغلق .

فعلل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف نقول (زبدد) للمتعدد الزبد .

فعملاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال ، نقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملا من كل الجهات نقول (رونان) أي صوت متكامل وآلة ذات روناق .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التاثر او الانفصال وعلى سرعة الاحتراق نقول (عصبت) لتأثر الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، نقول (نفسن) للرجل المختص بالاعمال النفسية كالممنوم المختطبي .

وهناك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر علينا ان نوردنا هنا .

وهناك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل تمثال اي صورة شاخصة نقول (تظلل) للظل يتجسم فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المتفعل من الوصف باسباب مشتركة من نفسه ومن الغير نقول (تنور) للحشرة التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفامل : وتدل على المتصرف بالمفاعلة بين منفصلين نقول (مداور) للذي يدبر شيئا آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

الاسم المتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التساء المتحركة وبصير الوزن فعلية .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجين وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقي ويميز باسم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل (اسيد كلوريدريك)

الاوزان العديسة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الاحادي نقول فقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المشوى نقول (فعدان) لما فيه المائة الى الالف مقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الربح نقول (مشهر) اى ربح شهر يقال (مجلة مشهوية) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا تكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعال والاوزان ، التي كانت داء في العربية ومرضنا كذلك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقت اللغة العربية طوال مهبها .

اللغة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسم من الفصل الخامس هو ان اللغة العربية الفاظ يعبر بها كل قوم عن افراضهم ، وهما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف منه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوي، واما هي بعده فمجموعة من الانكار ، والتقاليد، والمواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبارات كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتاتي لنا ان نصفها بالطفيلية لا يسهل تعليلها اذا كانت اللغة وسيلة ، فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفاظ وجودها اشخاص او الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة اخرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به

الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهذا راى لا نفرده به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتاتي لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فلذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضنة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللغة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد احيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتاثر كل من يتدوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطوي على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسميها ، مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح باية مناقشة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللغة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الذين يفرعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنه ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوات متعددة بتعدد الاشخاص اللاهين .

لنقول شيئا عن بيان ابيات الشعر لندل فيها على ما يجدر بالناقد البصير ان يميزه ، أهني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال تيس بن الملوح في ليلى :

بعيشك هل ضمنت اليك ليلى
قبيل الصبح او قبلت فاهها

هذا داء العربية تنفثه جهات خارجية من طبيعتها .

أما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وصما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللفظة وتحكيم القياس فمفنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر وفي تحديد معاني الموازين وصوغها من اي ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والمروض والصرف والنحو .

في الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطور في اللهجة واللفظة . وادراك المعقول العربي من خلال ادوارها النشوئية ويرجع هذا التأخير في اللفظة لسببين :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسماع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصر الجديدة . . .

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه في احدي الفصول بالسير بالعربية بمدد توقفها ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالدة بين اسيائه الباقية .

وفي سبيل ذلك المستقبل المنشود لفتنا المزيدة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا في المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفي هذا السبيل افتتم الفرصة لابداء بعض الملاحظات .

1 - ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغوية .

2 - الانطلاق بثورة صحيحة في اللفظة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيد من طاقاتها اللغوية .

3 - نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بذلك .

وهل رفت عليك نروع ليلى
رثيف الاقحوانة فى مداها
ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء
العرب جميعا .

وهو لا يريد فى اعتبارهم على (بريك) او لمعرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على ان قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحنف والتاكيد . وهذا ما يسمى مزاحمة تعبيراً فى محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بان المجنون يرى العيب فى ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبيها ابدا فى انشودة الحزن المرة . بهذا النظر الطالع للقس حين يستفهمه من شكل من الاشكال تلك السعادة ولون ثرى من الوانها مرسوما بضمه السحر وقبلة فى عين الصباح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمة العربية واغناؤها والخروج بها من قوتتها الضيقة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجد القول بان اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مفلول بعبوديات كثيرة اهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر فى الجانب اللغوي منها .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان نهاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنا والينها ، هي اصلح من اثربها من اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى فى تاريخنا واستجلاء بداية العربية ثم مسابرتها فى ادوار رقيها وحلقات تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفها المفاجيء قبل اتمام دورها التطورية ، مما حملها بعض الفلاقي المتخلفة فى الافعال والصادر والجموع ، والاوزان ومما زاد فى عمر هذه المتخلفات تزمت اللغويين القدامى ، ومتابعة المحدثين لهم .

تعريب العلم

بترجمة الإنتاج الفكري والتقني الإنساني

أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة أكدت فيها ان مجلس الجامعة قد اتخذ في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (مارس 1970) بشأن تعريب العلم في الدول العربية القرار التالي :

3 - ان تعمل الادارة الثقافية وبالانفاق مع الدول الاعضاء على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما امكن) بعلماء متخصصين ممتازين ، تكون مهمتها :

ا) الاشراف على وضع خطة للترجمة واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

ب) المساعدة (1) في اصدار المعجم العلمي العربي الموحد الذي باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة .

ج) وضع الميزانية المناسبة للانفاق على هذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات في اللغات المختلفة من البلاد المختلفة ، مع توصية الامانة العامة بان تدرج بمشروع ميزانيتها للسنة القادمة 70 - 1971 اعتمادا قدره خمسة آلاف جنيه حتى يمكن تنفيذ المشروع على اساس سليم .

ايانا من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية باعتبارها حجر الاساس في النهضة العلمية العربية الشاملة .
وتقديرنا منها لضرورة التنسيق بين الدول الاعضاء في هذا المجال الخطير في حياة امتنا ومنما للازدواج أو التكرار ، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة فانها توصي بما يلي :

1 - ان توصل الادارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الاعضاء من اجل استكشاف حال الترجمة العلمية في الوطن العربي .

2 - وبعد ذلك تدعو الادارة الثقافية المكتب الدائم للجنة للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح هام للترجمة العلمية في البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها .

1) من المعلوم ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي يعمل الآن ضمن اختصاصاته وفي نطاق جامعة الدول العربية على اعداد معجم علمي وتقني عام موحد بعدة لغات .

اساسية لا غنى عنها للباحث او طالب العلم المتخصص الى اللغة العربية .

ولى ضوء اجابات الجهات المختصة فى الدول الاعضاء يمكن الوقوف على حال الترجمة العلمية فى البلاد العربية ثم دعوة المكتب الدائم للجنة الثقافية « للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية فى البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصى بترجمتها » .

2 - اما فيما يختص بتكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما امكن) وهي المشار اليها فى البند (2) من قرار المجلس المشار اليه فان الامانة العامة ترى ان يتم ذلك عند انعقاد المكتب الدائم وبعد ان تكون الدول الاعضاء قد امدت الادارة الثقافية بالامانة العامة بالصورة الحقيقية لحال الترجمة فى البلاد العربية .

3 - وعلى ذلك ، وحتى تكون نقطة البداية فى هذا العمل القومي العلمي الجليل قائمة على اساس سليم ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ، تكرر رجاءها الدول الاعضاء ان تزودها بما سبق لها طلبه منها فى هذا الخصوص من اجل ان تستفيد من الفترة (ج) من البند (3) من قرار مجلس الجامعة المشار اليه والخاص باعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه فى ميزانية 70 - 1971 ، فتبادر الى تكوين اللجنة المشار اليها لاختيار عدد من المصادر الهامة فى مختلف فروع العلم الاساسية والتطبيقية لنقلها الى العربية

هذا والامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة الدول العربية تأمل فى ان تتلقى فى وقت قريب مناسب البيانات المطلوبة لتمكين من تنفيذ قرار مجلس الجامعة ترحو التفصيل بأن تراهي جهات الاختصاص الجديدة 70 - 1971 للامانة العامة تبدأ اول يوليو (تموز) 1970 .

وتنهر الامانة العامة هذه الفرصة لتعبير من فائق تقديرها واحترامها . . .

4 - تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام توزع على فروع العلوم الاساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالإضافة الى العلوم الطبية والفسولوجية والهندسية والزرامية والصيدلية والبيطرية . الخ .

5 - متابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية واختيار ما ترى نقله الى العربية .

ولما كان هذا القرار يشتمل على عدة نقاط هامة فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة تشرف بذكر ما يلي :

1 ان الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة سبق لها ان كتبت الى الدول الاعضاء الموقرة من اجل :

1 (تزويد الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ببيان عما تم تعريبه حتى الآن من الكتب العلمية التي تعد مراجع اساسية ومصادر لا غنى عنها للباحث فى ميدان تخصصه .

ب) ان تفضل الجهات المختصة فى حكومتكم الموقرة بتزويد الادارة الثقافية ايضا باقتراح ما ترتى تعريبه من امهات كتب العلوم العالمية (بكافة الفروع) التي لم تعرب حتى الآن ، واذا كانت هناك بعض الدوريات التي ترتفع فى مستواها وبما تعالج من موضوعات وابحاث الى مستوى المصادر الاساسية وترى تعريبها فلا بأس من ذكرها ايضا ، بين ما يجب تعريبه .

ج) ان تفضل الوزارة الموقرة ايضا بالايصال الى جهات الاختصاص فى حكومتها الجلية من اجل تزويد الادارة الثقافية ، كل ستة شهور او كلما دعت الحاجة الى ذلك ببيان بما يتم تعريبه مفصلا من الكتب العلمية

لذلك فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ترحو التفضل بأن تراهي جهات الاختصاص فى الحكومات العربية الجلية ان الترجمة العلمية مقصود بها نقل امهات الكتب العلمية (فى العلوم الاساسية - البحتة - او التطبيقية) التي تعد مصادر

تعريب التعليم في الجزائر ومساكله

الأستاذ عبد الحميد المهيبي - الجزائر

لقى الأستاذ عبد الحميد المهيبي رئيس اللجنة المصغرة للتعريب في الجزائر محاضرة قيمة في مقر الجامعة الجزائرية حول تعريب التعليم ، تعطي صورة عما يتخبط فيه تعريب التعليم في المغرب العربي من مشاكل ، ونحن نلخصها فيما يلي :

ولن نستطيع أن نوفى جميع جوانب المشكل حتما من الدرس في محاضرة واحدة . ولكن نكتفى بإثارة القضايا التي يتكون من مجموعها ما نسميه قضية « تعريب التعليم » .

وأول الاعتبارات التي ينبغي اثارها قضية اللغة العربية نفسها . فهي ليست اللغة الام لجميع الجزائريين ولكنها اللغة الوطنية لجميع الجزائريين .

واختيار هذه اللغة لم يات ارتجالا ولا بصفة اصطلاحية ولكنه تم عبر القرون والتجربة التاريخية الطويلة . وكانت لغة التعليم في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي هي اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة . وهذه حقيقة تجعلنا نقرر أولا بأن هذه المشكلة تهم سائر الجزائريين وبأن حلها ينبغي أن يشارك فيه جميع الجزائريين بدون استثناء .

الحقيقة الثانية أن العربية كلفة ظهرت فجأة على المسرح العالمي وهي مكتملة من جميع النواحي . ولم يستطع اللغويون على ما أمرف إيجاد تحليل كاف لهذه الظاهرة .

ذكر المحاضر بتاريخ اللغة العربية الطويل وتطورها واضطلامها ابان العصر العباسي بدور ضخم

ذكر المحاضر في البداية أنه لا يريد القاء محاضرة بالمعنى المتعارف وإنما إثارة المناقشة حول الموضوع . ثم قال ان ما سيعرضه من افكار ليست افكاره ، وإنما آراء نضجت مع الزمن عند المهتمين بالتربية في الجزائر .

وقال ان تعريف المشكل يضمننا في نهاية التحليل وجها لوجه ، أما ضرورة تحديد اختيار لغة أو لغات التعليم ، وهو اختيار لم تتم به بعد ، ذلك لان على الجزائر أن تضع سياسة بعيدة المدى للتعليم ، وهنا يلقي السؤال : هل يحسن بنا أن نتخذ لغة واحدة للتعليم ؟ ، وأن الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما يتبادر الى الذهن ، فهذه القضايا تثير مجموعة من المشاكل منها ما له صبغة لغوية بحث ، ومنها ما له اتصال بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية في نفس الوقت .

ولهذا فان معالجة المشكل لا يمكن ان تتم الا عن طريق الدراسة الكاملة لكل هذه الجوانب ، والاقترار على جانب واحد يؤدي بنا الى حلول ناقصة .

وقال ان هذا التعقيد الناجم من طبيعة القضية قد يتخذ ذريعة لابقائها دائما تحت الدرس والمناقشة .

هو تمثل مختلف ألوان الحضارات ونقل هذا التراث إلى الأجيال اللاحقة .

ثم أصاب العربية انتكاس نتيجة تخلف المجتمع العربي نفسه . وفي الوقت الحاضر تعرف هذه اللغة نهضة جديدة .

وأشار المحاضر إلى ظهور لهجات التخاطب في البلدان العربية ، مبينا أن هذه اللهجات على اختلافها تكون وحدة تمكن المتكلمين بها من التفاهم بجهد بسيط

وخلص المحاضر من ذلك إلى القول :

باننا أمام لغة قديمة قامت بدور أساسي وأمام لغة خطاب مختلفة احتفظت بوحدتها . ثم أمام ظاهرة ثالثة وهي ظهور ما يسمى باللغة المشتركة أو العربية المعربة التي تجمع الإصالة ونوعا من التبسيط في منطها وتراكيبها بجملها قادرة ومتفتحة على التيارات اللغوية المتصلة بها بشتى طرق الاتصال .

ثم أشار إلى أن الاستعمار جعل ظل اللغة العربية يتقلص تدريجيا في المدرسة الجزائرية إلى أن تفردت بها اللغة الفرنسية ، وهذا جعل المدرسة أداة لمسح الشعب الجزائري وفرنسته .

ومند الاستقلال ، كان لا بد من تغيير هذه الوضعية ، وأدخل في البداية وكخطوة أولى قدر أدنى من اللغة العربية كمادة درس أساسية في كل فصل .

وهنا وضعت مشكلة الاختيار أينصب على لغة واحدة للتعليم أم ينبغي الاحتفاظ بالازدواجية ؟ .

وقد رأينا كيف أن هذا السؤال صعب الجواب نظرا لتشعب الموضوع ، وكيف أن طبيعة التشعب هذه تتخذ ذريعة لإبقاء المشكل دائما تحت الدرس والمناقشة .

وقبل أن نتخذ الجزائر حلا جذريا ، حاولت ألا يكون مجهودها المدرسي استمرارا لنشر الفرنسية في المدارس . فحريت مواد التاريخ والتربية الدينية والخطبة والمدنية والجغرافية مع كثير من التحفظ وحررت السنتان الأولى والثانية من التعليم الابتدائي وأهدت بعض الثانوية المعربة في أوائل الاستقلال . وكان هذا ما يمكن أن نسميه بالتجربة الجزائرية في حقل التعريب .

هل تكفي هذه الإجراءات لإخراج المدرسة الجزائرية من طبيعتها الموروثة وجعلها تعمل وفق الاختيارات الأساسية للجزائر ؟

امتقادي الخاص وكثير من الإخوان في لجنة إصلاح التعليم أن ذلك لا يكفي وإنما إن كانت خفت من هذه الطبيعة الموروثة ، فإن المدرسة الجزائرية ما زالت وسيلة لنشر نوع من الفرنسية غير منظور . وهي لهذا السبب أخطر من المدرسة الفرنسية التي كانت تجابه الجزائريين بما يكرهون كاشفة القناع عن وجهها .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية هو أن المدرسة الجزائرية لا من اختيار بل لتوقفها على اختيار طريقة ناجمة للتعريب ، انتهت إلى الازدواجية : العربية في الدراسات الأدبية (النظريات) والفرنسية في العلوم

هذا الوضع يقدم للطفل الجزائري صوريين ، صورة الماضي متمثلا في اللغة العربية ، وصورة المستقبل وبالتالي للفعالية متمثلا في اللغة الفرنسية .

وإذا استمر الوضع على هذه الحال فإنه يوشك أن يحدث اختلال في شخصية المواطن الذي تكونه وإن امتنا لا نريد أن نزيل ماضيها من الأذهان بعيدا عن الفعالية وقد يرتبط هذا الماضي منها باللغة العربية .

وبعد ما أشار المحاضر إلى الحجج التي يقدمها البعض من قصد حسن نية إصلاح جهاز التعليم وجعله ملائما لتوفير العدد الكافي من الأطارات لمقاومة التخلف ، وتولهم أن المهم أن يكون في البلاد مثل هذه الأطارات وأن اللغة شبه ثانوي . هذا التيار في نظر المحاضر يمتد على نظرة ليس فيها همق ، لأن التعريب لا يمكن أن يكون منافيا لهدف التنمية .

مقدرة اللغة العربية :

ويبدو من الوضع الحالي للتعليم بالجزائر أن هناك تعارضا ظاهريا بين تعريب التعليم وتلقيته . قد ينجم منه الشك في مقدرة اللغة العربية كما قد يكون نتيجة نظرة سطحية إلى واقع العالم العربي .

فمن حيث الشك في مقدرة اللغة العربية ، يمكن أن يرجع إلى أن هناك دولة عربية تستعمل اللغة العربية كأداة لتعليم جميع الصواد ، هي سوريا .

والمختصون بالدراسات اللغوية يؤكدون بأن اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا في تطوير نفسها ، واصبحت مرشحة لان تكون لغة عالمية .

نعم هناك مشكل المصطلحات ما زال قائما لكون الجهود الفردية بشأنه مبعثرة غير منسقة . ولكن المشكل حاصل في مستوى معين . هو غير حاصل في مستوى التعليم الابتدائي ولا الثانوي ولا حتى بعض الدراسات الجامعية . وانما يوجد في مستوى الاختصاص الفيق - والبحث العلمي ، والتبادل مع الغير .

فما يقال عن عجز اللغة العربية انما يقال بدون تمحيص . فهي صالحة كل الصلاحية بدون ادنى عائق في مستوى الثانوي على الاقل .

على ان هناك الادعاء القائل بان اللغة العربية صالحة كأداة في تلقين الدراسات الادبية والانسانية ، وغير صالحة لتلقين التقنيات .

اولا : مصطلحات العلوم الصحيحة قليلة ومحدودة .

ثانيا : الصفة التي تمتاز بها المصطلحات هي الدقة والوحدة .

وهذه مطالب غير عسير تحقيقها على جهود العاملين في هذا المجال .

على ان هناك حقيقة يجهلها الكثير ، وهي ان مشكلة المصطلحات في الدراسات الادبية والانسانية ، أكبر منها بكثير في العلوم الصحيحة . وذلك لشعب تلك الدراسات وصعوبة وضع المصطلح الدقيق بشأنها وامتقانا ان هذا الامر الممكوس للفاية . وان القصد من ذلك تبرير الوضع القائم واكثر منه تعبير عن حقائق علمية .

الجانب الثاني : النظرة السطحية الى واقع العالم العربي .

تجارب العالم العربي في ميدان التعريب :

اعتبر المحاضر ثلاث تجارب اساسية

(1) تجربة سماها شاملة ، هي تجربة سوريا .

ليست جديدة، ابتدأت أثناء الحرب العالمية الاولى تمت بتشجيع الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يصنعون

التقارير تلو التقارير يؤكدون ان العربية صالحة في جميع مراحل التعليم . وكان حائزهم الى الرغبة في وقف انتشار اللغة الانجليزية في المشرق العربي .

امتت هذه التجربة نتائج يمكن ان تعتبر حجة كافية على صلاحية اللغة العربية . لكنها تصطبغ بنقص عاب السوريون أنفسهم هو عدم اهتمامها بتدريس اللغات الاخرى .

هذا جعل التخرجين ، وخاصة المختصين والمشاركين في البحث العلمي يجدون بعض العمومة في ميادين الاختصاص نظرا لضعفهم في اللغات الاجنبية .

لكن هذا يمثل مرحلة هي الآن في طريق الزوال.

(2) تجربة وفتت في نصف الطريق ، تمثلها ، مصر والعراق

وقفت عند الابتدائي والثانوي والدراسات الادبية والانسانية في التعليم الجامعي ، وبقيت المواد العلمية باللغة الاجنبية .

وكان من نتائج هذه السياسة تناقض واضح يتمثل في انشاء المجامع العلمية اللغوية من جهة ، ورفض استعمال العربية في العلوم من جهة اخرى .

فوقوف التعليم في الجامعة بالعربية لدى العلوم ليس منطقيا ، ولكنه مرتبط باوضاع .

هنا استعرض المحاضر الكفاح الذي خاضه الشعب المصري تحت الاحتلال الانجليزي لفرض اللغة العربية في الابتدائي والثانوي ، واضطرار الحكومة للاستجابة واصرارها على عدم تمميمه على الجامعة .

وكيف ان الجامعات المصرية قامت بمجهودات الشعب الاهلية ولم تساهم فيها الحكومة .

وكيف ان القائمين عليها اقتصروا على تعريب النظريات لانها كانت في متناول مجهوداتهم المتواضعة ولا تكلف كثيرا .

وكيف ان تجربة العراق تشابه كثيرا تجربة مصر ، ثم قال :

ان الاتجاه الذي في سوريا ومصر والعراق هو التفكير الجدي في اكمال الحلقة .

3) الطار المغرب العربي :

تتميز تجربة الطار المغرب العربي بالتوفيق من البت في اختيار لغة واحدة للتعليم ، وتخصيص اللغة الفرنسية لتلقين العلوم والتقنيات .

وهذه تجربة قد تؤدي الى مخاطر ، لانها مبنية على احكام سابقة غير مخصصة .

ثم لخص المحاضر الوضع في العالم العربي ككل ، فقال ان التجربة ككل تعتبر عامل اللغة ، وتناسى اشياء اساسية ، وهي ان حركة التعريب بدأت في وضع سياسي كان العالم العربي فيه خاضعا لنظم استعمارية ، وان المجتمعات العربية في ذلك الحين كانت مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية .

ولهذا فان تجربة التعريب كانت منعزلة تمتد تطوير اللغة بمفردها ، دون البحث في الاسباب المؤدية الى تطوير المجتمع ككل . اذ مدى تطوير اللغة مرتبط بتطور المجتمع . وقد كانت تجربة تستهدف احداث ثورة في اللغة ، في نفس الوقت الذي تريد تلافى احداث ثورة في المجتمع .

وهذا من شأنه ان يؤدي الى الاخفاق .

اذ كيف يمكن ان تتطور اللغة العربية في مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية لا وجود فيها لاساس مادي للعلوم والتكنولوجيا .

التعريب يسدا الان

وعلى هذا ، فان التجربة الحقيقية للتعريب تبدأ الان بعد ان اصبح واضحاً ان هذا لا يمكن ان يتم الا في نطاق ثورة شاملة . في اطار هذه الثورة يمكن ان تستكمل التجربة جميع اسباب النجاح .

النتيجة

انه اذا كان التعريب لم يؤد في نظر الاجانب الى نتائج ايجابية ، فالمسؤول عن ذلك ليس اللغة العربية . ولكن فساد النظم التي كانت سائدة ، تمكس صورة للمجتمع ، ونفا على طبقة محظوظة ، محشوة بالنظريات ، بعيدة عن مجالات التطبيق يتميز بغلبة التكوين العام او الثقافة العامة على حساب العلوم الصحيحة والتقنية .

هذا الوضع لم يتغير جنرباً . وهو لسمية مشتركة بين سائر الطار العالم العربي ، ولا تشذ الجزائر عن ذلك .

ان الجزائر تحاول الان ان تقوم بثورة شاملة في جميع المجالات وسلوك سبيل الاصلاحات الجدرية بغية تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا . واننا متجهون الان الى اصلاح نظم التعليم بما يوافق اختياراتنا الاساسية . وهذا عنصر مساعد جدا .

سياسة رجعية ؟

على اننا نرى بعض المتحمسين للثورة ينكرون امكانية ان تكون العربية في الجزائر اداة للتربية . ويلهبون الى ابعد من ذلك اذ يتصورون ان العربية التي مضى عليها ربح من الزمن انكشفت فيه واصبحت لغة التعليم الديني فحسب ، وانقطعت عن تيار الحضارات والانكار الحديثة والعلوم التقنية ، لا يمكن ان تكون الا اداة لسياسة رجعية .

ومع ملاحظتنا على هؤلاء انه سواء بسواء يمكن ان تنفذ سياسة رجعية من طريق الفرنسية ، فاننا اذا سلمنا ان العربية بما اصابها من تاخر بفعل تاخر المجتمع ، نرى ان احسن وسيلة لاجبار العربية على القيام بدور سلبي ، هو ابقاؤها بعيدة عن ميدان العلوم الصحيحة . لا فرو اذا اننا اردنا ان تلعب العربية دوراً ايجابياً في تطوير البلاد وتحقيق الثورة ، يجب ان نتخذها اداة للعلوم . هذه الاختيارات النظرية . -

اضيف الى ذلك شيئا اساسيا هو الدعوة الى الازدواجية . وبهذا الصدد تعدد مزايا الازدواجية في التعليم وفي الحياة .

امتقد ان الازدواجية ليست ذات معنى واحد . لهذا اللفظ يمكن ان يطلق على اشياء كثيرة تختلف من حيث الدرجة كما تختلف من حيث الطبيعة .

ونحن نرفض الازدواجية مبدئياً لاسباب بديهية هي :

1) ان الازدواجية بين العربية والفرنسية ليس لها سند سكاني .

كان الامر يختلف لو ان الاثنية الاوربية قررت البقاء في الجوائر اذن لكان المشكل فالما .

(2) نحن نفرض الازدواجية ، اذا كانت تعني اعتماد الفرنسية كوسيلة وحيدة للتفتح على الحضارة المصرية ، لاننا لا نسلم بمجز اللغة العربية عن تادية هذا الدور .

يبقى هنالك نوع من الازدواجية نسميه بالازدواجية التربوية . ويدعو اليه الكثيرون من المرين في العصر الحديث . معناها تعلم اللغات الاجنبية .

والازدواجية بهذا المعنى يمكن اعتبارها اذا كانت لغة التعليم موحدة والعربية لغة تدريس لجميع المواد في جميع المراحل ، يمكن اذ ذلك ان نفكر في تعليم اللغات الاخرى من اجل التفتح والاتصال .

والازدواجية بهذا المعنى بدا تطبيقها في بعض البلدان على سبيل التجربة وهي ما زالت في طور التجربة .

ونحن نستطيع ان نسلم جدلا بان الجزائر في استطاعتها ان تتبنى هذه التجربة في النطاق الوطني العام . وهذا يمكن ان يناقش ويستفاد منه .

التعريب من الناحية العلمية

الجميع يقر بان العملية لا يمكن ان تتم دفعة واحدة . والتدرج نفسه اذا لم يطبق بدقة قد يكون سببا في الفشل وذريعة تتخذ لفرض مبدأ التعريب نفسه .

والتدرج يصطدم بصعوبات أهمها :

صعوبة توفير الوسائل البشرية والمادية والتربوية لتعريب صف كامل (التدرج العمودي من الاسفل الى الاعلى) . وهذا التدرج العمودي منطقي، ولكن صعب تخطيطه . فهو يضع المسؤولين امام آجال لا تقبل التأخير . وفيه ايضا اجبار التلاميذ على تغيير اداة التعليم فجأة (ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية الآن) : هنالك التدرج الافقي = أن تعرب كل سنة مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية تعريبا شاملا وفق سلم التعليم .

مثلا = مائة مدرسة ابتدائية

وفي نفس الوقت 10 اعداديات

وبعد سنة 5 ثانويات

وقد يمكن التوسع اكثر اذا سمحت الامكانيات . هذه الطريقة تضمن للتلاميذ ترقيا في السلك يوصلهم الى البكالوريا بدون هائق .

ويمكن ادخال اللغة الاجنبية ابتداء من السنة الرابعة او الخامسة ليتمكنوا من مواجهة تعليم الجامعة بالفرنسية ، اذا لم تكن قد تمكنا من تعريب الجامعة اذ ذلك .

خضم لوحدة التعليم :

هنالك من يرى في هذا التدرج خصما لنظام وحدة التعليم الواقع ان الامر لا يخلو من ذلك . وقد نعيش لفترة طويلة على نظامين تعليميين مختلفان قليلا . ومع ذلك فان الفرق بين النظامين يكون في العلوم الصحيحة فقط . ومن السهل ان تصور التلاميذ الذين يتابعون النظام الانتقالي العاصر بما يحصل لهم من ملكة في اللغة العربية ، يصبحون قادرين على مواصلة تعليمهم العالي باللغة العربية .

هذا التدرج يمكن من التغلب على كثير من المشاكل ، الا انه لا يعفينا ايضا من الاحتياجات البشرية والتربوية والمادية ، ومن الآجال الواضحة .

واخيرا فان تعريب التعليم لا يمكن ان يتم بواسطة الجهاز التقليدي لوزارة التربية ولا بد من انشاء مؤسسات تسهر على حركة التعريب ، وهي في نظري :

(1) مركز وطني لتيسير اللغة العربية ونشرها . لا كجميع ، اذ لا فائدة من ذلك بل مركز يجمع بين البحوث الاساسية في العربية ومحاولة ايجاد الحلول لمشاكل العربية ، وليست العربية بدعا بين اللغات في ذلك . وقد تكون المشاكل في العربية تختلف من حيث الدرجة ولكنها لا تختلف من حيث الطبيعة بالنسبة للغات اخرى .

اتصور المركز ملتقى الباحثين من رجال التربية واللغة والتعليم ، لايجاد احسن الحلول لتعليم اللغة العربية لا في المدرسة وحدها ، ولكن ياساليب عصرية ووظيفية للعديد من الجزائريين المنتمطين للتزود بهذه الاداة التي تمكن من الاسهام الحقيقي في تعميق جذور الثورة وجعل معركة التعريب معركة الشعب .

مدرسة الترجمة

من هذه النواة يمكن الانطلاق لاعطاء مفهوم جديد للترجمة يجعل منها لا عملا هامشيا ، ولكن أساسا لتطوير المجتمع وتنظيم العلاقة بينه وبين الشعوب .

ينبغي اذن تكليف المدرسة برسالة اخرى . لا ينبغي ان تقتنع بتكوين الترجمة للأعمال اليومية ، بل أن ننزع الى تخصيص علماء في مختلف المواد والعلوم لتكريس جهودهم لعمل الترجمة الذي هو على ما اعتقد عمل أساسي في بناء النهضة العلمية .

المؤسسة الثالثة

تنظيم واسع شعبي اعتقد من السابق لاوانه تعود جميع عناصره . ولكن اتصوره على شكل مؤسسة تجمع بين مسؤولين معينين يحتلون مراكز حساسة بالنسبة للعمل الإداري والجماعي ، يسهرون على تطبيق المخطط العام للتعريب وربط تعريب التعليم بتعريب بقية الميادين .



تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك انجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتلها عقلية قرآنية تستحق ان تنكيف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم افراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتبا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية عن سنغال» يقول الافريقياني الفرنسي «بول مارني» ان جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لافراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقياني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الآتية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم الدوافع للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سمد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرغ منهم . ولكن هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخيرهم اسماء لواليدهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسخ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهتدي الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم «محمد الامين» والسرايري المهتدي باسم « لئسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المهتدي باسم « جول » ان يحمل اسم «علي» وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكر سه والحاج منصور سه من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سموا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمنه للقيام بهذا

المعمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقت المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعها مجازاة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة في السمع مثل : طوبى - دار السلام - دار المسطي - دار الفسفور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طائف - عالية - طوبى فال - طوبى كن ، وسموا سوق طوبى مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يسهاه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تباينت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المهتدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الابرار - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الرنانة التي اطلقت على مئات الجماعات .

المذكور مكملته بمشربين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي أكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسما الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسما هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاندية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يرسلون ويدونون بها خواطرمهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانعام الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم ملامة الفارع على اصل الفعل والتلفظ بلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولىف والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الولىف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدور» يتألف البيت منها من صدر ولفي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولفي . ومنها المحشو يحشي القسم الولىفي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولىفيين .

طبق المستعربون الفلايون والولىفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات افراض مختلفة كالقصة والوفظ والمدح والهجاء والثناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة لعرب الكثيرين منهم اسما القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسما مثل : فاس - نساط - طوبى - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الاهضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او اسما الجنود في احدى الشكات العسكرية او اسما التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسما القرى والساكر والاشخاص العربية .

تمت انا شخصيا لاختبار سرمة التعريب في اسما الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين العديدين عن قوائم اسما كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879 م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966 م

اما الطريقة التي سلكتها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . وبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار متان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسما النواب المرشحين للانتخاب لحرزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسما النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المناني للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللغويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالكلمة الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث والالفية مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه انما تطور لغة الحديث بقيت الالفية الشبيهة بالكتوبة متحجرة يتناقها المستعربون كابراً من كابر وحفظت الكثير من المفردات المدرسة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل لسوي دونما اعتماد واستعانة بهؤلاء المممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستنابات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين . والكلمات التي اتحمت على الالفية عربيتها ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الفائرة التي اصابتها انشاء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي واصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادقين » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يطرئ الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا ، تتركب لتحريف لا محيد منه ، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تتركب اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ ه . اما اشهر دواعي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف لظهور التحنن على المعبر منه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زئب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نقية	نف	»	مبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الشاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانساجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولىة خصوصا من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » اصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الزاي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا ..

3 - تغلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليلة (الة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) عائشة (ايسة) هرون (آرون) محمد (مد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :	الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)
اجل (نسم)	حساء
آدم	الخاتم
ابيس	الخبر
الانين	الخطبة
الاحد	الخليفة
الآخرة	الخميس
الاربعماء	الدائرة
اسرائيل	الدابة
الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)	الدار
البيت (الجزء من القصيدة)	الدبران
البدعة	دجنبر
البرادة	الدرامة
البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)	الدرجة
البركة	الدرهم
البطاقة	الذنيا
البلاء	الدواة
البيمة	الديبة
التخمة	الدين
التربية (بالمعنى الصوفي)	الذكر
الترجمان	ذو الوجهين
التبيح	الراية
التفسير	الربا
التهمة	الركمة
	الركوع
	الروح
	الروضة
	الزواية
	الزيارة
	الزكاة
	السامة
	السبب
	السبب
	سبوح
	الشر
	السجادة
	السجود
	السر
	السطر
	السطل
	السكر
	السلام
	السلام عليكم
	السماء
	السنة
	السورة
	الشرح
	الشرط
	الشريف
	الشفل
	الشيطان
	الصابون
	الصبح
	الصدقة

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
 بهيم ليل سوادا فعادة نممه
 لكن للشيب في فودي وجمجمتي
 وخطا وخطا فعذراء النسا نيمه

— * —

الا ارمواء لمن ولت شبيته
 واذنت بمشيب معلم هرمه
 بل كل ضيف كريم القوم حوله
 قرى عليه وهذا شيبه كتمه
 فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
 هو الشفيح وكل قائل تلجه
 من ذاته كل ذات لازمت هرفسا
 في عشر شعرتها لو تفتدى سقمه
 من كل جرم له قدر يعمره
 عند الفراغ فداه والفداد يمه
 من دونه كل منطوق بحرف هجا
 في الاسم الا الهالجره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة
 من أي ست وربسي أنني نرمة
 محمد سيد السادات لا احد
 منهم مدائيه او قائل كتمه
 صلى عليه اله المرش ما رجيت
 شفاعة منه او قول له ولمه
 يا من شفاعة يرجسو وياملها
 اهل الكباير امثالي فداه نتمه
 فان جاهك عند الله منجمل
 هو العظيم فسي الاحوال فتكمه
 احوال دنياي او احوال آخري
 او برزخ ثم من ذكراك ديلتمه
 لا زلت انيبك واسمع ما اردده
 يا خير من يرجيه مريج ويمه
 وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاضي
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

الصراط	القلم	ما.رضيت عليه	الناقاة
الضر	التغطسان	مارس	النصراني
الضميف	القوال	المحراب	النفس
الطالب	القياس	المداراة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقمة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحة	الورد
المعيب	الكمال	المصيبة	الوفاة
النفوس	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملحفة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
القبة	لا بد	المهدي	المرش
ندوس	الله	النبر	اليهود
القعيدة	الروح	الميراث	القعبة
القطب	الماموم	ميكايل	الشر
القرنفل	الشمال	المنافق	الفوقية
		لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه
 اراقها كلمتا سمدى بيه وبمه ؟
 اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
 هول ومزج بدا لي انها بيمه
 وان جبل وصال صار منصرما
 او واهنا خلقا تجديده نتمه
 مالي اراشي ان لامت هانية
 عصر الشباب تقبل او تقل بيمه
 واليوم ان لامت خودا يدي لمبا
 تاففت ثم نادت : « يا ابي سرمه ا »
 وكل ناهدة الشديين تلحظني
 بيمين سخط فتعلي صوتها فومه
 وان لهوت تلمت او دنوت نات
 وان اسل فجاب مندها خممه
 كل كامب واعدتني زورة مشقا
 زمان شرخي ولما جنتها نغمه

نفى وحوش الفلا عن أرضه « بجندو
جنتى ج سو نم س » لاسيدا ولا ضما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى
ج خمن » أن سي جيد الصيد والنقما

لولا حياء وتقوى ربه « اكنم
د دول يم » شب بسرا عالما ورعا

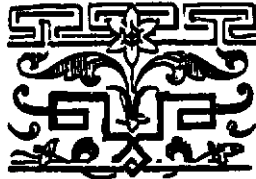
وحرمة الشيخ « اكنم مولك مك ث بدون
ك ملن من » رد ماء حيشما نبعما

أبدى الكجوري فنا فى البديع « كمن
ندف » بديعما كما أبدى وما بدمما

أن الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر
درمو » عند التقاط الفانس الودما

أجاد مدح النبي الهاشمي « توح
سخلا ميمم » وأجاد المدح والقدمما

فالبيت ليث عريض الساعدين « كجس
جغم » تيقن أن قد طال ما صرعا



نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

يلام نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولام في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان آخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجم) قال : الجمعت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او ماكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يحملها الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تائر العرب باساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جدتها وجذبهم لماتها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواظف حكمائهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ودحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والانية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بعسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم افال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جارتها ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل

في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيّب) ، اتهم بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا منه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء احيانا ، و احيانا اخرى فاء ، لان نطقه واقع بين الباء والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ (برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره . وكذلك قالوا لـ (بئكان) فنجان . ومثلها : الاصفهانى والاصبهانى وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيته (دشت) قال الاعشى :

قد علمت فارس وحمير وال

اعراب بالدست ايكم نزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه و لشكر) الى بنفش وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثر من تبدله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق) فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا حصل ابدالان ، فالتفاف مكان الكاف والزاي مكان الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال التي اصلها (كربال) . اما تحول الكاف العربية والكاف الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال : لكام - لجام . كزبه - قزبق ، ويعربها بعضهم (كزبق وكزبق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ، لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما او قافا اذا كانت في اآخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى (فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء والشراب ، والموام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من الجوارى او الغلمان . قال المعجاج :

كما رايت فى الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد تحولت فى العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا كما فى (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونموذج . وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقلید) او (اقلید) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تفريده ولم تعالج غلطا باقلید

ونلاحظ انه لم يجتمع فى كلمة عربية الجيم والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس فى ابناء العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس . ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا فصارت هندسة . كما انه ليس فى العربية كلمة مبنية من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة رباعية او خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والتون واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ، فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التاثر عن طريق الجوارى او الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي فكان لا بد لهن من ان تؤثر لفتن وعادتهن فى ازواجهن واولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء الجوارى وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن يزيد ابن ميادة الشامر جارية طبرستانية رائعة الجمال ، كان تقصها الوحيد فى نظره انها لا تحسن العربية ، فقال فيها :

باهلى ما الدك عند نفسى

لو انك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التاثر بواسطة الاسر الفارسية التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ، فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا سفرة . والعرب اذا كانوا ياخذون اللفظة للحاجة ، فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبد ، ولست مشنبدا

طوال الليالى او يزول بغير

ولا قائلنا زودا ليمجل صاحبي

وبستان فى صدرى على كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها هجل . وبستان : خذ . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الأمثال الكثيرة على ذلك في كتابي : تيمية الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالأصم المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الألفاظ إلى العربية في أزمان متفاوتة . فلم تزحمهم كثرتها ولم يعقبهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآنا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وثابعية ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرتنا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الإسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الأثر العربي الأول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على أننا لا نلبث نراهم يقتبسوا الألفاظ الدينية لتتبعها الألفاظ العلمية ثم الألفاظ الأدبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الأرض الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الألفاظ الفارسية في القافية دائما لأن الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالمائة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والوطنية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويعمدون الإقلال من ذكر الألفاظ

العربية . وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطيقتين لم تستطعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة إلى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم أنفسهم استخدموا الألفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والوطنية هذه .

وكما دخلت القرامان الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشرف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الأصم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية أقرب نوع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الأزهار الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرين . الخيري . السوسن . الجنار . الأرجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الأطعمة : السميد . الكمك . السكاج . الدجاج . الكبة . الخبز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وعربت إلى البالوظة) . الجوزنج . اللوزنج . الزرده . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الأكلة المعروفة في دمشق خاصة) .

- ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت إلى فصحة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الأسلحة والحرب : سبيد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرزين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاونر) . ذنب .

ولقد عمد العربي إلى ما خفف على اللسان ، واستعذبت الأذن جرسه ، وأن كان عنده اسم لها ، فاستعمار : مسك . توت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشب .

- كما اخدوا بعض التراكيب منها :

- جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) .
سرداب (الماء البارد) سراب (رأس الماء) . زركشة
(التطريز بالذهب) .

- كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .
بشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .
بوقالة . ثمنا . بقلوة . ارمغان . برشت . كشتيان .
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادياب العرب الكلمات الفارسية
في تراكيبهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :
« ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » .
والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية .
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .
وقيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخدوا :

- مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .
قرءان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة
محراب . منارة . ابيس - زقوم . سلسيل .
حلال . حرام . بركة .

- ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة .
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .
هارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

- ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم .
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى
العشرة .

- ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .
مخدة . طراز . رداء .

- ومن اسماء الاطيار : فاخنة . قمري .
بلبل . لقلق . غراب .

- ومن اسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .
بخور .

- ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق .
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

- ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . نقاب .
بيطار . بقال . صراف . دلال .

- واسماء خاصة بالاطعمة واللهمو : قمار .
سفرة . قثينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

- واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .
طبل . مرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

- واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

- كما اخدوا تراكيب واتصلا ، واعتبروها
بشكل مفرد :

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت
(من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :
ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سمى الاديبي ان يقل
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغنى عن
20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية
التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها
الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة
الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية
واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما
قيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجمعهم حمية العلم
وفريضة الادب ليتعلقوا حول الدواوين والمعجمات
سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر
يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من
تشابهات وصدف . وهل اخدت اللفظة من العربية ام
من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية
الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى
التبادل اللغوي بين الامتين . ذلك ان العرب
استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين أن
الفرس استخدموا أسماء العربية . وقد حصل
هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم)
والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القس)
والفرس يستخدمون (بقرق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس
يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة - ناركيلة ومعناها (جواز
الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كئار ومعناها (طرف) والفرس
يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس
يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي)
والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (فطاء الليل)
والفرس يستخدمون (ملانة أي ملحفة)

ونحن نقول خرزة ومعناها (القراضة والاشياء
الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيخ ومعناها (الانعام)
والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها
مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب
بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو
اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخت
نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود عدد من عربية اسمائها
فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله
المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس
راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر .
القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مزنة ،
كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد
تكون هذه التسميات اطلقها التازحون من بلاد
فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل :
شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان .
كيثي . مهيار . فرهود . جهان . فرزان . وقد
تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون
استخدمناها تحببا برقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية . فان اغلب
اسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية .
فقد تازرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من
الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه
الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون
هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح
الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة
فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم .
خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء
آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد
النبي . وقد يتغير اسم محمد الى معد ، واسم محمد
علي الى مدلي . ويسمون كلشوم فيقولون لها
كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر .
صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد
يعرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل
لايدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) :
عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين .
غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية
فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثرنا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها
النوروز والمهرجان . وبالرغم من أن الامويين لم
يتعمدوا التأثير بالأعياد الفارسية . لأنها أخذت
تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى اذا كان
العصر المباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي
كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والأثر في
الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس
السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر
أول الربيع ، وهو أعظم اعيادهم . أما المهرجان ولفظه
الفارسي مهرگان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول
الخريف ، وأوله 23 ايلول . وأهم أمر في هذين

العبيد اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله وجهه طعام فارسي ، فاجبه وسال : ما هذا ؟ قالوا : هو النوروز . فقال : نوروزنا كل يوم . كما يحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان فى الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت فى العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من الشائع ان نسمع عن النوروز فى الشعر ، كما فى قول البحترى وهو يصف الربيع :

انك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز فى فسق الدجى
اوانل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المنبى ابن العميد وهو يهنئه بعيد النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمته ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا
عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شامت مخيرات الامانى

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل ظهورهما فى الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ ومور . واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني الادب الذى يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان تعرعر ونشأ فى حقل الادب العربي ، وبعد ان غدته اللغة العربية والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة بالافاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير . قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمثنبي والمعري ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على منوالها فى القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا مقلدين لمذاهب وافراض الادب والشعر فانهم مسا لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا فى الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية فى حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما - فى بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ، اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى . موسى شهوات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية ، وتادبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ، والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية فى شعرهم العربي الذى يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول اسماعيل :

رب خال متوج لى وعسم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفرس
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركى الفخر يا امام علينا
واتركى الجور وانطقى بالصواب

وانسالي - ان جهلت - منا وعنكم
كيف كنا فى سالف الاحقاب

اذ نربى بناتنا وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب

وكان الشعب فى السامعين ، فقال له : صدقت والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ قال اشعب : دفن المرب
بناهم خوفا من العار ، وريثموهين لتكوهن ،
(ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم
وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب
قدماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار:
وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه
شبرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن
اخلاق ملوك الفرس وادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من المرب
كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ،
ويرون مدينته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم ونسب
شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم اتراجز
وجريز والفردق العراق ، وابو تمام والثنبي فارس .
وقد كان الفرس شديدتي الامجاب بالشعر العربي
فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله والمراضه .

فال موضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع
لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والغزل
والرثاء والوصف والحكمة ، وتفوقوا في موضوعات
الحماسة والقصص ووصف الطبيعة . وقد فلدوا
العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر
منو جهري في القرن الخامس الهجري وهو اول من
فقد الاطلال . كما فلدوه في بكاء الديار والاناتر كما
فعل خاقاني في وصف ابوان كسرى الذي سبقه
البحثري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين
البلخي مدينة بلخ عندما خربها الفرس سنة 548 هـ .
كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخلدوها
من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرهوا في
الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي
للساهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين
الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم
هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلى
والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تآثر العرب بها
واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين
الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي
فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض
العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه .
الا ان الفرس آثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر
طواعية لثقتهم واقرب الى انطباقهم ، واصلوا ثلاثة
ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثوي اي الشعر

مزدوج القافية بين الشطريين . كما اخترعوا
الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب .
وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع
بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصورة
الفارسية : الكميث . العتابي . الفردق . البحثري
ابو تمام . المثني . المعري . وتورد بعض الكتب
الادبية قطعاً وابياتاً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر
الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، وبتيمة الدهر
لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال
الضييق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر
ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء
العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن
البلاغة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي
مطابقة تماما لقواعد الاسلوب العربي من حيث
الايجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما
ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ،
لانهم نظموا باللغتين فسموا (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل
المكشوف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية .
فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجرروا بها ،
وشربوها ، وحرمها القرءان ، ووصفها الشعراء .
وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع
والجراة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء
العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا عن الشعراء
الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي
لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان
الاخطل وشارا و ابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا
قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه
العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا
اللهو اكثر .

والغزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء
القيس والنايفة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند
الاخطل . وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي .
ويزداد الغزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر
العباسي عند بشار و ابي نواس واسماعيل بن يسار
 وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي
للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا
بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجراة
في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمن والسقا . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالمؤنث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمن والترف هي التي سادت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الغزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الفلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التأثير والتاثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وتأثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قرائنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمنتبي وابي تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فمزله قباز وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كنده بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بمقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسألة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه من اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم ملامح دينهم القديم فأضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم آراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) للرد على المانوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشتمتهم موقبا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم بشوبها الخطا ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الاديان العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناوأة شديدة في العصر الاموي ، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وعلما وفصحت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارب ملك العجم

ومحيي الذي باد من مزهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فمودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الفهم

فاني سأعلو سرير الملوك

بعد الحسام وحرف القلم

ويتهجم أبو نواس على العرب بوسيلة أخرى ، هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم بالفزل وبكاه الاطلاع ، ودعوتهم الملحة الى بدء القصائد بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديدا في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها

وعجبت اسأل من خمارة البلد

دع ذا ، خدمتك ، واشربها معتقة

صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشترى خمرا يلد بها

وبين بالك على نؤى ومتفصد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ، حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا مدائحهم بالفزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المتقدم

اكل فصيح قال شعرا متيم ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه

به يبدأ الذكر الجميل ويختم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار . فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

- فضل المعجم على العرب وانتصار المعجم من العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

- ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائل الفرس . تأليف : ابي عبيدة ممر ابن المشي .

- المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب الكبير والمثالب الصغير . تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ، ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النور القليل منتشرة في كتب الادب وهيون اخبارها . ومن اهم الكتب التي ردت على مزاعمهم :

- العرب - لابن قتيبة . البيان والتبيين للجاحظ .

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس بلون اخر ، فقد الف ابن فرسية رسالة في التهجم على العرب ، فرد عليه عدد من الابداء منهم : يحيى ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلنسي .

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بتلفيق احاديث مكذوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) . من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم منه عاجلا او اجلا . كذلك اخترع العرب احاديث ترفع من قيمة العرب وتحط بالمعجم ، من ذلك : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تله مودتي » . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضررها . كما ان انتصار الموالي للرواة الفرس كابي عبيدة ، وانتصار العرب للرواة العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بل ابي بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم الشعوبية قول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما

تفلح عرب ملوكها معجم

لا ادب عندهم ولا حسب

ولا عهد لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يفضى عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس اثر كبير في الاخلاق السامية والاداب من ناحية حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة مؤثرات :

1 - بالتعاليم الدينية التي وودت في القران والاثر ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر العباسي .

3 - وثالثا بحكم واقاسيم الفرس او ما نقل بواسطتهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ وابي حيان . المقدم الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

عربية . واذا استهجن الأميون أبناء الاماء فان الملب
امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات
وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطا والفلو - كما
يقول احمد امين - ان نعتبر ان العرب كانوا بمعزل
عما حولهم من الثقافات والأديان ، وان آراءهم
وآدابهم وعلومهم نبئت وحدها من عقول عربية ، من
غير ان تغذى بغيرها .

فقد رأينا انهم - حتى في جاهليتهم - لم يكونوا
بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما
وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلم
ملك شائع ومرفق مباح يفترف منه الناس جميعا ،
وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ،
وانما الذى يقدح في الامة حقا ان تفضى هبونها ،
وتسد اذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان
يدنمها التعمصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس
عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم
تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون
فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الدخيرة الدسمة والمجد
الايلب الذى عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربي
والادب الفارسي الاسلامي في العصر العباسي هذا
لزما على دارسي الادب العربي من الفرس دراسة
الخطوط العريضة على الاقل للادب العربي ، واصبح
من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة
العربية التى كانت مفرقة من ارض الجزيرة العربية
شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة
تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد في ادبنا والجديد
في ادبهم .

- سالوا الشاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .
- احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللثيم اذا
شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا
تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله
منك المدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ، ولا
تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل
ولا قلبك بحديث نفسي .

- استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك
عالم وانه جاهل ، مصرحا او مبرضا . الى غير ذلك
مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان
والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمنتبي والمصري
وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التى ادخلت العربية في
الفارسية ، والفارسية في العربية التصرف ،
والجوارى خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل
نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليد
والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنوننا وموسيقا ما
كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجوارى من
بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ،
والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن ومرفوا
منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهار وورقة الفناء
والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على
تاوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن

لغز البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس
«الرياض»

هذه الصفات دلت بالامراء ، والرؤساء
والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم
الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطى
الشباب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيا
متينا ، وتكونا متكاملتا لها .. تعطيه قوة الشخصية ،
واستحصاد الرأي ، ونبذ الإرادة ، ومصادر الشجاعة
والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة المعارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، نبينا
وشجرت مروته ، وعلينا تدلت فصوصه ، فنحن نجني
منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما امولج وخبث ..

وتال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتهع ،
ولا اتمع ، ولا اتق ، في الاسماع ، ولا اتقود للطباع ،
ولا اتمق للسان ، ولا اجدد تقويما للبيان .. من كلام
الاعراب الفصحاء المعقلاء .

ووصلهم الحارث بن كعدة امام كسرى فقال :
لهم انفس سخية ، وقلوب جرية ، وعقول صحيحة ،
وانساب صريحة يمزق الكلام من افواههم مروق
السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء
يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وهزم لا يرام ،
وجارهم لا يضام .. ووصف اهدم امراة فقال : كاد
الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز اهدم تصيدة كاملة في جملة مقتضبة
فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران
بالحدق السلام ، وخرست الالسن من الكلام ..

البادية خلاف الحاضرة ، وجمها بسوادي ،
وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بسداوي ،
بالفتح والكسر ، وبدوي أيضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، او اذا ظهر وبرز . وهو
الارجح ، لبروز البادية في الليالي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتبعون
مساقط الفيت ، ويطلبون الكلا والمرمى لما شبتهم ،
ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل
الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه .
والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ،
وسفر لغتهم المتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها
ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تدرمت الشعوب
والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل ،
وفي الاسلام - كما قال عمر - اصل العرب ومادة
الاسلام . صريح اللغة ولصيحها مصدره البادية ،
ومادات العرب الكريمة ، وتقاليدهم الاصيلة ، ومميزاتهم
الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المتواييل ،
والخطباء المصانيع ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهم ،
ومبرزهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنهم ،
ولم تنن السننهم ولم تفض لهم صعدة ، ولم تفل لهم حد
.. يتكلمون بالسليقة والقطرة ، منتفتر شفاههم من قول
لصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر من
طبع ابي ، وخاطر نكي ، ولسان ذرب طلق ..

في هذه البيئة المتأبية ، واللغة الصريحة .. تربي سيد العرب عليه السلام ، وتربي اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقته البادية ، واصلحت لسانه ، فكان لحنه ، وظل لحنه وصمة عار في تاريخه . قال ابوه : اضر بالوليد حيناً له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد مقراً في خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز : عليك واراخنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوتحها ، وتعلموا في اختيار الامصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فمعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صبيها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخذشها شذوذ : ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة ، وغسان ، وايداد .. لجاورتهم اهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، وبين الجزيرة ، وبكر ، وعسبد القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولجواردة الآخرين للاحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، وبقلة ، واختلاط بمشبهوي اللغة ..

فماخلصوها من تلتة بهراء ، ومن طبطمانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، ومغلفة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، ومجمعة قضاعة ، وشنشنة اليمن ووتها ، وعجرفة ضبة ..

ومن اخذ عن البادية ، ولقيهم في مراتبهم ومراتهم ، وسبع منهم : يونس بن حبيب الفسبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وابو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، والكساني .. وهؤلاء هم من اول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلتقونه من الامراب ، ولما اوغل العلماء في التحقيق ، وتأنقوا في الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية عن البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الامراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له تياساً غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، او لفظاً غير فصيح ، فان نطق به ، او اقره ، طرحوا لغته ، وان بُيت سليقته ذلك اخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت ابا عمرو يقول : ارتبت بفصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتاً . والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسلح
صار لحم النسور والمعتبان

فأفكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات : فعلمت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جنبي : سألت مرة الشجري - وهو اعرابي من عتيل ، كانوا يرجعون اليه في اللثة - ومعه ابن عم له ، كان دونه في الفصاحة ، وكان اسمه غصنا - فقلت لهما : كيف تحترقان حمراء ؟ فقالا : حميراء ، وواليت من ذلك احمرنا وهما يجنيان بالصواب ، ثم دسست في ذلك طلباء ، فقال غصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع كالمدمور ، ثم قال : آه عليبي ..

وقال في موضع آخر : سألته يوماً - يعني الشجري - : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : نسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان ؟ قال : ايش عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثمانين ؟ قال : ايش عثمانت ؟ ارايت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟ .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيج صرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به امة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام برعيل ممتاز من الشعراء المقاولين ، وبصفاة من الخطباء المصانق ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تفيض به ترائح القوم ، وما تتدفق به خواطرهم .. كانت تلك البيعة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية في الابداع ، ونموذجاً حياً في تاريخ اللسان العربي .. والا لما وتمت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاولين ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. توم استماع ولهم محاسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سال مير بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التتقص . قال مير : هل تجد له شاهدا من لغة تومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تامكا تردا
كما تخوف عود النبعة السفن

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة ، وترجمسان القرآن - يقول : الشعر ديوان العرب : ماذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة المرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسألونه عن التفسير ، وثبته من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سألته عنه نافع بن الازرق .

وتابى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج عن مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاني لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل امرابي على الوليد بن عبد الملك - وقد اسلفنا انه لحن - وكان عنده مير بن عبد العزيز ، فقال الوليد للامرابي : من انت بوصل الهمة ؟ فظن الامرابي انه يقول : مننت فقال : المنة لله ولا مير المؤمنين . فقال مير بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شأنك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، ولمحج بساتي . فقال مير بن عبد العزيز : ويحك ان امير المؤمنين يقول : ما شأنك وضم النون ؟ قال ظلمني خنتي . قال الوليد : ومن خنتك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام مندنا بالبادية قال مير : ان امير المؤمنين يقول لك : من خنتك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعناها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات ، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتها من انتكاسات ، وعلق بها من اوزار ، وداخلها من حجة .. مما جعل الممول في حفظها ، وبقائها .. على القرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تمتاز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبياناتها الجميل .. غني هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. تتبادل ثابت لغتها على الواكز واللاكز ، وانفتت من اللغسة الحضرية اللينة الملوحة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة ، ولا تواكب لغة امرى القيس ، والناطقة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحساب اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء نهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسببات . ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحساب ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز ، وتسكين لاواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه نطق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون .. ظنهم يرتضفون عجة موهلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتقدم حقيقة النطق .. تكشفت انه حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وابرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في دكان احد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الفاق ، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغيب ، يشد وسطه على خنجر مغرطة الطول ، بحزام من الادم - هذا الرجل تصير اسمر ، نحيف ، هاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريخان نظرها هنا وهناك ، مكشوف الرأس ، عن لمة منسخل على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من الفصان البشيران والشيح .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فمه صاحب الدكان وأنا لم افهمه .. ولما تفسى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، ومطرة ، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فمأخذ يسأله من قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة .. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة ،

ويسمون المنجل : مخلبا

ويسمون البندقتية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الأخرى ، عن أختها .. غير أنها تلتقي في صميم اللغة ومصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتلق أهلها على نقد ما تاباه اللغة وتكرهه .. ادخل أحد الحضريين أنه في حديث في الإبل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، نجاء هذا الواغل بمرد للإبل ، فقال : ما راينا ولا (بلة) واحدة ، فكانت مكار سخرية ، وهمز وهمز ، واستهجان وممـروف أن الإبل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : إبل واحدة للمجموعة الواحدة من الإبل ، وفي المجموعتين من الإبل يقال : فلان يملك إبلي . ويقولون إذا تجاوزت الإبلين : فلان يملك ثلاث رعايا ، أو ثلاث عصي ، فيكنى بالمعصا عن الإبل . وهكذا .

وأسماء أعضاء الناقة ، وأجزاء جسمها ، تختلف عن أسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرها ، وغيرهما ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فإذا أعطى حضري ، أو مستعرب ، أسما أو صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني ، فقد استهدف للنقد ، وتعرض للسخرية والهزاء .

ونجد أن من يعيش في أحضان البادية من الحاضرة ، أو يكثر الاحتكاك بالأعراب ، أو يعيش في قرى أو مواضع تربها البادية .. نجد لفته تتسم بالفحولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ أتمد العصور ، تغنى به وغر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب ، وولج شتى الأبواب .. ولم يزل كذلك لما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعتزف لهم بسلامة اللغة وأصالة المنطق ؟

رغم أن شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعيبيا ، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر نارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على ألف سنة ، ولكنه ينزع إلى أصله ، ويمت إليه .. تترؤه على أنه شعر شعبي ، ويقروء الكل كذلك ، ولكن إذا وقتت عنده وثقة المدارس ، وأردت أن تواسج بينه وبين الفصح ، وجدته يعود إليه ، ويعول في أوزانه ، وروبه وتوائمه ، عليه ، ويلتقي معه في أغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال ، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتمجب ..

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وتزك المهز في بعضها ، لم يفنتي من عربيته الأصيلة شيء ..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة . ومعلوم أنها ربيعة اليمن لا ربيعة أخت مضر .

أما بادية نجد ، فهم صميم القبائل التحطانية ، والعدنانية . تحطان ، والدواسر ، وسبيع والمجمان ، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهمول ، وعتيبة ، ومطير ، وشمر ، وحرب ، وهنزة ، والقرينية .. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف أن يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من أيسة القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك أنه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر : تشير إلى شيء من لهجتها : هي تقلب الهزمة (شيء) إلى نون ، فنقول : ما رأيت شيئا ، وما وجد شيئا ، وما حظيت بشيء .

وهي أيضا تستعمل لفظ (دهج) بمعنى مر ، أو ألم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، أو الممت به .

وتستعمل (نهج) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب أو سائر ، أو راح .. كما أن لهجتهم على مذهب القائل :

أيها السائل عنهم وهنسي
لست من تيس ولا تيس منسي

فهم يحذفون نون الوقاية ، من (هن) و (من) الشاذ حذفها فيهما لغة ، إذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون لمقط . وهل سأل عني بكسر النون لمقط وهكذا ..

وهم أيضا يقلبون الهزمة من (ما) نونا فيقولون : مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون : ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريرا ، وهذه مواثقة للغة القرآن .

ويسمون السنبل : سبلا

ولسه أيضا :

علي من قديم العبر نفس عزيزة
امض على عصيانها بالنواجذ

منذ نعومة اظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ،
ولا ترضى بالهون ، واذا راودتني عصيتي ، وعضت
على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة ابدأ ..

وتولسه :

مقام الفتى في منصب العز ساعة
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتني تبلغ النفس حظها
ولا بالتاني ناز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة
واحدة ولو هاش الف عام ، وهو في ذل ، فليست
حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورغض
التمني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات ..
فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتمس من فرط في
الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تابى من الطمع الزهيد نفوسنا
ومروجنا تابى من الفحشاء

نفوسنا ابية لا تقودها المطامع الى ذلعة ،
ومروجنا علة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصلوات
صلواتهم .

وقال بركات الشريف :

نلا تمد تمدلاني لاني من وقومي بريما
لمن قبلكم خالفت بالنصح عدالسي

اروم الامور العاليات بهمة
ويمعني خذلان قومي واتلالسي

وجزت مجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بمد اجتهاده
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع ..
يجده ذلك الشعر الفصيح بيمينه ، بل يمتاز عليه شعر
البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من
بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ،
وصفته كما خلقه الله ، من غير تحمل ، ولا تعمل ،
حيث ينطلق من الغباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة ،
والقرية ، والمسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم ،
فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع
المحضّر ..

تعالوا نستقريء طاقة من شعر البادية ، ونطمس
خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ماجد القباني :

لما الناس الا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من تصيدة شعبية طويلة ، قالها امراي في شملته
انطلق ليها من سجيته ، وقرأها كما يقرأها غير من
رواة الشعر الشعبي ، ومريديه ، بلغة عامية دارجة ..
ولكن حينما تمود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا
للشعر الفصيح ، ومنذوقا له ، الست تجده بيتا موزونا
متقى ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية
كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ .

ثم اترا للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو ندييه
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دابناه على
ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على
لغة من لا يهمز ، وتلب الهزة ياء ، كما هو شأن
الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله موتها
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد
الله ، وكل غالب قاهر ، فالله اقوى منه ، وقادر على
قهره ودمره .

الى ان قال مادحا :

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وأدبائها في
هذا الجيل مسؤولية حملها ايهم اسلامهم البسرة
الاغبياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبة
وربية ، ولم يزالوا توأمين عليها ، غيرا على حماها..
يلقون ما يخدم لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلون ما
يائفونه بالرد الموجه ، ويلاحقون الواغل الدخيل ،
كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت الينا ..

نما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر
العلوم ، والفنون ، والمخترعات ، وعصر تواشج
الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة -
تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه
التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء ..
تريد منا غيرة ولا كغيرتنا على التراب ، والكبان ،
والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية - وقد علمنا مكانتها من
لغتنا وتومنا - ان نتخذ الوسائل الكفيلة برمايتها ،
وحمايتها وجعلها منطلقا لحياء لغة الضاد ، سليقة
وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو
ما كان اسلافنا يفعلون ، في الاستفادة من لغة البادية ،
وطبعا ، وخشونتها ، ورجولتها ...
واننا ان شاء الله لنفاعلون .

فتى لا يرى الاموال الا ودائعا
لديه سوى سيف ورمح وسربال
وعدة بولاد ولدن من القنسا
وصلرا علنداة من الخيل مصهال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه
مصححا نصيحا ، فهو يحمل صورة حية من الجمال ،
ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانه
بهذا يمثل الشعر العربي النصيح ، رغم انه قيل
بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ،
تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف من
طباعهم الكريمة ، واخلاقهم المثلى ، وتنبئ عن الاصرة
التي تربطها بالنصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجتزها ، ونرجع
اليها ، ونصدر عنها .. تلتقي اخرى توارثتها السنة
الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها
السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..

الصِّراعُ بينَ الفصحى والعاميةِ

أو أثرُ الازدواج اللغوي في أسلوب يوسف السباعي

الدكتور زكي عبد الملك

أستاذ الأدب العربي والعلوم اللغوية
جامعة يوتا (الولايات المتحدة)

واللغة الفصحى مشتركة بين العرب وإنما وجدوا
فالمغربي يقرأ ما يكتب في مصر فيفهمه ، والمصري
يقرأ ما يكتب في المغرب فيفهمه . أما اللهجات العامية
فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة
الأدب يحول بين الأدباء في كل منطقة وبين القراء في
المناطق الأخرى .

بقيت حجة أعرب عنها الدكتور محمد مندور
حين زعم أن العامية الدارجة تفيق عادة بالتعبير عن
أعمق المشاعر وأدق المعاني « بحكم أنها لا تزال
مقصورة على حياة الأميين الذين لا يستعملونها إلا في
التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في أنواع المشاعر
ودقة التمييز بينها ، فضلا عن عمق الخاطر أو
أصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الأدب العربي
ونشأ فن المسرح العربي الحديث ، أخذ بعض الأدباء
يتبرمون باضطرابهم إلى انطاق الشخصيات القصصية
والمسرحية باللغة الفصحى . وتساءل أولئك الأدباء :
أفليس عجيبا أن يجري الحوار بلغة فصحة متينة
السبك بين أشخاص لم يصيبوا من الثقافة كثيرا ولا
قليلا ؟ اليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية وبنائهما

في العالم العربي ازدواج لغوي قوامه اللغة
الفصحى واللهجات العامية الدارجة . فأما اللغة
الفصحى فتستخدم في أكثر الأغراض الكتابية كما
تستخدم في أكثر الأحاديث التي يفلب عليها الطابع
الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في
غير تكلف لتضاه حاجاتهم العادية . والأغلبية الساحقة
من المثقفين في البلاد العربية يرون أن اللهجات العامية
لا تصلح للتعبير الأدبي ، ولهم في ذلك حجج يجدر بنا
أن نعرض لها في إيجاز :

وأهم تلك الحجج أن اللغة الفصحى لغة القروان
وعلى معرفتها يتوقف فهم القروان . لذلك تحمل علماء
اللغة فيما مضى ألوانا من المشقة وضروبا من العناء في
شرح قوامها (1) ، ولذلك يأبى المرء اليوم أن
يستبدلوا بها اللهجات العامية في كتابة الأدب فيقصوها
من حياتهم انصاء لا ندرى أتمود بعده أم لا تعود .

ثم إن اللغة الفصحى تعتبر عند العرب أوفى من
اللهجات العامية وأعلى ، وإثباتها دليل عندهم على
الثقافة العالية والدوق الرفيع . ليس فريبا إذن أن
يرد طه حسين جهل فريق من الشعراء بالفصحى إلى
الكسل والتقصير والتصور (2) .

- (1) « المقدمة » للعلامة ابن خلدون (القاهرة : مطبعة التقدم) ، الجزء الأول ، ص 455 .
- (2) « حديث الأربعماء » لطلح حسين (القاهرة : دار المعارف ، 1957) ، الجزء الثالث ، ص 200 - 201 .
- (3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، 1959) ، ص 81 .

بهما عن الواقع الذي تجتهدان في تصويره ؟ ومع ذلك ظل أكثر الأدباء والنقاد يرون **اللغة الفصحى غير أداة للتعبير في المسرحية والقصة ، ويقاومون استبدال العامية بها ؛** فالدكتور محمد مندور مثلا لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعمل رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية انما هي حكاية حال ... ولا يمكن أن تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالهم ، والواقعية ليست في اللغة وانما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقتها لهذا التصوير لواقع الحياة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه أو لا تستطيع . والذي يحدث فعلا هو ان المؤلف يمبر بلفته هو ولسانه ، وكل ما يطلب منه هو ان يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسيان في ذلك - من الناحية الفنية - أن يستخدم لغة عربية فصحة أو عامية أو أية لغة أخرى » (4) .

والاديب المصري يوسف السباعي ممن يرون أن للعامية في القصة والمسرحية دورا يجب أن تؤديه . وقد عرضه ذلك لنقد عنيف رد عليه أكثر من مرة ثم تظاهر بالامراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد مر أسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الاولى أسلوبا جزلا فصيحاً يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك أن يبرا من العامية . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب «اطياف» (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947) ، فانت تقرا فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) إلا الفاظا قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية الالفاظ كأنه يعتدل منها الى القارىء : (6)

اني لم أرك منذ كنت تصطاد السمك على شاطئه الترمه « بالبنطلون القصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا عم محمد »

سأجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

(4) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

(5) اللهجة العامية التي استخدمها يوسف السباعي في قصصه هي اللهجة القاهرية .

(6) ص 82 .

(7) المثال الاول مقتبس من صفحة 25 والثاني مقتبس من صفحة 28 .

وقد تجد بين صفحات الكتاب احيانا ما يبعث في نفسك شعورا قويا بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة ، ويتكلف من العناء شيئا غير قليل في اختيار الالفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبرا أسلوبه من العامية : (7) .

— قم يا ابن الليمة . ماذا تفعل ههنا ؟ تالله لئن رايتك خطوت الى هنا مرة ثانية لادفن هتكك .

— لتقر عينك يا ابا لهب ، ولتهدأ بالا . لتتخذن لك من دارى مأوى ومخبا .

وفي المرحلة الثانية تنقسم القصة من حيث الاسلوب الى قسمين : القسم الاول هو ما يقدمه السباعي نفسه بين يدي القارىء من تحليل ووصف للزمان والمكان والاحداث والشخصيات . واسلوب هذا القسم فصيح رغم أن الالفاظ العامية تتسرب اليه بين الجين والحين . والقسم الثاني هو الحوار ، واسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى الا الهجاء . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « السقامات » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952) الذي شرح السباعي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ احمد بك عباسي كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانباني ان الوزارة كانت توشك أن تقر بعض كتبى لمدارسها لولا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية

« وعلى هذا فلم اكد أبدا هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تتفرع عن اللغة العامية، وعزمت أن اقيم سباجا منيعا يحول دون تسرب الالفاظ العامية التي تأبى إلا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث . واخذت في الكتابة محاولا اجراء الحوار بين أبطال القصة باللغة الفصحى ، ولكني لم اكد أكتب بضع صفحات ، ولم اكد « أحصي » في الكتابة ، حتى وجدت أبطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية ...

« ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية والفصحى »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية . ولا جدال هناك في أن الغلبة - في الحوار - للعامية ، لأنه من المستثقل الممجوج أن نحاول انطاق اشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها . » (8)

واستثناء العامية بالحوار جاري في العبارات التالية التي نقتبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا شحاتة أفندي . أنا رايح القهوة بتاعتنا عشان عندي شوية شغل عايز اقصيهم .

— وماله . تقضي شغلك وبعدين نروح سوا .

بقي أسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق الاساويين السابقين في الاهمية لسببين :

أما السبب الأول فهو أن السبامي يلتزم ذلك الأسلوب في أكثر ما كتب من قصص ، ولعنه قد استقر واتخذ مذهباً دائماً . واذن فقد يكون ذلك الأسلوب النتيجة التي انتهى إليها الصراع بين العامية والفصحى عند السبامي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في أسلوب هذه المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الاساليب القصصية وإنما يوجد الازدواج اللغوي .

وأما السبب الثاني فهو أن السبامي من أكثر العرب إنتاجاً ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968 خمسة وأربعين كتاباً ، منها خمس مطولات مسرفة في الطول هي : « رد قلبي » و « ناديا » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . وأكثر قراء السبامي من الشبان الذين تبدأ حياتهم الأدبية عادة بتقليد ما يطالعون . وقد ظفر السبامي من ثناء النقاد (11) بما يفري القراء بتقليده ان كانوا في حاجة الى الإغراء ومنهم من يعجبون به إعجاباً يخرجهم من

طورهم أحياناً . (12) لن يدهشنا إذن ان يكتب عدد كبير من قصص المستقبل بأسلوب المرحلة الثالثة .

لهذين السببين يجدر بنا ان نحلل أسلوب المرحلة الثالثة في شيء من الإناة والتفصيل . وأول ما نلاحظه ان السبامي في تحليله ووصفه يصطنع أسلوباً فصيحاً تعترضه أحياناً الغلط عامية أو أجنبية كالالفاظ التالية :

برنيطة ، معيز ، بنج بونج ، دكة ، شلة ، شورت ، بوز ، تنس ، مد موازبل .

لكن الجديد حقاً في أسلوب هذه المرحلة هو ما تجده في الحوار . ذلك أن لغة الحوار ليست فصيحة صرفاً ولا عامية صرفاً ، وإنما هي بين بين ، تأخذ من هذه بمقدار ومن تلك بمقدار . ومن خير أمثلة على هذا الأسلوب كتاب « نادبة » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1960) . تفرد ذلك الكتاب فيخيل اليك ان الأشخاص يتخاطبون على فطرتهم بالعامية ، ولكنك تتامل ما يقولون فإذا أنت مضطر الى الاعتراف بان للفصحى اثرًا ظاهرًا لا سبيل الى انكاره . على هذا النحو يجتهد السبامي في التوفيق بين العامية والفصحى وهو يتوسل الى هذا التوفيق بأربع وسائل هي : اقتباس ، واصطناع كلمات « الطبقة الدنيا » ، وترجمة التعبيرات العامية الى الفصحى ، وتجريد الكلمات من علامات الإعراب . ولنفصل :

الاقتباس

يقتبس السبامي من الانجليزية والفرنسية عدداً غير قليل من المفردات ولكنه ، كما يتضح من الأمثلة التالية ، قل ان يقتبس العبارات :

هالو

ول

تيم

جمنزيم

بونجور

(8) ص 6 - 8 .

(9) ص 261 .

(10) Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.

(11) من هذا الثناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا أمة ضحكتم » ليوسف السبامي (القاهرة : مطبعة

روز اليوسف 1955) ، ص 5 - 8 .

(12) سجل يوسف السبامي شيئاً من هذا الإعجاب في كتابه « اني راحلة » (القاهرة : مؤسسة

الخانجي 1950 ، ص 10 - 15 .

غير أن ما يقتبسه السباعي من اللغات الأجنبية قليل إذا قيس بما يقتبسه من العامية . ذلك أن السباعي لا يقتنع في اقتباسه من العامية بالمفردات بل يتمداها ، كما ترى في الأمثلة التالية ، إلى التعابير ولا سيما التعابير المجازية والأمثال السائرة :

ماما	فحة	صبيطة
بابا	جاجة	يزفد
شمامة	فائلة	طس
زور	فتلة	

أمال	سي (سي عمر)
الله !	ياربيت
اما (اما مفاجأة !)	وماله

على سن ورمح - عيون فارغة - يفتح الله
لا هنا ولا هناك (أنا لا هنا ولا هناك)

جه نقبها على شونة

اكف الجرة على فمها تطلع البنت لامها

الله يخرب بيته - الله بعمار بيته - لا مؤاخدة

راح الله لا يرجعه - أشيل مين فيهم - راجل اليط
انت بنت مياعة - مياعة بنات - مش بطل - برك
على انفاسي - حاضر يا فندم .

ولمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار في المرحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية . ومن أمثلة ذلك :

(1) العطف بدون حرف عطف :
قومي البسي

(2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهتار :
شيوعيون شيوعيون

(3) مخالفة البديل للمبدل منه في التعريف والتشكيير :
هند دادة فاطمة

(4) استعمال الواو للدلالة على الاستمرار :
ثلاث ساعات وأنا واقف على قدمي

(5) مخالفة بعض الصفات للموصوف في التذكير والتانيث ، أو في الأفراد والتثنية والجمع :

فستان بمبة - زهور بمبة - ناس بلدي

ولنلاحظ أن السباعي في اقتباسه من العامية متأثر بالفصحى من حيث لا يدري . فما ينطق في بعض الكلمات العامية همزة يكتبه السباعي قافا ، وما ينطق في البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :

نقبا - خذ بالك

اصطناع كلمات « الطبقة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحى والنهجة العامية القاهرية ثلاثة أنواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية من صيغها الفصيحة ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و « بلد » و « من » وهلم جرا .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان مختلفتان اختلافا يقرره قانون لغوي عام . فالصيغ الفصيحة « نائم » و « صائم » و « عائم » و « دائم » و « فائد » تختلف من نظائرها في اللهجة القاهرية (« نايم » و « صايم » و « هايم » و « دايم » و « فوايد »)

اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل ان المشتقات من مجرد الثلاثي الاجوف تكون عينها في العامية القاهرية ياء اذا كانت في الفصحى همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان تشابهان الى حد وتختلفان الى حد ، ولكن ما بينهما من فرق لا يقرره قانون عام . فالفروق التي تميز الصيغ الفصيحة « رجل » و « امرأة » و « عربية » من نظائرها في اللهجة القاهرية (« راجل » و « مره » و « عربيه ») لا تقررهما قوانين عامة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثل هذه المترادفات : فالفعل « دوح » مشترك بين العامية والفصحى ، وله مرادف فصيح لا تشترك فيه العامية هو « ارهق » . واسم الفاعل « صائم » مشترك بين العامية والفصحى كذلك ، الا اننا لا نجد له مرادفا تنفرد به الفصحى من دون العامية .

مضطجمة راقدة
يرهقونه بدوخونه

ترجمة التعابير العامية الى الفصحى

نصح الدكتور محمد مندور للقاصيين بترجمة اقوال العامة كلما دعت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السبامى الى نوع من الترجمة لا نؤم انه يرضى الدكتور محمد مندور ، ولكنه أبرز ما يتميز به الحوار فى المرحلة الثالثة .

يعمد السبامى الى العبارة العامية فيبقى فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، أما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغ الفصيحة ، وأما الكلمات التي تنفرد بها العامية من دون الفصحى فانه يستبدلها بنظائرها الفصيحة . وفيما يلي بعض العبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السبامى ، والعبارات التي يؤثرها انصار الفصحى :

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصيحة الى ثلاث طبقات : طبقة عليا تألف من كلمات تنفرد بها الفصحى من دون العامية (مثل « حذاء ») ، وطبقة وسطى تألف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « صائم ») ، وطبقة دنيا تألف من كلمات مشتركة لصيغة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « دوخ ») .

وكلمات الطبقة الدنيا تتسم بطابع عامي مصدره وجود مترادفات لها فى الطبقة العليا . لذلك يزور انصار الفصحى عن كلمات الطبقة الدنيا ؛ اما يوسف السبامى فيتعمد اختيار تلك الكلمات ليلبغ ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحى . وفيما يلي بعض ما يستعمله السبامى من كلمات الطبقة الدنيا ، وما يؤثره انصار الفصحى من كلمات .

كلمات الطبقة العليا

كلمات الطبقة الدنيا

انهضى

قومى

العبارات الفصيحة	الترجمة	العبارات العامية
معافى تماما	سليم اربعة وعشرين قيراطا	سليم اربعة وعشرين قيراط
معافى تماما	سليم مائة فى المائة	سليم ميه فى الميه
معافى تماما	كالجنن الازرق	زي الجنن الازرق
ضاع عليك الكثير	فانك نصف ممرك	فانك نص ممرك
ارهقنى من امرى مسرا	ارانى نجوم الظهر	ورانى نجوم الظهر
تنصب له اشراكها	تشتغل عليه	تشتغل عليه
امطاني اياها فى الحال	امطاهالى وانا واقف	ادهانى وانا واقف
رمضان لا يعنينى فى شيء	لا يهنى رمضان	ميهمنيش رمضان
رجل طيب القلب	رجل امير	راجل امير
تأبين ما يشين	تعملين العملة	تعملى العملة
احتشمى	لمى جسمك	لمى جسمك
لا بد ان الثوب لا زال عند الكواء	لا بد ان الثوب لم يات من عند المكوجى	لازم الفستان ما جاش عند المكوجى

(13) « فى الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ص 55 .

انا احب مصام
أريد غيار لنادية
وضع الدكتور لها مرهم
اتظنين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي ؟

يرى تشارلز فرغيسون ان « التخصص من أهم
مميزات الأزواج اللغوي » . (14) وهو يقصد بذلك
ان العامية قل أن تؤدي من وظائف الفصحى شيئا ،
وان الفصحى قل أن تؤدي من وظائف العامية شيئا .
ذلك حق ، ولكننا نرى مما سبق ان العامية والفصحى
تتنازعا في بداية الامر ، وان ما يكون بينهما من تنازع
على وظيفة بعينها لا يتمخض عن نصر حاسم الا بعد
مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الادب
العربي ، هي القصة الحديثة ، قد اثار بين العامية
والفصحى خصومة شديدة وصراعا عنيفا . وليس
أسلوب المرحلة الثالثة عند السبامي الا اثرا من آثار
هذه الخصومة وصدى من اصداه ذلك الصراع .

ونحن نصر على ان نقطة الانطلاق ليست المبارات
الفصيحة ، اي ان السبامي لا يعمد الى العبارات
الفصيحة فيختار منها اقربها الى العامية . ولو كان
ذلك مذهبه لما عثرنا في كتبه على تعابير مثل « رجل
امير » و « تشتغل عليه » لانها لا تؤدي في اللغة الفصحى
ما يقصد اليه من معنى .

تجريد بعض الكلمات من علامات الاعراب

اكثر الكلمات التي يجردها السبامي من علامات
الاعراب هي أسماء العلم ، وهو يجردها مادة من علامة
النصب ومن التنوين . غير ان السبامي احيانا يجرد
من علامات الاعراب ومن التنوين كلمات غير أسماء
العامية . وستجد في الجمل التالية امثلة على ما نقول:
العلم ، ولا سيما اذا كانت تلك الكلمات مقتبسة من

ساعود الى البيت لارى فاضل

لا بد ان اذهب لارى مصام

Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328. (14)



أساليب مناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي

للدكتور باناهج رباكو (الاتحاد السوفياتي)
ترجمة الأستاذ فؤاد حمودة "الرباط"

وثمة خطر آخر يواجه اللغة العربية يتمثل في نقل المصطلحات الفنية انطلاقاً من اللغات الأوروبية وترجمتها إلى العربية . وليس يخاف أن معظم الكلمات المركبة والأوروبية الأصل قد استعارتها بحالتها الإنشائية الثابتة أي أخذت الكلمة بصورتها الأوروبية وكتبت بأحرف عربية . بالرغم من أنه كثيراً ما نجد أن الكلمة الأوروبية تلك إنما يتكون هيكلها من مزيج مركبين أو أكثر الأمر الذي ينتج عنه في بعض الحالات أن العديد من تلك الألفاظ لا يتواءم مقتضيات مفهوم الكلمات ومعناها . لا سيما وأن منها ما هو متعدد المعنى ، أي يمكن استعماله للدلالة على أكثر من معنى واحد فهي - والحال هذه - ليست محكمة الضبط للتعبير عن معنى بعينه ، مما قد يؤدي في النهاية - حال استعمالها بشام شكلتها الأوروبية معربة - إلى عدم تحديد مؤداها وما تستهدفه على وجه التدقيق - من معنى أو صفات وسمات مميزة تلك هي النتيجة البتسرة التي يؤدي إليها استعمال تلك الكلمات والتي مردها عدم أحكامها وتوثيقها والاقتصار على مجرد تغيير ملامحها باستبدال الحروف العربية بالأحرف الأوروبية . ولهذا فإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أي تركيب لغوي - يراد تحويله إلى كلمة مركبة أو تغيير لفي أو مصطلح علمي - يجب التيقن بادئ ذي بدء أنه يتوفر على صيغة متماسكة معينة كما يحتوي على مضامين مدققة فكما أن من شأن ذلك تلخيص هذا التركيب من خاصية تعدد المعنى وتكريسه للدلالة على مفهوم محقق ومضبوط ، فإنه من شأنه أيضاً أن يؤدي إلى

لم تنزل صياغة الكلمات التي تعالج شتى مناحي الحياة الاجتماعية تشكل القضية العلمية التي تواجه المصطلح اللغوي أو الفني الحديث في اللغة العربية ، والتي لما يتوصل بعد إلى حلها .

أن مراجعة معاجم اللغة واستقراء المواد والنشرات العلمية لتعطي للقارئ فرصة الوقوف - بين الحين والآخر - على بعض المصطلحات الأوروبية الدخيلة .

وفي العصر الحاضر وخلافاً لما كان سائداً في المصور الوسطى فإن عدداً وافراً من تلك المصطلحات الأوروبية الغربية ، تحيد عن قواعد اللغة العربية من حيث الصرف والأعراب وفن تركيب الكلمات وضبط التهجئة بل وفي قواعد علم الأصوات والسمميات اللغوية ويتمثل ذلك في علوم الفسيولوجيا . والمتولوجيا . والجيولوجيا . . . الخ .

ولا مناص من القول بأن أقسام مثل هذه الكلمات في اللغة العربية من شأنه أن يهدد مستقبل تلك اللغة وعوامل تطورها ، فضلاً عما يؤدي إليه من بلبلة واضطراب في ضبط التهجئة وأحكام الإملاء وصحة اللفظ وصياغة الكلمات وأخيراً في قواعد الأعراب .

فإذا وفرت في الأذهان تلك الحقيقة العلمية فإنه يجب أن يكون التدرج في الأخذ بتلك الكلمات الأوروبية وفسح مجال لها في معاجم اللغة العربية ومراجعتها بكيفية محدودة للغاية .

تفهم صياغة الكلمات المتزاوجة وليدة هذا التركيب . وهذا التركيب في اللغة العربية يطابق ما يسمى بالمركب المزجي الذي يساير كل القواعد اللغوية . وكما ان اساليب متنوعة قد استخدمت في انشاء التركيب المزجي هذا فان طبيعة المادة التي هي موضوع التركيب تسهم في الدور الذي يؤديه التركيب المزجي في تشكيل علم الاصطلاح اللغوي لوضع الاسماء العلمية ومصطلحات الفنون .

وتسود علم اللغات العربية آراء متضاربة فيما يتعلق بكيفية تأليف تلك المصطلحات الفنية في نطاق المركب المزجي .

وعلى ضوء ما هو ملموس لدينا يمكن القول بان استيعاب المؤلفين لاسلوب صياغة المصطلح من خلال المركب المزجي لا يركز على قواعد التحول او التطور الدائي للغة العربية .

كما يبدو لنا انه في صدد صياغة المصطلح الحديث - نجد لزاما علينا استخدام نماذج واساليب من تلك التي كانت سائدة في العصور الوسطى والاستعانة بها . ومن ثم ، فان النماذج يجب ان تكون - دون غيرها - الانماط التي تمثلها اللغة العربية وتمتدي بحدودها . كما ينبغي ان تكون الكلمات المركبة الوليدة متوائمة وقوام الالفة العربية .

ويختلف تركيب هذه العناصر اختلافا جديرا عن تركيبها في اللغات التركية والهند و - اوروبية

ولما كانت الكلمات المركبة يجب ان تتساوى مع نماذج ثابتة محددة المعالم في بنية اللغة العربية فان عملية المركب المزجي قد تتم بالاحتفاظ بحرف ساكن أو حرفين من كل مركب وطرح ما تبقى من احرف ، أما الاحاد المعجمية واللغوية فتتركب من عناصر مختلفة بواسطة الابقاء على ثلاثة أو اربعة حروف أو خمسة - في حالات نادرة - تتشكل طبقا لقواعد قارة .

والتركيب المزجي الذي كان بمثابة حقل تزدهر فيه صياغة الكلمات المركبة في العصور الوسطى قد لا يكون هذا شأنه اليوم . وقد يكون العكس صحيحا . اذ بمقارنة النماذج التي تؤلف فيما بينها المصطلحات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة مع تلك كانت سارية في اللغة التقليدية - نلاحظ ان هناك توافقا فيما بينها وقصورا في الصلة بين اللغتين في هذا المجال :

ففي العصور الوسطى كانت الكلمات المؤلفة في سياق المركب المزجي تنشأ من ادغام اداة النفي (لا) في الاسم أو اسم الفعل على الشكل التالي :

(لا + بد) = لا بد ، (لا + شيء) = لاشيء ،
(لا + ابالي + به) = لا اباليه ، (لا + مبالاة) = اللامبالاة .

ويتبع هذا المنهج من مناهج المركب المزجي في معاجم اللغة العربية نلمس انه لم يكن له نصيب وانفر في صياغة الكلمات المركبة ، بينما نجد في الطور المعاصر من اطوار اللغة العربية ان مثل هذه الصياغة للمصطلحات الحديثة معتادة مألوفة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة اقر المجمع العالمي العربي بدمشق صلاحية العديد من الكلمات المركبة طبقا للقاعدة المذكورة واجاز استعمالها في مجالات الفلسفة والاحياء والطب والصيدلة الخ مثل :

اللا ادريه ، اللادينية ، اللاسياسية ، لا تعري ، لا توبجي ، اللاتراوجي اللاتراول ، اللادماغية ، اللامقلة اللامكوسية ، اللاجن ، لاسلكي ... الخ .

وهناك ايضا عدد من الكلمات المركبة نشأ من دمج الاداة (ما) فيما يتلوها من كلام مثل :

(ما + هي + ية) ماهية ، (ما + جري) = مجريات اوماجريات ، (قل + ما) = قلما ، (حيث + ما) حيثما ، (لا + سي + ما) = لا سيما .

وهكذا نجد في اللغة العربية المعاصرة بعضا من تلك المصطلحات الفنية في ميادين الفلسفة والصيدلية وسائر فروع العلوم صيغت جريا على قاعدة دمج حرف (ما) فيما يلحقه من كلمات مثال ذلك :

(ال + ما + لا + حرف) = المالايمرف .
(ال + ما + كشف) = المايكشرف ، (ما + فوق) = بنفسجي) = مافوسجي) .

وعلى اي حال فان استعمال تلك المصطلحات الحديثة على النمط المشار اليه - ما زال يحدهو عامل الندرة في الوقت الحاضر .

هذا وان استحالة التركيب اللفظي المستقل الى مزيج لغوي قد لوحظت فقط بالنسبة للغة العربية المصرية نتيجة لترجمة بعض المصطلحات الحديثة من اللغات الاوربية مثل :

وبانعام النظر في التركيب الاخير (كباحد) يتضح ان اشتقاقه تالي من وصل الحرفين الاولين في كل من المركبات الثلاثة بعضها ببعض .

وتحتوي اللغة العربية القديمة على مسدد من النماذج لم تمهدا في العصر الحديث مثال ذلك ما تضمنه من كلمات مركبة تصاغ باضافة الحرف الاول الصامت من المركب الثاني الى المركب الاول مثل :

(مين + دم) - دمع حيث اخذت ع من عين واضيفت الى دم فصار دمع (خرم + شرم) - خرمش ، اضيف الحرف ش اخذا من شرم الى خرم فصارت خرمش .

ويمكن متابعة نفس القاعدة في الكلمات المركبة التي يرجع اصلها الى اللغة الفارسية والتي صار استعمالها من قبل اللغة العربية مثل :

(لك مأخوذة من كاه . P = ق A + خورن = خورذن .) الخورنق A = خوردنكاه . P وليس ثمة جدال ان اللغة العربية كانت تشمل على الكثير من الانماط في كيفية صياغة الكلمات وان بحثا خاصا في تاريخ جذور اللغة العربية وصلتها بالالفات الاخرى التي كانت متأخية معها لبدو ضروريا للتعرف على ماهية هذه الانماط وتبيان معالمها .

ولقد استطاع اللغويون في العصور الوسطى ان يتعرفوا على العناصر او المركبات التي صيغت منها الكلمات التالية :

(برق + نقش - برقش ، (برق + رقع) = برقع الخ .

بيد انه من الصعوبة بمكان تحديد الاحرف الماخوذة من كل مركب في المثال السابق ، فبالنسبة للمصطلح الاول نجد انه يشتمل على الاحرف ب ، ر ، ق من الكلمة الاولى ، كما يشتمل على الحرفين ق ، ش من الكلمة الثانية . وايضا بصدد المصطلح الثاني نجد انه يشتمل على الحرف « ب » من (برق) والحرف «ع» من الكلمة الثانية . الا انه يعوزنا الاساس او الدليل حتى يتاتي لنا الجزم بان الحرفين (ر ، ق) انما ينتسبان الى واحدة من الكلمتين دون الاخرى لان كلا الكلمتين تشتملان على ذات الحرفين فليس من وسيلة الى ارجاع كلا الحرفين الى الكلمة الاولى دون الثانية او العكس . وما يقال عن المصطلح الاول في هذه الحثية ينصب على المصطلح الثاني .

جيهوائي = حي بالهواء - airobic ،
الحلماة - التحليل بالماء = hydration يحلمه =
يحلل بالماء hydrolyse (to)

ويتبين من استقراء تلك الامثلة ان النهج الذي اشيع في صياغة تلك الكلمات المركبة كان باضافة الحرفين الاولى من المركب الاول الى المركب الثاني ، وتلك القاعدة كانت متبعة من زمن بعيد في اللغة العربية تشهد بذلك الامثلة الآتية :

(مش « من شمس » + لوز) - شلوز ،
(شق « من شق » + حطب) - شتقطب ، (حب « من حب » + اوعب « من عب » - حبقر .

ونجد اليوم ان تلك الصياغة اضحت نسيبا مشمرا وان المصطلحات الحديثة التي صار تشكيلها على هذا النمط قد حظيت بموافقة المجمع العلمي العربي مثال ذلك ما تم اقراره منها مثل :

(حرارة + ماء) الحرمائي ، (بر + ماء) = البرمائية ، (تحت + تربة) التحتوية (شبه + بلور) = شباور ، (ماء + فول) - ماغول ، (شبه + فراء) شيفراء .

(لبنان + أرز - لبارز ، (حيسر + زمن) = حيزمن ... الخ .

فاذا ما كان الحرف الاول او الثاني في التركيبين همزة ساكنة فانها تحذف عند صياغة المركب المزجي : مثل : (رأس + مال) - رسمال .

وقد كان العديد من الافعال والصفات الموصولة تتم صياغته منذ زمن بعيد يرتد الى العصور الوسطى بوصل الحرفين الاولين من كل مركب على وزن تفاعل ، فطل وقد كانت صياغة التركيب على هذا النحو اجدي في ابتكار العديد من التركيبات بالقياس الى غيره مثل :

(جملت فدالك) - جمعد ، (عبد شمس) = تمبشم ، (عبد القيس) = تمبقس ، (عبد الدار) - عبدري ، (امري القيس) - مرقسى .

ويظهر الكثير من تلك المصطلحات الحديثة في الادب العربي المعاصر مصوغا على نهج الامثلة السابق بيانها وقد حظيت هي ايضا بموافقة المجمع العلمي العربي عليها ومثال ذلك :

(أنف + لم) - أنفمي ، (بروم + حديد) = برحد ، (كبريت + أكسوجين + حديد) = كباحد .

وأنه من المتمذر تحديد النمط أو النهج الذي استعمل في صياغة مثل هذين المصطلحين الأخيرين أو التعرف على الأسلوب المتبع في تدبيرها . كما أنه يتمذر أيضا مقارنتهما أو القياس عليهما بالنسبة للمصطلحات اللغوية الحديثة التي تشكلت في اللغة العربية المعاصرة .

هذا ولا غرابة في أن وصل الحرف الأخير من الكلمة الأولى بالحرف الأول من الكلمة الثانية من شأنه أن ييسر عملية الاشتقاق وتوليد المصطلح المقصود بمعنى أن نهج هذا الأسلوب من خاصيته توفير الجهد وتخفيف المشقة في صياغة الكلمات المركبة . مثل :

حيز + من أو حيز + زمن أو (حيز + زمن) - حيزمن .

وهناك عدد من التغيرات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة تختلف عن المصطلحات المشار إليها في طريقة صياغتها وعن الأنماط التي يمكن اتباعها من أجل توليدها ، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :

والتي صيغت من امتزاج المركبين (orthos + pteron) يتضح لنا أن الاختزال قد تناول المركبين معا وليس أحدهما فحسب كما بالنسبة لصورة الكلمة بالعربية السالف شرحها .

الكلمات المركبة التي تشير إلى طرفين الزمان والمكان والمترجمة حرفيا عن الأصل الأوروبي والتي صيغت من وصل المقطع الهجائي الأول من المركب الأول بالمركب الثاني مثل :

قبل التاريخ - قبتاريخ - وأصلها الفرنسي ... Préhistoire

ثم الصفات المركبة التي تكونت من تراكب اسمين جغرافيين متساويين . ومما يميز هذه الحالة من الصياغة أن المركب الثاني من تلك الصفة المركبة لا يفقد قوامه الذي كان عليه قبل التركيب بحيث يبدو دائما وكأنه كلمة مستقلة تؤدي ذات المعنى الذي كان متعلقا بها قبل الصياغة والكلمات التي من هذا القبيل قد صيغت في العربية مرتكزة على حرف الوصل « ي » الذي استبدل بحرف O في اللغات الأوروبية مثل :

انجلو امريكي Ingilu : amriki

أفرو آسيوي Ifru : asilavi

أسيوي أفريقي asilu : afriki

هذا وإن استعمال التراكيب المتشعبة طبقا لهذه الحالة في الخطابة ولغة الصحافة قد حظى بقبول المجمع العلمي العربي في سنوات 1946 - 1947 الأمر الذي ثارت بسببه الجادلات والمساجلات بل وأحيانا مشادة بين العلماء .

وختاما لهذا البحث لم يبق إلا أن نقرر أن نشأة المصطلحات الحديثة في ظل المركب المزجي وانتشارها إنما يركز على الأصول الآتية :

أولا : من المسلم به أن الكلمات المركبة قد شاع استعمالها في اللغات الأوروبية وهكذا نرى الكثير من المصطلحات الحديثة التي ذاعت في الوقت الحاضر في شتى مجالات العلوم ، قد قامت صروحها على هذا التركيب . كما أن تلك المصطلحات الحديثة قد وجدت طريقها إلى اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية ومن ثم كان ظهور الكلمات المركبة وفقا لأسلوب التركيب المزجي فيها .

ثانيا : أن المصطلحات المركبة هذه ليست بالشيء الجديد أو الغريب على اللغة العربية التي عهدهت أنماطها وطرق صياغتها ومناهجها منذ زمن بعيد وهذا ما يفسر تقبل اللغة العربية المعاصرة لهذه المصطلحات وتبنيها .

1 - التعابير التي تتكون من تزاوج كلمتين مثال :
(عرض + حال) - عرضحال ، (قائم + مقام) = قائمقام ، (قبل + فكى) - قبلفكى ، (يا + نصيب) = يانصيب .

فإذا ما كانت الهمزة هي حرف استهلال المركب الثاني في مثل هذه الكلمات فإنه ، كقاعدة عامة ، تسقط من الحساب عند الصياغة كما تبين من الأمثلة التالية :
(حمض + أمين) حمضمين ، (غول + أثير) - غولثير .

وأحيانا ما تجوز الصياغة بتألف الكلمتين بتمامهما معا مثل :
البادزهر ، يوسف أفندي .

2 - الكلمات المركبة من حرفي التصدير من المركب الأول والحرفين الأخيرين من المركب الثاني على وزن فعلل مثل :

(قل « من قلم » + بر « من حبر ») - قلمبر .

والكلمات المركبة وفقا لهذا الاسلوب دخلت
اللغة العربية من طريق استعارتها من اللغات الاوروبية
بعد ترجمتها الى العربية وتشكيلها وفقا لما يتلادم
وقوامدها مما ادى الى تباين في كيفية صياغة الكلمة في
الفتين - (لغة الاصل واللغة الناقلة) - ففي كلمة
مسجناحيات التي تانت من امتزاج المركبين
(مستقيم + جناح) يلاحظ انه عند الصياغة قد جرى
الاختزال بالنسبة للمركب الاول وحده في الوقت الذي
ظل بمنأى عن المركب الثاني اي ظل هذا بكامل هيئته.
بينما لو ائمننا النظر في اصل كلمة مسجناحيات هذه
في اللغة الفرنسية : orthoptères (1)

ثالثا : ان استعمال المصطلحات الحديثة يجب ان
يكون بكيفية واضحة لا يكتنفها غموض .

رابعاً : ان استمارة تلك الكلمات المركبة من
اللغات الاخرى ونقلها الى اللغة العربية حرفياً دون
تعديلها بما يتواءم وقوامد تلك اللغة قد يضربها بل قد
ينتهي الامر تدريجياً الى اسادها .

3 - الكلمات المصوغة من المقطع الهجائي
المكون من حرفين من المركب الاول والحرف الاخير
من المركب الثاني فتاتي الكلمة المشتقة على وزن
فعليل مثل :

(كهرباء + منطيس) - كهروطيس .

4 - الكلمات المولدة من ربط المركب الاول
بالحرفين الاخيرين من المركب الثاني وبدا تكون
الكلمة الناتجة على وزن فعليل مثل :

(حمض + اسيل) - حمضيل .

5 - الكلمات المركبة من اضافة الحرفين
الاولين من المركب الاول الى المركب الثاني - اي الحالة
العكسية للكلمات المشتقة وفقا للاسلوب المتبع في
البند السابق - ومثل هذه المصطلحات تستعمل في
حالات المجمع مثل :

(جوف + معى) - الجومعيات ، (مستقيم +
جناح) = مسجناحيات ، (شمال + غرب) -
الشمفريات .

(1) يبدو ان هناك نقصاً في الاصل .



الشعر العربي

اللفظ عنصر من عناصر الحياة

يجب أن يتجدد باستمرار
الأستاذ إلياس فنصل ، بويونس أيريس

ترجمة الأستاذ محمد محمد الخطابي

تلقينا هذا البحث القيم من الأستاذ إلياس فنصل وهو عبارة عن محاضرة ألقاها حضرة الأستاذ باللفة الإسبانية من الإذاعة الأرجنتينية تحت رعاية المعهد الثقافي الأرجنتيني - العربي بعنوان : « تمهيد لمعرفة الثقافة العربية » وقد نشرنا الأصل في مكان آخر من هذا المسد

سنجد في الشعر العربي الجاهلي تعبير الروح النقية الصافية لمشاكل الحياة المصرية ، هذه الروح التي هي شبيهة « برادار » كفيل بالتقاط أقل ذبذبات القلق الانساني .

لقد كانت « الكعبة » التي تقع في مدينة « مكة » بمثابة المكان المقدس لدى القبائل العربية ، وفي مطلع كل عام ، كان يهرع نحو هذه المنطقة ، ذوو الوقار والمهابة من مختلف الميول والاتجاهات ، لإقامة تجمعات كبيرة ، كانت ذات موضوع مميز الا وهو الادب ، حيث كانوا ينشدون القصائد التي تخضع لتقد بناء ، ويحللون فيها تلك التي تتواءم وأهواء العامة ، وأجود هذه القصائد - أي التي كانت تحظى برضى الحكام الثقات - كانت تكتت على رفوف فاخرة ثم تملق على « الكعبة » . في هذا المكان الذي كان ينال احترام الجميع من شيخ القبيلة العظيم الى الرجل العادي المجهول ، كان في إمكان الجميع قراءة هذه القصائد ، وبهذه الوسيلة يصبح للفن والبلاغة شعائر وطقوس . ولما جاء الإسلام الفى هذه العادة التي كانت تتضمن بعضا من الوثنية البدائية . وفي تلك الحقبة نفسها كانت تقام دعائم المباريات الأدبية التي ما زالت لها ردود فعل عديدة في الوقت الحاضر . لقد كان « سوق عكاظ » ضربا من « الأولمبياد » الفني ، كان يضم

ليس هناك شئ من بين الشعوب القديمة فاق الجنس العربي في تقديره للشعر ، ونستعمل كلمة « تقدير » ونحن على علم أنها لن تستطيع أن تعطينا التعريف القاطع للاحترام الذي كان يوليه العرب لفن الشعر .

البدييات على ذلك كثيرة ، فحتى تاريخ العرب في الجاهلية إنما هو تاريخ الشعر .

وكل ما نعرفه من أخبار الحقبة التي سبقت الإسلام جاءت مروية ضمن « القصائد » التي وصلتنا منذ ذلك العهد ، والتي ما زالت حتى أيامنا هذه موضع بحوث ودراسات مختلفة .

تلك القطع الشعرية الموضوعية على نسق واحد - التي جادت بها القرائح في عزلة الصحراء وفي لحظات الضيق الروحي - رغم القرون البعيدة - ما زالت تحتفظ حتى الآن بالنكهة التي تصور لنا حيننا موسيقيا نحو الأوطان .

وإذا استثنينا من هذه القطع الشعرية الكلمات التي فقدت مدلولها بمرور الزمن - ونحن نعتبر اللفظ عنصرا مجهزا من عناصر الحياة ينبغي له أن يتجدد بصفة مستمرة - أي إذا استثنينا الكلمات التي لم تعد تكتسب صبغة الحاضر - والتي هي قليلة جدا - فإننا

أحسن الشعراء ينشدون أمام الجميع آلاف من أجود القصائد المنتقاة . ودالما كان هناك مراقبون من « حكام الكلمة » التسمين بالنزاهة والانصاف ، يدلون بانكارهم القيمة ، والذين كانوا صريحين في آرائهم وموجهين في احكامهم ، وكانت القصائد المختارة بمثابة البرهان الكبير على عظيمة القبيلة التي ينتمي اليها الشاعر الفاتح .

ان الاسلام لم يضع حجر العثرة في طريق الشعر المزدهر - كما يزعم ذلك بعض المستشرقين ذوي النظرة السطحية المبلى - وانما جعل الاسلام حدا لعبادة الوثنية وحولها الى اهتماماته العادية ؛ ويحسن القول انه احل محلها معرفة فنية خالصة .

« حسان ابن ثابت » الشاعر العظيم الذي كان صديقا حميما للرسول « محمد » رافقه في مديد من فزواته ، وتفنى بانتصاراته ، كان النبي يوليه اهمية خاصة واضعا بذلك الشعر في مكانه المناسب من الاعتبار دون ان يسو به الى قمة الالوهية او يهوى به الى سفح الانحطاط .

وحيثما بسط العرب نفوذهم حول العالم طفر الشعر العربي طفرات جديدة ، تحول الى وسيلة لنشر الانكار ، وتمضيد قوى الفتح الجديد ، وتسخير الاتجاهات السياسية ، وانفلا في ثوب جديد من الثواب البيان ؛ تحول الى قاعدة للنشر والذيع ، وقام بالدور الذي تقوم به الآن الجريدة والمدىح والتلفاز .

كانت الامور غريبة ، بحيث يحدث ان نجد اثنين من الشعراء المرموقين ذوي نزعات متباينة وهما يجاهدان تحت سياسة واحدة ، ذات مصلحة عليا تم العالم العربي واماراته التي كانت تمتد من الشرق الى الغرب .

وكانت للمعركة ايدولوجيات مختلفة ، فاحيانا تكون مغمقا ذات سلاح متنوع قاطع ، تكون الكلمة البليغة احده واخطره ، واحيانا اخرى تكون سخرية حرة من خلال تطاحن الكلمات ، الشيء الذي يوضح لنا بجلاء التمکن التام من اللغة ، ويبرز لنا - في ذات الوقت - الذكاء الخارق للعادة المسخر لخدمة المثل العليا .

سيطول بنا الحديث اذا عددنا الامثال ، وترجمنا القصائد ، او اذا شرحنا المواقف ، غير انه لا يد لنا ان نورد ثلاثة من الشعراء الذين يشكلون في رأينا - صروح القمة في الشعر العربي القديم .

انهم الوان مختلفة ذات قدرة بلاغية ، دعالمها الخيال الخصب ، والملاحظة الحازمة والحجة اللاطعة . ان دواوين الشعراء الثلاثة ما زالت تدرس - حتى ايامنا هذه - في المدارس ، وسوف تظل دائما موضوعات بحث وتحليل .

« المتنبي » الشاعر الذي اودع الخيال العربي في القصائد ، وهو الذي عين في امثال سيرة طريقة التفكير عند العرب ووسيلة تصويرهم للحياة وكل ما هو موجود فيها من سمو وقوة .

ككل عبقرى كان « المتنبي » يعد من المفتونين الاكابر الذين ينشرون - في كل مكان - اشعارهم وامثالهم بين الامعاء المتطرفين الذين كانوا ينتقدون على المتنبي كبريائه وغروره اللذين جاوزا كل حد .

لقد كان المتنبي ، في نظره الرجولية يمي جيدا طموح الماضي العربي ، كان تذكيرا متحمسا لوحدة العرب ، وواحدا من المبشرين بالقومية النقية من كل تعصب .

الشاعر الثاني هو « المعري » الذي كان ضربا مند طفولته البعيدة ، الرجل الواسع المتبحر العارف باحاسيس البشرية ، لقد كان فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانت فلسفته متنوعة بحيث شملت كل انواع الاضطرابات وجميع مستويات العقل ، سواء كان يتخللها حزن متعاقب او يعلوها حدث سعيد . انه ساخر رقيق تكاد تكون سخريته غير مرئية ، ولقد كان يضمن سخريته هذه افكاره التي كانت تمارض ووجهات نظر الحكام .

وحسب البحوث الاخيرة الخالية من كل تعصب ، فقد تائر « دانتي » في كتابته لعمله الخالد « الجحيم » او (الكوميديا الالهية) - تائر « برسالة الففران » للمعري التي كانت مترجمة في ذلك العهد الى لغات مختلفة .

الشاعر الثالث هو « ابن الرومي » وهو الذي يكمل الثالث الحاكم في الشعر العربي ، هذا الشاعر الذي اثرى الشعر العربي بفنائياته التي هي جديرة بكل اعجاب ، هذا الماشق الواله للجمال في جميع اشكاله ، لقد استطاع هذا الشاعر ان يسبر ابعاد افوار التفكير ، فطبع كل ذلك في قصائد حافلة بالحركة والحياة . لقد كانت عيناه المتلهفتان ابدا الى التقاط كل مظاهر الحياة ، بمثابة عدستين فوتوغرافيتين غاية

كل - القوالب المعقدة للحياة المعصرية ، ولا نجزم بأن الشعر العربي الحديث يسير في طريق محكم سهل توضحه بل انه قد تعرض لجميع المشاكل المتنوعة في حياتنا الراهنة .

ان المؤرخ النزبه الذي يؤرخ لتطور الشعر العربي المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن ذكر - ظاهرة من ظواهر هذا الشعر - التي تكاد تنفرد بنفسها بين تواريخ الادب عامة . فاذا كان حقا ان الشعر العربي قد بلغ أوج عزه في موطنه الاصلية ، فانه لحق كذلك ان هذا الشعر قد اكتسب لمعانا واشراقا ملحوظين في بلاد امريكا .

ان مئات من الالاف المهاجرين وعلى الخصوص في الارجننتين والبرازيل - كان من بينهم شعراء كبار ، ساهموا مساهمة محمودة في الادب العربي .

ان سماء هاتين الجمهوريتين ، وجمهوريات اخرى قد جمعت تحتها كثيرا من الشعراء العرب الذين رفعوا عاليًا امجاد اوطانهم النائية معبرين بذلك عن الحب الذي يكونه لبلادهم الام الكائنة وراء البحار ، ومشيدين - في نفس الوقت - بعظمة الاثر المكتوب

ان هؤلاء الشعراء البعيدين عن مسقط رؤسهم والذين كانوا ملجمين من طرف قوات اجنبية ، قد وجدوا فرصة نشر قصائدهم الحماسية بعد ان هبوا لهم جو من الحرية ، كانوا يتوقون اليه من قبل .

لقد وجد هؤلاء الشعراء في المواطن الارجننتين الاخ الذي فتح لهم ذراعيه بحرارة وصدق - ونحن نقول هذا من تجربة - ووجدوا في الارجننتين نفسها الركن الذي رحب بهم اشد الترحيب ، وهو بالنسبة لهم ينبوع الهام لتفكيرهم وتاملاتهم .

بهذه الكلمات الختامية ، نقدم شكرنا عن هذا الكرم النبيل ، ونستأذن لنحمل لهذا الوطن الجديد تحية شعرية من اوطاننا الاصلية .. مرات تفوق الالاف .

في الحساسية تلتقطان ادق دقائق الامور ، باثنتين الحياة في كل الاشياء ، ان اوصافه لما كان يراه او يحس به او يجري ورايه - انما هي استمرار متوال من الصور التي تفوق كل شيء حيوية ونقاوة ولمعانا .

لم تتوان المرأة العربية في مشاركتها المحمودة في الشعر العربي ، لقد مررت الكثيرات ممن قرصن الشعر ، ولكي نتضح لنا مشاركة المرأة في عالم الفن نورد الحكاية التالية :

سال خليفة احد رعاياه المشهورين مرة فقال له :
— بلغني انك تستطيع ان تنشء الف قصيدة فهل هذا صحيح ؟ .

فاجاب الاعرابي :

— اجل يا صاحب المهابة ، ولكن هل تريدون ان اسمعكم الالف قصيدة من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ .. (1)

ان الشعر العربي المعاصر قد تأقلم مع طبيعة الحياة المعصرية ، مدفوعا بتجدد العقل العربي بعد ان عاش احداث اربعمائة سنة من الضيق الخارجي محتفظا - في جوهره بكآبة خفية - عن اجياله الماضية .

ان الشاعر العربي المعاصر يقف حاملا بين اطراف قلبه حيرة يصعب تحديدها ، هذه الحيرة التي كانت تستولى على روح الاعرابي الذي كان عليه ان يقطع كل يوم صحاري لا نهاية لها ، محدقا في الافاق التي تنتهي عند خط مستقيم دون حافز للتساؤل .

ولا نفي القول بان الشعر العربي المعاصر قد احتفظ بماضيه المشرق ، ذلك لان « فن القول » في العالم قد تقهقر ازاء الاكتشافات العلمية الحديثة ، ولم تكن الثقافة تكتسب قيمتها من الخيال الفسيح ولا من الكلمة المؤثرة الجميلة ، ولكن رغم كل ذلك ما زال الشعر العربي يحتفظ - باصالته وقدرته الهائلتين - في عقل هذا الجنس ، وهذا عامل من الاهمية في شيء بالنسبة للنهوض العربي الفائق .

لا نقول ان الشعر العربي المعاصر يتميز بطابع معين يحدد هذا الشعر ، ذلك انه عائق كل - او تقريبا

(1) وفي رواية اخرى ان شاعرا زار شاعرا آخر ، فلما طرق باب بيته خرج خادمه ، فقال له : ان سيدي لا يستقبل الا من كان يحفظ - على الاقل - الف قصيدة . فاجابه الشاعر الزائر : اذهب وقل لسيدك هل يعني الف قصيدة من شعر الرجال ام من شعر النساء ! (المترجم)

الألقاب عند العرب والمسلمين

الشيخ طه الوبي «بيروت»

في لغتهم الرجل الذي يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف «بذي النورين» لرواجه من النتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اطلق على علي بن أبي طالب الخليفة الرابع بعد وفاته لقب «أبي تراب» هذا اللقب الذي قال قوم بأنه من صنع خصومه الأمويين لنزوه وتحقير شأنه بنسبته إلى التراب كما قال قوم آخرون بأنه من صنع شيعته الذين أرادوا به التمجيد من تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب للزامته الصلاة أثناء الليل وأطراف النهار . ولعانا نستطيع أن نعتبر كلمة «صحابي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه وآمن به كما نستطيع أن نعتبر كذلك كلمة «تابعي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك ، وهو مسلم ، واحداً أو أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه .

ولكي لا نقف طويلاً عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الأولى التي تلتها فإننا نأتي إلى العصر الأموي الذي اختلف المؤرخون فيما نسب إلى أركانه من الألقاب . فذهب قوم إلى أن الخلائف من بني أمية اتخذوا لأنفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون إلى أن هؤلاء الخلفاء عرفوا بأسمائهم من غير القاب أضيفت إليها أو حلت محلها . وفي هذا يقول المسعودي في كتابه «الإشراف والتنبية» :

إذا أردنا أن نتحدث عن الألقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والمودة بأذهاننا إلى صدر الإسلام إذ نجد بين المؤرخين من يقول بأن الألقاب عرفت سبيلها إلى العرب منذ هاتيك الأيام . وبالفعل فإننا نعرف أن أول لقب اطلق بين يدي الإسلام كان ذلك الذي اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو «الأميين» فلما كانت البعثة أصبح لقبه عليه السلام : «رسول الله» وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الأجنبية . وكانت كلمة «رسول الله» منقوشة على خاتمه الشريف الذي استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وفي عهد هذا الأخير سقط هذا الخاتم في يثر أريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف في التاريخ .

ثم إن كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت أسماءهم بل هي حلت محل هذه الأسماء في بعض الأحيان حتى أن بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ، وكان عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الخليفة الأول يعرف باسم «الصديق» الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذي تولى الأمر من بعده يعرف «بالفاروق» الذي قيل إن قوماً من السريان أطلقوه عليه لأن معناه

« وقد رأينا بعض المتأخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبيين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول باماتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني امية القاب كلقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احدهما : قال ، روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، « بالناصر لعق الله » ويزيد بن ابي سفيان « بالمنتصر على الربيع » ومعاوية بن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالمؤمن بالله » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، وهده الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالدامي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد ابيه يزيد فلقب بالتحير من مال الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالتمزز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالعظيم لحرمت الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بعون الله » .

على ان السعدي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تنقيب ملوك بني امية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المتقولة القاطعة والاعمال المروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقل السير والانوار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير . من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واول من

تلقب منهم كان اول خلافتهم : ابو العباس المعروف « بالسفاح » واختلف الناس في تفسير هذا اللقب ، فقالت طائفة بان الرجل تنقب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في اعيان بني امية سافحا دماهم في سبيل تائيل ملك قومه بعد اجتنات كل اثر لاي اموي تتوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتدوا به من اعتماد الالتاق للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصلية الى اخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالتوكل على الله اخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطنبول واضعاً بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين المالك في مصر والشام والعراق وباتي الجزيرة العربية . وهكذا كان اول القاب العباسيين : السفاح ، واورها : المتوكل على الله .

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية (1517 م) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطنبول سيد الشرق العربي بلا منازع وافلت دولة المالك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « ومما جعل لفتح وادي النيل اهمية تاريخية عظيمة ان اخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقرر خلافة بني العباس في قبضة هولاء خان التتري سنة 656 هـ (1091 م) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل من حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الانار النبوية الشريفة وهي البيروق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرميين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني « اميرا للمؤمنين » و « خليفة لرسول رب العالمين » اسما وفلا . « ا . هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد عن انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التي كتبت من قبل المؤرخين الذين عاشروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفاسيلها ، دون ان يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذي قال في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وهو من ادق ما كتب في هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد ميان :

« .. وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخدام الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والاخرة يا رب العالمين » .

وفي حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطنبول ، وخرج صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن الملاي علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وءآخرون من الايمان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك في المراكب ليتوجهوا الى نهر رشيد . فحصل للناس على نقد امير المؤمنين من مصر فاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت في اسطنبول ، وهذه من الحوادث المهولة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتقله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد ان يفرض الائمة الجبرية على الخليفة العباسي في اسطنبول كيلا يشكل بقاءه في القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب في وجه المهد الجديد ، وربما لتصبح اسطنبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان المتوكل على الله كان ءآخر من حمل لقب « الخليفة و امير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيا شاغرين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالانتحاء الى

لقب الخلافة العظمى كي يفسد على الثالسين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذي كان ءآباؤه واجداده بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا في هذه الاسباب من قريب او بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية في اوج مجدها فان لقب ، او بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما نقلها فيما يلي من مقدمة الرسالة الجوية التي ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذي استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارل كان ملك اسبانيا وذلك في سنة 922 هجرية (1526 م) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، الممين :

بمنابة حضرة عزت الله جلت قدرته وملت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وهابي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، سلطان السلاطين وبرهان الخوالمين متوج الملوك ، ظل الله في الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر الاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكرديستان واذريجان والمعجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا ءآبائي الكرام واجدادني العظام ، بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم ، وبلاد اخرى كثيرة افتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، .. الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا .. وصل الى اعتساب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابعكم فرائقيان النشيط .. الخ .. »

اما بعد ان هزمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية في اسيا وافريقيا . بعد ان ءآل امر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني في ايام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « السلطان العظيم والخالفان الاعظم ، امير

المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان
الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب مرز العثمانيين في
تقهقره الى الوراة اخذت المدارس الحكومية في عهد
السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تلمم طلابها
لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، باديشاه ، خاقان البرين
والبحرين وخدام الحرمين الشريفين ، ولي نعمت
بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ،
حظرتلري .. »

وبآخر من حمل لقب « امير المؤمنين الخليفة
الاعظم » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد
وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذي اقاله مصطفى
كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923
ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان
اصبح لقب « امير المؤمنين والخليفة الاعظم » .. في
ذمة التاريخ على الرغم من المحاولة التي قام بها
الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة
الشويك الاردنية حينما استدعى اليه بعض اميان
البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » .
وهي محاولة لم يخلدها احد في ذلك الحين على
محمل الجهد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما
تناقلت اسلاك البرق الانذار الذي وجهته الحكومة
الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب
الذي طمع في الحنول محل سلاطين بني عثمان في
حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب
العالمين » .. وهي البرقية التي تقول للحسين بن علي
شريف مكة وسليل اشرفها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب
مفادرتكم العتبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر
من ثلاثة اسابيع »

ومن العتبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة
كان واخر المطاف باللاهث وراه لقب « امير المؤمنين
وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة
1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم
الانقلاب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب
العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم .
وان كان ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعي

الى الان بلقب امير المؤمنين . كما هي الحال في
بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير
المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية
اليمنية حيث بلقب امامها بامير المؤمنين . وكما هو
الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في
جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من
الطائفة الاباضية ببلاد عمان التي ما تزال تدعو امامها
بلقب امير المؤمنين .

وليس من شك في ان هذه البلدان وما فيها
من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها
بامير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير
المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في
حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر
ببال احد ان هذا اللقب ينسحب في ايماننا على المعنى
الذي كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذي كان ،
ولو شكليا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم
على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وها نحن الان ، ننتقل من لقب رئيس الدولة
في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذي كان يليه في
حمل تسمات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ،
وهو الشخص الذي تواضع الناس من اهل زماننا على
تسميته برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة
يمرون منه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار
اليه القضاعي في « عيون الاخبار » فلما جاءت الدولة
المباسبية ولقب ابو العباس اول خلفائهم كاتبه ابا
سلمة الخلال « بالوزير » استقر لقب الوزارة من
حينئذ ورفض التلقب بالكاتب » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ،
للدلالة على الرجل الذي يختاره الخليفة لمعاونته في
تحريك اطارات الدولة وتهيئة اجهزة الحكم
وعناصره . على ان كلمة « الوزير لم تبق منفردة
لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشعراء ، ما لبسوا ان
اضافوا اليها لقباً يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ،
واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بسمو المهمة
التي يمارسها . فقد نقل الراهب الاصفهاني في
محاضراته ان الشاعر جحظة البرمكي توجه الى
الوزير الذي كان في ايامه بقوله :

قل لوزير ادام الله « دولته »

اذكر منادمتي والخبر خشكار

اذ ليس في الباب بواب «لدولتكم»
ولا حمار ولا في الشط طيسار

**فانصاف الشاعسر لقب «الدولة» الى لقب
(الوزير) فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد ينفرق
احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ،
رغم جميع القرارات « الثورية » التي صدرت في
المهود الاخيرة ، بالفاء الالقاب وعدم استعمالها ،
لاسيما في المكاتب الرسمية .**

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد
لقب اآخر ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السفاح
يعرف بلقب « وزير مال محمد » ولما ولي المهدي ابن
ابي جعفر المنصور مدة الخلافة، لقب وزيره يعقوب بن
داوود بن طهماز « الاخ في الله » ، والمأمون بن
هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين
استوزره « بلدي الكفائيين » كما لقب اخوه الامين
وزيره الحسن بن سهل « بلدي الرياستين » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية
وكبار ممالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين في
الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخراساني « امير مال
محمد » وقيل (سياف مال محمد) ولقب ابو الطيب
طاهر بن محمد « ذا اليمينين » ولقب الخليفة المعتمد
قائد مسكره حيدر بن طاووس «بالافشين» من حيث
انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة .»

والى جانب لقب دولة الوزير الذي كان يقال
لمساعد الخليفة في نفس عاصمة ملكه فلقد عرف
المعهد العباسي لقباً اآخر استحدث فيما بعد لاطلاقه
على ممثل الخليفة ، نفسه في البلدان التي كانت
خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « الاستاذ »
واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب
« اوستاد » ومعناها بلغة الفرس «معلم او سيد»
وعن الفرس اخذها العرب بعد ان كثر بين الامتين
التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان في المعهد
العباسي وذلك حين اطلق على نائب الخليفة في الديار
المصرية والبلاد الشامية ابي المسك كافور بن عبد الله
الاخشبيدي ، الذي عرف باسم الاستاذ كافور
الاخشبيدي . وهو الخصي الاسود الذي اشتراه
سيده ابو بكر محمد الاخشيدي بشمانية عشر ديناراً
ورباه واعتقه قبل ان اصبح الحاكم المطلق باسم

الخليفة على مصر والشام وما اليهما من نفوذ وبلاد.
والاستاذ كافور هذا هو الذي بالغ في مدحه المتنبئ
عندما كان طامعا في بره وصلته ثم عاد فسلطه
بأهاجيه المقدمة عندما وجد ان طمعه فيه كان في غير
محلّه .

وقد استعملت كلمة «استاذ» في اوساط
النحاسيين الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت
تداولها الالسة في هذه الاوساط للاشارة الى مالك
رقبة المملوك فكانوا يقولون: فلان استاذ المملوك الفلاني
اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة
استاذ ان تطورت في العهد العثماني لاسيما في الهزيع
الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها .
فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «لاوسطا» او
«لاسطه» وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ
في ايامنا . وقد اصبح لقب استاذ يطلق على ارباب
الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على
الاغلب . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون
كلمة « اوسطا » بقصد المناذاة على الشخص الذي
يجهلون اسمه ، وتقابلها في بلاد الشام سورية
وفلسطين ولبنان ، كلمة « معلم » والفرض والمعنى،
هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لا بد من القول ، بان كلمة استاذ قد
تشعبت فيها اساليب الاستعمال في ايامنا حتى انها
كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس،
ولو كان من سوقة القوم وصعاليكهم او حتى اراذلهم؛
كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب
السن الفكرية . المحامي الذي يتوكل للترافع عن
اصحاب القضايا المدنية ومعلم المدرسة مهما كانت
درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم
« عمومية » الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من
اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف في
الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراخت قبضة
السلطة المركزية التي كانت تمارسها بغداد في علاقاتها
مع ممالها في الولايات والاطراف التابعة لها ،
واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى
الانفراد بالسلطة في مناطقهم ، عندما اصبح الامر
كذلك نزع منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر المسك
من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد اصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته ، وان يلبي رغباتهم ويحقق مطالبهم وان يمنحهم من الالقاب السلطانية ما يتطلعون اليه راغبا ام كارها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الامم » حالة الخلافة في تلك الايام حين لم يبق للخليفة من اثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق احواد المنابر ، لا اكثر ولا اقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ عن المطيع لله العباسي (سنة 361 هـ) انه لما سأل بختيار تزويده بالمال لاجل الغزو والجهاد ، اجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« ان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والي تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر من كفائي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به وعيائكم ، فان احببتم ان اهتزل ، اهتزلت من هذا المقدار ايضا ، وتركتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما اصبح لقب الخلافة في مثل هذا التفاهت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا بالقب الحکم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التعيين والاعزل والسلطة والصلاحيه .

ويقال ان اول من اتخذ الالقاب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي « بولي الدولة » فكان هذا الامير اول من لقب بالاصالة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لال بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي « بركن الدولة » وهو الذي كان صاحب اصهبان والسري وهمدان ، وجميع عراق المعجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونحا نحوه في اتخاذ الالقاب ابناؤه الذين نسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فتلقب ب« بغير الدولة » حتى ان اولهم فناخسرو اضاف الى لقبه « عضد الدولة » لقبيا ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو « تاج الملة » ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين ،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجعله فوق جميع اصحاب الالقاب من امثاله الماصرين له ، فتلقب بشاهنشاه (اي ملك الملوك) وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على اي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان تقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في غاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام من تلقيب عضد الدولة الذي اشرنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

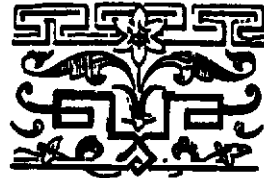
ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلي الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعشها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد .. ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين ، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاب زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك ، اهدا هو الله عز وجل ! » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : « ففهمه » فقال له : « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر (اي عضد الدولة) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص ، الخادم ، فقال : استدنه فصعد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع بيمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كثر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له ، اقم لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فاوما براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيرا بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسموا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الله ، وانهاك عما نهاك عنه ، وإبراء الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله . »

ثم اخذ الطائع سيفا كان بين المخذتين فقلده به مضافا الى السيف الذي قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار في البلاد . . . »

والجدير بالذكر ، أن حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة في هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من أرباب الحكم في ولايات الإمبراطورية الإسلامية المباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التي التصقت بها الالقاب من مثل **صمصام الدولة** ، و**غضنفر الدولة** ، و**شرف الدولة** وما شابه ذلك .

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزينبي ، فقدموا . فأعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، وألبس الخلع-وخرج فأومأ يقبل الارض ، فلم يطلق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وأمره بالجلوس ، ثم استلمى الطائع تقديم الويته ، فقدم لواوين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه فقريء فقال له الطائع : « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، أمرك بما أمرك



تطور الفكر العلمي وكيفية التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى

الأستاذ: عبد العزيز بن عبد الله الرباط

التكد الموصلي وابن سينا والرازي وداخرين ونظمت صناعة الطب منذ عام 295 هـ (2) باقرار الخليفة المتتدر نظام الامتحانات فتخرج في عام 319 هـ وحدها ببغداد 860 طبيبا واجري اول امتحان للصيادلة ايام المعتصم عام 221 هـ واول مارستان بنى في الاسلام كان بالشام في عهد الوليد الأموي عام 86 هـ (3) ثم في مصر في عهد أحمد بن طولون وكان في المارستان العسدي اربعة وعشرون طبيا فيهم الكحالون والطبائميون والجراحون .

ومن اطباء الأندلس وصيادته في هذا العصر ابن جلجل (وهو اعظم طبيب طبائمي) والوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وهو طبيبه الخاص، وعبد الملك بن حبيب السلمي المرادسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ ، واول من أدخل الطب الى المغرب هو اسحاق بن عمران وابن الجزار صاحب « زاد المسافر وتوت الحاضر » وهو أحمد بن ابراهيم بن ابي خالد المتوفى عام 395 هـ (4) ومحمد بن عبدون الذي اشرف على مارستان القاهرة ورجع الى

لقد استعرضنا مختلف العوامل التي كان لها اثر قوي او ضعيف في تطور الفكر واللغة بالمغرب ومن تلك المؤثرات العناصر الحضارية الاموية والقيروانية والاندرلسية ثم الثغانية من قرآن ولغة ودين وادب وتصوف غير أن نظرنا الى هذا التطور لن تتم ما لم نستشف من خلال البحوث والدراسات ذات الطابع العلمي ما امكن للكيمائيين والرياضيين والطبائميين والاطباء والصيادلة والفلكيين والفلاسفة أن يسهموا به من آراء ونظريات ومصطلحات لبلورة اللغة العربية واستكمال تطورها في المغرب ، وبما أن المغرب الاتصى لم يكن يعيش في تفص متغل بالنسبة للشرق العربي وأنه دشن منذ القرن الثالث الهجري مع الأندلس عهد تبادل مكري اوثق فان من الضروري استكناه محتويات هذه الاواني المستطرقة (1) جميعها للتعرف على الهيكل العلمي ومقوماته ، فلي خصوص الطب والصيدلة والكيمياء المستجدة في المغرب الاتص نلاحظ بان الأندلس ، وبالتالي المغرب ، كانا عالة على الشرق حيث ظهر امثال جابر بن حيان والحسن بن

(1) وهو يبدأ غاليلي Galilée المعروف بـ Vases Communicants

(2) (القطبي ص 130) .

(3) القرطبي في الخطط والاثار ج 2 ص 405 طبعة بولاق .

(4) صبح الأمتى ج 3 ص 337 .

الاندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (6) .

ويظهر أن هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الأيمن منذ هذا العصر حيث كانت جامعة القرويين وملحقها جامع الأندلس بفاس تدرسان الطب ضمن الكتب المتررة وقد أشار لوكلير إلى هذا الأزهار (7) ولاحظ (8) أن المغرب أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية وهو يقصد المغرب الثلاثة وخاصة إفريقية ، وقد لاحظ القفطي (9) أن المعز الفاطمي نقل معه إلى مصر كثيرا من الأطباء المغاربة واشتهر تسطنطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر وأسس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان أبرز العصور العلمية في الأندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تخضع عن تدخل المرابطين ثم الموحدون وذلك بفضل العناية التي أولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء، اذ يمكن القول - والدكتور لوكلير يؤكد هذا (ج 2 ص 72) - بأن الفكر لم يسبق له أن تحرر كما وقع في هذا العصر

وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية ، يضاف إلى هؤلاء الفاطمي (11) وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان الفسا في تاريخ الطب الطبيعى وابن الموم (12) مؤلف « كتاب الفلاحة » الذي لا يوجد له نظير في الأدب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق تديبية ثمينة (13) بل هو أعظم ما أنتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى العصور المتديبة (ص 110) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المقبل أمثال ابن البيطار (14) المالتي وأستاذه ابن العباس النبطي وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الأثناء من أعظم العلماء سوى فخر الدين الرازي فاستطاع الأندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (15) .

- 5) يوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب « الامتصاد » في الادوية المفردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن حبيب المرديسي .
- 6) (النسخ ج 1 ص 444) والزهراوي هو صاحب (التعريف لمن هجز عن التأليف) وهم أعظم جراح عربي (لوكلير - الطب العربي ج 1 ص 334) امتدده مؤلفو الجراحة في المصور الوسطى وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة ومالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب ((عدد 1427 د) الذي طبع بالهند وقد مات بعد الأربعمائة كما عند حاجي خليفة والحسن الوزان الذي أرخ وفاته بـ 404 هـ (موافق 1013 م) وهم كازيري Casiri الذي أكد في المجلد الأول من فهرسته (ص 137) أنه عام 500 هـ (لوكلير ج 1 ص 437) .
- 7) نفس المصدر (ج 1 ص 334) .
- 8) (ج 1 ص 407) .
- 9) في (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص 75 .
- 10) (شهيرات المغرب) للكائوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول (الإسبان بالمغرب الأقصى) لعالم فرنسي لم أتبين اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .
- 11) هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الفاطمي صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الامشاب » للفاطمي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات وعتاتير وحيوانات متقنة الرسم .
- 12) هو أبو زكرياء يحيى بن محمد الذي لا نعلمه الا من خلال مصنعاته ويژهم كازيري أنه عاش في القرن السادس الهجري .
- 13) (لوكلير ج 2 ص 11) .
- 14) ابن البيطار تولى عام 646 أكل عتارا تانلا نبات من ساعته (نفع الطيب ج 2 ص 874) .
- 15) (لوكلير ج 2 ص 72) .

والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث تفضوا بتيه حياتهم في العلاج وتدریس الطب - فاناد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر ان علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقنا في عهد المنصور عندما حورب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد الى التخلي عن الخوض في ذلك ، والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضهاد رجال الطب حيث اناط بابن زهر نفسه مأمورية تمتب الفلاسفة ثقة به الا انه عبد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فانتجه الناس اليها انجذابا للمادة فقل المعتنون بالحكمة والطب ، على ان اعتقال المنصور لابن رشد وابن جعفر الذهبي زاد الناس ريبه في مصير الفلاسفة والاطباء ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فامعاد الحظوة الى الرجلين وكلف ابا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب ، وتلك من المنصور محاولة لا بأس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو Reinaud أن المغرب لم يتم على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبتية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في اسبانيا المجاورة ، ولكن منذ اواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين - وهما أبرز عصور اسبانيا المسلمة - امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « فكيف يمكن اذن أن نفضل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى ماس او مراكش او اغمات ، فللمغرب الحق اذن أن يتبش ابن باجة وابن طفيل وابن رشد « الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

وبفضل الانبعث العربي في الاندلس (16) صارت اوربا تنفض عنها اردية الركون واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند Raimonde اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جيرار دوكرميون على طليطلة حيث استتر نحواً من نصف ترن نقل خلاله من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او افريقيا معربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن الرابع لهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة سالرنة وهي أول مدرسة من نوعها في اوربا وكانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنة Salerno بقيت غذاء اوربا مدة ترون وترجم الى اللاتينية اهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي والى نحواً من 24 كتابا في الطب منها قانون الطب في 12 مجلدا و « فياتيكوم » في الطب العام في سبعة اجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق مصر ازدهار ثم انهيار نسبي للمعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكد يمضي المقدم الاول من القرن السابع (17) حتى بدأ صرح العلم ينهار وطمسست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تألق نجه منذ عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة ترون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت - كما يقول لوكليز (ج 2 ص 340) جماعة من الاطباء التفتت حول ملوك المرابطين

(16) وقد نبغ في القرن السابع امثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعرائي المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة) وابن ابي اصيبعة وجمال الدين القفطي (على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الاكرم المتوفى في عام 646) وعبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان اعظم اطباء عصره وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلداً من بين 300 (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لعلي بن ابي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة) .

(17) اي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن مغازي في « البيان المغرب » (ج 4 ص 240) .

(18) الطب القديم بالمغرب - رينو Reinaud نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ابن القاضي (درة الحجال ص 117) .

الانتصاد (23) وهو اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق .

وقد ترا عليه ابو الحكم ابن غلندو الاثبيلسي الشاهر عام 535 كتاب « الانتصاد » في سجن مراکش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين . وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من اهل مصره (24) . وقد نهج ابن زهر في كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التحميم العقلي للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة والتحميم العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في « التيسير » ولذلك توصل بفضل قياساته الطبيعية وتجربته الشخصية الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالامراض الرئوية وأجرى عملية القصة المؤدية الى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصة في مرض الذبحة لمعالجة المريض وقد اهتم في امراض الجهاز الهضمي واستعمل انبوية مجوفة من القصدير لتغذية المسابين بعسر البلع واستعمل الحتن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها سوابة كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح ان الطبيعة — اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

شعب الفلسفة والعلوم وان كان مفهومها سيقتصر في القرون الاخيرة عندما يضمف الفكر العلمي بالمغرب ليتصر على جزء من الطب هو الكعالة أو مرض الميون.

ويظهر ان ابا العلاء زهر بن زهر هو اول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد ان كان طبيب المعتد بن عباد باشبيلية (19) ووالد ابي العلاء هو ابو مروان عبد الملك ابن ابي بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (20) وكانت له آراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه بأنه يعفن الاجسام ويسد تركيب الامزجة (21) وقد تمخضت تجارب ابي العلاء في المغرب من تاليفه لكتاب « التذكرة » الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراکش والادوية المناسبة .

وبعدما توفي ابو العلاء امر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية اخرى كان ابو العلاء سجلها في أوراق وهي « التجربات » (22) وولده هو ابو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل ابيه والى كتاب

(19) ذكر المراكشي في « المعجب » ان المعتد استدعى ابا العلاء لمعالجة « الرميكية » عندما كان أسيرا بأفمات .

(20) (النسخ ج 1 ص 445) .

(21) الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ج 2 ص 64 — 66)

(22) جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (844) وقد ترجم جان دوكابسو التذكرة من العبرية الى اللاتينية (نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالى التراجم عام 1280 والمطبوعات (عشر مرات بين 1490 و 1554) .

وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعتها الى 1531 وهي تحتوي ايضا على كليات ابن رشد .

وهناك رسالة في امراض الكلى كتبها ابو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة بباريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، ولابن العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الادوية .

وتوجد نسخة من (جامع اسرار الطب) لابن العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة .

(23) لابراهيم بن يوسف اخي علي (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة في الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بهروف عبرانية وخرغ من الكتابة عام 515 هـ .

(24) ابن عبد الملك في « الذيل والتكملة » .

شأن الجهاز البشري - تكفي وحدها في الغالب لعلاج
الادواء (25) .

الذي يقتبس منها في « جامع المفردات » . ومن تلامذة
ابن باجة سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان
أحد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة
في تأليف كتاب التجريبتين (31) .

ومن الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر : ابو
جعفر بن هارون الترجالي طبيب يوسف وهو تلميذ
المعاري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب
وكان عالما بصناعة الكحل (طب العيون) (32) .

أما الوليد ابن رشد فاهم مصنفاته كتاب الكليات
الذي طلب من ابن زهر اعداد ملحق له (33) في
الجزئيات لتكون جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب، وقد
نتم عليه المنصور وأجبره على المقام باليسانة الآهبة
باليهود قرب ترطبة وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن
سينا ما يعنه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء في
الامراض الرئوية ، أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة
كمراكز شتوية (34) .

والحنيد أبو بكر بن مروان كان طبيبا شاعرا متين
الدين خدم الدولتين اللبثونية والموحدية (هيد المومن
ويوسف ويعقوب والناصر) تولى عام 596 هـ بمراكش
الف « الترياق الخسيني » ليعقوب المنصور ودرس اليه
ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت
هي وأمها عالمتين بالطب لاسيما في امراض النساء
وتدخلان الى نساء المنصور (26) وكان أبو بكر يحفظ
صحيح البخاري (27) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة
وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (28)

أما أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف
بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره
أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك
الاطباء في صناعتهم لمحسوده وتلقوه مسموما عام
533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية
النسوبة لابن باجة ولا يعرف الا عن طريق ابن البيطار

(25) (حضارة العرب) جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودار مزعم في كتابه
حول تاريخ المغرب (ص 452) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعاض بالمنهج
التجريبي والطريقة العقلية من التقليد في ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شمس
ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) (ابن أبي أصيبعة ص 67) .

(27) (الانيس المطرب) (ج 2 ص 180)

(28) (المطرب لابن دحية) .

(29) المتولى بفاس (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63)

(30) وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138 (525 هـ) أي عندما كان لابن
رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة .
(مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .

ويذكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد أتبع بذلك لابن رشد ان يتلمذ له .
كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة حي بن يقظان » ص 31 « المراكشي » حينما زعم أن ابن
طفيل ترا على ابن باجة » .

وأضطرب الفتح بن خاقان في ابن باجة حيث نسبته في الثلاثد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه في
« مطمح الانفس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (والسولة ج 3 ص 262) .

(31) (لوكلير (تاريخ الطب العربي) (ج 2 ص 79)

(32) ابن أبي أصيبعة (ج 2 ص 75) وذكر ابن عذارى في « البيان المغرب » (ج 4 ص 49) ان الخليفة
أبا يعقوب اعتل عام 573 فموتت عليه الاطباء في الاندلس للمعالجة الى ان وجد الراحة » .

(33) وذكر أيضا ان أبا يعقوب لما خرج في الغزوة التي مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه
هم ابن زهر وابن مقبل وابن تاسم (ج 4 ص 70) .

(34) (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

وابن رشد هو أول (35) من أشار إلى الدورة الدموية وعللها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معظم نظرياته . وهناك أطباء آخرون ينيف عدد البارزين منهم على المشيرين ، ازدهر بأبحاثهم القطاع العلمي في عهد المرابطين والموحدين (36) نخص بالذكر منهم عالمين اثنين من سبته هما علي بن يقطان الطبيب الشاهر الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن والعراق ، وابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيبا ليهون أمير حلب ولملك مصر الظاهر ، وذلك علاوة على ابن الرومية النبطي الاثبيلي أحمد بن محمد بن مخرج المعروف بابن العشاب الذي رحل إلى الشرق عام 614 (38) بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب واتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع، وكان لرحلة ابن البيطار إلى المغرب أثر قوي في نقل المصطلحات البربرية إلى معجمه العربي الجديد الذي أصبح المرجع الأساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث عين ابن البيطار رئيس المشابين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا العصر أيضا الشريف الإدريسي الذي صنف كتابه «الزهوة» في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة مضية للعالم جعلت منه أستاذ أوروبا كما شحن كتابه في الأدوية بنتائج تجاربه الشخصية الثمينة ، هدت الطبائمي الشرقي الكبير ابن البيطار إلى الانتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والامتناد عليه وحده في ثلاثين موضعا مع الإشارة إلى أسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا المرض أن العلوم ازدهرت في المغرب الأقصى إلى القرن السابع وانصهرت معطياتها ومفرداتها في

بوتقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا غروقي ترجع إلى اللون المحلي كالفانبات والازهار والاعشاب العقاقيرية التي تحمل أسماء خاصة متأثرة بالعقائير الجبهوية ونضرب مثلا لذلك بالجوزة الصحراوية التي عرفت في المغرب بهذا الاسم بينما عرفت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشرك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن عزرون في أرجوزته التي استدرك فيها على الحميات الواردة في أرجوزة ابن سينا (وهو من رجال القرن الرابع عشر في عهد عبد الرحمان الثالث) نحو ثلاثين كلمة مغربية أندلسية بدل مقابلها الفصح منها :

- تين مكة (اخضر)
والحلحال (= اسطوخودوس)
والمقربان (= اسكولوفندريون Scolofendre)
والناسوخ (= أشق)
(Gomme Ammoniaque
وشيبة العجوز (= امستين Absinthe)
والمجينة (= اكليل الملك Mellilot)
وحبة حلاوة (= أنيسون Anis)
والرجلة (= بقلة حمقاء Pourpier)
ويربوز (= بقلة يمانية) Blette)
وحبق الأترج (= ترنجان Basilic citronnelle)
والصمصام (= خلاف Saule ou Peuplier)
والجزر البري (= دوتو Carotte sauvage)
والناعم (= بزر الرازيانج Graine de fenouil)
والبرستم المكور (زراوند مدحرج)
(Aristoloché ronde
والهندبا (= سريس Chicorée)
والحمودة (= ستمونيا Scammonée)

- (35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس إلى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .
(36) تحدثنا عن جسيمهم في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .
(37) القنطري ج 2 ص 160 و 193 و 256 .
(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتابا في الحشائش رتبته على حروف المعجم وناق أهل زمانه في معرفة النبات (نفع الطيب ج 1 ص 635) وتلميذه ابن البيطار هو أعظم نباتي العرب الذي تارنه لوكلير (ج 2 ص 225) بالفانقي والشريف الإدريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .
(39) نفع الطيب ج 2 ص 683 .
(40) لوكلير Leclert (ج 2 ص 680)
(41) ابن البيطار في « جامع المفردات » وعبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » (طبعة الجزائر 1903 و 1917) .

— الجفن — الحاجب — الحبو — والحدبة — حك
الورك (أي حك وهو مغرز رأس الفخذ) حلقوم —
حنجرة — خرطوم — أما في عموم الحيوان فنذكر من
المفردات :

الحيوان — البغل — الجبج (خلية النحل)
والجمل والحمار والبرغوث والبق والنحل — والبموض
والنساج والتيس — والشمبان — والحية — والحنش
والانمى — والجحش والجراد والجرثومة والجرو
والجماد والحجل — والحدأة ، والخرجة (جماعة الفم
والابل) والحظيرة والحلس والحوار (ولد الناتة)
والحوت والحولي — والحيتان (الدراج) (الحيقون
في زهير) وختل الصياد — والخروف والدلن —
ودوارة البطن (أمعائه) والديك — والذباب — والدب
— والخيل — والخيال — والخطاف — والخناش
والخنفساء الخ .

أما في عصر المرينيين فإن الملكة العلمية تضاملت
وصار حفظ النصوص هو الغالب لا في علوم الآلة
كالنحو أو علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب
والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر أن هذه الآلة
الفكرية قد أصابت بشلل جزئي تطاعات علمية في
الشرق حيث بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن
الثامن وبداية التاسع على أثر السيول الجارفة التي
حطمت في طريقها معالم الدنيا تحت أمرة جنكيز خان
وتيمورلنك ، وإذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا عن
المدرسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فإن
أساندها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكليز أنه أمكن
في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعمائة عالما فصلهم من
الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرارة
والاكتفاء بالجمع والتأليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين أن جامعة فاس التي
ظلت تدرس الطب بكتب أبقراط وجالينوس وديوجينيس
المعربة لم تكن لتعتمد جامعات العواصم العربية
الأخرى (44). والواقع أن الفكر العلمي بدأ يتحجر
ليجهد على النصوص الظاهرة بالرغم مما يقال من

والحبق القرنفلي (= شاهسبرم Petit basilic)
ومشيشترو أو (= نمناع Menthe فونذج)
وحب الملوك (= تراسيا Cerise)
والكروية البرية (= تردمان Carvi sauvage)
وقصة الحية (= تنطوريون Centaurée)
والشمع الأبيض (= Cire blanche = موم)
وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارين والحشائشيين
بالشرق بينما يعرفون بالعشابين في المغرب ومنهم ابن
المشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من أغنى اللهجات العربية
الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات
بربرية ولنضرب لذلك أمثلة مقتبسة من معجمنا في
« الأصول العربية للعامية المغربية » .

ففي خصوص الأعشاب والأزهار : بابونج
(بابنوج) — بسباس (المعجم الوسيط) مقدونيس
(معدنوس ترغلس) — الترنج (الكباد بالشام) —
ترياق (دواء للسموم) الجلبان — حب الرشاد —
الحرف — الججلان — جلنجين — الجوز — الباذنجان
— البهيرة (البستان) — برقوق — أجاص — البصل
— العنصل — الفول — البطيخ — البرسيم — التبن —
الثوم — الحبوب — الحرمل — الحشيش —
الحلبة — حلفاء — حمص — حناء — حنظل
— خبيزة — خزامى — خس — خشفاش — خشاش
— خوخ — خيار — ذرة .

وفي العلوم : التوتيا — الجلود (الصخر) —
الجدول — الجذري — الجذام — الجذر — الجليد —
الحادور (المكان المنحدر) — الحارة (الفضاء) —
حامض الرثة أي مر النفس — الحبل (حمل المرأة)
والحرقة والحصاحص (الأرض الحجرية) — الحكة
والحراج — والخنان والدمل الخ .

ومن أعضاء الجسم : بمصوم (عظم بين
الابيتين) (المعجم الوسيط) جمجمة — أنف الأنف

(42) « نشر الثاني » ج 2 ص 97 « وسلوة الأنفاس » ج 1 ص 74 نقل عن كتاب لعلي بن ميمون
الفاشي .

(43) كتاب الطب العربي لوكليز (ج 2 ص 258) .

(44) ليفي بروفنصال Lévy-Provençal (هسبريس Hesperis عام 1952 ص 3) ولوكليز « الطب
العربي » (ج 1 ص 575) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليليش المعروف بعلي العباسي والدكتور
رينو Renaud (الطب القديم بالمغرب ص 77) مدينة فاس بأنها أئنة إفريقيا أي شبيهة بعاصمة
الفكر اليوناني بأوربا .

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول علل وطرق علاج «الطاعون الاسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثامنة .

وأبرز من ظهر من الاطباء انما عاشوا في اوائل عهد المرينيين امثال ابي العباس الشريفي السلوي الذي ترقى الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الخواص الطبية والكليات في الاغذية والبيطرة ومن ركوب الخيل وتدبير الحروب (48) .

اما في القرن الثامن فان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل احمد ابن علي المياني المراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الضلعة والعمق عند النبطى مثلا الى اوائل القرن السابع حيث كان الى جانب اختصاصه في علم النبات اماما في الحديث حافظا نابتا .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتى الحديث والنبات اذ موادهما - كما يقول ابن الخطيب في الاحاطة - الرحلة والتقييد وتصحيح الاصول » ، وقد شملت المشاركة جوانب شتى عديدة من العلوم والتقنيات اهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب اساتذة النهضة الاوربية في الحساب (50) وقد مند سيديو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشورا الى ما ابدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة للدائرة Tangentes في الحسابات ، والاستعاضة عن الاساليب المعقدة بحلول مبسطة أصبحت اساسا في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم ثال Charles انه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ،

وتأكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بان الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2° Degré وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن ابراهيم (52) ولعل لفظي الخوريتم واللوفريرت مشتقتان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المأمون العباسي. ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية ، وقد ابدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اي المغرب الكبير والانفلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي نظير ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوفريرت ، واشتهر في الانفلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السبينة وابو القاسم اصبح بن السمع (له تاليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس ، وكتاب كبيسر في الهندسة) وابو القاسم ابن الصغار وابو الحسن الزهراوي (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وابو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برفوث (اختصاصي في العلوم الرياضية) وتلميذه ابو الحسن مختار الرمياني (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وهبده الله بن احمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وابو هي القرطبي

(45) ورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقياته » المتعلق بالرباط ونهايته (ص 32 و 225) ان « المدرسة البوعنانية » المنسوبة الى ابي عنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » ونسب ذلك الى « الاستقما » الذي لم يشر اليه عند تعرضه للمدرسة (ج 2 ص 151) .

(46) الطب القديم بالمغرب - رينو - ص 47 .

(47) توفى بالفيوم عام 641 هـ (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 351) .

(48) توفى عام 646 (الاعلام ج 3 ص 145) .

(49) جذوة الاتباس ص 73 .

(50) كويي Gautier في كتابه « عادات المسلمين واهرامهم » ص 238 .

(51) تاريخ الطب العربي - لوكليز ج 1 ص 320 .

(52) « حاضر العالم الاسلامي » (ج 1 ص 151)

وأبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من
أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و
« الخسة » بصحن القرويين عام 599 هـ (58) .

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، ففي
عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى ضفة وادي فاس
« ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » فوقف على
المدينة البيضاء (فاس الجديد) وشرع في حفر
أساسها (59) .

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن
البناء في الحساب (60) .

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة
بفاس أخذ عنه ابن البناء الحساب والتعالم (61) .

ومحمد بن علي المعروف بالشريف أستاذ ابن
البناء المراكشي الذي كان يذاكره مسائل من كتاب
الأركان لاتلديس (62) .

(بصير بالهندسة ، رحل إلى مصر عام 442 هـ) وأبو
الوثابي الطليطي (الهندسة) (النسخ ج 2 ص 874)
ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات
بالمغرب الأقصى في مختلف العصور : أبو بكر بن
الصايغ المعروف بابن باجة Avempace له تعاليف في
الهندسة (53) .

والحاج يعيش الذي صنع لعبد المؤمن ابن علي
مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من
الف رجل وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها
لخروجه وتنخفض لدخوله (54) .

والمهندس عبيد الله بن يونس الأندلسي الذي
استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة
هندسية (55) .

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان
القناضي الذي كان عالما بالهندسة وسائر التعالم (56)

وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين
الناسي وهو بربري توفي بمراكش عام 600 أو
أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر
والمقابلة بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والإسكوريال
والقاهرة (57) .

53) توفي بفاس (« هيون الانباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ص 63) وكانت ولماة عام 533 هـ
(الاعلام للمعبس بن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6) .

54) فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد ربع البسط من موضع المقصورة
تنتقل الأضلاع في زمان واحد ولا يفوت بعضها بعضا بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدودا فإذا قام
الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسبح لها حس ولا
يرى ، وذكر القري في النسخ ان آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ .

55) نزعة المشتاق للأدريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول أفريقيا والأندلس .

56) انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ستمائة (الجذوة لابن القاضي ص 72) .

57) ومن شرح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المصدري المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط
بأكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » (مخطوط
بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى
« اللعة الماردينية في شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطنبول) وله أرجوزة في أعمال
الجذور توجد بخزانة الإسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942
(السنة الأولى - عدد 1) ومن شرح الأرجوزة سعيد المقباني التلمساني الملقب بزئيس المتقلاء
(نيل الإبتهاج ص 106) .

58) (الجذوة بين 37 و 57) .

59) (السلوة ج 3 ص 145) .

60) (الجذوة ص 76) .

61) (الجذوة ص 346) .

62) توفي عام 682 هـ (الاعلام ج 3 ص 192) .

في الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن
الثامن) (69) .

ومحمد الشريف التلمساني من علماء الحساب
والهندسة والهيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب اذا
الف تأليفا بمثله اليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (70)
وجمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس
المتوفى عام 872 هـ (71) .

ومحمد التوري حائظ فاس الحيسوبي الطبيب
المتوفى عام 872 هـ (72) .

وامير المؤمنين في الفرائض والحساب ابراهيم
المصودي ، توفى بفاس عام 912 أو 913 هـ (73) .

واحمد الغزالي الفاسي كان استاذاً مرضياً
حيسوبياً له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (74) .

ومحمد بن تاسم بن توزت التلمساني « استخدم
مقله في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية
القرن التاسع الهجري (75) .

وابو العباس بن البنا العددي المراكشي له
« التلخيص » في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار
في الفلاحة (63) .

وابو جعفر بن صفوان الامام في الحساب وهو
تلميذ ابن البنا (64) .

وعلي اليفرنى المكتاسي الشهير بالطنجي امام في
الفرائض والحساب في وقته توفى عام 734 هـ (65)

ومهد الله بن محمد بن احمد التلمساني ولد سنة
748 ترا الهندسة بكتاب اقليدس على والده بفاس (66)

وعلي بن احمد التلمساني موقت التروييين أيام
أبي عنان المريني صنع « المنجاة » المقابلة للمدرسة
العنانية عام 758 هـ (67) .

وعبد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البنا في العلوم
التعليمية توفي عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ (68)
واحد الاوسى المراكشي المعروف بابن الشماع امام

(63) توفى عام 221 هـ على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص 42) كان يقصد شيخه عبد الرحمن
الهميري فيما اشكل عليه من مسائل الهندسة (137) وله أيضا جزء في « المساحات » (الجذوة
ص 77) .

ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » (القسم الاول ص 5) أن له كتابا في الجبر والمقابلة سماه
« الاصول » وكذلك « رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب » زيادة على « تلخيص أعمال الحساب »
وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام أن كتاب « الجبر والمقابلة » موجود في المكتبة الخديوية (ج 1
ص 379) ومن شرح تلخيص ابن البناء احمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ
المعروف بابن الجدي ومن اختصره وسماه « بالحواوي ابو شهاب القراني المعروف بابن الهائم
المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن فازي المكتاسي وابن القاضي صاحب « الجذوة » (ص 384) ومن
شرح التلخيص ابو العباس بن قنفذ في كتاب سماه « حظ النقب عن وجوه الحساب » ولابن قنفذ هذا
« بغية الفرائض من الحساب والفرائض » (الاعلام ج 2 ص 17) .

(64) (الاعلام ج 2 ص 2) .

(65) (الدرر ص 441) وهو بن عبد الرحمان بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192) .

(66) (نيل الابتهاج ص 127) .

(67) (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31) .

(68) السلوة ج 1 ص 304 .

(69) الاعلام ج 2 ص 10 .

(70) نيل الابتهاج ص 258 و 264 .

(71) له « غاية الانتفاع بالبخش الذي في طرف توس الانتفاع » طبع حجر ، فاس .

(72) السلوة ج 2 ص 116 .

(73) درة الحجال (ص 107) (وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوي تقيه كفو من

السودان (الدرر ص 111)

(74) درة الحجال ص 91 .

(75) نيل الابتهاج ص 340 .

ومحمد بن هلال « امام التعاليم في سبئة وشارح
المجسطي في الهيئة » مات عام 949 هـ (76) .

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من
اساتذة الرية رحل الى سبئة ونظم رجزا في علم
الجبر والمقابلة ، توفي عام 989 (77) .

اما في عصر السعديين فلم ينبغ من الاطباء
والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى
عدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب
ذهاب الكسوف (78) وعبد الرحمن سقين الفاسي
المحدث الاديب الذي كان يدرس الفية ابن سينا (79) .
وابو القاسم الوزير الفسائي صاحب شرح حميات ابن
عزرون « و » وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب
والعقار « (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس
المغربية العليا (81) دراسة حول « حديقة الازهار » ذكر
فيها ان هذا الكتاب « يمتاز بمنهاجه الواضح جسدا في
الوصف النباتي الذي يتسم غالبا بطابع من الاصاله
والطرافه ، وتلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت
الاعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا
بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس ،
فهي اذن محاولة مبيدة لترتيب ثلاثي يدخل منسرا
جديدا في وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية » .

ومن اطباء هذا العصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في
الادب والاصلين والطب والتفسير والحديث والنحو
وولي القضاء بفاس (توفي عام 961 هـ) .

وطبيب المنصور ابو عبد الله محمد الطيب (82) .
ومحمد الاندلسي الذي كان مولعا بالكيمياء
والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (83) .

وداود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب
الماهر (84) .

واحمد بن عبد الحميد المعروف بالمرید المراكشي
الذي كان اماما في جميع الفنون حكيم ماهر في
الطب (85) .

وعبد الرحمن الفاسي الذي انفرد بتحقيق تعاليم
وتحدث في كتابه « الاتنوم في مبادئ العلوم » عن الطب
وعمليات التشريح وفنون العلاج وعن البيطرة وعلم
الزردية اي طب الحيوان وعن الصيدلة وهو علم
الاقرباين وآخر هؤلاء الاطباء احمد بن محمد بن
حمدون بن الحاج الذي ساقه رينو كانبودج اخير
للطبيب العالم ، له كتاب « الدرر الطبية » في الطب
والطبائع والهواء والاغذية والاشربة والامراض وطرق
علاجها والادوية مع تقسيم فني جديد لهذه الادوية .

والسلطان احمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في
المنطق والحساب والهيئة والهندسة (86) .

واحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم
من حساب وهيئة (87) .

واحمد بن القاضي الكناسي المؤرخ له (غنية
الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض)
(مفتوحة) و « المدخل » في الهندسة ، ونظم تلخيص
ابن البنا (نشر الثاني ج 1 ص 129) وظهرت في

(76) الاعلام ج 3 ص 263 .

(77) درة الحجال ص 176 .

(78) اقتبس فصول طب العميون من الكحال المشرقي علي بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .

(79) توفي عام 956 (نيل الابتهاج ص 153) .

(80) الفه للسلطان المنصور السعدي عام 994 (نشر الثاني ج 2 ص 125) .

(81) ج 18 ص 195 .

(82) « نزهة الحادي » طبعة هوداس ص 146 .

(83) قتل عام 980 هـ (الاعلام ج 4 ص 318) .

(84) لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 (درة الحجال ص 143) .

(85) توفي عام 1048 (الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 114) .

(86) نشر الثاني ج 1 ص 77 . فهم كتاب افليدس من غير شيخ لعمرة وجوده بالمغرب مكان يك شكلا في

كل يوم (درة الحجال ص 51) وتفضل ايضا في الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226) .

(87) توفي بمراكش عام 1022 هـ (الاعلام ج 2 ص 82) .

غير أن هذه « العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سميتها العلمية فأصبحت مجرد (حرف) تقنية سميت اختصاصيين في الحساب والهندسة والمساحات » (96) وبما يدل على عمق الصبغة وما لاحظته الحسن الوزان من أن العقائريين بناس لم يكونوا قادرين على ترتيب الأشربة والأدهان طبقاً لوصفات الأطباء فكانوا يجتمعون كلهم لاعدادها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها وهي ظاهرة ان كانت تنم عن انخفاض في المستوى العلمي فانها تدل مع ذلك على امانة واخلاص للمهنة . وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فان الروح العلمية ظلت تكفي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تسميات أبي علي اليوسي للعلوم : الى فلسفة وملية ، وتحديدده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الاشياء بقدر الطاقة » واتسه — كما يقول — اما نظري واما عملي، والاول اما مجرد عن المادة مطلقا وهو العلم الالهي ، او في الذهن فقط وهو العلم الرياضي، او مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي. والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، ويسمى سياسة النفس وعلم الاخلاق ، او بها وبما يحتاج اليه من شهوات توأما وهو علم تدبير المنزل ، او بها بعم وهو الملكية والسلطنة ..

وتد أصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلويين في عمليات تطبيقية منها ما سنه :

محمد السنوي مريو الاندلسي المنجم الحيسوبي الذي وضع مؤلفات في « تقدير قرض النفقات » بعمل

وقته الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي اوحده مصره في علم الحساب والتنجيم والجداول ، له « البرق الوامض في الحساب والفرائض » (89) .

واحمد القلصادي موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادي (90) .

ويعتوب البستاني امام الفرائض والحساب (91) واحمد التتليتي المعارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة ، وهو شيخ « جماعة الفنون » المذكورة بمراكش ، وهو معاصر لمؤلف درة الحجال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب المنع في التوقيت (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني ، كان يتقن فنون الرياضة وأقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تنافس الناس في ابتناء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (95) .

(88) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 . (تولى عام 1025 هـ) .

(89) توفى قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287) .

(90) توفى عام 1063 (نشر الثاني للقادري ص 207) أما علي بن محمد القلصادي (810 — 891 هـ) فاصطنع بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له « شرح الأرجوزة الياسينية في الجبر والمقابلة » و « قانون الحساب » و « كشف الأسرار في الجبر » (الاعلام للزركلي ج 5 ص 163) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحومي والغنية في الفرائض ، أخذ بمصر من ابن حجر كما في رحلته (النفع ج 2 ص 684) . وقد طبع كتابه « كشف الأسرار من علم حروف الفجار » مرارا بحجر فاس .

(91) كان يترؤها في الهواء ماذا أراد عاملها يصورها في اللوح ضربه بالتضبيب على يده (الجذوة ص 350) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالمغرب في ذلك العصر .

(92) الدرّة 92 .

(93) توفى عام 1809 م (نشر الثاني ج 2 ص 37)

(94) توفى عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الأثر) .

(95) نشر الثاني ص 87 .

(96) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 .

الرموز والأرقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم(97)
والأستاذ المطي مريو له مؤلفات في التوثيق ،
منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماه « كنز
الأسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورموده ،
وابتكرات أخرى في علم « المزاوئ الرخامية » وغير
ذلك (98) .

وأحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالأحكام
النجومية والأزياج والهندسة والجدول (99) .

وأحمد حدو الهنتيفي الأستاذ في الحساب
والرمد والأسماء (100) .

ومحمد متجنوش أستاذ انفراد في علم الحساب
والتنجيم (101) .

وعبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي
الحيسوبي (102) .

ومحمد بن الرئيس بن الحسن على التركي
الضليح في الهندسة والرياضة . ومن أوضاعه في هذه
مثال سماه « الشكل الكوري » شامل لسائر الزوايا
والخطوط وأشكال الهندسة مما تشمله أصول اقليدس
وتهذيب الطوسي (103) .

وأحمد بن عبد الله الثنائي المعروف بالصويري ،
كان عازما بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية
وعلم الهيئة ، له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر
والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية طبقتها
في الرياضيات ، وكان عينه السلطان سيدي محمد بن

عبد الرحمان « رئيس المهندسين » وعينه مولاي
الحسن « رئيس قواد الطبية » (أي المدفعية في
العامة المغربية) وخبينة وزير الحرب (104)

وهناك رياضيون ومهندسون آخرون تجلس
قيمته العلمية فيما صنوه من كتب وأبحاث تكلفت
المطبعة الحجرية في فاس بطبعها عندما أنشأها
السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105) .

وقد أندرس التعليم الرسمي للطب والمعلوم
بجامعة القرويين رغم ما أشار اليه دلفان (106) من
استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للـرازوي
« والقانون » لابن سينا « وزبدة الطب » للجرجاني
« والتذكرة » للسويدي « وتذكرة الانطاكي » وكليات
ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز
للجزائري ومع ذلك ظل الأطباء يجرون بمهارة بمضى
الممارسات التشريحية الصغرى (107) .

وقد بدأ المغرب منذ المعهد السمدي يستدعي
« خبراء فنيين » معدودين كاطبيب الفرنسي كيوم
بيرار (Guillaume Berard) الذي كانت له ثمانية
متواضعة (108) . وهوبير (Hubert) أستاذ العربية
بجامعة باريس (109) والاطبيب الانجليزي لمبريبر
والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد
الرحمن رخصة لممارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك
علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم
الجالية الاسرائيلية ، أو من كان يولد في الاجزاء
الاحتلة من المغرب أمثال الطيب النباتي الاسباني
السبتي كريستوف دا كوستا . وشعر المغرب

97 تولى عام 1207 (ج 1 ص 136 - الاغتباط) لأبي جندار .

98 تولى عام 1223 (ج 2 ص 116 - الاغتباط)

99 مات عام 1250 هـ (الأعلام ج 7 ص 214) .

100 وكان يحسن نحواً من ثمانية عشر ملها تولى عام 1285 هـ (السلوة ج 3 ص 82) .

101 توفي عام 1290 - و عمره 31 سنة (ج 1 ص 212) .

102 سافر الى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 - الاغتباط) .

103 الاغتباط لأبي جندار (ج 2 ص 192)

104 الأعلام (ج 2 ص 267) .

105 راجع مطبوعات المغرب للأستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة (

106 في كتابه « فاس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin

107 رينو - ص 128 (راجع في كتابنا « الطب والأطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترمين في

هذا المجال ص 72 - 80)

108 رينو - « نشرة معهد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .

109 كودار - تاريخ المغرب ص 399 و ص 490 « المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16 .

اغلاط سلته ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد اطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ، ويأتي أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والأمرنجية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالصميد والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والعقاقير والأدوية ، ويحكي عن تجارب شيوخه في قصر العيني وأسماه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالتصمر العيني خلال ترامته على الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (ص72)

وقد نقل من نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80) والوزير الفساني صاحب الحديقة وعبد الرحمن الفاسي وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلي العجلاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشددي الذي عاش أول القرن الماضي وابن الحشاء صاحب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواتمة في الكتاب المنصوري (108) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي مصحة صغيرة بفاس قبل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، ورسالة العلمي هذه مشهونة بالإصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العملية التي كانت تجري بالقصر العيني وأنواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح الهيكلي والمفصلي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطبيعي والكيمياء الطبية والأقربالين (الصيدلة) وطب الرمد والأمراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن وأمراض النساء والأطفال (في أسبطلية أمراض النساء بمصر) .

ويمطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة عن الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الأسماء والنباتات باللسان البربري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي والعسكري الذي بدأ المغرب يخوضه منذ بداية هذا القرن أن التعليم العربي أصبح يسير رويدا نحو التقلص إلى أن انحصر في جامعة القرويين ورواندها المحدودة التي بعد مهدها بالعلوم . وازدادت اللغة العربية إبان الحماية تقلصا عندما اتخذ الاستعمار اللغة الفرنسية أداة وحيدة للتلقين في المدارس وقام « التعليم الحر » المغرب برد فعل عنيف

بتساؤل الاختصاصيين فأسس مدرسة للفنون بفاس الجديد « ومدرسة مركزية للدلمية » بالجديدة (110) تخرجت منها فئات من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في إنجلترا وأسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من اثني عشر طالبا دراستها في جامعة مونتبيلييه (Montpellier) بفرنسا خلال سنوات (1885 - 1888) درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والهيئة والرياضيات والكيمياء والتلغراف والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ومسح الأراضي ولبن تحرير التصميمات الهندسية بالإضافة إلى التمارين العسكرية وبناء الخنادق وأجهزة الدفاع وصنع آلات الحصار ، وحذق هؤلاء الطلبة فأصبحوا يحررون المذكرات ويتأهبون للاضطلاع برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيه فوج جديد لاستكمال الأطر المغربية تدريجيا في مدينة فرساي (Versailles) ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، حيث تولى الحسن الأول بعد سنوات ودخل المغرب في حضم من الدسائس الدولية عرقلت توثبه للانبعاث ، ووجه الحسن الأول كذلك إلى أوروبا طلبة لدراسة الطب تابع ستة منهم تمارين بالمستشفى الإسباني بطنجة في ميدان الفحص والتفصيد والتشريح وعين ثلاثة من خريجيها أطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكش ، أما مصر فإنه لم يتوجه إليها عدا الأستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكانها كانت النواة الأولى أراد السلطان الحسن الأول أن يستكنه بها قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي غير أن هذه البعثة لم تجدد كمثيلاتها في أوروبا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب أمام كثيرا من الروح الجديدة التي تتمصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صنف بعد عودته كتابا سماه « ضياء النبراس » في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (111) ذكر فيه شيوخه في « الإسبطلية الكبرى » بالقصر العيني الذي أسس عام 1827 م بأمر من الخديوي محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظري نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححا في بعض الأحيان

(110) الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367 .

(111) طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1318 .

تعريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعا للغة الخبراء الفنيين الذين يتل عددهم نسبيا بفضل حركة التعريب (112) على أن هذه المغربية لا تواكب حركة التعريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغاربة أجنبية في تحرير النصوص والخطابات والمناسير وكذلك التخاطب في المحاضرات والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التعريب جميع المحاكم) ولعل المشكل واحد في مجموع أطر المغرب العربي - عدا ليبيا - نظرا لما نتج عن تعميم التعليم (أزيد من مليون طفل اليوم بالمغرب بدلا من ربع مليون قبل الاستقلال) من هلهلة في تكوين الأطر وضعف في المستوى والظاهرة المغربية هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضائل طلبتها لكون ازدواجية اللغة ما زالت مقياسا لتقييم الاهليات في مختلف مجالات الحياة ، ولم تكد ثمر أربع سنوات على الاستقلال حتى شعر جلالة المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي العروبة خاصة في حقل المصطلح « العلمي والتقني » فدعا عام 1960 الى عقد « مؤتمر للتعريب » أنبثق عنه في إطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدمج حركة التعريب في الجناح الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة معاجم في العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاخرة بأحدث ما أصدره الشرق من مصنفات في مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميما مشاريا غايتيه الأساسية استكمال الاداة العلمية والتقنية في امد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرارها تعزيزا لصراع ثقافي تخوضه لغة الضاد كلفة عمل في كثير من المحافل الدولية ، وقد اندرج هذا العمل التنسيقي ضمن مشاريع تسهم فيها المجامع والمجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيئات الثقافية في مختلف المواسم العربية ومآت الاختصاصيين الذين يرأسلون المكتب الدائم من جميع انحاء العالم العربي .

تعريب تدریس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت انواع من الطلبة لاستكمال دروسهم في الشرق، وكانت الحماية الاسبانية في هذه المنطقة اقل مضايقة للمواطنين فنكاثرت عدد المتخرجين من الشرق المغربي وشجع الباب المتوح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية في المعاهد المصرية على عكس ما ابتدءه الفرنسيون في منطقة نفوذهم بالجنوب من اساليب المكر والدسائس للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل « التعليم الحر المغرب » رسالته الخالدة محافظا على كيان اللغة بالرغم من « تفريس » اقلية المتقنين وازدواجية ثقافة الاقلية الضئيلة من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الاسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار . وكان التعليم المغرب يستورد خفية من الشرق - وخاصة من مصر - جملة من المصنفات معظمها في الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كثيفا بين لغة عربية علمية تتطور في الشرق وتواكب النهضة الجديدة وبين عربية تص جناحها في المغرب الامتص لا كلفة علمية بل كجهد لغة ، وقد تامت الصحابة العربية بدور هام في تجديد الصلة بين الشرق والمغرب متبعة بالبحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة في الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشتراكية والنزعات الادبية والفنية المستخرقة مقتبسة في ذلك ما راج في الشرق العربي من تعابير ومفردات وطلق المغرب بعد استقلاله في عام 1956 . يتطور ببطء نظرا لتراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فرسم التخطيطات في شتى الميادين الحضارية وضاعف حصص اللغة العربية فاكتمل الآن تعريب السلك الابتدائي وان كانت قلة الأطر المغربية الصالحة تهدد بتحجر هذه الحركة، وظل الثانوي في طوره يلقن العلوم بالفرنسية عدا التعليم الحر والاصلى اي الاسلامي الذي هو من روافد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة (الشريعة بفاس ، واصول الدين بتطوان ، واللغة العربية بمراكش) كما ظل اقبال المغاربة ملحوظا في مدارس البعثة الفرنسية التي بدأت منذ يناير من سنة (1969) تلقسن العربية لتلاميذها . وقد تزايدت حصة اللغة العربية في معظم الاسلاك بينما احدثت اتسام مغربية في كليتي الآداب والحقوق والدرسة العليا للاساتذة مع بقاء الكليات التقنية ككلية العلوم ومدرسة المهندسين ومعاهد الفلاحة والاكاديمية العسكرية في معزل عن أي

112) ما عدا تسما يسيرا تعمل وزارة الوظيفة العمومية على تعريبه بدروس خاصة تنظمها للموظفين .

وقد بدأ هذا الكناح يؤتي اكله بانواع النخب المغربية - القليلة الصلة بالثقافة المغربية - بفعالية لغتنا القومية في مجال الحضارة والعلم كاداة طيعة للتخاطب في الحقل الدولي ، ولكن هذا الانتعاش لن يتم

هذا وان مواكبة حضارة العصر الحديث لن تكتمل
بالنسبة الينا معاصر العرب الا اذا توازت فيها ذاتينا
العربية مع انسانيتنا الحضارية ، والمقوم الجوهري
لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت — كما يتول
ماسنيون Massignon اداة خالصة لنقل بدالع
الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للسلام في
مستقبل الامم والشعوب « .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التسي
اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثار لغزو ثقافي
بسبب ما تزج به مخابر الكشوف في الاسواق الدولية
من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في
كل يوم



تدريس العربية كلغة مية في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور ساجي عياد - الدكتور نجيب جبريس
الولايات المتحدة

مع الناس في أحداث كل يوم العادية . وهناك من يومن بتعليم الفصحى اولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يومنون بأنه اذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يتمكن التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي في تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتي اولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم . وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر هؤلاء العلماء لابد ان يكون عمليا ويتفق مع الواقع اللغوي العربي وفي نفس الوقت مع نظريات علم اللغويات الحديثة . معنى هذا انه اذا وافقنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلا بد من البدء باللغة العامية . ولكن اية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية اصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها العريقة تد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية وأصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فهناك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة السعيدية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها - بدون شكل - تسمح بنطق كلمة واحدة في عدة اوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا (ك ت ب) يمكن نطقها بأشكال مختلفة .

اتدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يمتد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم

لناخذ تعلم الانجليزية كمثل لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي انجلترا ايضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة اسباب . اولاً : انها لغة مهذبة للحديث . وثانياً ان لها أهمية خاصة في التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومة تماماً في جميع البلاد العربية . وشكراً لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو واللام سينمائية التي تربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية في اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . غاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديداً واضحاً . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفية معينة . ولكي يكون استخدام العربية عملاً يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متيقظين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلافتها على مر الايام والاجيال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولاً : العربية الفصحى او لغة القرآن الكريم .

ثانياً : العربية الحديثة وهي تشمل ما تقراه في الصحف اليومية والمجلات والاذاعة . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تأكيد الكتابة الرسمية رغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلاً ، والامثال العامية ، والقصص الخرافية .

ثالثاً : العربية الخاصة بالحوار او التحدث اليومي وهي تمثل اللهجة المهذبة التي تحدثت عنها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب فيسر المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى (عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم او الحديث الشريف او اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « أهلاً وسهلاً » . الخ) .

ولسنا في حاجة الى تأكيد الحقيقة وهي ان هذا التقسيم لا يعني مطلقاً ان كل قسم منفصل تماماً عن الآخر . لهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الرأي — وهو رأيي انا ايضا ان « اللهجة المهذبة » تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى بمثل حرف « القاف » يتردد كثيراً في لغة الحديث خصوصاً عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » هذه اللهجة المهذبة تحتوي

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم في العالم . ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور الثورة العربية فقد ظهر في الافق العربي يقظة ورغبة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية . شكراً للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . اما الفروق اللهجية فلم تعترض قط طريق الوحدة الثقافية . وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه باللغة المهذبة او لغة المتكلمين خصوصاً تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهمها الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم في ان الطالب الاجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى احد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه ان يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وناس . ولكننا نعلم ان القاهرة بالذات تتمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجتها « المهذبة » او لهجة المتعلمين فيها تعتبر مهمة جداً بالنسبة للطالب الامريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع أكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرياطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يداع بواسطتها بعض البرامج الازامية

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع أيضا من تروى
تواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن
بسهولة تمييزها عن الفصحى من طريق الكلمات
الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون »
او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامة يمكن تمييزها عن الفصحى بما
يحدث من تغيير في بعض الاصوات لمثلا نقول « كتب »
بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد » ولدا -
ولد .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد - الولد -
الولد ، يفتح بدلا من يفتح (باللهجة المهذبة القاهرية
مثلا) .

وايضا تغيير صوتي في بعض الحروف مثل (ت)
بدلا من (ث) فنقول مرة « ثانية » ، وعشرين ثانية ،
(داب) بدلا من (ذاب) و (ازا) بدلا من (اذا) .

ثم ايضا نلاحظ التنخيم : / مرد / و / فرض /

والاساس الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة
اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من
الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز
الصوتية فقط في المرحلة الاولى حتى يمكن للطالب ان
يتقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق
ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs
مثل : (دم) ، (ضم) لتوضيح التنخيم .

(كلب) / (قلب) لتوضيح اهمية نطق احرف
معينة في معنى الكلمة .

(س) / (ساد) لتوضيح اهمية الاصوات
الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف
واحد فقط لان الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة
على تمييز الاختلاف في الاصوات يأتي قبل اعادة انتاجها .
وبمجرد ان يتمكن الطالب الاجنبي من ترديد النماذج
الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة ان ينتقل الى الكتابة
ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون
العربية الفصحى في اول سنة ابتدائية ردوا كلمات

وامعلا مشهورة مثل (قتل) ، (ضرب) ، اما في
اللاتينية مثلا نعلمنا « حب » وما شابهها . وليس
المشكلة في الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم
يكن هناك اهتمام بفكرة « التدرج » في تقديم « الاصوات »
وتركيب الجملة او مميزات تركيبية خاصة
Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى
العرب في تعليم العربية واصبح الاهتمام منصبا على
المفردات والتواعد الصماء .

وفي السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة
العربية في الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس
العربية تد الفوا كتبنا خاصة لتعليم العربية للمبتدئين
ووصلوا في تفكيرهم الى اعمال كل المستويات اللغوية
والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم « العربية الحديثة »
Modern Standard Arabic وهذا الاسلوب يبدو انهم
قد فشلوا في تقديم العربية كلفة حية لها مستوياتها
الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو
التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل
للطالب ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة »
عندما يستمع الى حديث او اغنية عربية بالاذاعة او
خطبة عامة او ادب شعبي . اضف الى
ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة في حواراته
يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى في
المرحلة الاولى من تعليم العربية في نطاق الاساليب
الآتية :

اولا : ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدرج
على اساس البساطة في التركيب ، التكرار ،
والقيمة العلمية . وبناء على ذلك فمن الناحية
الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل
لغة الطالب الاجنبي اولا (محروف الغاف والمين
والحاء والفاء والظن توجل الى مترة مقبلة)
ومن الناحية الاربابية والصرفية فالجمل الاسمية
تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل انا من ليبيا ،
الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر
الهامة فقط مثل : انت ، انت ، انتم .

ثانيا : يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة
والحضارة العربية وان تبرز الهام منها . كالحج
وشهر رمضان المبارك والمائلة العربية وخلافه
بدلا من « اين الفيل يا خليل » او « مقعد مجلس
الوزراء جلسة خطيرة » .

ثالثا : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحفارة يتحقق غرضان مهمان : الأول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدأ بالشمور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبتة في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمرة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة . وكلنا نعلم ان اول اتصال في تعلم لغة اجنبية له أهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة .

نعم فهناك في بعض الاحيان مرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل (بالزاف) و (كثير) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهذبة والفصحى — كالمثلة التي سبق الاشارة اليها . هذا هو القاسم المشترك الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث القواعد فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتق منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم بدلا من سؤال الطالب اهراب ما ياتي : او استخراج اسم المفعول من كل فاعل — نقدم

تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات اصول التعلم وعلم اللغويات . فتمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي « تثبتت » ما يتعلمه الطالب .
مثلا : هو من القاهرة

هي

انا

انت

بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبمثر في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لحدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها التقايبية المختلفة .

أبحاث مختلفة

- العلوم الطبيعية في القرآن
للشيخ طه الولي
- الامداد العلمي في الوطن العربي
المؤتمر الثقافي العربي الثامن
- التانيث في العربية
للاستاذ عبد الحق فاضل
- علم الأصوات الحيوانية عند العرب
للاستاذ عبد الهادي الفضيلي
- ملاحظات حول النقد الادبي
للككتور محمد رجب البيومي
- الحضارة الاسلامية بين الماضي .. والمستقبل
للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح
- نقد الكتب
للككتور ممدوح حقي
- الموسيقى لغة السروح
للاستاذ ابراهيم الدرويش المصري

العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الويلبي «بيروت»

الاسترسال ، من شأنه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان نأخذ به نفسنا الآن ، وهو الموضوع الذي أردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي تصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحتة ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي تتعلقت بها ، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتهما الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه ، لا بد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط اغراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من آراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديدا في بابيه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي ، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاكتراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عدها من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاكتراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ايدي الناس الان كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدتهني امام محاولة جريئة لدواسة القرآن الكريم بأسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التنافس المزعوم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات العقيدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطرت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مألوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب متفاوتة من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين الفلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الان ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي ارسى قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداه الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بغافلة من الالجاب العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا

ففي أواسط العقد الثالث من النصف الأول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن أحد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الأفكار الإنسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، أو يفوس بهذا القلم ، الى داخل أحشاء الأرض باحثاً في هذه الأحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس أن الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، أحاط به كتاب الله في كلامه الأزلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوي جوهرى ، الذي كان استاذاً في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد أخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهرى وملكت عليه أحاسيسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الإلهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فأطلق قلمه صبر كتابه ببناء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا أمة الإسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرما من علم الرياضيات ، فما يالكم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الإسلام .. هذا زمان رقيه . باليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكني ، أقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، أنك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض ، لأنه فرض كفاية ، أما هذه ، فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. أن هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي أففلها الجهلاء المعزرون من صفاء الفقهاء في الإسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلاً في حماسته واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتفاعه ، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتسبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الأرض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه باسنانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والمعاجيب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكره ، من البيان الذي أكد الله انه يظهره لامة الإسلام»

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهرى قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بمرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الإسلام عشرات الالوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل او شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات ، لنتم به لترقي الاممة » .

واذا نحن أتينا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الزراعة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الارض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	
	64 آية

وجريا على العادة التي يتبناها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مكتسبة من القرآن » .

« وقول ريتونورت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مكتسبة من القرآن . فجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندرى اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دالما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدق القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

لطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقائله ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تعوزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء عن افلاطون في فلسفته او بما رده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في آرائه فانه لا يتورع عن الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمده الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى يتكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدركان القرآن الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبرى انه يورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »

ومثما فعل الشيخ طنطاوي جوهرى حين احصى في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الايات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الايات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا اكثر من عشر الايات القرآنية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الذرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النسبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناخيات	20 آية
الماليات	14 آية
الرياضيات	57 آية

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا
الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم
واخطر مواضع العلم الحديث وهي الذرة والفضاء
والنسبية في الباطني لنفي التنافس بين العلم والدين» .

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسه
لابتات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين
معاني الايات القرآنية، لم ينس ان يشير الى آخرين من
العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى
انطباق وتوافق هذه الايات او بعضها مع مواضيع العلم
الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد
محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهرى (السدي
تناولناه في حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور
احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة
التحديات المصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن
المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القراءن الكريم
فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه
المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها
الله في هذه الايات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع
القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية
وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية
التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع
في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي
هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله
بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبتته اليوم وهكذا تبعا
لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في
طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها
الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه
الحياة .

وان من يعنى قراءة المقدمة التي استهل بها
الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بان الكاتب
الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القراءن
الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير
واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم
والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل
انه اختار من آثار الرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما
كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم
وجعله في مطلع كتابه وقال : « اهجبت بدقة وعمق
بعثه ورايت من الواجب ان انقل للقارئ بعض ما كتبه

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ
مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل
التنطع في جر آيات القراءن الكريم الى ساحة الابحاث
العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد
بما لا طائل منه لصالح القراءن واهدافه الدينية
والدينيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه
واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد
فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها
الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم
وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة
جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض
الافهام السقيمة التي اقلت على كاهل الدين الاسلامي
وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير عن
ادراك شأو الحضارة الغربية في مستواها العلمي
الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل
الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة
هي :

اولا : ان نثبت للمؤمنين والمتعصبين ضد طلب
العلوم الحديثة ، ان القراءن قد دعا وشدد في طلب
جميع العلوم (الدينية والطبيعية) بلا استثناء ، ولذلك
فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات
العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد
شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب
المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين
يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا
ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم
الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير
المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا
الدين قائم على العلم وان آيات القراءن وتعاليمه
تتسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث
في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة
وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة
ولنؤكد ان العلم الذي دعا القراءن الى طلبه ، والذي
اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشريعة
فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان
تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل
على ما نقول :

هذا المفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير السدي اعاليه .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على اقتناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم يعلوا في شنائهم للنبي ورسالته الى حد اتهامها بانها ضد العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقتناع قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ، لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفر على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين يحمان مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية والسنة المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين الاسلامي يكشف انهم بدلو اصعاف امكاناتهم في سبيل هذه الغاية الشريفة وفتحوا عشرات الكتب بهذا الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتباً في خواص العلم التجريبية زائداً على تاليف كتب تحاول عرض النصوص والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا الصدد بأنه لا يوجد كتاب في طول الأرض وعرضها من بداية التاريخ حتى اليوم ، خدسه أهله من العلماء مثلما خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات تكاد تنوء بأعمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى الكتاب الذي ألفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي صدر مؤخراً وأعيدت طباعته مراراً ، من شأنه على ما نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بان أهل العلم الصحيح من شيوخ المسلمين لم يبخلوا في أداء واجبهم نحو

القرودان الكريم في العاض كما ان السلف الصالح من امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك في الماضي في القيام بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين هؤلاء وأولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارها موجة التحديات المصرية الوافدة علينا من آفاق العالم الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، وليس من مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ، او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، فالقرآن الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل الذي هو مبدا العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة باحكامه الفردية والاجتماعية وتعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعود لأؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث (اي العلوم الكونية) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ، شان الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ الصدر ما يزيده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان يأتي القرآن الكريم ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اي دين ، هي ان يأخذ البشر بالمبادئ التوجيهية التي ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما فيه انضباطهم وصلاحتهم في هذه الحياة الدنيا . وليس من مهمة الدين ، في قليل او كثير ، ان يتناول العناصر التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود المقدار الذي يضرب به المثل للمعزة والامتياز والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير التي يضمرها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في نطاق الروابط التي تحكم اوضاعهم وتشدهم الى العيش بعضهم مع بعض دون اي تناقض ولا اصطدام .

ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتتركوك قالما » فكانت تكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد اطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » حتى كلنا نوهجم قارئنا بأن الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنفخط هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجحد له فضله في الإنكباب على دراسة كتاب الله سورة سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا الكتاب الغد الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الغزيرة التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شباب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بمد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بأن هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين اضافوا لثرائنا القومي صفحة مشرفة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهل بمكانته العامية وان تفاخر بذهنه المتفتح أكثر الامم تقدا وابعدها شاوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

وإذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فاننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بان يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفائاته في علوم الذرة والفيزياء والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاحتراق قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية .

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرآن وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثاله غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين امثال الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره «اللمعان» يعني على من تآثروا في تفسيرهم بالتزعة العلمية المادية . وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر ان هذا العمل من شأنه ان يصرف الانسان عن القرآن وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقتة من المفسرين المعاصرين . فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما بورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كاهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهرى) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارىء مما انزل الله لاجله القرآن .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعة . فاننا لا نرى باسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يياسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المباشرة ، لذلك فورا اجل فان اسم هذه الشركة

الإعداد العلمي في الوطن العربي

أصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقد بالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر (كانون أول) 1969 توصيات في موضوع اعداد المعلمين في الوطن العربي جاء فيه :

« التوصية الأولى »

اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

شأن معرفة العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على التطور والاستيعاب والتعبير من العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تمثل ذلك في التجربة الرائدة التي نهضت بعينها الجامعة السورية خلال نصف قرن بالتدريس والتأليف في الكليات العلمية العملية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات العربية الأخرى الإسراع الى التعاون والدمج والمساندة.

ومع الاعتراف بالصعاب الحالية التي تمتعرض سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس وبحث علمي في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

- 1 - اعداد هيئة التدريس .
- 2 - ترجمة المصطلحات وتعميها وتوحيدها .
- 3 - استكمال النقص في المراجع والصادر العلمية .

وهي الصعاب التي أمكن التغلب عليها عملا في مراحل التعليم العام وفي كليات الحقوق وفي الدراسات الاجتماعية والنفسية ، التي أصبح التدريس فيها منذ زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية أمرا واقعا وحقيقة مخررة ، بعد ان كان التدريس فيها

لما كانت اللغة القومية لكل امة هي الوعاء الفكري للمواطن ، اذ انها اداة التفكير كما انها وسيلة التعبير. وتحققا للاهداف العلمية والتربوية لوضع المادة العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون هوائق لغوية خارجية تزيد من سموية المادة وتميل على الابطاء في استيعابها .

وايمانا بأن تأصيل العلم والتفكير العلمي لدى اية امة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراكا ان استعمال اللغة القومية في التدريس والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم وحاجات أمتهم ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من هجرتهم .

وتقريبا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة العربية وسعت في عصور ازدهارها جميع جوانب

بلغات أجنبية ، وكانت الافتراضات على تعريبها والصعاب أمام ذلك هي الاعتراضات والصعاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدريس والبحث العلميين .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناية باللغات الأجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الأخرى ووسيلة لمتابعة التطور العلمي في العالم.

فإن المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - المبادرة إلى استعمال اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكليات والمعاهد العلمية والتقنية في البلاد العربية ، على أن يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وأن يكون البدء بتنفيذه في السنة الأولى (الصف الأول) بظك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وأن ينص على أن يكون التنفيذ في السنوات (الصفوف) التالية متتابعاً عاماً بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 - إنشاء مركز لترجمة أمهات الكتب والمراجع اللازمة لتعريب التدريس في الكليات والمعاهد العلمية .

3 - إعادة تأسيس اتحاد الجامعات اللغوية العربية الذي سبق أن وافق مجلس جامعة الدول العربية على تأسيسه وعلى نظامه الأساسي ، وحث مجلس جامعة الدول العربية على أن يرصد له اعتماداً مالياً كافياً يمكنه من القيام برسائلته العلمية والقومية الجليلة في مجالي التعريب والترجمة العلمية . على أن يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجعماً لغوياً عربياً مركزياً وتصبح الجامعات الأخرى في البلاد العربية فروماً له .

4 - ارتباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط باتحاد الجامعات وفقاً لترتيب خاص يمنع الازدواج في العمل والتكرار في الجهد .

5 - حث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها مجامع على تأسيس مجامع لغوية ، تكون رسالتها العمل في نطاق التطور نفسه على قيام نهضة لغوية فكرية بشتى الوسائل وتكون في

الوقت نفسه شعباً لاتحاد المراجع ودعامة له في عمله .

6 - تأسيس الجمعيات العلمية لمختلف فروع العلم في كل بلد عربي لتكون عوناً للجامعات والمجامع واتحاداتها والاتحاد العلمي العربي في النهوض بالتعريب والترجمة العلمية .

7 - بذل مزيد من العناية باللغات الأجنبية في التعليم الأعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستواها للاستفادة بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

« التوصية الثانية »

السياسة العامة للأعداد العلمية :

لما كان المؤتمر يدرك أن المعركة التي تخوضها الأمة العربية هي معركة حضارية في المقام الأول وأن الأمة العربية في حاجة إلى تقدم حضاري يستفيد من العلم مضموناً وأسلوباً في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى أن التفاعل بين الحركة العلمية والتطور الصناعي والإنتاجي أمر ضروري للنهوض بها جميعاً ، فإنه يوصي بما يلي :

1 - وضع الخطط طويلة الأمد لتربية الجماهير العربية تربية علمية أصيلة تقوم على الإيمان بالإسلوب العلمي في التفكير والوعي بدور العلم في تطوير الحياة الإنسانية ، وبأهمية العمل العلمي في حل المشكلات .

2 - أن تقوم أجهزة التعليم والإعلام بالعمل على إزالة العراقيل التي تعوق الحركة العلمية حتى يفسح لها مجال العمل على رفع مستوع الثقافة العلمية بين الجماهير وإشاعة الفكر العلمي وتأسيس النظرة العلمية للأمور وتربية الأجيال الصاعدة تربية علمية شاملة .

3 - اعتبار عملية الأعداد العلمي عملية متكاملة تبدأ مع الطفل وتستمر حتى الدراسات العليا وأن هذا التكامل يقتضي الربط بين مراحل الأعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلة ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بإنشاء هيئات أو مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسم

سياسة شاملة للاعداد العلمي ، والقيام بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد نومييات الاعداد ومستوياته .

4 - توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الانتاج والخدمات بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين بصورة دورية في مراكز الانتاج والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

« التوصية الثالثة »

الاعداد العلمي في التعليم العام :

يقدر المؤتمر الجهود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الاعداد العلمي في جميع مدارس التعليم العام نظرا لاهميته سواء لاعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها او لامداد العلميين المتخصصين .

ولذلك يوصى المؤتمر بما يلي :

1 - العناية اثناء تدريس العلوم في المرحلة الاولى بالدراسات التطبيقية على الطبيعة ، أي ان تقرر عملية التعليم بالشهادة ما أمكن ذلك وان تنمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الاساسية .

2 - اعادة صياغة المناهج العلمية بحيث تهتم بأساسيات المعرفة العلمية دون ازديادها بالتفصيلات على ان تجري عملية متابعة وتقييم لهذه المناهج باستمرار في ما تسفر عنه من نتائج وما يستجد من احتياجات تمثيا مع التطور العلمي الحديث .

3 - تطوير أساليب التدريس ، وهذا يرتبط باعداد المعلم ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بالاهتمام باعداد المدرس وتوفير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على احسن وجه ، وذلك عن طريق تحسين ظروفه المادية والمعنوية وتزويده

بوسائل التدريس اللازمة ومدته باستمرار بالجديد في العلم وفي طرق التدريس وتنظيم السدورات التدريبية والتجديدية المناسبة .

4 - الاهتمام بمزج الاعداد العلمي بالاعداد الانساني والقيومي ، وبوجه خاص اثناء احساس الطالب بالانتماء للوطن وادراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 - العناية بتدريس اللغة العربية باعتبار ان اللغة القومية هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الانكار العلمية وتبادلها بين اجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الاجنبية لانها وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلم .

6 - العناية بالمدارس المهنية وزيادة عددها وتنوعها طبقا لمتطلبات خطط التنمية على ان يرتفع مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس الى ما لا يقل عن مستواه في المدارس العامة على ان لا يكون ذلك على حساب النواحي المهنية مع اتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس بمواصلة دراسته في التعليم التقني العالي اذا كان صالحا لذلك ، على ان يراعى في قبول الطلاب في هذه المدارس الميل والكفاءة .

« التوصية الرابعة »

الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :

يقدر المؤتمر الجهد الذي تبذله جميع الدول العربية في التوسع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى ان الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الاعداد في هذه المرحلة بما يلي باحتياجات الامة العربية . ولهذا يوصى المؤتمر بما يأتي :

1 - ان تحدد كل دولة عربية اهداف التعليم الجامعي بصورة واضحة في ضوء احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، اخذة في الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي .

2 - ولما كان تحديد التخصصات وانواعها ومجالاتها امرا يرتبط بخطط التنمية الوطنية والقومية ، فان المؤتمر يوصي بانه اذا لم تتوافر خطط للتنمية طويلة الامد فيفضل ان تكون التخصصات مريضة تتيح للمتخرجين في الجامعة العمل في مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

البحوث التطويرية والتطبيقية بالاعتماد على
الإنتاج العلمي بدلا من الإقتصار على أعداد
رسائل الماجستير والدكتوراه .

2 - لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل تياجه بالبحث
الى تدريب خاص يكسبه المهارات الاساسية
اللازمة للبحث فإن المؤتمر يوصى بإنشاء
دراسات خاصة للخريجين الذين يدخلون ميدان
البحث العلمي وتكوين مهملهم فيها للتعرف على
ملاحياتهم لمتابعة البحث العلمي .

3 - تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه
وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات
المجتمع ما أمكن ذلك .

4 - يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام
بالدبلومات المهنية التطبيقية بحيث تتنوع وتأخذ
صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها أعداد
المختصين المهنيين اعدادا علميا وعمليا للعمل
في فروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .

5 - تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي
بالانتساب الى دراسات ودورات تدريبية لرفع
مستواهم بشكل مستمر .

6 - الاهتمام باعداد وتدريب أخصائين في التوثيق
والنشر العلمي .

7 - الاهتمام باعداد وتدريب أخصائين في أعمال
الإدارة العلمية والتخطيط العلمي .

« التوصية السادسة »

اعداد الفنيين والمعاونين في البحث العلمي :

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية
والإنتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي
تعماني نقصا كبيرا في الفنيين ، مع ان العمل في هذه
المرافق يستند الى خدمات الفنيين في عمليات التنفيذ
بقدر ما يحتاج الى المهندسين والعلميين من ذوي
الاختصاصات العالية في عمليات التصميم والبحث .
لذلك يوصى المؤتمر بما يلي :

1 - الاهتمام باعداد ورعاية الفنيين والمعاونين في
شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة بخامة
الغنائم التالية :

مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر
إنشاؤها في المستقبل .

3 - تجنب الأزدواج بين الأعداد الأكاديمي والأعداد
التطبيقية ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع

5 - زيادة الاهتمام بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في
الكليات العملية العملية .

6 - لما كان توفير المختبرات والأجهزة العلمية
والمكتبات يحتاج الى نفقات كبيرة قد لا تتحملها
القطاعات المحلية ، فإن المؤتمر يوصى بالتنسيق
بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد
من الإمكانيات الموجودة وذلك بإنشاء معامل
وكتبات مركزية وتوفير خدمات التوثيق العلمي.
وفي هذا المجال يوصى المؤتمر بأن تتبنى البلاد
العربية مشروع إنشاء مؤسسة عربية لتصنيع
وصيانة أدوات وأجهزة المختبرات والوسائل
التعليمية .

7 - توفير أعضاء هيئات التدريس اللازمين للتقيام
بأعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس
الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسب
المقبولة عالميا .

8 - ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها
في متابعة النمو العلمي للخريجين عن طريق
البرامج التدريبية ووسائل النشر والإعلام
ومراكز خدمة الخريجين .

« التوصية الخامسة »

اعداد الباحثين العلميين :

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية أصيلة
تقوم أساسا على أكتاف مجموعة من الباحثين في
المجالات المختلفة ، تادرين على تنشيط حركة البحث
العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية ،
فإنه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام بأعدادهم وتوفير
الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصى بما يلي :

1 - لما كانت أساليب البحث العلمي وأهدافه في
الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث
العلمي الأخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها
باحتياجات تنمية المجتمع ، فإن المؤتمر يوصى
عند تقويم أداء العلميين العاملين في مجالات

١ - القيد التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية المعلمين في التفكير والعمل وعدم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته : مما يضر باستمرارية العمل .

كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على الاحتفاظ بالمعلمين داخل الوطن العربي وعلى حسن الاستفادة من طاقاتهم ، وعلى ترغيب من هاجر منهم في العودة ، وذلك بتوفير المناخ العلمي اللائم والمشجع من طريق اتخاذ الإجراءات التالية :

1 - توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود المعلمين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .

2 - رفع القيود على تحركات المعلمين داخل الوطن العربي للاغراض العلمية واطفاء العلماء العرب الاولوية في شغل الشواغر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .

3 - انشاء مركز عربي لجمع بيانات عن احتياجات الوطن العربي من المعلمين في حقول التخصص المختلفة وكذلك جمع بيانات عن القوى العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجه ، وذلك من أجل التنسيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعا متكاملا للمعلمين واستخدام أكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .

4 - مبادرة الدول العربية الى وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من المعلمين وترصد لها الإمكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .

5 - متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى التعرف على المشكلات التي واجهها ويواجهها المعلمون العرب داخل الوطن العربي ومسببات هجرتهم .

6 - اعادة النظر في مؤهلات المعلمين في مختلف الحقول الإنمائية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية التسايرة المتخصصة .

١ - المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .

ب - المختصون باجهزة القياس الدقيقة والتحليلات ومختلف التحضيرات العلمية

ج - الفنيون المدربون على الاجهزة الالكترونية واجهزة الصناعات الكيميائية والتمدينية وغيرها .

د - الفنيون في اعمال التصميم والتجارب نصف الصناعية .

هـ - الفنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي.

و - الفنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .

ويجب ان يكون اعداد الفنيين متناسبا مع متطلبات العمل .

2 - تشجيع الفنيين ماديا ومعنويا وذلك بتحسين اوضاعهم المادية وتنمية الشعور بان عمل الفنيين لا يقل اهمية عن الاممال العلمية الاخرى.

3 - ان يكون المشرفون على اعداد وتدريب الفنيين من مدرسين ومدرسين من ذوي الخبرة الفنيين المترسين بمثل هذه الاممال .

« التوصية السابعة »

هجرة المعلمين ووسائل الاحتفاظ بهم :

يوصي المؤتمر بان تراجع كل دولة عربية الظروف التي تدفع المعلمين العرب الى الهجرة مثل :

— ضعف التصميم المادي للعمل العلمي وقلة دخل المعلمين التي تصرفهم عن تكريس جهودهم للعمل العلمي المنتج .

— عزلة المعلمين بعضهم عن بعض على الصعيدين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .

— التركيب البيروقراطي لكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظيف فيها والتي أدت الى وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من المعلمين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

7 - مبادرة الهيئات العلمية الى خلق مدارس البحث العلمي المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلمين بجمعهم وللحفاظ على العلمين الذين يعودون الى هذه الهيئات من الخارج ولتوضيح الدور الذي يجب ان يلعبه الممثل العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 - انشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيراتها في الدول المتقدمة من جهة اخرى .

9 - اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما يمكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الاولى الى الجامعات الاجنبية خشية انصارهم في المجتمعات الاجنبية التي يذهبون اليها .

« التوصية الثامنة »

مسح الامكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر ان تقوم كل دولة عربية بالمعمل على تحقيق مسح شامل وكامل للمؤسسات البحث فيها وذلك من حيث تركيبها واماكنها وتجهيزاتها وقدراتها والعاملين فيها (مؤهلاتهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تنبمها ومواقع اختصاصاتها ونشاطها وذلك تمهيدا للاستفادة من امكانياتها في خطط الانماء والبحث العلمي والاستكمال نواتمها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في اماكن وميادين تميز على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما يوصي بان يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وان تعمل ادارات الامانة العامة للجامعة العربية (الادارة الثقافية - قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات عن الدول العربية وتصنيفها ونشرها .

« التوصية التاسعة »

تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بان تمتد كل دولة عربية الى انشاء هيئة مركزية على اعلى مستوى تتمتع بالاستقلال الاداري والمالي وتكون مهمتها وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي وتنسيقه وتشجيعه

واعداد الباحثين والعلمين على ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بان تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي ليها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستهدف التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد الى اقصى حد من الامكانيات العلمية المتوفرة وتوجهها الى تناول مواضيع البحث ذات الاهمية بالنسبة لحسن استغلال الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بان تتوخى خطة انشاء وتدميم مراكز البحث تمكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الاساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي اعداد العلمين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وان يتم توزيع البحوث على المؤسسات العلمية بحيث تاتي متكاملة في خدمة المصلحة الانمائية العامة وبحيث تتجنب التكرار والازدواجية مع التأكيد على اهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث يقوم البحث العلمي بسدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .

« التوصية العاشرة »

تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي:

ان التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها التومية ومبور نجوة التخلف، وبخاصة ان المشكلات التي تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها ان تتعاون وان تنسيق جهودها لحانا بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلة التي تواجهه وستواجه الامة العربية تد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وان عناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانيات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر اهمية التعاون العربي في حقل البحث العلمي ، وضرورة التنسيق والتوثيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

اولا - ان يبادر العلميون في مختلف الحقول اينسا وجدوا في الوطن العربي الى انشاء جمعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية

التراصة والتداخلة في جميع البلدان العربية
وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

أ - جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية .

ب - جمعية العلوم البيولوجية .

ج - جمعية العلوم الكيميائية والبيولوجية .

د - جمعية العلوم الهندسية .

هـ - جمعية العلوم الطبية .

و - جمعية العلوم الزراعية .

ز - جمعية العلوم الاجتماعية .

ح - جمعية العلوم الادارية .

ط - جمعية العلوم الاقتصادية .

على ان تتضمن مهام هذه الجمعيات اصدار دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى الوطن العربي وعقد المؤتمرات العلمية الدورية

ثانياً - ان يقوم اتحاد الجامعات العربية - وهو اطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات العربية - بدور اكثر فعالية في هذا المجال . ويحتاج ذلك الى :

1 - مزيد من الدعم المادي من الجامعات والحكومات العربية .

2 - توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتحاد الجامعات ليشمل ممثلين لاهضاء هيئة التدريس من غير اعضاء مجالس الجامعات ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى ان يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .

3 - تنشيط عمل لجان الاتحاد الفنية واشراك اكبر عدد ممكن من اعضاء هيئة التدريس الرافعين والقادرين على المساهمة فيها .

4 - عقد مؤتمرات دورية تمثل اتسام التخصص في كل جامعة لتنسيق شؤونها العلمية والتعليمية .

5 - عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل القادمة بالوضوعات الآتية :

أ - مركز الاتسام العلمية وخصوصا البحث منها نظرا لتداخل لمروع العلم المتقاربة ولتجنب بعثرة الامكانيات .

ب - التنسيق فيما بين الاتسام التخصصية في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها في مجال البحوث والدراسات العليا وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتفاعلة .

ج - اعداد ونشر دليل سنوي لاهضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعات العربية في مختلف حقول التدريس .

د - التنسيق بين الجامعات العربية في مجال المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية والدولية وتنظيم الاستفادة منها .

هـ - اعداد دراسة تستهدف وضع مبادئ سليمة لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .

ثالثاً - انشاء مجلس علمي عربي يضم البلاد العربية وتكون من بين مهامه الامور الآتية :

1 - انشاء وادارة مراكز البحوث الاتلمية .

2 - انشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية الاتلمية .

3 - انشاء وادارة مراكز اتلمية لتدريب الفنيين العلميين .

4 - انشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .

5 - انشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية لدى العدو واستعمال العلم في جميع مجالات حياته .

6 - تميم البحث العلمي عن طريق تقديم المنح للباحثين حينما كانوا في الوطن العربي .

7 - تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية لمختلف فئات الشعب .

ويرى المؤتمر ان يستفيد هذا المجلس ما امكن مما هو متوفر من مؤسسات علمية تقوم الآن في البلدان العربية وذلك اما بتقويتها او بالحاق اتسام للخدمات والبحث فيها .

ويرى المؤتمر كمدخل لتحقيق ذلك ان تبادر الامة العامة لجامعة الدول العربية (قسم العلوم

والتكنولوجيا) الردموة عدد من العلماء الاكفيااء في الوطن العربي لوضع مشروع نظام هذا المجلس وعرضه على مجلس الجامعة في اول اجتماع مقبل له .

« التوصية الحادية عشرة »

التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر بأهمية التعاون العربي في مجال البحوث العلمية والمراكز الاتليبية المشتركة (من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاتليبي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكز البحوث التي اترها مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية) ، وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه بأهمية « المجلس العربي المشترك للطاقة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاتليبية مرتبطا بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

« التوصية الثانية عشرة »

التوثيق والنشر العلمي :

نظرا لان نتائج البحوث العلمية اصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بمشترات اللغات، فقد اصبح التوثيق العلمي من اهم الامور التي يجب ان تعنى بها مؤسسات البحث العلمي ، ويمتد التوثيق العلمي الكامل اليوم على اجهزة حديثة بالفة النفقة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والاجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

« التوصية الثالثة عشرة »

تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بانشاء وتنظيم جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية، على ان يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا الرفقة بطلبات براءات الاختراع ، واداة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي

والجامعات والمصانع ، واداة متابعة تعميم تطبيق أحدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتمين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع فضلا عن الادارة التقليدية التي تختص بالاجراءات والسجيل ، ادارة تكنولوجية واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث قانونية وعلاقات دولية .

ويوصي المؤتمر البلاد العربية بالعمل على اعداد فئة من العلماء والقانونيين والاقتصاديين والخصائيين الوثائق والمكتبات تخصص علماء وعلماء في براءات الاختراع والملكية الصناعية .

« التوصية الرابعة عشرة »

يوصي المؤتمر بالتعاون بين الدول العربية في مجال الملكية الصناعية بتكوين مركز للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع . ويختص المركز بالعمل على تنسيق تشريعات الملكية الصناعية في الدول العربية وتوجيه حركة التشريع لتحقيق مصالح الدول العربية وحماية حقوق المخترعين العرب كما يختص بالتبام بالابحاث الخاصة بالاتفاقيات الدولية في الملكية الصناعية واعمال وثائق براءات الاختراع ونشر هذه الوثائق .

« التوصية الخامسة عشرة »

تمويل البحث العلمي :

يوصي المؤتمر بأن تخصص كل دولة عربية للبحث العلمي ما لا يقل عن الواحد بالمائة من الدخل القومي العام على ان ترتفع هذه النسبة الى اثنين بالمائة في ظرف ثلاثة اموام . ويكون توزيع اعتمادات هذه المخصصات مرتبطا بخطة البحث العلمي التسي تنبثق من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« التوصية السادسة عشرة »

دور العلم والعلميين في مواجهة التحديات :

لما كان الاعداد العلمي يحتاج الى وحدة تكسر وعمل بين جميع الاجهزة المسؤولة منه ، ولما كان هذا الاعداد يتم ضمن اطار اجتماعي يوجهه نحو

5 - انشاء معاهد تكنولوجية متخصصة او اضافة
مروع للمعاهد القائمة تختص بالدراسات
والبحوث ذات الصلة بالعمل العسكري وفي هذا
المجال ، يوصي المؤتمر الدول العربية التي توجد
بها نواة لمثل هذه المعاهد ان تضمها في خدمة
المعلم العربي الشامل بغرض تثبيتها لتحقيق
اهدافنا القومية .

6 - الاهتمام بايجاد جهاز من العلماء المتخصصين
ضمن القيادة العسكرية لكل دولة عربية في
اطار الدفاع المشترك . ويكون هذا الجهاز مسؤولا
عن تقديم معوناته بشأن وضع العلم واجهزته
وبحوثه في خدمة العمل العسكري .

7 - تعبئة جميع الطاقات العلمية العربية الموجودة في
الوطن العربي وخارجه لتوجيهها نحو خدمة
مطلبات المرحلة الحالية ، وفي هذا المجال يشير
المؤتمر بصلة خاصة الى توجيه قدرات البحث
العلمي لانتاج اسلحة مناسبة بموارد متاحة داخل
الوطن العربي ، هذا الى جانب تدريب ابناء الامة
العربية على المهارات الحربية والادارية المناسبة .

8 - ينشد المؤتمر اجهزة الاعلام في الوطن العربي
اعطاء مزيد من الاهتمام لنشر الوعي العسكري
العلمي حتى يكون جميع المراد الامة العربية
على مستوى متطلبات المرحلة سواء بالنسبة
للعمل العسكري المباشر او بالنسبة لوسائل
الدفاع المدني .

غاياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة
مطلبات المرحلة المستمرة مع الامبريالية وقاعدتها
الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير
اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي
لان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - ضرورة وضع سياسة عامة للاعداد العلمي
تنبثق من واقع الوطن العربي وتكون على
مستوى التحديات التي تواجهه عسكريا واقتصاديا
وحضاريا ، وتتحقق متطلباته واحتياجاته في ضوء
خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
والتعبئة العسكرية .

2 - الاسراع باجراء الدراسات الخاصة بالمدو
وطاقاته وامكانياته وسياساته العلمية والطرق
التي يتبعها في المجالات السياسية والاقتصادية
والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء
دراسات من طاقاتها العربية التي يجب حشدتها
من اجل المواجهة الحالية والمستقبلية مع العدو .
وفي هذا المجال أيضا يشير المؤتمر الى اهمية
الاستمارة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول
المختلفة لجمع المعلومات العلمية .

3 - تنظيم وتدريب برامج ثقافية عامة وناهج في
التعليم العام والجامعي تتناول عدونا وطاقتنا
وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالانجازات
العربية .

4 - الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى
العلوم ذات التطبيقات العسكرية في الجامعات
والمعاهد الفنية العالية .

النيث في العرس

الرويني

الأستاذ عبدالحق فاضل - الدار البيضاء

العدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : (سبعة) رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا التبادي أكثر من هذا في عرض رأي الباحث المستشرق اعتمادا على الذاكرة بعد هذا الإمد المتداول ، مخافة أن نظلم الرجل فنمزو اليه ما نتوهم انه قاله وهو لم يقله ، أو قاله على نحو آخر . لكننا نذكر أننا حين قرأنا ذلك البحث لم نعتنع بتأويلاته ولو أننا تقبلناه على انه مقال طريف ومحاولة جريئة لتفسير ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

أما بصدد النقطة الأولى فإن الكثير من أسماء الجمادات لا يخضع للقاعدة المذكورة فقد وردت في العربية مؤنثات من الجمادات لا مشابهة لها بالانوثة كالمصا والفأس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها بالذكورة كالوادي والغار ، والجب المرادف للبئر المؤنثة .

وأما بصدد النقطة الثانية ماذا اعتبرنا التانيث في بعض الحالات تكريبا للمرأة حيث قيل سبعة رجال فإن الباحث لم يذكر لهما نظن ان اسم العدد يذكر أيضا مع المؤنث - مما يقلل هيئة المرأة ويفل من سطوتها - ليقال (سبع) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولعل المستشرق الفاضل قد ذكر ذلك وفسره بطريقة لم نقتنعنا على كل حال .

قرأت منذ أكثر من عشرين عاما - في مطبوع ما ، لعله مجلة غاب عن بالي عنوانها - لمستشرق نسبت اسمها - بحثا شائقا حاول فيه تفسير ظاهرة التانيث في لغتنا بما فيها من غرابة ومفارقات . والذي تستطيع الذاكرة ان تستعيده الآن من ذلك البحث هو التفتان الأساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع .

النقطة الأولى قوله ان العرب أنثوا من الجمادات ما هو شبيه بالانوثة مما كان مثقوبا أو هيقا أو موطوا أو نحو ذلك ، كالرحي والبئر والأرض . وبوسعنا جريا على هذه النظرية ان نضيف الى ذلك من الجمادات المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان ساميا كالسما ، وهاجا كالشمس ، ومقلبا كالريح ، ومحرقا كالجحيم ، ومدبرا كال حرب ..

والنقطة الثانية قوله ان العرب كانوا قد مروا في احد عهودهم القديس بمرحلة الامومة كغيرهم من الامم ، أي مرحلة سيادة المرأة الام على العائلة قبل الانتقال الى مرحلة الابوة أي سيادة الرجل الاب . ويخيل لي ان المستشرق قد استشهد على رايه هذا بنبذة من كلام هيرودتس عن علاقة مغايرة للبالوف الحديث كانت على عهد قائمة بين الرجل والمرأة ، لدى بعض العرب ، ولا نعتب ان ذلك الاستشهاد كان وائيا بمرامه لانه لا يدل على سيادة المرأة فيما نذكر . وعلى أية حال كان من تاثير سيطرة الانثى الام ، على قوله ، ان العرب أنثوا الكثير من أسماء الاشياء غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كتانيث اسم

ولاندري الآن ما اذا كان قد فاته كذلك ان الجمادات
تؤنث وتذكر في اللاتينية وبناتها . فهل نمزو ذلك
الى مشابهة المسيمات للذكورة والانوثة او الى سيطرة
الام على الرومان قبل ان تتوطد لديهم سيطرة الاب
ايضا ؟

اشارة ، فمن العائهم الهزة بها مفتوحة ومضمومة
ومكسورة نشأت حركات الازراب ، ومن الحاق النون
بها نشأ التنوين بمختلف حالاته .

التاء :

والذي يهديننا اليه استعراض الضمائر العربية
في شتى احوالها وصورها هو ان هذه العناصر
الضميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند
تفريق معين من الازرابين (العرب الاوائل) ، بل ان
كل طائفة منهم كانت تستعمل واحدا من هذه الضمائر.
تفريق منهم كانوا يستعملون ضمير (تا) كما كان لتفريق
ثان يستعملون ضمير (آ) وتفريق ثالث ضمير (نا)
كالدلي فصانه وعلناه في كتابنا الإنف الذكر ، فلا حاجة
للامادة فيه هنا .

وهكذا كان نصيب التاء ان الحقوا كأخويها
الضميرين الآخرين بالاسماء والاعمال . وهذا هو سر
وجود التاء في بعض الاسماء مثل : جبهة ، هضبة ،
اجمة ، مقدرة ، خشية .

فليس التانيث هو الغرض من التاء في أسماء هذه
الاشياء المجردة من اي اثر لاي تانيث او تذكير ، وانما
التاء هنا مجرد بقية أثرية من عهد لغوي مندرس بميد
كانوا فيه يلحون بها بكل الاسماء والاعمال .

وقد كان من نتيجة اختلاط التقبيل الذين يستعملون
التاء بغيرهم من الازرابين الذين لا يستعملونها ان
ضعف شأنها وتقل استعمالها حتى انها سقطت من كثير
من الاعمال مثل : فعل ونعمل ويفعلون ، ومن معظم
الاسماء مثل : جبل ، طير ، نهر ، أرض ، كوكب ،
تراب ، بحر ... وبقية عالقة باسماء أخرى كالتسي
ذكرناها : هضبة ، جبهة ، الخ ... وبقية متأرجحة في
اسماء أخرى حيث يمكن حذفها وإثباتها في مثل : ليل
ونجم .

فلنا ان التاء الحقوا بالاسماء والاعمال لاداء
معنى الضمائر او أسماء الاشارة اول الأمر ، لكن
تطاول الاحتباب وتعاقب الاجيال جعلها تظهر أولا في
صور مختلفة بسبب اختلاف القوم في نطقها كما قلنا ،

ويلاحظ ان اسم الجباد الخلو (1) في اللاتينيات
اما مذكر فقط واما مؤنث فقط . واما في العربية لسان
الكثير من أسماء الاخلاء يجوز فيها التذكير والتانيث .
فهذا يصف رأي المستشرق الباحث في قوله ان لشابهة
الاشياء بالانوثة علاقة بالمسألة . ولو نحن مضينا في
التطبيق قياسا على نظريته لقلنا ان جواز التذكير
والتانيث في الكثير من أسماء الاخلاء في العربية يدل
على مرور العرب بعهد سادت فيه الخنثى على العائلة .

قبل الادلاء برائنا في تفسير ظاهرة التانيث
يطالبنا الإنصاف ان نحى هذا الجهد المخلص الذي
أنفقه الفضال المستشرق - المجهول لدينا في الوقت
الحاضر ، وقد نهتدي الى معرفة اسمه ذات يوم -
نحو وامثاله من الباحثين الاجانب ، الذين قاموا بعملية
استكشاف واسعة المجال في قارة التراث العربي ومنه
تراث اللغة ، قد اسدوا الى العربية خدمات قيصة
مشكورة ، ولا عتب عليهم ان اخطاوا احيانا ، فان لهم
الفضل انهم اسابوا احيانا كثيرة أخرى .

الضمائر العربية :

اذا حللنا الضمائر العربية - انا ، انت ، هو ..
الخ - نجدها تتألف من ثلاثة عناصر أساسية : الالف
والنون والتاء . وقد تطرقتنا في كتابنا « مخابرات لغوية »
(في فصل اسرار الضمائر) (2) بشيء من التفصيل الى
هذه العناصر الضميرية الثلاثة التي نطقها الانسان
الاقدم (آ) و (نا) و (وسا) اول الأمر ، ثم
تطورت لتتعدد صيغها وتنوعت معانيها ، اي ان
الاقدمين كانوا يفتخرون في نطق هذه الضمائر منشآت
لها صيغ كثيرة ، وكانوا لفرهم اللغوي يستعملون كلا
من تلك الصيغ في مختلف المعاني التي يتوقون اليها
الانصاح عنها ولا يجدون الالفاظ المعبرة عن كل منها .
وكانوا يلحون هذه العناصر البدائية الثلاثة
(آ ، نا ، تا) بالاسماء والاعمال كضمائر او أسماء

(1) نستعمل كلمة الخلو - زنة الصنو والشلو - بمعنى الشيء الخالي من الانوثة والذكورة . وموطنها :

(2) وفي مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس ، لسنة 1967 .

وتؤدي ثانيا أفراسا مختلفة بسبب الفقر اللغوي الذي المعنا اليه. ما اضطرهم الى استعمال الكلمة الواحدة في اكثر من معنى واحد .

ومن اختلاف الطوائف الازرية في نطقها نجدها في لغتنا مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ومن بقايا استعمالها بمعنى مختلف الضمائر سوف يستغرب القارئ ان نقول له ان (تو) ما زالت تعني أنسا بالمرية ، وأن (تا) تعني أنت المخاطب ، و (تي) تعني أنت المخاطبة ، و (ات) تعني هي . لكننا نجد هذا كله جليا مدهشا في الفعل الماضي ، فالتاء المضمومة تعني أنا في فعلت (= فعل + تو) ، والمفتوحة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تا) ، والمكسورة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تي) ، والساكنة تعني هي في : فعلت (= فعل + ات) . وهذه الصيغة الأخيرة (ات) قد ذابت همزتها كما تذوب همزة في كثير من الحالات التي سميت فيها همزة وصل .

وظائف التاء :

أوضحنا في كتابنا المذكور كيف تفقد الضمائر أحيانا وظائفها أي معانيها ، أو تعاض منها وظائف أخرى . وقد كان شأن التاء في هذا شأن غيرها من الضمائر فقد تقلبت عليها أحداث لغوية أهدتها وظيفتها أحيانا وأبدلتها بها وظائف أخرى أحيانا أخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

أولا : فقدت التاء وظيفتها تماما في بعض الأسماء مثل : نجمة وضلعة وماءة — فيجوز لك حذف التاء من هذه الأسماء فتقول : نجم وضلوع وماء ، بنفس المعنى . أي ان التاء هنا لم تستطع ان تجد لها وظيفة ما أو تخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجسرد الاسم من التاء . فممكننا على هذا أن نسميها (التاء الزائدة)

ثانيا : وجدت التاء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك أنها تغير معاني بعض الألفاظ مثل : الظهير والهاجر والجر . فهذه الألفاظ تكتسب معاني جديدة ليست لها أية علاقة بمعانيها الأصلية حين تلتحق بها التاء فتصبح : المهاجرة والظهيرية والجرة . فهذه قد يجوز تسميتها (تاء التغيير).

ثالثا : صارت التاء تختلق معنى لبعض الألفاظ التي لا معنى لها . وبمعبر آخر ان التاء صارت جزءا متهما لبعض الأسماء بحيث تصبح لا معنى لها اذا

حذفت التاء منها ، مثل : الامسية والبكرة والرنة والبورة — فلا معنى للألفاظ الامسي والبكر والريه والبور . أي ان التاء هنا قد التصقت ببناء الكلمة فأصبحت جزءا من نسيجها كحروفها الأصلية . وهذه يصح ان نسميها (التاء اللازمة) .

رابعا : صارت التاء أداة لتكوين بعض المصادر كما في الفعلين: دحرج واستقام ، بمصدرهما: دحرجة واستقامة — وهي قاعدة قياسية لا حيد عنها ، أما في الفعل المضعف فان التاء وجوبية أحيانا في مثل : وصى توصية وعبا تمبنة .. وجوازية أحيانا في مثل : قدم تتدما أو تتديما ، وكرم تكريمة أو تكريما .. ومنوعة أحيانا كما في علم تعليما وكسر تكسيرا ، فلا يقال تعليمة وتكسرة . وهذه أجدر بأن تسمى (التاء المصدرية).

خامسا : صارت التاء تؤدي معنى الحرفة في مثل: الكهانة والسفارة والسدانة والعيافة — أي حرفة الكاهن والسفير والسادن والعائف . وهذه نسميها (تاء الحرفة) .

سادسا : صارت التاء تؤدي أيضا معنى توكيد الصفات في مثل : النسابة والدواقة والراوية . فاذا حذفنا التاء من هذه الصفات فقلنا النساب والذواق والراوي ، ضعفت قوة المعنى ، على حين أنه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلعة والهمزة واللمزة (بضم الأول وفتح الثاني في اللفظ الثالث) — أي الكثير التطلع والهماز واللماز ، فلا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه التاء أجدر بأن تسمى (تاء التوكيد) . وهي تاء لازمة في نفس الوقت في الطلعة والهمزة واللمزة .

سابعاً : صارت التاء تدل على معنى الأمراد في بعض الأسماء كالشجرة والحمامة والسكة ، فاذا حذفنا من هذه الأسماء أمثالها صارت تدل على الجمع أي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السمك ، ولا يمكن اعتبارها تاء تانيث حتى في الحمامة والسمكة وغيرها من الأحياء ، لأن الكثير من أمثال هذه الأسماء تطلق على الذكر والأنثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الأمراد على نحو أوضح في مصادر بعض الأفعال . فالنظرة هي النظر مرة واحدة ، والابتسامة والضربة والاكلية هي الابتسام والضرب والاكل مرة واحدة . فهي إذن (تاء الأمراد) .

ثامنا : على العكس من هذا صارت التاء تعني الجمع في أسماء أخرى مثل : المعدناني والطحطاني

وقد نطق بعض العرب أسماء الإناث بعد الفتحة قبل التاء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالمصريين في نطق ثريات وعنايات (اسم علم للانثى) ، ومع الزمن تخصصت هذه الصيغة الجديدة لدى الامريين بجمع المؤنث السالم ، مثل جيلات وراحيات وغائبات .

في اللاتينية :

وبعض العرب المعاصرين ينطقون تاء التانيث في لغاتهم الدارجة في بعض الاسماء ويهملونها في بعض ، كالمراقبين الذين ينطقونها في مثل : المسوات والحيات والشريت ، ويهملون نطقها في مثل : الحرية والتربية والصلاة .

واهمال نطق التاء في بعض الالفاظ منحدر من اصل عربي عريق لئما يظهر ، منشؤه ان بعض الامريين صاروا يستقونها في الاسم عند الوقف عليها في آخر الكلام فقط - كما هي الحال في الفصحى السليمة يومنا . وبذلك زالت التاء وبقي منها اثر هو الهاء الساكنة ، ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميها (الهاء) بدل (التاء) . والواقع انها ليست هاء بالمعنى الصحيح لئى على الاغلب تنطق مجرد فتحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض اللهجات القديمة اتخذت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند وقوع التاء في داخل الجملة ، وقد بقيت هذه القاعدة في بعض اللغات الآرية كالاتينية والاطالية ، ففي اللاتينية يقال : *filia* (بنت) ، و *amica* (صديقة) ، و *lupa* (ذئبة) - تانيثا لقولهم *fillus* و *amicus* و *lupus* . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنفسها في الايطالية - غير ان البنث تكتب *figlia* (وتنطق *filia* ايضا) . اما مذكراتها في الايطالية فهي : *figlio* و

amico و *lupo*

واما في الفرنسية فان التاء تنطق صريحة في الالفاظ المؤنثة بها مثل *toutes* (جميع) ، للمؤنث (و *cette* (هذه) و *coite* (هادئة) - ومذكراتها *tous* و *ce* و *col* يضاف الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاناث ايضا يتم بالحق التاء في مثل : *table* (مائدة) و *casse* (صندوق) و *françoise* (فرنسية) - وتصغيرها : *tablette* و *francette* و *cassette*

والضري واليماني والسياف والخيال . فقد جمعوها على مدنانية وتحطانية ومخرية ويمانية وسياحة وخيالة - أي بمجرد اضافة التاء الى الاسم المفرد دون تغيير في تركيب بنيتها . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالتاء مثل جمع الماضي والبازي على مشاة ويزاة ، وجمع للقائد والسائق على قيادة وساعة ، وجمع الضماني والمنذري على فسانسة ومناذرة ، وجمع الكاتب والفاعل على كتبه وعملة ، وجمع الدب والفيل على دببة وفيلة .

ومن الطريف ان التاء صارت اداة الجمع في بعض اللغات الآرية ايضا كالانجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد ابدالها سينا (s) ، وابدال التاء سينا . موضوع له اهميته اللغوية الخاصة ، وقد اوضحناه في كتابنا الانثى الذكر ، والعدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الاسم ، غير ان معالية التاء في ميدان الجمع شملت الفعل ايضا ، كما في : تالت الازراب وتقول الرجال ، فالتاء هنا تعني الجمع لا التانيث كما توهم النحاة ، بدليل ان التاء في تولنا (انقضت الناس) تحل محل واو الجمع في تولنا (الناس انقضوا) ، وانها في تولنا : (تفعل الرجال) تعمل عمل السواو والنون في تولنا (الرجال يفعلون) . وهذه التاء ما هي الا (تاء الجمع) .

تاسعا : واخيرا ناتي الى تاء النحويين ، أي التاء التي تدل على التانيث في اسما بني الانسان والحيوان أي الكائنات المنقسمة الى اناث وفكور مثل : امرأة وهرة ونمرة وسعيدة وعاقلة - تانيثا لمره وهر ونمر وسميد ومائل . وهي نفس التاء الملحقة بالفعل الماضي في تولهم : جاءت وذهبت - تانيثا لقولهم : جاء وذهب

وكانت التاء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة لئما نعتقد حتى عند الوقف عليها في آخر الكلام كما هي الحال في الفعل الماضي (فعلت هي) . وما زال بعض العرب على ذلك أي ينطقون تاء التانيث في الاسماء حتى عند الوقوف عليها فيقولون حين يقرأون في الفصحى : الشجاعت والحرارت والانسانيت - وهي احدى اللهجات في لبنان . ومثل ذلك يفعل الاتراك والفرس في الالفاظ العربية التالفة المستعملة في لغتيهما مثل : محبت امانت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

ونأتي الآن الى تلك القاعدة الشذوية التي حيرت الالهام واعتبرت من بدوات اللغة العربية ونزواتها البوهيمية ، وهي قاعدة تانيث العدد (من الثلاثة الى العشرة) مع الذكور وتذكيره مع الاناث . ، لنتمهما على ضوء تحليل وظائف التاء . فما تفسيرها يا ترى؟

مفتاح هذا اللغز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتانيث . فقبل كل شيء يجب ان نعترف بان التاء في (الثلاثة) وأخواتها إنما هي تاء جمع لا تاء تانيث، فحين تال أجدادنا البداية في عهد جاهلي سحيق : سبمة نمرسان ، لم يخطر لهم أن يؤنثوا الفرسان مثلما لم يخطر لهم أن يؤنثوا اليمانيين والغازين والخيالين حين سموهم : يمانية وغزاة وخيالة .

أما في حالة عد الاناث فقد استشكلوا اجتساع التامين — تاء جمع العدد وتاء تانيث المعدود — في مثل (خمسة بقران) فاستطوا احدى التامين ، تخليفا . ولقد كان التطور اللغوي منطقيًا جدا هذه المرة إذ أسقط تاء الجمع ، لا تاء التانيث ، لان معنى الجمع مفهوم بذاته في اسم العدد . أما لو أنهم أسقطوا تاء التانيث من البقرات والفتيات والوالدات لتغير معنى التانيث الذي اراده القائل ، فذلك امتنعوا منه .

وحذف تاء الجمع من العدد ينطبق كذلك على جميع أسماء الاخلاء (الجمادات) المنتهية بالتاء كالتخيلات والهضبات والجففات ، ثم سرى ذلك على جمع أسماء الاخلاء المؤنثة ، ولو لم تكن منتهية بالتاء ، كالعصبي والدور والمؤوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا أنهم وازنوا — لفرض التخفيف أيضا — بين التامين — وكلتاها للجمع — في الاعداد المعشرة ، فصاروا اذا نطقوا التاء في احد شطري العدد استطوها من الآخر ، فقالوا : خمسة عشر حصانا وخمس عشرة نمرسا ، أي أنهم استعملوا تاء واحدة لكل من المذكر والمؤنث في كل من الحالتين .

لم يكن فرض القوم اذن تانيث الرجال ولا تذكير النساء ترضية لغزوز المرأة واعتراها ببأسها .

صلاة القول ان التاء وردت في معان مختلفة متعددة متميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا باجمال ، ولا ندري ان كنا قد اغفلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سينتج بحونا منفصلة في هذا الموضوع بعد التشبع الطويل والاستقراء الشامل، وما نرجو لحدیثنا هذا السريع الا أن يكون خميرة لذلك المستقبل .

ويكفينا الآن ما تقدم بنا من مظاهر التاء النسبي سببها بحسب وظائفها : التاء الزائدة ، وتاء التغيير، والتاء اللازمة ، والتاء المصدرية ، وتاء العرمة ، وتاء التوكيد ، وتاء الامراء ، وتاء الجمع . وأخيرا تاء التانيث . افليس من العجب العجيب ان النحاة المشهورين بتدقيقاتهم المبالغ فيها في بعض التوافه ، لم يميزوا بين حالات التاء المختلفة هذه بل احتطبوها جميعا ، خبط عشواء ، وكدسوها تحت اسم تاء التانيث ؟

وقبل ان ندرغ من حديث التاء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التانيث في العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الاعتباطات التطورية قد عملت عملها في خلط وظائف التاء بعضها ببعض شأنها في مختلف التطورات اللغوية . أي اننا نجد للتاء أكثر من وظيفة واحدة في الكلمة الواحدة أحيانا ، مثل : تعمل أنت وتعمل هي ، تعملان انتما وتعملان هما الغائبتان ، اتبلت الجارية واتبلت الفرسان . ومثل ذلك: المرأة العدنانية والعرب العدنانية . بل قد تجتمع في الكلمة الواحدة ثلاث وظائف مثل (النسابة) وهي تمنى المرأة النسابة أو الرجل النساب أو الرجال النسابين . وشبيه بذلك (السفارة) التي اكتسبت الآن معنى حديثا بالإضافة الى معناها القديم — فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التي يرأسها السفير .

غير ان هذا الاختلاط في المعاني لا يرفع الملامة من النحويين الذين لم يتفهموا شيئا من نشاطات النساء أصلا ، فقد كان عليهم — جزاهم الله رفعا ونصبيا ووقاهم الكسر والجر — أن يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كلا منها باسمه كما ميزوا مثلا بين حالات النسب الكثيرة في الاسماء وسموا كلا منها باسمه .

هو وهي :

هذا جانب من حكاية التانيث ، فلننتقل الآن الى الجانب الآخر منها لتتضح ابعاده في ضمير الغائب (هو) وتطوراتها .

ان تانيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جبيلة وذلفاء وعطشى ، او من معناه مثل : مريض وظئير وحامل ، او من الضمير الدال عليه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقده ان العرب كانوا اول الامر يستعملون ضمير (هو) 'لدلالة على الذكر والانثى والخلو جبيما - انسانا وحيوانا وجمادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطق فيها هذا الضمير بصورته البدئية (او - نا) ، اي كما كان ينطقه العرب قبل ان يبدلوا همزته هاءا . نعلم ان العرب كانوا في يهودهم اللغوية الاولى يتولون : هو الرجل ، هو المرأة ، هو الشمس ، هو القمر . ثم ظهرت فئة منهم نطقت (هو) بالكسر : (هي) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الفئة من العرب بغيرها من اللغات العربية لصار المختلطون يقول بعضهم (هو) وبعضهم (هي) ، ثم نشأ منها جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . وما يدل على ان الضمير (هي) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليزية بنفس النطق (هي : he) . كذلك اطلق الساميون القدامى في ارض بابل ضمير (هي) - قبل ابدال همزته هاءا - بصيغة (ايا - Ea) على الاله الذكر (ماء القمر)

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة (هو) بالذكر وصيغة (هي) بالمؤنث . وتظهر (هي) بمعنى التانيث في اللاتينية (ايا : ea) اي نفس اسم الاله (ماء القمر) .

ومثل هذا التخصص بالوف في التطور اللغوي حين تظهر لفظتان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظ له . فالمعادة ان المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده يختطف احد اللغتين المترادفتين . وهكذا اختطف معنى التانيث (هي) واستأثر بها لنفسه .

نعمندئذ تماثلت نواحي التانيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجماد كذي الروح لا يد من الإشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجماد (هو)

و (هي) دون تمييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي هاما لثلاثة اصناف : الذكور ، والاناث ، والاخلاء . وهكذا صار بعضهم يقول : هو الروح وهو العنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : هي الروح وهي العنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم اضطروا الى تذكير الجماد الخلو او تانيثه لانهم لم يجدوا ضميرا ثالثا يخصصه به كما خص الانكليز مثلا ضمير it بالخلو الغائب المبرد (لكنهم استعملوا نفس الضمائر للمذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع) . ومع الزمن استقر التانيث في العربية لبعض الاغلاء كالنار والحرب والدار ، واستقر التذكير لبعضها كالجبل والنهر والليل والنهار ، وظل بعضها الآخر هائما مترددا بين الحالين اي يؤنث ويذكر دون تمييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان التاء ايضا قد تخصصت بالتانيث في مثل الوالدة والمرأة والسحابة والجنية ، ومن هنا صارت المادة ان تعامل كل اسماء الاغلاء المنتهية بالتاء بمعاملة المؤنث وكانها توهم قدامى العرب - كما توهم النحاة من بعدهم - ان تاء البانة والركوة والخيبة والرابية ايضا تعنى التانيث فقالوا : هي البانة وهي الركوة وهي الخيبة .

وبتعبير آخر ان التانيث (الحقيقي) قد تعامل فيه ضمير (هي) في مثل هي الاتان ، مع تاء التانيث في مثل الضئبة والفتاة ، نصارت (هي) تستعمل كتاعدة عامة مع اسماء الاناث سواء اكانت منتهية بالتاء ام لم تكن ، ومع اسماء الاغلاء المنتهية بالتاء . وقد هوملت هذه الاسماء بمعاملة الاناث في مختلف حالات الكلام ، نصاروا يقولون : هي الاتان وهي الشمعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والانثى من الاسماء فيسر التانية مثل الفرس فيؤنث اذا تصدوا الانثى ويذكر اذا تصدوا الذكر .

واما الاسماء التي يجوز نطقها بالتاء وبدونها كالنجم والليله فقد انثوها مع التاء وذكرها بدونها فقالوا : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك الماءة . لكن الضدعة انثوها في كلتا الحالتين فقالوا : تلك الضدعة وهذه الضدع ، لانهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الضدع نسوه العلجوم .

صفة التانيث أو استقر في الكلام تانيثه حتى في
الدرجات كالشمس والارض والحرب والنار ..

ونشهد القدامى العرب أنهم اصابوا حين انشوا
بعض الاسماء مع خلوها من علامة التانيث كالظنر
والمرضع والحامل ، لان هذه الصفات لا تكون الا في
الاناث ، ولو أنهم - العرب - شذوا حين ميموا صفة
الولادة على الرجل . ويبطل استفراب القاريء لقولنا
هذا اذا تذكر أنهم يسمون الاب (الوالد) مع استحالة
الولادة عليه . واضفاء صفة الولادة على الاب وهو
منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الخضوع
لسطوتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام
الوالدة والاب ، كما اطلقوا (القرين) على الشمس
والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم
لم يسموا الوالدة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق - في الظنر والحامل والمرضع
- يطير هباء في مثل : الخادم والعامر والرسول
والضيف وامثالها من الاسماء التي تطلق على الذكر
والانثى ، اي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها
خنثى ، وانما تكون ذكرا او انثى حين تميزها قرينة من
الضماير او غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن
العامرات ، وتلك الرسول ، وهذه الضيف .. او : هو
الخادم وهم العامرون ..

تانيث الجموع :

والآن وقد رأينا التانيث في حالتيه ، اي نشوئه
من اضافة التاء اولا ومن استعمال ضمير (هي) ثانيا ،
نأتي الى ظاهرة اخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع
بالتانيث ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاخلاء من الجمادات مغايمة
الاناث قد سرت هداها الى جموع تلك الجمادات ثم
الى جموع كل الجمادات ، فصارت تؤنث بالتاء ويشار
اليها بما يخص الانثى المفردة من الضماير واسماء
الاشارة والصفات ، ما تجتمع نماذجها في مثل قولك :
تلك هي (الجبال) السماء الزاهية التي تسر رائحتها .
مجميع الالفاظ في هذه العبارة خاصة بالانثى مع انها
تدل على الجبال التي مفردتها (الجبل) مذكر .

واذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد
قد أدت الى ثبوت القواعد اللغوية .، مثل التانيث
بالمفتحة كتعامدة عامة في اللاتينية ، فان حياة النقلة في
العربية وتكرار امتراق أهلها واجتماعهم على غير نظام
قد جعل من العربية مختبرا لغويا تقع فيه تجارب لغوية
كثيرة التنوع والتمديد دائمة التفاعل والتخضض
والتولد . (وقد استمرت العربية تصدر نماذج منها الى
الخارج ، لغات ولهجات ، على السنة الآريين والهاميين
والساميين ، منذ سحيق العصور) .

وبنتيجة ذلك التفاعل والتخضض والتولد في العربية
صار بعض القبائل يؤنث بعض أسماء الاخلاء كما
رأينا ، وبعض القبائل يذكرها ، وبعضهم يؤنثها
ويذكرها . فلماذا اختاف اللغويون فيما يؤنثون ويذكرون
من أسماء الجمادات لان بعضهم يروي عن هذه
الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد أخذ المحدثون من معاصرينا يميلون الى
اعتبار (هو) ضميرا عاما للتذكير والتجريد من
المنسل (أ) معا ، مثل اليوم من يقولون (هي الطريق)
وأقل منهم من يقولون (هي السوق) فيما عدا قولهم :
السوق السوداء والسوق المشتركة . واما كلمة (السلم)
فلا نظن اننا ترائناها مؤنثة لاحد من المحدثين ولا حتى
المتنطسين منهم . واما (الرمح والغول) فلا نذكر انهما
مرا بنا شخصا مؤنثين في شعر او نثر حديث ولا تديم ،
بالرغم من ان اللغويين ادرجوها ضمن الاسماء
المؤنثة .

وفي اللهجة المصرية يؤنثون الامضاء والهناء مثلا
وينطقونها الامضة والهنة لانتهائهما بالمفتحة ، وفي
اللهجة المغربية يؤنثون الزيت لانتهائه بالتاء . وبعض
المراشيين يؤنثون الرأس والباب والبطن ، بل ان بعض
ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد
وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الامامية (اي التي
طبقت شهرتها الاماق) .

هذه البلبلة التي كانت شغلا شاعرا للغويين
القدامى ، هي التي حدث ببعضهم الى ان يقول بجواز
التانيث والتذكير في جميع أسماء الجمادات التي لا تدل
صيغتها على التانيث . واصوب من هذا هو الاتجاه
الذي ينتحيه التطور في هذا الجيل كالذي نوهنا به ،
اي تغليب التذكير على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في

(1) نعصد بالمنسل - زنة المبرد - آلة التناسل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاء احيانا بمعاملة جمع المؤنث السالم
يقال « انهن عصور مطاولات ودهور داهرات » .

ماذا أضفنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيقية
من بني الانسان والحيوان علاوة على بعض أسماء
الذكور التي تجمع بالتاء كاليمانية والخيالة ، وتقول
الرجال وتعمل - مما ظنوه تائبا - أتضح لنا لماذا
تغلب التانيث على أكثر الجموع ، وعرفنا لماذا قال
شعروور النحاة :

ان تومي تجمعووا ويقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث ا

وما سمينا شعروورا لغثاة شعره لكن لانه رعم
بالاضافة الى ذلك ان (كل جمع) مؤنث ، متجاهلا
جموع الذكور مثل : هم الرجال ، نملوا ، ويعملون ،
وماعلون . ولو قد قال بدلا من ذلك « رب جمع مؤنث)
لاحسن وأصاب ، بمعنى أن (رب) للتكثير لا للتليل .

فهذا فيما نظن موجز حكاية هذا التانيث الفوضوي
الذي بلبل بال اللغويين والنحويين ، قديما وحديفا ،
من شرقيين ومستشرقين - المسؤول في احدائه
ضمير (هي) الذي خدع العرب الاتدمين بمعنييه
للتذكير والتانيث ، وشريكته في الجرم (التاء) التي
خدعت العرب الاتدمين والنحاة من بعدهم بمعانيها
الكثيرة المتشابهة .

علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبدالهادي الفيضي أستاذ اللغة العربية بكلية اللغة
"الجف الأشرف" بعراوه

وثالثة أمادها وهو يربط على ظهر الكلب أو كتفه
وتقبل وضع المسحوق في فمه أيضا .
فكانت النتيجة ذاتها .

فاهتدى من هذا الى أن المنبهات البديلة أو ما
يسمىها بـ (المنبهات الشرطية) تستدعي الاستجابة
أو ما سماه بـ (الفعل المنعكس الشرطي) كما
تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد أطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات
الشرطية مصطلح (التعلم الشرطي) .

وانتهى أيضا الى أن هذا اللون من التعلم موجود
في جميع الحيوانات حتى أحطها .. والى أنه يستطيع
بواسطة تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني
والحيواني (1) .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد
جذور هذه النظرية تبدأ وبتفصيل من قبل العلامة
النحوي العربي رضي الدين الاسترأبادي المعروف بـ
(الرضي) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك في كتابه
النحوي (شرح الكافية) عذد دراسته موضوع
(الاصوات) .

قال :

« وثالثها : أصوات يصوت بها للحيوانات عند

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم
الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي إيفان
پتروفيش بانلوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهمات نظريات التعلم ومن مهمات
موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطي : ذلك الترابط الآلي بين
الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ،
والذي تنوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك عن
المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بانلوف من تجاربه التي
أجراها على الكلب الذي كان يثبت على مائدة التجارب .

حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من
مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرسا كهربائيا قبيل
وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد أن كرر التجربة أكثر من مرة أن ترفع
الجرس الكهربائي وحده كاف في المراز لعاب الكلب .

وأعاد التجربة مستبدلا ترفع الجرس باضاءة
مصباح امام الكلب وتقبل وضع المسحوق في فمه أيضا .

ولاحظ أن اضاءة المصباح وحدها بعد تكرار
التجربة كافية في أن يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

(1) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح 281.

طلب شيء منها ، أما المجيء كالفاظ الدعاء نحو
(هوت) و (قوس) ونحوهما ، وأما الذهاب كـ
(هلا) و (هج) و (هجا) ونحوها ، وأما أمر آخر
كـ (ساء) للشرب و (هذع) للتسكين .

وهذه اللفاظ ليست بما يخاطب به هذه
الحيوانات المعجم حتى يقال انها أوامر . أو نواه — كما
ذهب اليه بعضهم — لانها لا تصلح لكونها مخاطبة ،
لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى : (كمثل الذي
ينطق بما لا يسبح الا دعاء ونداء) (1) ، بل كان أصلها
ان الشخص كان يتعمد انقياد بعض الحيوانات لشيء
من هذه الاعمال فيصوت لها أما بصوت غير مركب من
الحروف كالصليخ للدابة عند ايرادها الماء ، وغير ذلك ،
وأما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته
ثم يحرضه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الأمر اما
بضربه وتأديبه ، وأما بايناسه واطعائه ، فكان
الحيوان يمثل المراد منه أما رهبة من الضرب أو رغبة
في ذلك البسر .

وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب
أو البر الى ان يكتفي الطالب بذلك الصوت ممن
للضرب أو البر لانه كان يتصور الحيوان من ذلك
الصوت ما يصحبه من الضرب أو ضده فيمثل عقيب
الصوت عادة ودربة مضار ذلك الصوت المركب ممن
الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وأما وضعوا لمثل هذا الغرض صوتا مركبا من
الحروف ولم يقتنعوا بسادج الصوت لان الصوت من
حيث هو هو مشتبه الأفراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد
على المخارج سهل ، فلما كان الاعمال المطلوبة ممن
الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها
فركبوا من الحروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبين منه كيفية تعليم
الحيوانات كالدب والقرد والكلب وغير ذلك .

هذا . . . وأنا لا ارى منعا من ارتكاب صيرورة
هذه الاصوات المقارنة في الاصل للضرب أو البر لما
استغنى بها الطالب عنهما اسماء اعمال بمعنى الامر

— كما ذهب اليه بعضهم — فتكون أوامر ونواهي ،
لان الله سبحانه وتعالى جعل العجاوات في فهم المطلوب
من هذه الاصوات بمنزلة العقلاء ، فلا بأس بان تخاطب
وتكلم بما تفهمه كالعقلاء « (2) .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص (الذي نقلته
بكامله ليماد منه) وبين تجارب بالملوف ونتائجها ..
نستطيع ان ننتهي الى ان الرضي كان سابقا في الاهتداء
الى هذه النظرية (نظرية التعلم الشرطي) .

وربما انماها من ملاحظاته المتكررة لحيياة
الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخيا انه قام بتجارب
مماثلة لما قام به بالملوف .

والنظرية كما تأتي نتيجة لتجارب تجري في معامل
الترويض ، تأتي ايضا نتيجة للملاحظة المنظمة
الدقيقة للسلوك .

ونستطيع ان نعلل عدم اعطاء اهتداء الرضي
للمنظرية الاهتمام الفرسي المطلوب ، بمجيئه سابقا
بقرون لوجود علم النفس ، ولانه كان في مجال غير
نفسى وهو المجال النحوي .

وعامل آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية
وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيما
أعلمه .

نقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في
كتابه (شرح الكافية) في علم النحو العربي (وشرح
الشمسية) في علم الصرف العربي ، اللذين هالج فيهما
مسائل ذبنيك الملمين ونظرياتها معالجة وأهية أصمت
بالإصالة في الرأي والمبني في البحث والانتهاه الى آراء
خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحوي
منحته لقب (المحقق) بين العلماء (ونجم الأئمة)
باستحقاق .

وأخيرا :

للعالم بالملوف تأكيد النظرية بالتجربة العملية ،
وبلورتها الى مصطلح أخذ مجاله العلمي .

(1) 171 / البقرة .

(2) شرح الكافية 80/2 و 81 .

ملاحظات حول النقد الأدبي

الدكتور محمد رجب السيوي "القاهرة"

بمعنى العيب والانتقاص نقد جاء في قولهم نقدته الحية بمعنى لدفته ، ونقدت رأسه بأصبعي بمعنى ضربته ونعما يروي من حديث أبي الدرداء ان نقدت الناس نقدوك بمعنى ان عبتهم عابوك ومن هنا رجح بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المؤاخذة والتخطئة مشيرا الى ان اللغة قد وضعت لفظ التقريظ لما يقابل المؤاخذة من المديح والاطراء اخذا من قول العرب قرظت الجلد اذا دبغ بالقرظ محسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقريظ اليوم شيوعا ظاهرا ، اذ نرى نفرا من الناس يحرصون على كتابة مقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الخالص دون ان تتعرض - الا في القليل - لمخالفة صريحة في الرأي والاتجاه ، ونحن لا نرفض التقريظ اذا صدر عن رأي وامتداد ووافق موضعه من البحث الرائع والعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الادبية ما هو جدير بالتقريظ الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم ان اكثر من يتجهون الى التقريظ لا يضمونه الموضع الصحيح لربما رجح عندهم البهرج وشال الصحيح .

اذن تمييز الجيد من الرديء ، والعيب المنتقص كلاهما من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد فاذا اتجهنا الى المعنى الادبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل في التقديم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم فالنقد لا يخرج لديهم عن دراسة الآثار الادبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الاصابة والخطأ مقدرين درجتها الفنية شارحين اسباب الاستحسان

يطيلون الحديث من معنى النقد في اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم في مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون ان يعقدوا صلة ما بين كل معنى وما تمورف عليه الآن من معنى النقد الادبي ، وذلك جهد ان ابان من حسن التصرف وبراعة الاحتيال فانه يكثر الحديث في غير طائل ، والافوق ان نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة القريبة الى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد في التفسير لنصل الى الحقيقة دون تصويب .

واذا كان من اوضح معاني النقد في كتب اللغة انه تمييز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الدراهم وانتقدتها بمعنى انك ابنت الزائف من الصحيح ، وميزت الجيد من الرديء ، فان هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد في الاصطلاح الادبي لان الناقد لا يخرج عن كونه صيرليا ماهرا ، يعرف الزائف من الصحيح ويميز الجيد من الرديء ، غير ان مادته هي الاساليب الادبية بمختلف فنونها واجناسها ، فهو اذن جوهر المعاني والالفاظ ، يزن الخواطر والمسامر والتعابير بميزانه الادبي ويبعث بفكره وراء كل كلمة وخاطره مبينا مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الادبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي قريب قريب واذا كان الناقد الادبي يعمد الى تصحيح الخطأ وتعويم المعوج وفي ذلك من توجيه اللوم فسنيا الى صاحب الاثر المنتقد ما قد يقع منه موقع الالم وعدم الارتياح فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة قريبة الى ذلك ، اذ ان العرب قد يستعملون النقد

والاستهجان وذلك ما يراه المحثون اذ يقولون من النقد انه التقدير الصحيح لاي اثر لمني مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواه. ، واذا كان النقد الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب مكسرة وتصويرا وتعبيرا واحسنا مع الحكم عليه فان ذلك ما يلتقي بمعنى النقد في كتب الادب القديمة من ايسر السبيل .

واذا كانت الكتب المؤلفة في النقد العربي القديم، هي الجامعة لمذاهب العلماء والادباء في الفن ، والحافلة بآراء شيوخ الادب في النثر والشعر ، فاننا لا نصل منها الى تحديد اول من اطلق كلمة النقد على مدلولها الادبي من هؤلاء ، واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البحري حين تحدث عن ابي العباس ابن ثعلب مقال عنه : « ما رأيته ناقدا للشعر ولا مبيزا للالفاظ » ولكن رواية البحري جاءت على لسان مبد القاهر في «دلائل الامجاز» فلمله روى المعنى دون اللفظ، واطهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من علماء القرن الرابع (337) هـ حين سمي كتابه نقد الشعر وصرح بانه يبحث في تخلص جيده من رديئه ، وقد سبقه الى هذا المضمار محمد بن سلام الجمحي (232) هـ في كتابه «طبقات الشعراء» والجاحظ (255) هـ في «البيان والتبيين» وابن قتيبة (276) هـ في «كتاب الشعر والشعراء»، الا ان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقا حتى جعلها قدامة اسما لكتابه فتعوربت واشتهرت، وترددت بعد ذلك في ماكتبه الامدي والجرجاني والزمخشري وابو هلال وابن رشيقي حتى أصبحت علما على من ادبي طائر الصيت ، ويخيل الى ان خلف الاحمر (180) اول من اشار اليها من قريب دون ان ينص على لفظها الصريح وكأنه حوم ولم يقع ، فقد روى صاحب طبقات الشعراء (1) ان قائلا قال له : اذا سمعت انا بالشعر استحسنه لما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك مقال له : « اذا اخذت انت درهما فاستحسنته مقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له » والصيرفي في اللغة هو الناقد وقد قرنه خلف الاحمر بمن يخلص الشعر ويزنه بميزانه الصحيح ، ثم صار الفاحص ناقدا دون تفریق . هذا الناقد الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس القاضي فوق منصة القضاء ، يحلل البواعث ويكتنه السرائر ويتعمق المعاني ما موقفه من النص المنقود ؟ يقتصر

في نقده على ايضاح مشاعره الذاتية ازاء النص لميجيء حكمه النقدي صدى لشعوره النفسي ومعبرا عن مدى استجابته الشخصية للنص المدروس أم يتعمد بقواعد علمية مرسومة تعارف عليها السابقون وجعلوها مناط الاحتذاء والترسم لقد طال النقاش حول الذاتية والموضوعية فانبرى الذاتيون ينادون بان الناقد ليس آلة في يد المقررات السابقة يسير في ضوئها ، ويمشوا الى نارها ويحرص على التزامها دون انحراف ، فان له من مشاعره الخاصة وثقافته النيرة ، وبصيرته الناقدة ما يستطيع به ان يفسح بعض المقررات الجديدة التي تفتح اتجاهات مغلقة ، وتشير الى طرق حديثة في مجال التعبير والتصوير ، وبذلك يتقدم الادب في شتى مجاله ويضيف اللاهق الى السابق ما يطرد به النمو الادبي نحو الكمال هذا بعض ما يقوله الذاتيون ، اما انصار النقد الموضوعي ، فيرون ان الاهواء الشخصية تتحكم ، والبيول النفسية تسيطر لماذا تجرد الناقد عن كل مصطلح مقرر يمكنه تحت هذه البيول المتحركة ان يمدح المخطيء ويذم المصيب ولن يعدم من اوجه التحمل والافتعال ما يظهر نقده مظهر المحايد المتجرد ، واذا استطاع بمسح الحصفاء ان يدركوا ماخذ الضعف في انحرافه فـان الكثرة من القراء سينخدعون بطرائه ، ويسيروا في تياره وربما احتذى الناشئة حذوه فاندمعوا الى محاكاة ادب هابط رلعه ناقد مفرض حاجة في نفسه فامتد ضرره السيء الى نطاق بعيد هذا بعض ما يقوله الموضوعيون ، وتلك قضية تلزمننا ان نقول ان الحدود ليست فاصلة بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، اذ ان النقد الذاتي مهما استجاب لتأثيره النفسي وتجاوبه الشعوري ومهما عبر عن انفعاله الخاص نحو اثر يقرؤه ويتذوقه فانه يصدر في تجاوبه واستجابته عن حصيلة قراءات سابقة تتفق على استحسان الجيد واستهجان الرديء ، وهو بعد لم يستطع ان يثيق طريقه في ميدان النقد بحيث يصبح ذا تأثير كبير على قرائه الا بعد رسوخ في النظر المستقيم وادمان على البحث الجيد ، ومواصلة للدراسة المنقبة عن مطاوي المعارف ومجاهل الآراء ، وهو بكل هذه الدراسة الموضوعية لا يستطيع ان يكون ذاتيا يتجرد من جميع ما قرره السابقون من احكام ، كما ان الناقد الموضوعي مهما التزم المقررات المعلومة وتقيد بالمعارف المرسومة ونهج منهج المحافظين على تضايها الفكر ومذاهب البحث فانه انسان يحس ويتأثر

ويستجيب ، وله ذاتيته التي تدموه الى التفاعل مع النص تفاعلا يسير به الى تحبيذه في ضوء ما يعلم من المقررات فتمصر الذاتية قريب منه قرب الموضوعية من صاحبه ؟ فليست هناك حدود ماصلة تجعل الناقد الموضوعي ينمزل انعزالا تاما عن الناقد الذاتي ، غير اننا نلاحظ السمة البارزة لدى الناقد فاذا غلبت الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلبت الموضوعية عليه كان ناقدا موضوعيا ، ومن خير الابدان ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي معا لبيتكسر الاول ويجدد ويدعو الى آفاق جديدة تفيض بالضياء فيطرد النمو الادبي وتتسلسل الحلقات الجديدة على تناسل الزمان ، أما الناقد الموضوعي فيقف حائلا دون الشطط الجامح ، وحاجزا دون التهور في الرأي والاسراف المفرق ، وسير الزمن في دورته لينشأ في الجبيل اللالحق من يزن آراء الذاتيين والموضوعيين معا ، فيرمي بالزبد ويبقى الصريح .

وإذا كنا نحب الادب ونحرص على الاستمتاع بصوره والامادة من افكاره والالتذاذ بموسيقاه فان حبنا للادب يدفعنا تلقائيا الى حب النقد ، إذ ان النقد يتولى شرح الاثر الادبي وتحليله فيسلط اشعته القوية على زواياه الخافية ، ويهدي القارئ الى مناح دقيقة قد تغيب عن ذهنه فيجيه عمله مكملا لمعمل الاديب ، وقد يضيق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويترمون بما يبذون من ملاحظات وأذكر اني قرأت قصة غريبة تهدف الى السخرية من النقاد وتصنمهم بالفضل والجذب وتتحداهم ان يضموا اثرا من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم الهادمة ولعل كاتب القصة ممن تعرضوا الى نقد متتابع أزعهج وأقلق راحته ، فاندفع يثار لنفسه من قوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء معا ، لان الناقد حين يهدم اثرا فنيا انما يدل على نواحي ضعفه ومواقع تهافته ليتجنبها من يزاول الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانشاء الجيد هادما بانبا في وقت واحد وكل ناقد يعتمد الى الهدم فقط دون أن يشير بالعلاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب أن تكون ، والقارئ ظالم حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين قرا النص قد خرج عنه لا محالة بفكرة ما دقيقة او مضافة ، فوزنه بميزانه الشخصي الذي تخلقه الطبيعة في نفس كل قارئ يقرأ ويحكم لماذا قرأ بعد ذلك نقدا جيدا لهذا الاثر ، فانه يوجهه الى ما فانه لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة فتمتو في نفسه بذرة ناقد حقيقي

يشرب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، أو يكتب بما اتيح له من توة الملاحظة وسعة الافق حين درس وجهة النظر الجديدة فيما طالع ودرس ، وإذا كانت فائدة القارئ عظيمة فان فائدة صاحب الاثر الفني اعظم وادسم ، لان كل صاحب عمل نظري أو فني يجب أن يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في اطوائه برغبة ملحة الى الاستماع لكل ما يدور حوله. من وجهات النظر المختلفة ، فاذا صادف ناقد مخلصا لهدفه فانه يكمل نقصه بما يبدي من اعتراض أو مؤاخذة ، ولن يضيره في شيء ان يحصي الناقد اخطاه في دقة وتعميل لانه اذا آلمه من هذه الناحية فسيبصره حين يتعرض بالتحليل للكاشف الى مواطن الابداع في منه وموضع النبوغ في نظرته ، وقد يكون سفره الى القراء ، إذ يوثق صلاتهم به حين ينتج عيونهم على منامذ جديدة في انتاجه لم تكن لتتاح للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى أن من الخطر كل الخطر ان يصبح الاديب تلميذا لناقده يخضع لتوجيهه ويرضى بقبول توصياته ، إذ ان من الناقدين من تشخ نفوسهم الى الاستعلاء فيدعون انهم اساتذة الابداء مع انهم في حقيقة نفوسهم لا يعيشون على غير تراث هؤلاء التلاميذ المزهومين ملولا ان الشاعر أو الكاتب قد أبدع اثره الفني ما وجد الناقد مجالاً للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد ان يكون ادبيا منشئا زاول الانتاج الفني ليكون ابصر بفضائته ، وادري بمنعرجاته وقد يكون ذلك ميسورا لدى بعض الموهوبين من النقاد ، الا انه ليس امرا عاما لدى الجميع ، وقد كان الراقعي رحمه الله يشترط في ناقد الشعر ان يكون شاعرا ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية أخرى إذ ان أكثر نقدة الشعر المجيدين في القديم والحديث ليسوا بشعراء ولم ينمهم ذلك عن تأليف الكتب الناجمة والمقالات الحاسمة في فن الشعر ومآخذة على أن الناقد من الاديب تربيب غير بعيد إذ أن ميدان الفن الادبي هو الانسان والطبيعة فالاديب اما أن يتعرض للنفس الباطنية بما يموج بها من تيار العواطف والنوازع فيصدر عن الذات الداخلية ناظرا الى العلاقات البارزة في الصلات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والمواقف الانسانية ومتخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم الخفية في غبطة وارتياح ، وأما ان يتعرض للطبيعة من حوله صابئة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم

الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صامتا وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذاً من هذا المحيط الزاهر مسرحاً بديعاً لخياله الخالق ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يقدم للناقد شيئاً غريباً عنه ، فهو إنسان مثله يرى ويحس ويتصور ويحكم ، ولئن ماتته أبداع الصور المنشئة فإديه أبداع المحلل الشارح وقد تكون المقالة النقدية بانسجام بنائها وتسلسل انكارها وإباض لغتها وسر أبحاثها ذات متممة وجدانية لدى المتذوقين .

ولكن أي ناقد الذي يمتعنا بفنه الأدبي كما يمتعنا بنظرة الفكري هذا؟ اننا نقرأ كل يوم في الصحف والمجلات - حتى الرصينة منها - لمصولة تنسم بسمة النقد الظاهرية ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقية فكم من ناقد يتعرض الى قصة أو ديوان أو مؤلف فلا يلج الى خوافيه ولا ينسر مراميه - مخالفاً أو مؤيداً - بل يكتفي بعرض هام يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قيل لكل موظف في مجلة أو صحيفة انه يستطيع أن يكون ناقدًا ، وقد يكون عرض أبواب الكتاب والإشارة السريعة الى مضمونه ما يفيد القارئ ببعض الإفادة ولكن صاحب هذا العرض لا يبت الى النقاد بسببوثيق مهما أخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونحن نشعر الآن بانخفاض المستوى الأدبي في التأليف مما كان عليه في حقبة تربية ، ومرد ذلك في بعض أسبابه الى ضحالة النقد الأدبي ، ومقتد الناقد الموجه ، الذي يملك القدرة على التشديد والتوجيه ، وليست الصفات المفروضة في هذا الناقد المسدد بالأمر المعجز ، فهي مما يدخل في طوق نثر من الموهوبين لو تركوا الكسل الوادع ونشطوا السى العمل الديموب .

وأول صفات الناقد الهادف قوة البصيرة المستندة الى الذكاء اللامح ، فهو صاحب الرأي الممتاز في صفة ما تنتجه العقول المتارة من بيان ولا بد أن يجد لديه من النفاذ والعمق ما يسمفه بالتفسير الهادف ، والملاحظة القوية كما يمه برصيد هي من التجربة الفنية والحراية الشخصية بالبواعث والغايات ، ومبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالفكر وتزخر بالمعاطفة والاحساس والتصوير وتلك ذخائر ثمينة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليتصل بها الى ما يريد من التقييم والتقييم .

وهذه البصيرة المستندة الى الذكاء في حاجة ماسة الى الاطلاع المستمر على أحدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محيطه الفني ، لان سعة المعرفة تفتح آفاق النظر وتسلح صاحبها بالسوى عدده الماضية ، وكلما زادت هذه المعرفة منحت جناح صاحبها ريشاً يخلق في آفانه المتراصة ، وإذا كنا نرى الآن بعض من يدأبون من النقاد على الاطلاع ويحرصون على اقتطاف أشهر الثمار من الحقل العلمي ثم لا يبلغون باطلاعهم الواسع ما يريدون من صدق النقد وكمال التوجيه لذلك لان الاطلاع والواسع وان تنوعت رواعده لا يفيد الناقد اذا عدم البصيرة القوية المستندة الى الذكاء اللامح ، اذ ان هذه المعارف المختلفة الهذية جيدة تنيد الجسم أكبر فائدة ولكن على شريطة ان توجد الانسان القاضمة والمعدة الهاضمة بحيث تتحول الى دم حار قوي ينح الجسم نشاطه ويجدد انسجته وخلاياه بالذنين يمتنون في الاطلاع الدائب دون أن يسلحوا بالذكاء اللامح والخبرة الحصيفة لا يعطون الصورة الامينة للناقد المنشود .

وتأتي بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع صفة ثالثة للناقد الجيد وهي تجرده الخالص من ميوله الذاتية وأهوائه الشخصية بحيث ينسى مصيبتة لما يمتنق من مذاهب حين يتجه الى النص بالنقد اذ ان هذه الميول الخاصة تفسح على الحقائق ستارا يحجب كثيرا من لائها الساطع ، ونحن نعلم ان الانصاف الأدبي خلق عزيز النال لا يرتقى اليه غير ذوي العزم من أصحاب المبادئ النبيلة ولكنه على صعوبة مثاله موجود متحقق لدى قلة تنسم به وتصدر عنه نبيها تدلى به من الاحكام ومن غرائب النفس البشرية ان صاحب التعمص الذهني قد لا يلتفت في بعض احواله الى تعصبه بل يتجه اليه لا شعوريا تحت تأثير عوامل قوية بعيدة الخفاء في منطقة التأثير الباطني فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجرده النزيه في نقده اذا اردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في رأي الناقد ولكنه غير صادق حين نحلل أعماله الدفينة التي قد يجهلها جهلا تاما لنذكر ما التسي التعمص على عينيه من فحشاء ، وعلى القاريء ان يدرس ناقدته دراسة وافية ليملم مذاهبه التي يتمسك بها في مختلف أمانين الرأي من سياسة وأدب واجتماع ما دام يصدر عنها لا محالة ، فالتعمص الذهني كان ولا يزال مما يضع الحوائل الكئيبة دون الصواب الصريح اذ ان صاحب الاتجاه الديني أو السباسي أو الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

مجالاً ، بل نريد أن يكون هذا الود الانساني مدعاة الى تفهم الاثر على حقيقته من ناحية وهاملا على قبول المنقود له وانتفاعه بما يحمل من تسديد وتوجيه ، فما أضر بالنقد في حديثه وتديبه غير قوم رأوا الاستعلاء والسيطرة باب المواخظة والنقض فشنوا حربا طاحنة كان الأولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقد وتر عند الناقد أن الشدة العنيفة هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت العدوى الى جمهرة القراء فأخذوا يتابعون أصحاب القسوة المفرطة معجبين ، وقد تعجب حين ترى بعض المتزعمين في ميدان النقد قد نالوا بسلطتهم المفرضة ما لم ينلّه الشراء من أبناء الكلية وأرباب الهدوء المترن وأن كان مع هذه الجمهرة المشفوفة بقسوة النقد قلّة منصفة تفر من الضجيج المفتعل ، وتسد أذنيها لدى الفرقة الصاخبة ، وهي طائفة المستنيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن أن يكون هؤلاء على قلوبهم أداة الترجيح الحقيقية في المعركة إذ يقولون فيسمعون .

ونحن في عصر تقدمت فيه العلوم الإنسانية فتمشبت مروها واتسعت ميادينها وأصبحت تمد المثقف المعاصر بزاد دسم يمينه على النظر الثاقب والفكر الصحيح ، وإذا كان الناقد ملزما كل الأزام أن يلم الماها حسنا بخير ما ينتجه الفكر الانساني من علم وفلسفة ، لتتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المارك الأدبية في هذا العهد نقاشا حادا حول صلة هذه العلوم الإنسانية بالنقد المعاصر ، فذهب فريق من الكاتبيين الى تمعيد النقد ودعمه على أسس علمية ترتكز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال أسس صالحة للنظر النقدي إذ أن عالم النفس حين يلم بالنفس الإنسانية ويعلم نوازعها المتباينة وتياراتها المتصارعة وما تسببه المعقد النفسية من صراع ، وما تلبه الغرائز من أهواء وميول فانه يستطيع على ضوء هذه المعرفة النفسية أن يحلل النص الأدبي تحليلا يبرز مكان القوة وأسباب الضعف في جملته وتفصيله ، كما أن عالم الاجتماع حين يرصد موقف الأديب من مجتمعه وأثر المجتمع في تكوين الأديب وتلوين مشاركته ، وتنازع أهوائه فانه يلمس أثر ذلك نميا قدم من إنتاج أدبي ، وربما التمس له بعض العذر في ما يخالف وجهة النظر العامة بعض المخالفة ، وكذلك عالم الجمال الذي درس أصوله وألم بمقاييسه وعرف مدى ما توصل اليه في البحث عن حاسة الجمال وميزان الشيء الجميل فانه بمقاييسه الجمالية يستطيع أن يرن الأثر الأدبي ميزانا علميا لا تميل به النوازع

الفكرية في سهولة مفرطة ليجنح الى الحكم النزيه على اثر أدبي لا يرتضي منحاها وفي تاريخ النقد العربي أمثلة كثيرة لشيوخ يمتنون مذاهب خاصة في الحديث والتقديم تشل عقولهم من التفكير الصحيح ، فهناك من يتمصب للجاهلين وحدهم ، ولا يكاد يفضل غيرهم في مجال الاستشهاد وهناك من يلسح صدره فيهمم الاسلاميين والامويين الى دائرة رضاه ويقف موقف السخرية مما أحدثه ادباء العباسية من إنتاج ، كما وجد أيضا من شيوخ النقد القديم من ينزع عنه رداء التمصب ، وينظر الى النص الأدبي نظرة مجردة من التمصب لاتجاه معين يصدر عنه نميا يقول ولعل ابن تتيبة قد أفصح عن نفسه وعن غيره حين قال في كتابه عن الشعر والشعراء : « ولم أقصد نميا ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسنت باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المستأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقين وأعطيت كلا حقه وولمت عليه حظه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم تائله ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه ورأى تائله ، ولم يتصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولاخص يوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباداه وجعل كل تقديم منهم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخلط يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قديما عندنا ببعده العهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والمتابي والحسن بن هانيء فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به ولم يرعاه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد أن نشير الى صفة رابعة للناقد الجيد وهي الصفاء النفسي الذي يطبعه بطابع الهدوء السوادع ويمنحه اعتدال المزاج ، واطمئنان الأعصاب فلا يثور لمخالفة أو يحتاج لتقيصة بل ينظر الى الأثر نظرة الحكيم العالم بالبواهب المعطوف على الإنسانية في ضلعها وكبوتها ، فهو مع النص المنقود دارس متزن يعرف دواعي القول ، ويلقى صاحبه بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصورا ما أشترج في صدره من الاحاسيس حين رسم خلجاته في ما قدم من إنتاج ، ولا نريد بذلك أن ينقلب النقد تقريظا

الخاصة في شيء ، هذا ما ذهب اليه فريق من الباحثين وتطاحنوا من أجله مع فريق آخر يرى أن الدعوة إلى تعميم النقد الأدبي ودعمه على أسس علمية ترتكز على العلوم الإنسانية خطر داهم يحيط بالنقد الأدبي ، لأنه يصرف الناقد من التذوق الفني الخالص إلى اصطلاحات علمية تلتقي على دراسته ظلمة مبهمة ، لا تساعد على ارتقاء ذوق أو تفهم احساس أذ يرون أن عمل الناقد الأول هو دراسة النص الأدبي وتفسيره في أفق الأدبي المتفوق بحيث يقف الناقد ليسجل خواطره الذاتية محللاً مسرراً دون أن يتعامل بمصطلحات تنف كالصخور الثقيلة في طريق القارئ دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، فأصحاب الرأي الأول يرون أن العلوم المختلفة تتشابه وتمتد لتقدم للذهن البشري غذاء يسد نظره وينير طريقه ، ولا بد من الإلمام بها لنصل إلى الحقائق الأدبية دون انحراف ، فإن العصر الحاضر هو عصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولا بد أن تطبق هذه الدراسات على الإنسان ليفهم على ضوءها منازع انتاجه وبواهب خواطره ، وذلك مما يدعو إلى تثقيف الناقد تثقيفاً بصيراً ، لترتفع البحوث الأدبية إلى المستوى المنهجي ذي القواعد المضبوطة ، والموازن الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك لهم في رأي دماء التثقيف العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث بل يسرعون إلى الاستجابة إلى تأثيراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم إلى الشطط في الحكم والانحراف من الجادة ، ولن يسكت أصحاب الرأي الثاني عن خصوصهم فهبوا يقولون أنهم ينسون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الأدبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع إيضاح صلة الإنكار وارتباطها وملاءمة الشكل للمضمون وكل اهتمام للمعارف الإنسانية على هذه الدراسة مما يعمد بالناقد عن ميدانه ، ولنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الإنسانية للناقد فهي توسع مداركه وتفسر غوامضه دون نزاع ، ولكننا نقول أن اهتمامها في النقد مما يطمس بريقه ويضعف تأثيره وهم بذلك يتفنون مع أصحاب الرأي الأول في جدوى هذه الدراسات ككفالة عامة للناقد ، ويختلفون معهم اختلافاً يصل إلى حد الغشوة والعنف في محاولة استخدام مصطلحاتها العلمية وأساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن

معهم في أن النقد الأدبي يجب ألا تتكرر مشاريعه بهذه التسميات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستواه الفني واضحاً مشرقاً يخاطب الذوق والمعل والمعاطفة دون غشاء ، ولدينا المثال البارز على نساد التفريع العلمي في مجال النقد الأدبي بما نعرفه من انحدار علوم البلاغة في جهودها الأخيرة على يد العقنيين من أمثال السكاكي والقرويني والسعد وغيرهم ممن جانب مذهب عبد القاهر في الاستشفاف الذاتي المستند إلى الموهبة البيانية والخبرة الأدبية إذ أن هؤلاء العقنيين جعلوا من بحوث البلاغة الأدبية مجالاً للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر إلى هذه المباحث نظرة الماهكة والتبرير مختصت البلاغة خنقاً فيما كتبه من متون وحواش وتقريرات؟ فالرأي الفصل فيما نشب من عراك حول هذه العلوم الإنسانية أن يلم بها الناقد المأما يزيد من ثقافته ومهته على أن يعتمد عليها كل الإبتعاد في مجال التطبيق الأدبي إذ يقف أمام النص الفني وجهاً لوجه دون ستار، وقد ذهب معارضو اهتمام هذه النظريات العلمية في مجال النقد الأدبي إلى الاستشهاد بأقوال أساطين النقد الأوربي مثل لانسون الفرنسي حين يقول فيما ترجمه عنه الدكتور محمد مندور « أن الاصطلاح العلمي عندما ننقله في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث أن يلقي ظلمة ، وأمن في الروح العلمية موقف أولئك الأدباء الذين لا يدعون بناء أي شيء على نموذج غيره ، بل يتصرفون همهم على رؤية الوقائع الداخلة في مجال بحثهم ، والمثور على العبارات التي لا تخلف شيئاً خارجاً عنها ولا تضيف إليها إلا أقل ما يمكن والشيء الذي يجب أن نأخذه من العلم ليس كما قال مردريك وهو هذه الوسيلة أو تلك بل روحه » . وإذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالابتعاد عن اهتمام العلوم الإنسانية في مجال النقد الأدبي فقد أيد وجهته بما ترجمه من أساتذة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناقش هذه المسائل ، كما لم ينس إجداده العرب حين بحث من أقوالهم المتصلة بهذا الموضوع فنقل من ابن قتيبة قوله في مقدمة « أدب الكاتب » (1). ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحتباه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها

(1) النقد المنهجي عند العرب لمندور ص 27 - النقد المنهجي ص 115 .

وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحثري .

وواضح أن الأمدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان أن الاستشهاد في غير موضعه ؛ ولكننا نقول أن النقد الأدبي في حقيقته الأصلية — عمل أدبي كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب أن يقدم نقده واضحا شافيا بعيدا عن غموض العويص من اللغة والدقيق من المصطلحات ؛ وإذا كان للشاعر أن يتشغف بالدراسات الإنسانية كما يتشغف الناقد فان مصطلحات هذه الدراسة لا يجوز أن تنتقل إلى القصيدة الشعرية كما لا يجوز أن تنتقل إلى الكتابة النقدية سواء بسواء .

وإذا كنا نعرف أن النقد الأدبي يقوم على الذوق المستشف البصير بمراتي النبوغ ومهاوي الضعف في الأثر الأدبي ، فليس لكل قارئ أن يقيم من ذوقه الخاص ناقدا يصدر الأحكام الأدبية ويوزعها ذات الشمال وذات اليمين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبيعة والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النفاذ إلى النص الأدبي تحليلا وتفسيرا وحكما ، وهو القادر على أن يندمج فيها يقرأ اندماجا يوحي له بكل ما يمين من تقدير أو مؤاخذة ، مستعينا بعاطفته ومقله وحسه على أداء وظيفته النقدية ومستجيبا إلى هوائف نفسه فيما توحي به من ارتياح أو نفور ، ولحق ما أدى إليه تمرسه الطويل ومزاويلته المستمرة في محيط العمل الفني لذوق الناقد لا يقف به عند مجرد الاستحسان أو الاستهجان بل يهديه إلى حيثيات ما يصدر من حكم يكن وراءه الذهن الصافي والقرينة الخصبة والحس المتيقظ لادق الخلجات وأبعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذواقة زميله الذواقي في حكم ، ويكون كلاهما صحيح النظرة سليم الاتجاه لأن الطلية الأدبية تتسع لاكثر من اتجاه ، ولأن الطبيعة البشرية تفرق في مدى الاستجابة وقوة الإيهام ولحق ما لايس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاربيها من خبرات زميله، ومن هنا نجد الناقدين الكبيرين يحكمان على القصيدة أو المسرحية أو المقالة بما قد تفرق به الاتجاهات ، ومن البعيد أن يبلغ الاختلاف بينهما درجة التفساد والتباين وأن وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل قاعدة مطردة إذ أن المسلم به أنه توجد مع عوامل الخلاف عوامل أخرى للاتفاق تحول دون التضاد الصريح ، إنما يكون هذا الاختلاف بين الناقدين

مغضب لذلك وعاداه وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقتل فيه المناظرون له ، ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم لماذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاختبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الالتاب كل فائدة ولطيفة لماذا طابمها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والمعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط التمتلة ، والتتملة لا تقسم ، والكلام أربعة ، أمر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانين مع هذين كثير ، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه ، لماذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وتيدا للسانه وعيا في المحائل وغفلة عند المتناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة بشيء سوى أن صاحب « ادب الكاتب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء المنطق والفلسفة والكلام من أمثال الجوهر والمعرض والكيف والكمية ، ولكل عصر مصطلحاته وتواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غوامض التعريفات ولم يكتف الدكتور مندور بقول ابن قتيبة بل عززه بما ذكره أبو القاسم الأمدي في الموازنة بين الطائيين حيث قال بعد نقل متشعب :

« وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة — طريقة السهولة والوضوح — وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان وحكمة الهند ، أو ادب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دهونك حكيما أو سمينك فيلسوفا ولكن لا نسبيك شاعرا ولا ندعوك أديبا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سمينك بذلك لم نلحك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء ، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق وينسده ويمحيه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره ، وحسن التأليف

مداد علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو
انفع من ذوق التلميم ، وهذا الكتاب وان كان ليس
يمليه عليك استاذاً واذا سئلت مما ينفع به قيل لك
هذا ، فان الدربة والادمان اجدي عليك نفعا ، واهدي
بصرا وسعما ، وهما يريانك الخبر عيانا ويجملان
مسرك من القول امكانا ، وكل جارحة منك قلبا
ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط
بادماتك ما اخطاك ، وما مثلي فيما جهده لك من هذه
الطريق الا كمن طبع سينا ووضعها في يمينك لتقاتل به ،
وليس عليه ان يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير
مباشرة القتال .

هذه خطرات امهد بها للحديث عن النقد العربي
في اطواره المتعاقبة لنمطى القارىء اضراره تهديه في
ارتداد طريق ممتدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة
مركزة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشغل
النقد والناقدين .

الكبيرين غالبا في درجة الحكم ونسبته فهو يترجح بين
الحسن والاحسن او الجيد والاجود او الضعيف
والاضعف ، وهذا حين يكون النقد غنيا تائريا لا مذهبيا
مقائدا حيث يلتزم الناقد باتجاه ديني او اجتماعي او
سياسي يدعو اليه ، فمن الممكن اذن ان يصل الخلاف
بين الناقدتين الى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ ان
النفوس اصبحت تفتق بالنقد المذهبي في مجال الادب
الخالص ، وتراه عامل تعصب لا يهدف الى الحكم
المجرد التزيه انما النقد ذوق خالص مفتوح يستوحي
النص دون تقيد او تضيق ، وهذا الذوق هبة عليا
تمنح لذوي المواهب وتصل بالقراءة والنظر والتمرس
البصير ، ويهمننا ان ننقل عن ناقد عربي كبير رأيه
الخاص في تقدير الذوق الموهوب وارتكاز النقد الادبي
عليه ارتكازا يجعل كل تعليم دائب لا يكاد يفني عنه
شيئا ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول في
مقدمة « المثل السائر » « اعلم ايها الناظر في كتابي ان

الحضارة الإسلامية

بين الماضي... والمستقبل (١)

الأستاذ أحمد عبد الرحيم سايح " القاقره "

إذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فان مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد الى الوان من المعنى ، هي ابعد واوسع مما رآه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية الى الحضرة .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فان مفهومها آخر ظهر واتصل بها ، اصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سابقا ايضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضرة فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فان لفظ الحضارة في مفهومه العالي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد اصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي والتقليدي واذا كان اصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرهما » الإقامة في الحضرة . فان المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد

بمناز الاسلام بانه دين الحضارة الانسانية الكاملة : بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وانه انشا لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الاسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الاسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية انها : -

تعنى حياة الحضرة والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضرة منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان اول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل ان هذا العالم العربي هو اول من عالج شؤون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على انه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على انها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذي يناقض في مفهومه البداوة . فينشئ القرى والمدن ويضفي على اصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والمسلم والصناعة وادارة شؤون الحياة .

المطاء بانها : مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظيتين آخرين لهما في الحياة الانسانية شان كبير والسر واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فاصل مادة التشذيب في اللغة العربية : التشذيب والتهديب والتقويم والحدق والفظانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بشراك للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الاخر بحياة جماعات بلدانها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والاخذ باسباب الحضارة وقد اتصل لفظ المدينة في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشأتها المموسة .

وكذلك من حيث الانماط المعيشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم وامراف .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للفنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة المريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الانسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث قدس حرية الفكر ، واهزاز حرية الانسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال اخاه شامل ، وحمل

نام وروحانية صالحة واهتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها ومناصرها ووجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان الاسلام يعطيته الذاتية استطاع ان يصفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين فسي مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

دعائم الحضارة الاسلامية :

(1) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة المعنوية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

(2) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوة له رسالة يجب على المسام ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان يبشر طابعه الحضاري كعقيدة وكنمط للحياة .

(3) كان الاسلام ديننا سهلا غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه وتمامه وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة فى العقيدة الاسلامية شاملة للعبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ايسر من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل فى دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لا بد ان يأتى مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذى قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذى لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان القروان كان وعاء للعقيدة كلها . حفظها على مر المصور واضفى عليها الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

(4) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ، ويدعو اليه فى حدود اصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام فى رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

(5) كان الاسلام دينا للدنيا والاخرة معا ولى هذا قد اختلف عن كثير من الديانات والعقائد التى ينبع بعضها فى ماديات الحياة ثم يضي عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر فى مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام

اكثر التصاقا بالحياة فى مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعية . وفى الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري فى مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

(6) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملًا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد ام من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من ابرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الدائمة للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التى تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه مضمون من امضاء الجماعة المسماة بعمل مصلحة الجماعة والجماعة تسمى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكتمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس فى الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام فى اصلاح الانسانى العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الدائمة للافراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله مسئولين امامه عن اعمالهم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسؤولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الذاتية ويوصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفى الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانسانى يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالفهرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغمما منه كما فى الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم فرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحرب دون تقاضى .

7) البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين أطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بإدلة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بإدلة بالبحر الأحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في أن شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب أن يقوموا به ولم يكن الأمر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على أهميته . وإنما كان الأمر أوسع وأعمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السنوك الانساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي أمور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الإسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

8) القرآن الكريم ذاته وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين ، بحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ وأوامر ونواهي ، كان دستوراً من أعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم .

ولقد كان أول اثر من آثار القرآن في الفكر الانساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك أن العلم اساس التقدم ومرآة نهضة الأمم وعنوان حضارتها . وقد كانت عنابة القرآن بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرآن وتدبر آياته تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون واحداث الماضي . والقرآن نفسه مشتق من القراءة والقراءة أدنى مفاتيح العلم للانسان وأول ما نزل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس آيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الالهي بالقراءة في اول آية وكررها مرة أخرى في الآية

الثالثة وأوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو التعليم وراد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر الى الاصل الذي خلق الله منه الانسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون اسرار هذا الكون مما سيمر به الانسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

وأول قسم في القرآن اقسام به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ان والقلم وما يسطرون » فأول سورة نزلت من القرآن سورة العلق ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « والقلم يكتب ويتعلم الانسان » .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان عنمه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

إذا افتخر الإبطال يوماً بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعة
مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

والقرآن دائما يهتف بالانسانية « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » والقرآن يرفض ان يقف بالعلم عند حد بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الإسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر ان المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقى الى درجة معلومات الا اذا قامت عليها بيئة واستندت الى دليل ومن ثم كان القرآن ينادي دائما « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « اثبوتني بكتاب من قبل هذا أو اشارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الاخيرة تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية أو رؤية بصرية أو براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذي وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الادلة . ويمشي بهم في طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرفي .

ولقد دعا الاسلام الناس ان يمعنوا فكرهم في هذا الكون الفسيح وينموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستفلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » ولم يكتف القران بهذا بل ردد كلمة العلم (بجميع اشتقاقاتها وتصريفها في سورة وآياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير المنزلة التي رفع القران « العلم » اليها . وكلمة العلم في الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان الشخصية الانسانية لا يرقىها شيء غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقران مليء بالايحاءات لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر في البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكير والتأمل في هذا الكون العجيب الذي يمتلئ بالظواهر الطبيعية التي تسير في نظام ودقة عجيبين .

(9) اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالية منبتا وازها جانبا وافواها جلادة ، وابلفها عبارة واغزرها مادة وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتصويرا عما يجول في النفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القران الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا والقوى استقرارا وبفصل القران صارت ابعاد اللغات مدى واوسعها الفقا واندرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصورا صحيحا هي المقاطع واضح السمات بارز القسامات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الغالدة ومعارف البشرية الرائعة كما اسمت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التي شرفت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لفة بالفة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية في ظلال القران .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان يكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية ومقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة : وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل مسن « كمبانيا » في ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب اسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لفة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امنت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما فما الذي حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » ان الذي كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال حافظها الى اليوم وهو القران، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذي لا يعرف للقران فضله في بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجهل ان اللغة العربية بالفة ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذي لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من
ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية
وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها
من عصور الركود وما نشأت نفيض قوة وحيوية .

انها الرابطة النفسية التي تربط بين اهل البلاد
والصيغة الجميلة التي تودعها مكوناتها العقول
والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسمت مباديء ومثلا مليا لم تضق
بها ولم تنكلم من احتمال اعيانها بل في ظل حضارة
الاسلام مرتت وامتصت وتفاعلت ونمت نماها
الطبيعي المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية
كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعطلت
واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وقضت في دورانها
العظيم على كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها
وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها من التحليق
والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تقشع
اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جالتهافي
صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة
خلاقية .

هذه اللغة دعمها القردان اذ اخذت تفرض
سلطانها في بيئات جديدة في اقطار الارض ولم
تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط
اسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم
تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او
تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القردان وقد
يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم
تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما
تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لامم وشعوب
قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها
لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المنوية
الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من
الطليح الى المحيط الاطلسي تتوهج جدوتها وترسل
اشعتها وشروها الى كل مكان حتى في امريكا تناول
منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال
تضئ في المجلات والانار الادبية .

وواضح انها اجتارت آمادا واحتيايا متطاولة من
الزمن وقد المت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في

طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلم بها ثم
يرايها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور
بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات
الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية .
فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانما
اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول حتى من
المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل
يجري هزيرا زاخرا متفتقا مقتحما كل ما يصادفه من
حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت
العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد
مهما تداننت وتباعدت ومهما شرفت او هزبت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها
الفطرة السليمة والاحساس المرفه والادراك النافذ .

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل
كلماتها خطرات النفوس وتتجلى معانيها في اجراس
الالفاظ تتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها
نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالعاني المحسة
والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين
الاشياء المتشابهة فتضع للشبه لفظا غير ما وضعته
لشبيهه ادراكا للفروق الدقيق بينهما فاذا وضمت
بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضمت العربية
كلمات تختلف باختلاف مالة الضرب وموضعه من
الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني
مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل
حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه
وانفه ولحمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس
هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في
المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها
في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل
تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا
لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو
الضم والاخرى لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ
والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه واذا
اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة
العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ،
فيها مادة ووزن نخذل المادة او اخلقها او استمرها من
لغة اخرى ثم صيها في قالب من قوالب الاسماء
والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا او مفعولا ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلازمه في المواد كلها وبهذا امتازت العربية واستبان خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها وللأسماء اوزان وللانفعال اوزان فما لا يزنه هذه الاوزان فهو اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتناول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تمى ولم تصق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقافة من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكروهة .

ولقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان وحبه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات ودايات وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب وما استقام له ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتواتت المعن وثارَت الفتن والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغات وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم في كثير من الامم الاسلامية غير العربية . وما تزال لغات هذه الامم مترمة بالفاظ العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما يقول العلماء - وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمها وحديثها ادبا اتمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الامصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القران وبهذا استطاعت العربية ان تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الانساني .

ولاول مرة تجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه القوة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات قلبتها وتممقت شعوبها .

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية في المغرب الاوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة في شمال افريقيا فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تقهر اليونانية في الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري وفي اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسع كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعتها وعمقها وصعوبتها واسافت فلسفتهم وعظومهم وطبهم وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بين السامية

فالعربية : اداة الفكر الحي نقل الناس اليها كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزيور وسائر كتب الانبياء من السريانية والبرانية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب .

(10) وبجانب هذا وذلك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالمصر الذي ظهر فيه الاسلام وانتشرت عقيدته . ثم بالعنصر البشري والتكوين السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما من مصر فان الاسلام كان ختام الاديان السماوية وكان بلدا لها من الناحية

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا روحيا لصور من الديانات السابقة التي شوهدا الزمن . وكان على الاسلام ان يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافز الاميل للفكر الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تحتفظ باصالتها من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق رحابها ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع السوان الحضارات التي التقى بها على قوة غلبت كل التحديات فانشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وترسيخ معالم حضارته قد تصاعفت بفعل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التي دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 - في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله والفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

2 - وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

3 - وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق

والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 - وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتضامن . وقيام كل راع بمسئولته .

5 - وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

6 - وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري .

7 - وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . وامتياز الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا عاما للانسانية .

8 - وفي نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 - وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 - انقذت العالم القديم مما كان يمشي فيه من فوضى وانهايار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

3 - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

4 - اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من المعارف الساد منها الغرب في عصر الاحياء والنهضة ، وامتد عليها العالم الاسلامي في بقلته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

5 - وضعت بعض اصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الفزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :

يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :

يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :

يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :

يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :

يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :

يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :

يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :

يبحث عن علة الشيء المعلوم

السؤال التاسع من هو :

يبحث عن التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية وافاقا جديدة في البحوث الانسانية كالفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريين على يد «ابن الهيثم» وابتداء مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» و «عمر الخيام» .

7 - ساعدت بدائها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 - ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشارة المثل الاخلاقية الرقيقة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهادة العلم واساندة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطكي والزهراوي والغافقي والخوارزمي والصوفي وجابر الجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم (965 - 1039) يبحث في السهول والادوية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجياي يسر على قم الجبال العالية يحقق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويمرّف ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرايين المبتوتة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف (هارفي) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بشمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهديب والبيولوجيا .

وجابر بن هيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة (الرصاص) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضى والهمجية والتأخر ولم يتخذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

الاسلام وما زالت اسماء العلماء والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لفرائب العلم ما زالت حية نابضة في جميع اللغات ولم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يفتون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم في ذاته . والدين لا تسيطر عليهم المعصية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمننا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا ناتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب . وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون عنها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة (سيجريد هوتكه) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها ابناء الصحراء من العدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ الحقل البشري لسيادة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وان الانسان ليقتف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان في تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان اوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق اوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة «كارينسكي» ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت اوروبا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلافة وسجل للاخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القران والقوانين الطبيعية .

وقال العلامة « دريير » المدرس بجامعة (هارفارد) بأمريكا في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية أي بعد موت محمد بست سنوات ولم يعض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استانسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا من حدود هذا الكتاب فانهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبس وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحريير والقطن . وكانوا يديبون المعادن ويجودون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها واننا لندهش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .

ويقول في مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها . وقال العلامة « سديو » في كتابه تاريخ

العرب : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الدوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى ناس قرطبة ، ويزوي من وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دريير » : اول مدرسة انشئت للطب في اوربا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بارم) من

إيطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في اشبيلية بإسبانيا وانهم رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والادب وفاقوا فيهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد ان المؤلف جمع بين الجبر والادب .

وانظر الى كتب البيروني تجد ان الادب والرياضيات اجتماعا متماثلين . . قال العلامة «درابرا» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الاسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذي اوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي انشا في آسيا وأوربا نشأة جديدة وانسانية جديدة .

ان هذه الاقوال التي جاءت على لسان علماء افاض لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمننا وجملته وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة وامتلئت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الاذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم ، هذا واذا كانت الحضارة الاسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها الى ذروة ما قدر للانسانية من التقدم ولها من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح لها ان تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة ان تعود الى اشراقها من جديد فتساهم في اعطاء الحضارة الانسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ انكارها ان آداب وتعاليم الاسلام كفيلا بان تجعل العالم الاسلامي في وضع يسمح له بان ينمي فلسفته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الاسلامي . ويتضح ذلك من العقائق التالية :

اولا - ان العالم الاسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسفيكي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الاسلامي تتميز بانها :

1 - تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان . بعيدة عن القطبين ومسألة من الاعاصير والظوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وانها تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من اعظم موانئ العالم كما بها من الانهار والنايغ ما يجعلها من اخصب المناطق واكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وان فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية وزيادة الامن والرخاء .

4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 - وان التجانس المذهبي بين سكان العالم الاسلامي يجعل المنطقة في منأى عن الانشقاق الملحوظ في المذاهب الاخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وفتحا وتقدما .

وتلك امور تجعل العالم الاسلامي قوة ايجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو باسه ويخشى سلطانه وتجعله ايضا مهيا للاسهام في بناء الحضارة الانسانية واعادة صنع الحياة واثاق البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

ثانيا - واذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميزات وما لهما من كنوز وخيرات الى الحديث عن الاسلام نفسه فاننا نجد انه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وفتحه .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ ارقى صورته وأشكاله عقيدة ترفع من قيمة الانسان لانها تصله بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله . « قل هو الله

أحد، الله الصمد، لم بلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد .

ولا تبیح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بالخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية في حدود الحق والفضيلة وباعتبار أنه دين توحيد واجتماع أمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وأن يرضي مطالب الروح والجسد حتى تترافق في اعتدال وكونا حقيقة الإنسان المهذب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهديب الاجتماعي أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادئ .

والإسلام وليد العقيدة الرائقة الرائعة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتفذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها وتمطي كل مطمع من مطامع الإنسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبحث في روح المؤمن بها الإحساس بالعمة من غير كبر وروح الثقة في غير افتراء وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

ثالثاً - أن الإسلام متعل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والإسلام قادر بطبيعته الدائمة على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الأمم في حركتها الداخلة المتدرة عبر العصور .

والإسلام ينظر إلى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالإضافة إلى أنه ديسن يهتم بالجانب الروحي من الإنسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بالحرية والأخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا إلى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : أنه ما من شيء يهم الإنسانية ويشغل بالها ويأخذ قسطاً من عنايتها إلا وله في الإسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتمقها إلا وله في الإسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الإسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر المبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

وأبما - أن تعاليم الإسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الإصلاح الإسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيلاً بقيام مجتمع إنساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والإخلاص ولكن ذلك رهين إرجوع المسلمين إلى منابع مزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الأخلاقية الإسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدة التي لا يخبو ضوءها .

قال الدكتور جورج سارطون : « أن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعنوم التي حث الإسلام على الأخذ بها . »

وقال العلامة دامبري : « أن روح نظام المسلمين هو الدين والذي أحياهم هو الدين والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس إلا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : « أن الشرق الإسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما أنه في فجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن أن نسميه دور الإبداع والابتكار ضمن إطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا أن نتكهن أن إنباء الثقافة الإسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والإنسانية » .

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكاية ووتر بولاية أوهايو يرى أنه لو أمكن إنارة التماسك الإسلامي في سبيل الفراض ايجابية وتكثيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لا يمكن أن تصير هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم ..

(يتبع)

نقد الكتب

الدكتور مدوح عتي

وخير في المكتب الدائم ،

- 2 - نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد
260 صفحة من القطع الكبير .
- 3 - بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي
172 صفحة من القطع الصغير .
- 4 - النور من الداخل ، محمد الفايز
260 صفحة من القطع المتوسط .
- 5 - الطين والشمس ، محمد الفايز
98 صفحة القطع الصغير .

أما الأول والثاني فشرهما ابامي النسيج ، البيت فيه شطران والقافية موحدة . إلا أن موضوعاتهما متلاحمة مترابطة كأنها قصة ذات مقدمة وموضوع ونهاية ، وفي ذلك تفوق حسن على كثير من الشعراء الاباعيين المعاصرين ، لولا أن لغتها ليست من القوة بحيث تشبه لغة كبار الشعراء .

وأما الثلاثة الأخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر الحر ، أصابت في بعضه وضعفت في بعضه الآخر . وموضوعاتها على العموم رومانسية تذكرنا بشعراء النهضة الأوائل في لبنان وسوريا ومصر .

وفي طريقة العرض ميل إلى الرمزية ، فديوان الطين والشمس مثلا ، يمرض الشاعر في كل صفحة ثلاثة أبيات ، وأحيانا بيتا واحدا ، وأحيانا صورة رمزية كرجل مصلوب ، أو رجل عريان قاعد على رأس تل وفوق رأسه قراب ... وكلها من الرسم القريب من السريالي . والديوان كله يقرأ بنحو نصف ساعة!!

أماي الآن ثمانية دواوين ثمانية شعراء من الكويت . وقد قرأتها جميعا بلهفة لاني ما كنت أتصور أن هذه الدوة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بمدد سكانها ، قادرة على أن تنتج مثل هذا المدد الضخم من الشعراء ، في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ، ولو كان في المجلة متسع لنقدها وتقريظها تفصيلا لقمعت ، وأنها لجديرة بذلك ، ولكنني مضطر إلى مرضها مجملة ، تعريفيا بها ، ولثلا يفوت قراءنا العلم بالنهضة الادبية المتوتبة في هذا القطر الحبيب .

ولاحظت أن ثلاثة من هذه الدواوين أنشئت باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « اللغة النبطية » فهمتها كلها ولم يفتني منها الا القليل النادر ، وهذا ما يؤكد لي بأن اللهجات العربية، مهما تباعدت الاقطار فيما بينها ، هي متقاربة جدا سواء بمفرداتها أم بتراكيبها . كما اني لاحظت ارتفاعا بمستواها عما كنت اعلمه فيها قبل بضع سنين ، وهذا دليل واضح على الاتجاه الطيب الذي تتجه اليه اللهجات العامية في جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع أني اعجبت بشامية اصحاب هذه الدواوين الثلاثة ، السادة : وليد جعفر في « آهات قلبي » وعبد الله عبد العزيز الدويش ، وصقر النصافي ، فاني لا اراه أكثر من شعر محلي .

أما الدواوين الخمسة الاخرى ، فلفتها عربية فصيحة على تفاوت فيما بينها قليل

- 1 - ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من
القطع الكبير .

أما الكتاب الأخير الذي وقفت عنده كثيرا على سفر حجمه (93 صفحة من القطع الصغير) فهو « مقالات عن الكويت ، لأحمد البشر » فقد مرض جزءا من تاريخ الكويت الأدبي القديم وجلا ناحية لم يسبقه إليها أحد : اثبت بأن جبل كاطلة الذي دفن فيه غالب بن صعصعة ووالد الفرزدق ، ما هو إلا المكان المسمى الآن « أمقيرة » قرب الجبراء. وأن « الفرزدق » نشأ بين قومه هناك ، وأنه كان يثوب إليه بعد كل سفر . وعلى هذا فالفرزدق سيد شعراء بني أمية الأوائل ، ما هو إلا شاعر كويتي ، وإذا لم يكن للكويت من نخر في تاريخها الأدبي إلا أنها انجبت مثل الفرزدق لكفيت بذلك فخرا .

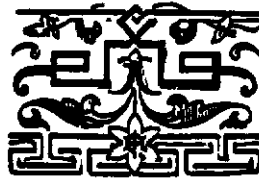
إلا إن شامية هذا الشاب قد تستوقفك أحيانا للتأمل والتفكير .

وأحب أن أشير هنا إلى كتابين آخرين تلقيناها من الكويت كذلك هما :

1 - دواسات كويتية - فاضل خلف 154 صفحة من القطع الكبير .

2 - أدباء الكويت في قرنين - خالد سعود 288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدان يوضحان كثيرا مما غمض في تاريخ الكويت الأدبي ، وبشرحان كثيرا مما تعقد على الدارس فهمه. وقد اتكأت عليهما وساعداني مساعدة مجدية في تفهم شعراء الكويت فصيحهم ونبطيهم .



الموسيقى لغة الروح

الأستاذ ابراهيم الدرويش المصري
مفكس التريّة الموسيقية في سوريا

ولما كان التفكير بتأثير بالمؤثر الخارجي وبالظروف الآتية التي ينشط فيها ، فان النتيجة التي يصل اليها في حالة التأثر بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك انها من مقومات الفهم التام والجمال المجرد الذي يتجه ناحية الخير .

ولم يعد اثر فن الموسيقى محصورا في اطراب الاذن واشباع الحواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شأنها فيما مضى ، بل تمداه الى تادية خدمات جليلة في كل ميدان من ميادين التربية والمادة والمجتمع .

وكانت الحرب العالمية الاخيرة اختبارا قويا لتقيمة هذا الفن في ميادين عدة كالتوعية والتوجيه والترقية .

ولقد ادت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعاية المشرفة . فقبل قرن مضى تقريبا كانت « بولونيا » لا تعدو كونها امة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا والمانيا وكانت اخبار كفاح شعبها الباسل - نظرا لتاخر وسائل المدنية آنذاك - تصل مشوهة لا تلفت ولا تثير الا عطفًا وقتيا . لقد اخفقت السياسة وفشلت الدعاية في لفت انظار العالم الى نصرة بولونيا الجريحة ولكن الموسيقى نجحت فيما اخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى في استدرار العطف على امة واثارة ضمير الانسانية في صالح بلاده . فقد مور شوبان في مقطوعته (البولونية)

على الدرويش علم من اعلام الموسيقى في القطر العربي السوري .

ياخذ موقفنا من الموسيقى اوضاعا ثلاثة :

1 - نستمتع اليها كوسيلة لترفيه والطرب ، والاستماع الفني .

2 - نبحتها كعلم وفن وصناعة ومهنة .

3 - نبحتها في اثرها العام كثقافة ولدوق وتوعية وتوجيه ، وفي اثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمننا في هذه الكلمة .

الموسيقى فن رفيع بل لعله ارفع الفنون .
هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلاسل الحياة وتيودها . هي لغة نبيلة تستطيع ان تانس اليها كل روح ويطمئن اليها كل قاب لانها الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام ان تجاريها فيها . وارتباط الموسيقى هذا الارتباط الوثيق بالمعاطفة الانسانية يجعل تأثيرها امضى واكثر من غيرها من الفنون الجميلة في توجيه الروح والقلب وفي تفتح الطاقات وتفجيرها ، كخطوة اولى في سبيل توجيه الفكر البشري .

لان تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفخة واللحن المنبث من الآلة الموسيقية او من الحنجرة البشرية ، اذ انها تنقل المشاعر الى عالم جميل علوي يستسيغه العقل ويعمل فيه بحرية وحيوية .

كفاح شعب جريح وصور في العانها نداء الحق
المهضوم فاذا بهذه المقطوعة الموسيقية تسدي خدمة
لم تسدها السياسة قط الى شعب مناضل مكتم .
وتحررت بولونيا لان موسيقى (شوبان) قد حركت
الضمير البشري .

ومندي اكثر من مثال على ان الموسيقى تستطيع
باشراف الدولة ان توجه الجماهير والشباب والاجيال
في التربية والتوعية الهادفة ، توجيها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى (فاكنر) الالماني التي
ادت دورا هاما في حياة المانيا ، فقد اوحث مقطوعاته
الى الشعب الالماني روح النضال والكفاح في سبيل
البقاء والاتحاد ، وكانت هاما قويا في تكوين المانيا
ايام حرب السبعين ، ثم استخدمت ثانية في النهوض
بالمانيا بعد هزيمتها في الحربين العالميتين الاولى
والثانية فقد ادخلت في البرامج الدراسية وفي
الشهادات العامة وبثت في نفوس الشعب الالماني
فوجهته الى الثغاني في محبة الوطن والقومية وخدمت
اغراض السياسة ايضا .

وقس على ذلك نشيد (المارسيلاز) الذي كان
من عوامل حماية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته
ولحنه الثائر (روجيه دي ليل) . وانشيد معركة
بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد
(الله اكبر) ، ثم بعض اناشيد الثورة في الجمهورية
العربية السورية . وهناك امثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين
الروحية بل تمدتها الى الميادين العملية ، اذ ان
استخدامها في المصانع خلال الحرب الاخيرة ومسا
بعدها ، قد ادى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة
ملحوظة .

ولا الهالي اذا قلت بان الدول الكبرى كالولايات
المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ومعظم الدول
النامية واخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها المربي
(جاك دلكروز) مؤسس مدرسة التنظيم والتربية
الموسيقية عام 1913 - كانت سبابة في ادخال
الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد اثبتت
الاختبارات العلمية الدقيقة ان الموسيقى تلعب دورا
هاما في تكوين شخصية ونفسية الطفل في سنينه
الاولى وفي دور المراهقة والشباب ايضا .
ولذا اصبحت الموسيقى من مقومات الحضارة
الحديثة كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من

وسائل الدعاية والتوجيه والتوعية والتربية والتعليم .
كما ان الموسيقى تريح العقل كما يريح الاستجمام
الجم لماتبته من نشاط فكري نشاهد اثره واضحا
جنبيا في تفكير الطفل وزيادة قابليته للفهم والاستيعاب .

وهكذا نلمس للموسيقى اثارا ثلاثة في التربية:

1 - اثرها في التوجيه والتربية العامة
للشعب .

2 - اثرها في تربية الروح القومية والمحبة
للانسانية .

3 - اثرها التربوي في المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما اردنا ان نقوم على تربية
جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شان امتنا ان نأخذ
بعين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جدية
في وسائل التربية كعنصر اساسي للتربية النفسية
والخلقية وتثريها في مناهج التعليم العام بجميع
مراحلها واعتبارها في الشهادات العامة ، والمعمل على
افتتاح المعاهد الموسيقية لرعاة الموهوبين والمعاهد
الشعبية لتثقيف الهواة ، وتنظيم الامور الموسيقية
والعناية بها باخلاص ونزاهة في كل من الازمنة
والتلفزيون . على ان يكون هدفنا دوما توجيه فن
الموسيقى توجيها سليما للتاثير على عقلية رجال
ونساء الغد بما فيه دعم بناء الامس .

واري ان تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل
ذكرا كان ام انثى وخاصة في مرحلة رياض الاطفال
والتعليم الابتدائي ، واري ان تربي غرائز الطفل
ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قوية بتوجيه فني
تربوي ، يستطيع ان ينفذ الى مشاعره ويسمو بها .

وبهذا تسهل مهمة المربي والمربية لان الموسيقى
اداة فعالة في تدريب عقلية الطفل وتهديب نفسيته
وتوسيع مداركه في الطريق التي ترسمها قواعد
التربية .

ولنضرب مثلا للمجهود العربي في هذا المجال
بحياة علم من الاعلام الموسيقي في القطر العربي
السوري هو الاستاذ علي الدرويش : فقد ولد وتوفي
في حلب 1884 م - 1952 م .

كان جده الاكبر من اصل مصري عربي ، خلف
ولدا اسماء ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد علي
الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشأ نشأة
مصامية دينية ، تعلم القراءة والكتابة في الكتائب

والمدارس الدينية وكان ذا صوت حسن ومن اتباع الطريقة المولوية «التكايا المولوية» في المعهد التركي العثماني ، فكان لذلك اثر كبير ورثه عنه ابنه الصغير علي ، وعندما كان الفتى الصغير علي يدرس في المدرسة الاشرفية الابتدائية ، ينتهز الممثل المدرسية وخصوصا ايام الجمعة ليسرور والده في التكية للاستماع الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمع طويلا الى اناشيدهم وموسيقاهم الصوفية وبموجب بها ومن هنا نشأ تعلقه بالموسيقى وشغفه بها .

انس شيخ التكية «عامل جلي» بالشاب علي صوتا جميلا وميلا قويا للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان . . ثم طاب من والده ان يلقنه الحان الطريقة المولوية واغانيتهم كي يشترك ابنه علي في حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية في ذلك الحين «عثمان بك» الملقب «كجوك عثمان» مؤذن السلطان عبد العزيز سابقا الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توليه الحكم وعنى يدي «عثمان بك» تلقى علي دروسه الاولى في مبادئ الموسيقى وقواعدها الاولى . ثم رار مدينة حلب في هذه الفترة من الزمن موسيقار تركي من اشهر نافخي «الناي» يدعى «شرف الدين بك» وقد اخذ عنه علي الشاب دراسة النفخ بالناي ؛ وفي تلك الاثناء كان يجمع ما بين دراسته في المدرسة اثناء النهار ودراسته الموسيقية في التكية اثناء الليل . وعندما انهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للموسيقى الدينية سابقا وهي «الخشرفية» والكلية الشرعية حاليا وكان من اساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ بشير الغزي . وعندما انهى دراسته في هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكباً على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقدمه في الفن الموسيقي على اقرانه وتفوقه فيه ، ثم لدراسة في المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش ايضا لانتسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضا «علي دده» بالتركية لانتسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد عينه بعد ذلك شيخ التكية (عامل جلي) في وظيفة (قدوم زادياشي) رئيس جماعة الموسيقيين في «المطرب» وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والمغنيين اثناء حفلاتهم الخاصة ،

وبقي في هذا العمل زهاء عشرة اعوام متوالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن اصول الموسيقى ودقاتها بصورة عامة والموسيقى والالحن والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تاجر كثيرا بأساليب والحن الموسيقى التركية التي طعم بها الموسيقى العربية بمؤلفاته والحنه، وقد لحن عددا كبيرا من الالحن باللغة العربية ومن الالحن الالية كالبخارف والسمايات ؛ ومن الالحن المولوية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطابع الخشوع والوقار والمعروفة باسم «آيين شريف» ومن الحنه آيين كردبلي حجاز كار وغيره . .

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى امارة الحمرة في ولاية البصرة وقد ارسل في طلبه امير الحمرة على رأس فرقة موسيقية غنائية وذلك بعد ذبوع شهرته خارج البلاد السورية، وعندما سافر الى الحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاما بعد ان استقال من وظيفته في المولوية نهائيا . وكان تاريخ سفره الى الحمرة وعودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد عاد الى بلده حلب في بداية الحرب العالمية الاولى فقد امضى في ضيافة (الامير خزل) سنتين كان فيهما موضع حفاوته واكرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهز فرصة وجوده في تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل في كراتشي وبومباي ثم قفل راجعا الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى ايام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفي عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية قاصدا استنبول بصحبة شيخ تكيه حلب «عامل شابي» وهناك في استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالمية في الموسيقى في معهد «دار الالحن» الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرسا للموسيقى في مدينة «قسطنوني» وهي مركز ولاية قسطنوني الواقعة شمالي تركيا قريبة من شاطيء البحر الاسود . وقد ألف في مدينة قسطنوني فرقة موسيقية نحاسية امضاؤها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع والميتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعزف في المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته في مدينة قسطنوني تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز في هذه الفترة كتابا في دراسة الموسيقى من تأليفه في خمسة الى سبعة ابواب . . ثم

اذن ملكي صادر في سراي راس التين بالاسكندرية في 18 تشرين الاول عام 1931م. وذلك للسفر مع ديرلنجيه الى تونس للعمل معه على اتمام ابحاثه في الموسيقى العربية .

وقد اشترك للشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذي عقد في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المشمول بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من اساتذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي الى تونس ومكث هناك من عام 1931 م حتى عام 1939 أي حتى بداية الحرب العالمية الثانية . عندما سافر الى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقا ومكث هناك عدة اشهر ، عاد الى القاهرة بعد ان طلب رسميا لمؤتمر الموسيقى العربية وائر انتهاء هذا المؤتمر سافر الى تونس صحبة البارون ديرلنجيه للعمل معه على اتمام ابحاثه ودراساته حول الموسيقى العربية بعد ان ترك القطر المصري نهائيا ، وبعد شهرين من وصوله الى تونس الخضراء ، تعاقب مع وزارة المعارف التونسية في معهدي المطارين والرشيدي لتدريس الموسيقى . فمكث في تلك الديار ذهاء ثمان سنوات كان يطوف خلالها مع ديرلنجيه في جميع البلاد التونسية وشمال افريقيا للبحث عن الالغان الباقية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديما الى تونس والقيروان واكثرهم من سكان قرطبة وقرنطبة واشبيلية وقد كلفت هذه الابحاث البارون ديرلنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق اثناء ذلك الى جمع وتكوين اربعة عشر « نوبة أندلسية » وعشرين ملحقا لهذه النوبات وجملة موشحات أندلسية . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الاندلسية لتكون في حوزته .

وقد أسس الشيخ علي هند عودته الى مدينة حلب خلال العطل الصيفية مع رهنط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . ناديا موسيقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقي بحلب » وكان مقره وقتئذ في باب النصر . ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحه الميماس للموسيقى والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الاثناء عضوا عاملا في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يتزعمه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو ضد الانتداب الفرنسي ، فلحن الكثير من الاناشيد الحماسية والوطنية في مناسبات عديدة . فاذا ما انتقضت العطل الصيفية عاد الشيخ علي الى مقر عمله في تونس . . وقد عمل

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطنطيني اجمل الذكري وخلف هندا من التلاميذ اصبحوا اساتذة من بعده . . وعندما عاد الشيخ علي الى اهله وذويه في حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي . مكث ثلاث سنوات الف خلالها الكثير من الالغان الفنائية والآلية . مثل سماوي عجم عشيران وسماوي نهاوند ولونقا فرحفا وفيها . وقد بحث في هذه الفترة من الالغان العربية القديمة التي اشتهرت بها سوريا وخاصة مدينة حلب فجمع من التراث العربي الشعبي القديم وغيره ودونه وسجله بالعلامات الموسيقية الحديثة كالموشحات والتدود والادوار وفاضل « اسق المعاش » ورقص السماح مع تدون العانها .

ثم انتسب عضوا عاملا الى نادي « الصنائع النفسية » وكان من اعضائه الاساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقي والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم .

وفي هذه الفترة سافر علي راس فرقة موسيقية الى استانبول ، نال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبا معه هندا ضخما من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شتى الفروع والاختصاصات في اللغات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقي الشرفي بمصر الذي أسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اهضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى رأسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدرسه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كلاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة ام كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال عطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م اي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بسنة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بمستشرق انجليزي يدعى البارون ديرلنجيه والذي دعاه هذا الاخير للعمل معه في تونس لتمام ابحاثه في الموسيقى العربية بعد ان اعجب بمقدرته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقي الذي كان يعمل فيه على

من عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيمت جنازته في حفل رهيب مشى فيها بعض الهيئات الحكومية وقد جاء خصيصا من اساتذة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشجيع جنازته الى جانب اساتذة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حشد كبير من الجمهور ، ودفن في مقبرة آقيول بحلب .

واورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية للشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها فيف تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها :
- رابطة الفن بين تونس وشقيقتها سوريا -

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لمدة الفن اجلاسي واعظامي
الى «علي» الى ذي المركز السامي
الى الذي حل بالخضراء فافترفت
من فنه علم اوزان وانغام
الى الذي كان يلقي من شبيبتها
دوما عواطف تقدير واكرام

الى ان قال :

« علي » بلغ لسوريا الشقيقة من
خضرائنا كل تبجيل واعظام
وعد لتونس يا استاذ عبودة ار
هار الربيع لها في عذب بسلام
وانشر باجوائها فنا رفعت له
راسا كريما فاضحى شامخ الهام

الى ان قال :

سر عمدة الفن نحو الشام وابق لنا
الذكرى العزيزة ذكرى خير اسام
واحمل الى الشام من خضرائنا ارجا
عربون ود عميق بالحشا نامي
والشرق في صدره لا زال يجمعنا
والفن قد ربط الخضراء بالشام

ايضا في الاذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الاصدقاء برحلات الى اوربا وحضر بعض الحفلات الموسيقية لدور الاوبرا والسفونواذ كان يجب جدا بتلك الموسيقى التي وصلت الى ما وصلت اليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الاثناء توفي البارون ديرلنجيه مأسوفا عليه بالنظر لخدماته الجليلة للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ علي الديار التونسية انعم عليه باني تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديرا له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسية .

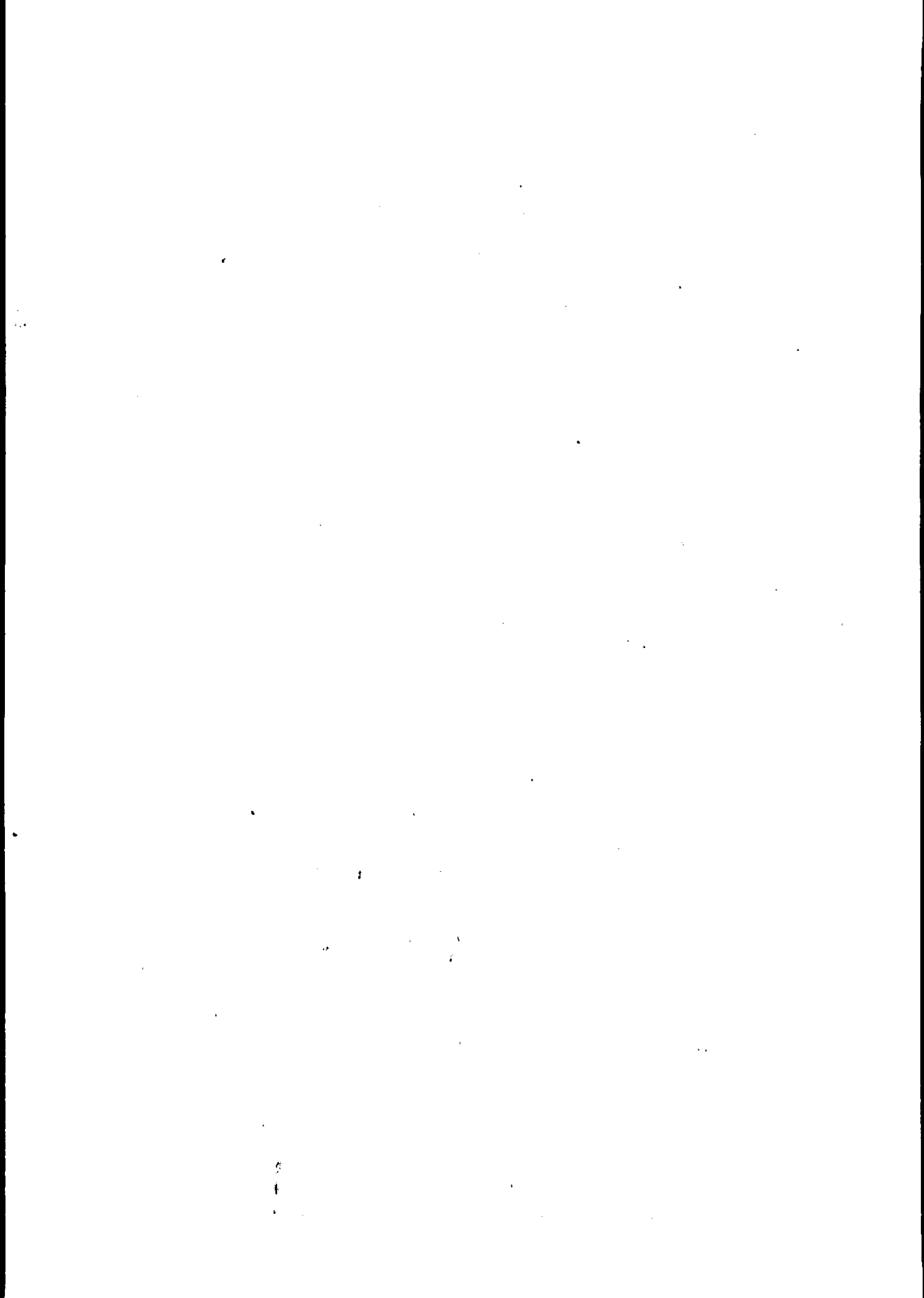
وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939م قفل الشيخ علي راجعا الى وطنه تاركا آثارا طيبة واصدقاء وتلاميذ أصبحوا عمدة النهضة الموسيقية في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدي رئيس اللجنة القومية للموسيقى حاليا ، وعندما عاد الى حلب الف كتابا في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . عين الشيخ علي مميذا ومدرسا في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الاذاعة في القدس بفلسطين نخبة كبيرة من الموشحات القديمة ثم عمل مدرسا في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في اذاعة بغداد ايضا عدة تسجيلات من الموشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ علي الدعامة الكبرى في تأسيس المعهد للموسيقى في حلب ولدى عودته الاخيرة الى الوطن عام 1951 م . عاد الى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي أسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجائي ثم عين الشيخ علي الى جانب عمله في المعهد مستشارا فنيا في دار الاذاعة السورية في حلب الى ان وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الاول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952م

المعلمة العربية

- التحقيق العلمي عند الدكتور مصطفى جواد
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس
للاستاذ سعيد الديوه جي
- اعلام اللغة : احمد فارس الشدياق
للاستاذ محمد جميل بيهم
- تاريخ جامعة الدول العربية
للشيخ طه الوائلي
- مروية فلسطين
للدكتور اسعد حومد
- دراسة حول نهاية الادب للنويري
للاستاذ عبد الحلیم الندوي



التحقيق العلمي

عند الدكتور مصطفى جواد

محمد ابراهيم الكنائي، الأستاذ في جامعتي القرويين
ومحمد الخامس « المغرب الأقصى »

أوفد المكتب الدائم الأستاذ محمد ابراهيم الكنائي ليمثله في حفل تاسين
المرحوم الدكتور مصطفى جواد ببغداد وقد ألقى الأستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة
الآتية :

ومنها الاخذ من نحو البصريين دون الكوفيين ، مع أن
مذهب البصريين مناب لطبيعة اللغات .

وفي (الصرف) يبين بطلان فكرة (المطاوعة) و
(المصدر الصناعي / و) (عدم النسبة للجمع) .

وفي مشكلة معجمات العربية ومرداتها يذكر أن
اللغة العربية محتاجة الى معجمات تستوعب الفصح
وغير الفصح ، والقديم والمولد ، والعربي والمغرب ،
كما ورد في كتب المسلمين الى زمن انتطاع الفاليف
المتن .

يذكر أن الكلمة العربية لها قيمتان دائما ، قيمة
معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية هيوية ، واثق
اذا تصلحت هذه المعجمات اللغوية المتداولة قلما
تجد الشواهد القرآنية لاستعمال الكلم مع أنها اقدم
الشواهد تسجيلا وأصحها .

فالمعجمات ينبغي فيها أن تأخذ وجوه استعمال
الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب دراسة القرآن
دراسة لغوية ودراسة تعوية مودا على بدء . ففي ذلك
نعش للعربية من كبوتها وتقوية وتوسيع .

ويرتر أن من أعظم ميسرات العربية على
طالبها والكتاب الناشئين وضع (قواعد عامة)
تغنيهم في كثير من الاحيان عن مراجعة المعجمات ،
وتدم 16 قاعدة امثلة لما يقترحه من القواعد .

ان الناظر في كثير من آثار الفقيد الدكتور مصطفى
جواد رحمه الله ، - ولو كان معجلا ، يتجلى له
بوضوح متانة ثقافته واتسامها وعمقها ، واطلاعه
الواسع ، واستقلاله الفكري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

لهو ذو ثقافة لغوية متينة . شديد الحرص على
سلامة التعبير العربي من المسخ والانحراف عن النهج
السليم . وهو في نفس الوقت شديد العناية بمسايرة
اللغة العربية لركب التطور ، ومواجهة المشاكل التي
تعترض سبيلها ، وهو اذا كان عارفا بالتراث محترفا
به قادرا له حق قدره ، فانه في نفس الوقت يفرق عن
معرفة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذاتيتها
القائمة على اساس المقدسات التي لا تحتل تطورا ولا
تبديلا . وما هو من اجتهادات المجتهدين التي يحسني
لغيرهم ان يناقشهم فيها وأن يدلي من جهته بتجربته
الخاصة ، حسبما جرت عادة الباحثين في عصر
ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا التفكير الاصيل المتحرر
في نفس الوقت ، يواجه مشكلة المصطلحات ومشكلات
نحو العربية وصرفها : من الجمود وعدم الابداع ،
ويعنى بالجمود اتباع قديما النحويين في سرد القواعد
من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من
الضرورة .

ويذكر من اسباب اختلال النحو اختلالا ملحشا
حصله عما يسمى (علم المعاني) الذي كان من النحو ،

والدقة في التعبير ، وعدم القاء الكلام على عواهنه ،
والعفة في المنطق ، والتواضع وعدم الدعوى .

وكما يتجلى فيها بوضوح شفه الكبير بالكتيب
ومعرفته الواسعة بمطبوعها ومخطوطها ، والصحيح
والسقيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطأ لغوي
مؤلفه ، ومن هو مؤلف بعض من جهل مؤلفه منها وما
هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص ، والموجود
منها وأمكنة وجوده ، وما هو مجهول المكان ، فان ذلك
يتجلى أيضا فيما نشره عن الكتب من دراسات
ومتالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيه رحمه
الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته
مجلة (اطلال) في الجزء الاول من السنة السادسة بقلم
الاستاذ سالم الالوسي : (انها عماد حياته وسر
بقائه) .

وقديما قيل : (العلم معرفة المظان) فمن لم
يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وقيمة
هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما
يحتاج معرفته او لم يكن على ثقة من صحة ما يجده
فيها .

ومن امثلة تحقيق الفقيه العلمي في دراسته للكتب ،
بحثه القيم عن (الضائع من معجم الادباء) لياتوت
الرومي الحموي ، فقد بين فيه وتوع النقصان فيه ،
وفي مواضع لم ينسب لها ناشره مرجليوت ، وفتدان
القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء
الرابع أصلا أو مختصرا فقط ، وان السابع مختصر
مقط ثم شك في ان يكون كل من الجزئين الرابع
والسابع منتزعين من (معجم الشعراء) لياتوت
الحموي ، ان لم يكونا جزئين منه ، ثم عقب بذكر
تراجم تعتبر ضائعة من معجم الادباء عثر عليها من
مطالعته وتصفحاته ، وقد وفقت منها على 46 ترجمة
في العديدين السادس والسابع من مجلة (المجمع العلمي
العراقي) وقال : له صلة ، فما ادري انشر شيئا بعد
ذلك أولا ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من ابرز ميادين
التحقيق العلمي .

وغير خاف انه كان للعرب والمسلمين في عصور
ازدهار الحضارة العربية والثقافية الاسلامية تقاليد
رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف
يكتب تاليه ويصححه ، ثم يمليه على الطالب وهو
يكتب ثم يقرأ الطالب على المؤلف ما كتبه والمؤلف
يسمك نسخته ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

وكل هذا في مقدمة محاضراته عن (المباحث
اللغوية في العراق) وقد اشار في اخرها الى
مؤلفاته في هذه الموضوعات : (المعجم المستدرك)
الذي نشر منه شيئا في (مجلة المجمع العلمي العراقي
تحت عنوان (مبحث في سلامة اللغة) و (المصباح
النذير ، للمصباح المنير) و (قل ولا نقل) و (فقه
اللغة العربية) على حسب مباحث العلم الحديث في
المباحث اللغوية ، وقال : ان فيه مباحث من تبييل
الابداع ، لا التحسين والاتباع ، (وكتاب القلب
والابدال) قال : وتغلب عليه الجدة والاستنباط .
(و نهج السداد ، في كلام النقاد) و (معجم الجمل
العربية - الفرنسية) وحقق ونشر بالاشتراك
(الجامع الكبير) لابن الأثير في البلاغة . وقد كان يعرف
الى جانب العربية والفرنسية الفارسية والالمانية .

وهو كذلك ذو اطلاع واسع في التاريخ وروعه
المختلفة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة الفكرية
ووصف البلدان وأتوال الرحالين والادباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيرا من المؤلفات
والبحوث والدراسات ، وحقق كثيرا من المخطوطات

مثل دراسته عن (ابن الفوطي / وعن) بقية
الادارسة بصر) ، وعن (أصلهان ، معقسل الادب
العربي في ايران) و (معجم مواضع واسط واعيان
واسطيون من حملة العلم والاثر) و (الثقاتة العقلية
والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا) و (الفتوة
وأطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين) و
(جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين)
و (علم ابن النديم باليهودية والنصرانية) وكلها نشرت
بمجلة المجمع العلمي العراقي ، و (سيدات البلاط
المباسي)

كما نشر بالاشتراك (دليل خارطة بغداد) وحقق
وعلق ونشر (الجزء التاسع من الجامع المختصر)
و (نساء الخلفاء) كلاهما لابن السامي . و (تكملة
اكمال الاكمال) لابن الصايوني ، و (المختصر المحتاج
اليه من تاريخ ابن الدبشي) والقسم الرابع من
(تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي) . وهذه الآثار
- وغيرها - من آثار الفقيه الى جانب كونها تدل على
سعة ثقافية وتنوعها وصحتها وأصالتها ، تتسم في
الغالب بطابع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به
الفقيه من الكثير من أخلاق العلماء ، من التثبت والتفري

التعلمين الى الميدان — وميهم من يحملون شهادات عليا من جامعات اجنبية — وتياهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، ممن دعا الى وضع رسائل عن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات ، فيها الاصيل وفيها المنقول .

وتد كان النقيذ — رحمه الله — من ابرز العاملين في ميدان التحقيق العلمي للمخطوطات ، ولكننا لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالا عن المنهج العلمي لهذا التحقيق (1) وبالرجوع الى بعض أعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .

وستنخذ عنه في رسالة (نساء الخلفاء) لابن الساسي التي نشرتها (دار المعارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجعا في هذا البحث .

1 اسم الكتاب

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) وسماه صاحب (كشف الظنون) (نساء الخلفاء) نجيب المحقق بين الاسمين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الاول نظرا لعدم استمرار استعمال كلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

2 مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وقد نسبة الاستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول الى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطى المؤرخ ، فمتصدى المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وقدم أربعة أدلة على انه لابن الساسي لا لابن الفوطى استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأ اهمال كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر ان المؤلف المعروف في زمن قد تذهب شهرته أو كثير منها في عصر آخر وأورد امثلة على ذلك

3 التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبيعي يقتضي تأخير التعريف بالمؤلف وعصره الى ما بعد اثبات انه ابن الساسي لا

عساه يكون قد صدر منه اثناء الكتابة من خطأ ، وبعد فراغ الطالب من مقابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوثيقه على نسخته شهادة بان الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى أصبحت نسخته هذه طبق اصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مؤداه اعترافه بان هذا الكتاب من تأليفه وانه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب (واجازته) له ان يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذاً مع طلبته ، فنتفرغ من نسخة المؤلف الاصلية لمروع طبق الاصل بقدر من تراوها على المؤلف وقابلوها معه واجاز لهم روايتها عنه ، ثم نتفرغ عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لاصل المؤلف نسخ عديدة طبق الفروع المنسوخة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الاسلامية نسخا اصلية مصححة ومقابلة استمرت الاجيال المتعاقبة في مختلف الاقطار تتناقلها وتقابل عليها الفروع المستنسخة منها ، وتتصل روايتها عن مؤلفها أو ناسخها بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وكان اهل العلم يتناسون ويتغالون في الحصول على هذه النسخ ويمرغون لها تيمتها . على انه لا نكران انه كان الى جانب هؤلاء المثبتين المتحررين الممتنين طائفة اخرى من النساخ الجاهلين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه ان يسموا بالماسخين !

وظهرت المطبعة العربية اول مرة في اوربوا وقام احاجم غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لاغراض خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت عندهم امكانيات مادية كافية ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

وعندما انتقلت المطبعة العربية الى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية باسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية الى طائفة من اهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنقصها الصحة في كثير من الاحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات الى عملية تجارية كان نكبة نظيمة للكتاب العربي مسخته مسخا ثانيا ، مما دفع بعض المخلصين للنسرات العربي في بعض البلاد العربية الى القيام بهركات لاتخاذ الكتاب العربي بنشره نشرا عمليا .

ولكن هؤلاء المحققين لم يسلكوا منهجا واحدا في التحقيق ، وزاد الامر تعقدا تسرب جماعة من انصاف

(1) علمت بعد القاء هذا البحث في المهرجان التابيني ان له بعضا مخطوطا في الموضوع .

5 (اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحح ما في النسخة من خطأ النسخ ، بالناسخ نقل في عدة مواضع ما لم يلهمه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان تسما من اخبار احدى المترجمات ادغم في اخبار ترجمة اخرى ، مماستوجب ذلك تنبيها واصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى ان من محققي المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو صوابا وخطا ، ثم يعلتقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل ويذكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك الفقيه هذا المسلك الاخير في (نساء الخلفاء) اربعا وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحوي ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما اصلحه اعتمادا على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبته المقام ، ومن امثاله :

ومطربها (بمعزفه) ... يؤوب الى نواحيها .
مكان (بمعرفة) قال : لا محل للمعرفة فيه ، وانبا العبرة في سيرورة المطرب بمعزفه الى النواحي !

ولكن المحقق ابقى اخطاء اخرى على حالها ونبه على خطئها مثل (الرزازين) التي هي تصحيف الزرادين و (تضر الخلافة) والصواب تضر الرفاة) (وظهرسي) الداعي العلوي ، وهو قريب من ظهر ابن الداعي العلوي .

وتارة بيتي. الخطا على حاله ويضيف كلمة (كذا) اليه . هذا كله نيبا اتضح فيه وجه الخطا ، اما ما كان محتلا مانه يبقيه على حاله ويذكر الاحتمال في التعليق ، فقد وردت في المخطوط - مثلا - كلمة (مقبلتها) ويجوز ان تكون (مقبلتها) كأنها عملت ذلك احتراما لمهديها .

6 (هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استظهر المؤلف في تعليق (ص 53) انه ناقص .

7 (هل التزم المؤلف شرطه ؟

ختم المحقق تصديره بان المؤلف لم يلتزم شرط

ابن الفوطي ولا غيره ، ولكن المحقق رأى ان الادلة التي قامت له على انه ابن السامي تنفي كل احتمال ممكن في انه لغيره ، لذلك تجاهل هذا الاحتمال اولا وتصدى للتعريف بمصر المؤلف والمؤلف فأورد ما قاله ثمانية من الرحالين والمؤرخين من الحالة السياسية في عصر المؤلف . وأورد قائمة بأسماء بعض الشعراء والمعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، وأشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى السامي وسامع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقة التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التمس عليهم اسمه ابن السامي بابن الساماتي ، وبين غلطهم .

وان ابن السامي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر أسماء بعض من كانوا يختلفون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن السامي ألف اكثر كتبه في أيام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا يجيزونه عليها ، وأضاف : وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تأليفه ، وقيمته كمؤرخ وضعف طعن من طعن فيه ، ثم أورد قائمة بأسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 صفحة بالحرف الصغير بينما تقع الرسالة بتعاليقها في 92 صفحة أغلبها بالحرف الكبير .

هذا - وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر (الجزء التاسع مع المختصر ، في فنون التواريخ وفنون السير) لابن السامي . ومصدره بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها، والخلافة على عهد الناصر لدين الله فيعتبر عمله في تصدير (نساء الخلفاء) تنبيها لعمله السابق .

4 (مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق - في التصدير - كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وقيامه بنسخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .

كتابه بتضمينه آياه نساء الخلفاء ، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

(8) شكل الكلمات -

ويولي التقييد رحمه الله مناية خاصة للكلمات التي تحتل الخطا عند النطق بها فيشكلها بالحركات مثل : المكبري ، وبفا والديشي ، والسهورودي ، والجنابذي ، وخاروييه ، وبنفشا ، والصلح .

وضبط شمة بفتح الشين والميم ، فزارا من قول من قال : ان تسكين الميم من كلام المولدين - وان لم ينبه على ذلك - .

واحيانا يناقش المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فمريب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان المعين مفتوحة والراء مكسورة .

وبنان بضم الباء وضبطها مصححوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالفتح .

(9) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء) - جمع جهة وهي كناية عن زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة (البدنة) في كلام المؤلف واحمد ابن ابي طاهر وابي جعفر الطبري ، بدون تفسير ففسرها واستعمل المؤلف كلمة (الفابرين) بمعنى الباقين وهذا هو الوجه الصحيح في استعمال الفابرين وهو الوارد في القرآن الكريم ، واما استعمال الفابر بمعنى الماضي وكونه من الاضداد كما عند ابن الاثيري فنأشبهه - من رأى الحق - من تصحيح المابر بالمعين البهلة .

(10) التعريف بالامثلة الوارد ذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامثلة الوارد ذكرها من بغداد ، فان المعلق يعين المحل الذي كانت توجد فيه .

فمصور دار الخلافة ومرافقتها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياقوت عن نهر عيسى مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب انهار العراق لابن سرائيمون .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب العاتولية بشرق بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان المحقق الف في هذا الموضوع بالاشتراك - كما سبق القول - (دليل خارطة بغداد) .

(11) التعريف بالاشخاص

يلحق المحقق - غالبا - على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة وكان الطبع وتاريخه - غالبا في كل ذلك - ويذكر في المخطوط - زيادة على الجزء والصفحة - المكتبة التي يوجد بها ورقمه ، والمكتبة التي توجد بها صورة منه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال عن واحدة انه لم يجد لها ذكرا في كتسب التاريخ والادب التي وصلت اليها يده سوى كتاب واحد وقال عن اخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع 16 ترجمة ، فالظاهر انه لم يقف على ذكرهن من غير ان ينبه على ذلك .

(12) الرجوع الى المراجع التي اهل عليها المؤلف

من ايسر توامد التحقيق العلمي ان يتأكد المحقق مما ينقله المؤلف من مرجع من المراجع . فمعرفة هل هو موجود فيه أولا ، واذا كان موجودا لما هو بمقدار مطابقته لما نقله منه المؤلف .

وقد نبه المحقق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

محمد بن الأخضر ، ومحمد بن داود هو ابن الجراح ،
والشهور بأبي عبد الله الحنبلي في عصر ابن النجار
هو أبو عبد الله محمد بن مكى بن أبي الرجاء الملقب
تقي الدين .

(15) التنبيه على أوهام المراجع

ويولي التقيد رحمه الله عناية بالغة للأوهام
الواقعة في المراجع يهتم بالتنبيه عليها وبيان الصواب
فيها ، فقد نسب ابن خلكان للسماعاني انه ضبط كلمة
جهير بالضم وهو غلط ، مع ان الوارد في (الانساب)
هو الفتح ، وكذلك ما في مختصره (اللباب) .

وبنان بضم الباء ، وضبطها محققوا كتاب الاغانى
بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن ثغرى بردى ان ابن السامى كان حنفيًا
مع انه شافعي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن ان
يكون السبب في ظنه هذا .

وذكر علي بن الحسن الخزرجي ابن السامى
نسباً ابن الخازن والصواب الخازن .

ومن مؤلفات ابن السامى (الاحاديث الثمانية) .
وقد ورد في بعض المصادر (البيانية) من غلط النسخ
او الطبع .

ولابن السامى كتابان في نساء الخلفاء ، وقد
حسبها الذهبي وبعده الصفدي وتابعه ابن ثغرى
بردى كتاباً واحداً .

وسمى المؤلف احد شيوخه عبد العزيز بن
المبارك ، وجاء في (تذكرة الحفاظ) للذهبي : عبد
العزيز بن مسمود ، وهو خطأ ، ولم يصحح هذا
الخطأ مصححو « معجم البلدان » (طبعة دار صادر
ببيروت) .

وذكر ياقوت باب الحول من الجانب الشرقي من
بغداد والصواب الغربي .

وتردد صاحب مختصر بغداد في نسبة خبر
للمعتضد او المعتد والصحيح انه المعتد .

ولقب ابن النجار في (النجوم الزاهرة) بمجدد
الدين بدلا من محب الدين وهو من خطأ النسخ وعدم
التصحيح في الطبع !

مقد نقل المؤلف من الجهشياري فلم يجد المعلق
الخبر في المطبوع من كتاب (الوزراء والكتائب) لان
المطبوع ناقص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي فلم يجد المؤلف
الخبر في (المنتظم) لانه انتهى قبل ذلك التاريخ ،
فالظاهر ان هذا الخبر من (درة الاكلیل) .

ونقل المؤلف من ابي بكر الصولي فاستظهر
المعلق ان المؤلف اخذ هذا القول مما ذكره ابو الفرج
في اخبار ابي المعاهدة .

واورد المؤلف كلاما مضطربا فاصلحه المعلق من
(مروج الذهب) . والذي جرت به عادة محققى
المخطوطات وعليه درج التقيد في كثير من تحقيقاته ،
(تلخيص مجمع الآداب) مثلا ، بيان جزء المصدر
والصفحة الذين يوجد فيهما ما نقله المؤلف .

ولكنه اهل هذا في تحقيقه (لنساء الخلفاء)
مقد ذكر المؤلف في ترجمة (عنان) ان لها اخبارا مدونة
ذكرها ابو الفرج الاصلهاني في (كتاب الاغانى) وذكر
المعلق في مراجع ترجمتها الاجزاء : العائش والمشرىين
والثالث والمشرىين المخطوط . ولكنه لم يذكر في اى
جزء من هذه الاجزاء يوجد انه ما نقله المؤلف .

وكذلك في ترجمة مريب ، وبدعة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله من (كتاب بغداد) لاحمد بن
ابى طاهر ، ونقل من كتاب (الورقة) لابن الجراح
مذكر المعلق ان المطبوع منه ناقص ، ولكنه لم يشر الى
ما اذا كان ما نقله المؤلف موجودا في المطبوع اولا .
الى غير ذلك .

(13) التعريف بالمراجع

وقد يضيف المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل
منه المؤلف مقد نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ،
فنقل عن التفتي التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة
التي ارضها واهيته .

(14) ايضاح المبهات

فالحافظ أبو عبد الله البغدادي هو محب الدين
محمد ابن النجار وأبو القاسم الأرجي هو يحيى بن
أسعد بن بوش ، وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب
ابن سكينه ، وأبو محمد الجنابذي هو عبد العزيز بن

وذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حبيد الله انه مع سميح لم يكثر على ترجمة القاضي الرشيد ، مع انه مترجم بتفصيل في مصادر أوردها المحقق . وهو من اهل القرن السادس لا الخامس . ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه - وهو من تأليف القرن الخامس - خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن بابشاد المشهور .

و (طبقات الشعراء) منسوب لابن المعتز .

18) التنبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر تقدمت فيها نقد من (معجم الادباء) .

والمطبوع من (كتاب الوزراء والكتاب) للجيشياري ناقص كما هو معلوم ، وما اكثر المقنود منه !

والمطبوع من (كتاب الورقة) (بعناية دار المعارف !) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار نراج خال من الترجمة التي نقلها ابن الساعي بالنسخة ناتمة .

وقد ورد في (اخبار النساء) خبر منقول عن (الورقة) لا يوجد في المطبوع .

وفيها نقل عن احمد بن ابي طاهر لذكر له في المطبوع منه المعروف (باخبار بغداد) .

ونقل عن تاريخ هلال بن محسن الكاتب لذكر له في المطبوع منه الملحق (بتاريخ الوزراء) لهلال المذكور ، فهو ناقص .

19) التنبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان العقيد قد صحح تديما مخطوطا غسلا من التسمية وتسمية المؤلف ، سماه في المطبوع (الحوادث الجامعة) لكمال الدين ابن الفوطي ، وقد صدره ناشره بمقدمتين اولاهما بقلم صديقنا الاديب الكبير محمد رضا الشيبيني رحمه الله ، وقد جاء فيها : (ومن رأيي - وقد تصفحت الكتاب - انه كتاب (الحوادث والتاريخ) لمؤلفه ابن الفوطي ، وزاد : وان لدينا من الادلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الغفل الى العلامة المذكور .

وذكر ابن جبير دار ابي الفرج ابن الجوزي : مع انها مدرسة بنفشأ وكان يسكن فيها لانه كان مدرسا يومئذ .

وكان انشاء تربة هون ومعين ايام الناصر . واخطأ الصلاح الصفدي فنسب عبارات الناصر ومنها تربة هون ومعين الى ابيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكماء للقطبي اضطراب في تاريخ وماتته : حيث ذكر مرة انها كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم (شاهفرند) في تاريخ الطبري وفي الكامل شاه آفريد ، وفي بعض نسخ (مروج الذهب) للسمودي (سارية) وهو تصحيف .

ورجح ابن خلكان ما ورد عند العماد في (الخريدة) على ما ورد عند السمعاني لظنه ان بينهما تعارضا . فبين المحقق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر ابي بكر ابن العلاف ، فذكر الملحق مصادر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة في رثاء المبرد ، وليست هي لثعلب كما ذكر الكمال بن الانباري في (نزهة الالباء) .

16) التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الغفل

نقل المحقق عن (ذيل تاريخ بغداد) لابن الديبشي ، نسخة كمبردج ، وزاد : ولم يعلم المفهرس انه تاريخ ابن الديبشي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

17) التنبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لمؤلفيها

تقدم انه بين ان (نساء الخلفاء) لابن الساعي لا لابن الديبشي ، ومن مؤلفات ابن الساعي (اخبار الخلفاء) ، واما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار الخلفاء) فهو مدسوس عليه نخله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل امورهم وشؤونهم !

و (المحاسن والاضداد) منسوب خطأ للمحافظ . وكتاب (الذخائر والتحف) مجهول المؤلف ، وقد نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحته (القرن الخامس الهجري) . قال المحقق : وكل ذلك خطأ على خطأ !

الرابع من (تلخيص مجمع الآداب) لابن الفوطي حيث اقتصر على فهرس أبواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، ووعد أن يثبت في القسم الرابع والآخر منه الفهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم اقف الا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثالثة لا يضع فهرسا بالمرّة مثل سيدات البلاط العباسية و (نساء الخلفاء) .

وإذا كان مظهر (سيدات البلاط) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر فأخرى الصفحات وما يتبعها ، الى جانب الصورة التي على الغلاف !

فان النسخة التي وقلت عليها من (نساء الخلفاء) خالية من الفهارس والمراجع ، فما أدري استطلعت من هذه النسخة فقط ، أم أن المحقق رأى أن صغر الرسالة في غنى عن الفهارس ، أو أنها الفيت من طرف الدار (اعتمادا في الفتحات ! !

(22) أخطاء الطبع

تلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و (نساء الخلفاء) التي بذل محتقها رحمه الله جهودا في التحقيق والضبط لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن أمثلة ذلك في ص 60 بفتح الواو والصواب الميم ، وفي 135 السادس والصواب الخامس ، وفي 124 الجبازين والصواب الخبازين ، وفي 120 وأثرت والصواب وأثرت .

وكثير من محققي الكتب يوردون في آخر الكتاب جدولا للخطأ والصواب ولم يرد في (نساء الخلفاء) شيء من ذلك !

(23) نماذج مصورة من الاصل

في أول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتمكين القارئ من تكوين فكرة عن المخطوط .

الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده العابر المنيد .

فالتصوف والتشيع اخوان ، وأوقف ابن السامي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بتقليل ، كما هو

وثانية المقدمتين بقلم الفقيده ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد اورد اسم (الحوادث الجامعة) بدون نقاش .

وذكر أول من نسبه لمؤلفه في عصرنا .

ولكنه في تعاليفه على (نساء الخلفاء) يقول : الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) استرجاعها فظهر انه غيره !

(20) التنبيه على قيمة بعض الطباعات

ينقل المحقق من (وفيات الاعيان) طبعة بلاد المعجم ، ثم قال عنها انها اصح من الطباعات الأخرى .

(21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق الى (نساء الخلفاء) ملحقا اورد فيه اخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في (الذخائر والتحف) السابق الذكر .

(22) الفهارس وقائمة المراجع

الفهارس مفاتيح الكتب ، فالكتاب الذي لا فهارس له تكون الاستنادة منه صعبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع الفهارس من اهم ما يقوم عليه المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات .

وقد اختلف موقف الفقيده من هذه القاعدة فهو تارة يضع الفهارس اللازمة والتنوعة ، مثل ما فعل في جزء (الجامع المختصر) .

حيث اضاف له خبسة فهارس ادها للكلمات المفردة وآخر ممراني للاخلاق والمعادن والشؤون الاجتماعية ، وفي (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة فهارس ، ثالثها للفوائد الشاردة وفي (الجامع الكبير) لابن الاثير ثمانية فهارس .

وفي (دليل خارطة بغداد) فهرسان .

وتارة أخرى يكتبي بفهرس مختصر مثلما فعل فيما سماه (الحوادث الجامعة) .

ومثل جزاي (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيني) حيث ذكر في الاول مراجع التصحيح والايضاح والتراجم ، وفي الاخير ثبتا مختصرا للمترجمين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء

وهذه العبارة الاخيرة ليست من باب التواضع ولكنها الحقيقة الواجبة ، ومدق الله العظيم : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)



هذه صورة من ثقافة التقيد و اخلاجه العلمية كما تتجلى للناظر في كثير من آثاره ، ومنها يتجلى انه رحمه الله كان علما بارزا من اعلام النهضة الثقافية العربية في هذا العصر .

ولعل مما ساعده على ذلك انه تنكف في اول امره ثقافة اسلامية عربية متينة خالصة ، ولم يتصل بالفكر الاجنبي الا بعد ان تكونت شخصيته تكوينا سليما ، فلم يصب بما أصيب به الكثيرون ممن اتصلوا بالفكر الاجنبي في هدائهم فنجح في مسخ شخصيتهم ، وقطع صلتهم بترائهم الفكري والحضاري المجيد .

رحم الله التقيد رحمة واسعة ، وجزاه احسن الجزاء ، كفاء ما قدم من خدمات جليلة للغة العربية وتراثها واحسن عزاء الامة العربية التي تقدمت ليه ركنا من اركان نهضتها ، ووفق تلاذته لمواصله اداء رسالته في خدمة اللغة العربية وتراثها ، وعسى ان يقوم المجمع العلمي العراقي بجمع جميع مقالات التقيد وبحوثه المتفرقة في اعداد مجلة المجمع وغيرها من المجلات وطبعها حتى يعم الانتفاع بها ، وتسهل الاستفادة منها ، فان مجلة المجمع - مثلا - على اهميتها الكبيرة محدودة الانتشار جدا في الوطن العربي.

كما ان من الواجب الاكيد ايلاء عناية خاصة لآثار التقيد المخطوطة حتى تخرج للوجود ويستفيد منها تراء العربية في كل مكان .

وشكرا جزيلا لوزارة الارشاد على ثبنيها لهذا العمل الجليل واتاحتها لهذه الفرصة التي مكنت زمرة من اهل الفكر العربي والاسلامي بالاف العلماء والمؤلفين الذين انجبتهم في عصورها الزاهرة ، والذين قاد الكثيرون منهم الفكر الاسلامي والعربي في مختلف انحاء الوطن العربي والاسلامي عدة ترون .

عادة العلماء الوائمين كتبهم على المدارس ، وفعل ذلك قبله ابن النجار ، ودلان ابن السامي بمقبرة الشوينزية بالجانب الغربي من بغداد ، وهي مقبرة الصوفية وذوي المشرب الصوفي وان لم يتصوموا ، وفيها دفن الجنيد الصوفي الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفا مزورا .

ومن شيوخ المؤلف ابو البقاء المكبري المنسوب اليه (شرح ديوان ابي الطيب المتنبى) المطبوع غير مرة مع انه تأليف عفيف الدين علي بن عدلان الموصلى المتوفى سنة 666 هـ .

الاعتراف بالجميل

وقد كرر المحقق التتويه بفضل ماسينيون الذي كتب اليه مخبرا بوجود المخطوطة في استانبول . كما نوه بالاستاذ (احمد آتش) التركي الذي صور المخطوطة بالمايكروفيلم (يعني الشريط الدقيق) .

وهكذا تجد التقيد يعترف لكل ذي فضل بفضله ولا تشمر انه يحاول غبط حق احد ممن يرد ذكركم في كلامه ، وهو اذا كان حريصا على بيان الاخطاء التي وقع فيها المؤلفون لماته يعبر عن ذلك بمبارات مهذبة ولبقة ، مع التماس الاذار لكل مخطيء غالبا ، وفي كثير من عباراته التي اوردناها سابقا امثلة على ذلك .

وقد علق على وصف الموفق بالامام : ولم يكن الموفق اماما اي خليفة ، بل كان ولي مهد ، فان صح ان هذا قول المؤلف فهو خطأ ، ولعل الاصل الامير .

التواضع

ويرجو المحقق ان لا تخلو تعاليقه من رائدة يقطعها القارئ في أثناء تراءته الكتاب ، والباهت عند استمداده منه ، ويزيد : ولا ابرى نفسي من تصبير ولا من ذهول فان نشر كتاب مخطوط اول مرة لا يبلغ الكمال في كل الاحوال .

الفكر العلمي العربي

في شخص العباس بن فرناس

حكيم الأندلس
الأستاذ سعيد السويدي
عضو مجمع بعلمي العراقة

ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقيه علماء الأندلس
من طريف ما أخذوه من المشاركة .

ويقصد المجالس الأدبية ، ويستمع الى شيوخها
استماع متبصر ، يريد أن يستفيد مما يجري في
الحلقات والمجالس ، مما كان يلقيه شعراء الأندلس
وأدباؤها من جميل النظم والنثر ، ومن غريب
الأخبار واللغة التي أخذوها من أهل المشرق .

وكان يتردد الى أصحاب الفنون الرفيعة ،
فيستمع الى الاصوات التي وضموها ، والآلات
الموسيقية التي يوتعون عليها .

درس كتب الطب ، وخصائص الأمراض
واعراضها ، وطرق الوقاية منها ، وملاج من أصيب
بها .

درس خصائص الاحجار والامشاب والنباتات ،
ووقف على ما تفيد في المعالجة ، وكان يقصد الاطباء
والصيادلة ويناقشهم فيما ظهر له من اطلعه وتجاربه
في هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ،
ويقيه شر الاسراف .

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكروني
الاموي بالولاء - احد اساطين العلم والادب والفن في
الأندلس .

لم نقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والذين
ترجموا له ذكروا : انه توفي سنة 274 هـ (884 م)
وانه اربى على الثمانين ، فتكون ولادته في آخر
القرن الثاني للهجرة (حوالي سنة 194 هـ)

أصله من برارة « تاكرونا » ونشا في قرطبة ،
عاصمة الدولة الاموية ، وهي - اذ ذاك - مركز العلم
والادب والفن في أوروبا ، يشدون اليها الرحال ،
ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ،
التي كانت تبهر عقولهم ، وتأخذ بالبابهم .

في هذا المحيط الزاهي بالعلوم والمعارف ، شب
ابن فرناس ، وكان ذكي الفؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق
النظر .

تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الحنيف
في الكتابيب التي كانت كثيرة في قرطبة ، ثم اخذ
يرتاد الحلقات العلمية ، التي كانت تعقد في جامع
قرطبة ، ويستمع الى ما يجري فيها من محاضرات

واشتهر بين اطباء عصره ، فانخذ الامراء الامويون (1) طبيبا خاصا لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويورثهم الى انجح الطرق في معالجة مرضاهم .

درس الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية ، وجمع الكتب التي تبحث عنها ، والتي صعب الحصول عليها ، وقرأها قراءة مدققة ، واستفاد منها والناد قومه .

اشغل بالنحو ودقائق الامراب ، واطنح على آراء النحاة في التعليل وصار من نهاية عصره في الاندلس ، يؤخذ عنه وذكره الريبدي في الطبقة الثالثة من نهاية الاندلس ، وقال عنه : كان متصرفا في ضروب من الاعراب .

كان يقصد اهل الصناعات الرفيعة ، ويدقق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسألهم عن سر ما لم يهتد الى معرفته بنفسه ، فاقتبس منهم صناعات ومعارف ساعدته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج الى عمل آلات عملية .

وهكذا صار ابو القاسم العباس بن فرناس متضلعا بعدة علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة ، فبرز على علماء زمانه ، بما انفرد به من معارف وعلوم لم تنهيا لغيره من اهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه « حكيم الاندلس »

- 2 -

كثير هم الذين قنعوا من العلم بالامور البسيطة ، التي يسهل لهمها . وبالنظريات المجردة ينقلونها عن غيرهم ، ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، او تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتأكدوا من صحة ما نقل اليهم ، او اخذوه عن غيرهم .

وابو القاسم لم يكن من هذا الرميل القانع بالسهل المبسط ، بل كان يدقق ما يدورسه ، ويحقق ما يفهمه ، ويتدبر ما يقرأه ، ويطبق عمليا ما يحتاج الى العمل ، ليتأكد صحة المدعى ، ويستفيد مما اخذ ، فهو احد العلماء العاملين ، الذين وضعوا اساس الحضارة العلمية والمطوية في الاندلس : سهلوا العويص ، وشرحوا الغامض ، ويسروا المر ، وابتكروا آلات علمية ومعارف عملية .

فابو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : مكف على تحقيق القضايا التي درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه عمله من آلات دقيقة ، وادوات مختلفة والايهزة العلمية - التي ساعدته على اظهار علومه ومعارفه عمليا ، ورسم طريقة مثلى لاهل بلاده . وهي محاولة تطبيق العلم على العمل ، بحيث يحققون ما يدرسونه ، ويصنعون لانفسهم الآلات والادوات العلمية التي يحتاجونها من غير ان يتكلموا على غيرهم ، وبدا يحق لهم ان يكونوا علماء عاملين ، يسمي اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتز بأرائهم المزيده بالعمل بعد العلم .

وعلى هذا فابو القاسم فاق اهل عصره في طريقته العملية ، فبرز في علوم ومعارف أوجدتها من تجاربه في التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 - عانى صناعة الكيمياء ، وقام بتجارب وفحوص مختلفة ، واهتدى الى حقائق ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : انه استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة ، وبدا يصر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته في الاندلس ، وتفوقوا فيها .

2 - عانى علم الفلك والتنجيم ، رانب النجوم والكواكب في افلاكها ومداراتها ، وصنع الآلات التي تساعد على الرصد . ومما صنعه الآلة الكروية « بلات الطلق » ورنعها الى الامير محمد بن عبد

(1) اصل ابن فرناس بثلاثة امراء - وكان مقربا اليهم وهم على التوالي :

1 - الحكم بن هشام 188 - 206 هـ = 803 - 821 م

2 - عبد الرحمن بن الحكم 206 - 238 هـ = 821 - 852 م

3 - محمد بن عبد الرحمن 238 - 273 هـ = 852 - 886 م

الرحمن الاموي ، وكتب عليها ابياتا من نظمه تناسب الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة
اهيا الفلاسفة الجهابذ دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة
لم يشتغل بجداول القانسون

فاذا راته الشمس في آفاقها
بعثت اليه بنورها المحزون

ومنازل القمر التي حجبت معا
دون الميون بكل طالع حين

يبدون فيها بالنهار - كما بدت
في الليل في ظلماتهن الجورن

3 - عمل الميقاتة لمعرفة الاوقات - وهي تقوم مقام الساعة في يومنا هذا ، ورفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انسي للدين . خبير اداة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تنر
كواكب ليل ، حالك الظلمات

بيمن امام المسلمين « محمد »
تجلت من الاوقات كل صلاة

4 - اتخذ في داره هيئة السماء ، وصور فيها الشمس والقمر ، والكواكب ومداراتها ، والغيوم والرعد والبرق ، فكان من اعاجيب الصنعة والابتكار .
5 - انه اول من طار وحلق في الهواء - كما تطير الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها « حكيم الاندلس » .

قام بمدة تجارب تمهيدية ، درس بها ثقل الاجسام ، ومقاومة الهواء لها ، وتأثير ضغط الهواء

عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مسامد على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية والكيمياء ، فاطلع على خواص الاجسام ، واجتمع لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران بنفسه .

كسا نفسه بريش اتخذه من سرقبي الحرير (1) ، اثنتائه وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع له جناحين - من الحرير ايضا - يحملان جسمه اذا ما حركهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حرك الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطيرون في الفضاء ، - كما تطير الطيور - ويسهل عليه التنقل بهما اينما شاء .

اعلن للناس انه يريد ان يطير في الجو ، وان طيرانه سيكون من الرصافة - ظاهر مدينة قرطبة - فاجتمع الناس فيها ليشاهدوا البطل يتهادى في سماء قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتفع ، وحرك جناحيه ، وقلز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن العل الذي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدهشة واعجاب ، يهللون له ، وشاعرهم يقول :

يطم (2) على المنقاء في طيرانها
اذا ما كسا جسمانه ربح قشقم

ولما هم بالنزول الى الارض ، تاذى في ظهره ، وفاته ان الطائر انما يقع على زمكه (ذيله) ، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم انما هبوطه الى الارض ، فاصيب بما اصيب من اذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم اندلسي ، يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ، وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس

(1) شقق الحرير الابيض والواحدة سرقبي

(2) طم : فلا ، غلب ، والقشقم : المسن من النور .

بالإقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طيبة ،
نمت وازدهرت ثم انثرت .

على ان تصيره في كيفية النزول الى الارض
سالما ، لا ينقص من دقة عمله ، وخطوته الجريئة ،
بالإقدام على الطيران بصورة فعلية . فان كل عمل في
بدايته ، تمقبه دراسات عديدة ، تكمل نواقصه ،
وتهذب طرقه ، وتحسن عمله ، وهكذا يكون في تقدم
مطرد مع الزمن ، وحاجة الانسان ، وما زالت
الدراسات المتتالية تجري على الطيران ، حتى شاهدنا
سفنا عظيمة تطير في الفضاء ، حاملة عددا لا يستهان
به من المسافرين ، مع امتعتهم وانقالهم ، تقطع
المسافات البعيدة ، بساعات معدودات ، كان هذا
بفضل التجارب التي قاموا بها ، وفي مقدمتهم حكيم
الاندلس - والفضل للمتقدم -

ثم اعقبه بعد قرن من الزمان ، رجل عالم
فاصل من المشرق ، هو : اسماعيل بن حماد
الجوهري المتوفى سنة 393 هـ (1003 م) . ولكن
عمله لم يكن من دراسة ، وانما من خاطر خطر بباله ،
نكان خاتمة حياته (1) .

هذا ما قام به المسلمون في المغرب والمشرق من
محاولة الطيران ، فنجح حكيم الاندلس ، ولاسى
حرفه عالم المشرق ، ولكنهما فتحا بابا واسعا لمن اتى
بمدهما في الاقدام على هذا العمل النافع .

كان العباس بن فرناس اديبا شاعرا ، وله شعر
كثير في اغراض مختلفة ، اتصل بالبلاط الاموي ،
فكان شاعرهم - كما كان طبييهم - وهاش في اكناف
امرائهم ونظم لهم الشعر في مختلف الاغراض :

مدح امراء البيت المالك ، ووصف حروبهم
ومعاركهم مع الاعداء - وقد يشارك بنفسه فيها -

وصف مجالس الانس والطرب ، وما في تصورهم من
جنات وميوسن ، وزروع ومقام كريم ، وملاعب
وكواهب ، ومصاندهم ومطاردهم - وكان يرافقهم بها .

رافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى
اخمد ثورة اهل « طليطلة » مع حلفائهم النصارى
سنة 240 هـ (854 م) فوقع فيهم الامير ، واخمد
الثورة بمنف وشدة وشنت الثائرين . فقال ابن
فرناس يصف هذه الواقعة :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف
لهوم الغلا ، جبل القبال ملتف

اذا اومضت فيه السوارم خلتها
بروقا تزوى في القمام وتستخفي

كان ذرى الاملام في ميلانها
قراقرير في يم ، مجزن من القذف

بكي جبلا وادي سليط فاصولا
على النفر العبدان ، والمعصبة الغلف

يقول ابن بوليس لموسى - وقد اتى -
ارى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي

قتلت لهم الفا والفا ومثلها
والفا والفا بعد الف الى الف

سوى من طواه النهر في مستحله
فأفرق فيه ، او تهدهد في جرف

لقد نعمت فيه غزاة نسورنا
وسمعت الدقات قصفا على نصف

ووصف ما آلت اليه طليطلة من الدمار
والتخريب ، وهدم الامير قنظرتها الشهيرة فقال :

(1) كان اماما في اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل في الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن
مقله » سافر في طلب العلم ، واخذ من مدة شيوخ وخالط الامراب في بلاد ربيعة ومضر ،
وصنف كتابه المشهور « الصحاح » في اللغة واستقر في نيسابور على التدريس والتأليف ، وتعليم
الخط ، وكتابة الصحاف ، وله عدة كتب .

نكر في الطيران ، واعتقد ان في مقدور الانسان ان يطير اذا ما اتخذ له جناحين ، كجناحي
الطير ، ولكنه لم يتم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه - كما فعل حكيم الاندلس - فانه
صعد سطح الجامع القديم في نيسابور وقال : ايها الناس اني عملت في الدنيا ما لم اسبق اليه ،
فساعمل للاخرة امرا لم اسبق اليه ، وضم الى جنبه مصراحي باب ، وثابطهما بحبل ، وطسار في
الفضاء ، - ولم يكن موثقا بعمله ، فان مصراحي الباب لم يحملانه في الفضاء ، بل سقطا به على
الارض ومات . نكان عمله هذا دراسة سطحية لئلا يكبر .

الجميلة التي فنتت الكثير من شعرائها ، فابدموا في وصفها .

ومما قاله في صفة روضة :

ترى وردها والاقحوان كأنه
بها شفة ليماء ضاحكها نضر

وقد ابدع في وصف اشجار النخيل الباسقات
- الاشجار المباركة التي رافقت العربي اينما حل
واستقر - نقلوها الى الاندلس وزينوا بها حدائقهم
وبساتينهم :

حنايا كأمثال الالهة ركبت

على عمد ، تمتد في جوهر البدر

كان من الياقوت قبست رؤوسها
على كل مسنون مقيض من السدر

ترى الباسقات الناشرات فروعا
موائس فيها ، من مداولة الوقر

كان صناعا صاغ بين فصولها
من الذهب البادي، عراجين من نخل

نشت لؤلؤا ، لم استحالت زمردا
بؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ووصف الصحراء ووحشتها ، وترامى اطرافها
فقال :

موسومة بالبعد ، تحسب سهلا
لقى السماء بحولها اطنابا

فكانها دار تقاذف صحنها
لم يجعل الباني لها ابوابا

ومن جميل قوله في وصف السراب :

يفلقن لجة آله ، فامامها
حاد ، وآخر خلفها لم يلحق

فكان ذا موسى ، وذلك بالره
فرهون ، الا انه لم يفرق

ومن تشبيهاته الجميلة ما قاله في وصف كوز :

ومعجم لم يبق في جثمانه
الا حشاشة مهجة لم تزهرق

اضحت طليطلة معطلة
من انها ، في قبضة الصقر

تركت بلا اهل تؤهلها
مهجورة الاكشاف ، كالتبر

ما كان يبقى الله قنطرة
نصبت لحمل كتاب الكفر

وله قصيدة يهنيء بها الامير محمد بمودته من
طليطلة ، موافقا عيد الاضحى المبارك اولها :

ان القفول الذي اودى بعيدى الخ . .

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التي كان
قد شيدها جده « صقر قريش » عبد الرحمن
الداخل ، وزينها بجميل الزخارف والكتابات وجعلها
من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرانس فيها:

كان تصور الارض بعد تمامه
كثير له اخفى شخوصا من الدر

فاعجب من اقتائها الفرر التي
يقيم بهن البرد في دعوة الحر

وتنتشر الابصار منها الى مدى
التنزه بالاطيار والوحش والزهر

كان الذي يخفي الحديث بنجوها
على اخفض الاصوات يشدو على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالالات الدقيقة الصنع،
كان يتحفهم بهدايا طريفة نفيسة ، نظم اربعة ابيات،
وكتبها بالذهب على تفاعلة ، ورفعها الى الامير محمد،
اولها :

محمد اكرم مستخلف
من خلفاء الله في الارض

فسر الامير ، وامر ان يفنى بها ، وكانا ابا
القاسم من كل بيت بالف دينار ، وقال : لو زادنا
لردنساء .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال،
يستهو به جمال الطبيعة ، وسحرها الخلاب ، دقيق
الوصف ، وكيف لا يصف مباحج الاندلس ، ومناظرها

حنيت على كشحيه من برحائه
مضان : فهو لموتق لم يطلق

حلت عمامة راسه فتضومت
منا مفارقه ، بمثل الرنبق

وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :

فبتنا وانواع النسيم ابتذالنا
ولا غير عينيها ، وعيني كالي

الى ان بدا وجه الصباح كانه
جبين فتاة ، لاح بين حجال

وقوله متفزلا :

واحور ما يعني الميون من الفسق
له كذب في الجدد، احلى من الصدق

وللحسن في خديه شمس مقيمة
وبدر كمال لا يحور الى محقق

وما الميش الامتة الهجر والهوى
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقى

- 4 -

كان ابن فرناس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ،
ويضع اللحن ، ويفضي به ، ويوقع على الصوت ،
واشتهر بما وضعه من قطع جميلة كانت من نظمه
وتوقيعه ، وكان امراء قرطبة يزيتون مجالسهم
بانشاده وعزفه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد
ابن عبد الرحمن ، فناه يوما صوتا من نظمه وتلحينه
اوله :

الجهل ليل ليس فيه نور
والعلم فجر نوره مشهور

فاجزل له العطشاء .

ومما يدلنا على سرعة بديته في نظم الشعر ،
ورضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على العود ،
ما رواه المرزباني (في طبقات اللغويين والنحويين)
فقال :

(1) مدينة هربى الاندلس

كان محمود بن ابي جميل غلاما جوادا - وكان
ماملا في اخريات ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم
- فعمل قبة ادم - بلغت النفقة فيها ونى وطالها
خمسائة دينار - فاكملت غربها على وادي لكة (1) ،
وصنع ضيفا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك
اطلاع « عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بخت »
ضياحه « بشدونة » فاستجلبه محمود مع بياض الكورة ،
فشهد وشهدوا ، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا الى
المؤانسة - ومندهم احد بني زرياب - طلع عليهم
عباس بن فرناس زائرا لمحمود ، فقام محمود اليه
والتزمه ، وسر جميعهم بوروده ، ثم عرض عليه
الطعام ، فطمع ، ثم صار الى المؤانسة ، ودفع ابن
زرياب يغني :

ولو لم يشقني الظامنون لشاقتني
حمام تدامت في الديار وقوع

تدامين فاستبكيين من كان ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

فاستمادوا الصوت اصجابا ، فاعاده .

فلما تقضى فناه ابن زرياب ، مد العباس يده الى
العود ، فاخذته وغنى البيتين ، ووصلهما من عنده
بديهة فقال :

شددت بمحمود يدا حين خانها
زمان لاسباب الرجاء قطوع

بنى - لسامي الجود والمجد - قبة
اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ،
امر ما يحضرني من مالي القبة وهي لك - بما فيها من
كسوتي هذه - وتكون في ضيافتك بقية يومنا ،
ودعا اليه بكسوة فلبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا
يومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة عن الفنان ابن فرناس ،
تطلعنا على ما كان عليه من النظم الذي يناسب

المقام ، وانه كان يضع له الصوت ، ويفني بما يجب
البرزين في الفناء ، بل يفوقهم بذلك

- 5 -

هذا التفوق في الموسيقى والإيقاع ، ساعده على
حل اصطلاحات كتاب العروض للخليل بن احمد
الفراهيدي (100 - 170 هـ = 718 - 786 م) احد
مفاخر العرب والإسلام .

ذكر المؤرخون : لما ادخل الى الاندلس كتاب
العروض ، للخليل بن احمد الفراهيدي وصار الى
الامير عبد الرحمن بن الحكم ، عرضه على علماء قرطبة
وادبائها ليوضحوه له ، فمعجزوا عن ذلك ، وصار
الكتاب مما يتلوه به في قصر الامير ، حتى ان بعض
جوارى القصر كان يقول لبعض : صبر الله عقلك ،
كعقل الذي ملا كتابه من : مما ومما . فبلغ الخبر ابا
القاسم بن فرناس ، فتقدم الى الامير ، وطلب اليه
اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، ولما قراه ابن فرناس
وتدبره ، علم انه في علم العروض ، العلم الذي
ابتكره الفراهيدي ، وضبط به بحور الشعر العربي ،
فكف ابو القاسم فوامضه ، وشرحه لقومه ، فسئل
عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه .

فنولا برامته في الموسيقى والنغم ، وشعوره
المرهف ، وتبصره بالفريب ، واطلاعه الواسع على
دقائق هذا الفن - لما سهل عليه حل رموز الكتاب ،
وتبسيطه .

- 6 -

حكيم الاندلس ابن فرناس ، كان من عباقرة
عصره في العلوم ، والمصارف الدقيقة ، والآداب
الرفيعة ، والفنون الجميلة .

عانى صناعة الطب ، فكان من اطباء زمانه ،
درس المنطق والفلسفة وعلوم الحكمة وصار من اعلامها ،
عكف على التجارب في الكيمياء والعلوم الطبيعية
واهتدى الى امور خفيت على غيره ، متضلعا بعلم
الفلك والنجوم والرياضيات ، وجاء بما ادهش
قومه - وكان مع هذا كله - اديبا شاعرا نحويا لغويا ،
يتقن وضع الالحن ، ويحسن الإيقاع على آلات الطرب ،
ويطير في الفضاء ، محالقا في جو الاندلس ، ذلك
لانه كان بعمله وفنه ، فوق ما عليه قومه ، فخلق في
العلم والعمل .

رحم الله ابا القاسم « حكيم الاندلس » فقد كان
من اعلام نوابغ الاسلام ، يفاخرون بعلمه وادبه وفنه .

اهم المصادر التي عولنا عليها في هذا البحث :

- بغية الملتبس - للضبي
- المغرب في حلى المغرب - نشره شوقي ضيف .
- جدوة المقتبس - للحميدي .
- التشبيهات من اشعار اهل الاندلس - الكتاني .
- نفع الطيب - المقري .
- الحلل السندسية - ارسلان
- معجم الادباء - ياقوت
- يتيمة الدهر - للشمالي .
- طبقات اللغويين والنحويين - الزبيدي .
- وفيات الاميان - ابن خلكان
- بغية الوصاة - السيوطي
- شذرات الذهب - لابن العماد
- مقال في العدد 22 من مجلة العربي للاستاذ عثمان .
- وغیرها من المصادر ..

أعلام اللغة

أحمد فارس الشدياق
الأستاذ محمد صديق بيهم

الى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809
فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة عين ورقة . ولما
مات والده انكب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ
الكتب .

ولما مات اخوه بطرس الذي كان حبيس البطريرك
الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاف
وطنه مفاضيا ، وسافر الى القاهرة ليكون استاذ
اللغة العربية عند رجال البعثات الاميركيين . وهناك
انكب على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالائمة
المصريين والعنماء ، فبلغ ابعاد اعماقها . ولذلك عهد
اليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب الى مالطة بناء على
طلب المرسلين الاميركان ، ولبت في تلك الجزيرة
اربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح
مطبوعات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية
الانكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور «لي» على
ترجمة التوراة ، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر
سنوات تعرف خلالها باكبر علماء أوروبا وأدبائها .
وهناك ألف كتبه « الواسطة » و«كشف المخيا»
و «الفارياق» الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف واصدر كتبا اخرى ابرزها
«سر الليالي» الذي كشف به الفطاء عن مظنة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر برزت في كل من
مدينة بيروت ، التي كانت مركزا لولاية تحمل اسمها ،
ولبنان في مهديه الاقطامي والتصريفية الممتازة، برزت
نهضة هارمة شملت النواحي الادبية والاجتماعية
والسياسية . وكان يرجع مصدرها الى اختلاط هذا
الشعر والجبال المشرفة عليه بأوروبا وذلك بانتقال
بعض رجال الدين المسيحي الى عواصم الغرب ،
وتدفق الرسائل التبشيرية الى هذين البلدين ،
وتنافسها في انشاء المدارس والكليات والطابع ،
بالاضافة الى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الاجنبية
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي اسفار كان
يقوم بها تجار بيروت الى الممالك الاوروبية وغيرها في
سبيل التبادل التجاري .

وفي اواخر القرن المذكور كان شعار النهضة
اهتماما باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لواءهما
ادباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا
المقامات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا
فحسب ، وانما في غيرها من البلاد المجاورة ،
وأوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان المعاصر المرحوم
مارون عبود احمد فارس الشدياق كان الرجل
الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة
العربية .

— * —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت ببلبنان
سنة 1804 ، ولاحوال سياسية انتقل والده منصور

وعلى رأسهم مفتي البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت
الرايات والاعلام تمشي امام الجنائز ، ومشايخ
الطرق يمشون وراءها يهللون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ،
وسماع المراثي من نظم ونثر (على ما ذكرت جريدة
لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية
الحدث ، ولكنه لم يدفن فيها ، وانما دفن على مقربة
منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت
ودمشق حيث شيدت الدولة له ضريحا مرموقا على
نسق مقامات الباشوات والحكام .

— * —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمهرة
من كبار الادباء والصحفيين والاعيان، وقرروا الاحتفال
بيوبيل الشدياق بمناسبة مرور خمسين عاما على
وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد
مهرجان كبير لاحياء ذكراه، ولاءدة طبع آثاره .
وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيسا لهذه اللجنة ،
ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في
القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضا دون
قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير
مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « صقر لبنان »
الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة
في ود » : اورد فيه ما اعترض الاحتفال الخمسيني
للشدياق من ملاسبات وعقبات . وقال : « عندما
ارسانا الصرخة تلو الصرخة لم نحسب انها جميعا
ستذهب في واد . فما اصدرنا بضع مقالات ، في
نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة
الحديثة ، وواضع حجر الزاوية في بنيانها العلامة
الاكبر احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من
بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين
للاستاذ محمد جميل ييهم دموته الى شربنا فيها
الشاي والقهوة ، واكلنا من الحلوى اقراصا مختلفة .

كنا اربعين ، ولكن غير الاربعين الخالدين ،
فانتخبنا منا اثني عشر رسولا ... حملناهم الدموة
للشدياق ، وارسلناهم كالخراف ... كانت همثنا
عظيمة يوم بداننا ، وتلك مادتنا ، نار هشيم ، ثم
تنظيفه . فما ذاقنا الدموة حتى انبعثت الهمم ،
واتانا من القاهرة نبا الدكتور فيليب الشدياق (ابن
هم المرحوم) يتبرع بمائة جنيه مصري لعمل تمثال

العربية . وصادف ان جاء باريس وقتئذ احمد باشا
باي تونس ، فمدحه الشدياق بقصيدة كان اولها
« زارت سعاد » ، ثم بعث بها اليه بعد عودة الباي الى
بلادها فاعجب هذا بها ، وارسل يستقدمه الى تونس
على سفينة بخارية ليبحر الشدياق عليها هو وعائلته .

وفي تونس فخر الباي الشدياق بنعمه ، وقلده
اسمى المناصب ، وفضلا عن مديرية المعارف عهد اليه
برئاسة تحرير جريدة الرائد التونسي . وفي غمرة
هذه النعم اعلن فارس الشدياق اسلامه ، وازاد الى
اسمه احمدا ، وتكنى بابي العباس .

وحينئذ ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب ،
استدماه السلطان عبد المجيد العثماني بواسطة الباي .
ولما جاء دار السعادة « اسطامبول » رحب به
السلطان ، ومهد اليه بادارة المطبعة السلطانية طوال
عدة سنوات . وفي سنة 1861 انشا الشدياق جريدة
الجواب ، فكانت تنطق بلسان الشرق ، ومرجما
للصحف الاوروبية في القضايا الشرقية التي كان
يطلق عليها « المسألة الشرقية » . وكانت هذه
الجريدة تحمل لواء العرب والعربية الامر الذي افضى
الى اسكانها سنة 1884 .

وفي 1886 زار احمد الشدياق القاهرة ،
وهو شيخ ، فآكرمه الخيديوي توفيق باشا ، ونوه
بخدماته للشرق افضل تنويه ، ولكنه مع ذلك ظل
يحن الى العاصمة العثمانية فعاد اليها ، وقضى
نحبها فيها سنة 1887 . وقد احتفل بمآتمه احسن
احتفال ، واشترك فيه ممثل السلطان ، وصدرت
ارادة سنية بدفنه في تربة السلطان محمود ، بينما
رثته صحف العالم على اختلاف لغاتها ، ونقل البرق
نعيه الى العواصم الاخرى . وقالت عنه جريدة
الاجيبيان غازيت ما يلي : « ضع الكتبة الانجليز
سكيت وامرسون وداور دروث ووايكنف وبلويز في
شخصية واحدة فحينئذ يمكنك ان تتصور جيدا عظمة
احمد فارس الشدياق . ولو ولد الشدياق في أوروبا
لدفن مع نخبة العظماء ، ولتصب له التماثيل في اكثر
مدن بلاده . »

ولكن الشدياق (على ما جاء في دائرة معارف
البيستاني) كان يريد ان لا يدفن في غير مسقط رأسه
ولذلك فان ولده سليمان التمس الاذن بان يدفن في
قرية الحدث عملا بوصية والده . وكان يوم نقل
جثمانه الى لبنان من اعظم ايامه ، كما كان يوم استقبال
جثمانه في بيروت يوما مشهودا اشترك فيه العلماء

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر
ببالها أن تفرغ باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام
اللسان العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :

السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف

زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة
وطلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشرومها
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير
الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى

معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقى من وزير
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل
المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني
من نوايج الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه
في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر
ببالها أن تفرغ باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام
اللسان العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :

السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف

زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة
وطلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشرومها
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير
الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى

معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقى من وزير
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل
المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني
من نوايج الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه
في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر
ببالها أن تفرغ باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام
اللسان العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :

السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف

زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة
وطلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشرومها
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير
الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى

معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقى من وزير
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل
المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني
من نوايج الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه
في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

تاريخ جامعة الدول العربية

الشيخ طه الوحي « بيروت »

هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية امثال السير هنري مكماهون ، وانما كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، باطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي، وهو يطمع الآن الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا، ويرجو ان تسامده بريطانيا العظمى في بلوغ هذا الهدف . ويسرني ان اعلن باسم حكومة صاحب الجلالة عن ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الادلة على تأييد الرأي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدن في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لان هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتنعين بقوة الحلفاء ولا بسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصديق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم وعهودهم التي اسرفوا في اغداقها على الشريف حسين ، امير مكة ، حين استدرجوه للثورة على دولة الخلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا داهي لتكراره في هذه المناسبة .

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحونا بالمفاجآت والمتاعب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان انتصارات عسكرية ساحقة على اكثر الجبهات الحربية سواء في اوربا حيث سقطت فرنسا صريعة تحت اقدام الغزاة وتفتشت قوات المحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية، وبدا للناس في كل مكان ان هتلر سيصبح سيد العالم بلا منازع .

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي فقامت الاوساط الوطنية المتحمسة باثارة الجماهير للانتفاض على السلطات الحليفة باساليب مختلفة ، بنفت احيانا حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلا في العراق حيث اعلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان اضطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت صارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش الحليفة كانت ولا تزال قادرة على اخمد كل حركة محلية تقوم ضدها، بل هي اخمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة المواطنين الوطنية مند العرب بالتي هي احسن ، فلجأت الى نفس الاساليب التي سبق لها ان اتمتها في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) بيد انها في

وكان تصريح المستر انطوني ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شباط سنة 1943 جاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد عرضة في السابق من بلبل خدمات بريطانية لمساعدة العرب على تحقيق امانيهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العموم البريطاني .

ويبدو ان الظروف في سنة 1943 كانت ، بالنسبة للحلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظرا لتحول الموقف العسكري بوجه عام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، رغبة منهم في الافادة من هذا العرض البريطاني ، الذي بدا لهم وكأنه فرصة ذهبية ، لا يجوز تفويتها على امتهم ولاسيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديد الشكوك فيما يقولونه ، فانتهزوا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فأعلن ديفول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة اعترافه باستقلال سورية ولبنان ، كما اعلن الانجليز مزعمهم على الاعتراف باستقلال امانة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع المبادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعرب عن استجابته لتصريح ايدن ، معلنا بان العرب سيجتمعون حالا ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من عروض ووعود .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظرف اصبح ملائما للعمل على تحقيق حلمه في بئث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائها التي اقتسمها الحلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجه مذكرة الى الحكومة الانجليزية يشاؤها فيها الغاء الانتداب من شرق الاردن اسوة بالاقطار السورية الاخرى ليتمكن من السعي مع تلك الاقطار للوحدة تمهيدا للملك الذي يطمح به . وايد الامير مذكرته هذه بان ارسل معها صورة عن قرار اتخذه مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

... « ان التصريح البريطاني الاخير على لسان المستر ايدن اولا ، ولسان السير مايلز لمبسون

ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسا الحرة على لسان الجنرال كاترو . قد قوبلا بالاعتباط والشكر من حكومة سموكم واتاحا لها ، على ضوءها ان تدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تتألف من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية المراتية التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصريحين وتسجلهما وتعتبرهما اعترافا بجدارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليلا على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة للمنافع المشتركة التي يمكن ان يضمناها استقلال البلاد العربية السورية ووحدها للدولتين الحليفتين وللرب انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب . وبناء على هذا الرأي ترى (اي الحكومة الاردنية) ان تفضلوا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار اليها والتعاون واياها على العمل لتحقيق الغايات الالفة وجمع الكلمة وتوحيد الرأي العام ، وانها تستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

تضمن تصريح المستر ايدن ان الحكومة البريطانية عظيمة العطف على قضية الاستقلال السوري وانها مستعدة لتأييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لايجاد نوع من الوحدة العربية . . وان ذلك ليعد اكبر تأييد من الحكومة البريطانية واعظم عطف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، النقاط التي رواها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلت مذكرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتور ملحوظ وكلفت معتمدها في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جاء فيها :

« . . ان فخامة المندوب السامي (بفلسطين) قد احال الامر الى حكومة جلالتهم . . واهم الي بان ابليح سموكم رد حكومتهم بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحوذ على عطف حكومة جلالتهم التام ، على ان القضية يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون الميدان اكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقرار الموجود قيد النظر ، فان حكومة جلالتهم تلزم رايها التاكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كالتى تضمها حكومة شرق الاردن

نصب عينها ينبغي ارجاؤه ريثما تفدو الحالة اكثر استقرارا .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التي قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزي وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط ، وقد اعربت هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالبادرة الانجليزية التي وردت على لسان المستر ايدن .

بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون في الاردن والعراق لم تترك اي صدى في الدوائر العربية الاخرى لان الوضع السياسي في كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتأييد هذه الدوائر ولا برضاها ، فاتجهت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفي غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل في حكومته ، المرحوم صبري ابو عزم باشا بان يلقي يوم 30 اذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« انني من قديم معنى باحوال الاسم العربية والمعاونة على تحقيق امالها في الحرية والاستقلال ، سواء في ذلك ، اكنت في الحكم ام خارج الحكم ، وقد خطوت في ذلك خطوات واسعة ، صادفها التوفيق بان اتجه نظام الحكم في بعض الاقطار العربية الاتجاه الشمسي الصحيح . ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه فكرت فيه طويلا ، وقد رايت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من امال كل على حدتها ، ثم تبدل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر معا في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسمى للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فاذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برياسة الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققا ما تشده الامم العربية . »

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحاسم الذي بادر الى اتخاذه مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بان مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وان يكون لها في هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا تترك ، لا للامير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال باخذ المبادرة في توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، تركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي في اراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواه .

ونظرا لمكانة مصر في العالم العربي وفعاليتها في الميدان الدولي العالمي ، فان بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابت له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاوفدت وزير داخليتها المرحوم تحسين العسكري ومعه جميل المدفعي احد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء في بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة في هذه المشاورات في مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الغرض في مدينة الاسكندرية . وقد رؤى الاقتصار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان عددها خمسة وهي : سورية والاردن والعراق ولبنان ومصر . وقد لبثت هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفي جملتها الاردن نفسه ، الذي ارسل موافقته في كتاب حمله الى النحاس باشا نوري السعيد باشا ، جاء فيه :
حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم
كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بمسان وسيزور مصر ليرى رفعتكم في القضية العربية التي قد استرهمى افكارنا عنها علاوة على ما يعلم فخامتة من المبدأ القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية . واثنا لنشكر لرفعتكم على منلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعا في اقطارنا المحبوبة ، واثنا حين تكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرفعتكم الصحة والعافية والتوفيق في جميع الاعمال . »

مؤتمر الاسكندرية التحضيري

استمر انعقاد المؤتمر الذي دعاه اليه النحاس باشا في مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفي نهايتها اصدر المؤتمر بيانا رسميا ، عرف فيما بعد باسم « بروتوكول الاسكندرية » ، وجاء في مقدمة هذا البيان :

« البنا للصلوات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين البلاد العربية جمعا ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصالح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانها وادائها ، واستجابة للرأي العربي العام ، في جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا (اي المؤتمر) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1943 في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتي :

اولا : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى (مجلس جامعة الدول العربية) تمثل فيه الدول المشتركة في (الجامعة) على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تطبيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان الى المجلس لفصل هذا الخلاف ، ففي هذه الاحوال ، تكون قرارات (مجلس الجامعة) نافذة وملزمة ، ولا يجوز على كل حال الاتجاه الى القوة لفصل المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها . ولا يجوز في اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يفضي منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة

او غيرها للتوفيق بينهما . وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لامداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » وليبحث المسائل السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . « وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالاضافة الى فقراته الاساسية قرارين خاصين ، احدهما عن لبنان والآخر عن فلسطين . ويمكن تلخيص المباديء العامة الواردة في هذا البروتوكول بما يلي :

« التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها وتدعيم هذه الروابط في المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه في ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

من مصر :
مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية
محمد صبري ابو علم ، وزير العدل
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية
من سورية :

سمد الله الجابري ، رئيس الحكومة .
جميل مردم ، وزير الخارجية .
نجيب الامنازي ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية
من الاردن :

توفيق ابو الهدى ، رئيس الحكومة
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية
من العراق :
حمدي الباجه جي ، رئيس الحكومة
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة
ارشد العمري ، وزير الخارجية
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

من لبنان :
رياض الصلح ، رئيس الحكومة
سليم نقلا ، وزير الخارجية
موسى مبارك ، مدير غرفة رئيس الجمهورية

اجتماع القاهرة والقرار ميشاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيرى، والبيان الذى انبثق عنه عبارة عن بروتوكول اعدادى ، فان الحكومات العربية التى شاركت فى هذا الاجتماع ووقعت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائي فى تنظيم المبادئ التى تقوم عليها جامعة الدول العربية وهيكلها الاداري . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد اليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسى والاداري فى غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، وفى 22 اذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر عربي عام اشترك فيه مندوبون رسميون عن الدول التى سبق لها ان وقعت على بروتوكول الاسكندرية من قبل ، وقد انضم الى المجتمعين فى هذا المؤتمر مندوبون عن المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز وال سعود الذى لم يكن فى ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر والعراق لاسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمر فى القاهرة المواد التى عرضت عليهم، ادخلوا عليها بعض التعديلات التى راوها ضرورية لنجاح المؤسسة القومية التى يريدون تاسيسها ثم ذبلوا ما اتفقوا عليه بتواقيعهم . وكان ذلك فى قصر الزعفران بالقاهرة يوم الخميس 8 ربيع الثانى سنة 1364 الموافق 22 اذار سنة 1945 . وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان الفوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عنوانا واخر وهو « ميشاق جامعة الدول العربية » . والذين وقعوا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

عن سورية :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة
جميل مردم ، وزير الخارجية

عن الاردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة
سميد المفتى ، وزير الداخلية
سليمان النابلسي : نائب سر الحكومة

عن العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية

علي جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض
بواشنطن

تحسين المسكري ، وزير العراق المفوض
بمصر .

عن المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية
خير الدين الزركلي ، مستشار المفوضية
السعودية بمصر

عن لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر

عن مصر :

محمود فهمي النقراشي ، رئيس الحكومة
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية
مكرم عبيد ، وزير المالية
عبد الرزاق السنهوري ، وزير المعارف
العمومية

عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة
الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق
حيث وقعها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك
تكون جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة
قد وقعت ميشاق الجامعة بلا استثناء .

يوم 22 اذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة
الدول العربية رسميا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهي اآخر
مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملاحقه ، وفقا للنظم
الاساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة وتبذل
وتائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح
الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة
عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين المام وتائق
التصديق من اربع دول » .

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه
المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

الدول وثائق التصديق على الميثاق حسب الترتيب التالي :

المملكة الأردنية الهاشمية	بتاريخ 10 نيسان 1945
المملكة المصرية	بتاريخ 12 نيسان 1945
المملكة العربية السعودية	بتاريخ 16 نيسان 1945
المملكة العراقية	بتاريخ 25 نيسان 1945
الجمهورية اللبنانية	بتاريخ 16 ايار 1945
المملكة المتوكلية اليمنية	بتاريخ 19 ايار 1945
الجمهورية السورية	بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا فإنه ابتداء من يوم 11 ايار 1945 أصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير ان الرأي اتفق بالاتفاق على ان يكون يوم 22 اذار 1945 هو البعاد الرسمي لتأسيس الجامعة ، ذلك ان مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريبا الميثاق في هذا اليوم .

ونظرا لاهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الامة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عيدا قوميا تعطل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

خلاصة الميثاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في عشرين مادة اتفق عليها جميع الدين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي تواضعوا على التزامها فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم ببعض او في علاقاتهم مع غيرهم من الدول الاجنبية .

وقد عبرت المادة الاولى من هذا الميثاق عن طبيعة الجامعة واهراضها ومبادئها اذ نصت انه :

«تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقفة على هذا الميثاق ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامعة ، فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض على المجلس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على ان :

« الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا لتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر

بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .
كذلك من افراسها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوننا وثيقا . بحسب نظم كل دولة منها واحوالها في الشؤون الآتية :

1 - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملية وامور الزراعة والصناعة .

2 - شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 - شؤون الثقافة

4 - شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين

5 - الشؤون الاجتماعية .

6 - الشؤون الصحية .

ملاحق الميثاق

ويعد ان عدت مواد الميثاق انواع النشاطات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فان مندوبي الدول العربية الذين اشتركوا في اعداد الميثاق بصيغته النهائية ، كانوا حريصين على تضمينه ملحقا خاصا بقضية فلسطين قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، واصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لاية دولة اخرى ، واعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها ، فان ميثاق العصبة (عصبة الامم) في سنة 1919 لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها . لوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى . واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب القاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول الموقفة على ميثاق الجامعة العربية ، انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا التطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

اختيار القاهرة مقرا للجامعة

اما بصدد المكان الذي يتخذ مقرا رئيسيا لاقامة امين هام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد رؤى ان يكون في مدينة القاهرة . وقد رومي في هذا الاختيار مكانة مصر في العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها ونفوذها من الامكانات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف المعنوية التاريخية التي جعلت منه كيانا قوميا تكاملت له اسباب الزعامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة، الى جانب الزعامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف في ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة على ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه » .

النص على مصرية الامين العام للجامعة

وتبعا لاختيار مدينة القاهرة مقرا دائما للجامعة، فان اعضاء مجلس الجامعة راوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وقفا على واحد من المصريين ، لا ينازهمهم في ذلك غيرهم من الشعوب العربية . وقد اكد المجلس ذلك بالنص عليه في الملحق الذي اضافوه في آخر الميثاق وهو يقضي باسناد هذا المنصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظرا لخبرته في الشؤون العربية وسابقته في خدمة العروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

الفوارق الملحوظة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دمنا قد تحدثنا فيما سبق عن ميثاق الجامعة بمواده وملاحقه ، فاننا لا نرى باسا من ان نتناول بكلمة عابرة الظروف والملابسات التي جعلت من هذا الميثاق يختلف في بعض مواد الرئيسية وملاحقه الاضافية عن البروتوكول الذي أصدره المؤتمر التحضيري في الاسكندرية عندما اجتمع في هذه المدينة بدفوة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعا شائكا بالنسبة لامضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التي كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الانتداب الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذي يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعيمها سماحة السيد محمد امين الحسيني وصحبه من قادة النضال الفلسطيني ، في المعتقلات والمنافي السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة رأى الخروج من هذا المأزق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين في ذلك المجلس ، وكان الذي وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذي كان حينئذ مقيما بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل في بلده فلسطين ايام الانتداب البريطاني وظيفته مساعد النائب العام .

موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشأ ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخامس بفلسطين ، ملحقا واخر خاصا بالتعاون مع البلاد العربية فيير المشتركة في مجلس الجامعة بسبب وقومها تحت السيطرة الاجنبية كي لا تحرم هذه الدول وما هو في حكمها من المساهمة في نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء في الميثاق في هذا الصدد انه: « نظرا لان الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤوننا يعود خيرها وانرها على العالم العربي كله ، ولان امانى البلاد العربية فيير المشتركة في المجلس ينبغي ان يراها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقمة على ميثاق الجامعة العربية يعنىها بوجه خاص ان توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق ، بان يذهب في التعاون معها الى ابعده مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بان لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيتها وآمالها ، وبان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما بهيئة الوسائل السياسية من اسباب » .

ويمكن القول ان أبرز مواطن الاختلاف بين الميثاق وبين البروتوكول ، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الاسكندرية قرارا خاصا بلبنان هذا نصها :

« تؤيد الدول العربية المثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده العاصرة ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج سياسة استقلالية اهلنتها حكومته ببيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في 7 اكتوبر 1943 » .

اما الميثاق فقد خلا خلوا تاما من الاشارة الى لبنان ، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحيا ولا تلميحيا ، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بمثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بايحاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الزعماء العرب في داخل المؤتمر وخارجه ، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمين بعض الفئات اللبنانية الانعزالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية ، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك الحين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتأييد بسبب ما كان يحيط بنشونه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية منذ العرب في ذلك الحين . فلقد اراد المرحوم رياض بك الافادة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية لدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان عن طريق بادرنه هذه ، وبذلك يعيب مصفورين بحجر واحد ، كما يقول المثل السائر ، اثبات وجوده عربيا من جهة وتأكيد ولأنه الصادق للبنان في حدوده التي خطتها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

ومما ساعد رئيس الحكومة اللبنانية يومئذ على تمرير قراره في صلب النص الرسمي لبروتوكول الاسكندرية ان هذا القرار وجد هوى واستجابة في نفوس زملائه المؤتمرين الذين راوا الفرصة سانحة امامهم لحل « العقدة العربية » التي كانت تمنش اصاب فريق من اهل « متصرفية جبل لبنان » القديمة ،

وتشير في نفوسهم الشك والريبة بكل ما هو عربي او يتصل بالمروبة من قريب او بعيد . . .

بيد ان المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة الى مجلس جامعة الدول العربية رأى الميثاق هذا القرار في ميثاقه كي لا يكون في هذا الميثاق نتوءات نفسية او ثغرات قومية ، توحى بالترقة بين دولة عربية واخرى . واكتفى امضاء المؤتمر بتأكيد المبادئ العامة التي تشمل الدول العربية المستقلة جميعها ، على سوية واحدة من الاعتبارات الوطنية .

فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في فقرته الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

1 - ترى اللجنة ان فلسطين وكن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضراء بالسلم والاستقرار في العالم العربي ، كما ترى اللجنة ان التمهيدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تالما من احد لما اصاب اليهود في اوربا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوربية الديكتاتورية ، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة اليهود بأوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

2 - يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

وعندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزعفران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 آذار 1945 ، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفا جملة وتفصيلا للقرار الذي

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ روعي في نص الميثاق من فلسطين ، ان يدور في العموميات الغامضة التي لا تلزم اعضاء الجامعة بأية مبادرة محددة من اجل انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية التي كانت تهدد كيانها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك بالفعل .

وقد اثار هذا الفموض في قرار فلسطين بالميثاق يومئذ تساؤلات كثيرة رددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على ان هذه التساؤلات بقيت دون اى جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي صدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب الى الامين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاوزين كده » .

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامة الاستفهام عاتقة حيث هي في اذهان المتسائلين لان عبارة « الخواجات عاوزين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الظنون اتجهت الى ان المقصود « بالخواجات » هم الانكاز ، الامر الذي جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدد قضية فلسطين والذي يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله !

الصفة القانونية والوضع الدولي لجامعة الدول العربية

بعد ان قدمنا جامعة الدول العربية في اطارها القومي العام واغراضها الوطنية المختلفة ، فانه يجدر بنا ان نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في علاقاتها الرسمية باعضائها من الدول العربية او فيما كانت تقوم به من طريق امينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الاجنبية والمؤسسات العالمية كهيئة الامم المتحدة واللجان المنفرعة عنها .

والملاحظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما فيه من مواد او ملاحق او تنظيمات لم يحاولوا تحديد وضعها القانوني لا عربيا ولا دوليا ، وذلك على الرغم من ان البحث في هذا الوضع اثير اكثر من مرة واستقطب اهتمام الدول الاعضاء واستدرجهم الى كثير من الحوار والمناقشات الجدلية التي تميزت بالحدة والعنف . الا ان الاعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمى دون ان يرتعوا في صميمه ، او ينتهوا منه الى راي حاسم يجمع

عليه كافة الفرقاء الممنيين . واخيرا تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزم من مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسستهم لتفادي الحرج والانقسام والفشل فيما اخذوا انفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرعون ، وزير خارجية لبنان يعلن قائلا: « عندما نمطي كيانا قانونيا للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فاذا اردتم موافقتنا فلنتترك هذه المسألة » .

وهكذا يمكن القول بان شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيت غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل اهل الدراية في الفقه السياسي والتشريع الدولي على ان يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي الى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى انه « ليس لهذه الجامعة شخصية كاملة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل او في الخارج » . وهذا هو الرأى الذي تشبث باعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على اساسه .

الجامعة العربية وعلاقتها الدولية والعالمية

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحث . اما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اوار الجدل حول هذا الموضوع لم يكن اقل احتداما عنه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على ان تنفي عن الجامعة الصفة القانونية التي تخولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئة الامم المتحدة ، او عن طريق المراسلات الرسمية مع الدول الاجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئة اقليمية يتعارض ومبدأ السيادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

وهنا لا بد من القول بان الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ النصيب الاوفر في معارضة الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في امريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة، نقلت جريدة المصري من لسان الاستاذ هنري فرعون قوله :

حدود الميثاق صادرا من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية قائمة بذاتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما لقيت استجابة رسمية من بعض الدول الاجنبية ، فاعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك الحين : « ان الحكومة البريطانية ستعترف رسميا بالمخبرات الخاصة بالموضوعات السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد عنها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المجاب عليه » . وتمنى البيان بان هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكيان الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الاسبانية لم تكتف بالاعتراف الشكاسي بالصفة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتزم فيها معاونتها في محيط السياسة الدولية وتأييدها في مواقفها السياسية عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، قد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما اقرت جمعيتها العمومية اقتراحا قدم اليها بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية للشرق الاوسط واعترفت فيه « بان تعاون اللجنة مع الهيئات الاقليمية في الشرق الاوسط كالجامعة العربية » من شأنه ان ييسر للجنة مهمتها

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي اصدرته جمعيتها العمومية ، فسر يومها بأنه نوع من الاعتراف « الواقعي » بالجامعة ، الا انه على أي حال يعتبر اعترافا ضمنيا بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن هزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » البيروتية في عددها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قرارا بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية (لعله يريد قانونية لانه لا يحسن العربية السليمة) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفا كبيرا اداريا . ومن الواضح انه ليست له اية صفة لبذل مثل هذا المسمى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وان الدول العربية تعرب من آرائها بواسطة حكوماتها ووزرائها المفوضين » .

على انه مما يشير الدهشة والاستغراب ان موقف لبنان من هذه المسألة كان يناقض بعضه بعضا حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بيننا كان رأى وزير خارجية لبنان كما بينا آنفا . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت ، نجده عند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية من سورية ولبنان بصر ، وفي مجلس الجامعة بالذات بان : « لبنان يتمسك بتمثيل الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لعلاج هذا الامر »

اما مندوب سورية المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الاهتمام على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سورية تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد اصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء لطلب مندوبي سورية ولبنان قرارا متضمنا هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين صاحبتى الشأن المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس، وهو اعتراف اكيد وصریح بالصفة القانونية الدولية للجامعة .

والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكوك في قانونيتها . وقد كان امينها العام عبد الرحمن هزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الاجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الاعتبار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتي ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فان هاتين الدولتين تخاطبتنا رسميا ومباشرة مع جامعة الدول العربية في موضوع هذين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بوردان قرارا يوصي فيه الدول العربية بان تطالب الحكومة البريطانية بالاعتراف بجامعة الدول العربية صراحة ، وان تعتبر ما يوجهه اليها الامين العام ، ضمن

اقتطارها ، بل انها تجاوزت في نضالها الدبلوماسي هذا النطاق القومي فأصدرت قرارا بتوصية الدول الاعضاء ببيئة الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من الاستعمار الهولندي . وهكذا ...

الجامعة توصي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتماد الفرنسي على سورية ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم توفيق السويدي ترويد هذين البلدين بجيش عربي مشترك لساندهما في الدفاع عن كيانهما الوطني ، وقد علق عبد الرحمن عزام باشا يومئذ على هذا الاقتراح بالتعبير وقال : « ان هدف الجامعة العربية هو ان تكون في المستقبل مسؤولة عن الامن داخل نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولي على ذلك ، وسياتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الامن في نفس هذه الساحة .. مستندة الى مجلس الامن نفسه ا » .

محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

وقبل ان ناتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد لنا من الاشارة الى ان المرحوم رياض بك الصلح سعى سعيا حثيثا لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في صلب تنظيمات الجامعة العربية ، تكون مهمتها النظر من الناحية القضائية في النزاعات التي يمكن ان تقوم بين الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من اجل تحديد الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، غير ان هذه الفكرة الجلييلة لم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ وطوي البحث فيها بعد اغتيال المرحوم رياض بك في سنة 1951 .

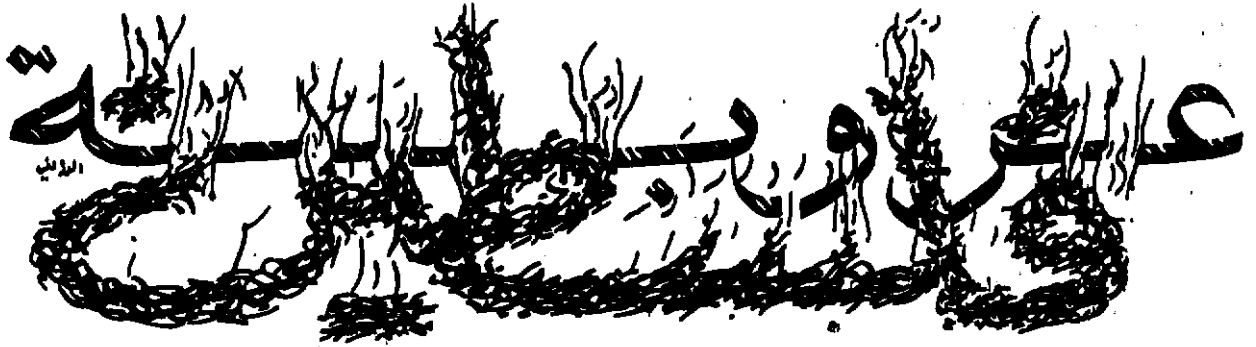
وايا ما كان ، فان جامعة الدول العربية ما لبثت ان اصبحت عربيا ودوليا ذات شخصية قانونية قائمة ببلاتها رغم ان المندوب اللبناني اصبر على اعتبارها بمثابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما بينها في درس القضايا الخاصة بالمرب مما يعرض عليه .

الجامعة تتصرف على انها هيئة قومية اقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلا على انها هيئة سياسية اقليمية ، من ذلك انها تقدمت الى مجالس الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه الصفة في اى لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة الايطاليين غير المشروعة الى البلاد الليبية .

وبعثت بمذكرتين الى الجمهورية الفرنسية ، أحدهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي تونس الذي كان اسيرا في فرنسا واهادته الى عرشه الذي اغتصب منه بغير حق ، والاخرى بشأن اطلاق سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بمراكش الاسبانية . كما انها قامت بجهود خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي أصدرتها الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين الجزائريين سنة 1945 . وكذلك ارسلت مذكرة اخرى الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة تدير اقاليم لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في ميثاق هيئة الامم المتحدة . وايضا فان الجامعة قامت بالتوسط لدى الحكومة البريطانية لدعوة الهيئة العربية لفلسطين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت ببيئة الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المؤقتة للجنة الصحية للامم المتحدة عند انعقادها في جنيف بسويسرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات العالمية التي قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف



الدكتور أسعد حمود "دمشق"

وكان القادة الصهاينة والقيمين من انه لن يصدر عن العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحتراق المسجد الأقصى، وأن الرد لن يكون أكثر من احتجاجات وصيحات لن تلبث أن تهدأ، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر.

وكان موسى ديان هو القائد الصهيوني الذي دأبت الاحلام الخادمة أجفانه، بل يقترن اسمه في التاريخ بتحقيق دولة (اسرائيل الكبرى)، والتضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها. وان نصر حزيران الرخيص الذي حققته قيادته على العرب، قد فاق جميع تقديراته وآماله، فظن أن ما حملت اسرائيل بتحقيقه، على مدى اجيال وقرون، اصبح، بعد نصر حزيران، امرا سهلا المنال قريب التحقيق، فطمع بأن يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام توميه.

واندفع ديان وعصابته في مفاخراتهم، وجرائمهم، التي بلغت ذروتها في احراق المسجد الأقصى، ليعجموا هود العرب والمسلمين، وليجربوا رد فعلهم، حتى اذا وجدوه هزيبا ضعيفا، عادوا الكرة لاحتراقه بشكل تام ونهائسي.

وفي الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين ضعيفا، لا يتناسب وقدسية المكان الذي أشعل الصهاينة فيه النار ودمسوه. ولكن يجب ان نعترف للامانة والحقيقة، بأن العرب انفسهم - اصحاب المصلحة المباشرة في ارض فلسطين، وفي الحفاظ على قدسية المسجد الأقصى - لم يحسنوا الافادة من هذه المناسبة، ولم يحسنوا

ابطر الصهيونيين فشل العرب عام 1948، في القضاء على احلامهم في اقامة دولة لهم في قلب العالم العربي، في البقعة المقدسة فلسطين، وواد في جرائمهم نجاح هدوانهم على مصر عام 1956، اذ اشتركت معهم في المعركة دولتان كبيرتان هما انكثرا وفرنسا، بينما ترك العرب مصر لمصيرها، تواجه العدوان لوحدها.

وبلغت النشوة والخيلاء بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم، غدرا وغيلة، بالعرب في معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدراتهم على الحفاظ على ما تحت ايديهم من ارض واثاث، فانطلقت من افواه المسؤولين الصهاينة اصوات وصيحات، تفضح بوضوح ودون تورية او تمويه، المخطط الصهيوني البعيد المدى، من ضم والحاق وتوسيع على حساب الارض العربية. ولم يستبعدوا التفكير في الاعتداء على الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز.

اما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتهيا، فامروا باحراق المسجد الأقصى، الذي يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب، ولا لغضب المسلمين المنتشرين في اسقاع الارض. اذ كانوا يريدون ان ينتهوا، وبأسرع ما يمكن، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس، والارض المقدسة فلسطين، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب في القدس والمدن الفلسطينية الاخرى، الى البلاد العربية.

ولا شك في أن السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر وليبيا والسودان ، ستتسوه خطوات أخرى نحو الوحدة بين الاقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الأرض وخمسين مليوناً من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الاقطار العربية الواحدة بعد الأخرى ، لتجتمع شملها من جديد .

واننا لا نشك في أن التصريحات الوقحة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة المنصرين في اسرائيل ، والتي تكشف عن نواياهم واهدافهم ، واطماعهم التوسعية ، وان تدبيرهم للمقدسات الاسلامية والمسيحية في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، واعتداءاتهم المتكررة على الوطن العربي ، ستكون بدء النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذي اريد زرعه في جسم الامة العربية ، ويوم ينهار هذا الكيان القائم خلافا لمنطق التاريخ ، ولعقبة العصر ، سينال القادة الغامرون جزاء وفاقا على ما اقترفوه بحق الانسانية والمقدسات من جرائم .

وليس زعماء اسرائيل هم أول من طرا على هذا الأرض وحاول تدنيس مقدساتها ، والاساءة الى شعوبها ، وليس موسى ديان وعصاته هم أول الغامرين الذين اغرامهم التفرق ، والنزعات العارضة بين شعوب العالمين الاسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والمسلمين وعلى مقدساتهم ، وبالسخريه من قدراتهم ، وامكاناتهم في رد الأذى والحق الهزيمة بالمتدين . فمئذ قرابة ثمانمئة عام حل في جنوبي البحر الميت ، مفامر صليبي غادر ، غرته انتصارات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فظن ان بإمكانه تدنيس المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقوه المقدسات الاسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة مربطاً للخيرول ومهجماً للجنود .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك الغامر عبون العرب والمسلمين على حقيقة الخطر المحقق بهم وبمقدساتهم في المنطقة كلها ، وادركوا انه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في ارضهم ، فلا امن ولا سلام ولا اطمئنان ، فتحررت اوتال تتلو اوتال من المجاهدين ، من كل أرض من أراضي الاسلام ، مليئة دعوة الجهاد ، تقايل وتحارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك الغامر قومه الى خوضها وهم

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يريدون بالضبط من وراء دعوة اقطاب المسلمين الى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا انهم لو اتبعوا صيحة الجهاد التي اطلقوها ، بتنظيم جدي لايفاد متطوعة ومحاربيسن من العالم الاسلامي ، لراينا اليوم زحوا فتلوها زحوف من الابطال المستميتين ، يتدفقون على ميدان المعركة ، من كل أرض انطلقت من مآذنها صيحة (الله اكبر) ، ملبين دامي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، او لينالوا اجر الشهداء على الأرض المقدسة في المعركة المقدسة .

ان الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية . الخ ، لا يفرطون في عون يائيمهم وان صفر . ونحن نستبعد عونا كبيرا ، بل معينا من العون لا ينضب ، كان يمكن ان يكون في كفتنا ، وكان يمكن ان يؤثر تأثيرا فعليا وحقيقيا على اولئك الذين يدعمون اسرائيل ، ويمكنون لها ، لو اننا احسنا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، الا وهو عون العالم الاسلامي ، ذي المصلحة الحقيقية في ان لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الاسلام في فلسطين والحجاز .

وعلى كل حال فقد كان لاحراق المسجد الأقصى ، ولتصريحات زعماء اسرائيل وتهديداتهم فائدة اذ فتحت عبون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يفري الاعداء بهم . فادركوا انه ما لم يتم تسامح حقيقي بين الدول العربية ، بانتظار قيام وحدة بين اقطارهم ، تستطيع اقامة دولة مصرية وجيش مدرب قادر على استيعاب العلم الحديث والسلاح الحديث - فانهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من الغامرين ، تستخف بهم ، وتستهزئ بهم وتتحداهم في كل يوم وفي كل ساعة ، وتضربهم في عقر دارهم كلما شاء لها هواها ان تلهو بذلك

وقد كانت اول بادرة للتضامن تصدر عن العرب ، وتشمر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي الاجماع في مؤتمر الخرطوم ، الذي عقد اثر النكسة ، على دعم الامكانيات المادية والمسكرية لدول المواجهة مع العدو ، وعلى رفض التفاوض مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلت ذلك ثورتان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع امكانيات القطرين الشقيقتين في الميزان العربي الفعلي في المعركة المضيرية .

المهود والمواثيق على القادة الصليبيين بان يعيدوا اليه ما يحتلونه مما كان تابعا في الماضي للامبراطورية البيزنطية ، وخصوصا انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكر في غير مصالحه الخاصة، فرفض الاستماع الى النصائح والاعتراضات ، وتمكن بحيله ومداوراته ، من الفوز بامارة انطاكية، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الآخرون جنوبا ، واقام كل منهم امارة لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها (اورفه) .

واصبح بوهمند بلاء على المسلمين من جيرانه، وكان اكثر ضغطه منصبا على حلب المجاورة لانطاكية ، ثم اسر بوهمند من قبل الغازي ابن الدانشمند ، امير التركمان في الاناضول ، ولكن لم يلبث ان فاضله واطلق سراحه لقاء فدية كبيرة ، فعاد بوهمند يتابع اعتداءاته نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

وتقم البيزنطيون على بوهمند حنثه بيمينسه ، واتكاهه لحقهم في السيادة على انطاكية ، فافتنموا فرصة هزيمة الفرنج - وفيهم بوهمند - في معركة حران عام 1104 م، واسرعوا بحثون الخطا نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المحدق به . فهدد بالامارة الى ابن اخته تانكريد ، وذهب الى اوربسا ، ليستشير حملة صليبية اخرى ، هدفها انقاذ انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من اميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الاول الى اوربا ، ووصول بوهمند الثاني الى الشرق ، تعاقب على انطاكية اميران نورمنديان ، احدهما يدعى تانكريد ، والاخر روجيه ، وقد قضى المسلمون على روجيه وعلى جيشه في معركة البلاط على الطريق بين حلب وانطاكية .

وفي عام 1128 م ، وصل الى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارغ الطول ، قوي البنية ، جميل الملامح ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واتقن استعمال السلاح ، حتى بد اقرانه به . وما هو الا ان تسلم امارة انطاكية حتى تزوج باليسى الابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وباشسر الاشارة على جيرانه المسلمين ، ومباغتة الحصون القريبة من

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين اسيرا ، فلم يعف عنه ، لانه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين الحرب .

ومنذ ذلك اليوم ادرك الصليبيون ان دولتهم قد اصيحت في حكم المقضي عليها بالزوال ، وتابح من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بداها ذلك البطل ، حتى قذفوا بآخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وهشتر سنين من الحروب المتواصلة من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي (ارناط) او (رينودوشا تيون) لعلها ان يكون فيها عظة للعرب ، وهبرة للمغامرين .

— ارناط —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م (490 هـ) تريد - استجابة لنداء الكنيسة - استرجاع القدس من ايدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في اوربا الفرصة سانحة ، ففتنوا المشروع لعالمهم يفوزون بامارات واقطاعات في الشرق ، مستغلين حماسة البسطاء والسذج ممن دفعتهم الحماسة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين اولئك الامراء المغامرين ، امير نورمندي الاصل استقر اباؤه في جنوبي ايطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصيبه في الميراث ارضا صغيرة في جنوبي ايطاليا لا ترضي اطماعه الواسعة ، فاسرع بوهمند اوييمتد كما تسميه الرواية على راس من تجمع تحت لوائه ، ينضم الى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من مضيق البوسفور .

وبعد حروب واهوال وفظائع ومذابح ، تمكن ثلاثة ارباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم الى سوريا، وكان اول ما احتلوه فيها، مدينة انطاكية، التي دافع عنها حمايتها المسلمون اشرف دفاع واشجمه طوال عشرة اشهر . ولولا الخيانة التي اقرت اهدم القادة الداخليين حديثا في الاسلام ، لما تمكن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كله في المنطقة .

وطمع بوهمند في ان يقيم لنفسه امارة في انطاكية وخاف رفاقه ، القادة الآخرون ، ان تفسد اطماع بوهمند خططهم الرامية الى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، اسحق كومنين ، وضرب المسلمين نقوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد اخذ

أراضيه ، فحقق بعض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح
المحدود في صلته وفروره .

وفي يوم من أيام شهر شباط (فبراير) 1131 ،
اتجه بوهمند من أنطاكية إلى كيليكيا ، على رأس قوة
من فرسانه ، يريد أن يلحق به الإمارة الأرمنية ، بعد
أن توفي صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش من
التركمان بقيادة الغازي بن الدانشمند (أسر بوهمند
الاول عام 1101 م) ، وأحاط بهم إحاطة تامة ، وأنهال
عليهم رميا بالنبال ، فخروا على الأرض صرعى ،
وكانهم أعجاز نخل منقعر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الأولاد غير بنت صغيرة لا
يتجاوز عمرها السنتين ، أسماها (كونستانس) فتسلمت
أما الأميرة (اليس) إدارة الإمارة ، تحت وصاية ملك
القدس .

ومرت الأيام ثقلا على الأميرة الشابة في إدارة
إمارة واسعة ، يطمع بها جيرانها البيزنطيون من
الشمال ، والمسلمون من الشرق . وكان خطر المسلمين
قد أصبح مقلقا فعلا ، إذ تسلم أمارتي الموصل وحلب
أمير شهم ، بعيد الهمة ، قوي المزينة ، هو عماد الدين
زنكي ، وقرر أن يخوض بالمسلمين حربا ضروسا مع
الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبة
للفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه إلى حصن
قريب من حلب ، هو حصن الأتاب ، الذي طالما
ارعب فرسانه أهل حلب ، وخربوا زروعهم ، ونهبوا
أموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسأل زنكي
رجال ماذا يرتأون . فأشار عليه بعضهم بالانسحاب من
الأرض التي يحتلها العدو ، والعودة إلى حلب ، وأشار
عليه آخرون بالتراجع إلى أراضي حلب ، فإذا لحق
بهم الفرنج ، أمكنهم انشباب المعركة في أرض إسلامية .

وكان زنكي قد قرر في نفسه خوض المعركة
مهما كانت النتائج ، فقال لرجال ، أن الفرنج قد
استطالوا على المسلمين كثيرا ، وقد أصبح مألوسا
لديهم أن يروا تراجع المسلمين واحجامهم من القتال
كلما راوا تجمع الفرنج ، ولذلك فإنه يرى أن يذيق
المسلمون بأسهم للفرنج ، ليذكروا ذلك في المستقبل
ويقدروه . وأنه يرى أن أي تراجع أمام الفرنج
سيجرتهم ، ويضعف من هزيمة المقاتلين المسلمين .
وخلص من ذلك إلى القول بأنه يرى أن يقدم المسلمون

للقاء العدو مصممين على النصر ، وما النصر إلا من
عند الله .

وتقدم المسلمون ، وقضوا على الجيش الصليبي
واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الأثير ، أنه مر في
أرض المعركة ليلا ، بعد أكثر من سبعمين عاما ، فقيل
له أن عظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة في
تلك الأرض . وعاد المسلمون إلى حصن الأتاب
فتسلموه من الفرنج ، فأخربوه حتى سووا بناءه
بالتراب ، لكيلا يتركوا التراب يرمز إلى الرهبة في قلوب
أهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الأميرة الشابة على ملكها ، فأخذت
تراسل زنكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته ، فأساء
ذلك الفرنج الذين تسربت إليهم أنباء اتصالاتها
بالمسلمين . وأخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون
بها من إبعاد الأميرة (اليس) عن حكم أنطاكية ، وقد
وجدوا أن خير الوسائل لذلك هي البحث عن زوج
للأميرة الطفلة الوارثة (كونستانس) .

ووجدوا لها أخيرا شابا جميلا من نبله فرنسا ،
هو الكونت (ريمون دوبواتيه) فقدم إلى أنطاكية على
أنه سيكون زوجا للأميرة (اليس) ، لكي يأمناها
معارضتها في دخول ريمون إلى أنطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الأميرة بمقد
قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحبت إلى
اللاذقية .

تسلم ريمون دوبواتيه إدارة أنطاكية ، نيابة عن
زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصائصه ومميزاته
ضاعت أمام هتكة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين
محمود ، الذي خلف أباه في حكم حلب ، في عام 1146م
فانتزعا من الفرنج جميع ما كانوا يحتلون شرقا
العاصي ، كما انتزعا منهم جميع إمارة الرها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، ظفر نور الدين
محمود بجيش أنطاكية ، عند قرية (أتاب) القريبة
من جسر الشغور (وأباده تقريبا) ، وكان ريمون بين
القتلى . فأصبحت كونستانس وصية على ابنتها
بوهمند .

وقد شعرت الأميرة ، لأول مرة ، بمد موت
زوجها بلذة الحكم . وسر البطريرك لشموها هذا ،
فاخذ يشجعها على عدم الزواج مرة أخرى ، لكيلا

يأتي امير جديد يقضي عليه بالاقتصاص على عمله
الديني وحسب .

وحاول ملك القدس - وهو ابن خالة كونستانس -
أن يجد لها زوجا يحمره من مسؤولية الاشراف على
انطاكية ، ويستطيع النهوض بأعباء الدفاع عنها في
تلك الايام العصيبة من تاريخ امارات الفرنج في الشرق ،
فلم تقبل الاميرة بروج ، وآثرت الاستمرار في حياتها
طليقة من قيود الزواج .

وسارت الامور سيرها العادي ، ونور الدين
محمود يلح على ما بيد الفرنج من مدن وحصون ، في
كل يوم ، وقابو الفرنج في انطاكية وفي غيرها ، ترتجف
هلم ، كلما نظروا الى المستقبل المظلم .

لقاء الاميرة (باونات)

وفي ذات يوم من اواخر عام 1152 ، لمحنت
الاميرة الشابة فارسا يدل زيه على انه حديث عهد
بالوصول الى الشرق ، فاهجبت به واستدمته اليها ،
وتعرفت عليه ، فزاد اعجابها به . ولم يكن ذلك
الشاب غير الغامر رينو دوشاتيون (او ارناط كما
تسميه الرواية العربية) الذي سيجر الممالك الصليبية
كلها الى الهاوية في معركة حطين ، وهو الذي سيرجده
غدره ومحاولاته العبث بالمقدسات الى الموت بيد
الرجل الرحيم صلاح الدين الايوبي .

وتكررت مقابلات الاميرة والفارس الفتى ، حتى
اغرمت به وانفتحت معه على الزواج ، ووجد الغامر الجريء
في هذا الغرام فرصة تحقق له اكثر مما كان يطمح به
ويحلم ، فلم يشأ ان يضيئها . وكان لا بد - بحسب
التقاليد أيام النظام الاقطاعي - من الحصول على
موافقة ملك القدس ، بودوان الثالث على الزواج ،
بصفته الوصي الشرعي على الاميرة وعلى الامارة ،
وكان بودوان اذ ذلك منهمكا في حصار ميناء مستقلان في
جنوبي فلسطين ، - ومستقلان هي آخر ما تبقى بيد
الفاطميين من ملك في فلسطين - فطار اليه الفارس
الغامر ، يرجوه الموافقة على الزواج .

وعجب الملك من غرابة اطوار ابنة خالته ، كيف
تقبل الزواج من شاب مغمور ، لا ثروة له ولا جاه ،
بينما سبق لها ان رفضت الزواج بخيرة الامراء والنبلاء
الذين عرضوا عليها في الماضي ؟ مع انه كان من الممكن
ان يكون في ثراء هؤلاء النبلاء ، ونفوذ بيوتاتهم ، واتساع

املاكهم ، خير عون لامارة انطاكية ، وللمالك الصليبية
في الشرق ، في حربهم الفروس المستمرة منذ
خمس سنين . ولكن الملك الذي يشس من موضوع
زواج (كونستانس) ، اراد ان يتحرر من اعباء الدفاع
عن انطاكية ، فوافق على الزواج ، بعد ان جثا (ارناط)
على قدميه ضارعا متوسلا .

تم الزواج الاسطوري ، وتسلم ارناط حكم
انطاكية فساسها بمقلية المفامر الفظ ، وكان اول ما
استهل به عهده في الحكم ، هو الانتقام من بطريك
انطاكية (ايبرى دو ليموج) .

لقد كان البطريرك شيخا هرما يوم تم الزواج ،
وكان يشارك الاميرة مشاركة فعلية في ادارة الامارة ،
فاستمر الحكم والسلطة وسر بهما ايما سرور ، لذلك
وجد من مصلحته ان تبقى الاميرة دون زوج ، تدير
الامارة ، ليكون هو الحاكم الفعلي ، والموجه الاول ،
تصدر الامور في انطاكية عن رايه ونهيه .

ولما تم الزواج فوجيء البطريرك به ، فامتعض
وساءه ان يصبح تابعا لجندي مغمور ، ليس له من
الميزات غير غرام الاميرة الطائش به ، فاطلق لسانه
فيه ، وظهر له الاحتقار والازدراء ، وهو لا يعلم ان
عدوه الجديد لا تقف قسوته عند حد .

قسوة ارناط وغدره

وسرعان ما تطور الصراع بين الرجلين ، فامر
ارنات بالقبض على البطريرك ، وجلده في الساحة
العامة حتى ادمى جلده ، ثم امر به فشد الى وتد ،
وهو عاري الجسد ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ،
وطلي جلده بالمسل ، لتتجمع عليه الحشرات والهوام ،
تلسمه وتشرب من دمه .

وقد استاء الناس في انطاكية من هذه الوحشية ،
التي يعامل بها اميرهم الجديد رجلا هرما له مكانته
الدينية في نفوس الناس ، وله فضله في الدفاع عن
انطاكية ، في ايام الشدة ، بعد مصرع ريمون دو بواتيه
ووصلت انباء هذه الماملة الفظة الى ملك القدس ،
فاوفد على جناح السرعة رسولا ، يستنكر عمل رينو
ويستغفمه ، ويأمره باطلاق سراح البطريرك ، ففعل .
ثم بدا لارنات ان يتفاهم مع الامبراطورية البيزنطية
لمحاربة امراء الارمن في كيليكيا ، لعله يفوز بشيء من
اراضيهم ، ولكنه سرعان ما انقلب على البيزنطيين ،

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، وأعد أرناط وطوروس أمير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط في اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفطائح والقبايح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجدمت انوفا ، وهتكت اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصوها عد . وعاد المغامر ان وايديهما مثقلة بالتسبي والغنائم .

وعرف أرناط بما ينتويه بودوان من تسليم شيزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك وأعرض على هذه الفكرة ، مدعيا ان شيزر وما حولها تدخل في نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تيري ، اذا تسلم امارا شيزر وأواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطاعي . واستاء تيري بدوره من هذه الفكرة ، فانه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المتحدر من امرق البيوتات واکرمها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحظ الى كرسي الامارة ، وأعلن رفضه لما اقترحه أرناط . واشتد الخلاف في المسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه ، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شيزر لكيلا يكون احتلالها سببا في نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

خسوع الجبناء

استاء الامبراطور مانويل كومنين ، اشد الاستياء من هجوم أرناط وزميله الارمني على قبرص ، ومن الفطائح التي ارتكبتها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل في أوروبا ، لم تكن تسمح له اذ ذاك بالتفكير في معاقبة المجرمين .

ولكن بعد ان تحرر الامبراطور من الكثير من مشاغفه ، تحرك في عام 1158 م ، على رأس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على امهات المدن ، وأقام معسكره قرب المصيصة بانتظار تحركه لمعاقبة أرناط .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجبناء المجرمين ، وخارت قواه ، وشل تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد ان أدرك ان جرائمه قد أسلمته لمصيره ، وانه لن يجد بسببها ، معينا له في محنته . وبينما كانت هواجس أرناط تعذبه وتقص مضجعه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرة ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج أرناط الى معسكر الامبراطور تابعا معتذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلم له الاعتراف بطاعته والتبعية له . فقد سبق لوالد الامبراطور ان عفى عن ريمون

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، وأعد أرناط وطوروس أمير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط في اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفطائح والقبايح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجدمت انوفا ، وهتكت اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصوها عد . وعاد المغامر ان وايديهما مثقلة بالتسبي والغنائم .

طمع أرناط وانانيته افشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شيزر

كانت شيزر قلعة حصينة تقوم على الضفة اليسرى للعاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقلد وبفضل موقعها الجغرافي ، ومثانة أسوارها . وفي عام 1157 م ، ضربت هزة أرضية مدن سوريا فأخربت اكثرها ، وكان الخراب الذي اصاب شيزر كبيرا ، وكال آل منقلد قد تجمموا في قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامة الذي كان منفيا خارج شيزر ، وغير امرأة وطفل منهم ، أخرجوا من تحت الانقاض .

وفي ذلك العام ، واثر الهوة التي الحقت بالمدن السورية ، وقع أمير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى أشفى على الموت ، فبدأ للصليبيين ان يفتنموا الفرصة ، ليحتلوا شيزر ، ويشتبوا اقدامهم في حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت (تيري دوفلاندر) يقيم له امارا فيه ، تفيد من الامكانات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت وامارته في فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيف العبء الثقيل الذي أصبحت تنوء به الامارات القائمة في الشمال ، بعد القضاء على امارا الرها .

وفي اوائل تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1157 م تجمع حول شيزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدممهم ويعمل معهم ، وانضم اليهم الكونت تيري دو فلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والنجدة .

دوبوايه ، واكتفى بالاعتراف بالتبعية والولاء ، ورفض علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبدت الفكرة لارناط اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع العقاب عن نفسه ، وان يؤجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري ، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يمهّد السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول ، بحذقه ودهائه وجميل امتدازه من تهدئة نائرة الامبراطور ، ومن تخفيف نعمته على ارناط .

ووصل ارناط الى المصيصة ، وكان عليه ان يجتاز المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري ، فترجل عن فرسه ، وخلع نعليه ، ولبس قميصا يكشف عن ذراعيه حتى المرفقين ، وامسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدّم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة المزرية ، من الذل والاستخذاء في شوارع المصيصة ، التي اصطف الناس فيها على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا الجبان الدليل الغادر المتقلب .

ورضى الامبراطور ، ماتم من خضوع ارناط ، واكتفى بالاعتراف بتبعية الامارة له والسماح له باقامة حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لاثبات حقه .

أسر المغامر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناط الصعداء ، ونسى ما لقيه من ذل ومهانة ، وعاد يتابع حياته المعتادة ، حياة المغامر الشريير . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1160 م ، علم ارناط ان قطعانا كبيرة من الماشية ترمى في السهول الواقعة بين عينتاب ومرعش ، وان هذه القطعان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطعان في اكثريتها يملكها ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمون من الفرنج حديثا ، ولكن ارناط لم يكن يهمنه من يملك القطعان ، وانما الذي يهمنه ان يحقق مفعما ، دون ان يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناط وفرسانه ، فاسروهم ، واستاقوا قطعانهم فرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان انباء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب

نور الدين في حلب ، مجد الدين ابي بكر بن الدايدة ، فاستنفر قواته ، وطار بها ليقطع الطريق على المغامرين .

وعلم ارناط وصحبه بخروج المسلمين اليهم ، فخاف اصحابه ، ونصحوه بان يتخلى عن المنجم الضخم ، وان ينسحب عائدا الى انطاكية . ولكن ارناط اراد ان يتظاهر بالجرأة الكاذبة امام صحبه ، فرفض الفكرة ، وامر فرسانه بسوق القطعان ، بين صفيين من الجند ، وان يحثوا الخطأ الى انطاكية ، وسار هو مع قوة من رجاله في الساقية ليحميها ويدافع عنها .

وبينما كان ارناط وصحبه يسرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي غربي هزائر ، انقض عليهم فرسان حلب ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، وقتلوا اكثرهم ، وجبن الاخرون فاستسلموا ، وكان بين المستسلمين ارناط . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المعركة ومصير ارناط .

والقى ابو بكر بارناط وصحبه على ظهور الجمال ، وكانهم بعض المتاع ، ودخلوا بهم حلب ، فاسرع الناس يتفرجون على هذا المشهد الذي لم يعد يثير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكرر منذ ان تولى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت الجمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فانزلت الاحمال ، واستيق ارناط الى سجنها ليقضي فيه ستة عشر عاما من حياته الشقية .

وبعد ان تولى نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صغيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، ايهم يكفله ، ليبسط سلطانه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر ، يريد اثبات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجسرت بينه وبين امراء سوريا المشرفين على الملك الصالح ، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، لحاصرها .

ولم يجد من يحلب من الامراء وسيلة لدفع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، فتحرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كما تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نواياهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراخ من كانوا في سجن حلب من الفرنج ، ومنهم ارناط .

وكانت امارة انطاكية قد تولاها وارثها الشرعي ، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

وتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بأرملة اخرى هي (اتين دوميلتي) ، ارملة (أونفروادو تورون) (ابن الهنغري كما تسميه الرواية العربية) . وكانت هذه الائمة قد ورثت امارة شرقي الاردن ، التي يقوم فيها حصنا الكرك والشوبك ، فأعجبت هي به ، وأعجب هو بمالها وأملاكها ، التي تحتل افضل مركز جغرافي ، يسيطر على طريق القوافل ، المتنقلة بين سوريا ومصر والحجاز ، فعتدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لامال ارناط واطمائه في المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت انطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانت انطاكية اقرب المواقع الصليبية الى حلب ، وحصونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط أن يتدفع وراء مغامراته كما يحلو له ، دون أن يكون معرضا لخطر الانتفاض عليه من المواقع الاسلامية المحدثة بأرض انطاكية . وقد رأينا كيف أن فرسان حلب كانوا أسرع من ارناط ، فاعترضوا سبيل عودته بالفنائم الى انطاكية واسروه .

كما ان الانضباط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماع المغامرين من الامراء ، والزاهم بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، أصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبي شرقي الاردن عام 1180 م ، فالملك بودوان الرابع ، أصبح ملك القدس ، وكان مصابا بالجذام ، وحالته ميؤوس منها ، وقد ضعفت الملكية ، واصبحت موضع مساومة ومنازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل العديدي الارادة ، نور الدين محمود ، واصبحت خلافته موضع نزاع بين الطامعين في أن يخلفوه ، حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من الجهد من تثبيت اقدامه ، وفرض سلطانه على المنشقين عليه .

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن عواصم المسلمين ومراكز تجمع قواتهم ، يجعل المغامرات اكثر ربحا ، وقل تعرضا للاخطار .

واذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقي الاردن ، يحق جميع الشروط المناسبة والملائمة لانطلاق مغامراته من جديد .

واخذ ارناط بيت هبونه وارصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القوافل ، ويعلموه بها ليقوم بالاغارة عليها ونهبها وسبي من فيها ، دون أن يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت أعمال ارناط ، وعادت عليه الاعمال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جرانه ، وفي اطمائه ، والمسلمون لا يستطيعون الوصول اليه ، كما لا يستطيعون أن يتخلوا عن سلوك طريق الصحراء ليصلوا من سوريا وما وراها الى مصر والحجاز .

ثم جرت اتصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة ، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت الهدنة ضرورية لصلاح الدين ، ليتفرغ الى تسوية مشكلات مملكته ، واستكمال وحديتها وكانت الهدنة اكثر ضرورة للصليبيين ، الذين انهكتهم الحروب ، وقلصت رقعة اراضيهم ، وأخربت ما تبقى منها في ايديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتسوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين أفراد البيوتات الحاكمة ومشاكلها العائلية ، والخلاف بين منظمتي الداوية والاستتارية .

وحيثما تحققت الهدنة كان من المفروض ان تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها امارة شرقي الاردن التي يحكمها ارناط . واتصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى قدسية العهد والمواثيق .

ولكن هذه الهدنة لم ترق لارناط ، الذي اشتد على تحقيق المكاسب والفائز من طريق المدوان على القوافل العابرة في الصحراء ، فأضمر في نفسه الغدر ، وعدم التقيد بها . واخذ يتحين الفرصة ، المناسبة للغدر ، فقد تكون الهدنة اكثر كسبا له . وبالفعل كانت .

ففي صيف عام 1181 م ، علم ارناط أن قافلة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيها بمئتي الف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى الهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليها .

ولما اصبح القافلة قريبة من قلعتيها ، نزل من فيها يستريحون من وعناء السفر ، وباتوا ليلتهم هناك ،

تقضي بان يتحرك الصليبيون لنجدة أرناط ، ولاهتراض
سبيل صلاح الدين أثناء هودته من مصر الى دمشق .

ولكن العقلاء ، وعلى رأسهم ريموند الثالث أمير
طرابلس ، الذي كانت تربطه بالمسلمين هدنة ، لم يروا
هذا الرأي ، وقدروا ان احتشاد الجيش الصليبي في
جنوبي الاردن ، أمر بالغ الخطورة ، لانه يترك الأراضي
الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتعرض
بذلك لهجمات المسلمين المباغتة .

وفازت نظرية المغامرين ، اذ لم يكن بودوان في
وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فمبا الصليبيون
قواتهم ، وصاروا بها الى الكرك ، وعسكروا حولها
ينتظرون عودة صلاح الدين ، ليوقموا به . ولكن صلاح
الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على رأس فرسانه
يعبر الصحراء على خير تعبئة ، وجعل أخشاه نوري
على رأس قوة تحرس القافلة العائدة بالمتاع والمرضى
والنساء ، على ان يسيروا موغلين في الصحراء ،
ليكونوا بميدان عن متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين
عبور الصحراء ، أوعز الى ابن أخيه فروخ شاه ، وهو
نائبه في دمشق ، بان يفتنم فرصة خلو فلسطين من
القوات ، ويضرب هناك بمنف . فخرج فروخ شاه من
دمشق على رأس قوة خفيفة الحركة ، وأسرى الى
منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا
يعملون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض
عليهم ، يقتل ويأسر ويسبي ويغنم ، ويخرب ، دون
ان تكون للفرنج فرصة للانتجاء الى معقل او حصن .
ثم عاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقي
بحيرة طبرية ، يوقمون بالفرنج ويفتكون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، هاد الى دمشق
يسوق امامه قرابة الف أسير وعشرين ألف رأس من
الماشية . وعلم الصليبيون وهم في معسكرهم قرب
الكرك ، بما أحدثته غارة فروخ شاه من خراب ودمار ،
في منطقتي الجليل والسواد ، فقلقوا وأدركوا خطاهم
بالباع أراء أرناط وأصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى
منطقة الجليل ، وعسكروا قرب حيون صفورية ،
بانظار ما سيقوم به المسلمون .

اما صلاح الدين فانه وصل الى دمشق في 22
حزيران (يونيو) 1182 م ، وبعد ان اطمأن الى وصول
أخيه نوري والقافلة سالمين الى دمشق ، هاد بقواته
الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، وعسكر في

فلم يشعروا الا وأرناط ورجاله ينقضون عليهم ،
ويمعنون فيهم قتلا وأسرا ، فنجأ منهم من سبق
فرسه ، ووقعت القافلة في ايدي أرناط . ووصل
الناجون من رجال القافلة الى دمشق يقصون على
صلاح الدين أخبار الغدر الفرنجي ، فانزعج صلاح
الدين وأدرك ان وجود قلاع صليبية على الطريق بين
شقي مملكته ، أمر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء
عليها اذا أريد للمملكة ان تزدهر وتماسك .

وانزعج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا
الملك بودوان الرابع ، الذي ألح عليه المرض وأنهكه ،
فقد تعود أسلافه تشريف تمهيداتهم ، والحفاظ على
مهودهم ، كما تعودوا ان يتقوا بمهود المسلمين
وموايقهم ، وأسرع يكتب لأرناط يلومه على هذا الغدر
الذي يظهر الصليبيين بظهر المغامرين الذين لا يتقيدون
بعهد ولا ميثاق . وطلب اليه ان يعيد ما وقع بأيديه
من المغانم الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى .
فسخر أرناط من الملك ، وأعلن رفضه الاستجابة
للطلب . فعاد الملك وأرسل اليه وفدا من رجال
الدين ، ومن فرسان الاستتارية ، يلحون عليه في ضرورة
امادة الاسرى والمغانم ، الى المسلمين ، للابقاء على
الهدنة القائمة ، فلم يكن رد أرناط على الوفد بأفضل
من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

وأراد صلاح الدين ان تستمر الهدنة قائمة ،
فكتب الى بودوان يعرفه بالواقعة ، ويستنكر تصرف
أرناط ، ويطلب اليه التدخل لامادة الاسرى والأموال .
فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين فيسر
الامتداع بأنه لا يستطيع عمل شيء مع تابع لا يحترم
عهدا ولا هدنة .

وحيثما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر
الهدنة غير قائمة ، وياشر الحرب من جديد .

وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسوقين برؤمهم
وراء المغامر ، لان غارات المسلمين لم تقتصر على أرض
أرناط .

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ،
ليستفقد شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا
مجلسا حريبا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف .
وقد ارتأى المغامرون من انصار أرناط ، ان صلاح
الدين ، سيعود على رأس قوات ، وانه سيهاجم معاقل
أرناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة

منطقة القحوانة ، قرب سمخ ، قلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لانهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والنزاعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تميث فيها
تحت سمع الجيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلغت سرايا المسلمين بيسان وجنين تقتل وتخرب وتحرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين لبثوا ساكنين لا يتحركون . واخيرا اطم الجنود صلاح الدين ان ازوادهم قد نفذت وان مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد ان تاكد من ان الفرنج لن يجازفوا بدخول الحرب .

اغرت ارناط انتصاراته المحدودة على القوافل العابرة في الصحراء ، نجمته يفكر بامور لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر ايقاظ نقمة العالم الاسلامي كله ، ودفع المجاهدين الى التدفق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون ان ارناط ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في احدى اتدفاعاته في الصحراء ، وتيماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وانه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمبايعتها ، والامتداد على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوما قام به فروخ شاه على حصون ارناط في شرقي الاردن ، اضطره الى الارتداد مسرعا ، مخافة ان يباغته في الصحراء .

وقدر ارناط انه اذا تمكن من الاستيلاء على (ابلا) على خليج العقبة ، فانه يستطيع ان ينشئ اسطولا يسيطر على البحر الاحمر ، ويتحكم بموانئ المسلمين فيه ، وبالتالي فانه يستطيع الوصول الى الاماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والايقاع بالمسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المقامر مخططه ، فانشا قوارب في مستقلان والكرك ، ونقل اجزاءها مفككة على ظهور الجمال فجمعها في خليج العقبة ، وقذف بمراكبه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ابلا ، اتجهت المراكب الاخرى عبر خليج العقبة الى البحر الاحمر ، ومن هناك سارت الى الموانئ الاسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع ان ترى مراكب صليبية ، فاخذت في نهبا ، والاعتداء عليها ، كما مرضت

للمراكب الاسلامية الماخرة في البحر الاحمر ، فاوقمت بها ، ونهبت العديد منها . وكان اول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (عيداب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانئ الحجازية فيبرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديدية قرب ينبع ، ومنه اتجهوا الى راينج شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم ارسوا مراكبهم في الجوراء قرب راينج ، ونزلوا الى البر يعيشون فيما حولها ، ويعدون عدتهم للايقاع في داخل الارض المقدسة والوصول الى مكة ، للايقاع بالحجاج المجتمعين فيها .

ولفق العالم الاسلامي لهذه الجراة التي لم يكن احد يتوقعها ، واضطربت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالغضب ، كيف تجرؤ شرادم طارئة على مشرقنا التسامح ، فتفكر في تدنيس المقدسات وترويع الامنين اللاتدين بيت الله وحرمه .

وكان اسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، فجهز اسطولا عهد بقيادته الى امير البحر حسام الدين لؤلؤ ، وكلفه بملاحقة الفرنج وردهم عن مقدسات الاسلام . فخرج لؤلؤ مسرعا ، يتبع الفرنج ، ويستقصي اخبارهم ، فادركهم وقد نزلوا بالحروراء ، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج الهابطين على الساحل . ولما راي الفرنج فرق سفنهم ووقوعها في ايدي المسلمين ، انقطع املهم في النجاة بها ، فلجأوا الى شعاب الجبال القريبة من الساحل ، فلحق بهم لؤلؤ وقائلهم في شباط (فبراير) 1183 م ، قتالا شديدا حتى افناهم ، واخذ من تبقى منهم حيا اسيرا . فأرسل بعضهم الى منى لينحروا فيها كالاضحي يوم عيد الاضحى ، امام الحجاج ، لتطمئن خواطر الناس ، وليعلموا ان قادة المسلمين لا يمكن ان يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الاسلام ، فنحروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهللون ويكسرون .

اما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فأمر صلاح الدين بضرب اعناقهم جميعا لكيلا يفكر احد منهم في العودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجهل اهمية الخطر الذي يشكله على الاسلام عامة وعلى مملكته بصورة خاصة ، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصا وجودهم في شرقي الاردن وجنوبي فلسطين . ولكن هذا الوجود

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل غربي طبرية ، ولبت هناك ينتظر تعرف الفرنج ليقاثلهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مخلف عقباً ، وأوصى بالملك الى ابنة اخت له ، تزوجها رجل ضعيف الشخصية ، عرف باسم (جي دولوزينيان) فأصبح ملكاً على القدس ، وقد أحدث ارتفاع (جي) العرش انشقاقاً في صفوف الصليبيين ، يضاف الى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، اقترح المغامرون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبرية ملكاً لزوجة ريموند الثالث أمير طرابلس ، وكان ريموند أكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وأبعدهم نظراً ، وأكثرهم ادراكاً للواقع الصليبي ، وتقديراً لقوة صلاح الدين ، فكان رآيه أن لا يخاطر الفرنج المتفسخون بالاشتباك بالمسلمين ، وهم أكثر ما يكونون قوة ، وتصميماً على سحق العدوان ، والانتقام من محاولة تدينس مقدساتهم . لذلك اترض على رأى القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم أن طبرية ملك لزوجته ، وأن زوجته وأبنائها موجودون في طبرية ، وأنه إذا أحدث مكروه لطبريا فإن المكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فإنه يفضل أن يضحي بزوجته وأبنائه وبعض املاكه ، على أن يقامر بمستقبل الممالك الصليبية في المشرق ، فسخر منه المغامرون ، واتهموه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتطاولوا عليه ، ولما اقنعوا الملك بضرورة السير الى طبريا لفك الحصار ، وترحيل المسلمين عنها ، لأنه ليس من الشهامة ولا الرجولة في شيء ترك الاميرة لمصيرها تدافع وحدها من طبرية .

جرت تلك المناقشات في المعسكر الصليبي في صفورية ، قبل أن يتحركوا من مواقعهم . ولما رأى صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوة في المرتفعات ، لمواجهة الفرنج ان تحركوا ، ونزل مسرماً مع قوة خفيفة الحركة ، فهاجم طبرية واستولى عليها سريعاً ، وأسر وقتل وفنم ، ولجأت الاميرة ومن نجا من المعركة ، الى القلعة يتابعون المقاومة ، فضرب صلاح الدين حصاراً حول القلعة ، ولبت ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت اصوات المتطرفين ، واقنعوا الملك بضرورة السير لانتقاذ

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن أن يستمر ، دون أن يشعر صلاح الدين بأن اقتلاعهم ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات ارناط في نقض الهدنة وسلب الحجاج والقوافل ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والحجاز ، ومحاولاته لتدينس مقدسات المسلمين ، وترويع أهل الارض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، أنه لا بد من القضاء نهائياً على هذا الخطر المهدد ، في أسرع وقت ، واجتثائه من جذوره ، لكيلا تبقى له في أرضنا باقية . فشرع من ساعد الجد ، واقسم على أنه سينتقم بنفسه من ارناط ، وأنه سيقتله بيديه ان ظفر به ، وقد مكته الله من ذلك .

وتتالت حملات صلاح الدين على قلاع ارناط ، خلال الايام التالية ، وحاصره أكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسير لنجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لأنها كانت تدرك أنها ليست كفءة لصلاح الدين وجيشه .



وحيثما حل عام 1187 م ، (583 هـ) ، اهتزم صلاح الدين الدخول في معركة فاصلة مع الفرنج ، فصرف همه لتسوية خلافاته مع اتباعه وجيرانه المسلمين ، كما طلب الى نائبه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في امارة انطاكية ، (اما طرابلس فكان أميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حضي صلاح الدين وهادنه) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج انطاكية في ايار (مايو) 1187 م ، (اواخر ربيع الاول 583 هـ) . اخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعى تابعيه من الامراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعى قوات من مصر وحلب وحمص وحماء ، وخرج هو من دمشق الى مشترا (في حوران) ، واقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعها ، استمرضها في منتصف ربيع الآخر 583 هـ ، وعباها تمبشة القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الآخر ، حتى نزل جنوبي بحيرة طبرية عند قرية الصنبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فأسرعوا بجمع قواتهم ، ومسكروا قرب ميون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعرف على مرامي خطة صلاح الدين .

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين
رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحريك الفرنج أرسلوا يخبرون
صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما قصده هو من
مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى
قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في
طبرية تتابع حصار قلعتها ، واسرع هو بمن معه الى
المرتفع ، حيث ترك مصكروه ، فوصله مساء الخميس
في 22 ربيع الاخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ،
واقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في
ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الاخير 583 هـ
(تموز 1187 م) ، اشتبك الفريقان في قتال عنيف في
ارض اللوية ، دام طوال النهار ، وكان الحر شديدا ،
ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يمسون اليه ،
وحاولت قواتهم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى
طبرية لتستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد
ان ادركوا غايتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم
يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ،
حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

ويذكر الجانبان يوم السبت الى القتال ، والفرنج
قد انهكهم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ،
وصبر الفريقان صبورا عجيبا ، وراى ريموند ان المعركة
اصبحت خاسرة ، وانه لم يعد لهم امل في نصر ، فحمل
بمن معه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ،
فامر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا
لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم
الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من عزائم
المقاتلين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم
المسلمون وابدوهم .

اما الملك (جي) ومن تبقى معه ، فانهم لم
يجدوا لهم مهربا ، فانحازوا الى تل حطين ، وتحصنوا
فيه ، فاحاط بهم المسلمون ، وتجدد القتال على اشد
ما يكون هنفا حول التل . واستمر حتى تمكن المسلمون
من الوصول الى خيمة الملك فاخذوه اسيرا ، واسرع
ارناط يلقي بسلاحه مستائرا ، وفعل غيره مثل فعله .
وانتهت المعركة مساء السبت باسر الملك واسر ارناط

الذي اثارت مغامراته الحرب ، وفيره من الزعماء
والقسادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنتصر ، في
خيمته فرحا مسرورا ، بما افاء الله عليه من نصر ،
وجلس من حوله كبار القادة والامراء ، واستدعى اليه
الاسرى ، فاحضر الملك وارناط ، وقد هددهما
العطش ، فامر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثلج
فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لارناط ، وكان
بجانبه ، فشرب ارناط وصاح صلاح الدين في الترجمان
ليقول للملك الاسير ، انت الذي سقى ارناط وليس
انا . وكانت الاعراف تقضي بان الاسير اذا نال من
طعام آسره ، او من شرابه لم يعد يجوز له قتله . وقد
سبق لصلاح الدين ان اقسم بانه اذا ظفر بارناط
ليقتلنه بيديه ، وقد تسبب ارناط بمغامراته وجرائمه ،
وخياناته لليهود والموائيق ، بهذه الحرب الطويلة
المتواصلة ، ولم يصر صلاح الدين على الاستمرار في
الحرب الا ليظفر بارناط ، ليجمعه عبرة لكل غادر
مغامر .

ولم يشأ صلاح الدين ان يقتل ارناط بحضور
(جي) ، فاخرجهما من مجلسه ، ثم استدعى ارناط ،
وعنفه على محاولاته تدنيس المقدسات الاسلامية ،
وذكره بما كان منه نحو رجال القافلة الذين غدر بهم في
وقت الهدنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيهم ،
حينما ناشدوه الله ، وذكروه بالصلح القائم بين
المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له
ها انا انتصر لدين محمد ، واستل سيفه وضربه به
على كتفه فحله ، وقام من حضر بالا جهاز على ارناط ،
ثم حملوه الى باب الخيمة والقوه ، ولما راى (جي)
صاحبه قتيلا جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره
صلاح الدين ، وطيب قلبه وهذا روعه وقال له : (لم
تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، واما هذا فانه تجاور
حده ، فجرى ما جرى) .

واثر معركة حطين بدأت تنهاى المدن والقلع
التي كانت للصليبيين ، في ايدي صلاح الدين ، وتابع
من خلفه خطته في العمل على اجثثات جذور الدخلاء ،
حتى تمكنوا بعد قرابة مائة وعشر سنين ، من يوم
حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولم
تستطع النجيدات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من
اوروبا من ان تمنع زوال كياناتهم ، الذي قام في غفلة من
الدهر ، بالعدوان والقهر والغدر .

دراسة حول نخبة الأدب للنويري

من موسوعة الأدب و اللغة

هل التعبير الجميل بلغة رصينة هو الأدب؟

عبد الحليم النويري أستاذ بالجامعة المليية الإسلامية
(رئيسي الجمعية)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحليم النويري بهذه الدراسة الشيقة التي شارك بها في مسابقة المكتب الدائم ، الا ان لجنة التحكيم اوتت انها تحيد عن موضوع المسابقة - ونظرا لقيمتها التطلنا منها هذا القسم الذي ننشره شاكرين :

بحركة مباركة يمكن ان نسميها بـ «حركة الموسوعات». و غاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء القدماء ، وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفا من ضياعها ، على ايدي الفزاة . ذلك ان التتار قتلوا « كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها ، ومن قتل ببغداد الشيخ محي الدين بن الجوزي واولاده . وكذلك اثلغوا كثيرا من دور الكتب واحرقوها . وقد امر هولاء وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والآداب نفائسها ، فقدت العربية الى الابد آلافا من المؤلفات » (1) فلما رأى العلماء هذه الكارثة الرهيبه وما جرت من ضياع اكبر العلماء واجلهم شأننا « وجدوا أنفسهم - بعد هذه الكارثة الرهيبه - مسئولين امام الله عن دينه ، وامام التاريخ عن نهضة العلم واقالة عثاره ، وامام ضمائرهم عن معارفها وامام اوطانهم عن تدميمها . فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية وضغانتها الى الجهد في العمل لتلافي ما فات ، وبذل الجهد لاعادة هذا الصرح المنهار » (2) ومن هنا نجد طائفة من العلماء في هذا

ولد النويري في اواخر القرن السابع الهجري ، القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، غيرت مجرى التاريخ الاسلامي بسبب فتنة التتار الجامعة التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت عن حركة علمية ، من نوع جديد ، لم يكن للعالم الاسلامي ، بها عهد من قبل . فما ان يكاد فجر القرن السابع الهجري يشرق الا ونرى العقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الخصب ، ونتائج قرائنها الفياضة ، قد توقفت او تكاد ، وذلك بسبب تغير الاوضاع والظروف التي قلما تسمح لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالادب والفن ، بمزاولة اممالهم الفنية ، وممارسة انتاجهم العلمي والادبي دون ان يتوجسوا خيفة او وجلا . وبخاصة بعد ما كان هؤلاء العلماء قد الفوا جوا وظروفا تتنافى والتي ابتلوا بها في هذه الحقبة من الزمن ، فلما نجد انتاجا علميا خصبا ، او مادة ادبية فنية غزيرة ، او شعرا عذبا بليغا ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب وتترنح له المشاعر والاحاسيس . ولكن ما تكاد تنقشع غياهب هذه الفتنة حتى يبرز رهط من العلماء ، ليقوم

(1) من مختصر ابي الفداء ج 4 ص 194 ، نقلنا عن كتاب « مصر سلاطين المليك » لمحمود رزق سليم المجلد الثالث ص : 17 .

(2) نفس المرجع السابق .

المعصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الضخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطولة ضخمة ضنا به وحفظا له .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، اتخذ في مرامه هذا ، اسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا ، خوفا من الضياع والذهاب ، بأول عمل للجمع والتدوين سم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، واعني به جمع القراءان الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والعظام والعصب واللخاف التي كانت سور القراءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الذين كانوا يسمون القراء عصرئذ . وكان الباعث الهام والاول هو توجس الخيفة من ضياعه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه عندما ارتدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا ابي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابهم ، دارت بينهما وبين المرتدين معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قارئ . ففرغ المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تمرضت لهم اول مرة في حياتهم . وخافوا اذا ما استمرت الحال على هذه الوتيرة ، ان يحرموا من القراءان الكريم بموت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسعى الى ابي بكر يحاوره في الامر . وأشار عليه ان يقوم بجمع القراءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان ابا بكر تردد في الامر وتريث وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد لنا فيه عهدا » . ولكن عمر الح عليه وأصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمعه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من ابرر كتاب الوحي ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجدته مدونا عند الصحابة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى ابي بكر . فلما توفي أبو بكر تسلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23 هـ ، انتقل المصحف الى كريمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان ، عندما توسعت رقعة الفتوحات وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القراءان الكريم يعملون عليه ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تنفاير لغاتها

ولهجاتها لهجة قريش ، التي نزل القراءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبدأ في ادراك معناه ، اتصل حذيفة بن اليمان بعثمان ، وأنبأه بما رآه اثناء سفره الى ارمينيا واذربايجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتفاخر بها والتمسك بها ، حذره من العاقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما تفشى بين المسلمين وقال قولته المعروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . ففطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعى عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الوحي والمتعلمين في القراءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وامرهم ان ينسخوا القراءان ويستمينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ، ففعلوا وكتبوا اربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وابتقى عنده نسختين ، احدهما لاهل المدينة والاخرى لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وامر باحراقها .

ومن نسخ عثمان المرسله الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكوفة والشام ، استنسخ المسلمون مصاحف اخرى ، حتى كثرت النسخ ، فاصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي ومعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتفيه . فقد جمع القراءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهاب اهله . فبينه وعمل النويري شبه قريب . فانه ايضا قام بجمع تراث الاسلاف خوفا من الضياع على يد الحدان وخامة بعد ما رأى ما آل اليه امر الكتب والكراسات والنفائس العلمية ، اثر اكتساح التتار الاقطار الاسلامية والمراق منها بصفة خاصة .

ثم جمع القراءان الكريم اتقاء لشر تفشي اللهجات المختلفة وتمدد المعاني والمفاهيم القرائية من اجلها . وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فاننا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اتقاء لشر تفشي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد فكر في

الذي لولا « هذا الترديد » لكان قد أصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الاخرى ، التي لا نجد لها ذكرا . الا بين طيات كتب التاريخ او كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها ان ترى النور بعد . او هي مخطوطة نادرة نعرف او لا نعرف لها مقرا .

نشا النويري في هذه الظروف ، وترعرع في هذه الفتنة « واشتغل بوظائف حكومية متفددة ، في بلاط السلطان الملك ناصر (محمد بن قلاوون) الا ان نفسه الطموح لم ترضى من مزاوله هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه اداة للجهاز الحكومي ليس الا . دون ان تسمح له بالاستفغال بما جبل عليه من حجب للعلم ، ووله بالمكوف على الادب والفن ، وللانعام بنصيب اوفر مما جادت به قرائح العلماء والناخبين . ورجل هذا شأنه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة عليا ، ومنصب مرموق ذلك لانه دائما يحسب مركزه هذا دون اهليته وما تهوى اليه نفسه ، مهما يكن ضئيلا في نظر الاخرين . فما كان من النويري الا ان ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « ثم نبذتها وراء ظهري وهزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الفنية عنها ، وتفرغت اليه فيما هو خير منها ، ورفقت في صناعة الادب وتملقت باهدابها وانتظمت في سلك اربابها . فرابت غرضي لا يتم بتلقيها من الهواه الفضلاء شفاها وموردي منها لا يصفو ما لم اجرد العزم سفاها (4) .

ومن ثم حول النويري جهده لمطالمة الكتب بنفسه ، لكي يحقق غرضه من هذا العلم الذي يشواق اليه ، والذي قد ضحى في سبيله بوظيفته الحكومية

الموضوع من هذه الناحية ايضا . فمن يدري لعله رأى انه مند جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الضياع من ناحية ، ويصونها ايضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادها من ناحية اخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الامد . فعمد الى ضبط نصوصها في سجل ولم يمس على وضمها عهد بعيد ، ويثمه بيديه وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البارع ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » حسب قول الثغري بردي . والواقع ان الكتب التي اختصرها او نقلها في كتابه كانت خليقة بالتغيير والتبديل او للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الاسلامي في تلك العصور . (1)

وبما ان القاهرة ، مدينة الماليك ، كانت في مامن من ويلات هذه الفتنة الطاغية ، فلقد اتبعت هذه الحركة - حركة الموسوعات - من هذه الارض الخصبة المظمنة . فسجل القائلون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتاج خصب ، من علم وادب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموعظة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفنون . « فالفضل الاكبر في بقاء آداب اللغة العربية في ذلك العصر يرجع الى مصر والشام ، وهما في حوزة السلاطين الماليك ومن بقي من الملوك الايوبيين . فقد كانت الملجأ الوحيد لابناء هذا اللسان في فرارهم من وجه المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس والعراق » (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين احمد النويري الكندي البكري صاحب « نهاية الارب في فنون الادب » . حقا ان هذا العمل لا يتعدى « ان يكون ترديدا لما فات ، وجمعا لمتفرق او تفريقا لمتجمع » (3) الا انه ليس من شك بان هذا « الترديد لما فات » له الفضل الاكبر في حفظ ما خلفه لنا آباؤنا واجدادنا من هذا التراث الضخم الغزير

(1) راجع لجمع القرهان وتدوينه :

أ - صحيح البخاري باب جمع القرآن .

ب - الترمذي أبواب التفسير .

ج - اتقان للسيوطي .

د - فتنح البساري .

هـ - المصاحف لابن ابي داود . والكتب الاخرى باللغة الاردية كتبت حول الموضوع .

(2) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - ج 2 صفحة : 111 .

(3) ظهر الاسلام لاحمد امين ج 4 صفحة : 191 .

(4) مقدمة نهاية الارب ج 1 صفحة : 3 .

فقال « فامتطيت جواد المطالمة وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها وصفا لي مشربها (1) .

وبما انه من الشخصيات التي نبئت في مصر كان يمر بالتحليل ، ويماني تدهورا في الانتاج العلمي ، لم تحفزه مطالعته هذه ، وانشفاله بالادب والملم وما اتيح له الانشغال ، الى ان ينتج شيئا من فيض قريحته هو ، ويملي عليه عكوفه على المطالمة ، وتلقي مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا يسهم به في الانتاج العلمي اسهاما - كما يبدو لاول وهلة - وانما ليستانس به هو بنفسه ، ويرجع اليه اذا اضطرت نفسه الى المراجعة فيقول . . . « آثرت ان اجرد منها كتابا استانس به او ارجع اليه واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه » (مقدمة نهاية الارب) .

وهنا يتبادر الى الذهن ان النويري انما بدأ عمله لجمع ما طالع في الكتب في موسوعته ، ليس بارادة تاليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيما ما طالع وضبطه في دفتر ، لكي لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكذا لم يات بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة ودوية في الموضوع ، وانما جاء به عفوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان النويري ، بعد ما كان قد اراد ان يضمن كتابه هذا وما يخاف انفلاته من ذاكرته ، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايه لما وجد من أهمية فيما يطالع ، وندرة ما وصلت اليه يدها من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه التبدات ، وتسجيل ما يعجب به من المختارات ، لا ليستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للاخرين ايضا ومتممة لهم لكي يمكن لهم الرجوع اليها والالمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي

(1) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .

راجع للنويري : 1 - مسالك الابصار في ممالك الامصار لفضل الله العمري .

2 - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوست بن تفرى بردي الاتابكي ج 7 و 9 .

3 - حسن المحاضرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .

4 - كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة (ن) .

5 - الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .

6 - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .

7 - الحركة الفكرية في المصريين الايوبي والملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .

(2) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد اصبح عرضة للخطر على يد الحدنان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشفاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من ضيق اسباب المعاش وتغير الاوضاع المألوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناضج والدوق السليم ، علما فزييرا ، ثم خطة مرسومة احكمت اصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا لهذه الشروط كلها وان خضنا في البحث في صفحات الكتاب ، وجدناه موزعا على ابواب وفصول واقسام في صورة منظمة لا يمد اليها من يريد جمع اشياء ونبذات خيفة الافلات منه او النسيان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل ، لا يمكن ان ياتي عفوا ، دون اعمال الفكر وتنسيق الخطة ، وبعد طول الممارسة وتدبر استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها ائت على غرار مقدمات ، تكتب بعد فكر ودوية بالفين ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحبه مختارات من هنا وهناك ، في صورة «مذكرات» . اذ ان شأنه غير شأن المؤلف او الجامع . فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق ، او خطة مرسومة ونهج معين مضبوط . ثم ان النويري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما اوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتمل عليه » (2) فهذه العبارة تبرهن على ان النويري لم يبذل جهوده الجبارة هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنفوس وللخواطر بالجمع لا المفرد اي نفوس القراء الى جانب نفسه طبعا . كما كان ينوي ان ياتي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخرانة لما ورنناه من انتاج اسلافنا من العلماء والفقهاء والادباء النابضين .

الجمع ، قليل الابتكار « فلم يترك السيوطي بابا لفسن لم يطرقه « حتى لقد عدت من تأليفه بثلاثمائة كتاب « (4) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الاوضاع التي وضع فيها النويري كتابه الشهير « نهاية الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلدا ضخما . وعلى ترتيب حسن بديع يضاهي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومختب من علوم القدماء ، ومن كل فن وموضوع ، وبقدر ليس بضئيل .

قسم النويري موسوعته الى خمسة فنون ، يحتوي كل فن على خمسة ابواب . ضمنها جميع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى عصره ، من الكلام حول السماء والارض العلوية ، والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتقاقه من كلمة الانس ، الى ما يعرض له العوارض في الدنيا ، وما يعيل اليه من شعر وادب ، وما يرفب فيه من حب وهوى ونزواته الى حياة مترفة قوامها الخمر والنساء ، والسقاة والندمان ، ومجالس الفناء وغيرها . وما روى عنه من حكم وامثال ، وقصص واخبار . كما نقل مما وجدته حول الحيوانات ، الصناعات منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بها من اصلها ومختلف اسمائها ووصافها . وما اعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحداث ، من مبدأ خلق ابينا آدم عليه السلام تتخلله اخبار يوم القيامة ونفخاته ، وخروج ياجوج وماجوج واهواله ، ونزول عيسى عليه السلام وآثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامم والطوائف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية وهبسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب باخبار ولي نعمته ابي المظفر محمد بن قلاوون الصالحي ، سلطان مصر ، وهنا ينتهي الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمي النويري كتابه هذا ب « نهاية الارب في فنون الادب » مع اننا نراه يضم اليه علوم وفنون لا تتعلق بالادب في شيء ، وانما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن العجيب ان النويري ، مع غزارة علمه ، وهو كعبه

ومع ان النويري « كان بطبيعته ميلا الى العلم والادب ، شغوبا به مكوبا عليه ، فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة « (1) ولكنه عند نقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعا للعلماء السلف معتمدا على علمهم ، وانقا في كفاءتهم ، ولذا اقتفى آثارهم في هذا المضمار اذ يقول « ولو علمت ان فيه خطأ لقبضت بنائي ، وفضضت طرفي ، ولو خبرت طريق المترض ، لعطفت عنائي وثبيت عطفي ، ولكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوطلت بحبالهم حبابي « (2) .

وبما ان النويري اقتفى آثارهم ، فطبيعي ان يتبرا من الاغلاط التي قد تبدو في الكتاب ، فيحمل مسئوليتها هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن اعتراض فعلي غلام لا على العار « (3) ومن هنا يتضح ان النويري لم يرض لنفسه مركزا الا مركز الناقل الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رايه او يعمل علمه او يعرض ما ينقله على محك ليعرف به جودة البضاعة من فحشا ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلف فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما اسلفناه ، هو الانحلال الفكري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلماء في هذا العصر . ثم الفوضى وهدم الاستقرار الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي . فلم يحفزهم عنهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصروا على جمع ما وجدوا امامهم من الكتب ، في شتى الفنون والموضوعات . وذلك ما اشار اليه عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « بان عصر المماليك يمتاز بانه عصر دوائر المعارف والموسوعات الادبية ، الفت فيه الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قد اصنعوه من الكتب الكثيرة مثل لسان العرب (لابن منظور قبل النويري) و « مسالك الابصار » لفضل الله العمري ، و « صبح الامشى » (للقلقشندي) ، الى ان ينتهي هذا الركب الى السيوطي « الذي » هو اكبر مظهر لهذا العصر (اي العصر المملوكي) فهو مؤلف كثير التأليف ، كثير

- (1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لشعري بردي ج 9 صفحة : 299 .
- (2) مقدمة الكتاب .
- (3) مقدمة الكتاب .
- (4) ظهر الاسلام لاحمد امين ، ج : 4 ، صفحة : 21

فى التمييز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التى تتفاير تتفايرا كليا ؟ فليس من شك ، بان الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الدهن لاول وهنة . كما أن النويري لم يجهل ما بين فن وفن من فرق وتفاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم المصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتمرين على ما يستحسن من السيرة والاخلاق ، والتاثر بهذه الرياضة والاعتناع بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، تطور مفهومه فى القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم ايضا ، « فالمدب » كان يراد به الشخص الذى يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه ، « والادب » كل ما يلقيه المدب (المعلم) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما عدا العلوم الدينية التى تتعلق بالقرءان والحديث النبوي الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للهجرة ، حيث نشأت علوم اللغة العربية ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، اتمش مفهوم الادب ومراده « فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يتعل به ويفسر من الشرح والتفد والاخبار والانساب وعلوم العربية » .

فهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنثور محك نختبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنثر ، هو ذلك الذى « يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية ، سواء اكان هذا الكلام شعرا ونثرا . وليس كل ما ينظم او ينثر يحدث فى نفس القارئ او السامع لذة فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معنيين مختلفين : احدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الفنى الذى يجد القارئ او السامع فى نفسه لذة وممتعة لقرائته او سماعه ، فليتلذذ به ويطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلى الذى يصدر فى الكلام ويكتب فى الكتب . فالتصيدة الرائعة والمقالة البارة والخطبة المؤثرة والقصة المتارة ، كل هذا ادب بالمعنى الخاص ، لاننا نقراه او نسمعه فنجد فيه لذة فنية ، كاللذة التى نجدها حين نسمع لحنه المظني وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة

والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالدوق والحس والشعور ويمس ملكة تقدير الجمال فى النفس . والكتاب فى النحو او فى الطبيعة او فى الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام بصور ما انتجه العقل الانسانى من انواع المعرفة ، سواء احدث فى النفس اثناء قرائته او سماعه هذه اللذة الفنية ام لم يحدثها .

على ان الادب ، او الاديب ، ليس من شأنه ، ان يبحث فى هذه العلوم من حيث هي ، فيتعمق فيها ، وانما ياخذ منها الشطر الذى يتعلق بالانسان ومحيطه ويثنيه ويتناولها بالقدر الذى يحدث المتعة ويثير الحساسية فى نفس القارئ او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والاثار فى كلامه ، فصيح انتاجه فى الادب بالمعنى العام ولذلك اصاب الجاحظ عندما نادى « بان الادب » هو الاخذ من كل فن بطرف . وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يعبر من معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل . فلا بد لعد الشيء ادبا من ركنين : معان تشير العاطفة والفاظ جميلة اديت بها المعنى ... كذلك لا بد من صياغة وتعبير جميل . وذلك هو مفهوم الادب فى عصرنا هذا .

فان القينا النظر على ما جعله النويري فى كتابه من نبدات واقتباسات فى ضوء هذا التعريف للادب ، نجده يفي به تماما بل يزيد ، اذ انه لم يتعمق فى العلوم والفنون عند النقل والاقتباس ، وانما اخذ منها تلك العينات واللقطات التى تتمتع بها النفس ويتاثر بها الحس وتتلذذ بها المشاعر ، وكل ذلك فى صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة . وبدا انشاء بشرط « الاخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، الكلام الجيد من المنثور والمنظوم ، كما اشرنا اليه فى الصفحات السابقة ، ومن ناحية اخرى زاد عليه ، نجاء بعاموم وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذا فانه شمل معنى الادب بمفهوميه ، المفهوم الخاص منه والعام فى وقت واحد .

فاننا اذا لم نأخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من عداد الادب ، ولو أننا ما زلنا نعتبرها من امهات الكتب الادبية والاممال الرائعة التى خضعت امامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء فى كل عصر ومصر . وانى

الافاعي والمقارب والصب والحرياء حتى الفيران والجرذان . ثم ممد الى الطيور البفاث منها والمقلات والتزود ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها من مختلف الاقسام والانواع ، التي قيلت فيها الشعر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فاذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدأ ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، وردت على سبيل الهجو « كطراف في ذم الغيل والحمير والبغال » اتي فيها باشعار تهجو الخيول لوزلها وضعفها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعائب التي تهجر من اجلها الخيول والبغال والحمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل رائع .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس (3) نجدها كلها توشك ان تكون ادبا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها - بنوع خاص على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرىء القيس الى العصر الذي هاش فيه النويري » (4) وهكذا نجد النويري قد اتى في جميع الابواب والفنون بطائفة من الاشعار ، فى غاية من الروعة والجمال ، مما تضيف اليها من الصبغة الادبية قدرا يطفى على الفن الذي تخضع هذه المادة اليه وتشتمل هذه النبذة عليه . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان النويري لم يفكر فى وضع كتابه هذا فى الادب بالمعنى المخصوص الذي حدده النقاد والعلماء قبل القرن الثالث الهجري . بل وسع نطاقه وجعله الادب بالمعنى العام الذي يشمل كل شيء بحيث يأخذ من كل فن بطرف وذلك على غرار التأليف الذي كان شائعا فى مصر فى ذلك العصر .

ومهما يكن من شيء ، سواء نظرنا الى الكتاب بمفهوم الادب قديما او بمفهومه الحديث ، فاننا لن نجد الكتاب خارجا من نطاقه الادبي فى أي شيء . وعلى كل حال فانه يتوجب ان يعزب عن البال ان «النهاية موسوعة» قبل كل شيء ، ليس من شأنها ان تقتصر على فن دون فن فلها رسالة اكثر اهمية وخطورة منه ، وهو ان يكون سجلا حافظا لكل شئ على وجه الارض . وبما ان صاحبها جبل على حبه للادب ، اتي بهذه الاشياء كلها

به (الكامل للمبرد) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة) و (طبقات الشعراء) (لمحمد بن سلام الجمحي) وغيرها من الانتاج الادبي الخصب الممتع ، فهذه الكتب جميعها ، تشمل الاخبار والانساب والقصص والسيرة والتاريخ والاساطير . ومع هذا فان احدا لا ينكر انها ليست من الكتب الادبية ، وهذا الانتاج ، ليس من الانتاج الادبي . فاما اذا نتردد فى اعتبار كتاب « نهاية الارب » للنويري فى مدار الادب وحيطته ، والحال ان كتاب النويري يحيط بمفهوم الادب بالمعنيين . ؟

وثمة ناحية جديدة بالانتباه اليها وهي ان النويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا فى فن خاص او علم يبحث فى ناحية من فن معلوم معين ، وانما حاول جمع ما ادته مطالعته من العلوم والفنون ، فى كتاب له اجزاء متسلسلة متشابهة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم ان معظم الابواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمن الادب بالمعنى المفهوم منه فى هذا العصر . اما الابواب الباقية منه ، فانها ايضا لا تخلو من نبذات الادب خلوا تماما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الاشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفلك وكلها فى منتهى الروعة والجمال ، تترنح لها المشاعر والاحاسيس وتطرب لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الادب له قيمته ووزنه من هذه الناحية . وكذلك حين ينقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها (1) فانه ياتي فى هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الاشعار قالتها الشعراء حول هذه الحيوانات ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اعرابي يصف الاسد يقول :

مبوس شمس مصلخد مكابر
جري على الاقران للقرن قاهر

لتعقبه اقوال من الشعراء الاخرين ، مثل ابي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن هوانة وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعد من احسن ما يقال فى الموضوع . وهكذا فى سائر الحيوانات : من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وابل وفيل . وما تدب منها مثل

(1) نهاية الارب ، ج : 10 ، صفحة 65 .

(2) نهاية ، ج : 11 .

(3) نفس المرجع .

(4) الحركة الفكرية فى المصريين الايوبي والملوكي صفحة 320 .

باطار من الادب بحيث لا نتمدى الحقيقة اذا ما قلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

واننا فى قولنا هذا، انما نتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار ممن امقبوه . فلقد وصفوا كتابه هذا بانه عمل ادبي ، عول عليه الادباء . فيقول ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الابصار فى ممالك الامصار » المتوفى سنة 748 هـ « كان الباعث عليها (اى نقل الكتب القديمة وجمع الفنون فى سجل حافل) كما قلنا هو جمع المعارف الانسانية كلها فى اطار من الادب مرة كما فى نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما فى كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثلاثة كما فى كتاب صبح الاعشى » (1) .

ويقول جمال الدين يوسف بن نصري بردي الانابكي فى كتابه « النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع ما نصه : « ... وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كراريس . وتاريخه سماه « منتهى الارب فى عام الادب » فى ثلاثين مجلدا ، رايته وانتقته ونقلت منه بعض شىء فى هذا التاريخ وغيره . وفى عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم فى كتابه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر (اى نهاية الارب) احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديدا . (2)

تلك كلمات اوردها عن المؤلف ، وعن الاوضاع التى الف فيها كتابه ، كما قلنا شيئا عن الكتاب نفسه : كل ذلك بشىء من الاجاز كثير . والان نحاول التاء نظرة فى شىء من التفصيل ، على ما اتخذه النويري من منهج لوضع كتابه هذا ، الذى اصبح فى العصر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من اهم المراجع لما كتبه الاوائل فى شتى الفنون والعلوم . والذي له الفضل الاكبر فى حفظ ما تركه لنا اسلافنا من تراث علمي عظيم .

يستهل النويري الابواب والفنون عادة ، بمقدمة يكتبها هو بنفسه احيانا ، او ينقلها من الكتاب الذى يورد منه ماعوماته حول هذا الباب او الفن فيذكر فى المقدمة ما حواه هذا الباب او الفن من موضوع ، وهذا

الموضوع من اقسام وابواب ، وما لكل قسم فى مادة خاصة ولكل فصل من علم معين .

ولناخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » فى السماء والارض والعلوية والارض والمعالم السفائية » فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات وفصول واقسام فيقول :

« قد اوردت فى هذا الفن نبذة من وصف السماء ، التى هي قبلة الدماء وباب الرجاء ، والكواكب السيارات ، ذوات السن والسنا ، والملائكة الذين هم اولو اجنحة ، مشى وثلاث ورباع ، والسحاب التى تجود بوبنها ، فتعدل فى قسمها بين السهل والباق ، والرعد الذى ان دنت يحثها ، والريح الذى ان اجتمعت يبتها ، والبرق الذى يشبه بيتان الحاسب والكف الخضيب والثلج الذى خلع على الارض رداء المشيب ، وقوس السحاب الذى تنكبه الجو فانفرغ عليه مصبغات الحل ، ورمى الجذب بينادق البرد فتباشرت بالخصب اهل الحل ، والذيران وعبادها ومددها ، والسنة وفصولها ، والاعبياد والواسم ومنخذها ، والارض والجبال والبراري والرمال ، والجزائر والبحار والمياه وامدادها ومددها ، والليالي والايام والشهور والاعوام ، والعيون والانهار ، وطبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد ، والمباني والمعامل والقصور والمنازل ... »

... وجعلته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من ابوابها اليه » (3) .

فلاحظ ان هذه المقدمة تحتوي على جميع الابواب والفصول والمواد التى سيأتي بها فى هذا الفن . وذلك لكى يسهل على القارئ معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبة بالخط الكثيف تبدي بان هذا الفن تناول فى بحث هذه المواد فى باب منفرد وبتفصيل واف .

فلناخذ « وصف السماء » مثلا . نجد ان النويري بداه بفصل يتعلق « فى مبدا خلق السماء » وبرهن عليه باية قرآنية تقول « انتم اشد خلقا ام السماء ، بناها رفع سمكها فسواها وافتش ليلها واخرج ضحاها » ، ثم ذكر بان السماء تذكر وتؤنث

- 1 (مسالك الابصار فى ممالك الامصار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .
- 2 (الجزء التاسع ، صفحة : 299 .
- 3 (نهائية ، ج : 1 ، صفحة : 67 .

أيضا . فشاهد التذكير قوله عز وجل « السماء
منفطر به » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قويا
لحقنا بالسماء مع السحاب

وشاهد التانيث قوله تبارك وتعالى « اذا السماء
انفطرت » . وقول الشاعر :

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم أتى بأسماء مختلفة للسماء اطلقتها العرب
عليها (1) ثم تحدث عن سبب حدوثها . ليجت في باب
ثان من هيئتها ، وأسهب فيه اسهابا حول الموضوع
من الاستدلال بالقرآن الكريم الى الاحاديث النبوية .
ثم أتى بما ضربت من الامثال حول السماء وما أنشد
الشعراء من الأشعار في وصفها والتشبيه بها .
ومعظمهم اسلاميون . وذلك لان الجاهليين يندر
عندهم وصف السماء والتشبيه الرائع بها في كلامهم .
ولقد ساق الامثلة على التشبيه بالسماء من اقوال
مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماؤنا لما تجلست
خلال نجومها عند الصباح

رياض ينفج خضل نداه
تفتح بينه نور الاقحاح

وفي النجوم قول ظافر الحداد :

كان نجوم الليل لما تلبجت

توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق ممتد المجرة شكلها

فواقع تطفو فوق لجة وادي

ومما قيل في الفلك ، قول أبي الملا المعري :

يا ليت شمري ، وهل ليت بنافمه

ما ذا وراك ، أو ما انت يا فلك

وأحسن ما أورد في هذا الصدد قول أبي عبادة
البحري :

أناة أيها الفلك المدار

أنهب ما تصرف أم خيار

ستبلى مثل ما نبلى وتفننى
كما تفننى ويؤخذ منك نثار

وبعد الاستدلال بالأشعار ، يبدأ الباب الاخر ،
وينهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .

وقد يأتي أحيانا بـ « ذكر الشيء على طريق الدم »
مثلا فصله الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قيل في
الشمس على طريق الدم » ، وأورد فيه بعض الأشعار
للشعراء يجهنون الشمس أو يذكرونها بطريق الدم
كقول ابن سناء الملك :

لا كانت الشمس ، فكم اصدرات

صفحة خد كالحمام الصقيل

أو « ذكر القمر على طريق الدم » كقول ابن الرومي:

رب عرض منزله عن قبسح

منسته معرضات الهجاء (الآيات)

وهكذا يأتي بالأشعار لفحول الشعراء يهجون بها
الشيء المعين أو يميوننه بأقوالهم .

ومن المقدمات التي كتبها النويري بنفسه على
هذا النحو ، مقدمته على الانساب ، حيث بدأها قائلا
« يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس أنا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... »
ومعرفة انساب الأمم مما افتخرت به العرب على المعجم
لأنها احتزرت على معرفة نسبها وتمسكت بهتيس
حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

فهذه المقدمة أوضح فيها النويري بإيجاز ، ما
يحتوي عليه هذا الباب من الموضوعات والمسود
والفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في
نقل ما ضمن هذا الباب .

وأحيانا يضيف النويري في مقدماته الى الآيات
القرآنية ، بعض الاحاديث أيضا التي تطابق الموضوع .
مثلا مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني - في
الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي
أوردها في هذا القسم يقول في الباب الاول - (في
الامثال) ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز
في آي كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له » وتكرر ذكر الامثال . ثم يورد حديثا

(1) ومنها : الجرباء والخلقاء وبرقع والرقيع وغيرها

(2) نهاية الأرب ، ج : 2 ، صفحة : 276 .

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تخرجوا » (1) ثم فسر الكلمات التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك أخذ في نقله عن الميداني من الأقوال حول الامثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الأقوال هو « مجمع الامثال » .

والمجيب أن النويري مع جلاله قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضا فقد وصفه معاصروه بأنه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالأحاديث الموضوعة أيضا . وانني بعد الدراسة والاستقصاء للأحاديث التي أوردها في كتابه بلغت الى هذه النتيجة وهي انه انما يأتي بمثل هذه الأحاديث الموضوعة أو الضيقة ويستدل بها ، في أماكن ومسائل لا تتصل بأى ركن من أركان الاسلام ، وذلك ان العلماء قد أجازوا الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، طالما لم تكن تنافي نصا قطعيا من القرآن الكريم أو مسالة متفقا عليها باجماع الأمة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الادب ومثله من العلوم الأخرى .

وقديما أخذ على الامام الغزالي وبعض العلماء الآخرين الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم . وقد أجيب عنهم ، انهم انما جاءوا بمثل هذه الأحاديث في كتبهم في مواضع ومسائل وأمور لا تمس بالدين والمعتقدات الاسلامية المتفق عليها بسوء ، ابطلا أو الفاء . بل جاءوا بمثل هذه الأحاديث في مواضع الذكر والعظمة والمبرة ، لكي يدعموا أقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفا . فلم ير العلماء بأسا في الاستدلال بمثل هذه الأحاديث في موضع النصيحة والعظة والتذكير ، فهي بمثابة « الحكمة ضالة المؤمن ، فابنما وجدها فهو أحق بالانتفاع منها والاستفادة بها .



وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه انه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكر ، ثم يختار المينات والنبدات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد أعدها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

(1) نهاية الأرب ، ج : 3 ، صفحة : 2

وطريقته في النقل انه أحيانا يذكر المرجع أو الكتاب الذي نقل عنه العينة أو العبارة أو المسألة . وأكثر الأحيان لا يذكره . كما نجد ذكر المرجع بصراحة تامة حينما ، ويشير اليه إشارة خفيفة حينما آخر . وهنا نقف وقفة قصيرة ، لنذكر نبذة من الفصول التي أخذها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الإطلاق ، لا إشارة ولا صراحة .

قال النويري : « وأما ما ورد في ذم الشيب » قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية . وقال غيره : « الشيب نذير الموت »

وقال : « قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى « وجاءكم نذير » قيل هو الشيب .

الى قول عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

أورد النويري هذه المقتطفات من المقدم الفريد لابن عبد ربه (الجزء الثاني) ولم يذكر هذا المرجع على الإطلاق .

وهناك امثلة كثيرة نقل النويري الفصول والأبواب من المقدم الفريد بأجزائه دون أن يذكر المرجع أو يشير اليه .

ومن امثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في « فصل في الوزارة و أصحاب الملك » في (نهاية الأرب ج 6 ص 92) فآثره منقول من كتاب « قوانين الوزارة » للماوردي . أما « وصايا أصحاب السلطان » في نفس الجزء السابق ، فانها مأخوذة من « الادب الكبير » لابن المقفع .

وكذلك فصل « في وصف امضاء الانسان » وفصل « ظهور الشيب » فانهما منقول لفظا وحرفا من « فقه اللغة للشعالي » . وكذلك الفصول « في أسماء شمر الانسان من فوق لتحت » و « مما قيل في الحواجب » « وما قيل في العيون ووصفها » و « فصل ترتيب الصمم » وغيرها من فصول كثيرة ، منقولة من كتاب فقه اللغة للشعالي دون الإشارة اليه .

وقد قال « الوزير ابو المغيرة ابن حزم عندما عرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب اليه وده بعد أن علو قال :

« ورد كتابك ينشد ضالة ودنا ويرقع خلق مهدنا ويطلب ما افاته جريرتك اينا وذهبت به جنابتك علينا ايام فضك ناصر ، وبدرك زاهر لا نجد رسولا اليك ، غير لحظة تخرق حجاب الدموع ... الخ » (نهاية ج 2 ص 87) .

نقل النويري هذه الرسالة بشماتها ضمن فصل « مما وصف به العذار على طريق الدم » في الفن الثاني - الباب الاول . ولكنه لم يذكر او يشير الى انه نقلها من كتاب « الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام ، الجزء الاول صفحة 117 (1) .

ثم ان النويري اورد الكتاب المشهور الذي كتبه سيدنا علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الاشرى عندما ولاه مصر ، والذي يتضمن نصائح واصولا غالية الثمن ، (نهاية ج 6 ص 19) نقتنه من كتاب « نهج البلاغة » للسيد الشريف الرضى (الجزء الثاني ص 79) دون ان يشير الى هذا الكتاب



وهناك فصول وابواب ، يذكر النويري مراجعها . وذكرها في مثل هذه الابواب ينحصر في طريقتين :

احدهما : ان يكتفي بذكر اسم المؤلف دون ان يذكر كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول : « وروى ابو الفرج عن احمد بن عبيد الله بن همار قال : كنا عند ابي العباس المردي يوما ، وعنده فتى من ولد ابي البختري وهب بن امرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي اوردتها في ص 229 من النهاية ج 4 . اورد هذه الحكاية نقلا عن الاغانى ، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب بل اكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقل النويري اشياء كثيرة من كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني وبخاصة حياة واخبار الكرام (نهاية ج 3 ص 211) واخبار المغنيين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية ، واخبار وحياء اشهر المغنيين ، وحكايات القيان واول من هنى من النساء ، وحياء اولاد الخلفاء ومن كان منهم يجيد او يميل الى الفناء

وقرض الشعر مثل ابراهيم المهدي وعلية بنت المهدي وابو ميسى وابن المعتز وعائشة بنت طلحة وغيرهم .

على ان النويري لا ينقل من الاغانى كل ما ورد فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصح عنده ، وما يطابق خطته من الموضوع . اما باقي المينات فانه يحذفها عن وهي وادراك وبصيرة وقصد .

ومن امثله اكتفاء النويري على ذكر اسم واضع الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقتنه عن ابن المتفح حيث قال « وقال ابن المتفح « عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلمهم ... الخ »

ثم ان النويري لا يهتم احيانا بذكر الاسم الكامل للمؤلف او الجامع ، فيكتفي بذكره اما ناقصا او باختصار كبير يصعب على الباحث معرفة اسمه الكامل ، وخاصة اذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، ان النويري ، الى جانب اقتصاره على ذكر اسم المصنف ، او كنيته او لقبه باختصار شديد او اهمال ذكر اسم المؤلف بياتا او الكتب التي ينقل منها ، ان هناك شواهد تدل على ان النويري يعترف بصدر رحب وبصراحة تامة ، بان نقل هذا الفصل او الباب من كتاب بسميه ، ومصنف ينتمى نعتا واضحا . وذلك عند نقله من الميداني مثلا ، حيث يقول « ومن امثال العرب ما نقله من كتاب « الامثال » للميداني .

وكذلك صرح بنقله من كتاب ابي البركات الجواني النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعترف بنقله منه قائلا « وقد وفقت على المقدمة التي وضعها الشريف ابو البركات الجواني ، فرفعت له علما ونصبت له الى المعالي سلما » . ويبدو انه قرأ معظم الكتب الموجودة مصرلدا في هذا الفن ، ثم بعد ذلك اختار كتاب الجواني ، لانه « اتقن اصولها وحرر فصولها واورد فيها من الانساب ما ينتفع به اللبيب ويستغنى بوجوده الكاتب الارب » واكثر منه مراحة قوله « على الشريف الجواني العمدة فيما اورده والمهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت وعلى مقالته اعتمدت » (2) ثم بدأ ينقل منه بقوله « قال السيد

(1) الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لابن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 - ادب
(2) نهاية الارب ج 2 صفحة 276 .

الشريف نقيب النقباء ابو البركات بن اسعد علي بن
معمر الحسيني الجواني النسابة رحمة الله : ان جميع
ما بنت عليه العرب في نسبها اركانها ، واستست عليه
بنيانها عشر طبقات « . الا ان النويري فيس ترتيب
الجواني ، « وسرد النسب من اصله اي آدم عليه
السلام » فالجواني بدأه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المحض ، يعمد النويري الى
بعض النبدات من كتاب انتخابه لموضوعه ، فينقلها
لفظا وحرفا دون التصرف فيها بكلمية . ومثال ذلك
ما اورده من كتاب « ادب الكتاب » لابي بكر محمد بن
يحيى الصولي (النهاية الجزء السابع صفحة 14) في
فصل « وما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح
الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب من
الخط متى يستحق ان يوصف بالجوادة ؟ قال : « اذا
امتدلت اقسامه وطالت افه ولامه واستقامت
سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات بعينها في
كتاب « ادب الكتاب » للصولي (صفحة 50) لفظا
وحرفا .

ومن امثله « رسالة التقيفة » التي بحث بها
ابو بكر الصديق الى علي رضي الله عنه عند توليته
الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل ابي
حيان التوحيدي » . ولقد اتى بها لفظا وحرفا دون
ان يعلق عليها بحرف ، مع العلم ان هذه الرسالة
مشكوك فيها ومطمعون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة
مرسومة محكمة التنسيق يضمها بمد فكر وروية
وتدبر . فلقد رامى في تأليفه هذا ، ان يضع الابواب
والفصول على ترتيب حسن منتظم ، حيث يسهل
تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب
ويابس قراه او وصلت اليه يداه ، دون ان يفكر فيه
من ناحية جودته والاستفادة منه والافادة وتقسيم
فنه . حتى لا يدخل شيء في شيء لا يوافقه ، او فن
في فن يغايره ، كما فعله الجاحظ في معظم كتبه . بل
كان منهج النويري فيه ، منهجا يسهل منهج العصر
الحديث في توظيف التأليف وتنسيقه . فكان ينتخب
فنا خاصا من الفنون ليطالعه ، فيجمع الكتب المتعلقة
به اولا ، ثم يطالها مطالعة دقيقة وافية ، ومد ذلك

يضع لهذا الباب او الفن خطة مرسومة واضحة دقيقة .
يثبت فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ،
حيث ياتي بكل نبذة في محلها ويثبتها حيث يقتضي
المقام الباطن . فيبدأ نقله مثلا من كتاب ، ويستمر
فيه الى كلام او بحث خاص يحب نقله ، ثم يترك هذا
الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلا منه
لنقله في كتابه وفي محل خاص منه . وهكذا يمد ما
ينتهي من نقله من هذا الكتاب الى البحث او الفصل
الذي يريد ، ينقل الى كتاب ثالث ، ليستأنف نقله
منه الى ان ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما اورده في القسم
الخامس « في الملك وما يشترط فيه وما يحتاج اليه
وما يجب له على الرمية ، وما يجب للرمية عليه ،
ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش واوصاف
السلاح وولاية المناصب الدينية ، وفيه اربعة عشر
بابا .

ورمة ظاهرة اخرى ، جديرة بالذكر ، وهي ان
النويري للغرض المنشود من وضع خطته يتصرف
أحيانا في النقل ايضا . وذلك ما نلاحظه عند نقله
شروط الامامة من الاحكام السلطانية للماوردي . اذ ان
الماوردي ذكر شروط الامامة بسبعة شروط ، اما
النويري فقد جعلها ثمانية بجعل الذكورية والبلوغ ،
صفتين منفردتين ، بحجة قول الله عز وجل وقول
النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انه لاجل هذه الخطة المرسومة ، يعمد فيغير
أحيانا ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله في
كتابه ، لكي ياتي حسب ما يشاء منه في خطته .
ويطابق الاصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه
الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « اصول الاحساب
وفصول الانساب » للجواني النسابة فنراه اورد كل
شيء في قسم الانساب من هذا الكتاب ، الا انه فيس
ترتيبه حتى جملة ظهرا لبطن .

فقد سرد الجواني النسب من ابينا آدم عليه
السلام وانتهى به الى نبينا صلى الله عليه وسلم ،
فنسب بني هاشم الذي اورده الجواني في اول كتابه ،
نقله النويري في آخر كتابه هذا الباب . (2)

(1) جمع الدكتور ابراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها في دمشق عام 1951 .
(2) اصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

ولا فعل . قال الفراء يقال : هونت تمويينا وهي هوان بينة التموين والخمرة من الاختصار كالجلسة من الجلوس ، اسم للهيئة والحال ، اي انها لا تحتاج الى تعميم الاختصار ، يضرب « للرجل المجرب » (3) .

اما النويري فقد اورد المثل وحذف ما قيل حوله من الاختلاف في كلمة الموان وتشرح معنى الاختصار ، لانه ليس يكتب كتابا في علم النحو او اللغة او المعاني ، وانما ياتي بما يستفاد به من هذا المثل وهو مدلوله فاكتفى بنقل مضرب المثل وموقعه (4) .

وكذلك يحذف النويري بعض الاحيان ، ما يورده الميداني من تفسيرات لغوية لبعض الكلمات الواردة في المشمل .

ثم ان النويري عند نقله لامثال من الميداني لا يهتم بالقصص التي اوردتها حول الامثال . والسبب فيه هو ان النويري يقصد بنقل هذه الامثال ابرز معالم الادب وخفاياه والامثال احدى دعائمه . ولذلك نراه يقتصر على الحد ، سواء من القصة او شرح الكلمة . يرى فيه ان المثل اصبح واضحا بحيث لا يصعب فهمه . فان رأى بان المثل غامض لا يمكن فهمه بدون اتيان القصة المشهورة حوله ، فانه ياتي بالقصة تاركا الحشو والزوائد ، مقتصرًا على لبها وخلاصتها .

وكذلك اختصر النويري القصص والحكايات التي اوردتها صاحب الاغانى منذ الكلام عن المغنيين والشعراء واصحاب الظرف الفكاهة مثل ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم . فقد اتى في كتابه ، من هذه القصص والحكايات ، تلك التي تفيد غرضه وتسنخ نهجه وتلائم خطته ، من غير الانغماس في تطويل مممل ، والاخذ من المينات والاقباسات التي قد تكون موضع الشك والشبهة تاريخيا . فقد تكون لا تعتمد على برهان تاريخي او حجة لا تقبل الشك والريبة (5) .

وهناك امثلة يحذف النويري فيها القصة او الحديث كله ، ويكتفي بذكر موقع استعمال المشمل

وفي الكتاب امثلة كثيرة تدل على ان النويري يغير ترتيب النصف ، وينقل نوصه بترتيب وخطه وضعها هو . ومنها انه ما نقل من كتاب « دم الهوى » لابن الجوزي (1) حوالي مشرين بابا في « باب الحب والهوى والمشق والفزل وغيره » الا انه قدم بابا واخر آخر ، حسب رغبته وخطته .

وكان النويري الى جانب اختصاره للابواب والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما يظنه انفع واكثر فائدة . فمن الكتب التي اختصرها كتاب « مجمع الامثال » للميداني بجزئيه .

فقد اودع الميداني كتابه «مجمع الامثال» حوالي ستة آلاف مثل ونيف (2) وطريقته في نقل مثل ، هو انه ياتي بالمثل ، ثم يسرد سبب اطلاق هذا المثل وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومختلف الروايات والافاويل التي يتناقلها المؤرخون والادباء حوله . ثم يورد اقوال النحاة والمتكلمين في اللغة حول الكلمة ان كان هناك اختلاف في نطقها ، او تصريفها او فصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية والصرفية واللغوية ، ويسهب فيه اسهابا ملحوظا .

اما النويري فانه عادة ينتخب من الامثال ، السائرة او كثيرة الاستعمال في الادب او الكتب المتداولة ، او الامثال التي وردت بكثرة في الاشعار ، او التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقيقة في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا المثل ، ولا يهتم بتحقيق الميداني فيما اورده من الكلام حول تصريف الكلمة وصحتها من الناحية اللغوية والادبية ، ومختلف الاقوال في هذا الصدد . وان اخذ منها شيئا ، فذلك التي لا مندوحة له منها ، لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلتر مثلا « ان الموان لا تعلم الخمرة » فلقد قال الميداني ، وهو يصف مختلف الاقوال حول كلمة « الموان » قال الكساني : لم نسمع في الموان بمصدر

- (1) كتاب « دم الهوى » لابن جوزي (ابو الفرج) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 - ادب تيمور (في مجلدين) .
- (2) مقدمة مجمع الامثال صفحة 5 .
- (3) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 16 .
- (4) نهاية ج 3 صفحة 9 .
- (5) راجع الاغانى للاصفهاني ، الجزء الاول صفحة 101 فما بعد . ونهاية الارب الجزء الثاني صفحة 225 فما بعد ، لاخبار المغنيين وغيرهم .

ومعناه فقط . وذلك عند نقله المثل « عند جهينة الخبير اليقين » . فبعد أن أورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية عن هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بأن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ورجلا من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلا لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركتاني وشاني دلتكما على رجل تحت شجرة معه مغنم كثير فخلبا سبيله . واتيا الرجل وهو من لحم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرايه ، فحياهما واشركهما طعاما . فأكلا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقتاء بعض حاجاته . فلما عاد رأى حصين قد قتل النخمي واستولى على ماله . فجلسا يشربان وكل منهما يخفي في نفسه ربيبة لصاحبه . وبعد قليل قال الحصين للاخنس هل تعرف زجر الطير ؟ فقال الاخنس ماذا ترى ؟ قال ارى مقابا كاسرا ، وأشار اليه ومد عنقه الى الجهة التي كان المقاب فيها . فافتنم الاخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بفتة . ثم انطلق هائدا الى بيته فاذا بامرأة حصين تفتقه ، فقال لها ، انه قتلها ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الاخنس واتى قبيلته وصالحها وكان غاضبا منهم ، ثم عاد الى امرأة حصين وقبيلتها ، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيفم ورد هموس

أبي شبيلين مسكنه الميرين

الى ان قال :

تسائل عن حصين كل ركب

وعند جهينة الخبير اليقين

قال الاصمعي وابن الأعرابي : هو جفينة بالغاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تسائل من أيبها كل ركب

وعند جفينة الخبير اليقين

قال : فسألوا جفينة فأخبرهم خبر القتييل . وقال بعضهم هو جفينة بالحاء المهملة ، يضرب في معرفة الشيء حقيقة (1) .

هذه هي القصة ، ومختلف الأقوال ، أوردها الميداني في كتابه حول المثل ، سردنا ها باختصار . الا ان التويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئا . بل

اكتفى بإتيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال : « يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان التويري كان يتحاشى إتيان الربط واليباس في كتابه ، والروايات التي لا يتأكد من صحتها ، أو التي هي منحولة موضوعة ، أو تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطناب ممل وأن لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يده دون أعمال الفكر والروية ، واختبار النبدات على محك علمي ، من شأنه أن يميز الصدق من الكذب والفحش والوضع . ثم ليأتي بالقصص والنبدات ، التي لها علاقة بالادب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها التويري على هذا اتنحو ، « فقه اللغة للشعالبي » و الاحكام السلطانية للمواردي « و « قوانين الوزارة للمواردي » ، وكتاب حسن التوسل الى صناعة التوسل ، لمحمود بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم الهوى لابن جوزي » و « فصول الاحساب للجواني » و « كتاب المنهاج لتعليمي الجرجاني » وغيرها (3) .



وفضلا عما يفعم به كتابه « نهاية الأرب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد الممتعة الشيقة ، التي تفيض علما وادبا وفنا ، مما استقاها من مواردها الاصيلة ، فقد أودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار واهلها ، مما فاضت بها قرائح الشعراء ، حسن السبك وطلاوته ، وفزارة المعاني وعمقها ، ودقة البيان وحلاوته ورسانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطبايع ، وتطرب لها القلوب وتهتز لها المشاعر . كما تدل على ما اوتي التويري من حفظ وافر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الذوق الشعاري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب ، واستخلاص الدرر الغرر من هذا البحر الزاخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسنا وجمالا . فلا يمل القارئ ، وهو يمضي بادق فن واصعب في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قرائته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، المسيرة الفهم والادراك عندما يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

(1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .

(2) نهاية ج 3 صفحة 39 .

(3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

من الكتاب الذي ضمنه النويري الأشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومنها كان دقيقاً أو صحيحاً . ويجد به متعة وبهجة فلما تضافها متعة وبهجة . كأنه وصل أرضاً ناعماً سهلة نضرة ، بمد طوال الشقة ، قضاها في أرض وهرة المسالك .

ومنهج النويري في نقل الأشعار هو ، أنه يأتي بباب أو فصل من قسم خاص مثلاً ، فينقل في هذا الباب أو الفصل ما طاب له أن ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكبار الأدباء الناثرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول أن يطبق على ما كتبه من أقوال الشعراء وكلامهم ، فيخوض في دواوين الشعراء والكتب الأدبية الأخرى لكي يلتقط منها جميع الأشعار التي تطابق ما أورده من النثر في الفصل السابق فيثبتها في محلها اللائق ، لكي لا يجد القارئ في نفسه كلالاً وتعباً من الاقتصار على موضوع صعب جاف . وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الأدباء من نثر ونظم حول الموضوع . وبذا يضيف إلى ما أورده في كتابه صبغة أدبية ، تميزه من سائر الكتب الأدبية . ولكي يسجل مقال الشعراء في هذه الموضوعات بترتيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها في مكان واحد دون الخوض في الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه أنه يحاول جهده أن يبدأ بنقل الأشعار من الجاهلية فالإسلاميين إلى المولدين والمحدثين ، ولو يختلف هذا الترتيب في بعض الأجزاء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، أما لضالة الأشعار عند القدماء في هذا الفن أو الموضوع ، وأما ، أن كانت لديهم ، فهي ليست من الجودة بحيث يشبهها النويري في كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي فشت في عصر المولدين ، أو الأشعار في صفة الرياحيين والبساتين والقصود أو تصوير المناظر الخلابة ، مما لا نظير لها في الشعر الجاهلي . ثم إن النويري لا يزيد من عدد الأبيات مخافة الإطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين أو ثلاثة أبيات ، ومنها أيضاً على البيت القصيد في معظم الاوقات .

ولتقف برهة عند « الباب الثاني من القسم الاول من الفن الثاني » لنرى منهج النويري في نقل الأشعار . وذلك لأن هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث في « أسماء الإنسان » وتشبيهها .

ابتدا النويري هذا الباب من شعر الإنسان . فنقل من فقه الكفة للشمالي أسماء المشهور بمختلف ألقابها . فلما فرغ من اسمائها وتفصيلها وضع فصلاً ، جمع فيه ما قالته الشعراء حول الشعر عامة وحول شعور النساء بوجه خاص . وأحسن ما أورد في وصف شعر الرجال قول ابن الرومي :

وفاحم وارد يقبل تمننه
شاه اذا اختال مرسلأ غدده
اقبل كالليل من مفارقه
منحدرا لا يلزم منحدره
حتى تناهى السى موطنه
يلثم من كل موطنه عفره
كانه ماشق دنأ شفقتنا
حتى قفى من حبيبه وطوره
وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل لانا يوم حمامه
ذوآبا يبق منها الفوال
فقلت ، والقصد ذوآبائه
يا سهري في ذي الليالي الطوال
وقول آخر :

رايت على قد الحبيب ذؤابة
فيعني على تلك الذؤابة تمع
يقول لي الواشون : مالك باكيسا
فقلت : يميني شعرة فهي تدمع
ومن أحسن ما انتخبه في وصف شعر النساء :
قول بكر بن النطاح :

بيضاء تسحب من قيام فرمها
وتغيب فيه فهو جشل أسهم
فكانها فيه نهار ساطع
وكانه ليل عليها مظلم
وقول آخر :

نشرت على ذؤابا من شعرها
حذر الكواشح والعدو المحنق
فكانني وكأنها وكانه
صبحان بانأ تحت ليل مطبق
ومن قول المتنبي :

نشرت ثلاث ذؤاب من شعرها
في ليلة ، فارت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فارتنى القمرين في وقت معا

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيهة بشعرها
شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى
وشمسين من خمر وخذ حبیب

وقول ابن الدريد الأزدي :

غراء لو جلت الخدود شعاعها
للشمس عند طلوعها ، لم تشرق
عمن على دعم تالق فوقه
قمر تالق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن : احتكم لم يعدها
أو قيل : خاطب غيرها ، لم ينطق
فكاننا من فرعها في مضرب
وكاننا من وجهها في مشرق (1)

وفي الكتاب أبيات أخرى قيلت في شعر النساء،
إلا أنني اخترت أحسن ما وجدته تعبيراً ووصفاً .

فلما فرغ من نقل الأشعار حول الشعر ، أتى
بفضل آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل
في الشيب والخضاب من مدح وذم » أورد في هذا
الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . أرفعه
بأشعار تدم الشيب والخضاب وأخرى تمدحه وترحب
بمقدمه . ثم ذكر نظرة المرأة إلى الشيب وعوارضه
ثم بدأ بأهضاء الإنسان من نثر ونظم . فأجمل ما قيل
في وجه المذكور قول الوجيهي :

ومستقبل بالذي يهوى ، وإن كثرت
منه الإساءة ، معذور بما صنعنا
في وجهه شافع يمحو أساءته
من القلوب ، وجيها حيثما شغفنا
ومنه أجمل ما قيل وجه المؤنث قول ابن سكرة :

في وجه إنسانة كلفت بها
أربعة ما اجتمعن في أحدهد
فأخذ ورد والصدغ غانبيبة
والريق خمرة والثغر من برد

(1) نهاية الأرب ج 2 صفحة 20 .

(2) راجع لهذا الموضوع نهاية الأرب ج 2 من صفحة 21 فما بعد .

لكل جزء من حسنها بدع
تودع قلبي ودائع الكمد

ومن أجمل ما قيل في الحواجب قول الزاهي :

واغيد مجدول القوام جبينه
سنا القمر البدر في الغصن الرطب
تنكب قوس الحاجبين نسهمه
لواحظه المرضي ، وبر جاسه قلبي

وما قيل في المين بلفظ التكبير قول عبد الله
ابن المعتز :

عالم بما تحت الصدور من الهوى
سريع بكر اللحظ والقلب جازع
ويجرح أحشائي بعين مريضة
كما لان مس السيف والسيف قاطع

واقدم أجاد جرير في وصف عين مريضة إذ قال :

إن الميون التي في طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيين قتلنا
بصر من ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله أركاناً (2)

وكذلك أتى بنخبة ممتازة من الأشعار حول
الخمر والمشى واليئان وغير ذلك من الأمضاء .
فأبدع فيه وأجاد الاختيار .

ولقد أبدع ابن الرومي عند ما جمع أكثر المزايا
والأوصاف التي تستحسن من المحبوب حيث قال :

مخففة مثقلة تراها
كان لم يعد نصفها غداً
إذا الإغياب جدد حسن شيء
من أشياء جردها اللقاء
لها ريق تشف له الثنايا
ويروى عنه - لا منه - الظماء
وانفاس كأنفاس الخزامي
قبيل الصبح ، يلتها السماء
تنفس نشرها سحراً فجاءت

به سحرية المسرى رخاء
وقد اعتمد التويري في انتخاب أشعاره على
دواوين الشعراء أولاً ، ثم « كتاب المنتحل » للشعالي ،
فالعقد الفريد لابن عبد ربه ، فعيون أخبار لابن قتيبة ،

« وزهر الآداب » للحصري القيرواني و « ديوان
المعاني » لابي هلال العسكري وكتاب « نفع الطيب »
ولغيرهم من المصنفين والادباء .

ولاحظنا ، عند تصفح الأشعار التي أوردها
النويري ، انه عند نقله الأشعار من الجامعين وكتبهم ،
يقتصر على ما أورده الجامع ، وأحيانا يضيف عليه
بيتا أو بيتين . وطورا نراه يترك ما أورده المصنف
بتاتا ، ويأتي بشعر من انتخابه هو يلائم الموضوع .
وذلك أن النويري أديب يحظى بقسط أوفر من حسن
الدوق الشعري والادبي وله ملكة حسنة في الاختيار ،
فهو عندما يرى أن الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام
الشعراء حسب الموضوع أو المنسبة ، يقوم هو
بنفسه في البحث في الدواوين ومجموعات كلام
الشعراء ، عن كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم
ينتخب أحسنه ويثبته في محله . وخير مثال لهذا ما
نقله من الأشعار في تمثيل الأمثال ، التي اقتبسها من
كتاب المنتحل للشعالي من الباب العاشر « في الأمثال
والحكم والآداب » . فنراه انه لم يقتصر على ما أورده
الشعالي في هذا الصدد ، وإنما اختار بنفسه وأضاف
عليه . فالشعالي مثلا لم يتمسك بترتيب مصور
الشعراء وزمانهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث أورد
شعر الجاهلي ، أعقبه بمولد ، ثم مخضرمي إسلامي ،
وهكذا في سائر كتابه . أما النويري فإنه اهتم اهتماما
بالغا في ذكر الأشعار حسب ترتيب عصر الشعراء .
فابتدأ بالجاهليين ثم العباسيين فالمحدثين والمولدين ،
الى أن بلغ الى عصره .

فإذا القينا نظرة على ما أورده النويري ، من
الأشعار المنتخبة في كتابه يتضح لنا بأنها تشمل نخبة
قيمة ممتازة من روائع الشعر في شتى أصناف
المعاني والموضوعات ، يتمدّد وجوده في كتاب واحد .
وهذه الصبغة تصفي على نهاية الأرب صبغة تجعله
- حقا - موسوعة شعرية ، تشمل كلام الأوائل والجدد
في مختلف المعاني والموضوعات والمواد ، بترتيب
حسن وبنظام منسّق مقبول . فالباحث يستطيع أن
يستخرج من هذا الكتاب أشهر بيت قالته العرب
وفي أي معنى شاء ، دون جهد أو مشقة بالغة ،
ولشعراء جميع المصور التاريخية المختلفة . وتلك
مييزة ينفرد بها هذا الكتاب . فضلا من هذا فان هذه
الأشعار تشير الى أن النويري كانت له يد طولى في
انتخاب اشعار وذلك بفضل هذا الدوق الرفيع والحس
الشامري اللطيف الذي يتمتع به . فاننا نراه لم يات
بشعر مهلهل متفكك ، وإنما جاء بنخبة كلها من الطراز

الممتاز . ومن جميع النواحي ، من ناحية جودة اللفاظ
وحسن سبكها وروعة نظمها ومن ناحية المعنى وأداء
الفرض والمطلب الذي أورده لاجله . وهذا خير
دليل على سعة علم النويري بفنون القريض والشعر
وأسراره ، ودقة نظره في خبايا هذا الفن واستخراجه .
ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمراجع . وعلى
هذا الوله الادبي ، الذي حفزه على أن يتعمق نفسه
ويبدل كل جهوده ، في جمع هذه الاثبات المبعثرة في
الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها لنا
في صورة باقة جميلة تزينها انواع واشكال من الزهور
والسورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الأرب
في فنون الآداب » ، وما سلكه النويري من منهج
لتأليف موسوعته هذه ، التي لها أكبر فضل في حفظ
قدر ملحوظ من تراثنا القديم ، مما تركه لنا أسلافنا
خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الاسلامي
الحافل . فمنهج النويري قيم ، لا نجار عليه ، يقوم على
فكرة وروية واضحين . وقد تم التأليف بطريقة يمكن
الاستفادة منه استفادة تامة . ما عدا عدم ذكره المراجع ،
مما يكابد الباحث والدارس لمراجعته ، مشقة العثور
عليها في مختلف الكتب ، فتقسيم الكتاب على فنون ،
وهذه الفنون على أبواب وفصول ، وكل فصل ضمن
علم خاص أو نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة
البحث المضي ، اذا لم يكن مدونا بهذه الصورة .
ككتب الجاحظ التي هي الاخرى موسوعة مجموعها .
ولكن المرء يحنّار امام هذه المجموعة غير المربّبة
ترتيباً لاننا ، فلا يبلغ مناه الا بعد طول المشقة وكبير
مناه . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اخلاط موضوع في
موضوع آخر ، كالذي تجده في كتاب « الكامل
لنبرد » أو لسان العرب لابن منظور . فانهم يتكلمون
عن موضوع ويسهبون فيه اسهابا حتى يخيل الى
القارئ ، أنهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم
يرجعون الى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول
الى . . . » . أما النويري فإنه لا يعتمد الى موضوع
ثان ما لم ينته من الموضوع الاول الذي كان يتكلم
حوله . ولقد بالغ النويري في نزاهة كتابه من هذا
النوع من « الخلط بالبحث » الى حد ، انه اثناء نقله
من الكتب ، اذا وجد شيئا عارضا ، على الموضوع
الاصلي الذي يتناوله ، يهدفه بتامه ، ويواصل نقله
من الجزء الذي يتصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي .
ولاجل هذا نراه يهدف صفحات كثيرة متتامة من
الكتب المنقول عنها ، أو نجده ينتقل من جزء الى جزء

آخر من الكتب ، ليواصل موضوعه الاصلي بدون عارض ، او « الخطأ بالبحث » . ونلاحظ هذه الظاهرة واضحة ، عند نقله « اخبار المغنين والمغنيات » من الاغانى التي يسهب صاحبها احيانا في سرد اخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكلم عنها وانما هي عوارض اما النويري ، فانه يحذف هذه الزوائد والحشو . ويقتصر على الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

وقد حاول النويري اثناء نقله ، تسديد الخطأ الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الشمالي مثلا . بان الشعر القائل :

وما ينهض البازي بغير جناحه

ولا يحمل الماشين الا الحوامل

اذا انت لم تعرض على الجهل وانحنا

اصبت خليما او اصابك جاهل

قال « انه لعبيد الابرس » (1) الا ان النويري ضبطه لاوز بن حجر . ولقد تصفحت ديوان عبيد الابرس بنفسي ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله النويري فيه هو الصحيح .

ثم ان النويري لا ينفس في المسائل المختلف فيها . مثل مسألة سماع الغناء ، او مزاوله الاكسار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية . فانه في مثل هذه المسائل يقتصر على نقل آراء الجانبين دون ان يبدي رايه ، فيرجح هذا ويسفه ذلك . او يعيل الى هذه النظرية ، ويتفاضى عن ذلك . بسل بترك القارئ حرا يتصرف فيه - بعد معرفة راي الجانبين - كيف شاء وباية طريقة يفضاها عن غيرها .

والى جانب هذه المزايا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك اغلاط لم يسلم النويري من اقترافها . ولكنها اغلاط بسيطة ، لا يؤبه بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر النويري مثل اسم « سمونيل بن العاديا » بين الشعراء المخدلين ، والحقيقة انه من شعراء الجاهلية دون اختلاف . والغريب في الامر ان مصححي الكتاب ايضا لم يثبوا الى هذا الخطأ الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هذا الخطأ . ثم ان النويري ذكر اسم خصي معاوية بـ

« رقيق » في قصة تزويج معاوية يزيد (2) . ولقبه اخذ هذه القصة من « الامامة والسياسة » لابن قتيبة الا ان ابن قتيبة ذكر اسمه بـ « رقيق » . وذلك هو الصحيح ، كما ورد في جميع النسخ الموجودة ، المطبوعة في مختلف المطابع . وكذلك اورد اسم مخبوية يزيد بانها « زينب بنت اسحق » الا ان اسمها الصحيح هو « زينب بنت اسحاق » (3) .

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها النويري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « الجسا » بمعنى « ان يمسر على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اي مدلول او معنى (4) ويبدو لي بان هذه الاغلاط وقعت من الناسخ اذ ان النويري مع فزارة علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع في مثل هذه الاغلاط .

والعيب الاساسي الذي يؤاخذ به الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع عادة ، وخاصة في العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث في حيرة من امره . حيث يضيع الوقت في البحث . فكثيرا مما تستغرق نبذة وجيزة للبحث عن مصدرها ساعات واياما في بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العيين الذي اتخذه من اللخيرة لابن بسام . فقد استغرق من هذا الاقتباس منى حوالي ثمانية ايام . ثم انه عندما يضيف شيئا الى ما نقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من هنده . كما حصل عند جعل شروط الامامة ثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، فليس من شك ، بان منهج النويري في كتابه هذا ، منهج يضاهي احسن مناهج عصرنا الحديث ، الذي تقدمت فيه صناعة التأليف اى تقدم . ولمنهجه الواضح المفيد ، ولما يحوي من الموضوعات الفزيرة والعلوم النافعة المتنوعة « يعتبر احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك . اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا » (5) .

(1) المنتحل للشمالي صفحة 171 .

(2) نهاية ج 6 صفحة 183 .

(3) راجع الامامة والسياسة ، لابن قتيبة .

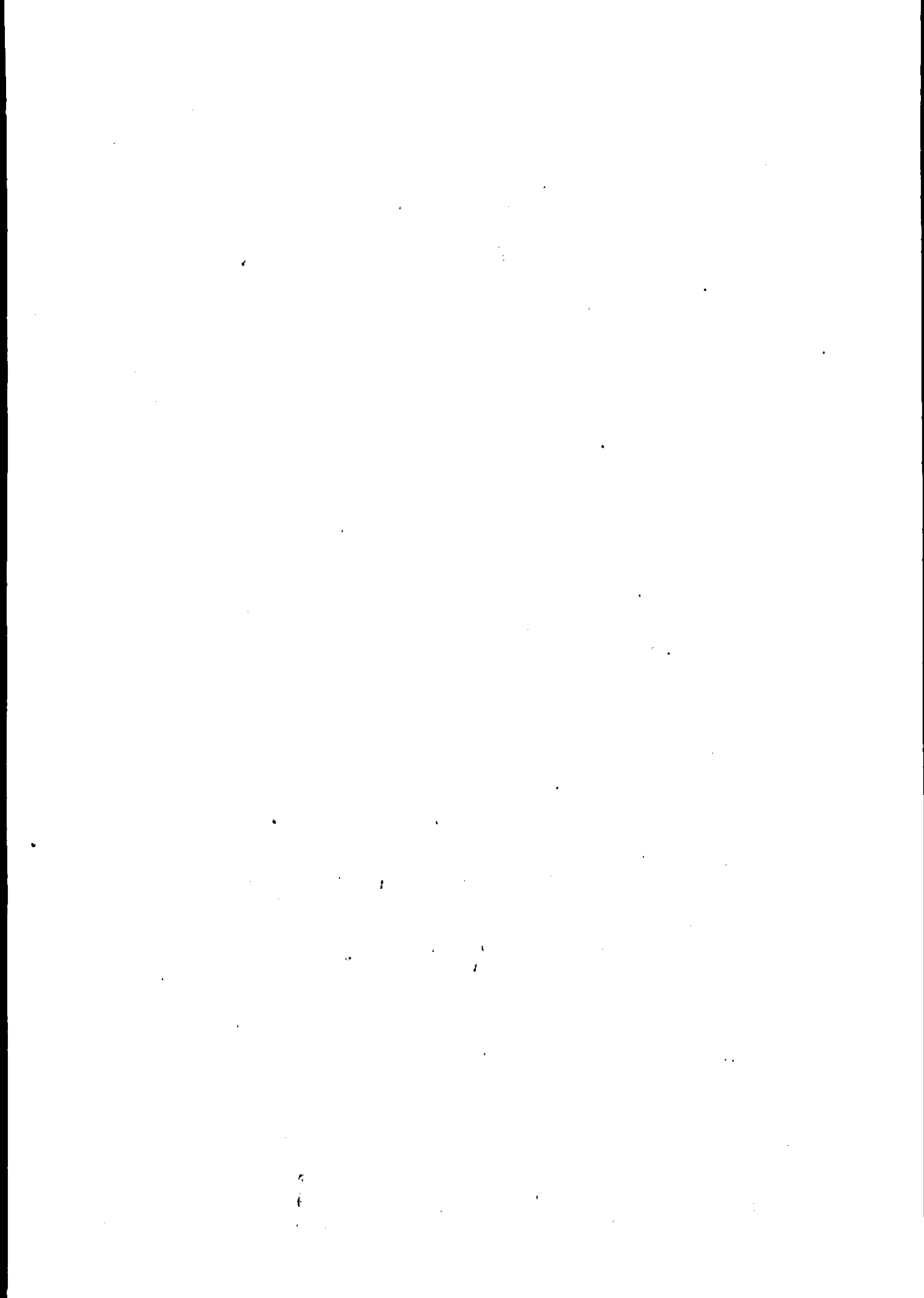
(4) راجع لهذه الكلمة : اقرب الموارد لسعيد الغوري الشرتوني اللبناني وناج المروس : لمحمد مرتضى

الحسيني الوبيدي (فصل النجم من باب الهمزة) واللغات الاخرى .

(5) عشر سلاطين المائيك : محمود رزق سليم ج 3 صفحة : 125 .

تحقيقات

- ♦ الكشف عن معجم لغوي ملغود في بغداد
للاستاذ عبد الهادي التازي
- ♦ متخير الألفاظ (ل احمد بن فارس)
حققه وقدم له : الأستاذ هلال ناجي
- ♦ ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب « الحجة » اليه
للاستاذ عبد العال سالم مكرم
- ♦ نسبة « الحجة » الى ابن خلوويه لا تصح ..
للاستاذ العابد الفاسي
- ♦ حول تحقيق كتاب ابن الجوزي : « تنوير اللسان »
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني



الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي
سفير المملكة المغربية في العراق

فحققه على مخطوطتين : الأولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحنسي البغدادي أمير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم (الجمل) .

رتب ابن فارس معجم (متخير الالفاظ) على ابواب المعاني في مائة وأربعة عشر بابا ، ويميزه الاساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها ، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب ، واجتناب الوهر منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهده من ميون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بدل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعته الاربعمائة كتاب ، من بينها عدد فيسر قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث عراقي في نشر معجم عربي قديم .

حركة التأليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، اولها : مرحلة كتب الصفات او الفريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الي بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والفريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتبت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن احمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والقليبين والجمل والجمهرة والصحاح والعباب واللبن والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتبت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وبرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامية بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكانت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم (متخير الالفاظ) تصنيف العالم اللغوي الجليل احمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا نشر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات أسرته ،

ضياح استمر الف عام ، وفاء للعربية واحياء لبعض تراث الاسرة ، وهكذا صاحبت - المتخير - قرابة عام ، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحباً ومحدثاً واليفاء ، اصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر ، واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر او قالة لناثر فلا يحول ولا يتغير ، وكم لعبت من دنياى وانا امراض نصا على مصدر ، حتى اذا ضجعت للفور تالية النجم ، واخذ الليل فى طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردتى الى دنياى مؤذن ينادي : ان حى على الفلاح . . قد قامت الصلاة . فانساخ من مقعدي اذ يسلمخ النهار من الليل ، واذا ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان تقاؤنا وافتراقنا قرابة عام .

بمثل هذا الاسلوب الشعاري المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفى تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعلى ان نراه فى عالم المطبوعات قريباً .

والكتاب معد للطبع حالياً ، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث فى ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوافعه فى تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه : « حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشهرت فى تحقيق اخرى ، لكنى لم اشعر ابدا ان كتابا غير المتخير اصبح جزءا من كيائى لسوذا فى جنائى وبمضا من بيائى ، ذلك ان روابط ممتدة الجدور موفلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة ، من هذه الروابط ، ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للعربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسنى البغدادي امير الخطاطين فى عصره ، فبيئى وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبينى وبينهما رحم وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عنابة اسرتنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل » ثم عرض لنفائس مخطوطات اسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا ، لاني اصل جبل النسخ والحفظ فى اسرتنا بجبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بمد



مختصر الألفاظ

تصنيف

أحمد بن فارس

المتوفى سنة ٣٩٥ هـ

مفنه وقدم له

هلال ناجي

(بغداد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عصر المصنف :

ولد ابن فارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو ترمزق الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسمى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن اصبح المغرب والمريقية بيد الفاطميين ومصر والشام بيد ابن طنج الاخشيدي وديار بكر وديار ربيعة ومصر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد القرامطة وفارس والري واصبهان وهمذان في يد بني بويه وكرمان في يد محمد بن الياس وطبرستان وجرجان في يد الديلم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد واعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سيفا بعد ان دخل البويهيون بغداد سنة 334 هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذي تعرض له خلفاء العباسيين في هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلع المتقي لله وسمل وخلع المستكنى لله وسمل وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وفي عام 334 هـ سيطر بنو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا امر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بمبارة صادقة ومؤثرة فتدان العباسيين لسلطانهم الدنيوي وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر ايام المتقي واول ايام المستكنى من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني امتقادي لا ملك دنيوي فالتائم من ولد العباس الان انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار في يد الدخلاء من بني بويه حتى سنة (451) هـ .

ويصف المقدسي بغداد في هذا القرن فيقول : « أما المدينة مخراب والجامع فيها
يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم الى وراء أخشى انهما
تعود كسابرا مع كثرة الفساد والجهل والنسق وجور السلطان » .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشامت المصادرات ،
وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة في القرن الرابع الهجري وكانت
تصيب الثرين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين مرضية
للمصادرة أحيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة 296 هـ - 381 هـ .
وفي فترة التغلب البويهي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وتاسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم
ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضائلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسئم
الغرياء أحسن الوظائف وأصبح مستوى الأهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة .
وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المنين عامة في الفترة البويهية في حين
ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق لفترات غلاء ومجاعات ، ويمكن القول على
وجه الإجمال بأن التغلب البويهي كان حدا فاصلا بين فترتين إذ انه اثر على الاقتصاد
الزراعي ومقرن نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها
كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا
الصراع البغيض .

الحالة العلمية والأدبية :

ان السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة
الاسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والأدبية وكسان
العكس هو الصحيح . ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية أوجها واتت
ثمارها . ولعل مرد ذلك ان التمزق السياسي أتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة
صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وتبع ذلك تنافس خير جنت منه
الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشامت العناية بالكتب وجمعها لدى الأمراء
والوزراء والعلماء والأدباء شيوما كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يجدها منها
المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون . كان
بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء أمثال عز الدولة وعهد الدولة وتاج الدولة

وكانوا يؤثرون استيزار واستكتاب العلماء والأدباء فكان من وراثهم وكتابهم : ابن
المعبد والصاحب بن هباد والمهلب وسابور بن أردشبر .

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها لتشمل العراق ومصر
وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين
استقطبا العلماء والأدباء والشعراء واشتهر من أمرائها منصور بن نوح الذي استوزر
البلعبي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامه منظم
الدقيقي الف بيت من الشاهنامه كانت هي الأساس الاكيد لشاهنامه الفردوسي في
عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا ، ومنهم منصور
الساماني الذي الف له أبو بكر الرازي كتاب - المنصوري - في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها شمس المعالي قابوس بن
وشمكير ، الأديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب . وكان
في خوارزم أمير محب للعلم والأدب هو أبو العباس المأمون بن مأمون خوارزمشاه ،
كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضي وأبو نصر
الرياضي والفيلسوف أبو سهل المسبجي ، والطبيب أبو الحسن الخوارزمي وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم
الى بلاطه وبرزهم البيروني . وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويلات
والامارات التي تضايقه جدت في مملكته نهضة أدبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي
بمعاياها ففي الشعر الغنائي برز منوچهري والعنصرى والفرخى وراعبة التصديرية .
وفي الشعر الملحمي برز الفردوسي في شاهنامه التي بلغت الستين الف بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كلیلة ودمنة » الى الفارسية فوضع التقاليد
الفنية للنثر الفني عند الفرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن تلمة من قلاع الثقافة والأدب وكان بلاطهم
حاشدا بمعالجة الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي نراس الحمداني وسواهما ،
بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل أبي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط
الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فومفروا له جوا منيا ملائما وانقطع
اليهم وأبدع ما شاء .

روى ياقوت في معجم الأدباء (32/9) ما نصه : « كان أبو عبد الله منقطعاً الى
بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل في دار ثوراء حسنة ،
وفيها مرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وهو ضئيل محابر وأتسلا ،
فيقوم ويتمشى في الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس

وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ اوراتا آخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى .
 وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وأدب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .
 وبالاختصار ففي هذا القرن لممت في سماء الآداب والعلوم والفنون أبرز الأسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسجرتة الطويلة .

* * *

مصادر الفصل :

- (1) تجارب الأمم — مسكوية .
- (2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري — الدوري .
- (3) الوزراء — الصابي — نشره آدمروز — بيروت 1904
- (4) الاوراق — اخبار الرازي والمتقي لله — الصولي
- (5) صلة الطبري — مهيب القرطبي
- (6) الآثار الباقية — البيروني
- (7) مروج الذهب — المسعودي
- (8) الفخري — ابن طباطبا
- (9) ظهر الاسلام — أحمد أمين
- (10) الخضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — آدم متر
- (11) احسن التقاسيم الى معرفة الاتاليم — المقدسي — نشره دي خويه 1877 م .
- (12) الادب الفارسي في العصر الفزنوي — الدكتور علي الشابي — تونس
- (13) معجم الادباء — ياقوت .

من هو ابن فارس ؟

هو ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . هكذا نسبته اغلب المصادر ، وشذ عن ذلك ابن الاثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ، وكان أبوه مقيما شامعيا لغويا روى عنه أبو الحسين في مقاييس اللغة وفي صاحبي وفي متخير الالفاظ وفي اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم والرازي زائدة عليها كما زادوها في الروزي عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ومسقط رأسه قرية اسمها كرسف جياتاباذ ، وضبطها ياقوت في معجم الادباء — كرسفة — وهي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا اتاه لسأله عن وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شددت علي تئامسي وأول أرض مس جلدي ترابها (1)

لم تفكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام 312 هـ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفي آخره : « قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطن رحمة الله يتزويين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

فإذا كان ابن فارس قد روى عن القطن سنة 332 هـ وافترضنا ان ذلك كان في اول شبابه أي في العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى تزويين للاخذ عن القطن وابراهيم بن علي ورحل الى زنجان واخذ من احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ من احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن همذان ومنها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة مسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمدية وهي محلة في الري ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وفاته خلاف كثير وأصح الأقوال انه توفى سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من اصل اعجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير ما قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة . والواقع ان ايران في القرون الاسلامية الاولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي ، فإذا أضفنا لذلك ان تكلمه بلسان القزاونة أمر طبيعي تلميه ظروف المجاورة للسكان الاصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربي بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان أبي فارس كان شديد المعسبة للعرب

(1) انظر البيت في بلاغات النساء : لاحمد بن أبي طاهر البغدادي ص 199 ، وروايته فيه . — بلاد بها حل الشباب تئامسي — وهو منسوب فيه لجارية طائية وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منمع الى وسلس ان يصوب سبحانه
والبيتان في أمالي القالي 83/1 ونسبتهما فيها لرقاع بن تيس الاسدي ورويا في اللسان مادة (تم) 336/14 منسوبين لرقاع الاسدي ، وهما في اللسان في مادة (نوط) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصون من غير عزو ص 206 وهو كذلك من دون عزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة (منمع) وزهر الاداب 682 .. وقد نسبا لامرأة من طيء في سبط اللالي 272 ومحاضرات الرافب 676/2 .

(2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن شنب 247/1 دائرة المعارف الاسلامية .

والعربية في مصر استنقلت فيه دعاوي الشعبين، يكشف من ذلك كتابه — الصحابي في لغة الفقه وهو تمصّب يمليه الانتساب اليهم على الأغلب .

وبالإجمال فإن انتسابه للعرب أقرب للصواب في رأينا من أخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليس معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة جمال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته : فقال : من انبسط الى الإخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على مراعاة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنه .

ومن أخباره : انه كان يناظر في الفقه ماذا وجد نقيها أو متكلما أو نحويا كان يأمر أصحابه بسؤالهم آياه ، وينظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارما جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه — نعتا نقيه العرب — ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من تصر عليه من اللغة وفولط غلظ (4)

وكان شاعري المذهب ، ثم صار مالكا في سنواته الأخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الألسنة .

وفي نزعة الألباء انه قال حين غير مذهبه (6) : دخلتني الحمية لهذا الإمام المقبول القول على جميع الألسنة ، أن يخلو مثل هذا البلد — يعني الري — عن مذهبه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد مخره ، فان الري أجمع البلاد للمقاتلات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها .

ورواية الخبر في بغية الوعاة (7) انه قال : — أخذتني الحمية لهذا الإمام ان يخلو مثل هذا البلد من مذهبه .

ونراه في الصحابي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من لغة الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : ليس على هذا ، وإنما على

-
- (3) معجم الأدياء 89/4 .
 - (4) أنباء الرواة على أنباء النحاة 94/1 .
 - (5) معجم الأدياء 83/4 — 84
 - (6) نزعة الألباء 321
 - (7) بغية 352/1
 - (8) الصحابي 66

اتمامة الدليل على منحنه . نقل الآن في رجل يزوم . اقامة الدليل على صحة شئ ما لا يعرف معناه . ولا يدري ما هو ؟ ونعموذ بالله من سوء الاختيار ! »

وفي الموضع ذاته ينقل نصا لابن داود في نقده الأمام الشامي وتزبيته للإمام مالك بن انس .

وهو في موضع آخر من — الصاحبى — برد على منكري قول الإمام مالك في الجائحة فيقول (9) : « قال احمد بن فارس : واترض قوم بهذا الذي ذكرناه على ابي عبد الله مالك بن انس في قوله في الجائحة . لان مالكا يذهب الى ان الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لانها قليل بمنزلة ما تناله العراني من الطير وغيرها وما تلقبه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث — وما زاد — فهي كثيرة ، ولزم وضعها للحديث الروي فيها . قال المعترض على ابي عبد الله مالك — رحمه — : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب اليه مالك لان قوله — جل ثناؤه — (تم الليل الا قليلا) قد جعل النصف قليلا فاذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب ان يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا ان مالكا انما ذهب في جملة الثلث كثيرا الى حديث حدثناه على بن ابراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابي عبيدة عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه قال : « اي رسول الله ! ان لي مالا وليس يرثني الا ابنتي ، امانصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قات : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال الثلث — والثلث كثير — انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم يتكفون الناس . فيقول رسول الله — صلعم — اخذ مالك ، ورسول الله — صلعم — اعلم بتأويل كتاب الله — جل ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعطل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فاذا عرفنا انه الف (الصاحبى) في الشطر الاخير من حياته ادركنا صحة ما نقل من انه كان شاميا ثم صار مالكا وفي هذا يقول القنطي : « وكان من رؤساء اهل السنة المجودين على مذهب الحديث » (10) .

غير ان بعض مؤرخي الشيعة الاماضل ذهبوا الى انه تستر بالشامية والمالكية وانه كان شاميا (11) .

وذا درس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه ابوالحسين لامير المؤمنين — علي بن ابي طالب — ، مماثر الامام تدور على لسانه في الصاحبى وفي المتخير وربما في غيرهما مما ضاع من آثاره .

(9) الصاحبى 137 — 138

(10) انباء الرواة 95/1 .

(11) انظر تنقيح المقال 76 واهيان الشيعة ص 216 — 217 .

جاء في المتخير : « وذكر ابن عباس عليا — عليهما السلام — فقال : سطة في العسيرة وصبر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، وبقته في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال . »

وقال في الصحابي (12) : « نصاروا بعدما فكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن مريضة نيلتي ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول أمير المؤمنين علي — صلوات الله عليه — حين سئل عن ابنتين وابوين وامرأة : « صار ثمنها تسما » فسويت المنبرية ، والى ان يقول هو — صلوات الله عليه — على منبره ، والمهاجرون والانتصار متواترون : « سلوني لو الله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل » ، وحتى قال — صلوات الله عليه — وأشار الى ابنه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون . »

وجاء في الصحابي (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي — رضه — انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله — صلعم — فاقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : مجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال : قال ابو عبيد : حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رأيت أحدا أترا من علي — صلوات الله عليه — ، صلينا خلفه فأسوا برزخا ، ثم رجع لقرأ ثم عاد الى مكانه . قال ابو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فإراد ابو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي — صلعم — منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انتهى اليه .

من هذه الاموال المبررة عن حب ابن فارس آل البيت الكرام ، ومن تعيينه مؤدبا واستاذا للامير البويهى ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج الطوسسى والماتاني والعاملي امر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن فارس صار مالكا بعد ان كان شامعا هبة لرجل — على حد قوله — فلم نستبعد تشييعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومآثره .

* * *

(12) الصحابي من 78 — 79 .
(13) الصحابي من 200 — 201 .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 80/4 .
- (2) المزهري — السيوطي 414/1 .
- (3) بغية الوعاة — السيوطي 352 /1 .
- (4) مرآة الجنان — اليانعي 442/2 .
- (5) وفيات الاميان — ابن خلكان 100/1 .
- (6) شذرات الذهب — ابن العماد 132/2 .
- (7) نزهة الالباء — الانباري 320 .
- (8) انباء الرواة — القنطي 92/1 .
- (9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 ص 236 — 244 .
- (10) الديباج المذهب — ابن نرحون ص 35 .
- (11) مفتاح السعادة 109/1 .
- (12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
- (13) بتيمة الدهر — النعماني 400/3 .
- (14) مقدمة تمام نصيح الكلام — الدكتور مصطفى جواد .
- (15) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (16) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (17) البداية والنهاية — ابن كثير 535/11 .
- (18) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 212/4 .
- (19) معجم البلدان — ياقوت 212/4 .
- (20) الآثار الباقية — البيروني 338 .
- (21) دمية التمر — البخارزي 297 .
- (22) مقدمة معجم المتاييس — عبد السلام هارون .
- (23) فهرست ابن النديم ص 80 .
- (24) الفلاحة والملوكون — النلجي — 141 .
- (25) العبر في خبر من خبر — الذهبي — 58/3 .
- (26) الاعلام الزركلي 184/1 .
- (27) معجم المؤلفين — كحاله 40/2 .
- (28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان 357/2 .
- (29) دائرة المعارف الاسلامية — محمد بن شنب 247/1 .
- (30) روهمات الجنات — الخوامنساري 64 .
- (31) طبقات المفسرين — السيوطي ص 4 .

- (32) عيون التواريخ — ابن شاعر الكتبي مخطوط 12 : 1/258 — 1/261 .
- (33) الوافي بالوفيات — الصفدي — مخطوط — 111/6 .
- (34) المختصر في أخبار البشر — أبو اللداء 142/2 .
- (35) سيد النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
- (36) مقدمة الصاهبي في فقه اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
- (37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادي من 40 — طهران 1302 هـ .
- (38) المهرست — الطوسي من 36 .
- (39) منتهى المقال — أبو علي الحائري من 39 .
- (40) تنقيح المقال — عبد الله المامقاني 76/1 .
- (41) أعيان الشيمة — العاملي 215/9 — 228 .
- (42) مخطوطات الموصل — داود جلبي من 67 .
- (43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضي شعبة — مخطوط — 189 و 190 .
- (44) تلخيص ابن مکتوم — مخطوط — 15 — 16 .
- (45) ايضاح المكنون — البغدادي 421/1 .
- (46) دائرة المعارف — البستاني 419/3 .
- (47) تاريخ الادب العربي — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 265/2 .
- (48) كشف الظنون — حاجي خليفة : 33 ، 89 ، 90 ، 173 ، 690 ، 722 ، 827 ، 828 ، 1068 ، 1069 ، 1279 ، 1454 ، 1574 ، 1605 ، 1615 ، 1804 ، 1848 .
- (49) سلم الوصول من 113 .
- (50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مصطفى .

شيوخه :

- 1 — والده (مارس بن زكريا) (ت 369 هـ) : روى عنه ابن مارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المعاييس . وروى عنه كذلك في الصاهبي وروى عنه في مخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وفي نزهة الالباء 321 وكان المذكور نقيبها لغويا شامعيا .
- 2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان (254 — 345 هـ) : روى عنه ابن مارس في مخير الالفاظ كثيرا كما روى عنه في المعاييس وفي الصاهبي في مواضع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وطبقات المسريرين من 4 ومعجم الادباء 82/4 .
- وانظر ترجمة القطان في المعبر للذهبي 367/2 وغاية النهاية لابن الجوزي 516/1 ومعجم الادباء 218/12 .

- 3 — علي بن عبد العزيز المكي (ت 286 او 287 هـ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي ابي عبيد القاسم بن سلام — غريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في المعبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الالباء 216 .
- 4 — احمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في المعبر للذهبي 320/2 .
- 5 — احمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 وطبقات المفسرين 4 .
- 6 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلمة بن مخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في انباء الرواة 95/1 .
- 7 — سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت 360 هـ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المفسرين 4 . وللطبراني ترجمة في المعبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .
- 8 — احمد بن محمد بن اسحاق الدينوري : روى عنه ابن فارس في المقاييس وانظر ترجمته في المعبر للذهبي 332/2 .
- 9 — ومن شيوخه علي بن احمد الساوي .
- 10 — ومن شيوخه ابو بكر محمد بن احمد الاصفهاني .
- 11 — ومن سمع عنهم ابن فارس : ابو احمد ابن ابي الثيار (معجم الادباء 90/4) ومبد الرحمن بن حمدان (الصحابي 29) . واحمد بن محمد بن بندار (الصحابي 43) . وعلي بن محمد بن مهروية (الصحابي 47) . وابو الحسن احمد بن محمد مولى بني هاشم ، وقد حدثه بقزوين (الصحابي 52) . وابو عبد الله احمد بن محمد بن داود الفقيه (الصحابي 83) . وابو بكر احمد بن علي بن اسماعيل الناقد (الصحابي 129) . وابو الحسن المعروف بابن التركية (الصحابي 155) .

تلاميذه :

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

- 1 — صاحب بن عباد (التولى سنة 385) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .

وهو القائل — شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف .

2 — بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة 398) انظر ترجمته في الاعلام 112/1 وفي معجم المؤلفين 209/1 .

3 — أبو طالب مجد الدولة بن نصر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي .

4 — علي بن القاسم القرني — وقد قرأ عليه كتابه (أوجز السير لخير البشر) ويذهب من هذا الكتاب أن ابن مارس سكن في الموصل زمنا وقرأ عليه القرني فيها كتابه هذا .

5 و 6 — وقد روى عنه ليما ذكر ابن مرحون في الديباج المذهب — أبو ذر والقاسي أبو زرعه وهو نقيه مالكي واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القرني .

7 — أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالفخبان .

8 — أبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباساني .

9 — أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت 447 هـ) — طبقات الشافعية الكبرى 388/4 .

10 — أبو زرعه روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي (ت 423 هـ) — طبقات الشافعية 379/4 .

صلته بتلاميذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلته بالصاحب وبالهمذاني .

أما صاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن أبي الحسين بن مارس ، لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتمصبه له ، فانفذ إليه من همذان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وأمر له بعلة (14) . ثم لما انتقل ابن مارس إلى الري ليقرا عليه مجد الدولة ذكرت المصادر أن صاحب تلمذ على ابن مارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف (15) .

* * *

(14) يتيمة الدهر 204/3 ، وانظر الخبر في معجم الأدباء 87/4 وانباء الرواة 93/1 .
(15) انظر : معجم الأدباء 83/4 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الألباء 321 .

وأما بديع الزمان الهمذاني فيبدو انه كان يكن ودا صادقاً لاستاذه وهرماتاً
لجميله . فقد ذكر الهمذاني في مجلس أبي الحسين بن مارس مقال ما معناه (16) :
ان البديع قد نسي حق تعليمنا آياه وعقنا وشمخ بانفه عنا ، فالحمد لله على مساد
الزمان وتغير نوع الانسان ، مبلغ ذلك البديع ، فكتسب الى أبي الحسين ،
« نعم اطل بقاء الشيخ الامام ، انه الحما المسنون ، وان ظننت الظنون
والناس لادم ، وان كان العهد قد تقادم وارتكبت الاضداد واخطط الميلاد ، والشيخ
يقول : مسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أمي الدولة العباسية وقد رأينا
آخرها وسمعنا أولها ، أم المدة الروائية وفي أخبارها :

لا تكسع الشول باغيارها .

أم السنين الحربية :

والسيف يمسد في الطلبي والرمح يركز في الكلبي
ومبيت حجر في الفلا والحر تان وكسريلا

أم البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم برأس من بني مارس . أم
الايام الاوية والننير الى الحجاز والميون الى الامجاز ، أم الامارة المدوية وصاحبها
يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، أم الخلافة القيسية وصاحبها يقول : طوبى لمن
مات في نائاة الاسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا فلانة فقد
ذهبت الامانة ؟ أم في الجاهلية ، وليبد يقول : وبقيت في خلق كجلد الاجرب أم قبل ذلك
وأخو عاد يقول :

بلاد بها كنا وكنا نجبها اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروي لادم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مفسر تبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)..
وما مسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل
يفسد الشيء الا من صلاح ، ويمسي المرء الا من صباح ، ولعمري ان كان كرم العهد
كتاباً يرد ، وجواباً يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لفتير الى لقائه ،
شفيق على بقاءه ، منتسب الى ولائه ، شاكراً لآلائه .

وان له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو
مررت لكتابي موقعا من قلبه لا فتنت خدمته به ، ولرددت اليه سور كآسه ، وفعل
نفاسه . ولكني خشيت ان يقول : هذه بضامتنا ردت الينا ، وله ايده الله العتيبي ،

(16) انظر يقية الدهر 270/4 والبيان من رسائل بديع الزمان ص 415 ونهاية
الارب 262/7 .

والمودة في القربى ، والرياح ، وماضيه الجلد وناله الباع ، وما ضمنته المشط :

ووالله ما هي عندي رضى ولكنها جل ما أملاك

واثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانية ، وأنا وان لم أكن خراساني الطينة ،
ماني خراساني المدينة ، والرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث
ينبت ، لا من حيث ينبت ، فان انضاك الى خراسان ولادة همدان ارتفع القلم وسقط
التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، فليحتلني الشيخ على
هناسي ، اليس صاحبنا يقول :

لا تلمني على ركائة عقلي ان تيقنت انني همداني

* * *

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاي ، والخدمة رقى بغير سر
اشهاد ، وناصرته ، والمناصحة للود اوثق عماد ، وناديته ، والمناداة رفيع ثان ،
وطاعته ، والمطامية نسب دان ، وسافرت معه ، والسر والاخوة رضيعا لبان ،
وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا عنان ، واثنت عليه ، والثناء عند الله بمكان ،
واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذي نخلص اليه من كل ما تقدم ان بديع الزمان الهمداني كان برا باستعاذه
بتمسكا بحبل ولائه ، ذاكرا وشاكرا فضله .

اخلاقه وطباعه :

وكان كريما جوادا ، تريبا وهب السائل ثيابه ومرش بيته ، وكان له صاحب
يقال له : ابو العباس احمد بن محمد الرازي المعروف بالفضبان ، وسبب تسميته
بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف في بعض اموره .

قال : كنت ريبا دخلت لاجد مرش البيت او بعضه تد وهبه ، فاماتبه على
ذلك ، واضجر منه ، لمضحك من ذلك ، ولا يزول من عادته ، فكتبت متى دخلت عليه
ووجدت شيئا من البيت تد ذهب ، علمت انه تد وهبه ، فامبس ، وتظهر الكآبة في
وجهي ، فبيستلني ويقول : ما شان الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما
كان يمازحني (17) .

وكان مليفا . جاء في الديباج المذهب (18) انه افنى بنوع من يفتح حانوتا قبالة دار رجل .

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله في آخر
(تمام لمصيح الكلام) « هذا آخر ما اردت اثباته في هذا الباب ولم اعن ان ابا العباس

(17) نزعة الالباء ص 321 - 322 .

(18) الديباج المذهب ص 37 .

تصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا أتول أن جميع ما فكرته من علم أبي العباس جزاء الله عنا خيرا « (19) .

وتتضح هذه الخصلة الطيبة فيه حين يقول في الصحابي (20) : « والسذي جمعناه في مؤلفنا هذا مغترق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء - وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع مغترق » .

ومن خلانته روح السخرية والتندر التي تبدو في شعره أوضح ما تبدو ، كما يشف عنها ما رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال (21) : سمعت أبا الحسين أحمد بن مارس يقول : التفتخ عند الأطباء كناية عن الضرط والفسو ! والتقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية ! والوطء عند الفقهاء كناية عن الجعاب ! وطبيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كناية عن الواجرة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما أماء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة !

تلك المامة موجزة بخلائق هذا الرجل وبابرز صلته .

* * *

شاعريته :

الى جانب قدرات ابن مارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا أصيلا وأنه لن المؤسف ان التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الاصيلة . وتفلسف النماذج القليلة التي وصلت الينا من شعره روح السخرية من متناقضات زمنه فهو في همدان يدعو لها بالسقيا واهشأوه تلتهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسي بها ما كان يعلم وفرق في ديونه ! ان السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همدان الفيث لست بقائل	سوى ذا وفي الاحشاء نار تضررم
ومالي لا أصغى الدماء لبلدة	أفدت بها نسيان ما كنت أعلمم
نسيت الذي أحسنه غير أنسى	مدين وما في جوف بيتي درهم

* * *

(19) تمام نصيح الكلام ص 25 .
(20) الصحابي 31 .
(21) المنتخب : الجرجاني ص 120 .

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من تيم مجتمعه الذي يوتر الفنى لغناه
ومالك الدرهم لدرهيه فيقول :

يا ليت لي الف دينار موجهة وان حظي منها فلس ائلاس
قالوا : فما لك منها قلت يخدمني لها ومن اجلها الحمقى من للناس

وانطلاقا من قاعدة توتير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بها كلف مفسرم
مارسل حكيمها ولا تومسه وذاك الحكيم هو الدرهم

ونراه في موضع آخر يلح على هذه الفكرة شرحا وايضاها ويعرضها عرضا
جديدا اذ يقول :

تد قال فيما مضى حكيم ما المرء الا باسفريه
نقلت قول امرئ لبيسب ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهميه لم تلتت عرسه اليه
وكان من ذلله حقيرا تبول سنورهم عليه

وتأسيسا على ما تقدم فقد واجه ابن فارس مأساته وجها لوجه .. فالعلم والادب
لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب فليس
فيهما مورد رزق :

وصاحب لي اتاني يستشير وقد اراد في جنبات الارض مضطربا
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد منه الموارد الا العليم والادب

لقد كان شعوره بالغربة والضياع .. ضياع الابداء والعلماء في عصره جميعا
وجديا وموشحا بالكآبة ولذلك قرانا له قوله :

وتالوا كيف حالك قلت خير نقفي حاجة وتكوت حاج
اذا ازحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديبي هرتي وانيس نفسي دناتر لي وممشوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا واخل الامور لمن يملك
تقدر أنت وجاري القضا و مما تقدره يفحك

ويقول أيضا :

مشيئتها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاهدا
وما غلظت رقاب الأسد حتى بانفسها تولت ما عناها

وبمثل هذه الروح القائمة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة
خاشعة وتوبة من الأخطاء تبيل وفاته اذ يقول :

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها علما وبها وباعلامي واسراراي
انا الموحد لكلي المتر بها فهب ذنوبي لتوحيداي واتراري

* * *

ان ابن فارس الذي تضى حياته قارئا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف
وبرد الشتاء من طلب العلم فنراه يعبر عن ذلك بقوله :

اذا كنت تأذى بحر الصيف وييس الخريف وبسرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع ناخذك للعلم تل لي متى ؟ ؟

* * *

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فنراه يحذرك قائلا :

اسمع مقالة نامح جمع النصيحة والمثبه
اياك واحذر ان تبني ست من الثقات على ثقة

* * *

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليه حين ساء صنيمه وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجسرب ولم ار خيرا منه عدت اليه

* * *

وتبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يمانوا
تجربة الحب من أماتهم فبقي غزلهم سطحيا استمع الى قوله :

قالوا لي اخترت فقلت ذا هيف بي عن وصل ومده برح
بدر مليح القوام معتدل تلهاه وجهه ووجهه ربح

وتوليه :

مرت بنا هيفاء متدودة تركيبة تنبي لتركبي
ترنو بطرف فاتن فاطر كأنه حجة نحوي

وتوليه :

كل يوم لي من سل هي عتاب وسبب
وسادني ما الاتي منهما يودي الشبب

وتظل بعد هذا تصيدة عينية قالها في معاني كلمة (العين) في اللغة رأينا من
الجدير اثباتها ها هنا استكمالا للبحث فهي النموذج لاستعمال الشعر في تقييد مسائل
اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بذات الضال من أضم سكاك صوب حيا من واكف العين
العين سحاب ينشأ من قبل العجلة .

انني لأذكر أياما بها ولنا في كل اصباح يوم قرة العين
العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

تدني معشقة منا معشقة تشجها عذبة من نابح العين
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .

اذا تمزها شيخ به طرق سرت بقوتها في الساق والعين
العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملان من ماء السرور فلا تخشى توله ما فيه من العين
العين ها هنا : ثقب يكون في الزادة ، وتوله الماء : ان يشرب .

وهاب هذالنا منا فلا كدر في عيشنا من رقيب السوء والعين
العين ها هنا : الرقيب .

يقسم الود فيما بيننا تسما ميزان صدق بلا بغس ولا عين
العين ها هنا : العين في الميزان .

وفائض المال يفئينا بحافره فنكتفي من ثقل الدين بالعين
العين ها هنا : المال الناض .

والمجمل المجتبي تفتنى نوائده حفاظه من كتاب الجيم والعين

* * *

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر السري ، في أيام صاحب فتوح أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضي حق عليه وفضله ، وتوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويقضي حق مقدمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه ، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة :

تعديت في وصلي عمدي عتابك	وأدنى بديلا من نواك أيابك
تيعنت أن لم أحظ والشمل جامع	بأيسر مطلوب فهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بمعدك صبره	غداة ارتنا المرتلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة	لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقيت والصب يصبو ليلها	من الوجنات الغانيات نقابك
ولا قلت يوما عن قلبي وسامة	لنفسك : سلي عن ثيابي ثيابك
وأنت التي شبيت قبل أوائسه	شبابي سقى الفر الغوادي شبابك
تجنبت ما أومئى وهاتبت ما كنسى	الم يأن سعدى أن تكسى عتابك ؟
وقد نبحتني من كلابك عصبية	فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجانيت من مستحسن البر جميلة	وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات ، أرسلها إلى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة - أطال الله بقاء الأستاذ - وفهمتها ، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسين فإنه سيرني نصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الحلوى من الموائد ، وتمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسح الذيل ، وأوقمه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، ومذلك من الحساب ، وقد اجبت عن أبياته بأبيات ، أعلم أن فيها ضمنا لعلتين علتني ، وعلتها ، وهي :

ايا ائلاث الشعب من مرج يابـس	سلام على آثاركن السدوارس
لقد شاتني والليل في شملة الحيسا	اليكن ترجيع النسيم المخالـس
ولمحة برق مستنفيء كأنه	تردد لحظ بين أجفان ناعـس
نبت كائسي ممعدة يمينية	تزعزع في نقع من الليل دامـس
الا حبذا صبح اذا أبيض أفتـه	تصدع عن ترن بين الشمس وارس
ركبت من الخلاء أرتب سيلها	ورود المطي الظلمات الكوائـس
فيا طارق الزوراء قل لفيومها	أهلي على مغنى من الكرخ آنـس

وقل لرياض القمص تهدي نسبيها
 الا ليت شعري هل ابين نيلسة
 وهل ارين الري دهليز بابك
 ويصبح ردم السد تفسلا عليهما
 فلت على بعد المزار بأبيس
 لقي بين اقراط المها والمحابس
 وبابك دهليز السى أرض مارس
 كما صرت تفسلا في قواني ابن مارس

نعرض ابو القاسم الحسولي المتطوعتين على صاحب ، وعمره الحال قتال :
 البادية اظلم ، والقادم يزار ، وحسن العهد من الايمان .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 81/4 — 98 .
- (2) بنية الدهر — الثعالبي 400 — 407 .
- (3) وبيان الاميان — ابن خلكان 100 — 101 .
- (4) بغية الوعاة — السيوطي 352 — 353 .
- (5) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (6) انباء الرواة — القفطي 93 — 95 .
- (7) الفلاحة والفلاكون — الدلجي 141 — 142 .
- (8) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 213/4 .
- (9) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (10) الآثار الباقية — البيروني ص 338 .
- (11) التذكرة السعدية — العبيدي — مخطوط —
- (12) شذرات الذهب — ابن العماد 133/3 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوري
 من نسخة كوبرلي بالاستانة .
- (13) اعيان الشيعة — العاملي 226/9 .
- (14) نزهة الالباء — الانتباري 322 .
- (15) دائرة معارف — البستاني 419/3 .

آثاره :

ضرب ابن مارس يسهم والمرفق حركة التأليف في عصره ، وفي ألوان متعددة من
 فنون المعرفة . وقد حفظت لنا أسماء تأليفه الكثار . وهذه التأليف ثلاثة أصناف :
 المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود . وبما يلي ثبتا بهذه التأليف طبقا لاصنافها :

أولا : آثاره المطبوعة :

1 — أبيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نوازل

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حققه على نسخة مريـدة
محفوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

2 — الإنباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تأليف ابن مارس في بغية الوعاة 352/1 رقم
الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية في كتابه المزهري 414(1) وقال انه اختصره وزاد عليه
ما فات المصنف في تأليف سماه « الإلماع في الإنباع » . وكتاب الإنباع والمزاوجة يبحث
فيما ورد من كلام العرب مزدوجا . وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو في
جيسن بالمانيا سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة في 626 هـ . ثم أعاد نشره
كمال مصطفى في القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة
برنو المذكورة ونسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية ومؤرخة في 711 هـ وهي
من كتب العلامة الشنتيطي .

3 — تمام نصيح الكلام : ورد في معجم الأدباء 82/4 باسم (المصيح) وفي هدية العارفين
68/1 باسم (تمام النصيح في اللغة) وفي تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 268/2 ورد
باسم (تمام نصيح الكلام) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنكو نسخة منه عن
مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروروذ يوم 7 من ربيع الثاني 616 هـ عن
نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي أ . ج . آربري في لندن سنة 1951
بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بتي في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة
النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان
ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ ان النسخة المذكورة
ضمن مجموع يضم نصيح ثعلب ثم تمام النصيح لابن مارس ثم مقتطفات من كتاب
لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و (تمام نصيح الكلام)
أعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل في النحو
واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة من وزارة الثقافة والأعلام العراقية
— طبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية .

4 — خلق الانسان : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 كما ذكره السيوطي في بغية الوعاة
352/1 وطبقات المسردين 4 وورد ذكره أيضا في كشف الظنون عمود 722 وهدية
العارفين 68/1 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 267/2 باسم مقالة في
أسماء أعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجليبي في مجلة (لغة العرب)
— 9 — بغداد 1931 (ص 110 — 116) ثم أعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في
الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق —
نيسان 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافا
للامانة العلمية .

5 — ثم الخطأ في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 109/1 وبروكلمان 266/2 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي للمصاحب بن عباد — مطبعة المعاهد — القاهرة 1349 هـ .

6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المسردين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عناوين مختلفة من نسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم (مختصر سيرة رسول الله) ونسخة برلين عنوانها (مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه) وعنوان نسخة الفاتيكان (راعي الدرر ورامق الزهر في أخبار خير البشر) وفي هامبورغ (اخضر سيرة سيد البشر) وفي بايزيد بالاستانة (مختصر سيرة رسول الله) .

وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر أول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان (أوجز السير لخير البشر) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد .

7 — صاحب في لغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم (لغة اللغة) في نزهة الألباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وهدية العارفين 68/1 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم (صاحب) في معجم الأدباء 84/4 وكشف الظنون 1068 وهدية العارفين 68/1 وسمي بذلك لأنه صنفه برسم خزانة المصاحب بن عباد ، وذكر باسم (لغة اللغات) في طبقات المسردين 4 ومفتاح السعادة 109/1 ، والكتاب واحد وان اختلفت التسميات ، وقد صرح ابن مارس بذلك في مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب — صاحب في لغة العربية .. وانما عنوانه بهذا الاسم لاني لما لفته اودعته خزانة صاحب الجليل كافي الكفاة الخ ... وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب من المكتبة السلطانية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنقيطي . ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد واياصوميا الدكتور مصطفى الشويبي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع ا . بدران — بيروت .

وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور دبدوب أوهم بأن الشيبات والحلي هو كتاب لغة اللغة فوجب التنبيه وعنه نقله مصطفى جواد في مقدمته لتسام نصيح الكلام ، دون أن ينتبه لشناعة الفلظ .

8 — لتيا لغة العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري في نزهة الألباء 321 والعطفي في أنباء الرواة 94/1 والسيوطي في الزهر 622/1 وسماء ابن خلكان في الوفيات (مسائل في اللغة وتعاييبها الفقهاء) 100/1 وسماء اليانعي في مرآة الجنان 442/2 (مسائل في اللغة يتعاني الفقهاء) وتوهم السيوطي في بغية الوعاة 352/1 غلظه كتابين الاول فتاوى لغة العرب والثاني مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماء الدلجسي في

(الفلاكة والمفلوكون) (مسائل في اللفة يمايا بها الفقهاء) ص 141 ومثله في الديباج المذهب ص 36 . وسمي (متاوي لقيه العرب) في هدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة لمريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا ممتازا جديرا بالتقدير .

9 — اللامات : ذكره بزوكلمان 267/2 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسي في مجلة (اسلاميكا) 77/1 — 99 الصادرة سنة 1924 — 1925 ويشرف على هذه المجلة المستشرق ميشسر .

10 — متخير الالفاظ — وقد ذكره ابن مارس في آخر الجزء الثاني من (المجل) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجمل اللفة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه واعلم اني توخيست الاختصار كما أرغب وآثرت الإيجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي أسميتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأتربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كالميا في بابه مستعينا في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها في الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه (متخير الالفاظ) والله أسأل أن يوفقنا وإياك لكل سالحة ويميزنا وإياك من السوء كله . »

وقد ورد ذكر المتخير في معجم الأدباء 84/4 وفي نزهة الالباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كنايةات الأدباء باسم مختار الالفاظ ص 145 وسنفرد لهذا الكتاب نصلا مستقلا .

11 — مجمل اللفة : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الالباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 ووفيات الأعيان 100/1 والفلاكة والمفلوكون 141 وشذرات الذهب 132/3 والنجوم الزاهرة 212/4 والكمال لابن الأثير 258/8 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهديسة العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 104/1 وقد ذكر بزوكلمان 265/2 مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن أن نضيف إليها مخطوطة المتحف المرآتي وهي من أنفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي أشرنا إليها . وقد نشر الجزء الأول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة وأوله كتاب الهمزة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ — 1914 م

بمطبعة السعادة وعدد صفحاته 319 صفحة . ثم أعيد طبع الجزء الأول بتحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد سنة 1947 بمطبعة السعادة أيضا بمصر وعدتته 319 صفحة أيضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشر أجزاءه الباقية حتى اليوم وقد علمنا أن بعض المرابطين قد نهد إلى تحقيقه فمضى أن يكمل هذا الجهد بالنجاح لينفض عن هذا السفر النفيس غبار القرون وتوهم الدكتور لميصل دبدوب حين ظن أن المجلد بكامله مطبوع .

12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن فارس في كتابه الصحاح ص 162 إذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثنية وقد ذكرنا وجده كلا في كتاب المرنداه » . وذكرها بروكلمان 267/2 . وقد نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن ليه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي إلى الإمام الفخر الرازي ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

13 — مقاييس اللغة : ذكره باتوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المسردين 4 وذكر في هدية المارمين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة أجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 — 1371 هـ — دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه معتمداً بخطوطه مرو ومخطوطة القاهرة . ومن الكتابين مخطوطتين في لندن .

14 — النيروز — نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نوادر المخطوطات — القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1373 هـ — 1954م وقد اعتمد في نشرها نسخة مريدة في الخزانة التيمورية بالقاهرة .

15 — رسالته إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجاً طيباً لنثره الفني وقد تضمنت دفاعاً من الحساسات المحدثه وعن محاسن شعراء عصره. أثبت منها الثمالي مصلحاً مهماً في البيئمة (401/3) رأينا اثباته في هذا الموضوع لأنه من جيد آثاره المطبوعة . قال ابن فارس :

الهيك الله الرشاد وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانتصاف .
وسبب دهائي بهذا لك انكارك ملي أبي الحسن محمد بن علي العجلي تاليفه كتاباً في الحياصة ، وأعطاك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقته ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولله هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولله تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر . كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلا أزمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل المعلوم بمد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على مسعى زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولله لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى

يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جيمه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نواذر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ او ما علمت ان لكل تلب خاطرًا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز ان يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجزان يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسما ، وحظرت مباحا ، وحرمت حاللا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز ان يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، واهل النحو في معنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه امر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب ادب غزير ، ولضلت انهام ثابتة . ولكلت السن لسنة ، ولما توخى احد الخطابة ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الاسماع كل مردود مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ وختام لا يسام .

لو كنت من مازن لم تستبح ابلسي

والى متى : صفحنا عن بني ذهل

ولمه انكرت على العجلي معروفا واعترفت لحمزة بن الحسين ما انكره على أبي تمام في زعمه ان في كتابه تكريرا وتصحيفا وايطاء واقواء ونقلًا لأبيات عن أبوابها الى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها : الى ما سوى ذلك ، من روايات مدخولة وأمور غليظة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثت على اثاره ما غيبت الدهور ، وتجديد ما اخلقتة الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وانكار هذا العصر على ان ذلك لو رامه رائم لآتمبه . ولو فعله لقرات ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروتك واستنباط يمجبك ، ومزاح يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما والى جنبه رجل اكول ، فاحس أبو حامد بجودة اكله فقال (من الرجز) :

وصاحب لي بطنه كالحاوية كان في امعائه معاوية

مانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وتووع الامعاء الى جنب معاوية وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد مجرد وأبو الشمتقى ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبته ؟ او في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني نظر الى حاكم من حكامها من اهل طبرستان مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطليسان أزرق وتيمم شديد البياض وخفه احمر وهو مع ذلك كله تمسير علسي برذون ابلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر اليه (من السريع) :

وحاكم جاء على ابلنق كتمتق جاء على لتلق

ملو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة
التشليل ولعلبت انه لم يقصر من قول بشار (من الطويل) :

كان مثار النقع فوق رؤسنا واسياننا ليل تهاوى كواكبها

لما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجود تجويده ؟
وانشدني الاستاذ ابو علي محمد بن احمد بن الفضل لرجل بشيراز يمصرف
بالمهذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض
منه (من المتقارب) :

وتيت الردى وصروف العليل ولا هربت تدماك الزليل
شكا المرض الجعد لما مرضت فلما نهضت سليا ابل
لك الذنب لا عتب الا عليك لماذا اكلت طعام السفيل
طعام يسوى ببتع النبيذ ويصلح من حذر ذاك الممسل

وانشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الاسدي وقد راينه فرأيت
صفا وانقت الموصوف (من المنسرح) :

وامغر اللون ازرق الحدقة في كل ما يدهيه غير تمنة
كائه مالك الحزيبين اذا هم بزرق وقد لوى عنقه
ان تمت في هجوة بقايبه نكل شعر اتوله صدته

وانشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من اهل تزوين ويعرف
بابن المنادي (من الوامر) :

اذا ما جئت احمد مستيحجا فلا يفررك منظره الانيسق
له لطف وليس لديه مصرف كبارتسة تروق ولا تريسق
لما يخشى العدو له وهيسدا كما بالوعد لا يثق الصديسق

وليوسف محاسن كثيرة وهو القائل ، ولملك سمعت به (من الخفيف) :

حج مثلي زيارة الخمسار واقتناني العتار شرب العتار
ووقاري اذا توتر ذو الشيبسار وسط الندى ترك الوقار
ما ابالي اذا المدامة دامت هذل ناه ولا شنامة جاري
رب ليل كانه فرع ليلسى ما به كوكب يلوح لسارى
قد طويناه فوق خشب كهيل احور الطرف ماتر سمار
ومكفنا على المدامة نيه فرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإيجاز أمثل وما احسبك ترى
بتدوين هذا وما أشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره تصيدة
يقول فيها كأنه يجيب سائلا (من مجزؤ الكامل) :

جودت شمرك في الأمير فكيف أمرك ؟ قلت : ماتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي منتظله ؟ وبأي شيء تعانده منتدعه عن
الإيجاز والدلالة على المراد باتصر لفظ وأوجز كلام ؟ وانت الذي أنشدتني (من مجزؤ
الكامل) :

سد الطريق على الزمبا ن وقام في وجهه القطوب
كما نشدتني ليمض شعراء الموصل (من المتقارب) :

نديتك ما شبت من كبرة وهدى سنسي وهذا الحسباب
ولكن هجرت مجل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشيباب

لم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها محولة الشعراء وشياطين الانسى
ومردة العالم في الشعر ؟

وانشدنى عبد الله المفلسي المرافي لنفسه (من الطويل) :

غداة تولت عيهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميت
فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم ولا أنا من عيني بذاك رضيت

وانشدنى أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق (من
الخبيف) :

زارنى في الدجى فمغم عليه طيب اردائه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خلود أبرزت من غلالة زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى
أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي (من الطويل) :

أقول لنعمان وقد ساق طيبه نفوسا نفيسات الى باطن الأرض
(أبا منذر أنييت فاستبق بعضنا حنانك بعض الشر أهون من بعض)

* * *

آثاره المخطوطة :

- 1 — أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 ومنه نسخة مخطوطة في تازان (انظر 94 د DER ISLAM XVII) ذكرها بروكلمان 267/2 .
- 2 — الثلاثة : ذكره البغدادي في هدية العارفين 69/1 والزركلي في الامسلام 184/1 وبروكلمان في تاريخ الادب العربي 266/2 وهارون في مقدمة المقييس 28 ومن هذا الكتاب مخطوط بالاسكوريال برقم 363 وقرأنا ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه تمهيدا لنشره وابن فارس يعالج في الكتاب ثلاثة تعاليل للمسادة الواحدة فهو كتاب في الالفاظ . ومن الغريب ان الدكتور مصطفى الشويبي في مقدمته لكتاب الصحابي قال : انه لم يستطيع ان يضع الكتاب في احدى المجموعات السابقة لان عنوانه لا ينم عن موضوعه .
- 3 — الليل والنهار : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 1454 والبغدادي في هدية العارفين 69/1 وطائس كبرى زادة في مفتاح السعادة 110/1 ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة لا ييزغ رقم 780 ذكرها بروكلمان 267/2 وقال ان عنوانها : تصص النهار وسمر الليل .
- 4 — مختصر في المذكر والمؤنث : منه نسخة نريدة في الخزانة النيمورية بدار الكتب المصرية رقمها 265 لفة . وقد قرأنا في مجلة المكتبة الغراء لصاحبها الفضال الاستاذ تاسم محمد الرجب ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه .
- 5 — اليشكريات : ذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي 267/2 ان منه مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق 29 ، 9 ، 3 .

آثاره المنقودة :

ان ما نسميه بالآثار المنقودة لا يعني ان الامل في العثور عليها قد انقطع ، ولكنه يعني انه لم يعثر عليها حتى اليوم وقد تجود بها الايام ضمن نفائس المخطوطات غير المهترسة في كثير من ارجاء الوطن العربي . وما ذلك ببعيد ومخيف الالفاظ الذي ننشره اليوم والذي كشفناه مؤخرا مثال جيد لآثاره التي كانت في وادي الفقدان الى امد تصير جدا . وعلى أية حال فان المنقود من آثار ابن فارس يمكن حصره في الآتي :

- 1 — اصول الفقه : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 .

2 — الأضداد : ذكره ابن فارس في الصحاحي صفحة 66 من الطبعة الأولى والصفحة 98 من الطبعة الجديدة ونص عبارته : « ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو : الجون للأسود ، والجون للابيض . وانكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به . وذكرنا رد ذلك ونقضه . فلذلك لم نكرهه)) .

والاضداد هذا لم يذكره احد ممن ترجم لابن فارس .

3 — الأضداد : ذكره بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في البرهان في علوم القرآن واقتبس منه اقتباسا مطولا من 105 — 110 رأينا من المفيد اثباته لفقدان الأصل وهذا نمسه :

« وقال ابن فارس في كتاب « الأفراد » :

كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) فمعناه الحزن ، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام . (يا أسفا على يوسف) الا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فان معناه (اغضبونا) ، واما قوله في قصة موسى عليه السلام : (غضبان أسفا) فقال ابن عباس (مغناظا) .

وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) فانها الكواكب ، كقوله تعالى (والسماء ذات البروج) الا التي في سورة النساء : (ولو كنتم في بروج مشيدة) فانها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة . وما في القرآن من ذكر (البر) و (البحر) فانه يراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : (ظهر الفساد في البر والبحر) فانه يعني البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : قتل ابن آدم اخاه ، (البحر) أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ، مثل قوله تعالى : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الا حرما واحدا في سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) فان أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى (وبمولتهن أحق بردهن) الا حرما واحدا في الصافات (اتدمون بعلا) فانه اراد صنبا .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمن . كقوله : (مسم بكم) انما اراد (بكم) عن النطق والتوحيد مع صحة السنتهم ، الا حرمتين : احدهما في سورة بني اسرائيل (عميا وبكما وصما) والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل (احدهما أبكم) فانهما في هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

- وكل شيء في القرآن (جثيا) بمعنى (جميعا) الا التي في سورة الشريعة (ونرى كل امة جائية) فانه اراد تجئوا على ركبتيها .
- وكل حرف في القرآن (حسابان) فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف (حسابانا من السماء) فانه بمعنى العذاب .
- وكل ما في القرآن (حسرة) فهو الندامة ، كتوله عز وجل : (يا حسرة على العباد) الا التي في سورة آل عمران : (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فانه يعني به (حزنا) .
- وكل شيء في القرآن : (الدحض) و (الداخض) بمعنى الباطل ، كتولاه : (حجتهم داخضة) الا التي في سورة الصافات : (مكان من المدحضين) .
- وكل حرف في القرآن من (رجز) فهو العذاب ، كتوله تعالى في قصة بني اسرائيل (لئن كشفت عنا الرجز) الا في سورة المدثر : (والرجز ما هجر) فانه يعني الصنم ، فاجتنبوا عبادته .
- وكل شيء في القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد ، وهو قوله تعالى : (نترقب به ريب المنون) فانه يعني حوادث الدهر .
- وكل شيء في القرآن (يرجمكم) و (يرموكم) فهو القتل ، غير التسي في سورة مريم عليها السلام : (لارجمك) يعني لاشتمك .
- قلت : وتوله : (رجبا بالغيث) اي ظنا . والرجم ايضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان : رجييم .
- وكل شيء في القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير التي في المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، فانه كذب غير شرك .
- وكل شيء في القرآن من (زكاة) فهو المال ، غير التي في سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ، فانه يعني (تعطفا) .
- وكل شيء في القرآن من (زافوا) ولا تزغ) فانه من (مالوا) ولا (تمل) غير واحد في سورة الاحزاب : (واذا زاغت الابصار) بمعنى (شخصت) .
- وكل شيء في القرآن من (يسخرون) و (سخرونا) فانه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، فانه اراد اهوانا وخذما
- وكل سكين في القرآن طمانينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : (فيه سكين من ربكم) ، فانه يعني شيئا كراس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .
- وكل شيء في القرآن من ذكر (السخيم) فهو النار والوقود الا قوله عز وجل : (ان المجرمين في ضلال وسمر) ، فانه العناد .

وكل شيء في القرآن من ذكر (شيطان) فإنه ابليس وجنوده وذريته الا قوله تعالى في سورة البقرة : (واذا خلوا الى شياطينهم) ، فإنه يريد كهنتهم ، مثل كعب ابن الأشرف وحبي بن اخطب وأبي ياسر أخيه .

وكل (شهيد) في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، الا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : (وادعوا شهداءكم) ، فإنه يريد شركاءكم :

وكل ما في القرآن من (أصحاب النار) فهم أهل النار الا قوله : (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) فإنه يريد خزنتها .

وكل (صلاة) في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى : (وصلوات ومساجد) فإنه يريد بيوت عباداتهم .

وكل (صمم) في القرآن فهو عن الاستماع للايان ، غير واحد في بني اسرائيل ، قوله عز وجل : (عميا وبكيا وصما) معناه لا يسمعون شيئا .

وكل (عذاب) في القرآن فهو التمثيب الا قوله عز وجل : (وليشهد عذابهما) فإنه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : (كل له تانتون) معناه (مقرون) ، وكذلك في سورة الروم : (وله من في السموات والأرض كل له تانتون) يعني مقرون بالعبودية .

وكل (كنز) في القرآن الكريم فهو المال الا الذي في سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) فإنه اراد صحفا وملبا .

وكل مصباح في القرآن فهو الكوكب الا الذي في سورة النور : (المصباح في زجاجة) فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ، الا قوله جل ثناؤه : (حتى اذا بلغوا النكاح) فإنه يعني الحلم .

النبأ والانباء في القرآن الاخبار ، الا قوله تعالى : (نعميت عليهم الانباء) فإنه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، الا في القصص : (ولما ورد ماء مدين) يعني هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني عن العمل الا في سورة النساء (الا ما آتاها) يعني النفقة .

وكل شيء في القرآن من بأس فهو القنوط ، الا التي في الرعد (ائلم بيئس الذين آمنوا) اي الم يعلموا . قال ابن فارس : انشدني ابي ، مارس بن زكريا :

اقول لهم بالقمب اذ يبسونني الم تئسوا اني ابن مارس زهدم

وكل شيء في القرآن من فكر (الصبر) محمود ، الا قوله عز وجل : (لولا ان صبرنا عليها) و (واضربوا على آلتكم) . انتهى ما فكره ابن فارس .

وقد اقتبس السيوطي في كتابه « الاتقان » 132/2 الاقتباس منه ونرجح انه نقل عن البرهسان .

4 — الامالي : اقتبس منه ياقوت في معجم الادباء 220/12 في اثناء ترجمة علي بن ابراهيم ابن سلمة القطان ونصه : « وقرأت في امالي ابن فارس ، قال : سمعت ابا الحسين القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول : كنت حين خرجت الى الرحلة احفظ مائة الف حديث ، وانا اليوم لا اتوم على حفظ مائة حديث . قال وسمعتة يقول : أصبت ببصري واظن بكثرة بكاء امي ايام مراتي لها في طلب الحديث والعلم . قال ابن فارس : حدثني ابو الحسن علي ابن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الاهد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . وذكر تمام الاسناد .

ومن الامالي اقتبس ياقوت في معجم البلدان 405/1 في رسم اوطاس ونصه : « وقال ابو الحسين احمد بن فارس اللغوي في اماليه : انشدني ابي رحمه الله :

يا دار اتوت باوطاس وغيرها من بعد ما حولها الامطار والمور
كم ذا لاهلك من دهر ومن هجج واين حل الدمى والكئس العور
ردي الجواب على حران مكثب سهاده مطلق والنوم مأسور
لم تبين لنا الاطلال من خبر وقد تجلى العمايات الاخابير »

5 — أمثلة الاسجاع : قال ابن فارس في خاتمة كتابه (الاتباع والمزاوجة) ص 70 ما نصه : « قد ذكرت ما انتهى الى من هذا الباب ، وتحريت ما كان منه كالمقى ، وتركت ما اختلف رويه ، وسترى ما جاء من كلامهم في الامثال ، وما اشبه الامثال من حكمهم على السجع ، في كتاب أمثلة الاسجاع ، ان شاء الله تعالى . »

* * *

6 — الانتصار لثعلب : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 173 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 .

7 — تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والانباري في نزهة الألباء 321 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 . وسماه (النبي في تفسير أسماء النبي) في كشف الظنون 848 وفي هدية العارفين 69/1 .

وقد اقتبس منه ابن معصوم المدني في كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع 291/5 وفيما يلي نص ما اقتبسه : « روى ابن فارس في كتابه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم : ان في يوم حنين جاءت امرأة فأنشدته شعرا تذكره أيام رضاعته في هوازن ، فرد عليهم ما أخذ ، وأعطاهم عطاء كثيرا ، حتى توم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف أوقية ، وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله . وروى عن زهير بن سرد الجشمي انه قال : لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ويوم هوازن ، وذهب يفرق السبي ، تمت بين يديه وقلت : يا رسول الله ، انما في الحضائر خالاتك ، وحواضنك اللاتي كلنك ، ولو اننا صانحنا ابن ابي شمر أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل أصابنا منك رجونا عفوهما وعطفهما ، ثم أنشدته أبياتا منها :

أمن علينا رسول الله عن كرم فإنيك المرء نرجوه وننتظـره
أمن على نسوة قد كنت ترضعهما إذ نوك تملؤه من محضها الصدر
والبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقالت تزيش كذلك ، وقالت الأنصار كذلك وأطلقهم جميعهم .

8 — الثياب والحلي : ذكره في معجم الأدباء 84/4 وحرف الى الشيات والحلي في طبقات المسرلين ص 4 وهدية العارفين 69/1 والصواب ما ذهبنا اليه ذلك ان الثياب والحلي بابان متتابعان في معاجم الالفاظ (انظر الالفاظ لابن السكيت) وسوي ذلك .

9 — جامع التاويل في تفسير القرآن : ذكر ياقوت في معجم الأدباء انه في أربع مجلدات 84/4 وكذلك السيوطي في طبقات المسرلين 4 وسماه البغدادي في هدية العارفين : جامع التاويل في تفسير التنزيل .

10 — الجوابات : ذكره ابن فارس في الصحابي ص 242 في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها / اذ قال ما نصه : وهذا في القرآن كثير ، افردنا له كتابا وهو الذي يسمى الجوابات . وهذا الكتاب لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس في القدياء والمعاصرين .

11 — الحبير المذهب : ذكره ابن فارس في مقدمة كتابه (متخير الالفاظ) اذ قال مانصه : (وقد تعريت في هذا الكتاب الابهاء الى طرق الخطابة وآثرت فيه الاختصار وتنبكت

الإطالة . فمن سبت به هبته الى كتاب أجمع منه ، ترا كتابي الذي أسميته (الحبير المذهب) فإنه يومي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

والحبير المذهب هذا لم يذكره أحد من ترجموا لابن فارس .

12 — العجر : ذكره ابن فارس في كتابه الصاهبي ص 44 كما ذكره ياقوت في معجم الأدباء 87/4 والتطني في انباه الرواة 93/1 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 .

13 — حلية الفقهاء : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 وابن خلكان في وفيات الاميان 100/1 وابن العماد في شذرات الذهب 132/3 والسيوطي في بنية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 690 وايضاح المكنون 421/1 وهدية العارفين 68/1 .

14 — الحياصة المحدثه : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 وسماه ابن النديم في الفهرست الحياصة . ولابن فارس دماغ عن الحياصات اوردناه فيما تقدم وحدثني الصديق الكريم عبد الله الجبوري ان المبيدي صاحب (التذكرة السمعية) قد اعتمد حياصة ابن فارس واذو بها في تذكرته .

15 — خضارة : ذكره ابن فارس في الصاهبي ص 277 ونص عبارته « وما سوى هذا مما ذكرت الرواة ان الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في كتاب خضارة ، وهو كتاب نسمت الشمسر » .

16 — دارات العرب : بهذا الاسم ورد في نزهة الالباء 321 وطبقات المفسرين 4 وباسم مقدمة كتاب دار العرب ورد في معجم الأدباء 84/4 وقال عنه ياقوت في معجم البلدان 14/4 : ولم ار احدا من الائمة القديما زاد على العشرين دارة ، الا ما كان من ابي الحسين بن فارس فإنه افرد له كتابا مذكر نحو الأريمين ، فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها »

17 — ذخائر الكلمات : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والبغدادي في هدية العارفين 68/1

18 — ذم الغيبة : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 828 والبغدادي في هدية العارفين 68/1 .

19 — شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والزهري هذا هو (ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري) أحد اعلام التابعين وقد استغضاه عبد الملك بن مروان .

20 — الغم والخال : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والبغدادي في هدية العارفين 69/1 وصحف الاسم الى (الغم والخال) في طبقات المفسرين .

- 21 — فريب اعراب القرآن : ذكر في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الالباء 321 وطبقات
المفسرين 4 .
- 22 — الفسوق : ذكره ابن فارس في كتابه تمام نصيح الكلام (مصورة آربري ص 38)
ونص عبارته : « ما بال الفرق فقد كنت التت فيه على اختصاري له كتابا جامعا وقد
شهر وبالله التوفيق » . وهي نشرة مصطفى جواد لكتاب تمام نصيح الكلام ص 35 .
وقد حرف الاسم في معجم الأدباء 84/4 وهدية العارفين 69/1 الى (العرق) .
- 23 — فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام : ذكر في كشف الظنون 1279 وهدية
العارفين 68/1 .
- 24 — كناية المتعلمين في اختلاف النحويين « كناية المتعلمين في اخلاق النحويين » اختلاف
النحاة . ذكر في معجم الأدباء 85/4 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وكشف
الظنون 33 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 110/1 .
- 25 — ما جاء في اخلاق المؤمنين : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 وأعيان
الشيعة 220/9 .
- 26 — المعاش والكسب : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 وأعيان الشيعة
220/9 .
- 27 — الميرة : ولعلها السيرة : ذكر في فهرست الطوسي 36 وأعيان الشيعة 220/9 .
- 28 — مأخذ العلم : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1574 والبغدادي في هدية العارفين
69/1 .
- 29 — المحصل في النحو المحصل : ذكر في كشف الظنون 1615 وفي هدية العارفين 69/1 .
- 30 — محنة الأريب : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 31 — مقدمة في الفرائض : ذكر في معجم الأدباء 84/4 .
- 32 — مقدمة في النحو : ذكر في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 1804
وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 109/1 .
- 33 — الوجوه والنظائر : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 34 — شرح مختصر المزني : ذكر في الديباج المذهب لابن مرحون ص 35 .

ابن فارس نحويًا :

اجمع الذين ترجبوا لابن فارس على انه كان في النحو واللغة على مذهب
الكوليين .

على اننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لابن فارس النحوي لان مؤلفاته النحوية الخمسة وهي مقدمة في النحو ، اختلاف النحو ، المحصل في النحو ، غريب اعراب القرآن ، الانتصار لثعلب ، فقد تعدت جميعها . على ان بغض آرائه النحوية قد حفظها لنا كتابه - الصحابي في لغة اللغة - .

ومن خلاله رأيناه يرجع الى ثعلب امام نحاة الكوفة وسواه من اثمة الكوفة امثال الفراء والمفضل الضبي والكسائي والشيباني وابي عبيد القاسم بن سلام ، كما كان يستعمل مصطلحات الكوفيين النحوية كالخلف والنسق والنمت ، مكان الجر والمطف والوصف مند البصريين .

ومدا ما تقدم فان البحث في تضاميف - الصحابي - يوثقنا على جملة ممن الغضايا التي ايد فيها الكوفيين من ذلك :

1 - مسألة (لكن) : (22)

ذهب الكوفيون الى انه يجوز دخول اللام في خبر (لكن) كما يجوز في خبر ان ، نحو (ما قام زيد لكن عمرا لعائم) ، وذهب البصريون الى انه لا يجوز دخول اللام في خبر لكن .

فالكوفيون يرون ان (لكن / مركبة من (ان / زيدت عليها (لا / و (الكاف) ، خلافا للبصريين الذين يرون انها مفردة .

وذهب ابن فارس مذهب الكوفيين في ذلك (23) .

2 - هد الفصل :

ذهب الكسائي الى ان الفعل (ما دل على زمان) وخالفهم البصريون في ذلك ، فزعموا : ان الاسم ما اخذ من مصدر وبني لما مضى وما يكون ولم يتبع وما هو كائن لم ينقطع . وقد مند ابن فارس رأي البصريين في (الصحابي) (24) . واملن صحة رأي الكوفيين .

3 - مسألة كم :

ذهب الكوفيون الى ان (كم) مركبة . وذهب البصريون الى انها مفردة موضومة للمدد (25) .

(22)	الانصاف	208 - 218
(23)	الصحابي	170 - 171
(24)	الصحابي	85 .
(25)	الانصاف	298 - 303 .

وقد ذهب ابن فارس مذهب الكوفيين فيها (26) .

4 - مسألة « الآن » :

ذهب الكوفيون الى ان (الآن) مبني ، لان الالف واللام دخلتا على فعل ماخى من قولهم : « آن يئين » اي حان . وبقي الفعل على فتحته . وذهب البصريون الى انه بني لانه شابه اسم الاشارة (27) .

وقد أخذ ابن فارس برأي الكوفيين (28)

5 - مسألة الضمير المتصل بعد لولا :

ذهب الكوفيون الى رفعه وذهب البصريون الى جره . وابن فارس على مذهب الكوفيين فيها .

تلك هي أبرز المسائل التي وقف فيها ابن فارس الى جانب نحاة الكوفة . وتوجد مسائل اخرى وقف فيها الى جانب البصريين منها انه استعمل بعض مصطلحاتهم ومن ذلك ، مصطلح (حروف المعاني) (29) .

ومنها انه أيدهم في (حد الحرف) (30)

كما ايد نحاة البصرة في عدم جواز مد المتصور (31)

وفي مسألة اشتقاق كلمة (الاسم) (32) .

وفي بعض المسائل نراه يخلط بين المذهبين ، كما في مسألة (او) . فقد ذهب الكوفيون الى ان (او) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) . وقال البصريون انها لا تكون كذلك وانما تكون لاحد الشينين على الابهام (33)

وابن فارس يجمع بين المذهبين فيها فيرى ان (او) حرف عطف يأتي بمعد الاستنهام للشك وانها ايضا تكون للتخير وللإباحة (34) .

وفي مسائل اخرى نراه يرفض مذهب الكوفيين والبصريين معا ، والذي نخلص اليه مما تقدم ان ابن فارس لم يوقع نفسه في اطار مدرسة نحوية معينة ، صحيح انه

(26) الصاحبى 158 - 159 .

(27) الانصاف 520 - 524 .

(28) الصاحبى 144 .

(29) الصاحبى : 97

(30) الصاحبى : 86

(31) الصاحبى : 275

(32) الصاحبى : 88

(33) الانصاف : 478

(34) الصاحبى : 127

كان أميل الى الكوميين ، بل هو منهم ، لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ بيمسنى آراء البصريين وترجيحها . ومثل ذلك ما لوف حتى في اطار المدرسة الواحدة .

وكما رأينا ابن مارس عصريا في نظرتة الى الحماسات المحدثة وغير متمصب لزمن على زمن ، كذلك نراه هنا يميل الى الكوميين في غير تمصب وينحو منحاهم في غير تعجر وتلك آية من آيات قدرته على التطور والتجديد والابداع .

هل اننا يمكن تكوين فكرة عامة عن هذه الزاوية من خلال مهمنا للمميزات الأساسية لمدرسة الكوفة ومنهجها العام والتي يمكن تلخيصها في انها تقوم على اعتماد المسوع من كلام العرب والبعد عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية فالنحو الكوفي اثرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد عن الاخذ باسباب المنطق او التملق باساليب الفلسفة وهم يهتمون العربية فهما يقوم على تذوق اللغة والحس بطبيعتها بعيدا عن الافتراضات او الاستهداء بقوانين العقل والمنطق . والكوميون يتقبلون مسائل اللغة اذا سمعوها من اعراب مصحاء ويميدون النظر في أصولهم لتوافق هذه المسائل بخلاف البصريين الذين اذا تعارض المثل بأصل من أصولهم عمدوا لتأويله ولو تأويلا بعيدا فان لم يخضع لأصولهم وصلوه بالشذوذ او الخطأ .

والكوميون يعمون الظاهرة الفردية ويطبقون عليها والبصريون يجمعون مختلف الصيغ والابنية المتشابهة في اطار واحد يجعلونه مقاييسا عاما لمختلف الصيغ والابنية . وبالأجمال فقد قدم الكوميون الرواية والنقل على القياس الذي قدمه البصريون (35) .

من خلال هذه الميزات الأساسية لمنهج الكوميين العام يمكن تصور المنهج النحوي لابن مارس ، وان ظل هذا الكلام بلا سند لفقدان مؤلفاته النحوية .

ابن فارس لغويا :

كان ابن فارس كوفي المنهج في اللغة ، وقد خلف تراثا لغويا رجع الى مصنف القم . فمما وصلنا من اثاره اللغوية : مقاييس اللغة ، المعجل ، متخير الالفاظ ، تمام مصيح الكلام ، الاتباع والمزاوجة ، الثلاثة ، خلق الانسان ، مقاييس العربية .

وضاع من اثاره اللغوية : الثياب والحلي ، ذخائر الكلمات ، الحبير المذهب ، العم والخال ، والحجر وسواها .

وقد تميز منهجه اللغوي بالتزامه ايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب والدون المسترذل .

وقال بما تاله الكوميون من كثرة الالفاظ المنحوتة في كلام العرب بل تميز كتابه (مقاييس اللغة) بفكرتي الاصول والنحت وهما نظريتان جديرتان بالتقدير ، وربما صح القول انهما جديرتان في ميدان التأليف المعجمي في زمنه .

(35) راجع : مدرسة الكوفة : الخزومي .

على أن ابن فارس رغم كونه كومي المذهب ، لكن ذلك لم يدعنه إلى التمسب
الإسمى بل كان سمحا يستشهد بكلام البصريين ورواياتهم فهو كثير الرواية من
الخليل والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وكلهم بصريون .

على أنني أرى — بعد انعام نظر — أن ثلاثة علماء قد تركوا بصمات واضحة
على بعض آثار ابن فارس .

أولهم بغدادى وهو : ابن السكيت وتأثير كتابه (الألفاظ) ظاهر فى كتاب (متخير
الألفاظ) لابن فارس .

وثانيهم كومي وهو : ثعلب ويبدو تأثيره فى (الصحاح) حيث يورد كلاما فى
الشيء الواحد يسمى بأسماء مختلفة ، ثم يقول ، وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبى
العباس أحمد بن يحيى ثعلب . وفى مواضع متعددة منه . ويبدو أيضا فى انتصاره له فى
كتابه (الانتصار لثعلب) الذى لم يصل إلينا ويبدو كذلك فى كتابه (تمام نصيح
الكلام) الذى استدرك به على نصيح ثعلب . ثم قال فى آخره . (هذا آخر ما أردت
إثباته فى هذا الباب ولم أهن أن أبا العباس تصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار
وحقا أقول أن جميع ما ذكرته من علم أبى العباس جزاء الله عنا خيرا) .

وثالثهم بصري وهو : ابن دريد ، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) فى كتاب مفتاح
مفقيه العرب لابن فارس .

كما يبدو بوضوح تأثير كتاب الاستتاق لابن دريد فى معجم المقاييس ذلك أن فارس
استطاع توسيع قاعدة الاستتاق التى ابتدعها ابن دريد وحاول رد كل مادة لغوية إلى
أصولها المعنوية المشتركة فوفق توفيقا كبيرا . ويمكن أن يقال أن ابن فارس اقتبس
النظام الألف بائي فى المجلد والمقاييس من (جمهرة) ابن دريد .

تلك إشارة بالغة الإيجاز ، إلى منهج ابن فارس اللغوي وهو منهج لا تتسع
لتنصيله مثل هذه المقدمة .

تأليف المعاجم :

مرت حركة التأليف المعجمي بعدة مراحل يمكن تسمية المرحلة الأولى منها
بمرحلة « كتب الصفات أو الغريب المصنف » وبها تم جمع مفردات الباب الواحد
وضمها إلى بعضها ومن أبرز أمثلتها . كتاب المطر وكتاب اللبا واللبن لأبى زيد
الأنصاري وكتاب الصفات للنضر بن شميل والغريب المصنف لأبى عمرو الشيباني
ومثله لقطرب ومثله لأبى عبيد .

وكتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر وكتاب النخل
والكرم للأصمعي وكتاب الرحل والمنزل لأبى عبيد وكتاب البئر وكتاب النخل والزرع

وكتاب الأنواء لابن الاعرابي وكتاب المطر والسحاب لابن دريد واتدم من الف في هذا النوع أبو خيرة الاعرابي والقاسم بن معن الكوفي وبلغت تمتها في المخصص لابن سيده . ثم برزت مرحلة أخرى في التأليف المعجمي هي مرحلة « معاجم الالفاظ » او الكتب المجنسة وفيها ترتب المرادات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها واول هذه المعاجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي والجيم لشمر بن حمدوية الهروي ومعاجم الالفاظ تنضوي تحت أربع مدارس (36) :

المدرسة الاولى : وهي مدرسة العين وتضم كتاب العين للفراهيدي والبارع للقالي والتهذيب للازهري والمحيط للمصاحب بن عباد والمحكم لابن سيده . والرابطة التي تجمعها ترتيبها حروف الهجاء بحسب مخارجها وجعل هذا الترتيب اساس تقسيمها الى كتب .

والمدرسة الثانية : تمسكت بالترتيب الالف بائي وتضم . الجهرة لابن دريد والمتايبس والمجل لابن فارس .

والمدرسة الثالثة : وتعتمد على تقسيم المعجم الى ابواب وفقا للحرف الاخير من الكلمات وتقسيم كل باب الى فصول وفقا للحرف الاول وترتيب المواد في هذه الفصول وفقا لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الاصول وهدها في جميع هذه المراحل . وتضم : صحاح الجوهري وعباب الصغاني ولسان العرب لابن منظور والقاموس المخطط للفيروز ابادي وتاج العروس للزبيدي والمعيار للشيرازي .

والمدرسة الرابعة : وهي التي ابتدأت باساس البلاغة للزمخشري وتفرعت عنها المعاجم الحديثة .

وفي وقت تال لنشوء معاجم الالفاظ ظهر لون جديد من التأليف المعجمي تلبية لحاجة الدواوين ، هذا اللون جمع الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، مما يصح معه تسميتها بمعاجم المعاني او الكتب المبوية وبرز انماذجها الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامه بن جعفر والالفاظ الكتابية للمذاني وفتح اللغسة للشعالبي .

وكتابتنا هذا — متخير الالفاظ — من معاجم المعاني ومكانته بينها مكانة رفيعة ومريدة مما .

لقد ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من المجمل كما فصلنا القول . كما ذكره ياقوت في معجم الادباء 4/84 والانباري في نزعة الالباء 321 وحرف في كتابات الادباء للرجاني الى مختار الالفاظ وكل الذين ترجموا لابن فارس كانوا يظنونهم في عداد كتبه المقودة .

(36) راجع المعجم العربي — نشيئه وتطوره — الدكتور حسين نصار .

مخطوطات الكتاب : وقد اعتدنا في تحقيقه ونشره للمرة الاولى على مخطوطتين الاولى ورمزنا لها بالحرف (ا) كانت ضمن مخطوطات مكتبة المرجوم عم والدنا السيد احمد بن السيد عبد الوهاب رئيس ديوان التدوين القانوني في العراق سابقا وعضو محكمة التمييز والمتوفى باجله الموهود سنة 1964 وهي نسخة نفيسة تعود للقرن السادس الهجري ويغلب عليها الشكل التام وعدتها 75 ورقة (150 صفحة) بما في ذلك ورقة العنوان . وعلى ورقة العنوان كتب ما يلي :

كتاب متخير الالفاظ تأليف الشيخ الفاضل ابي الحسين احمد بن فارس رحمه

الله

وعلى ورقة العنوان عدة تمليكات اقدمها : ل احمد بن مبارك شاه الحنفي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سنة 538 ومنها : انتقل الي مستمارا وانا العبد عبد الله بناء المولوي (ت 1005 هـ) ومنها . انتقل الي ملك كتابه محمد ابراهيم .. المالكسي بالابتياح الشرهي من نور الدين علي الصبوة .. ومنها : ملكه من فضل الحلبيم الرحيم احمد بن محمد بن عبد الرحيم .

وهذه النسخة قد انتقلت الي مكتبة المتحف العراقي صادرة بسبب عدم تسجيلها طبقا للتعليمات وقياسها 13 سم x 18 سم ومعدل سطورها 13 سطرا في الصفحة الواحدة وقد اصابت النسخة رطوبة فامتثلت السطور السفلى من العديد من صفحاتها وهي مكتوبة بخط النسخ وفي آخرها ما نصه :

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين . توبيل باصله الذي نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح . والنسخة مكتوبة بالحبر الاسود وعناوينها بالحبر الاحمر وهي ضمن مجموع سجل برقم 3846 يضم كتابين : الاول : متخير الالفاظ الذي تقدم وصفه . والثاني : كتاب التكملة وهو نوادر ما تلحن ليه العامة لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي وعدته 43 ورقة وكتب في آخرها : (نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط المؤلف مقابلة وتوبلت بها نصحت بمنه وكرمه) .

وكتاب التكملة هذا توجد في هوامش العديد من اوراقه كالورقات : 4 و 6 و 19 ب و 21 ب و 33 و 35 و 40 وسواها تمليكات لابن الخشاب وارجح انه عبد الوهاب بن احمد بن الخشاب النحوي البغدادي المتوفى سنة 567 هـ وهي تمليكات لغوية قبيصة .

والتفسير الوحيد لوجودها ان هذه النسخة نقلت من نسخة تراها وعلق عليها ابن الخشاب .

واما المخطوطة الثانية ورمزنا لها بالحرف (ع) فهي مكتوبة بالخط الفارسي وعدد صفحاتها 82 صفحة ومعدل سطورها 17 سطرا في الصفحة الواحدة وقياسها

14 سم x 19 سم وهي بخط جدنا المرحوم السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي شيخ الخطاطين في عصره ودلين مقبرة الغزالي ببغداد والنسخة مشكولة جزئيا وعناوين الابواب بالحبر الاحمر وهي في شكل كراريس لم تضم في سفر واحد - غير مجلدة - وليس فيها ورقة عنوان ولم يصرح الناسخ باسمه وعرفناه من بين تراثنا المائلي مخطوطة من كتاب الالفاظ الكتابيصة للمهذاتي نسخت سنة 1114 هـ ومخطوطة من لغة اللغة للعالمبي نسخت سنة 1070 هـ ومخطوطة من التكملة وهي نوادر ما تلحن فيه العامة للجوابتي نسخت في القرن السادس الهجري .

ومخطوطة من مختار الصحاح للرازي نسخت سنة 1079 هـ . وجزء من صحاح الجوهر في نسخ في القرن الثاني عشر الهجري ومخطوطة من نزهة القلوب في تفسير قريب القرآن للسجستاني نسخت سنة 1099 هـ .

ونسخة من تلخيص الشواهد لابن هشام الانصاري نسخت في القرن التاسع الهجري وغير ذلك من نفائس كتب اللغة . وحدثنني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان السيد احمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الاسرة . وحدثنني من اتق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدمية بن جعفر التي نشرها محمد امين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسريت إليه من المرحوم السيد احمد . هذا غير مخطوطتي - متخير الالفاظ - الفريدتين في الدنيا . ان هذه العناية كانت تدلني دوما وتحفزني هلزا لان اصل جبل النسخ والحفظ - في اسرتنا - بحبل التحقيق والنشر ، فانوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع استمرار الف عام ، وفاء للمربية واحياء لبعض تراث الاسرة .

منهجنا في التحقيق :

هدف التحقيق في نظرنا هو تقديم المخطوط صحيحا كما صنه مؤلفه . لا شرحه والنقل من كتب مطبوعة . واطلاقا من هذه المسئلة كان منهجنا في التحقيق كالآتي :

اولا - اعتمدنا النسخة الاقدم اما وشكلنا النص شكلا تاما واعتمدنا النسخة الثانية في المواضيع المطبوعة من النسخة الاولى واثبتنا الفروق القليلة بين النسختين في الهوامش رغم ان الثانية نقلت من الاولى وصوبنا ما وجدناه من خطأ الناسخ من اثبات المسحف والحرف والخطأ في العامش .

ثانيا - حافظنا ما امكنا على الرسم المتبع في المخطوطة الام باستثناء بعض الالفاظ التي ابدانها الى ما يقابلها في القائمة التالية نظرا لتبديل رسمها عبر العصور اخذين بالرسم المعروف عندنا اليوم واهرز هذه الالفاظ :

واله : وآله ، ثلثة : ثلاثة ، قاريه : قارئه ، ساير : سائر ، شأ : شاء ،
 الجايح : الجائع . القائل : القائل . عاييه : عائبه ثابت : ثابت . الشمايل : الشمائل .
 الغايب : الغائب . الكأبة : الكأبة . خلايقه : خلايقه . الدائم : الدائم . السائلين :
 السائلين . نايلة : نائلة . ثائرة : ثائرة . هايجة : هايجة . ميره ونايره : ميرة ونايرة .
 طائلة : طائلة ، ثلثين : ثلاثين . طائرا : طائرا . الدعائم : الدعائم . سفين : سفين .
 نائمة : نائمة . ابراهيم : ابراهيم . شدائدها : شدائدها . مايلا : مايلا . هايره : هايرة .
 رايحة : رائحة . الماء : الماء . هايد : هايد . استرخا : استرخا . ابا : ابي . ومينا :
 ومينا . دايم : دائم . النائل : النائل . العايضين : العايضين . السحاب : السحاب .
 غاييا : غاييا . العائف : العائف . الهايج : الهايج . النوايب : النوايب . العقايق :
 العقايق . الرغايب : الرغايب . آبايهم : آبايهم . جلسايه : جلسايه . الطبايع :
 الطبايع . السلايق : السلايق . النحايت : النحايت . الضرايب : الضرايب . غرب ما :
 غربا . الصبي : الصبا . وكلى : وكلا . رحا : رحي . الكلاء : الكلاء .

ثالثا : وضعنا النقاط والفواصل واشارات الاستفهام والتعجب والشوارح
 والاتواس المزهرة والاتواس المربعة والاتواس الاعتيادية والفواصل المزدوجة حيث
 يجب أن توضع .

رابعا : تمنا بتخريج الآيات والاحاديث كما خرجنا الاشعار والامثال والاقوال
 مشيرين الى مصدرها واختلافات رواياتها وقائلها ان لم يكن الشعر أو المثل منسوبا .
 خامسا : ذكرنا في الحواشي مغان تراجم الاعلام مع الاشارة الى سني
 ومياتهم واسمائهم كاملة .

سادسا : عرضت النصوص على المصادر ما أمكنني ذلك واشرت الى اختلاف
 الروايات .

سابعا : في مواضع قليلة اثبتنا بعض الشروح الضرورية للفظ غلق ، كما اثبتنا
 بعض التعليقات المهمة .

ثامنا : اشرنا في مواضع كثيرة الى ما يقابل ابواب متخير الالفاظ في كتب
 الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامه بن جعفر والالفاظ الكتابية للهمذاني
 لتسهيل على القارئ الموازنة بين الابواب المتماثلة في معاجم المعاني التي سبقت ابن
 فارس زمنيا .

تاسعا : كتبت المقدمة واعدت فهرس المصادر والمراجع .

عرض الكتاب وخطة المؤلف فيه :

رتب ابن فارس كتابه على ابواب المعاني ويقع الكتاب في (مائة وأربعة عشر)
 بابا بما في ذلك الخاتمة الطويلة التي جسد فيها كثيرا من الالفاظ المفردة المستحصنة .

ولكن محتويات الخاتمة التي استغرقت خمس الكتاب لا يجمعها باب من ابواب المعاني بل هي الفاظ منتقاة من ابواب لا حصر لها وبعضها يمكن تصنيفه بسهولة في ابواب سبقت .

تحدث المصنف في مقدمته عن منهجه في كتابه هذا مقال :

« ان الكلام ثلاثة اضرب . ضرب يشترك فيه العلية والدون وذلك ادنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طباع قوم لذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول ولا ارتفع ارتفاع الثاني وهو احسن الثلاثة في السماع والذها على الامواء وازينها في الخطابة واهذبها في القريض وادلها على معرفة من يختارها . وانما الفت كتابي على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح ابوابه الالفاظ المردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الامثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات وهولت في اكثره على الفاظ الشعراء بعد التنقيب عن اشعارهم والتأويل لدواوينهم . »

مكتاب ابن فارس اذا قد تجنب الدون المسترذل والوحشي المستغرب وحفل بالالفاظ المردة المنتقاة السهلة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم فهو جولة رائعة خلال دواوين الشعراء ما بقي منها وما ضاع . وقد حفل أيضا بالامثال المنتقاة والاقوال الجارية مجراها .

لقد كان ابن فارس مؤمنا ، ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب واجتناب الومر منه والانس بانيسه والتوحش من وحشيه .

وان احدا لن يتسنى ذروة البلاغة مع التكلف للفظ المستغرب وتميز منهج المصنف في كتابه هذا بانه اوما الى طرق الخطابة وآثر الاختصار وتكب الاطالة .

ذاك منهج المصنف ، اما ابواب الكتاب فهي :

- | | | | |
|-----|-----------------------------------|------|----------------------------------|
| (1) | باب في الكلام والبلاغة | (10) | باب في التوقية وسوء القول والشتم |
| (2) | باب في وصف الكلام الحسن | (11) | باب دهاء الرجل لصاحبه بالخير |
| (3) | باب في ذكر الكلام الرديء والعمى | (12) | باب الدهاء بالشر . |
| (4) | باب الهذر والاكثار | (13) | باب قولهم ما كلمته بكلمة |
| (5) | باب في اللحن والفحوى | (14) | باب الايمان |
| (6) | باب آخر . | (15) | باب في الدهابة |
| (7) | باب في السر والايخبار ببعض الحديث | (16) | باب الكذب |
| (8) | باب في النبية | (17) | باب الخصومة والدد |
| (9) | باب المدح | (18) | باب الرجل المحمود الخلق |

- (19) باب الرجل المشتهر بالنبيه
(20) باب البشاشة
(21) باب في الرجل الجامع للخصال المحمودة
(22) باب الشباب
(23) باب الشيب
(24) باب الجمال
(25) باب المبوس والتبع
(26) باب الفرح والسرور
(27) باب المكآبة والحزن والموجوم
(28) باب السخاء
(29) باب البخل
(30) باب الشجاعة
(31) باب الجبن
(32) باب العجلة والامجال
(33) باب في المسارع الى الشر
(34) باب النشاط
(35) باب الرجل الراضي باليسير من الطعام
(36) باب الرغبة وكثرة الاكل
(37) باب الجوع
(38) باب حسن المواتاة والذل
(39) باب الغضب
(40) باب الرضا ومتور الغضب
(41) باب العداوة
(42) باب الحرص والجشع وكثرة الاكل
(43) الكبر والزمو
(44) باب التخلف
(45) باب في الاسرة والعشيرة وذكر الكرام السادة
(46) باب الرذال والذئاب والدمعة
(47) باب النوم والسهو
(48) باب القراية والرحم
(49) باب الجماهات
(50) باب الشر يقع بين الغوم
(51) باب الشيء الذي لا يستقر
(52) باب الفنى
(53) باب منه أخسر
(54) باب الفقر
(55) باب الكبر
(56) باب صغر الهمة والنفس
(57) باب الجهل بالشيء
(58) باب العته والجنون
(59) باب الحمق
(60) باب سوء الخلق
(61) باب الإباء وقلة الانتقاد
(62) باب التعسف والتهور
(63) باب الجبن
(64) باب الاحجام من الحرب
(65) باب الفرع
(66) باب الشتان والبغضة
(67) باب الكراهية
(68) باب رجوع الرجل في اللوم الى اصله والفاظهم في اللوم
(69) باب البخل
(70) باب الارتداع وضده
(71) باب التماذي واللجاج
(72) باب الحقد والصفينة
(73) باب الغدر والخيانة
(74) باب الخديعة والمكر والنكر
(75) باب الحسد
(76) باب الخب
(77) باب الغضب
(78) باب الحرص والجشع
(79) باب الظلم والغشم
(80) باب الحيف والجور
(81) باب استنصاع الرجل
(82) باب الذهاب بحق الانسان

باب في ذكر الشمس	(100)	باب الشريكون بين اثنين	(83)
باب شدة الحر	(101)	باب المنع من الشيء والردع	(84)
باب تغير لون الانسان لمسا	(102)	باب تكليف الانسان ما لا يطيق	(85)
بصبيه من الحر وغيره		باب القوة والشدة	(86)
باب في الظل والفرس	(103)	باب الضخم والسمن	(87)
باب في الفجر والنهار	(104)	باب الطول وحسن الخلق	(88)
باب زوال الشمس وبعد ذلك	(105)	باب اللغاء وحالاته	(89)
باب في الفجر	(106)	باب الداب	(90)
باب الظلمة	(107)	باب الامر بفعل ما كان يمنع	(91)
باب في الشتاء والبرد	(108)	باب في الجراحات والصرع	(92)
باب في الحر	(109)	والاوجاع	
باب الليل والنهار	(110)	باب المرض	(93)
باب السماء والسحاب وغير	(111)	باب الرمي	(94)
ذلك		باب الكسر	(95)
باب المطر	(112)	باب الطبيعة	(96)
باب الريح	(113)	باب الذكاء وحدة الفؤاد	(97)
باب الفاظ مفردة مستحسنة.	(114)	باب الشجاعة	(98)
		باب الشرب	(99)

خصائص الكتاب وميزاته والفروق بينه وبين معاجم المعاني التي سبقته :

لكي نلم بالفروق بين هذا الكتاب ومعاجم المعاني التي سبقته لا بد ان نستعرض بابا مشتركا بينهما لتعرف السبل التي سلكها كل مصنف من هؤلاء الاعلام ثم لنستطيع عبر النموذج استنباط خصائص الكتاب وميزاته .

ولناخذ باب السخاء نعرضه كما أورده ابن السكيت في الالفاظ والهمذاني في الالفاظ الكتابية وقدامة بن جعفر في جواهر الالفاظ ثم نعقبه بما قاله ابن مبارس في التحفیر ليتضح المنهج وتلتبس الفروق .

قال ابن السكيت في باب السخاء (37) :

يقال رجل سخى وقوم اسخياء وقد سخو الرجل يسخو وسخا يسخو وسخى يسخى . الاسمي . ويقال للرجل انه لسخى النفس ، وسخيط النفس ، ومثل النفس ، ويقال للرجل اذا كان هشا سريعا في المعروف . انه لخرق من الرجال .

وفلان يتخرق في ماله اذا كان يتصرف فيه بالمعروف ، وانه لطرف ، وسبيدع من
الفتيان . والسبيدع السيد الموطن الاكثاف ، (قال) يراد بقولهم . فلان هشا المكسر
مدح ونم . لماذا ارادوا ان يقولوا . هو خوار العمود فهو نم . واذا ارادوا ان يقولوا ليس
هو بصلاد القدح فهو مدح ، ويقال للرجل يبذل ما عنده . انه لو ارى الزند ، ووزى
الزند . وانما هو من الكرم ليس من قدح النار . قال الاعشى .

وزندك خير البلـو ك صادف منهن مـرح عسارا
فان يتدحسوا يجدوا عنده زنادهم كابيسات تصارا

وانه لذو نجر اي مطاء ، والهضوم المنفق ماله يقال . هضم له من ماله اي كسر
له ، وانه لذو هشاش الى الخير اي نشاط له ، ابو زيد والاريجي السخي الكريم ،
والاروع . والنجيب ، وهو طلق اليدين بالمعروف . وقد طلقت يدها بالمعروف طلاقة ،
الاصمعي . والفطريف السخي السري . يقال بنو فلان فطاريق اي سراة ، والخضرم
والخضم الكثير العطية ومثله كل شيء كثير . وخرج العجاج يريد اليمامة فاستقبله
جرير فقال : اين تريد . فقال : اليمامة . قال : تجد بها نبيذا خضرمما اي كثيرا . وبئر
خضرم غزيرة الماء والخضم الموسع عليه من الدنيا ، وانه لذو خير والخير الكرم ،
والدهم السهل اللين ، وانه لدهم . ورهشوش . ابو زيد . والرهشوش الندى الكف
الكريم البنفس ، والكهلول . والبهلول . والبحر . والفياض صفة الرجل الكريم ، وانه
لذو قحم عظام اي يتحمم في الامور العظام يدخل فيها من خير وشر ، ويقال للرجل
الواسع الخلق الواسع الصدر . انه لو اسع الذرع ورجل لهوم وهو الغزير في الخير .
وناقة لهوم غزيرة اللبن . ومرس لهوم غزير في الجري . ورجل رهب السـرب
واسع الصدر . ورجل ذلول بالمعروف بين الذل اذا كان سلسا بالمعروف ، والحشد
المحتشد في الامر في مطاء وغيره لا يدع عنده شيئا من الجهد ، الفراء يقال . وانه لذو
طائلة على قومه للمفضل المتطول ، ابو زيد . والمذل الباذل لما عنده وهم مذلون بينو
المذلة والمذالة . وهو البذل ، ابو عمرو . والمثلث الكريم ، ورجل مريء من المروءة . وقوم
مريؤون ومراء . ومنه قولهم يترأ بنا اي يطلب المروءة بتقصنا ، ابو عبيدة . وهو
اسبح من لائمة وهي التي تفر لمرخها لا تبقى في حوصلتها شيئا . الاصمعي . اللائمة
البحر . وقيل العنز تدعى للحلب تطلق جرتها ، ابو عمرو . ورجل نال اذا كان جوادا
ونالني اذا اطمانني ينولني نولا . قال كعب بن سعد .

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

(قال) وان ملانا ليتول بالخير ، وما انول ملانا اي ما اكثر نائله

قال جرير : لو كان من ملك النوال ينـول

وانه لهش ودمث اذا كان لينا ساكنا ، والبسيط الذي اذا راينه انبسط اليك
وراينه يتهلل وجهه وهرمت السرور في وجهه . وكذلك الدهم . قال ابن لجأ :

ثم تحت من مقام الحوم لعطن رابي المقام دهثم

وقال عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في باب السخاء (38) :

يقال : فلان سخى (والجمع اسخياء) وسبخ (والجمع سبخاء) . وجواد
(والجمع جوداء واجواد واجواد) . وهو معطاء وخرق . ونياض . ومرزا . وهو طلق
اليدين ، ورحب الصدر ، ورحب السرب وهو رحب اليدين ، وسط الانامل ، وندي
الكفين ، ورحب الذراع ، وواسع البلد والفناء ، وموطا الكتف ، واريحي ، وهو مخلف
مئلف ، ومفيد مبيد ، وجواد لا يلقى درهما ، وواسع الفضاء ، ورحب العطن ، لم ار
مثله اوسع كفا لطالب ، ولا اطول يدا بمعروف ، وهو كريم المهزة . (وتقول من ذلك)
ما ابجداخلاته ، وامشى معروفا ، واضلى نوافله ، واندى انامله ، واوسع بلده ،
وارحب صدره ، وابسط كفه ، واكثر صنائمه ، واهنا مواضله ، واكرم طبائمه ،
وامسح سربه ، واوطأ كنفه ، واطول باعه ، وانه لخرق يتخرق في ماله ، ومذل (وفي
الامثال) اسبخ من لافظة . وهي التي تزق نرخوا حتى لا تبقى في حوصلتها شيئا .

وقال تدامة بن جعفر في هذا المعنى (39) :

« سخى ، جواد ، سبخ ، نياض . مرزا . معطاء . مفضال . فائض الانامل .
زاخر الجداول . ندي الكف . حسي الأنف . رحب الفراغ طويل الباع . واسع البلد .
سابع الصند . رحب الفناء . كثير المعطاء . موطا الكتف مرزا الرشف . مخلف . مئلف .
مفيد . مبيد . جواد لا يلقى شيئا ، وسبخ لا يلقى بذلا ونبيلا . مسبخ الكتف والفناء .
سجيج المنح والعباء . كريم المهزة . مطهر المهزة . لم ار مثله اوسع كفا لطالب . ولا
اطول يدا بالمعروف ليمر وراغب .

ويقال : له سماحة وسباحة . وسخاء سوناء . وارتياح وانفساح . ومجد وجود .
وكرم وخير .

ويقال : هو أجودهم كفا ، وأغزهم خلقا ، وأنداهم يدا ، وأتمهم جودا . وأكثرهم
أيادي ، وأعظمهم ارتياحا ومنحا ، وأشرحهم بالواهب صدرا ، وأرجحهم في الكارم
قدرا ، وأغزهم عودا ، وأغزهم جودا ، وأكثرهم شيمة ، وأجودهم ديمية ،

(38) الألفاظ الكتابية : ص 94 — 95 .

(39) جواهر الألفاظ ص 213 — 214 .

واسفاهم عطية ، وابعدهم سجية ، بنائه مندلق ، ولسانه بانجاز الوعد منطلق ، لا
لا يسام الاتعام ، ولا يمل البر والاكرام ، اذا وعد ولمى ، واذا انجز اولمى ، واذا ولمى
اجزل واسنى ، واذا من لم يتبن ، واذا تطول لم يعتد ، يسدى ولا يكدى .

وقال ابن فارس في باب السخاء :

ويقولون : هو صبير ينضح السمي ويعلو سواك المجد .

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه ، وفلان يتفرق في الجود ، وقد لبس المجد
احسن ملبس . وينشدون :

وابو اليتامى يبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب

وانه لندي البنان ، سبط الكف ، طويل اليد . ومن كلامهم .

يداه فمامة ، ومن نباته يجري الماء في العود ، وانه لغيث ونوه من الانواء . قال
زهير :

وابيض مياض يداه فمامة على ممتليه ما تغيب نوافله

ويقولون : كنه خلف من المطر . قال جرير :

انا لترجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

وانه لسمح ند موطا الاكتاف نياح نفاح مفضاض الرداء رحب المجم طويل
الساعدين واسع جيب الكم ، قال : وهو يريد ما اشتغل عليه الجيب ، يعني نفسه .
وذلك كتولهم طاهر الثوب طاهر الرداء . وفي النظم : هو دسم الثوب ويقال : رجل ذو
نجر ، اذا كان يتنجر بالمعروف . قال الشاعر :

نجع اضيالي جميل بن ممر بذى نجر تاوي اليه الارامل

وان في كنه لمطلب للفتى قال :

لنى كنه للفتى مطلب
يريد الملوك مدى جعفر
وكيف ينالون غاياته
وليس باوسمهم في الفتى
وللسر في صدره موضع
ولا يصنعون الذي يصنع
وهم يجمعون ولا يجمع
ولكن معرومه اوسع

وهذا كتوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

ويقولون : هو متصل دفقات الخير أريحي ، وهو يباري الريح . وفلان خصيب موطا الاكتاف . ومما يشبه الجواد به ان يقال :

بحر ورييح مربع ، وخال وهو الغيم البارق ، وخضرم وهو البئر الكثيرة الماء . ويقال : انه لكريم المعتصر ، هس المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة ان عوف بسن القعقاع على ان ينامر خالد بن مالك فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » . وفي هذه المنامرة قال خالد : اطعمت حولا من اكل واعطيت يوما من سال . قال الشاعر :

الم يك رطبا يعصر القوم ماءه وما هوده للكاسرين ببابس

وقال الاعمسى :

وجروا على ما هودوا ولكل عيدان مصاره

وقال الآخر :

لومج هود على قوم عصارته لومج هودك فينا المسك والباناس

وقال هشام بن حسان : لا يبعد الله يزيد بن المهلب ان كانت السفن لتجري في جوده . وفلان عد من الأهداد ، والعد الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن الفاظ الشعراء : ينعش المولى ويحتل الجلى ، وفلان يستعذب نغمات السائلين . ومن الفاظهم : يبست كله ، اذا شجعت كف البخيل . قال ابن السكيت ، ويقال :

انه لذو تهم عظام اي يتهم في الأمور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحسب السرب ، ذلول بالمعروف . الفراء : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل المتطول . قال الفنوي : ما اتول فلانا اي ما أكثر نائله .

من خلال مرض الباب المشترك في هذه الكتب الأربعة نستنبط الحقائق التالية :

يبدو ابن السكيت شديد الاهتمام بالفريب ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر وأخبار البلغاء . وشواهد الشعرية بدورها حاملة بالفريب وابن السكيت يحرص على نسبة الرواية الى راويها كأبي زيد والأصمعي والفراء وأبي عمرو وأبي عبيدة وأضرابهم .

2 — اما الهذاني يبدو مهملًا للغريب شديد العناية بالمستعمل الشائع من الألفاظ لأنه ألف كتابه لصبيان المكاتب لا يهتم بنسبة الرواية لروايتها ويندر استشهاده بالشعر وقد يستشهد بالأمثال والأقوال .

3 — واما قدامة بن جعفر فهو لا يهتم بالشواهد من آية أو شعر أو حديث أو أمثال ولا يهتم بنسبة رواية لروايتها ولكنه لا يضع الكلمة الى جوار الكلمة الا أن تكون على زنتها ورويتها فهو كلف مولع بالبديع شديد الاهتمام به شديد الحرص عليه يغلب على عباراته الترصيع والتسجع واهتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ ومكس اللفظ والاستعارة وتوفير تمام الاقسام وتصحيح المقابلة وتلخيص الأوصاف والمبالغة والتكافؤ والارداف والتثيل .

4 — ويبدو ابن فارس أكثر الأربعة عناية بمجازات الشعراء وتشبيهاتهم واستعاراتهم فالفاظه منتقاة متخيرة منتخبة لا يهتم بالوحشي الغريب ولا المسترذل الدون كثير الاستشهاد بالشعر وشواهد من عيون الشعر لفظا ومعنى وهو يهتم بنسبة الروايات لأصحابها كابن السكيت والفراء والغنوي كما يعني بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال .

وهو الى جانب ذلك واسع الاطلاع على اقوال البلغاء وأخبارهم كثير الاستشهاد بهم كما رأينا فيما نقله عن حاجب بن زرارة وهشام بن حسان .

ويبدو من المثل المتقدم أيضا أن ابن فارس غير متأثر بالهذاني وقدامة بن جعفر على الإطلاق . ولكنه تأثر بابن السكيت في بعض فصول الكتاب تأثرا كبيرا حتى كاد ينقل الفاظه باختصار كما في باب (اللقاء وحالاته) الذي يكشف عن تأثره الشديد بسباب (اللقاء في تربيته وأبطائه) في الفاظ ابن السكيت وكما في باب الغني وباب الفقر ونحوهما وهي أبواب معدودة ومحدودة .

على أن يوصل التفرقة الأساسية بين الإثنين من خلال استعراض كتابيهما يتلخص في الآتي :

1 — لا يهتم ابن فارس بالوحشي المستغرب بل يهتم كثيرا باللفظة الحلوة المنتقاة على عكس ابن السكيت الذي يحشد الغريب في كتابه حشدا .

2 — أن شواهد ابن السكيت الشعرية كلها شواهد لغوية تطفح بالغريب ومن النادر أن تحسن فيها بجمال تشبيه أو حسن استعارة أو حلاوة مجاز أو لطف تعبير خلاصا لشواهد ابن فارس الشعرية التي تمثل مختارات منتقاة من الشعر العربي وتدل على ذوق شعري رهيف .

3 — يكشف ابن فارس في شواهد من الحديث النبوي الشريف على قدرة فقيه راوية للحديث في حين نجد ابن السكيت لا يستطيع التمييز بين الحديث النبوي وبين الاقوال المشهورة ويذكر عددا من الاحاديث النبوية على انها اقوال مشهورة .

4 — يتميز كتاب ابن السكيت بالاطالة وكتاب ابن فارس بالايجاز .

5 — انفرد ابن فارس بباب (الفاظ مفردة مستحسنة) وهو باب ضخم بمئزر المادة غير منظما وكان الاجدى لو تم تصنيف مواده تبعا لابوابها وهو شيء لم يقع فيه ابن السكيت . على انها يشتركان في الخصائص التالية :

1 — يشتركان في نسبتها كل رواية لراوية ورد كل قول لعائلته .

2 — ويشتركان في كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وشعر الشعراء وبالمثال

3 — ويشتركان في عدم اهتمامهما بالترتيب الداخلي لمواد الباب الواحد فهما لا يرتبان المعاني ترتيبا معجيبا ولا يتدرجان بها من الصغر الى الكبر او من القلة الى الكثرة او من الضعف الى الشدة او تبعا لموسيقاها بل تركاها غير منسقة ولا منظمة .

5 — كلاهما في كثير من الاحيان لا يورد الالفاظ مجردة بل يوردها في شعر او مثل او قول ويفسرها .

6 — كلاهما في ترتيب الابواب سمى الى الجمع بين الابواب المتقاربة او المتضادة وتجانى الفصل بينها .

ف عند ابن فارس مثلا . باب الشباب تبعه باب الشيب ، وباب الشنان والبغضة تبعه باب الكراهية ، وباب الفرح تبعه باب الحزن ، وباب السفاه تبعه باب البخل ، وباب الشجاعة تبعه باب الجبن ، وباب الغضب تبعه باب الرضا ، وباب الجمال تبعه باب القبح وباب الفنى تبعه باب الفقر وباب الارتداع فباب الشادي واللجاج ، ونجد عند ابن فارس الابواب المتشابهة ترد متتابعة مثل باب العته والجنون يليه باب الحمق فباب سوء الخلق وبعده باب التصسف والتهور وهكذا .

وهو يورد الابواب المتعلقة بالطبيعة بصورة متتابعة . فباب الشمس يليه باب شدة الحر فباب تغير لون الانسان لما يصيبه من الحر فباب الظل والحر فباب الفجر والنهار فباب زوال الشمس فباب القمر فباب الظلمة فباب الشتاء والبرد فباب الحر فباب الليل والنهار فباب السماء والسحاب فباب المطر وباب الريح .

وعند ابن السكيت نجد باب الفنى والغضب يتلوه باب الفقر والجذب وباب الشجاعة يتلوه باب الجبن وبال الطول يتلوه باب القصر وباب الدعاء على الانسان

بالبلاد يتلوه باب الدعاء للإنسان وتجد الأبواب المتشابهة أو المتقاربة عند ابن السكيت
متتالية مثل :

باب الجراحات والقروح يليه باب المرض فباب الحمى .

ومثل باب صفات النساء اذ يتلوه باب الدمامة والقصر وباب المعاجز وباب
نعمت النساء في الولادة وباب نعمت النساء بالنسبة الى أزواجهن وباب الجرارة
والبذاء في النساء وباب الحماء والفاجرة وباب ما يكره من خلق النساء وباب المطلقة.
وكلها كما يلاحظ أبواب متتارية تدور حول صفات النساء .

كلاهما لم يرتب الأبواب وفقا لخطة ثابتة كما ان ابن فارس قد خافه التوفيق حين كرر
باب الغضب مرتين ، وباب الجبن مرتين مع امكانه توحيدهما .

كلمة أخيرة :

حقت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق أخرى . لكنني لم
اشمر أبدا ان كتابا — غير المتخير — أصبح جزءا من كياني ولوذا في جنائي وبمضا
من بياني .

ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج
روحية غير منظورة . من هذه الروابط ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للمربية هم ابي
السيد أحمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي
المرحوم عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي أمير
الخطاطين في مصره . ببيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبيني وبينهما رحم
وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية أسرنا بمعاجم اللغة جيلا
بعد جيل . فلتقد كشفت الأيام بين تراثنا العائلي غير مخطوطة واحدة من كتاب الالفاظ
الكتابية للهمذاني ونظام الغريب للربيعي . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان
السيد أحمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الأسرة .
وحدثني من أثق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد
أمين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسربت اليه من المرحوم السيد أحمد .

هذا غير نسخ من (المحيط) وكتاب التكملة للجوالقي .

ان هذه العناية كانت: تدلني دفعا وتحلني حفزا لان أصل جبل النسخ والحفظ
— في أسرنا — بجبل التحقيق والنشر ، فأتوم بأخراج متخير الالفاظ الى عالم
المطبوعات بعد ضياع استمر ألف عام ، ونماء للعربية وأحياء لبعض تراث الأسرة .

وهكذا صاحبت — المتخير — نصف عام ، كان فيها سميري كل ليلة ونجبي كل
دجنة وكان فيها صاحبنا ومحدثنا والينا . أصوب فيه ما حرف محرف وصحف مصحف

فلا يفجر . واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر او قالة لنائر فلا يسام ولا يتخير وكأنه
بالمصبر قد تجلبب وتدثر :

حتى اذا اخذ الليل في طي الربط وتبين الخيط من الخيط ردتى الى دنياي مؤذن
ينادى . ان هي على الفلاح .. قد قامت الصلاة . فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار
من الليل واذا ينشق النور عن الظلمة .

وعلى مثل هذا كان لغاونا وامتراتنا نصف عام او يزيد .

واليوم اذ اصبح اللمسات الاخيرة من هذه المقدمة اشعر انني اقدم سميسري
وصاحبي وخليتي الى آلاف القراء ليشاركونا السمر والصحبة والخلة في طريق
المعرفة الحاشد .

ثم انني اتوجه بالشكر الى اله العلي التدبير على ما منح من صبر وسداد وما
الهم من توميق ورشاد . والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

بغداد — كانون الثاني (يناير) 1970 .

هلال بن ناجي بن زين الدين بن عبد الوهاب

الحمد لله وبه نستعين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال الشيخ الجليل أبو الحسين أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله : هذا كتاب : « متخير الالفاظ » مفردا ومركبا ، وانما نحلته هذا الاسم ، لما أودعته من محاسن كلام العرب ، ومستعذب ألفاظها ، وكريم خطابها ، منظوم ذلك ومنثوره . ولم آل جهدا في الانتقاء والانتخاب والتخير . وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام وآثر الاختصاص بجيده ، أو شاعر سلك المسلك الاوسط مرتقيا عن الدون المسترذل ونازلا عن الوحشى المستغرب . وذلك ان الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشى ، كان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثانى ، وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الانواء وأزينها في الخطابة وأعذبها في التريض وأدلها على معرفة من يختارها ؟ وانما ألفت كتابى هذا على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح أبوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والتشبيهات والمجازات والاستعارات . وعولت في أكثره على الفاظ الشعراء ، بعد التنقيح (1) عن أشعارهم والتأمل لدواوينهم . فليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه ، ولمن يجود تمييزه واختياره ، فاما من سواه فسواء هذا عنده وغيره ، ونعوذ بالله من كلال الحد وبلادة الطبع وسوء النظر . وليعلم أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب (2) السهل من الخطاب ، واجتناب الوعر منه ، والانس بأنيسه ، والتوحش من وحشيه . فهذا زمان ذلك . ولن يتسنى أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ العلق ، (3) والتطلب للخطاب المستغرب ؟ وقد تحريت في هذا الكتاب الايماء الى طرق الخطابة (4) ، وآثرت فيه الاختصار ، وتكبت الاطالة . فان سمت به همته الى كتاب اجمع منه ، قرأ كتابى الذى أسميته « الحبير المذهب » ، فانه يوفى على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

- (1) التنقيح : البحث .
- (2) الاجتناب : الأصطفاء والانتقاء .
- (3) العلق : المشكل .
- (4) فى الامل : الخطابة (بكسر الفاء) .

بَاب مَتَخِيرِ الْفَاطِ الْعَرَبِ فِي الْكَلَامِ وَالْبَلَاغَةِ (5)

يقولون : هذا رجل مقول ، فتيق اللسان ، فرب اللسان (6) . ولسان طلق . خلق . وقد لسن الرجل لسانا . قال قطرب (7) : يقال انه (لابســــن أقوال) (8) ، وابن قول ، واذا كان ذا كلام ولسان (9) ، وانه لذو عارضة اذا كان مفوها ، وهو حذائي ، نصيح ، بين اللهجة . ورجل نقل : حاضر الجواب ، ويقال للرجل اذا خلط لين الكلام بالشدّة : قد شمط ، وكان أبو عمرو بن العلاء (10) يقول : اشمطوا ، أي خوضوا مرة في الشعر ومرة في الحديث ؟ وبنو فلان شميط ، أي شبان وشيب . ويقال : طرق الكلام ومائسه (11) . ويقال : هو جيد السياق للحديث . وهو يسرد الحديث سردا .

(5) راجع باب نصيح اللسان في تهذيب الالفاظ 677 وباب الفصاحة في الالفاظ الكتابية للهمذاني 183 وباب البلاغة ومدح البليغ ووصف كلامه في الالفاظ الكتابية ص 184 — 186 وباب بلاغة المنطق في جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ص 312 وباب اللسن وقوة الحجة في جواهر الالفاظ 230 — 233 .
(6) فرب اللسان : حديده .

(7) قطرب : هو محمد بن المستنير بن أحمد الشهير بقطرب (ت 206 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 52 وتاريخ بغداد 298/3 وطبقات النحويين 106 وبغية الوعاة 242/1 ونزهة الالباء 91 ووفيات الاميان 439/3 وشذرات الذهب 15/2 ومعجم المطبوعات عمود 1517 والاعلام 315/7 واخبار النحويين البصريين 38 وانباء الرواة 219/3 والبداية والنهاية 259/10 وتاريخ ابن الاثير 380/6 وتاريخ أبي الفدا 28/2 وروضات الجنات 595 والمعبر 350/1 ولسان الميزان 378/5 ومرآة الجنان 31/2 ومراتب النحويين 67 والمزهر 405/2 ، 463 ومسالك الابصار ج ع م 281/2 ومعجم الادباء 52/19 — 54 ومفتاح السعادة 160/1 — 161 وكشف الظنون عمود 115 ، 723 ، 839 ، 1160 ، 1204 ، 1389 ، 1392 ، 1432 ، 1447 ، 1451 ، 1472 ، 1587 ، 1730 ، 1980 . وايضاح المكنون 100/1 ، 439 و 146/2 ، 315 ، 318 ، 346 ، 428 . وهدية العارفين 9/2 ومعجم المؤلفين 15/12 و 16 ونور القبس المختصر من القتبس (للزرياني واختصار البيهقي) ص 174 — 178 .

(8) ابن احوال : المقتر على الكلام . انظر جبهة الامثال 36/1 .

(9) ذو لسان : ذو مقالة .

(10) هو أبو عمرو زيان بن العلاء (ت 104 هـ) . انظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين 22 وطبقات القراء 288/1 وبغية الوعاة 267 ومعجم الادباء 156/11 ووفيات الونيات 331/1 وطبقات النحويين واللغويين 28 والفهرست 42 ونزهة الالباء 24 والمزهر 287/2 وشرح المقامات الحريريّة 189/2 وشذرات الذهب 23/1 ووفيات الاميان 136/3 والاعلام 72/3 . وانباء الرواة برقم 919 والبداية والنهاية 112/10 وتاريخ ابن الاثير 38/5 وتاريخ أبي الفدا 6/2 وتقريب التهذيب 454/2 وتهذيب الاسماء واللغات 262/1 وتهذيب التهذيب 178/12 وخلاصة تذهيب الكمال 374 والذريعة 318/1 وروضات الجنات 298 والمعبر للذهبي 223/1 واللباب 217/3 ومراتب النحويين 13 — 20 والمعارف 531 ونور القبس 25 والنجوم الزاهرة 22/2 . وانظر قول أبي عمرو هذا في لسان العرب مادة (شمط) 209/9 .

(11) العرب تقول : اطرتي ومبشي ، لن يتفنن في كلامه .

وهو خطيب مصقع ، ومسهب ، وخطب سلاق ، ورجل سفاح ، اذا كان قادرا على الكلام . قال الشاعر :

وقد ينطق الشعر الغبي ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب (12)

ويقال : هو فصيح صنع ، وهو أعضب لسانا ، وأعذب بيانا ، وأبل ريقا ، وأرق حاشية ، وأفصح لهجة ، وأشد عارضة ، وأصح تريححة ، وأحصف عقدة ، وأحسن سياقة ، وألبق اشارة ، وأبده حجة ، وانه لكما قال الشاعر :

تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزو (13)

وان كلامه لصريح ، وان لسانه لفصيح ، وكان بيانه لأولؤ منثور ، وروض مطور .

باب متخير الفاظهم في وصف الكلام الحسن

تقول الشعراء : توشى بكلام يشفى من الجوى . ويقولون : تنزرت سقاط حديثها . ويقولون : هو قول يحل المعصم سهل الاباطح (14) . وكان

(12) ورد البيت في اللسان 216/16 من غير عزو وروايته فيه : وانشد شعر :

قد ينطق الشعر الغبي ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب

قوله : يلتوى : اي يبطيء ، من اللاي وهو الابطاء .

(13) البيت لابن أحمر ، انظر البيان والتبيين 1/276 و 2/172 . وابن أحمر هو عمرو ابن أحمر بن العمرد الباهلي شاعر مخضرم ، أسلم واشترك في المغازي وتوطن الشام وتولى في خلافة عثمان . انظر ترجمته في : الخزنة 3/38 والمؤلف 44 والاصابة 6460 وامالي ابن الشجري 1/137 والاغاني (الثقات) 8/232 والشعر والشعراء 1/273 وطبقات ابن سلام 485 والسيوط 307 ومعجم الرزباني 24 وتبصير المنتبه 1070 وشرح ادب الكاتب للجواليقي .

(14) العبارة تسميم بيت متدافع نسبه بعض المصادر لكثير عزة ، ونسبه مصادر اخرى لمجنون بني عامر تيس بن الملوح . فهو في ديوان كثير 1/108 وروايته :

واديثني حتى اذا ما ملكنتي بقول يحل المعصم سهل الاباطح

وهو لكثير في المراجع التالية : امالي الغالي 2/228 ومعجم شعراء الرزباني 243 وهياسة ابي تمام بشرح التبريزي 3/259 وثمار القلوب 111 . والمختار من شعر بشار 34 ، وخاص الفاص 107 ، والعمدة 2/116 والرافع 2/33 ، والاشباه والنظائر 1/202 .

والبيت للمجنون في ديوانه ص 67 وهو له في المراجع التالية : الاغاني (طبعة دار الثقافة) 2/75 وزهر الآداب 1/567 والشعر والشعراء 475 وهيون الاخبار 3/78 و 4/139 ، والمعد الفريد 5/378 ، والزهرة ص 47 .

والبيت من غير عزو في أصداد الانباري 205 .

وقد توهم البكري ان قال في التسمية ص 118 : ((هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ولا أعلم أحدا رواه له ولا وقع له في ديوانه)) . والصواب ان هذا الشعر مختلف في نسبه بالتنصيص الذي أوردناه ، وانظر اللاي 850 .

زياد يقول : لحديث اسمه من عاقل أحب الى من سلافة قتلت بماء ثغب في يوم ذى وديعة ترمض فيه الاجال (15) . ويقولون : كلام لو (6 ب) دعى به عاقل الاروى (16) تنزل، وتكلم بكلام كأنه القطر يعنون استواءه وحسنه . ويقولون : كلام يشبع الجائع وينعم الظمان ؟ فيقول شاعرهم :

توشيت بقول كاد يشفى من الجوى تلم به أكبادنا ان تصدعا
كما استكرع الصادى وقائع مزنة ركاك (17) تولى صوبها حين وقما

وقال بعض الهذليين (18) : كلام مثل الحبير المسلسل . ومما يصلح ذكره في هذا قول النابغة (19) :

تضبا من الريحان غلسه الندى مالت جناجه واسفله ندد

ويقولون للنساء اذا تحدثن : بيض يرامتن الحديث ، وذلك اذا ساقطن منه القليل فالقليل . والرماقى : الشيء القليل . ومن ألفاظ الشعراء قوله : ارتمينا بقول بيننا دول ، أى جعلنا نتداوله . ويقال : ما زال يرمى بهم منذ اليوم شعب الحوار . ويقولون : مختزن من الحديث . وله الفاظ موزنة ،

(15) الثغب : بقية الماء العذب في الارض ، او الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .

الوديعة : شدة الحر .

ترمض : تحترق قدماء من شدة الحر

الاجال : قطع الظباء أو بقر الوحش .

وانظر بعض هذا الحديث في اللسان مادة (ثغب) 232/1 مع اختلاف في الرواية

(16) الاروى : جمع اروية وهي اثنى الوعل .

(17) ركاك : جمع رك وهو المطر الضميف .

(18) هو أمية بن ابي عائذ الهذلي من شعراء الدولة الأموية . انظر ترجمته في الاصابة 177/1 والخزانة 417/1 والشعر والشعراء 558/2 والافاني (طبعة بولاق) 115/20 .

وعبارته هذه تسيم بيت له روايته في ديوان الهذليين 193/2 :

تحدثت ليلي فامتدح أم نافع بماتبة مثل الحبير المسلسل

(19) هو زياد بن معاوية الزبياني (ت نحو 18 ق هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجهمي 46 والشعر والشعراء 92/1 والافاني (بولاق) 162/9 ومعاهد التنصيص 333/1 ونهاية الأرب 62/3 وخزانة البغدادي 287/1 و 427 ثم 96/4 وتهذيب ابن عساکر 424/5 وشرح شواهد الغني 29 وبروكلمان 88/1 والاعلام 92/3 . ولا وجود لهذا البيت في ديوان النابغة - صنعة الدكتور شكري فيصل . والجناح : مقام الصدر وقيل رؤوس الأضلاع ، وانظر اللسان 254/16 .

ومعان غضة ، كأنها مواعع ماء المزن في البلد القفر » (20) . وقال :
إذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من سلك ناظم (21)

باب في نكر الكلام الردىء والعمى (22)

يقال منطلق عيال ، وهو الذى ليس على جهته . ويقال ليس لكلامه
ضحى ، أى ليس له بيان (23) . وقال الباهلى : سمعت أبا تمام

(20) هذا تسيم بيت انشده ابن الاعرابي ، والبيت بتمامه :

له في ذوي الخلات نعى كأنها مواعع ماء المزن في البلد القفر
وتبله :

إذا ما اتاه السائلون توتدت عليه مصابيح الطلانة والبشر

راجع التشبيهات : ابن أبي عون ص 401

والشطر أيضا تسيم بيت لأبي الاسد نباته بن عبد الله الحماني ، وكان منقطعا
الى الفيض بن صالح وزير المهدي وميه يقول :

مواعع جود الفيض في كل بلدة مواعع مساء المزن في البلد القفر

انظر البصائر والذخائر المجلد الثالث تسم 1 ص 287 والاغانى 134/14 وأبو
الاسد شاعر عباسي توفى سنة (220 هـ) وانظر ترجمته في : الاغانى 131/14
والوزراء والكتاب 164 .

(21) البيت لأبي حية النميري ، انظر : أمالي القاضي 281/2 وروايته : سقاط وهو
في أمالي المرتضى 443/1 وروايته : الحديث حسبته ، وقال المرتضى في أماليه
معقبا : « ويروى ساقطن الاحاديث للفتى . ويروى أيضا : ساقطن الحديث
كانه » . والبيت في الكامل 72/1 :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

والبيت في الزهرة ص 11 من غير عزو وروايته كرواية المتخير .
والبيت لأبي حية في الأشباه والنظائر للخالدين 203/1 — 204 وروايته مماثلة
لرواية الكامل . وهو له في الحماسة البصرية 86/2 وفي الصناعتين 156 وفي
زهر الآداب 15/1 . ونسب للبحثري خطأ في ديوان المعاني للمسكري 238/1 .

(22) راجع باب العمى في الالفاظ الكتابية 186 وباب في الفهامة ولكن والمعز عن
الحجة : جواهر الالفاظ 223 وباب العمى والفهامة 313 : جواهر الالفاظ .

(23) انظر العبارة في المنتخب من كفايات الادباء للجرجاني 145 .

الشاعر: (24) يقول لرجل تكلم فأساء : لئلا كلامك رزق الصمت المحبة ، ثم التفت الى فقال : أنا أبدعت هذه . ويقال : هو عى اللسان ، فدم ، ألوث ، وفي كلامه حكمة ، أى عجمة . وقد رتج في منطقته رتجا ، وأرتج عليه ، اذا استغلق عليه الكلام ، وأصله من ارتجت الباب أى أغلقته . ويقال : هو عى ألف (25) . ويقولون : ليس ينطق حتى ينطق الحجر .

باب الهذر والاكثار (26)

يقال : أهذر في منطقته اهذارا ، ورجل ثرثار كثير الجلبة . ويقال : قد افترش لسانه ، اذا تكلم بما شاء . ويقولون : من أكثر اهجر . و (المكثار حاطب ليل) (27) ، والهراء : المنطق الفاسد ، والخطل مثله . قال ذو الرمة (28) .

(24) ورد في كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ص 253 ما نصه : « حدثنا أبو تمام قال ، حدثنا كرامة قال : تكلم رجل في مجلس المهيم بن صالح مهذر ولم يصب ، فقال : يا هذا ، بكلام أمثالك رزق الصمت المحبة » . وانظر ترجمة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ) في : وفيات الأعيان 334/1 ومعاهد التنصيص 38/1 وخزانة الادب للبغدادي 172/1 و 464 وشذرات الذهب 72/2 وتاريخ بغداد 248/8 والذريعة 314/1 ودائرة المعارف الاسلامية 320/1 والاعلام 170/2 والاغاني (طبعة الساسي) 96/15 والبداية والنهاية 299/1 وتاريخ أبي الفدا 38/2 وتنقيح المقال 251/1 والرجال للنجاشي 102 وسرح العميون 324 وطبقات ابن المعتز 382 والمبر 411/1 وكشف الظنون 691 ، 770 ، 1241 . ومرآة الجنان 102/2 ومعجم المؤلفين 183/3 ومفتاح السعادة 191/1 والنجوم الزاهرة 216/2 وأعيان الشيعة ج 19 والعمدة 130/1 - 133 والنهرست 165/1 ومروج الذهب 151/7 والموازنة بين أبي تمام والبحتري للابدي والموشح 464 - 505 ومنتهى المقال 86 .

(25) وهو العمي الذي اذا تكلم ملا لسانه فبه .
(26) راجع في الالفاظ الكتابية باب الامراط في الكلام 186 وفي جواهر الالفاظ باب الامراط والمبالغة 428 .
(27) انظر المثل في جبهة الامثال 228/2 والفاخر 264 ومصل المقال 24 والميداني 172/2 والمستقصى 140 واللسان مادة (حطب) .
(28) هو غيلان بن عقبة (ت 117 هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجبحي 465 والشعر والشعراء 437/2 والاغاني 106/16 والموشح 170 وابن خلكان 404/1 والنسب 81 وشرح شواهد الغني 52 والخزانة 50(1) والميني 412/1 وبروكلمان 220/1 ومعاهد التنصيص 260/3 والشريشي 53/2 وجبهة اشعار العرب 931 وتزيين الاسواق 88/1 ودائرة المعارف الاسلامية 392/9 والاعلام 320/5 . ورواية البيت في ديوان ذي الرمة ص 212 :
لها بشر مثل الحرير ومنطق دفيق الحواشي لاهراء ولائزر
وفي المخصص 126/2 وفي أمالي الغالي 154/1 : رخيم الحواشي وهو كذلك في أضداد أبي الطيب اللغوي 74/1 . وفي البيان والتبيين 276/1 : رقيق الحواشي . والبيت أيضا في اصلاح المنطق 156 والاساس مادة (هرا) واللسان مادة (هرا) ومادة (نزر) ، واللاي 407 - 408 وأضداد ابن الأنباري 242 وأمالي المرتضى 63/1 وأمالي الشجري 78/2 والمقاييس 49/6 وشروح سقط الزند 394/1 .

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخييم الحواشي لا هراء ولا نزر

باب في اللحن والقوى

تقول العرب : عرفت ذلك في نحوى كلامه ، وفي لحن كلامه ، وعروض كلامه . قال قطرب ، يقال : عرفت في معراض قوله ، ومعنى كلامه . حويل قوله ، أى ما حاول . ويقال : أحال عليه بالكلام إذا أقبل . وأحال عليه بالسوط أقبل . ويقال : ليس لكلامه طلع غير هذا ، أى وجه . وكذلك مطلع . ويقال مدحه مدحة مستنيرة .

باب آخر

الخلف : الردىء من القول . يقال (سكت لنا ونطق خلفا) (29) . والقول الخامل : الخفيض . وفي الحديث : (اذكروا الله ذكرا خاملا) (30) أى خفيضا . ويقال : خاوضه الحديث : جراه وتخاوضا المسألة . وتكلم بكلمة طخياء ، أى أعجميه . وهو يرمى بيده عذبة وحردة ، إذا لم يبال ما قال . وهو يتلغم بذكر فلان ، أى يذكره . قال ابن الاعرابى (31) ، قلت لأعرابى : متى الرحيل ؟ قال تلغموا بالسبت . ويقال فى المدح خطيب معن ، إذا ائتمد نظره ، وابتل ريقه ، ولم يعيه شىء . وفلان مجهر . ورمى بالكلام

- (29) يضرب مثلا لمن يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ . انظر المثل فى جبهة الامثال 509/1 وفصل المقال 48 والميداني 223/1 والمستقصى 226 واللسان مادة (خلف) واصلاح المنطق ص 66 و 12 ونصيح ثعلب 69 ونظام الغريب 33 . والفاخر 269 وروايته للمثل : « صمت لنا ونطق خلفا » .
- (30) جزء من حديث تمامة قيل : وما الذكر الخامل ؟ قال : الذكر الخفي . رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق (رقم الحديث 155 ص 50) من حنزة بن حبيب مرسل . واورده السيوطي فى الجامع الصغير 37/1 ورمز له بالضمف . وهو فى النهاية فى غريب الحديث والائر 81/2 .
- (31) هو أبو عبد الله محمد بن زياد (ت 231 هـ) . انظر ترجمته فى : وفيات الاعيان 492/1 وتاريخ بغداد 282/5 والواني بالونيات 79/3 ونزهة الالبا 150 وطبقات النحويين واللغويين 213 والفهرست لابن النديم 69 والاعلام 365/6 وانباء الرواة 128/3 والبداية والنهاية 307/10 وبغية الوعاة 105/1 وتاريخ ابن الاثير 275/5 وتاريخ الفدا 36/2 وتلخيص ابن مكنوم 209 و 210 . وتهذيب الاسماء واللغات 265/2 وروضات الجنات 596 وشذرات الذهب 70/2 وطبقات ابن قاضي شهبة الورقتان 24 و 25 والمبر 405/1 وميوسن التواريخ (وفيات 231 هـ) ومراتب النحويين 149 ومراة الجنان 106/2 والمزهر 411/2 و 464 ومسالك الابصار ج ع م 230/2 و 231 والمعارف 546 ومعجم الادباء 189/18 ومعجم المؤلفين 11/10 ونور القيس 302 ومقدمة الأزهرى 58 و 59 والنجوم الزاهرة 264/2 وهدية العارفين 12/2 وكشف الظنون وايضاح المكتون فى مواضع متعددة . وانظر نص العبارة فى اللسان مادة (لغم) 18/16 .

على عواهنه ، أى على ما خيلت . ويقولون : لو كان عند فلان عقب تكلم ،
أى لو كان عنده جواب . أبو زيد (32) ، يقال : كلمنى فلان فما أرجعت له
تولا ، أى ما أجبته بكلمة . قال أبو عمرو بن العلاء : العناج في القول : أن
تكون للسان حصة فيتكلم بعلم ونظر .

باب في السر والاختبار ببعض الحديث (33)

يقال بينهم مهادمة ، وسمعت رسا (34) من الخبر وذروا . والذرو :
المشاهدة ببعض الخبر . وفي كلامه شكلة ، أى اشتباه . وكيمت (35)
الشهادة . وخمر على الخبر ، أى خفى . ويقال للرجل يريد استئذالك عن
السر : تستطنى فاخلفت ظنه . ورجل جهره لا يكتفم سرا . وإذا مدحوه
قالوا : شحيح بنث السر سمح بغيره (36) . وقالوا : كريم يميت السر (37)

- (32) هو سعيد بن أوس الأنصاري البصري (ت 215 هـ) . انظر ترجمته في : وفيات
الأميان 207/1 وأخبار النهويين البصريين 41 وتاريخ بغداد 77/9 ونزهة
الآلباء 125 وأنباء الرواة 30/2 والأعلام 144/3 والبداية والنهاية 269/10
وبغية الوعاة 582/1 وتاريخ ابن الأثير 220/5 وتاريخ أبي الفدا 30/2 وتقريب
التهذيب 291/1 وتهذيب الأسماء والنسب 235/2 وتهذيب
التهذيب 3/4 وجهرة الأنساب لابن خزم 373 وخلاصة تذهيب الكمال 115
وروضة الجنات 312 وشذرات الذهب 34/2 وطبقات الزبيدي 182 وطبقات
ابن قاضي شبيه الورق 149 و 150 وطبقات القراء 305/1 والمبر 367/1
وميون التواريخ (وفيات 215) والمهرست 54 و 55 ومراة الجنان 58/2
ومراتب النهويين 42 والمزهر 402/2 و 419 و 461 ومسالك الأبرار ج 2 م
224/2 و 225 والمعارف 545 ومعجم الأدياء 212/11 ومعجم المطبوعات 312
ومعجم المؤلفين 220/4 ونور القيس 104 وميزان الاعتدال 126/2 والنجوم
الزاهرة 210/2 وكشف الظنون وإيضاح المكنون في مواضع متعددة .
(33) راجع باب كتبان السر وباب إذاعة السر وباب اكتشاف السر في الألفاظ
الكتابية ص 211 - 213 .
(34) رس الحديث : ابتدأه
(35) كيمت : كتمت
(36) النث : نشر ما كان كتبانه أوجب .
وهو صدر بيت لكثير بن عبد الرحمن الخزامي في ديوانه 31/1 ورواية البيت
نيسه :

- (37) ضنين ببذل السر سمح بغيره
تسيم بيت لكثير الخزامي ونصه :
كريم يميت السر حتى كأنسه
انظر ديوانه 259(1) وأمالى الغالى 5/2 وزهر الآداب 953(2) وهو أيضا تسيم
بيت للأحوص الأنصاري في ديوانه صنعة الدكتور إبراهيم السامرائي ص 80
وروايته فيه :

كريم يميت السر حتى كأنه
عم بنواهي أمرها وهو خابر
والبيت في محاضرات الراغب 126/1 وفي الزهرة 237 وفي مجموعة المعاني 128
وانظر ترجمة الأحوص وهو عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105 هـ) في :
الأغانى (طبعة دار الكتب) 224/4 وشرح الشواهد 260 والشعر والشعراء
204 وخزانة الأدب للبغدادى 232/1 والموشح 231 والذريعة 319/1 وطبقات
ابن سلام 137 وكنى الشعراء 290 وتاريخ الإسلام 91/4 وميون التواريخ
237/3 ومصارع المشاق 419 ومهرست ابن خير الأشبيلي 397 والأعلام
257/4 وفي مقدمة ديوانه .

ويقال لمن يؤمر بالكتمان : اجعل هذا في وعاء غير سرب (38) . قال :
« واكنم السر فيه ضربة العنق » (39) . قال الضبي (40) : جمهور فلان
الخبر كناه ولم يحضك حقه ، وهذا خبر جمهور أي لا يدل منه على
جهة (41) .

(38) في الاصلين : سرب (بكسر السين وسكون الراء) .

(39) عجز بيت لابي محجن الثقفى في ديوانه — طبعة المنجد من 19 وروايته فيه :

واكتف المازق المكروب غمته واكنم السر فيه ضربة العنق

قال ابو هلال العسكري شارع الديوان : « ويروى : المخشي غمته » .
واختلف في رواية صدر البيت . ففي الشعر والشعراء من 337 : « قد اركب
الهول سدولا مساكره » ورواية عيون الاخبار 38/1 وخرانسة الادب 555
مماثلتان لرواية الشعر والشعراء .
ورواية الاتباع والمزاوجة من 56 : وقد اجود و (ما) مالي بذى فنع
ورواية الوحشيات 169 واللسان مادة (منع) مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة . ورواية تهذيب الالفاظ من 10 : وقد اجود وما مالي بذى فنع
ورواية الاغاني 142/21 :

واطمن الطمئة النجلاء عن عرض . واحفظ السر فيه ضربة العنق

ورواية الاستيعاب مماثلة لرواية الاغاني . وانظر بهجة المجالس 462/1
وزواية الحيوان 182/5 والمخصص 280/12 مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة وانظر البيت في الفصول والغايات من 465 . ورواية العقد الفريد
67/1 « قد اطمن الطمئة النجلاء عن عرض » . ورواية الصدر في البصائر
والذخائر المجلد الثاني — القسم الثاني من 312 : « واكتف الماتط المكروه
غمته » . والماتط : موضع القتال أو المضيق في الحرب . ورواية الصدر في جمع
الجواهر في الملح والنوادر من 84 : « واطمن الطمئة النجلاء عن عرض »
والعجز ايضا في الهوامل والشوامل للتوحيدي من 19 .
وقد طبع ديوان ابي محجن في لندن والقاهرة والهند وبيروت . وانظر ترجمة ابي
محجن الثقفى (ت 30 هـ) في : الاغاني 137/21 والخزانة 550/3 والمعنى
381/4 وطبقات ابن سلام 225 والمؤلف 95 والاصابة 170/7 والشعر
والشعراء 337 وتجرید الاغاني — ابن واصل — القسم الثاني من الجزء الثاني
من 1982 — 1987 ، والحيوان 303/6 . وفتوح البلدان للبلاذري — طبعة
المنجد 308/1 و 316 — 319 والطبري 548/3 (طبعة دار المعارف) ومروج
الذهب للمسعودي 323/2 (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد) .

(40) المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) . انظر ترجمته في : ارشاد
الاربيب 171/7 وبهرست ابن النديم 68 وغاية النهاية 307/2 وميزان الاعتدال
195/3 ولسان الميزان 81/6 ونزهة الالباء 56 واللباب 71/2 ومراتب النحويين
71 وتاريخ بغداد 121/13 والنجوم الزاهرة 69/2 وانباء السرواة 304/3
والاعلام 204/8 وبغية الوعاة 297/2 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 168)
وطبقات الزبيدي 210 وطبقات ابن قاضي شبيه الورقة 257 والزهر 405/2
والمعارف 545 ومعجم المطبوعات 1771 ومعجم المؤلفين 316/12 ونور القبس
272 وهدية العارفين 468/2 وايضاح المكنون 271/2 و 506 و 530 .

(41) قال الكسائي : اذا اخبرت صاحبك بطرف من الخبر وكنمت الذي تريد قلت :
جمهورت عليه . انظر المجلد لابن فارس من 181 .

باب في التميمية (42)

يقال : نم ونمل ومذل بالامر : باح به . وفلان مشاء ، أى يمشى بين الناس بالتميمية ، ويوقد بين الناس بالحظر الرطب (43) ، كناية عن التميمية .

باب المدح (44)

يقال : مدحه ، وأثنى عليه ، وقرضه ، وأطراه ، ومجده . وان فلانا وفلانا ليتقارضان الثناء ، اذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه . وقال ابن السكيت (45) : نلان يخم ثياب فلان ، اذا كان يثنى عليه (46) .

باب في الوقية وسوء القول والشتيم (47)

يقال : شتمه ، وذامه ، وجدبه ، وثلبه ، ولحاه يلحاه . ويقال : شترت بالرجل ، وسمعت به ، وشردت به . قال :

- (42) راجع باب التميمية ص 121 : جواهر الالفاظ .
- (43) الحظر : الشجر المحتظر به ، أى المحتمي به . واصل المثل : « أوقد في الحظر الرطب » أى نم . ويقال : « جاء بالحظر الرطب » أى بالكذب المستنمع أو بالكثير من المال . ويقال : « وقع فلان في الحظر الرطب » اذا وقع فيما لا طاقة له به .
- وانظر المعانييس 81/2 وتهذيب الالفاظ 11 و 94 واللسان مادة (حظر) والتاج (حظر) . وفي الخصص 87/3 : جاء بالخضر الرطب وهو تصحيف . وانظر المثل في جمهرة الامثال 314/1 والمبدائي 179/1 رقم المثل 962 والكتايب ص 8
- (44) راجع باب المدح والثناء في تهذيب الالفاظ 439 وباب المدح في الالفاظ الكتابية 22 وباب المدح في جواهر الالفاظ 45 .
- (45) هو يعقوب بن اسحاق (ت 244 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 72 ووفيات الاميان 309/2 ونزهة الالباء 178 والفلاكة والمفلوكون 136 وهدية العارفين 536/2 والاعلام 255 والبداية والنهاية 346/10 وبغية الوصاة 349/2 وتاريخ ابن الاثير 200/5 وتاريخ بغداد 273/14 وتاريخ ابي الفدا 40/2 وتفتيح المقال 329/3 ودائرة المعارف الاسلامية 200/1 والرجال للنجاشي 312 وروضات الحنات 745 وشذرات الذهب 106/2 وطبقات الزبيدي 221 والعبير 443/1 ومرآة الجنان 147/2 ومراتب النهويين 95 والمزهر 412/2 ومجمع الادباء 50/20 - 52 ومجمع المطبوعات 9/1 ومجمع المؤلفين 243/13 ونور القيس 319 ومنتهى المقال 332 والنجوم الزاهرة 317/2 وتلخيص ابن مكرم 277 .
- (46) انظر تهذيب الالفاظ 441 .
- (47) راجع باب الثلب والطعن في الالفاظ الكتابية 20 وباب رمك الصموت بالوقية في الرجل والشتيم له : تهذيب الالفاظ 263 وباب الطعن على الرجل 265 منه . وباب الثلب والملاحاة 42 : جواهر الالفاظ .

أطوف في الأباطح كل يوم . مخافة أن يشرد بن حكيم (48)

وفي الأمثال : (شتمك من بلغك) (49) . وفي هذا المعنى قول القائل :

وما حل (50) حط قدرا من نفسه لم يصنه
أراد نقص أخ لسي بما يبلغ عنه
فكان ما سمعته مسامعي منه من

ويقال : نددت به ، إذا سمعته القبيح . قال ابن السكيت ، يقال : هو ينمي عليه ذنوبه ، أي يذكره بها (51) . وقد تفاه بأمر عظيم ، إذا قدّمه ، يقفوه . وقد اتذع له ، إذا سمعه كلاما قبيحا . ويقع فلان بقبيح ، ومقع أيضا ، ويقع بسوءه . وقد أفحش فلان أفحاشا ، وأهجر أهجرا ، أي قال قبيحا ، قال :

كما جده الأعراق قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا (52)

وقال فلان هجرا وبجرا ، إذا قال قبيحا . ويقال : ما في حسب فلان

- (48) البيت في اللسان مادة (شرد) من غير مزو وفيه : في الأباطح : بالأباطح . وشرد به : أي سمع بميوبه . وحكيم رجل من بني سليم كانت تريض ولته الأخذ على أيدي السفهاء . والراء في الأصلين مفتوحة : يشرد .
(49) في جهمرة الأمثال 277/2 ما نصه : من سبك ؟ قال : من بلغك وفي هذا المعنى جاء في مجمع الأمثال للميداني 314/2 رقم المثل 4087 ما نصه « من سبك ؟ قال : من بلغني . أي الذي بلغك ما تكره هو الذي قاله لك ، لأنه لو سكت لم تعلم » .
(50) الماحل : الذي يكيد بسعاية .
(51) انظر تهذيب الألفاظ ص 264 .
(52) البيت للشماخ بن غرار الذيباني ، انظر ديوان الشماخ — تحقيق صلاح الدين الهادي — ذخائر العرب 42 — دار المعارف بمصر ص 135 ، ورواية البيت فيه :

مجدة الأعراق قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا

ورواية أمالي المرتضى 556/1 تماثلها .
والرواية (كما جده الأعراق) في : فصل المقال 24 والصجاح 851/2 ومتايبس اللغة 35/6 وشرح نهج البلاغة ومفردات الراغب 537 واللسان مادة (هجر) 114/7 وتسام نصيح الكلام — طبعة بغداد ص 19 .
وانظر ترجمة الشماخ (ت 22 هـ) في : الأغاني (ساسي) 97/8 والموشح 67 وطبقات ابن سلام 110 والمؤلف 138 والشعر والشعراء 232/1 والسبط 58 والخزانة 526/1 والأصابة رقم الترجمة 3913 والحبر 381 والكامل للمبرد 28/2 ومجمع المطبوعات 1141 ورغبة الأمل 94/2 والتبريزي 65/3 و 133/4 والأعلام 252/3 .

قرامة ولا وسم ، وهو العيب . وفي كلامهم : فتمتة أذيمة ذميا . وفي الامثال :
(لا تعدم الحسنة ذاما) (53) ويقال : ذمه ذما ، وقصبه قصبا ، وجذبه
جذبا . وجاء في الحديث (54) : جذب لنا السمير بعد عتمة) أي عابه . قال
ذو الرمة : (55)

فياك من خد أسيل ومنطق رخييم ومن خلق تملك جادبه

أي عائبه . وقد سبمه ، ورماه بها جرات . وقد تعنى فلان بفلان ، اذا
هجاه ورماه بمندييات (56) . ويقال رماه بكلام كككر (57) الاسود .

باب دعاء الرجل لصاحبه بالخير (58)

يقال : « نعم عوفك » (59) ، أي حالك . ويقال للمتزوج : « بالرفاء
والبنين » (60) ، من رفأت الثوب ، كأنه قال : بالاجتماع والانتقام . ويقال
لمن رمى فأجاد : لا تنسل عشرك . ويقال : لا ثللا ولا عمى (61) . ولمن
تكلم فأجاد : لا يفض الله فاك ، أي لا جعله الله فضاء لا سن فيه . ويقولون :
« آهلك الله في الجنة » (62) . ويقولون : أبل جديدا وتمل حبيبا ، أي ليطل

(53) معناه : لا يفلو احد من شيء يعاب به . انظر المثل في : جبهة الامثال 398/2
والفاخر 155 والميداني 109/2 وفصل المقال 39 واللسان (ذيم) والصاح
1926/5 .

(54) « جذب النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمير بعد صلاة العتمة »
رواه ابو داود الطيالسي في مسنده من عبد الله بن مسعود (منحة المعبود
73/1) ورواه ابن ماجة بنفس السند بلفظ : جذب لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم السمير بعد العشاء ، يعني زجرنا . (انظر سنن ابن ماجة 230/1
رقم الحديث 703) . قال البوصيري : هذا اسناد رجاله ثقات ولا اهل له حلة
الا ان عطاء بن السائب اخطط باخوه (مصباح الرجاجة - مخطوط ورقة
44 - ب) . والحديث في النهاية 243/1 .

وجاء الحديث في تهذيب الالفاظ 266 بلفظ : « جذب لنا عمر السمير بعد عتمة »
أي عابه .

(55) ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 43 بدون اختلاف في الرواية . وهو في مجالس
تعلم 33 وفي المجلد 145 وامالي العاليي 163/3 والمقاييس 435/1 واللسان
مادة (جذب) .

(56) المندييات : المخزييات .

(57) النكر : النهش ، والطمع بالانف .

(58) راجع باب الدعاء للانسان - تهذيب الالفاظ . 580 وباب الدعاء بالخير
الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بدوام النعمة 170 وفي جواهر الالفاظ راجع
باب الدعاء بدوام النعمة وطول امدها 316 .

(59) راجع تهذيب الالفاظ 580 والميداني 332/2 رقم المثل 4194 .

(60) انظر المثل في : جبهة الامثال 206/1 وفصل المقال 77 والميداني 66/1
وتهذيب الالفاظ 580 والالفاظ الكتابية 171 والمقاييس 420/2 واصلاح المنطق
153 والفاخر 13 والمستقصى 182 واللسان مادة (رما) والاستغنى 488 .

(61) راجع : اصلاح المنطق 200 وتهذيب الالفاظ 582 .

(62) ورد في تهذيب الالفاظ 582 : يقال : آهلك الله في الجنة ايها ، اي زوجك الله
فيها وادخلكها . وفي المقاييس 151/1 : معناه : زوجك فيها .

عمره معه (63) . ويقولون : ان فلانا لكريم ولا تقبل من بعده ، أى لا امامته
الله فيثنى عليه بذلك بعد موته (64) . ويقولون : مرجبا وأهلا ، ولا آب
شائنة ، أى لا زجع . وتقول للرجل يرشدك : لا يعم عليك الرشد (65) .

باب الدعاء بالشر (66)

يقال : ماله آم وعام أى هلكت ماشيته وامراته فيثيم ويشتهى
اللبن . ماله قطع (67) الله مطاه (68) . ويقال : ما له جرب وحرب أى جرب
من الجرب ، وحرب ذهب ماله . ويقال : ماله ال وغل أى ال طعن بالالة (69) ،
وغل بالغل . ويقال : غل من الغليل وهو العطش (70) . ويقال : ماله ذبل
ذبله أى من ذبول الشيء ، أى ذبل لحمه وجسمه . وماله قل حيسه (71) أى
خيره . وما له يدى من يده أى شلت يده . وما له شل عشره . وما له هبلته
الرعيل أى أمه الحمقاء (72) . قال ، وسمعت الكلابى (73) يقول : ما له
أرقا الله به الدم أى ساق اليه قوما يطلبون قومه بقتيل ، فيقتلونهم
حتى يرقا (74) به دم غيره . ويقال : قطع الله به السبب ، أى سبب الحياة .
وسمعت أعرابيا يقول لآخر : جعل الله رزتك فوت نمك ، أى تنظر اليه
فربما (75) يفوت نمك ولا تقدر عليه . ويقال : الحق الله بك الحوبة ، وهى

- (63) انظر تهذيب الالفاظ 582 .
(64) انظر تهذيب الالفاظ 583 .
(65) هكذا فى الاصل ، مع اضافة لفظة (معا) ، اشارة الى جواز القرامتين .
(66) راجع باب الدعاء بالشر فى الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بالشر فى جوهر
الالفاظ 391 وباب الدعاء على الانسان بالبلاء والامر العظيم فى تهذيب الالفاظ
570 - 579 .
(67) فى الاصل : (مطو) . والتصويب من تهذيب الالفاظ 571 .
(68) مطاة : أى ظهره . والمطا ايضا : الوثن والمصاحب .
(69) الاله : الحربة .
(70) ورد فى اللسان مادة (غلل) 17/14 ما نصه : « وتولها ما له ال دفع فى قضاء ،
وغل جن موضع فى عنقه الغل » . وانظر المتايبس 19/1 والاصلاح ص 20 .
(71) الحيس : عجينة من خلط التمر والسمن والاقط ، وفى تهذيب الالفاظ 572 :
خيسه (بالخاء المعجمة) : أى خيره .
(72) انظر تهذيب الالفاظ 572 .
(73) ابو زياد الكلابى ، واسمه يزيد بن الحر ، ترجم له القفطى فى انباه الرواة برقم
911 ، وقال : « أعرابى بدوى . قال دعبل : قدم ابو زياد من البادية أيام
المهدي حين أصابت الناس مجاعة ، ونزل بغداد فى طبعة العباس بن محمد ،
واقام بها أربعين سنة ، وبها مات » ومن مؤلفاته كتاب النوادر والفرق والابل
وخلق الانسان .
(74) وانظر ترجمته ايضا فى فهرست ابن النديم ص 44 وتاريخ بغداد 398/14 .
(75) فى تهذيب الالفاظ 572 : حتى يرقى الله به .
فى الاصل قرب ما ، وفى تهذيب الالفاظ : قرب ما ، وفى نسخة خطية من تهذيب
الالفاظ : قدر ما .

المسكنة والحاجة (76). ويقال : امدى الله شواره ، وهي مذاكيره (77).
ويقولون : ان كنت كاذبا فشربت غبوقا باردا ، أى لا كان لك لبن حتى
تجوع الى شرب الماء القراح (78). ويقال : عليه العفاء ، أى محا الله أثره.
ويقال : « عليه العفاء والكلب المواء » (79). ويقولون : لمن يفارق وفرائه
محبوب ، أبعد الله ، وأسحقه ، وأوقد نارا أثره يتفاءلون ان لا يرجع
اليهم (80). ويقال : ما له تربت يداه ، اذا دعى عليه بالفقر . والمتربة :
الفقر (81). ويقال : ما له هوت أمه (82) او ما له سباه الله ! أى غربه ،
ويقال جاء السيل بعود سبى اذا احتمله من بلد الى بلد (83) ويقال : بنيه
البرى (84) أى التراب . وبفية الاثلب (85). ويقال لمن وقع في بليية
ومكروه وشمت به : لليدين وللهم (86) ، و « به لا بظى بالصريمة
أعفر » (87) وما له سحته الله أى استأصله . ويقال : رماه الله بلييلة لا أخت

- 76 انظر تهذيب الالفاظ 574 .
77 جاء في اصلاح المنطق ص 165 « والشوار : مرج الرجل . ويقال : ابدى الله
شوارك ومنه قيل شور به . أى كانه ابدى مورته » .
وجاء في تهذيب الالفاظ ص 574 : ابدى الله شواره ، اي مورته .
78 انظر تهذيب الالفاظ 574 .
79 انظر المثل في تهذيب الالفاظ 574 . ورواية المثل في الميداني 39/2 رقم المثل
2572 : « عليه العفاء ، والذئب المواء » . العفاء : التراب والهلاك . والمواء : الكثير
المسواء .
80 انظر تهذيب الالفاظ 574 — 575 .
81 انظر تهذيب الالفاظ 575 .
82 في تهذيب الالفاظ 575 : ما له صوت أمه : اي نكلته أمه .
83 انظر تهذيب الالفاظ ص 576 .
84 / في الاصل : البرا . وانظر تهذيب الالفاظ 576 . وانظر المثل في مجمع الامثال
96/1 رقم المثل 462 .
85 الاثلب : التراب ، وقد سببت في الاصلين بفتحين وكسرتين ورسمت (معا)
في الموشمين دليل جواز الفرائدين . وانظر تهذيب الالفاظ ص 577 .
86 من بليغ الشواهد عليه قول عبد الله بن عبد العزيز وكان قد نهى ابن السكيت
من اتصاله بالمتوكل فلم يستمع له فقتل شر قطة :
نهيتك يا يعقوب من قرب شادن اذا ما سطا ارمى على كل ضيفم
لمنقواهسى ما استحصيته لا اتول اذ عثرت لعا ، بل لليدين وللهم
87 الصريمة : القطعة من الرمل ، والامتر : الذي لونه لون العفر ، وهو التراب
والمثل قاله الفرزدق ، ويغرب للشماتة بالرجل . انظر : جمهرة الامثال 207/1
ومصل المقال 91 والميداني 59/1 والمستقصى 187 واللسان مادة (صرم) .
وتمام البيت :
اتول له لما اتانى نعيمه به لا بظي بالصرائم اعفرا

لها ، أى أماته الله . ويقال : ما له صفر فناؤه وقرع مراحه (88) أى هلكت ماشيته (89) . ويقال : تعس وانتكس ، فالتعس أن يخسر على وجهه ، والنتكس أن يخسر على رأسه (90) . ويقال : رماه الله من كل أكمة بحجر . ويقولون : جدعا وعقرا . ويقال للقوم يدعى عليهم : فاقده الله بينهم .

باب قولهم ما كلمته بكلمة

يقال : ما سمع منى نأمة وما ناطقته الفصيح . قال قطرب : ما كلمته ببنت شفة ، أى كلمة .

باب الايمان

قال الاصمعي (91) : تقول العرب : « لا والنهار الازهر والليل الاخضر » ، ويقولون : « لا والذي شق الرجال للخيل والجمال للسيل » (92) « لا والذي لا أتقيه الا بمقتلة » (93) ، « ولا وقائت نفسى القصير ما كان كذا » (94) ، « ولا والذي شقها خمسا من واحدة » (95) يعنون الاصاب . ويقولون : « لا والذي أخرج النخلة من الجريمة والنار من الوثيمة » (96)

- (88) قرع مراحه : أى خلا مأوى ماله .
(89) انظر العبارة التي تبليها في تهذيب الالفاظ ص 577 .
(90) انظر تهذيب الالفاظ ص 578 .
(91) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت 216 هـ) انظر ترجمته في : المنتقى من اخبار الاصمعي للربيعي واخبار النحويين البصريين 45 وانباه الرواة 19/2 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي 363/2 والتاريخ الصغير للنجاري 234 وجبهة الانساب لابن حزم 234 ووفيات الاميان 288/1 والمعارف 236 والكامل لابن الاثير 220/5 وتاريخ اسبهان لابن نعيم 130/2 وتاريخ بغداد 410/10 وتاريخ ابن عساکر 414/24 وتهذيب التهذيب 415/6 . وروضات الجنات 456 ، وطبقات الفراء 470/1 ومراتب النحويين 74 ونزهة الالباء 150 والنجوم الزاهرة 190/2 . وشذرات الذهب 36/2 والوالي بالوفيات 354/6 والفهرست 55 والبغية 112/2 وطبقات الزبيدي 183 .
(92) انظر : ايمان العرب في الجاهلية للتجريمي ص 16 وانظر ذيل الامالي والنوادر للقالي ص 50 - 51 والمخصص لابن سيده 118/13 والمزهر 168/2 (الطبعة الثانية) نقلا من كتاب المنى لابن السكيت .
(93) انظر : ايمان العرب ص 17 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(94) انظر : ايمان العرب ص 24 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(95) انظر : ايمان العرب ص 16 وذيل الامالي ص 51 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 وفيها جيما : شقتها : شقين .
(96) ورد في (ايمان العرب) ص 17 - 18 . والنخلة : العنق ، والجريمة النواة ، والوثيمة : قطعة من حجر تشبه أى تكسره . انظر : النهاية لابن الاثير : (عنق ووثم) وناج العروس في المادتين المذكورتين ، واللسان مادة (وثم) ، وفي امالي القالي 102/1 : ان الوثيمة ، هي الوثومة المربوطة ، يريد به : قدح حوائر الخيل النار من الحجارة .

باب في الدعابة

يقال : جاء باملوحة ، وأنكوهة . وتلاعبو بالمعوبة . وفلان فكه ضحوك .
ويقولون : داعبه مداعبة ، ومازحة مازحة . وقال أكثم : المازحة تذهب
المهابة « (97) . ويقولون : « المزاح سباب النوكر » (98) .

باب الكذب (99)

يقال : كذب كذبا ، ومان مينا . وهذا كذب صراح (100) . ويقولون
للكذاب : هو زلوق اللبد (101) . وقد اختلق كلامه وارجله . وفلان لا يقرب
حديثه . وليس لهذا الحديث نجم ، أي ليس له أصل (102) . قال ابن
السكيت :

يقال : اعتبط فلان على الكذب . وفلان لا يوثق بسيل تلتمته ، إذا كان
كاذبا . وإن فلانا لقموص الحنجرة . وفلان لا يصدق أثره (103) . قال ابن
الاعرابي : تأويله أنه إذا قيل له من أين أتيت كذب (104) . وفلان لا
تجارى خيلاه ، ولا تسابير خيلاه ، ولا توافق خيلاه (105) . قال ابن
الاعرابي : هو « أكذب من يلح » (106) وهو السراب . وهو « أكذب من
دب ودرج » (107) أي أكذب الأحياء والأموات .

-
- 97 انظر جبهة الامثال 231/2 والمثل ايضا في الميداني 287/2 رقم المثل 3914
منسوبا لآكثم بن صيفي .
وانظر ترجمة آكثم (ت 9 هـ) في : الاصابة 113/1 والمعارف 299 وجبهة
الانساب 200 ويلوغ العرب للالوسي والاعلام 344/1 .
98 انظر المثل في الميداني 287/2 رقم المثل 3910 . وفيه : المزاح (بكسر الميم) .
99 راجع باب الكذب في تهذيب الالفاظ 258 وباب الكذب في الالفاظ الكتابية 52
وباب الكذب في جواهر الالفاظ 121 .
100 الصراح : المحض الخالص من كل شيء .
101 زلوق : أجلس . واللبد : الشعر المتداخل للزرق .
102 جاء في المقاييس 397/5 : « ليس لهذا الحديث نجم ، أي اصل ومطلع » .
وانظر المخصص 87/3 .
103 انظر عبارات ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 259 . وانظر المثل : لا يصدق
أثره ، في الميداني 242/2 رقم المثل 2678 وانظر ايضا المخصص 89/3
والمنتخب 112 .
104 انظر تهذيب الالفاظ 259 .
105 في تهذيب الالفاظ 260 : لا تجارى (بضم التاء) ولا تسابير (بضم التاء)
و (لا توافق) .
106 انظر المثل في : جبهة الامثال 171/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117
والمخصص 89/3 .
107 انظر المثل في : جبهة الامثال 173/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117
واللسان (درج) وتهذيب الالفاظ 262 والمخصص 89/3 والاصلاح 315 .

باب الخصومة والبدد

يقال : خاصمه مخاصمة ، ونازعه منازعة . وان فلانا لألد . ومن متخير الفاظهم قولهم تركتهم يرتمون بالكلم العور (108) بينهم . ويقولون : أين كان مطرك عن ناره ، يعنى فى الخصومة . ويقال ان نواتره (109) مين الحصى .

باب الرجل المحمود الخلق

يقال : انه أحلى من الأرى (110) ، ومن عذق بن طاب . قال الشيخ : نخلة بالمدينة يقال لها : عذق بن طاب (111) . وان على لسانه لثمرة . ويقولون : كل طالب حاجة يتزوق لك بما ليس فيه حتى ينال بغيبته . وقال ابن أخت تأبط شرا :

وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (112)

ورجلدهين ، ساكن : حلو الشمائل لا تغلى خلائفه . أبو زيد قال ، تقول العرب للرجل الحسن الخلق : انه لدميث ، موطأ الاكناف . والدهثم : السهل اللين . والفكه : الطيب النفس ، الضحوك .

باب الرجل المشتهر النبیه

تقول العرب : فلان لا يحجز فى العكم (113) . ولا يرمى بـه الرجوان (114) . وهو نجم من الانجم . وهو أشهر من كوكب . ولا يجمله

- (108) الكلم العور : الكلم القباح ، جمع تبيحة .
(109) النواتر : جمع نائرة ، وهى الداهية والسهم المصيب .
(110) الأرى : العسل .
(111) جاء فى جمهرة الامثال 40/1 ، وابن طاب : جنس من الرطب .
(112) ابن أخت تأبط شرا هو : خفاف بن نضلة ، انظر السبط 919/2 . والبيت من تصيدة قالها يرثى خاله تأبط شرا انظر العقد الفريد 298/3 . وفى شرح الحياصة للمرزوقى ، ان التصيدة لتأبط شرا نفسه ثم رجح نسبتها لخلف الاحمر 827/2 . وفى شرح الحياصة للتبريزي 160/2 ذهب الى ما ذهب اليه المرزوقى وفى الحيوان للمصنف 68/3 ما نصه : وقال تأبط شرا - ان كان قالها ثم اورد التصيدة التى منها البيت المذكور . وفى شروح سقط الزند 510/2 نسب البيت لتأبط شرا . فالببيت اذن متدايع بين تأبط شرا وابن أخته وخلف الاحمر والله اعلم . والشري : الحنظل .
(113) العكم : المعدل أو الكاره وما شد وجمع به من ثوب أو سواه وانظر اللسان 198/7 والتهذيب 123/4 .
(114) الرجوان : حافنا البشر .

الامن لا يعرف القمر . وهو نار في رأس علم . وهو نار بقبل (115) . ونار
بعلياء (116) . قال النابغة .

بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم بيد منهن كوكب (117)

وقال ذو الرمة :

وقد بهرت فلا تخفى على أحد الا على أحد لا يعرف القمر (118)

وقال :

انا ابن المضرحي أبي شليل وهل يخفى على الناس النهار (119)

وقالت الخنساء (120) :

- (115) قبل : ما ارتفع من الأرض واستبلك ، والمحجة الواضحة .
(116) علياء : رأس الجبيل .
(117) ورد البيت في ديوان النابغة صنعة ابن السكيت ص 78 وروايته : فانك ...
ورواية ديوان النابغة (ضمن مجموع خمسة دواوين) ص 13 : لانك . ورواية
الكامل للبرد 33/3 : فانك . ورواية المصون للمسكري : بانك .
(118) ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 191 وروايته فيه :
حتى بهرت لما .. وفي الاصل : طلعت . وفي هامش الاصل : بهرت .
(119) البيت للقتال الكلابي في ديوانه ص 51 — تحقيق الدكتور احسان عباس —
بيروت 1961 . ونسب للقتال الكلابي في تاج العروس مادة (سير) . وهو في
اللسان مادة (سير) من غير عزو ونسب للقتال في فصل القتال 114 وهو في
اساس البلاغة 46/2 من غير عزو ايضا .
وفي الوحشيات ص 65 نسب لجلبود ا وروايته فيه :
انا ابن المضرحي ابي هلال
والقتال الكلابي هو عبد الله بن المضرحي من كلاب بن عامر بن صعصعة (شاعر
اسلامي من شعراء الدولة المروانية) : انظر ترجمته في : الاغانى 319/23
طبعة دار الثقافة والمؤلف 167 والخزانة 667/3 والسميط 12 واسماءالمختالين
203 والقباب الشعراء 312 والمحبر لابن حبيب 213 و 226 ونسب تزيش 219
والشعر والشعراء 594 وشرح الحسابة للتبريزي (طبعة بولاق) 104/1
ومعجم البلدان مادة (حماية) ومعجم ما استعجم للبكري مادة (ضربه) وكفى
الشعراء 295 .
والمضرحي : النسر والصقر الطويل الجناحين والرجل السيد السري الكريم
المتيق النجار ، انظر مادة (ضرح) في اللسان 358/3 .
(120) تباضر بنت عمرو السلمية (ت 24 هـ) وانظر ترجمتها في : معاهد التخصيص
348/1 والدر المنثور 109 والشريشي 233/2 وحسن الصحابة 94 وجبهة
الانساب 249 واعلام النساء 305/1 وبروكلمان 164/1 والاهاني (ساسي)
19/13 والخزانة 403/3 وشرح شواهد المغني 89 والشعر والشعراء 260/1
والبيت بنمعه في الصفحة 70 من ديوانها — تحقيق كرم البستاني — بيروت
1951 . وروايته في — المصون في الادب — للمسكري ص 17 :
افر ابلج تائم الهداة به كانه علم في رأسه نار
والبيت في نظام الغريب 225 والكامل 46/3 والاهاني 132/13 وانظر مجز
البيت في : (رسالة في امجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها) للبرد
ص 170 . وانظر المعجز في الاستغراق 209 .

وان صخرًا لتأتم الهداة به . كأنه علم في رأسه نار
ومن الفاظ الشعراء : هو امرؤ جمع شعوب المعالي . قال ابن الاعرابي :
رجل صيت : أى شريف . وهو ذو حسب ضخم ، وهو ذو حسب عود .

باب البشاشة

يقال : تحفى به اذا لطفه . وقد بش الىه ، وهش ، وتهل ، وأصل
التهل اشراق الوجه وطلاقة . قال الحطيئة (121) :

مفيد ومتلاف اذا ما سألته تهل واهتر اهتراز المهند

باب الفاظهم في الرجل الجامع للفصال المحودة

قال وهب بن ربيعة (122) في رجل :

حلو الصلاوة دهثم جلد القوى مر المريرة

وقالوا لاخت عمرو ذى الكلب (123) : خرجنا نريد أخاك . قالت : والله

(121) هو جرول بن اوس العبسي (ت نحو 45 هـ) انظر ترجمته في : الاغانى

157/2 والخزانة 408/1 والميني 473/1 والاصابة 63/2 وطبقات
الجمي 93 والشعر والشعراء 238/1 ونوات الوفيات 99/1 . ورواية
البيت في ديوان الحطيئة - تحقيق لثمان امين طه - القاهرة - 1958 ص 161 :

(122) « كسوب ومتلاف » . والبيت في زهر الاداب 907/2 وديوان المعاني 43 .
انظر ترجمة وهب بن ربيعة في : جبهة الانساب ص 400 واللباب 281/3
والتاج 509/1 والاعلام 148/9 . وهو لم يكن شاعرا .

وفي شعر (ابي دهبل واخباره) ص 1055 - المجلة الاسيوية الملكية -
اكتوبر 1910 ، ان البيت لأبي دهبل واسمه (وهب بن زمة) من قصيدة
يمدح فيها المخيرة بن عبد الله ، مما يقطع بان كلمة ربيعة محرفة وصوابها
زيمه .

(123) اسمها جنوب ، شاعرة بليغة ، انظر ترجمتها في اعلام النساء 218/1 .

ومرو ذو الكلب بن المجلان شاعر فارسي من بني كاهل ، كان جاراً لهذيل
وقيل كان معه كلب لا يفارقه فسمي بذلك . وقال ابن حبيب : انما سمي ذا
الكلب لانه خرج في سرية من قومه وفيهم رجل يدهم مبراً ، وكان مع عمرو
هذا كلب ، فسمي ذا الكلب ، وله شعر في القسم الثالث من ديوان الهذليين .

وقد ورد الخبر المذكور في ديوان الهذليين 120/3 باختلاف يسير وهذا نصه :
« قال أبو عبيدة : « كان ذو الكلب يغزو « مهباً » فوضعوا له الرصد على
الماء فأخذوه وقتلوه ، ثم مروا باخته جنوب ، فقالت لهم : ما شأنكم فقالوا :
انا طلبنا أخاك مبراً . فقالت : لئن طلبتوه لتجدنه منيماً ، ولئن أضغبتوه
لتجدن جنابه مريماً ، ولئن دموتبوه لتجدنه سريماً . قالوا : فقد أخذناه
وقتلناه ، وهذا سلبه ، قالت : لئن سلبتوه لا تجدن ثنته وائمة ، ولا حوزته
جانية ، ولا ضالته كالمية ، ولرب ندي منكم قد افترشه ، ونهب قد احترشه ،
وضب قد اخترشه » .

لئن اردتموه لتجدنه مريعا ، ولئن ادرتموه لتجدنه سريعا ، ولئن فسنتموه لتجدنه مريعا . قالوا : فهذا سلبه قد سلبناه . قالت : والله لئن سلبتموه ، ما وجدتم ثنته وافية ، ولا ضالته كافية ، ولا حجزته جافية . قالوا : قد قتلتناه ، قالت : والله لئن قتلتموه ، لرب ثدى منكم قد اقترشه ، وضب منكم قد احترشه ، ونهب منكم قد اقترشه . وسأل ، عمر (124) متمما (125) : ما كان أخوك (126) ؟ قال : « كان والله يقري العين جمالا والاذن بيانا (127) قال : وغير هذا ؟ قال : كان لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش الجمل ، ولا يجبن حتى يجبن السيل » . ومن هذا الباب . قول الهذلي (128) .

- = وفي القسم المذكور من ديوان الهذليين عدة تصانيف لجنوب ترثي أخاها عمرا ، وفي جمهرة الامثال 62/2 ورد بعض هذا الكلام منسوبا لام جليحة القيسية عشيقته عمرو المذكور .
- (124) الخليفة الثاني عمر الخطاب (رضي) (ت 23 هـ) انظر ترجمته في : مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، وابن الاثير 19/3 والطبري 187/1 - 217 و 2/2 - 82 واليعقوبي 117/2 والاصابة : الترجمة رقم 5738 وصفة الصنوة 101/1 وحلية الأولياء 38/1 والخميس 259/1 ثم 239/2 وأخبار القضاة لوكيع 105/1 والبدء والتاريخ 88/5 و 167 وشذور المعشود للمقريزي 5 والكنى والاسماء 7/1 والاستيعاب 458/2 والبداية والنهاية 18/7 وتاريخ الخلفاء 108 وتاريخ ابن الوردي 144/1 وخصائص العشرة الكرام البررة للزمخشري 51 - 65 وتاريخ الإسلام 207/1 - 252 ومروج الذهب 312/2 - 340 والمعارف 77 - 82 وشذرات الذهب 27/1 وتاريخ ابن خلدون 178/1 ، 306 - 365 وصبح الامشى 255/3 والسيرة الحلبية 359/1 وسيرة ابن هشام 364/1 وطبقات الفقهاء من 6 وطبقات ابن سعد والرياض النخيرة في مناقب المشورة 187/1 و 2/2 - 82 والفخري 71 والتبر المسبوك 53 واحياء العلوم 462/4 ومنتوح البلدان 350 .
- (125) هو متمم بن نويرة اليربوعي التميمي (ت نحو 30 هـ) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 254/1 والطبري 24/3 والمؤلف 297 وجمهرة انساب العرب 224 وشرح المنفصلات للانباري 63 و 526 والاصابة رقم الترجمة 7719 والجواليقي 375 ومنتخبات من شمس العلوم لفتشوان الحميري 102 وشواهد الغنى 196 والافاني 63/14 وجمهرة اشعار العرب 141 والمرزباني 466 وسيط اللالي 87 والتبريزي 148/2 والجمحي 169 و 174 وخزانة البغدادي 236/1 وورقة الأمل 97/3 و 223/8 و 231 - 234 . والاعلام 154/6 - 155 وكتاب - مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي - لابن سمام مرهون السفر .
- (126) هو مالك بن نويرة (ت 12 هـ) . انظر ترجمته في : الاعلام 145/6 وموات الوفيات 143/2 والاصابة رقم الترجمة 7698 والنقائض 22 و 247 و 258 و 298 والمرزباني 360 والشعر والشعراء 119 والمجرب 126 وشرح العيون 44 والجمحي 170 وورقة الأمل 58/1 والخزانة 236/1 .
- (127) ورد بعض الخبر في كتاب البديع لابن الممتز من 6 وروايته : « قال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك لانه كان يقري العين جمالا والاذن بيانا » .
- (128) الهذلي : هو ابو المثلم الهذلي ثم الخناعي ، من بني خناعة بن سعد بن هذيل انظر ترجمته في المؤلف من 277 - 278 . والأبيات من قطعة قالها في رثاء صخر الغي الهذلي بعد مقتله . انظر ديوان الهذليين - قسم 2 من 238 - 239 ، وانظر شرح اشعار الهذليين صنعة السكري 284/1 - 286 .

آبى الهضيبة ناب بالمعظيمة متلاف الكريمة لا نكس (129) ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان (130)

رباء مرقة مناع مغلبة وهاب سلهة (131) تطاع أقران
هباط أودية جمال أويصة شهاد أندية سرهان فتیان (132)

ومن الفاظ الهذليين : كفيت النسا (133) نسال حد الوديقة. وقولهم: له في
كل ما رفع الفتى من صالح حسب (134) وفي خلاف ذلك، هو هلباجة، جبس،

- (129) في ديوان الهذليين وشرح السكري والمؤلف : لا سقط .
(130) في ديوان الهذليين : ثنيان (بكر الشاء) . وفي المؤلف : خرق غير ثنيان . وفي
أعداد أبي الطيب 132 : جلد غير ثنيان . والبيت في المعاني الكبير 538/1 .
(131) في ديوان الهذليين : ركاب سلهة . ورواية السكري : وهاب سلهة ورواية
البيت الثاني من هذه القطعة في المجلد لابن فارس ص 189 :

حامى الحقيقة نسال الوديقة مع — ستاق الوسيقة لا نكس ولا وان

وهو انشاد مداخل .
(132) نسبت القطعة للخنساء في رثاء أخيها سخرا من تصيدة مطلمها :

يا عين تبكي على سخر لاشجان وهاجس في ضمير القلب خزان

انظر ديوانها طبعة دار صادر ودار بيروت ص 136 — 137 .
والاختلاف بين رواية المتخير ورواية الديوان كبير . ونص رواية ديوان
الخنساء :

آبى الهضيبة آت بالمعظيمة مت — سلاف الكريمة ، لا نكس ولا وان
حامى الحقيقة بسال الوديقة مع — ستاق الوسيقة جلد غير ثنيان
طلاع مرقة مناع مغلبة — وراد مشربة تطاع أقران
شهاد أندية جمال أويصة — تطاع أودية سرهان قيعان

- والإبيات في « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ص 117 — 118
منسوبة للخنساء وروايتها قريبة من رواية المتخير .
والإبيات في الممددة 26/2 — 27 منسوبة لأبى المثلم الهذلي . ونسبت لأبى
المثلم في الصناعتين ص 300 .
(133) الكنيت : صاحب الذي يكاتك أي يسابك . والكنيت : القوت من الميش .
والكنيت : القوة على النكاح . ورجل كنيت : سريع خفيف دقيق . انظر مادة
(كنت) في اللسان 384/2 .
(134) البيت من تصيدة لأبى العيال الهذلي في رثاء قريب له أولها :

فتى ما غادر الأجنسا د لا نكس ولا جنب

وأبو العيال شاعر مخضرم عمر الى خلافة معاوية . انظر ديوان الهذليين
241/2 وشرح ديوان الهذليين 423/1 والأهاني 167/2 والشعر
والشعراء 560/2 والأصباة 143/7 . ومعنى البيت : يقول : كل ما قدم
الرجال من خير فله فيه نصيب .

عيايا. وكان نصير (135) يقول : الهلجاجة المستجمع لخصال الشر ، كما ان الشيطان المستجمع لخصال الخير . قال الاصمعي ، سألت عنه أعرابيا فقال : هو الثقيل البليد الوخم الشديد الضرس الضعيف العمل لا يحاضر به القوم . قال : والعيايا الذي لا يتجه لشيء من أمره ، وكذلك الطباقاء . وفي الحديث : « عيايا طباقاء كل داء له داء » (136) .

باب الشباب

يقال : هو شاب ، معتدل القناة ، سوى العصا . قال أبو حية (137):

حنتك الليالي بعد ما كنت مرة سوى العصا لو كن بيقين باقيا

ومن الفاظهم : « الشباب مظنة (138) الجهل » (139) . وهو ريان من ماء الشباب . ورجل مخلد ، اذا لم يشب . وهو في عنفوان شبابه وقرحه عيشه . ويقولون : كان ذاك وفي عيشنا غرر . ومن ظريف كلامهم : سايرت ركبان الصبا ، وكنت ابن لهو أسابي الصبا . وفي الحديث (140) : « عليكم

135 نصير : هو نصير بن أبي نصير الرازي ، من الطبقة الثالثة من علماء اللغة الذين اعتمد عليهم الأزهرى في معجم التهذيب ، وكان علامة نحويا ، جالس الكسائي واخذ عنه النحو وقرأ عليه القرآن ، كما سجع الاصمعي وأبا زيد ، ولم تذكر المراجع سنة وفاته . انظر ترجمته في : تهذيب الأزهرى 22 ، أنباء الرواة 347/3 رقم الترجمة 796 ، بغية الوعاة 316/2 رقم الترجمة 2068 تلخيص ابن مكرم 264 .

136 انظر الحديث في : صحيح مسلم 1898/4 والنهاية 114/3 .
137 هو الهيثم بن الربيع النهمري (ت 210 هـ) وانظر ترجمته في : الشمسر والشمراء 658/2 وطيقات ابن المعتز 143 والافاني 307/16 والمؤلف والمختلف 145 والخزانة 283/4 . ولم يطبع له ديوان . والبيت بنصه المتقدم في : زهر الآداب 222/1 وامالي القاضي 185/2 واللالى 802 . وهو في الحياصة البصرية 424/2 وروايتيه .

حنتي الليالي بعد ما كنت مرة قويم العصا لو كن بيقين باقيا

138 في الاصل : مظنية ، بالجمع بين النون والياء مع رسم (خ) صغيرة فوق الفاء . مما يجعل الكلمة تقرأ بوجهين : مطية ، مظنة .

139 انظر المثل في الميداني 367/1 رقم المثل 1976 ونصه :
« الشباب مطية الجهل » ، ويروى : « مظنة الجهل » اى منزله ومحلّه الذي

يظن به .
140 رواه ابن ماجه عن مويم بن ساعدة الانصاري بلفظ : عليكم بالابكارمانهن اعدب امواها وانلق ارحاها وارضى باليسير (598/1 رقم الحديث 1861) وفي اسناده محمد بن طلحة ، قال فيه ابو حاتم في الجرح والتعديل : لا يحتج به (قسم 2 ج 3 ص 292) ، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة ، قال البخاري : لم يصح حديثه (تهذيب التهذيب 238/9 ومصباح الزجاجة 108 - 1)
ورواه الطبراني في الاوسط عن جابر بن عبد الله ، وفي اسناده ابو بلال =

بالشوا ب فانهن أعر أخلاقا ، وأنتق أرحاما ، وأرضى باليسير . ويقول
ابن هرمة (141) :

تعلقتها وائء الشباب يفهق(142) من جانبيه طفاحا

ويقول ابن الطثرية (143) .

جرى فوقها زهو الشباب وبأشرت نعيم الليالى والرخاء من الخصب
وقال الهذلى (144) :

يجيب بعد الكرى لبيك داعيه مجذامة لهواه قلقل عجل (145)
ليس بعل كبير لا شباب به (146) لكن أثيلة صافى الوجه مقببل

= الأشعري ، ضمنه الدار قطني (مجمع الزوائد 259/4 وزوائد المعجمين
مخطوط ورقة 199 . ورواه ابن الأثير في النهاية 13/5 . ورواه البيهقي في
السنن الكبرى 81/8 وأورده السيوطي في الجامع الصغير 63/2 وفي كتب
الادب ورد الحديث في جمهرة الأمثال 289/1 وروايته : « عليكم بالابكار
لمنهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما » . وفي أمالي القاضي 307/2 وروايته :
« عليكم بالابكار لمنهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » .
(141) هو إبراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) والبيت في ديوانه تحقيق المعيد ص 80 .
وهو أيضا المراجع التالية : البخلاء 185 والمعاني الكبير 213 والصناعتين
123 والتمثيل والمحاضرة 73 ونمار القلوب 445 وشروح سقط الزند 20 و
345 ومجمع الأمثال 225/1 و 323/2 وشرح المقامات 179/3 ونهاية
الارب 49/3 وحياة الحيوان 149/2 .

(142) في الديوان : يفتح .

(143) ابن الطثرية : هو يزيد بن سلمة القشيري (ت 126 هـ) . انظر ترجمته في :

أرشاد الأريب 299/7 وونيات الأيمان 299/2 وسبط اللالي 13 وأسماء
المغتالين من الأشراف 247/2 والشعر والشعراء 340/1 والأغاني (طبعة
الدار) 155/8 وطبقات الشعراء 150 والتبريزي 161/3 و 122/4
وحماسة ابن الشجري 145 ، 159 ، 199 . ورفعة الأمل 141/5 والأعلام
236/9 . ونشر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب الجوزآن 9 و 10
(حزيران 1967) ص 816 - 853 بحثا قريبا عنه بعنوان - الشاعر يزيد
ابن الطثرية أخباره وشعره - . ثم ذيل عليه في المحدثين الحادي عشر
(آب 1967) والثاني عشر (ايلول 1967) من المجلة المذكورة .
وفي الأصلين : من الخطب ، وهو تحريف .

(144) هو المتخل الهذلي ، واسمه مالك بن هويبر ، والبيتان من قصيدة قالها في

رثاء (أثيلة) ابنه ، انظرها كاملة في ديوان الهذليين - القسم الثاني ص
33 - 37 . والبيت الثاني في اللسان مادة (علل) وخلق الإنسان للاصمعي
162 وخلق الإنسان لثابت 27 . وانظر ترجمة المتخل في : الأغاني (طبعة
الدار) 30/10 و (طبعة الثقافة) 259/23 . والاصابة رقم الترجمة 7675
والمحبر 246 و 473 والمرزباني 361 والروض الأنف 287/2 والنقائض
495 والخزانة 135/2 والشعر والشعراء 552/2 والمبني 517/3
والسبط 724 وجمهرة أشعار العرب 594 .

(145) في الديوان ص 25 : وقل ، وهو الجيد التصعيد في الجبل .

(146) في الشعر والشعراء وخلق الإنسان لثابت : له .. والعمل : المسن الصغير
الجسم ، وأخذ من القراء واسمه العمل .

ويقول مسلم : لو رد في الرأس منى سكرة الغزل (147) ويقال :
عليكم بالشواب فانهن أقل خبا وأشد حبا .

باب الشيب (148)

يقولون : قد ودع الشباب ، ونقدت (149) أسنانه . ويقولون :
حظ عن ظهر الصبا رحله ، وحنى قوسه موتزها ، وحنى الشيب قناه مطاه ،
وعصر الميدان بارحها ، وفلان تششم (150) دالف ، وقد أقصرت راحلة
الصبا ، وملت الترحال . وهريق اناء الشباب . وكأنه حفص (151) بال .
وورع (152) الشيب شراستي وعرامي . وشردت عنى أفراس الصبا ،
وذوى عود صباى . ويقال لمن شاب : قد توضح عذاره ، ومفرقه . ويقول
الفرزدق (153) :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

ويقول ابن مقبل : « ذهبت تليات الصبا » (154) « ولا خير في

- (147) رواية البيت في ديوان مسلم بن الوليد الانصاري ص 4 :
ماذا على الدهر لو لانت مريكته ورد في الرأس منى سكرة الغزل
- وانظر ترجمة مسلم (ت 208 هـ) في : النجوم الزاهرة 186/2 وسبط
اللاي 427 والمرزباني 372 والتبريزي 5/3 وتاريخ بغداد 96/13 وتاريخ
حرجان 419 والنويري 82/3 والشعر والشعراء 712/2 وطبقات ابن
المعتز 235 ومعاهد التنصيص 55/3 والموشح 289 وبروكلمان 32/2 والأعلام
120/8 .
- (148) راجع باب الشيب في الالفاظ الكتابية ص 252 .
- (149) نقدت : تأكلت .
- (150) تششم : المسن من الرجال .
- (151) حفص : ردىء المتاع وردالسه .
- (152) ورع : رد
- (153) ورد البيت في شرح ديوان الفرزدق - تحقيق عبد الله الصاوي 467/2
وروايته :
- والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
- وانظر البيت في التبيان في علم البيان للزملكاني ص 47 والمرزباني 467 واللسان
مادة نهر 97/7 وشروح سقط الزند 792 . والفرزدق : هو همام بن غالب
الدارمي (ت 110 هـ) . انظر ترجمته في : أغانى الساسي 180/8 والموشح
99 ومعجم المرزباني 486 وأرشاد الأريب 297/19 وابن خلكان رقم 755
والخزانة 105/1 وشذرات الذهب 141/1 وبروكلمان 209/1 والشعر
والشعراء 381/1 والشريشي 142/1 ومعاهد التنصيص 45/1 وابن سلام
75 ومفتاح السعادة 195/1 وأمالى المرتضى 58/1 وجمهرة اشعار العرب
163 وسرح العيون - طبع بولاق 213 - والحيوان 226/6 .
- (154) العبارة تسييم بيت لابن مقبل ص 73 من ديوانه هذا نصه :
يا هر امست تليات الصبا ذهبت فمست منها على عين ولا اثر

العميش بعد الشيب والكبر « (155). ويقولون : قد قنعه الشيب . ومن ألفاظ
الشمرء : أقصر جهلى ، وثاب حلمى ، ونهته الشيب من عرامى . ويقولون :
لوح بالقتير (156) ، وقنعه الشيب أخلاقه . ونظر رجل الى شيخ فقال :
كيف أصبحت ؟ فقال : فى الداء الذى يتمناه (157) الناس .

* باب الجمال

يقال : ان فلانا لمشبوب ، نير الوجه . ويقولون للمرأة البيضاء : ان
الضمار الاسود يشب وجهها ويحمله (158) . قال بشر (159) :
رأى درة بيضاء يحفل لونها سخام كخربان البرير مقصب
وقال : ان الناس يرون بك هلالا . قال الفرزدق :

ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الامر ذو الحد ثان عالا
قياما ينظرون الى سميذ كأنهم يرون به هلالا (160)

وقالت أعرابية لرجل : انك لتزوفنا اذا أتيتنا كأنك هلال بدا فى غير
قتان (161) ، أى فى غير غبرة . ويقولون : ما أنضر وجهه ، وأشرقه ! وما
أحسن التياحه (162) ! وان فلانا لمبشار ، أى هو أبدا ضاحك . وانه لاحسن

(155) العبارة تسيم بيت لابن مقبل فى ديوانه روايته :

تالت سليمان ببطن القاع من سرح لآخر فى العميش بعد الشيب والكبر

- (156) القتير : المشيب .
(157) هكذا فى الاصلين . ولعلها : يتمناه . او : لا يتمناه .
* راجع باب حسن المنظر فى الالفاظ الكتابية 147 وباب ترادف الحسن 281
وباب الحسن فى تهذيب الالفاظ 205 .
(158) أى يزيد فى جمالها وشدة بياضها .
(159) البيت لبشر بن أبى خازم الأسدي ، انظر ديوانه ص 7 والبكري 82/2
والحجل 223 والمقاييس 180/1 واللسان مادة (نصب ، حفل) والصحاح
مادة (غرب) والاساس مادة (حفل) وتاج المزوس 431/1 و 281/7 .
وانظر ترجمة بشر (ت نحو 92 ق . هـ) فى : الشعر والشمرء 190/1
وامالى المرتضى 114/2 وخزانة البغدادي 262/2 والامسلام 27/2
ومختارات ابن الشجري 31/2 والموشح 80 .
(160) البيتان فى شرح ديوان الفرزدق 618/2 ورواية الاول :

ترى الشم الجحاجح من قريش اذا ما الامر فى الحدان غالا

- (161) فى الاصل : قتان ، والصواب ما ائتناه ، جاء فى اللسان مادة (تسيم)
359/15 : القتم والقنام : الفبار وحكى يعقوب فيه : القتان ، وهو لغة فيه .
(162) التياحه : بياضه المتلألئ .

من شنف (163) الانضر . وأحسن من الوذيلة (164) ؟ الانضر جمع نضر، وهو الذهب . وما أحسن أسرار وجهه ، وأسرة وجهه (165) ! وأنه ليستسقى به الغمام . وأنه لبسام ساعات الوجوم . وأنه لنير الوجه ، بليج الوجه . وما أحسن قسمته ، وهو الوجه (166) . قال :

كان دنائيرا على قسماتهم وان كان قد شف الوجوه لقاء

ومن الفاظ الشعراء : انه لموسوم بالحسن ، غير تطوب ويقولون : هو أحسن من دينار الاعزة ؟ وقال بعض الرجاز (167) :

يا رب رب سالم بارك فيسه
أذكرني لما نظرت في فيسه
أجرع نور برقت أتاحيه
والوجه لما أشرفت نواحيه
دينار صرف في يد تنزيه
والرأس اذ أخذته أدريه
جناح نسر حسن خوافيه

ويقال : رجل طرير : ظاهر الجمال . وهو صير شير ، اذا حسنت

- (163) الشنف : العرط .
(164) الوذيلة : المرآة
(165) الخطوط التي في الجبين .
(166) البيت في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي 193/2 وشرح المرزوقي 1457 واللسان مادة قسم 383/15 ومعجم الشعراء 332 لحرز بن المكبر الضبي وفي الكامل 80/1 نسب البيت للمكبر .
وفي خلق الانسان لثابت ص 101 نسب لحرث بن محفض المازني . والبيت من غير عزو في المراجع التالية : مقاييس اللغة 86/5 والاستقاق 62 وشرح سقط الزند 1047 وأضداد ابن الانباري 107 والمخصص 89/1 وخلق الانسان للأصمعي 179 . وجاء في نظام الغريب ص 10 : القسمة : ما بين الأنف والوجنة من الوجه . قال الشاعر :

كان دنائيرا على قسماتهم اذا الموت للابطال كان تعاسيا

انظر البيت الاخير في : الحماسة شرح المرزوقي 1764 والمرزباني 304 وزهر الآداب 412/1 .
(167) وردت الأرجوزة في عيون الاخبار المجلد الرابع ص 30 ناقصة ومحرمة وهذا نصها : وقال امرابي يرقص أبنا له :

يا رب مالك بارك فيسه
أذكرني لما نظرت في فيسه
والوجه لما أشرفت نواحيه
بارك لمن يحبه ويفنيه
أجرع نور حرثت أواحيه
دينار عين بيد تبريه

صورته وشارته وهي ثيابه . وهو وسيم قسيم . ومن جيد كلامهم قول ابن هرمة :

انى غرقت الى تناصف وجهها غرض الحب الى الحبيب الغائب(168)
وأحسن منه قول الآخر :

جلبنا كل طرف (169) أعوجى (170)
كعصب البرد أقرح (171) أو بهيم (172)
وسلوبة يزال الطرف عنها تنوت بنان ملجمها الجسيم

قوله : يزل الطرف عنها ، أى لكثرة محاسنها لا يقف الطرف منها على شيء إنما يجول . ويقولون : سرج الله وجهه ، أى حسنه . ويقولون : هو : هلال بدا من غمرة وغيوب . ووجهه كمرآة المضر (173) ، « وكسرآة الغريبة » (174) . ويقولون للرجل يتزين به : هو لنا برد

168 راجع البيت في ديوان ابراهيم بن هرمة : صنعة محمد جبار المعيد من 65 . وهو أيضا في المراجع التالية : تهذيب اصلاح المنطق 128/1 واللسان مادة (غرض ونصف) والكامل 33/1 والفاضل 28 وشرح القصائد السبع الطوال 309 واضداد ابن الانباري 107 ومقاييس اللغة 417/4 وشروح سقط الزند 656 ورغبة الأمل 140/1 واصلاح المنطق 71 والصحاح مادة (نصف) وثمار القلوب 90 والمسلسل 49 .

وانظر ترجمة ابراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) في : الشعر والشعراء 639/2 والاعاني 101/4 والخزانة 203/1 والسمط 398 وتهذيب ابن عساكر 234/2 وطبقات ابن المعتز 20 والموشح 223 وتاريخ بغداد 127/6 والبداية والنهاية 170/10 والنجوم الزاهرة 84/2 . وطبع ديوانه في دمشق والنجف . وتمتاز الطبعة العراقية بزيادات كثيرة .

169 الطرف : الكريم الابوين من الخيل ونحوها .

170 اعوجى : نسبة الى اعوج ، وكان لملك كندي ، غزا بني سليم يوم علاف ، فهزموه واخذوا اعوج فكان لسليم ثم لبني هلال ، ولهم نجوه . واهم سبل بنت مياض ، كانت لبني جمدة ، انظر : انساب الخيل لابن الكلبي من 21 والنقائض 303/1 والخيل لابي مبيدة من 66 .

171 من القرحة ، وهي كل بياض كان في جبهته ثم انتطح قيل ان يبلغ المرسن . انظر الخيل من 109 . وجاء في الكنايات للجرجاني من 127 : « ومن شباهت الوجه : اذا كان في جبهته بياض كالدرهم او اقل فهو أقرح فان زاد عليه فهو أقرح فان دقت القرحة قيل : أقرح خني » .

172 البهيم : هو الذي لا شية فيه ، والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس . انظر الخيل من 108 .

173 المضر : ذات الضرائر .

174 من امثال العرب (انقى من مرآة الغريبة) ، وهي التي تتزوج في غير قومها ، فهي تجلو مرآتها ابدا ، لئلا يخفى عليها من وجهها شيء . انظر : جمهرة الامثال 316/2 والميداني 207/2 والمتصفي 160 . ومن امثالهم ايضا : « أوفح من مرآة الغريبة » . انظر : جمهرة الامثال 351/2 والميداني 226/2 والمتصفي 172 .

جميل (175). وقال :

وكنت لنا جبلا معقلا وعند المقامة بردا جميلا

ويقولون : هو حسن الحبر والسبر (176) ، أى ناعم . وهو ذو طلاوة . قال أبو زياد : وقفت على ناس من بنى عامر بالبادية ، فقال بعضهم وقد سمع كلامي : أما اللسان فبدوي ، وأما السنح فحضرى . والسنح : الهيئة (177) . قال ابن الأعرابي ، قالت لى أم هانم السلوية : انه ليعجبني سنحك ووضحك ، قلت : وما سنحى ؟ قالت : هيئتك . قلت : وما وضى قلت : ما بدا من وجهك .

باب في العبوس (178) والقبح

يقال : انه لعابس ، تطوب . وقد تطب ، اذا جمع بين عينيه (179) . ومنه قولهم : تطب الشراب ، اذا جمع بينه وبين الماء مزجا . وان فى وجهه مورما ، مهبجا .
لابلاسا (180) ، وانه لاسحم (181) الوجه ، وأصبح فلان مسخد (182) الوجه ، مورما ، مهبجا (183) . وهو جهم الوجه ، فان كان ذلك عارضا من غضب قلت : تربد وجهه ، وترمد ، وكأنما سفى (184) فى وجهه الرماد ، (185) وكأنما طلى وجهه بتنوم (186) ، وحمم (187) ، كل ذلك اذا اسود وتغير ؟

175 البيت لعبيد بن ثور الهلالي وهو فى ديوانه ص 120 والبيت له ايضا فى الاشباه والنظائر للخالدين 343/2 . وانظر ترجمة حميد (ت نحو 30 هـ) فى : الاصابة 39/2 والاستيعاب 141 واسبغ الغابة 53/2 وطبقات الشعراء 193 والافغانى 97/4 ومعجم الادباء 153/4 والمعنى 177/1 واللالى 376 والشعر والشعراء 349 وتهذيب ابن عساکر 456/4 وشرح شواهد المعنى للسيوطى 73 وحسن الاصابة 92 ومقدمة ديوانه صنعة عبد العزيز المينى والاعلام 318/2 .

- 176 الحبر : الجمال . السبر : الهيئة .
177 راجع النص فى الصحاح مادة (سبر) 675/2 وفى اللسان مادة (سبر) .
* راجع باب العطوف فى تهذيب اللفاظ ص 441 ولب أجناس العباس فى اللفاظ الكتابية ص 231 .
178 الذي فى المعجم : العبوس (بضم العين) . وربما تصد العبوس : اى العباس .
179 انظر المقاييس 104/5 .
180 الابلاس : الاتكسر والحزن والياس والتعير .
181 اسحم : اسود .
182 مسخد : مورم مصغر ثقيل من مرض او غيره .
183 هبج وجه الرجل : انتفخ وتقبض ، وتهبج : تورم .
184 سفى التراب : تدرى وتبدد .
185 الرماد : فى الاصل الرماد (يفتح الدال) .
186 التنوم : نبات فيه سواد ، وفى الاصل يفتح التاء والنون .
187 الحمم : الرماد والفتح .

واند تمر وجهه (188) ، وكأنما فقىء في وجهه حب الحماض ، وصار وجهه كالصوف (189) ، وذلك اذا غضب فاحمر وجهه . ورجل كره الوجهه ، وبسر الوجه (190) . وقد كلح كلوحا ، وبسر بسورا ، وتبسر في عيني ، أى كزمت مرآته (191) . وانزوى ما بين عينييه ، أى تقبض .

باب الفرح والسرور

يقال : سر ، وجذل ، وبلج ، وخبز . قال قطرب : يقال حبره (192) الله ، أى نعمه . وتالت امرأة من العرب :

على ابنتي مجل صوت ناع أصمى فلا آب محبوراً بريد نعامها

وقد ابتهج به ، وبجح به : أى فرح ، وبجح أيضاً وفي حديث أم زرع : « وبججني فبججت » (193) ؟ وقال الزاعى (194) :

وما الفقر من أرض المشيرة ساتنا إليك ، ولكننا بقرباك نبجح

(188) تمر وجهه : تغير وملته صفرة أو زالت نضارته .
(189) فى الأصل : بفتح الصاد ، وهو خطأ . والصرف : صبغ احمر يدبغ به الاديم .
(190) وجه بسر : أى باسر وهو المقطب .
/191 مرآته : منظره .

(192) فى الأصل : حبره بالتشديد . والصواب ما اثبتناه .
(193) حديث متفق عليه من عائشة - رض - ولها : « وبججني فبججت السى نفسى » . رواه البخارى (كتاب النكاح - باب حسن المعاشرة مع الأهل 35/7) . ورواه مسلم فى (فضائل الصحابة 1899/4 رقم الحديث 2448) . وانظر الحديث النبوي الشريف فى المجلد لابن فارس 55 وروايته فيه موافقة لرواية المتخير . وهو فى المتاييس مادة بجج 198/1 وفى اللسان مادة (بجج) .

(194) مبيد بن حصين بن معاوية النميري (ت 90 هـ) . والبيت المتقدم لا وجود له فى (شعر الرامى النميري واخباره) - جمع وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الحائى ومراجعة عز الدين القنوصي . وارجح أنه من تصيدة الرامى التى مدح بها بشر بن مروان وأولها :

أنى أشر الاظفان عينك تلمح
نعم لات هنا ان قلبك متيح
وقد اثبت الحائى منها سبعة أبيات فى تلمعتين منفصلتين دون أن يلتفت الى انهما من تصيدة واحدة . والبيت فى المجلد من 55 منسوبا للرامى ، وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . وهو أيضا فى المتاييس 198/1 وزهر الآداب 267/1 واللسان مادة بجج . وروايته فى المتاييس وزهر الآداب : فما . وفى زهر الآداب : ننجح . وفى المتاييس : نججج (بفتح الباء) . وفى اللسان : من : من وانظر ترجمة الرامى فى : الاغانى 168/20 والمؤلف 122 والخزانة 502/1 وطبقات ابن سلام 117 والسيط 49 والشعر والشعراء 327/1 ونسب قريش والتبريزي 146/1 ورفعة الأمل 146/1 ثم 144/3 ثم 139/6 وحماسته ابن الشجري 129 - 188 - 191 والنفاض فى مواضع متفرقة و الاعلام 340/4 .

بَاب الكآبة والحزن والوجوم *

يقال : رأيته واجما ، وقد وجم يجم ، ورأيته يخطط في الارض ، ورأيته يعد الحصى . قال

ظللت ردائي فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ما تنفضى عبراتي (195)
وقال النابغة :

يخططن بالعيدان في كل مقعد ويخبآن رمان الثدى النواهد (196)

وفي شعر معقل الهذلي (197) : منكسة تخطط في التراب
ويقال : لآعه الحزن . قال متمم (198) :

فقلت لها طول الاسى اذ سألتنى ولوعة حزن يترك الوجه أسفعا

ويقال : شفه (199) ، ولعجه (200) ، ووقذه (201) ، وحمز صدره (202) ، وملا ذرعه .

بَاب السخاء ** *

(195) البيت بنصه لامرئ القيس في ديوانه من 73 طبعة حسن السندويسي - القاهرة وهو بنصه أيضا في الصفحة 78 من الديوان - طبعة دار المعارف بمصر - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ورواية السكري : « ما تنجلي مبراتي » ، انظر من 396 من طبعة دار المعارف . وفي الاصل : رداى .
* راجع باب الحزن في تهذيب الالفاظ من 619 وباب الحزن والامتاع في الالفاظ الكتابية من 149 .

(196) البيت بنصه للنابغة الذبياني في ديوانه من 169 - تحقيق الدكتور شكري فيصل .

(197) هو معقل بن خويلد بن وائلة . وانظر شعره وترجمته في ديوان الهذليين 66/3 - 72 .

(198) هو متمم بن نويرة اليربومي ، والبيت في المفضلية 67 ، انظر المفضليات - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - الطبعة الرابعة من 268 . وفيها . يترك : تترك . والبيت أيضا في جبهة اشعار العرب من 749 تحقيق علي محمد الجاوي . وهو أيضا في كتاب - مالك ومتمم ابنا نويرة اليربومي - لابن ساسم مرهون المسافر من 114 . وقد سبقت ترجمته .

(199) شفه المرغى أو الهم : أوهنه .
(200) لعج الحزن مؤاده : استحر في قلبه . واللح : كل محرق . الم . الفسرب . الحرقسة .

(201) وقذه : صرعه ، أو ضربيه شديدا حتى أشرف على الموت .
** راجع باب السخاء في تهذيب الالفاظ من 201 وباب السخاء في الالفاظ

الكتابية من 94 وباب النوال والصلة من 44 .
(202) حمز صدره : أي قبضه وغمه .

ويقولون :

هو صبير (203 ينضح السمي (204) ، ويعلو (205) سوائف المجد

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه . وفلان يتخرق في الجود . وقد لبس المجد أحسن ملابس . وينشدون :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب (206)

وأنه لندى البنان ، سبط الكف ، طويل اليد ؟ ومن كلامهم : ييداه غمامة ، ومن بنانه يجرى الماء في العود . وأنه لغيث ، ونوء من الأنواء . قال زهير (207) :

وأبيض فياض (208) يده غمامة على معنتيه ما تغب نوافله (209)

ويقولون : كفه خلف من المطر . قال جرير :

إذا لئرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر (210)

(203) الصبير : السحاب الأبيض

(204) السمي : جمع سماء وهو المطر .

(205) في الاصل : (ويعلو) بزيادة اللف .

(206) البيت في (نظام الغريب) ص 197 من غير عزو وروايته فيه :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب

ومكان مكلىء معشاب : إذا تكاثر فيه النبت .

وقبله في نظام الغريب بيت هو :

فكه إلى جنب الخوان إذا غدت نكباء تطلع ثابت الاطناب

(207) البيت من تصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني يمدح حصن بن حذيفة الفزاري .

راجع شرح ديوان زهير - صنعة ثعلب ص 139 . والبيت في عيون الأخبار

341/1 وفي المسائل والاجوبة لابن السيد البطليوسي ص 144 وفي البديع

لاسامة منقذ ص 122 .

(208) في الديوان : وأبيض فياض .

وانظر ترجمة زهير (ت 13 ق 4) في : طبقات الجمحي 52 والشعر

والشعراء 76/1 والافغاني 146/9 والخزانة 375/1 والأعلام 87/3 وشرح

شواهد المغني 48 ومعاهد التخصيص 327/1 وجمهرة الانساب 25 و 47

ومصحيح الأخبار 7/1 .

(209) نوافله : ورواية الاصمعي : مواضله .

(210) البيت بنصه في شرح ديوان جرير ص 274 وهو من تصيدة فيها مبر بن مبد

المزير (رض) .

وكلمة (لئرجو) و (نرجو) : كتبتا في الاصل بالف زائدة .

وانه لسمع ، ند ، موطلا الأكتاف . فياح نفاع . فضاخ الرداء ، رحب
المجم (211) ، طويل الساعدين ، واسع جيب الكم . قال : وهو يريد ما
اشتمل عليه الجيب ، يعنى نفسه ؟ وذلك كتولهم : طاهر الثوب ، طاهر
الرداء . وفي الخم : هو دسم الثوب (212) . ويقال : رجل ذو فجر ، اذا كان
يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

فجع أضيائي جميل بن معمر بذى فجر تأوى اليه الارامل (213)

وان في كفه لمطلبا للغنى . قال (214) :

ففى كفه للغنى مطلب	وللسرب فى مدره موضع
يريد الملوك (215) مدى جعفر	ولا يصنعون الذى يصنع
وكيف ينالون غاياته	وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم فى الغنى	ولكن معروفه أوسع

وهذا كقوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا (216)

- المجم : المصدر . (211)
انظر اللسان : مادة (دسم) . (212)
البيت لأبي خراش الهذلي ، انظر : الاستقاق 130 وروايته فيه : « جمع
أصحابي » . وجميل بن معمر من بني جبح وكان من أمم قريش لا يكتم شيئا .
والبيت من تصيدة يرثي فيها أبو خراش ، زهير بن المجوعة . وكان قتله جميل
ابن معمر يوم حنين . والبيت أيضا فى ديوان الهذليين 148/2 وروايته فيه
كرواية — المتخير — . والفجر : المعروف والجود وانظر ترجمة أبي خراش
الهذلي واسمه خويلد بن مرة وهو صحابي نهشته حية مات فى زمن عمر
ابن الخطاب (ت نحو 15 هـ) فى : الاغانى 38/21 — 48 والاصابة 464/1
وشرح الشواهد 144 وخرانة البغدادي 213/1 والشعر والشعراء 554
والسبط 216 وديوان الهذليين 116(2) والاعلام 373/2 .
(214) الابيات الأريمة لأشجع بن عمرو السلمي (ت نحو 195 هـ) . انظرها فى :
الافانى (العناية) 155/18 والأوراق قسم أخبار الشعراء ص 83 والبصائر
والفخائر 2 قسم 2 ص 762 ومخطوطة الأوائل للمسكري ص 14 والخرانة
143/1 والشعر والشعراء 760 وتهذيب ابن مسكّر 61/3 ومعاهد
التنصيص 62/4 . والاول فى بهجة المجالس ص 465 . مع اختلاف فى الروايات
وانظر ترجمة أشجع السلمي فى : الاغانى 30/17 وتهذيب ابن مسكّر
59/3 ومعاهد التنصيص 62/4 والتبريزي 169/2 . وتاريخ بغداد 45/7
والشعر والشعراء 759 وخرانة البغدادي 143/1 والموشح 295 والاعلام
332/1 .
(215) فى الأصل : مسدا .
(216) البيت متداخ ، نسب لأبي زياد الامرابي الكلابي فى شرح الحماسة للمرزوقي
ص 1592 . وروايته فيه بمائلة لرواية المتخير . والبيت فى خرانة الادب =

ويقولون : هو متصل دقيقات الخير ، أريحي ، وهو ييارى الريح .
وفلان خصيب ، موطاً الاكتاف . ومما يشبه الجواد به أن يقال : بحر ،
وربيع مربع ، وخال : وهو الغيم البارق ، وخضرم : وهو البئر الكثيرة الماء .
ويقال انه لكريم المعتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة (217) أن
عوف بن القمقاس (218) على (219) أن ينافر خالد بن
مالك (220) فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » (221)
وفي هذه المنافرة قال خالد :

« أطمعت حولاً من أكل ، وأعطيت يوماً من سأل » (222) .

- = 119/3 منسوب لأبي زياد الكلابي وروايته مماثلة لرواية المتخير . وقبلة :
له نار تشب على بفاع . إذا النيران البست القنما
كما نسبة السعد في المطول وصاحب المعاهد في شواهد التلخيص إلى أبي
زياد الأعرابي الكلابي .
وجاء في أوراق الصولي - قسم أخبار الشعراء من 83 ما خلاصته : أن
البيت لموسى شهوات مولى بني سهم قاله لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب
ورويته فيه : ولم يك « أوسع » الفتان مالا . وقد نقل عنه البغدادي هذا
الكلام واثبته في خزائنه 144/1 .
والبيتان في مخطوطة الأوائيل للمسكري من 14 من غير عزو وروايتهما :
له نار تشب بكل ريح إذا النيران جلت القنما
وما أن كان أكثرهم سواما ولكن كان أرحبهم ذراما
والبيت في شروح سقط الزند من 107 من غير عزو وروايته : أرحبهم :
أطولهم . ورواية البيت في البيان والتبيين 145/3 من غير عزو
وما أن كان أكثرهم سواما ولكن كان أطولهم ذراما
وفي الحيوان 135/5 من غير عزو ، وأورد الروائين .
حاجب بن زرارة : من زعماء تميم يوم جبلة ، أدرك الإسلام فأسلم . وهو
الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به ، وبه ضرب المثل .
انظر ترجمته في الإصابة 1355 . (217)
هو عوف بن القمقاس بن معبد بن زرارة التميمي . وقد نخر القمقاس بابنه عوف
أذ قال : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل
الانس » . انظر الحيوان 236/6 . (218)
هكذا في الأصلين ، وأرجح أن كلمة قد سقطت من الناسخ وهي بمعنى : مزم
أو نحوها ، فاختلت العبارة . (219)
هو خالد بن مالك الدارمي التميمي . انظر ترجمته في الإصابة 272/1 . (220)
جاء في البيان والتبيين 88/3 ما نصه : وقال حاجب بن زرارة : « والله ما
القمقاس برطب فيمصر ولا يابس فيكسر » . (221)
هكذا في الأصلين ، والذي في الإصابة 411/1 رقم 2194 ، أن القمقاس بن
معبد بن زرارة هو الذي نافر خالد بن مالك . وسبب هذه المنافرة : « أن
حاجب بن زرارة كان جالسا مرة وأبلة تورد عليه فاقبل خالد بن مالك
النهشلي على فرس وفي يده رمح فقال : يا حاجب ، والله لترقصن أو لاطعنك
مقال : فتح عنى أيها السفيه . فأبى فبلغ ذلك شيبان بن ملقمة بن زرارة ،
فقال : أيتهم خالد بعني ، والله لأنافرنه . فكلت بنو تميم حاجبا فلهما .
فتناثر القمقاس بن معبد وخالد بن مالك إلى ربيعة بن حذار الأسدي » .
والذي في الإصابة من وقوع المنافرة بين القمقاس بن معبد وخالد بن مالك ،
يوافق ما جاء في البيان والتبيين 88/3 . (222)

قال الشاعر :

ألم يك رطباً يمصر القوم مائه وما عوده للكاسرين بيابس (223)

وقال الاعشى (224) :

وجروا على ما عودوا ولكل عيدان عصاره (225)

وقال الآخر :

لو مع عود على قوم عصارته لمج عودك فينا المسك والبانا (226)

وقال هشام بن حسان (227) : لا يبعد الله يزيد بن المهلب (228) ، ان كانت السفن لتجري في جوده. وفلان عد من الاعداد. والمعد : الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن الفاظ الشعراء : ينمش المولى ويحتمل الجلى . وفلان

- (223) البيت لرجل من محارب يرثي ابنه ، انظر البيان والتبيين 88/3 .
(224) هو ميمون بن تيس (ت 7 هـ / ، انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 178/1 والافغاني (الساسي) 74/8 ومعجم المرزباني 325 والمؤلف 12 والخزانة 83/1 وشرح شواهد المغني 85 ومعاهد التتصيص 196/1 وآداب اللغة 109/1 ورغبة الأمل 70/4 ومصحح الأخبار 12/1 و 244 وجبهة اشعار العرب 29 و 56 وشعراء النصرانية 357/1 والاعلام 300/8 وطبقات الجبلي في مواضع متفرقة وعده في الطبقة الاولى .
(225) هذا انشاد مداخل ، ورواية ديوان الاعشى الكبير - شرح وتعليق الدكتور محمد حسين - القاهرة ص 161 :

لجروا على ما عودوا ولكل عادات أماره
والمود يمصر مازه ولكل عيدان عصاره

- والبيت في اللسان 315/4 وروايته مماثلة لرواية المخير . وهو في حياصة البحري (ص 219 - ط 2 - تحقيق لويس شيخو - بيسروت 1967) مماثلاً لرواية المخير . وروايته في المقابيس 342/4 والخميس 215/10 والاستغنى 269 مماثلة لرواية الديوان .
(226) البيت لعباد مجرد الكومي ، قاله في معبد بن أبي العباس السفاح ، راجع الشعر والشعراء 665 والبيان والتبيين 89/3 والافغاني (دار الثقافة 358/14 . وانظر ترجمة عباد مجرد في : الشعر والشعراء 663 والافغاني (الثقافة) 304/14 ووفيات الاميان 165/1 والمؤلف 157 وطبقات ابن المعتز 97 وتاريخ بغداد 184/8 ومعجم الادباء 249/10 ولسان الميزان 349/2 والاعلام 302/2 .
(227) هو هشام بن حسان الأزدي ، أبو عبد الله ، الفردوسي (ت 147 هـ . انظر ترجمته في الاعلام 81/9 وتهذيب التهذيب 34/11 والتاج 214/4 وتذكرة الحفاظ 154/1 .
(228) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (ت 102 هـ) . انظر ترجمته في الاعلام 246/9 ووفيات الاميان 264/2 وخزانة البغدادي 105/1 والتشبيه والاشراف 277 ورغبة الأمل 189/4 ومعجم ما استمعهم 950 والبعثوني 52/3 وابن خلدون 64/3 و 69 و 76 وابن الأثير 29/5 والطبري 151/8 وهبة الأيام للبديعي 253 - 267 .

يستعذب نغمات السائلين . ومن ألفاظهم : يبسط (229) كفه اذا شنجت
 كف البخيل . قال ابن السكيت (230) ، ويقال : انه لذو قحم عظام ، أي
 يتقحم في الامور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحب السرب (231) ،
 ذلول بالمعروف . الفراء (232) : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل
 المتطول . قال الفنوي (233) : ما أنول فلانا أي ما أكثر نائله .

باب البخل (234)

يقال : فلان جعد اليبدين ، جعد البنان ، يابس الكف . وانه « لا ييندى
 الرضفة » (235) ، وليس يبيض (236) صفاه ، و « لا يبيض (237)

- (229) الطاء مطبوسة في الاصل .
 (230) العبارة في تهذيب الالفاظ ص 203 .
 (231) جاء في المتايبس 156/3 : واسع السرب ، أي الصدر ، قالوا : ويراد به
 انه بطيء الفخيب وانظر تهذيب الالفاظ 203 .
 (232) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الكوفي (ت 207 هـ / . انظر ترجمته في : ارشاد
 الارب 276/7 ووفيات الاعيان 228/2 وفهرست ابن النديم ص 66 وغاية
 النهاية 371/2 ونزهة الالباء 126 ومراتب النحويين ص 86 ومفتاح السعادة
 144/1 والذريعة 39/1 وتهذيب التهذيب 212/11 وتاريخ بغداد 149/14
 والاعلام 178/9 . والف منه الدكتور أحمد مكي الانصاري كتابه : « أبو زكريا
 الفراء ومذهبه في النحو واللغة .
 (233) الفنوي هذا لم يذكر اسمه . وبالرجوع الى الالفاظ لابن السكيت وجدنا في باب
 السخاء ص 125 مانعه : « قال كمب بن سعد (الفنوي) :

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

- (قال) وان فلانا ليتنول بالخير ، وما أنول فلانا أي ما أكثر نائله .
 ثم بالرجوع الى — كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ — وجدنا في هامش
 الصفحة 204 ما يشير الى ان المخطوطة الجزائرية المحفوظة في مكتبة
 باريس قد فكرت في متن ابن السكيت ما نصه : « قال الفنوي : وما أنسول
 فلانا أي ما أكثر نائله » . وبهذا يكون نص متخير الالفاظ موافقا لنص ابن
 السكيت ، كما تتكشف هوية الفنوي المذكور والله اعلم .
 وكمب بن سعد الفنوي شاعر جاهلي (ت نحو 10 ق هـ) . انظر ترجمته في
 الاعلام 82/6 والتيجان 26 والحيوان — طبعة الحلبي — 56/3 ومجالس
 ثعلب 140 والجمعي 169 و 176 وسبط اللالي 771 وخزانة البغدادي
 621/3 ومختارات ابن الشجري 25 والمرزباني 341 وشعره النصرانية
 وجمهرة اشعار العرب 133 وشرح شواهد الخفي 236 ومعجم ما استعجم
 للبكري 877 ورغبة الأمل 101/6 وكشف الظنون 808 .
 (234) راجع في تهذيب الالفاظ باب الشح 69 وفي الالفاظ الكتابية باب البخل 96 .
 (235) رواية المثل في جمهرة الامثال : « مايندي الرضفة » 276/2 . وفي الميداني
 275/2 « ما عنده ما يندي الرضفة » وهو في الاساس مادة (رصف) .
 (236) يبيض : ينشغ منه الماء .
 (237) رواية المثل في جمهرة الامثال 276/2 : « ما يبيض حجره » ، وانظر المثل في:
 المستقصى ص 305 واللسان مادة (بفض) والميداني 229/2 والالفاظ
 الكتابية 96 ومعنى المثل : ما يفرج منه خيسر .

حجره « ، ولا تتدى صفاء ، وهو كدية (238) لا تحفر ، وهو مجذوف
البنان (239) . قال بعض العلماء : ما يندى الرضفة ، هو أن يعمد الي
كرش فيملا من الوذر ثم تحمي الحجارة فتلقى فيها حتى تنضح ما في
الكرش وهي المرصوفة (240) . قال الكمي (241) :

ومرصوفة لم تون في الطبخ طاهيا عجلت آلي محورها حين غرغرا

فمعنى الكلام : انه ليس عنده من الخير ما يندى هذه الحجارة .
ويقال : هو جماد برم ، البرم : الذي لا يأخذ النصيب من الجزور مع
القوم . وزعموا ان امرأة نظرت الي زوجها وهو يأكل بضعتين قد قرن
بينهما فقالت : «أبرما قرونا» (242) . ويقال للبخيل : هو زرم بكى . والبكى :
من بكوت الشاة اذا انقطع لبنها . وهو مكد ، صلود ، أى يابس . قال : (243)
ومطير اليديين للحمد والمجد اذا ضن كل جيس صلود ، وأصلد الرجل :
بخل . وقال قطرب ، ويقولون في مثا لهم : « في الحجر أمت لانيه » (244)
الامت : اللين . أى : في الحجر مغمز ومدخل لا في هذا الرجل . وبفلان

- (238) الكدية : الارض الصلبة الغليظة .
(239) اي قصير البنان .
(240) ورد في تهذيب اللفاظ من 75 : « الاسمى : ما يندى الرضفة ، أي ما
يخرج منه من البلل بقدر ما يبيل الرضفة وهو حجر يحس » .
وقد اثبتته ابن سيده في المخصص 13/3 نصا . والوذر : قطع اللحم مفردا :
وذره وكذلك البضمة .
(241) هو الكمي بن زيد الاسدي (ت 126 هـ) والبيت في الجزء الاول من ديوانه
من 199 — تحقيق داود سلوم . وهو أيضا في الماني الكبير 367/1
ومقاييس اللغة 401/2 والصحاح 640/2 واللسان 220/4 والقاموس
المحيط 325/2 والناج 164/3 . وانظر ترجمة الكمي في : البيان والتبيين 1/22
والحيوان 55/5 والشعر والشعراء 485/2 والافاني (بولاق) 113/15
(والساسي) 108/15 وجمهرة اشعار العرب 187 والموشح 302 وشرح
شواهد المغني 13 وخزانة الادب 69/1 و 86 وديوان الاخطل 26 وبروكلمان
242/1 والمؤلف والمؤلف 257 وطبقات الشعراء 163 ، 168 — 169
والكائرة للطيالسي 33 واللاي 12/11 والمعاهد 93/3 — 107 والمعني
534/1 و 429/2 وامالي الزجاجي 137 .
(242) يضرب مثلا في البخيل الضمه الي ما هو فوق حقه ، انظر المثل في : جمهرة
الامثال 220/2 والميداني 135/2 والمستقصى 119 واللسان مادة (برم)
وعيون الأخبار 203/3 .
(243) ما بعدها بيت مدور ، متصل الصدر بالعجز .
(244) لم أجده نيبا رجعت اليه من كتب الامثال ، وقريب منه قولهم : « ما في الحجر
مبني ولا عند فلان » . يضرب مثلا عند توكيد اللوم وقلة الخير ، ومبني
بمعنى مطلب . انظر جمهرة الامثال 251/2 والميداني 287/2 رقم المثل
3920 . وورد في اللسان 309/2 مادة (امت) ما نصه : قال سيوييه ،
وقالوا : امت في الحجر لا نيك ، ومعناه اباك الله بعد فناء الحجارة » . وهو
بمعنى من معنى المثل المذكور في التهذيب .

مساك ، أى بخل . وهو حصور شحيح (245) . ومن ألفاظ الشعراء :
خلجات البخل . قال أبو دهب (246) :

ولو كان ما تعطى رياء تشبثت به خلجات البخل يجذبته جذبا
ولكنما تبغى به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا
فنعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كلبا (247)

ففى الابيات : خلجات البخل ، وذات ماله . ويقولون : « لثيم
راضح » (248) والانوح : الذى يزحر اذا سئل . والازوح : المتقبض .
وفلان لثيم أعقد (249) ، زمر المروءة (250) . وعطية جذماء . قال :

(245) انظر الالفاظ الكتابية ص 96 .
(246) هو وهب بن زمعه الجهمي (ت 63 هـ) ، انظر ترجمته في: الشعر والشعراء
512/2 والمؤلف 168 والاغاني 114/7 - 145 والموشح 298 وأمالسي
المرضى 1/ 79 والمعني 141/1 وسبط اللالي 88/3 ومواضع منترقة
من الحيوان ج 6 و 7 ودائرة معارف البستاني 299/4 . وقد نشر المستشرق
فريتز كرنكو ديوانه في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية - لندن - عدد
أكتوبر سنة 1910 من ص 1017 - 1077 ، تحت عنوان « شعر أبي دهب
الجهمي وأخباره » عن نسخة خطية قديمة مؤرخة في 484 هـ مضيئا إليها ما
عثر عليه من شعره في بعض المراجع .
(247) الابيات لأبي دهب في مدح ابن الأزرق ، وروايتها في (شعر أبي دهب
الجهمي وأخباره) ص 1058 :

ما كنت إلا رحمة الله أرسلت لهلكي قريش لا بخيلا ولا خبسا
ملو كان ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل تجذبه جذبا
ولكنما تبغى به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا

والبيتان الاول والثاني لأبي دهب في اشباه ونظائر الخالدين 225/2 ورواية
الاول ليه :

ملو كنت ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل يجذبته جذبا

والبيان الاول والثاني لحاتم الطائي في ديوانه - طبعة دار الكتاب العربي
ص 28 وروايتها ليه :

ملو كان ما يعطى رياء لامسكت به جنبات اللوم يجذبته جذبا
ولكنما يبغى به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا

(248) المراضع الذي رضع اللوم من ثدي أمه ، يريد أنه ولد في اللوم . والذي عليه
أكثر أهل اللغة أن المراضع هو الذي يرضع من الناقة والشاة من خلفها ولا
يطلب في أثناء اللها يسمع الصوت فتطلبه الضيفان .
انظر المثل في الماخر ص 42 وتهذيب الالفاظ 75 واللسان مادة (رضع) .

(249) أي ليس بسهل الخلق .
(250) أي صغير المروءة . وأصل الزمر : قلة الصوف وقلة الريش .

ومن العظيمة ما ترى جذماء ليس لها بذاره (251)
حجر تقلبه وهل تعطى على المدح الحجارة

ومن ألقاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره (252) .

باب الشجاعة (253)

يقال : هو شجاع بهمة . قال أبو زيد : لانه بهيم لا موضع فيه للجبن ؟
وبطل ، لانه يبطل الأقران ، وصمة ، لانه يصمم ولا يئنثى . وأثوس ،
يعرف الغضب في عينيه وحاجبيه من تشاوسه . وأصر ، قد أمال عنقه
غضبا . وكفى ، والبئيس ، وهو الذى اذا ثبت لم يبرح . وأيهم ، وهو مشبه
بالسيل ، وحمس ، وليث ، وغضب ، ومقدام بئيس ، مغوار ، باسل ،
مشيح ، أحوس ، أحمس ، محرب ، مشيح ، لزاز حرب . وقسال
الحجاج (254) ، وذكر المختار (255) فقال : « لله دره ، أى رجل دنيا ،
ومسعر حرب ، ومقارع أعداء كان » . ومن ألقاظ الشعراء : هو برود
المضجع ، تقيل على عدوه . « عنيف على قرنه محطم ، يشذب بالسيف

- (251) البيتان لأبي دهب الجمحي من تصديده التي مدح فيها عبارة بن عمرو بن هزم
عامل عبد الله بن الزبير على حضر موت ومعرضا بابن الأزرق ، انظرهما في
« شعر أبي دهب وأخباره » ص 1071 من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية
سنة 1910 — عدد أكتوبر — وهما له في الأغاني — طبعة النعامة — 125/7
وفيها : بذاره : نزاره والبيت الأول في تهذيب اللغة 428/14 من غير مزو .
والأول فقط في مجالس ثعلب 499/2 من غير مزو .
والأول منهما في اللسان 115/5 من غير مزو .
والثاني منهما في رسائل الجاحظ 342/2 منسوباً لأبي دهب .
وقد سقطت عبارة « حجر تقلبه » من الناسخ فائدتها في الهامش .
(252) اتحم الناسخ عبارة : « ومن ألقاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره » بين بيتي
أبي دهب ، وحققها التأخير .
(253) راجع باب الشجاعة من تهذيب الألقاظ ص 168 وباب الشجاعة في الألقاظ
الكتابية 62 .
(254) هو الحجاج بن يوسف الثقفي (40 — 95 هـ / انظر ترجمته في : وفيات
الأميان 123/1 ومعجم البلدان 382/8 والمسعودي 103/2 وتهذيب ابن
عساکر 48/4 وتهذيب التهذيب 210/2 وابن الأثير 222/4 والبدء والتاريخ
28/6 والأعلام 175/2 .
(255) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (67/1 هـ) انظر ترجمته في : الإصابة
رقم 8547 والفرق بين 31 — 37 وابن الأثير 82/4 والطبري 146/7 وانظر
نهرس طبعة دار المعارف 409/10 والحدود المعين 182 ونهار القلوب 70
والفرق القصيدة 23 والمرزبانى 408 والأخبار الطوال 242 والذريعة 348/1
ومقتل الحسين ص 98 لأبي مخنف الأزدي والأعلام 70/8 وسير أعلام النبلاء
353/3 وتاريخ الإسلام للذهبي 369/2 ، 372 ، 380 و 70/3 .

أقرانه « (256) .

باب الجبن (257)

هو جبان ، مجوف (258) ، منزوف ، قد نزف عقله جبنا ، ومنخوب
نخب فؤاده ، أى طير ، ورعديد : يرتعد من الفرق . ويراعه ، شبه بالقصبة ،
وبعل ، هو الذى يبعل عند الحرب يدهش ، وكهام يرتد عن الواقعة ،
ومعرد أى مول . قال :

ولا بكهام بزه عن عدوه إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا (259)

وقد أحجم ، وخام ، وكلل ، وجبأ . قال :

وهل أنا الا مثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (260)

وقد عتم فى الحرب ، وحمل فلان فأكذب ، وكذب . ورجل عقر ، اذا
فجئه الروع فلم يقدر ان يتقدم أو يتأخر .

باب العجلة والاعجال

تقول العرب : سرعان ذا ، ووشكان ذا . وجاء فلان على غشاش ،

256) تسيها بيتين للبريق عياض بن خويلد الهذلي ، من تصيدة له فى ديوان
الهذليين 55/3 - 57 ونصها فى الديوان :

معى صاحب مثل نصل السنان منيف على ترنه مفشم
يشذب بالسيف اترانسه اذا مر ذو اللبة الغيلم

ورواية البيت الاول فى بقية اشعار الهذليين : « محطم » مكان « معشم » .
257) راجع باب الجبن وضعف القلب ص 176 : تهذيب الألفاظ ، وباب الجبان فى
الألفاظ الكتابية ص 68 .

258) فى الاصل (تحوف) بالحاء المهمله وفتح الميم ، وهو تصحيف .
259) البيت لمتهم بن نويرة فى رثاء أخيه ، انظر كتاب (مالك ومتهم ابنا نويرة

اليربوعي) ص 108 . ورواية الشطر الاول فى جمهرة اشعار العرب ص
746 - تحقيق على محمد الجاوي : « ولا بكهام ناكل من عدوه » . والكهام :

الكليل . والبز : السلاح ، والبيت فى اللسان مادة (بز) من غير عزو .
والبيت لمتهم فى المفصليات ص 266 وروايته : « ولا بكهام بزه » . والبيت

لمتهم فى المقدم اللريد 264/3 وروايته : « ولا بكهام سيفه » . وقد سبق
ترجمة متهم .

260) البيت فى التاج مادة (ساق) لنصيب بن رباح . وهو فى ديوان نصيب بن رباح

ص 92 . وفى حاشية الصحاح مادة (جبا) 40/1 انه لنصيب بن ابي محجن .
وهو فى المخصص 78/3 من غير عزو وهو فى اللسان مادة (جبا) ومادة

(سوق) من غير عزو أيضا .

أى على عجلة . ولقد أجهضته عن ذلك الامر ، أى أعجلته . وحزنته . ووجدته مستوفزا (261) ، ومتحفزا ، وعلى عدواء .

باب متخير الفاظهم في المسارع الى الشر

يقال : انه لتيحان (262) في الامور ، أى معترض فيها . والشتيم الفاحش . ويقال للمتسرع اليك : « ان جفرك الى لتهدم » (263) ، « وان حبلك الى لانشوطة » (264) ، وانك لترع الى (265) . ورجل معن متيح : يدخل في كل شىء لا يعنيه (266) . الاصمى (267) : ان فلانا لنعار في الفتن ، اذا كان سماء فيها . يقال ما وقعت فتنة الا نعر فيها . ونعر الدم ، اذا دفع ، ينعر . وهو عرق نعار . ويقال : انه لدعرة ، اذا كان فيه قاذح وغيوب . ومن الفاظ الشعراء : انه يجرى اليها غير ذى رسن . والتشخر : التسرع الى الامر ، وهو من : تشخرت الناقة ، اذا أبصرت رعيها فنشطت ، وحركت رأسها مرحا . ومن أمثالهم في الرجل يعجل الى الرجل بالسوء : « استقدمت رحالتك » (268) .

باب النشاط (269)

يقال : هو أشر ، فره . وقد أشر ، وعرض ، وهو من عرص البرق ، اذا كثر لماعه . ويقال عرص اليهم ، اذا نزا من النشاط . وقد بطر ، ومرح . قال ابن السكيت (270) ، قال أبو تمام الاسدى : « الخجسوء احتمال الغنى ،

- 261 المستوفز : القائم قمودا منتصبا دون اطمئنان .
262 التيحان والتيحان والتياح بمعنى .
263 في تهذيب الالفاظ 236 : « ان جفرك الى لهدم » . والجفر : البئر الواسعة لم تطو . وذكر في الاساس مادة جفر 1/127 : ان جفرك الى لهار ، أى شرك الى متسرع . وفي الميداني 65/1 رقم المثل 325 : ان جفرك الى الهدم : قال : يضرب للرجل يسرع الى ما يكرهه .
264 انظر المثل في الميداني 65/1 رقم المثل 326 وانظر (عقده بانشوطة) في الفاخر 123 .
265 انظر تهذيب الالفاظ 236 وميه : انه لترع اليه ، وقد ترعت اليه أى تسرعت
266 انظر تهذيب الالفاظ 237 والمخصص 71/3 .
267 انظر تهذيب الالفاظ 237 .
268 في جمهرة الامثال 185/1 ورد : « استقدمت رحالته » . يقال للرجل يعجل الى صاحبه بالشمم وسوء القول ، والرحالة بمنزلة السرج ، واذا استقدمت رحالة الفارس سد ركوبه ، نجعل ذلك مثلا لمن يسد قوله . وانظر المثل في الميداني 123/2 والمستقصى 65 .
269 راجع باب البطر والنشاط في تهذيب الالفاظ 504 وباب التكبر في الالفاظ الكتابية 133 .
270 انظر القول في تهذيب الالفاظ 505 واصلاح المنطق 318 والفاخر 121 واخذاد ابن الانباري 152 .

والدقع سوء احتمال الفقر . ويقال : قميص خجل ، أي فضفاض واسع (271) . قال زيد بن كثوة (272) : « دخلت على الحسن بن سهل (273) ، فكساني قميصين خجلين » . وان فلانا لذو ميمة .

باب الرجل الراضى باليسير من الطعام

العرب تمدح بقاء الطعام ، وتنم الرغبة . قال أعشى باهلة (274) :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروى شره الغمر

ويقال : هو قليل الطعام ، زهيد . وهو يقرم قرمان البهمة (275) . وقد خلا على طعام كذا ، اذا لم يأكل غيره . ويقال أتانا بطعام فحططنا فيه ، أي أكثرنا . وخططنا ، أي عذرنا (276) .

- (271) انظر تهذيب الالفاظ 505 ونوادير أبي مسحل 55/1 .
(272) هو زيد بن كثوة المنبري ، شاعر ورد ذكره في معاجم اللغة مادة « كئو » وفي الحيوان 116/6 . وانظر مقالته هذه في تهذيب الالفاظ 505 .
(273) وزير المأمون العباسي ووالد (بوران) زوجة المأمون (ت 236 هـ) وهو أخو الفضل بن سهل . وانظر ترجمته في : وفيات الاعيان 141/1 وتاريخ بغداد 319/7 وابن الوردي 217/1 والاعلام 207/2 .
(274) هو عامر بن الحارث ، وقد ورد البيت في كتاب « الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأمسين الآخرين » ص 268 مع اختلاف يسير فيه . (ويكنى) مكان (ويروي) . وانظر ترجمة أمشس باهلة في : خزنة الادب 90/1 وسبط اللالي 75 والجحى 169 والاعلام 16/4 . والامدي والانتساب 304 وشواهد المغني 86 والكائرة 16 . والبيت في الاضداد للانبساطي ص 421 وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . والبيت في الاشتقاق لابن دريد ص 486 وروايته فيه :

تغنيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروي شره الغمر

- وروايته في نظام الغريب ص 56 : تكفيه ملذة كبد ، والبيت في اصلاح المنطق ص 4 و 85 و 285 . والمعاني الكبير 1109 واعداد السهستاني 147 ومقاييس اللغة 394/4 و 450 واملالي المرتضى 96/1 واللالى 75 وشرح الحماسة للمرزوقي 402 والالفاظ لابن السكيت 607 والمدة 144/2 واملالي القالي 16/1 وجمهرة الامثال 122/1 و 487 . وفي اعداد ابي الطيب اللغوي 554/2 : تكفيه ملذة لحم . وهو في الصحاح 772/2 مادة (غمر) ، وفي اللسان 336/6 مادة (غمر) وفي شرح نهج البلاغة 850/2 و 509/4 ، وفي الكامل للمبرد 356/1 وفي نوادر ابي مسحل 146/1 وفي الاصمعيات 91 وفي جمهرة اشعار العرب 717 وفي الامتاع والمؤانسة 200/2 .
(275) انظر تهذيب الالفاظ 648 .

(276) جاء في تهذيب الالفاظ 647 : « واتانا بطعام فحططنا فيه اي اكلنا ، قال ابو عبيدة : اي اكثرنا منه الاكل . وخططنا فيه اي عذرنا » . وقد عد الانباري في اعداده ص 407 هذه الكلمة من الاضداد اذ قال : « اتانا فلان بطعام فحططنا فيه اذا عذرنا واكلنا اكلنا يسيرا ، واتانا طعام فحططنا فيه ، اذا اكلنا اكلنا كثيرا » .

باب الرغب وكثرة الاكل

يقال : هو شرط ، اذا كان يلتم لثما جيدا . ويقال : قد سلخ اللثمة ، وبلعها ، وزردها ، وفي الامثال : « الأكل سلجان ، والقضاء ليان » (277).
يقول : يأكل ما يأخذ من الدين ، فاذا صار الى القضاء لواه ، أى مطلقه .
والخضم : أكل الشيء الرطب . والقضم : أكل الشيء اليابس (278) .
ورجل بلع . ويقولون :

يلتم لثما ويفسدى زاده
يرمى بأمثال القطا فؤاده (279)

وهو أكل جروز (280) ، ويقال : شد ما ملأت بطنك ، ودحسته .
ويقال : أوجب فلان أكله ، أى جعله وجبة ، كل يوم مرة . ويقال : خلا
فلان على اللبن ، وعلى اللحم ، اذا لم يأكل معه شيئا . وأخلى أيضا . قال أبو
عبيدة : اجتحف (281) الثريد بأصابعه ، وقدم اليه طعام فتحسفه ، اذا لم
يبقى منه شيئا . ويقال : هلم نتضح ، أى نتغدى . وحسوت الشيء . وفي
الامثال : « أحس وذق » (282) ، « ونوم كحسو الطير » (283) ويقولون

- (277) اللبان : المثل ، والسلجان : سرمة الابتلاع . ويقال أيضا : « الاخذ سلجان
والقضاء ليان » راجع جمهرة الامثال 171/1 والمستقصى 298/1 وشرح
ديوان زهير بن ابي سلمى ص 181 ومجمع الامثال 41/1 رقم المثل 156 وفي
هذا المعنى قولهم : « ان اكله لسلجان ، وان قضاءه للبان ، وان عسده
لرضان » ورضان معناه بطيء . راجع مجمع الامثال 67/1 رقم المثل 339
وانظر اللسان (سلج) وتهذيب الالفاظ 649 .
(278) ورد في مجمع الامثال للميداني 307/2 ما نصه : الخضم : الاكل بجميع اللحم ،
والقضم : الأكل باطراف الأسنان .
(279) ورد الرجز في مجالس ثعلب 461/2 من غير عزو . وفي اللسان 9/20 انشده
ابن الأعرابي ومعناه : يبقى زاده ويأكل من مال غيره . وفي الميداني 417/2
أخطط شطر الرجز بمثل يليه فوجب التنبيه . قال الميداني معناه : يأكل من
مال غيره ويحتفظ بماله .
(280) الجروز : الأكل الذي لا يترك على المائدة شيئا .
(281) قال المصنف في المغايبس 427/1 : الجيم والحاء والفاء أصل واحد قياسه
الذهاب بالشيء مستوعبا . يقال : سبل حجاب اذا جرف كل شيء وذهب به .
ويقال أجهف بالشيء اذا ذهب به . وفي المنجد ص 77 : اجتفنه : استلبه .
استأصله وأهلكه . اجتحف ماء البئر : نزهه ونزله .
(282) يضرب مثلا للشمامة بالجاني ، ومعناه أنك قد جنبيت الشر على نفسك فإني
ما عيه البلية . انظر المثل في جمهرة الامثال 124/1 ومجمع الامثال 207/1 .
(283) جاء في المغايبس 58/2 . يقولون : « نوم كحسو الطائر » أي قليل . وفي
أساس البلاغة 174/1 : « ويوم ، ونوم كحسو الطائر » . وجاء في اللسان
192/18 : « ويوم كحسو الطير أي قصير . والعرب تقول نمت نومة كحسو
الطير اذا نام نوما قليلا » .

في المثل أيضا : « لملها كنت أحسيك الحسا » (284) ويقولون : « آكل من حوت » (285) « وأروى من حوت » (286) . ورجل سريع الأكل ، سريع الإحارة (287) . ويقولون : « أراك بشر ما أحر مشفر » (288) . يضرب للسمن . أى من غذى بغذاء استبان ذلك عليه . ورجل فيه : آكول . ويقولون : ما زلنا في خضد ، وخضم ، وقضم . الخضد : آكل القثا وشبهه . والخضم : للفاكمة . والقضم : لليابس .

باب الجوع (289)

يقال : رجل جائع ، وغرثان . وفي المثل : « غرثان فاربكوا له » (290) وهو طعام يخلط له . وأصل هذا أن رجلا بشر بسلام فقال : ما أصنع به ؟ آكله أم أشربه ؟ فعلمت امرأته أنه جائع ، فقالت : غرثان فاربكوا له ، فلما شبع ، قال : « كيف الطلا وأمه ؟؟ » (291) يعنى الصبى وأمه . ورجل ساغب ، وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ورجل ضرم . وقد ضرم ضرما . والمسحوت : الجائع . والمسحور (292) : الذى به سعار . ورجل وحش ،

- (284) يراد به : لمل هذا الامر كنت أوثرك بما أوثرك به . وورد المثل في فصل المقال 219 والمستقصى 292 وشروح سقط الزند 640/2 والمقاييس 58/2 وروايته : « لمل ذا كنت أحسيك الحسا » . وهو كذلك في جمهرة الامثال 185/2 . وروايته في أساس البلاغة 175/1 : « لملها كنت أحسيك الحسا » . لبلعه الاثياء من غير مضغ . انظر المثل في جمهرة الامثال 200/1 والمستقصى 6/1 والميداني 86/1 رقم المثل 411 .
- (285) انظر المثل في جمهرة الامثال 201/1 و 499 و 31/2 والميداني 315/1
- (286) اي سريع اللقم .
- (287) يضرب مثلا للامر يدل ظاهره على باطنه ، انظر جمهرة الامثال 77/1 وفصل المقال 245 والميداني 290/1 والمستقصى 58 واللسان مادة (شفر) .
- (288) راجع باب الجوع في تهذيب الالفاظ 632 وفي الالفاظ الكتابية راجع باب الجوع 78 وباب ترادف الجوعان ص 292 .
- (289) يضرب مثلا للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك . انظر جمهرة الامثال 82/2 والميداني 56/2 والمستقصى 248 . واللسان والاساس مادة (ربك) . ويروي المثل : غرثان فاربكوا له « . انظر الاستقاق لابن دريد ص 429 و 534 . وبكلت الشيء آكله بكلا ، اذا خلطته ، نحو الاقط بالسمن وغيره . وورد المثل بصيغة اخرى في كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ص 474 ونصه : « وحدثنى المازني قال ، قال الكسائي : ولدت امرأبيسة وزوجها غائب ، فلما قدم قالوا له : ليهنك الفارس امقال : والله ما أدري : آكله أم أشربه ؟ فقيل ذلك لامراته فقالت : جائع فاربكوا له « .
- (290) وزوج الامرابية الغائب هو ابن لسان الحمرة . وهذه المثل شبيهة بالمثل القائل : « غضبان لم تؤدم له البكيه » . والريكية والبكيه واللبيكة شيء واحد . انظر الميداني 60/2 رقم 2678 .
- (291) المثل في الميداني 164/2 رقم المثل 3179 : قال الاصمعي : يضرب لمن قد ذهب هيبه وخلا لسانه .
- (292) السعار : شدة الجوع .

وقد أوحش ، وهو من قوم أوحاش ، أى جياح . ويقال : بتنا الوحش .
وبتنا القواء ، إذا لم يكن عندهم طعام . وقد أقوى القوم ، وأرملوا ، إذا نفذ
زادهم . والخمصة : المجاعة . والطوى : ضمير البطن من الجوع . ورجل
طيان ، وبه سمر ، أى شهوة وجوع .

باب حسن المواتاة والذل (293)

يقال : هو ذلول بين الذل . وهو بعير قيد ، إذا كان ذلولاً ينساق . يقال :
اجعل فى أول قطارك بعيراً قيدا تتبعه الأبل . وبعير مديث ، إذا ذل بعض
التذليل ولم يستحكم . وديث فلان من صولة فلان ، إذا لين منها . وهو بعير
مصحب ، منقاد . وجاءوا على صعب وذلول . قال أبو عمرو : وركبوا ذل
الطريق ، وهو ما قد وطىء منه . ويقال : «أمور جارية على اذلالها» (294)
أو على مجاريها .

باب الغضب (295)

يقال : غضب غضبا ، وعبد عبدا (296) ، واستأرب عليه غضبه (297) ،
وحمز صدره ، ووغر (298) . وقد «ثار ثأره» (299) ، وهماج
هائج (300) . وبين القوم مثرة ، ونائرة (301) . وقد تفاحش ما بينهم ،
وتدابير . وقد انصدع ما بينهم . وفى صدره عليه ضب (302) ، وغلة ، وغليل .
وفلان يقدر على فلان سحره (303) . وهو يحرق عليك الأرم (304) . ويقال
للغضبان إذا غضب واحتد : هو ذو طيرة ، وذو سورة ، وذو بادرة . وقد

- 293 راجع باب الذل وهو ضد الصموية فى تهذيب الالفاظ 621 وراجع فى الالفاظ
الكتابية باب الانتقاد ص 30 .
294 من أمثال الميداني 174/1 : أجر الامور على اذلالها . أى على وجوهها التي
تصلح وتسهل وتيسر ، ويقال : جاء به على اذلاله ، أى على وجهه ، ويقال :
دعه على اذلاله : أى على حاله .
295 راجع فى تهذيب الالفاظ باب الغضب والحدة والعداوة ص 78 ، وفى الالفاظ
الكتابية باب الغيظ ص 19 وباب اظهار العداوة ص 48 .
296 راجع تهذيب الالفاظ 85 .
297 راجع نواذر ابي بسمل 103/1 .
298 وغر صدره على فلان : توقد عليه من الغيظ .
299 أى هاج ما كان من عادته أن يهيج منه . انظر المثل فى الميداني 154/1 رقم
المثل 785 .
300 راجع تهذيب الالفاظ 82 .
301 راجع تهذيب الالفاظ 87 .
302 الضب : الحد الخفي .
303 السحر : الرئسة .
304 راجع تهذيب الالفاظ 81 . والارم : الاسنان .

أرى على صدرك . ويقال ضمد ، وحرد ، وحرب . وحربته فحرب (305).
واضطرم ، وتضرم ، واحتدم ، ونغر ينغر (306). والثثق : الملآن غضبا .
يقولون : « انا تثق وصاحبى مثق ، فكيف نتثق » (307) ؟ ا . التثق : ان
حركته تفجر والثثق : المغتاط السريع البكاء . فلا يكون بين هذين أبدا
هدفة (308) ولا سكون . وفلان حامى الحميا ، اذا غضب حمى . والحميا :
شدة الغضب . وحميا الكاس : سورتها . ويقال : هو ينفط (309) غضبا ؟
وقد شرى ، اذا تمادى وتتابع فى غضبه ، وهو من : شرى البرق ، يشرى ،
اذا كثر لمعانه (310) . وانشد :

وقد جعل الرك الضعيف يسيلنى اليك ويشريك القليل فتعلق (311)

وقد تظلى ، وتلهب ، واستحصد عليه ، اذا تفتل عليه غضبا .
واستحصد حبله (312) ، اذا غضب ، واستشاط عليه ، اذا تلهب وطار به
الغضب . « وهو يتميز من الغيظ ، أى ينتقطع . واربد الرجل ، اذا انتفخ
وجهه من الغضب . واستغرب فى الحدة ، اذا مضى فيها . ويقال : أخذه قل
من الغضب كأنه يستقل من موضعه . وقد احتمل اذا غضب » (313) .
قال ابن السكيت (314) : شالت نعامة فلان ثم سكن ، وذلك اذا
غضب . واذا خف القوم من منزلهم قيل : شالت نعامتهم . يقال : اسف

- (305) راجع تهذيب الالفاظ 78 .
(306) ورد فى تهذيب الالفاظ 79 : هو ينغر عليه اذا غلا عليه من الغضب .
(307) يضرب مثلا لسوء الموائمة فى الاخلاق . انظر المثل فى : جبهة الامثال 106/1
والميداني والمستقصى 156 واللسان مادة (تاق ، ماق) والاساس (تاق)
والكامل للبرد 137/1 وخلق الانسان لثابت ص 4 و تهذيب الالفاظ 79
باختلاف فى الرواية .
(308) هكذا فى الاصلين ، والهدفة : الجماعة من الناس والبيوت يقيمون ويظمنون
جمعها هدف . والمعنى : لا يكون بينهما اجتماع ولا هدوء . قلت : ولعل
الصواب : هدنة (بالنون) .
(309) فى تهذيب الالفاظ 79 : انه لينفط غضبا .
(310) راجع تهذيب الالفاظ 79 .
(311) البيت فى اللسان 317/12 من غير عزو وانشده ابن الاعرابى ، وروايته :
(فتعلق) مكان (فتعلق) . والرك : المطر الضعيف . ومعنى البيت : انه اذا
أتاك منى شيء قليل غضبت وأنا كذلك لمضى نتثق ؟
(312) فى الاصلين : استحصد عليه ، وهو تكرار لا وجه له ، والنصوب من
التهذيب 79 .
(313) ما بين الامواس « منقول عن تهذيب الالفاظ 80 . والقل : الرعدة .
(314) راجع تهذيب الالفاظ 81 .

عليه (315). قال أبو عبيدة (316) : فلان يكسر عليك الأرعاض . للذي يفتاظ على الرجل ويتوعده . والأرعاض واحدها رعض ، وهو الذي يدخل سنخ نصل السهم فيه (317) . وقد احفظته احفاظا ، اذا اغضبت . قال ابن السكيت (318) : والسدم غضب مع غم ، ولذلك قولهم : « نـسـادم سادم » (319). ورجل فيه غرب ، اذا كانت فيه حدة . قال أبو عبيدة (302) : هذا غضب مطر ، أى جاء من أطرار الأرض لا أعرفه . قال الأصمعى : غضب مطر أى جاء من أطرار الأرض أعرقه ، قال الأصمعى : غضب مطر : فيه ادلال (321) . قال الحطيئة :

غضبتهم علينا ان قتلنا بخالد بنى مالك ها ان ذا غضب مطر (322)
ويقولون : لوى فلان عنا عذاره اذا غضب وأعرض . ويقولون : حرك خشاشه فغضب (323) .

315 اي غضب .
316 أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت 209 هـ) انظر ترجمته في : وفيات الاعيان 105/2 دارشاد الاريب 164/7 وتذكرة الحفاظ 338/1 وبغية الوصاة 294/2 وأخبار النحويين البصريين ص 67 وتاريخ بغداد 252/13 وطبقات النحويين واللغويين 192 وتهذيب التهذيب 246/1 ونزهة الألباء 104 ومفتاح السعادة 93/1 والفلاحة والفلوكون 75 وانباء السرواة 276/3 وشرحها الفية العراقي 231/2 والامام 191/8 وميزان الاعتدال 189/3 والمقته والبررة (ضمن نوادر المحفوظات / 329/2 ومجاز القرآن : مقدمة الجزء الاول ، ومراتب النحويين 46/44 وتاريخ ابن الاثير 208/5 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 210) وتاريخ ابن اللدا 28/2 وتقريب التهذيب 266/2 وتهذيب الاسماء واللغات 260/2 وشذرات الذهب 24/2 والمبر 359/1 والفهرست 53 والمزهر 2 ، 403/2 - 462 والمعارف 543 ومراة الجنان 44/2 ومجمع المطبوعات 322 ومجمع المؤلفين 309/12 والنجوم الزاهرة 184/2 وهدية المارفين 466/2 واثارة التبيين الورقة 54 وتلخيص ابن مکتوم 346 وميون التواريخ (وفيات 210) وكشف الظنون وايضاح المكنون في مواضع متعددة وروضات الجنات 725 ونور القبس المختصر من المقتبس 109 - 124 وطبقات المسرين الورقة 319 و 320 وطبقات ابن قاضي شهبه الورقة 255 و 256 .

317 انظر النص في تهذيب الالفاظ 81 .
318 انظر النص في تهذيب الالفاظ 84 .
319 انظر المثل في الفاخر 37 . والسادم : المتغير العقل من الغم . وقيل المتحير الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئا كانه ممنوع من ذلك .
320 انظر تهذيب الالفاظ 85 .
321 غضب مطر : اي غضب لا يدري من اين جاء ، او الغضب في غير موضعه .
322 البيت بنصه في ديوان الحطيئة - تحقيق نعمان أمين طه 302 وهو في اللسان مادة (طرر) 172/6 وفي المتايسس 409/3 ونوادر أبي زيد 96 وروايته في اصلاح المنطق 288 :

غضبتهم علينا أن تلتنا بمالك بنى عامر ها ان ذا غضب مطر
وعجز البيت في مجالس ثعلب .

323 الخشاشي : خشبة تدخل في عظم أنف البعير .

باب الرضى وفتور الغضب (324)

يقال : باخ (325) غضبه ، وفتأ (326) وانفث غضبه ، وتحلل أسره (327) ، « وتحالت عقده » (328) وتخرم زنده ، وسكت غضبه . ومن كلامهم للرجل الغضبان اذا احبوا سكون غضبه : فشاش فشييه (329) من قولك فششت السقاء ، اذا عصرته حتى يخرج ريحه . قال ابن السكيت (330) ، يقال للرجل اذا فتر غضبه : قد تسبخ تسبخا . واللهم سبخ عنى الحمى ، أى خففها . وقد طفى غضبه ، وتسرى ، وسرى عنه .

باب الموادة (331)

قال ابن السكيت (332) عدو أزرق وعدو أسود الكبد (333) ، أى قد احترق جوفه من الشر . وان فى صدره لدحنة ، ودمنة ، وضبا ، ووغرة . وأصله من وغره الحر . وان فى صدره لضفنا ، وغمرا ، وغلا . وبينهما نائرة أى عداوة (334) . وقد شاحنه مشاحنة ، من الشحناء . ولفلان عند فلان دخل ، ووتر ، وطائلة ، وقبل ، ومد شنف له شنفا ، اذا أبغضه . وفى فلان سورة ، أى حدة . ويقال للرجل الحديد : « ملحه على ركبته » (335) .

باب الحرص والجشع وكثرة الأكل (336)

يقال : هو حريص ، جشع ، شره ، طبع . الطبع : التميم الأخلاق .

- 324 راجع خاتمة باب الغضب والحدة والعداوة فى تهذيب الالفاظ 89 .
 325 باخ : سكون .
 226 فتأ : انكشف عنه .
 327 أسره : شدة وعمصيه .
 328 يضرب مثلا للغضبان يسكن غضبه . انظر المثل فى الميداني 146/1 رقم المثل 741 .
 329 انظر المثل فى الميداني 78/2 رقم المثل 2764 وتتمته : من استه الى ميه .
 330 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 89 وقد أورده ابن فارس بتصريف .
 331 راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الغضب والحدة والعداوة 78 وفى الالفاظ الكتابية : باب الغيظ 19 وباب اظهار العداوة 48 .
 332 عدو أزرق : شديد العداوة . وانظر النص فى تهذيب الالفاظ 87 .
 333 من امثال الميداني : « هو أزرق العين ، وهو أسود الكبد » . يضرب مثلا فى الاستشهاد على البغض . انظر مجمع الامثال 385/2 رقم المثل 3475 .
 334 ما بين قوسين « منقول باختصار عن تهذيب الالفاظ 88 .
 335 يضرب مثلا للرجل الذي يفضيه أدنى شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثال 232/2 والفاخر 12 والميداني 269/2 وتهذيب الالفاظ 88 ولسان العرب مادة (ملح) والاساس 398/2 وأمالى القالي 138/1 .
 336 راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشره والحرص والسؤال 253 وفى الالفاظ الكتابية : باب الطمع 42 .

والبطن : الذى همه بطنه . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحصرص عليه (337) . والواغل : الذى يأكل مع القوم ويشرب ولم يدع . يقال : وغل : وغل يغل . قال ابن السكيت (338) : ولبنى أسد مثل فى الأكل ، يقال : « هو آكل من ردامة » (339) وزعموا انه حلب ثلاثين لقة فشرب لبنها .

باب الكبر والزهو (340)

يقال : زهى (341) فهو مزهو . وشمخ بانفه (342) وبلخ ، وقد تأبته نفسه . وهو أشوش ، وأصور (343) ، وأصيد . وجاء يريس (344) ، ويتذيل ، ويفيد . وهو جبار ذو خيلاء .

باب التخلف

يقال : قد سبق فلان الى الخير . وما هم الا نابتة ، وما هم الا كالشكير (345) . ويقال : هم بنو اليوم . ويقال للمسبق : أنت لا تبصر الا مدق الحافر .

باب متخير الفاظهم فى الاسرة والعشيرة وفكر الكرام والسادة

يقال : انه لياوى الى ركن شديد ، والى أسرة ، وعشيرة ، وصيابة (346) ، وناهضة (347) . وانه لى ناصية (348) قومه ، وذؤابة

- (337) انظر المتايبس 396/2 .
(338) انظر تهذيب الالفاظ 257 ومختصره 158 .
(339) فى الاصلين : دراهم ، وهو تحريف . وجاء فى المستقصى 7/1 : « اكل من ردايه : هو رجل اكل من بني اسد حكى انه حلب ثلاثين نعجة فشرب لبنها » وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ 257 .
(340) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الكبر 151 وفى الالفاظ الكتابية : باب الكبر 133
(341) فى الاصل : زهى (يفتح الزاي) والتصويب عن تهذيب الالفاظ 15
(342) راجع الالفاظ الكتابية 133 .
(343) راجع الالفاظ الكتابية 134 .
(344) يريس : يتختر كبرا .
(345) فى الاصل : كالشكير ، وهو تصحيف . والشكير من النبت والریش والشمر ما نبت من صفاره بين كساره .
346 صوابة القوم وصياهم وصيايتهم : لبايهم وخيارهم .
(347) ناهضة الرجل : بنو ابيه الذين يفضبون له وينهضون معه وخدمه القائمون بامرهم .
(348) فى ا : ناصية ، والتصويب عن ع . وناصية القوم : خيارهم .

قومه (349) ، ولباب قومه . وانه لفي معقل عز ، وعيص أثب . والمعيص :
ما التف من الشجر . والأثب الذي لا مدخل له . قال جرير :

فما شجرات عيصك في قریش بعشات الفروع ولا ضواح (350)

وانه لفي ذروة قومه . وهؤلاء كاهل بني فلان ، وسنام بني فلان .
وهم ذراهم وانفهم . وقالت غادية الدبيرية (351) في ابنها روس :

أثبه روس نفرا كراما

كانوا الذرى والأنف (352) والسناما (353)

كانوا لمن خالطهم اداما

كالسمن لما سغبل (354) الطعاما

لو كنت ريشا لم تكن لؤاما

أو طائرا كنت اذا غناما

صقرا ، اذا لافى الحمام اعناما

ويقال : انه لواسطة قومه . وهو مقابل مدابر ، اذا كان أخواله
وأعمامه من قوم واحد . وانهم من سرهم ، أى من خيارهم . وهو ثاقب
الحسب ، أى نير . وهو رفيع البيت ، على الدعائم ، كريم المركب (355) ،
كريم المحدد (356) ، وهو جفم صدق ، وارومة صدق (357) ، وممن
محض (358) قومه ، ونخبتهم . قال قطرب (359) : يقال انه لذو براية في

- (349) هو ذؤابة قومه : أي المتقدم فيهم .
(350) البيت بنصه لجرير في شرح ديوانه من 99 . وهو أيضا في المعاييس 195/4
مادة (عيص) واللسان مادة (عيص) والصحاح مادة (ضحا) 2407/6 .
وانظر ترجمة جرير بن عطية (ت 110 هـ) في : الاغانى 3/8 - 89 ووفيات
الاميان 102/1 وطبقات الجهمي 96 والشريشي 249/2 وشرح شواهد
المغني 16 والشمر والشمرأ 374/1 وخزانة الادب 36/1 والموشح 118
والميني 91/1 والاعلام 111/2 .
(351) هي غادية بنت تزمة الدبيرية ، ولها أرجوزة صادية تذكر ابنها (مرهبا)
انظر مجالس ثعلب 299 - 300 وبعضها في نوادر أبي مسحل 155/1
والابيات الثلاثة الأولى من أرجوزتها الميضية هذه في اللسان 407/7 مادة
(روس) وذكر انها لعادية بنت تزمة الزبيرية . والابيات الثلاثة الأولى في
التاج 164/4 مادة (راس) وفيه : عادية بنت تزمة .
(352) في 1 : الأنف .
(353) في ع : السنمام .
(354) سغبل : رواه دسما ، والسغبل ان يبرد اللحم مع الشحم فيكثر دسسه .
(355) المركب : الامسل .
(356) المحدد : الامسل .
(357) الارومه : الامسل .
(358) المحض : الخالص النسب ، الصريح .
(359) انظر المعاييس 233/1 - 234 .

حسبه . وهو كريم النجار ، والشرخ . وهو في بهرة قومه ، وأريبية (360)
 قومه ، ورباء قومه . ويقولون : جاءت مخة الناس (361) ، ونصيتهم (362)
 ومن الفاظ الشعراء (363) :

من جمع في العز منها والحسب والأسرة الحصداء والميصر والأشب

وفكر ابن عباس (364) عليا (365) — عليهما السلام — فقال :
 « سطة (366) في العشيرة ، وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم
 بالنتزيل ، وفقه في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » (367) . ومن الفاظ

(360) الأريبية : أصل اللخذ ، وهي هنا : أهل بيته وبنو عمه .

(361) مخة التوم : خيارهم .

(362) نصيتهم : خيارهم .

(363) الرجز لأبي دهب الجبجي ، انظر (شعر أبي دهب واخباره) صفحة 1043
 وروايته فيه :

انا أبو دهب وهب لوهب
 من جمع في العز منها والحسب
 والأسرة الخضراء والميصر الأشب
 ومن هذيل والدي عالي النسب
 أورثني المجد أب من بعد أب ... الخ

وانظر الرجز أيضا في الاغانى — طبعة دار الثقافة — 113/7 ورواية
 الاغانى : (والأسرة الخضراء) مكان (والأسرة الحصداء) .

(364) حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت 68 هـ) انظر
 ترجمته في : الاصابة رقم الترجمة 4772 وصفة الصفوة 314/1 وذيل الذيل
 21 وتاريخ الخميس 167/1 ونكت الهيمان 180 ونسب تريش 26 والحبر
 289 والاعلام 228/4 .

(365) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي) (ت 40 هـ) . انظر ترجمته في :
 مروج الذهب — طبعة دار الاندلس 349/2 وخصائص العشرة الكرام
 البررة 91 — 106 والاستيعاب الى معرفة الاصحاب 26/3 والكامل لابن
 الاثير 98/3 واليعقوبي 154/2 والطبري 450/3 وسيرة ابن هشام
 264/1 و 154/2 و 13/4 ومسند بن حنبل 17/2 والاصابة 269/4 رقم
 الترجمة 5682 وشذرات الذهب 42/1 وفضائح الباطنية 110 و 132 —
 137 والمعارف 91 والمختصر في تاريخ البشر 170/1 وابن الوردي 155/1
 واحياء العلوم 464/4 وصحيح مسلم 1870/4 وصحيح البخاري 22/5
 والرياض النضرة 137/2 وتاريخ الخلفاء للسيوطي 166 — 187 وطبقات
 ابن سعد 19/3 وصفة الصفوة 118/1 ومقاتل الطالبين 14 وحليبة
 الاولياء 61/1 وشرح نهج البلاغة 579/2 والمرزباني 279 ومنهاج السنة
 2/3 وتاريخ الخميس 276/2 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي وخصائص
 أمير المؤمنين للشريف الرضي وتاريخ الاسلام 191/2 وتهذيب التهذيب
 334/7 وتفكرة الحفاظ 9/1 وانباء الرواة 10/1 ومعجم الادباء 41/14 —
 50 والاصابة رقم 1208 وتريب التهذيب 39/2 والفخرى 73 والاعلام
 107/5 والحاسن والمساوي 41 والبده والتاريخ 73/5 .

(366) السطة : الشرف الحسب

(367) نزال : المنازلة في الحرب

شعرائهم :

فتعلم ان عيص بنى عدى تفرع بيته الحسب النضارا
ومن زيد علوت عليك ظهرا جسيم المجد والعدد الكئارا
وتزخر من وراى حماى عمرو بذى صدين (368) يكتفى البحارا
وبنو فلان زؤوس العز (369) .

باب الرذال والذئابى والدعوة

يقال : انه من حفالتهم (370) ، وحقالتهم . وهو من زمعمهم (371) ،
ومن مآخيرهم : ليس من صدورهم ولا من سرواتهم . وذلك ان الزمع هي
الروادف التي خلف الأظلاف . وانهم من رذالهم ، واوغالهم ، واوغادهم . ومما
يجرى مجرى المثل : فلان كمروة الأناء وككارع الاديم (372) قال حسان :
أبلغ أبا سفيان أن محمدا هو الفرع ذو الاغصان لا الواحد الوغد .
وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وأنت دعى نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد (373)

368 صدا الجبل : ناحيتاه في مشمبه .
369 في الاصل : (رؤس) بواو واحدة .
370 الحفاله : الرذل من كل شيء .
371 الزمع : رذال الناس ورعاهم . وفي الاصل : زمعمهم (بكر الزاي)
372 جاء في كئايات الجرجاني من 15 : « ويكنون من الدمى بكارع الاديم قال
الفرزدق :

وأنت زعيم في كليب زيادة كما زيد في مرض الاديم الكارع »

373 الابيات في شرح ديوان حسان بن ثابت — تحقيق البرقومي — القاهرة : 1929
من 159 — 160 وروايتها فيه :

لقد علم الاتوام ان ابن هاشم هو الفمذو الامنان لا الواحد الوغد
وأنت زعيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والبيت الثالث في الكئايات من 15 والثاني والثالث في زهر الاداب 26/1
وميه : وأنت زعيم ... ، وانظر ترجمة حسان بن ثابت (ت 54 هـ) في : الشعر
والشعراء 223/2 وتهذيب التهذيب 247/2 والاصابة 326/1 وابن مسافر
125/4 وبنماهد التتميم 209/1 وخرانة البغدادي 111/1 وذيل المذيل
28 والافاني — طبعة الدار — 134/4 وشرح الشواهد 114 وطبقات ابن
سلام 52 وحسن الصحابة 17 ونكت الهميان 134 والاعلام 188/2 .

وقال آخر :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما نيط في عرض الاديم الاكارع (374)

وفلان ضئيل الحسب ، ملصق ، مأثوب ، موصوم ، سنيد (375) ،
مجلوب (376) مؤتشب (377) . وما بنو فلان باصل ولا طرف (378) .
وأبت عيدانهم الا انكسارا . ويقال في البقية الذليلة : ما بقى منهم الا مثل
شريد العانة ، يعنى شرود الحمير .

باب النوم والسهر (379)

يقال : نام ينام نوما . وانه لخبيث النية ، أى الحال التى ينام عليها .
ورجل نومة ، أى كثير النوم . وهجم وهجد . فاما التهجذ فالتيقظ . قال الله
تعالى : « ومن الليل فتهد به (380) » . الأصمى (381) : سب اعرابى
امراته فقال : عليها لعنة المتهدجين . ويقال : هوم تهويما ، اذا نام نوما
قليلاً . وما ذقت غماضاً (382) . ورجل ميسان : كثير الومسن . وهو رائب ،

(374) البيت متدافع ، نسب للحظيم التميمي وهو شاعر جاهلي ، انظر اللسان
مادة (زئم) . ونسب لحسان بن ثابت ، انظر الكامل 223/3 وليس في
ديوانه . ونسب لعدي بن زيد المبادي في الاثقان في علوم القرآن 126/1 ،
وهو في ديوانه من 201 صنعة محمد جبار المعيد . ورواه ابن فارس في
المقاييس 29/3 مادة (زئم) بدون نسبة . والبيت في الاشتقاق لابن دريس
175 وهو في سيرة ابن هشام - طبعة جوتنجن - 1859 ميلادية من 238
وفي ابيات الاستشهاد 159 وورد في كتاب المباني من 198 ما نمسه : « روى
طلحة من عمرو بن مطاه ، قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربية
القرآن انشد الشعر ، فقل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع »

انظر : مقدمتان في علوم القرآن - القاهرة 1954 .

- (375) السنيد : الدهسي
(376) المجلوب : العبد الجليب من غير بلاد المسلمين .
(377) مؤتشب : غير الصريح والمخلوط نسبه .
(378) الطرف : منتهى كل شيء ، والرجل الكريم ، والبعد في النسب .
(379) راجع باب النوم في تهذيب الالفاظ 627 وباب الرقاد والنوم في الالفاظ
الكتابية 91 .
(380) تمام الآية الكريمة : (ومن الليل لتهد به نائلة لك) : 79 م الاسراء 17 .
انظر المعجم المفهرس .
(381) انظر قول الأصمى في تهذيب الالفاظ 628 ومختصر تهذيب الالفاظ 381 .
(382) قال المصنف في المقاييس 396/4 : « ويقال : ما ذقت غماضاً من النوم ولا
غماضاً ، أى كقدر ما تغمض فيه العين » .

أى خائر النفس من النعاس . ورجل سهد : قليل (383) النوم وللكرى (384) النعاس . قال ابن السكيت (385) : « انه لشديد جنن العين . اذا كان صبورا على النعاس لا يغلبه النوم . ورجل بعث ، اذا كان كثير الانبعاث ، لا يغلبه النوم (386) وتوسنت المرأة ، اذا الممت بها وهى نائمة (387) .

باب القراية والرحم

يقال : رجل احص ، أى قاطع للرحم . ورحم حصاء ، أى مقطوعة قال ابن الاعرابى (388) ، تقول العرب : بينى وبينه خطرة رحم . وبيننا شجنة رحم . قال أبو زيد (389) : اطت (390) له منى حاسة ، أى رحم .

باب الجماعات (391)

يقال للجماعة : الثبة . وهذا حى حادر ، أى مجتمع كثير (392) . فاذا بلغ الحى ان ينفرد فى الغارة وحده ولا يحلب (393) فهو رأس « (394) .
قال :

برأس من بنى جشم (395) بن بكر ندق به السهولة والحزونا (396)

- 383 فى الاصل : وقليل النوم ، والواو فى رايانا من وهم الناسخ .
384 أى ويقال للكرى : النعاس .
385 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 630 .
386 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 631 .
387 ورد فى تهذيب الالفاظ 631 : « ويقال توسنته اذا اتبته وهو نائم) .
388 انظر قول ابن الاعرابى فى اللسان مادة (خطر) .
389 انظر قول أبى زيد فى اللسان مادة (حسس) .
390 اطت : حنت .
391 راجع باب الجماعة فى تهذيب الالفاظ 30 وباب الجماعة فى الالفاظ الكتابية 274 وباب الاجتماع فى تهذيب الالفاظ 51 وفى الالفاظ الكتابية : باب فى احتشاد القوم ص 68 .
392 انظر تهذيب الالفاظ 32 ونبيه : مجتمع (بفتح الميم)
393 يحلب : أى يمان .
394 ما بين الاقواس « منقول عن تهذيب الالفاظ ص 32 .
395 فى الاصلين : حيشم (بكسر الميم) .
396 البيت لعمرو بن كلثوم ، انظر جبهة اشعار العرب للقرشي ص 352 — تحقيق البجاوي . وهو له فى شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات للانباري — ص 401 تحقيق عبد السلام محمد هارون .
وانظر ترجمة عمرو بن كلثوم (ت نحو 40 ق هـ) فى : الاغانى — طبعة الدار — 52/11 وسبط اللالى 635 والمحرر 202 وجبهة اشعار العرب 31 و 74 والمرزبانى 202 والشعر والشعراء 157/1 وخزانة البغدادي 519/1 وصحيح الاخبار 9/1 و 192 والاعلام 256/5 وبروكلمان 103/1 .

والعمارة : الحى العظيم . وبنو فلان كرش القوم ، أى معظمهم . ورحى القوم : جماعتهم . ومرت بنا اضمامة من الناس ، أى جماعة . والحصى : العدد الكثير . قال الأعشى :

ولست بالاكتر منه حصى وانما العزة للكائر (397)

والقبص : العدد الكثير . ويقال : أتانا دهم (398) من الناس . ويقال : ما أدري أى الورى هو (399) أى من لقط الحصى هو أى من وجن الجلد ، أى مرنه (400) وفى الحديث (401) : « لا تمثلوا بنامية الله » أى بخلقه . قال الفراء (402) : ما أدري أى الخوالم هو أى ولد الرجل هو أى يريد آدم — عليه السلام — (403) . « وما أدري أى الجراد عاره » (404) أى أى الناس أخذه . الأصمعى (405) : جاء فلان فى غير عين ، أى فى غير جماعة . وقال : العثراء (406) : جماعة الناس . ودخل فى خمار الناس ، وغمارهم (407) . والفنون من الناس : الاخلاط . وبها أوزاع من الناس ،

397 رواية البيت فى ديوان الامشى الكبير من 143 : « ولست بالاكتر منهم حصى » وهو كذلك فى نوادر ابن زيد من 25 وجاء فيها : « قال الأصمعى : أراد ولست من بني فلان بالاكتر . يريد أنت منهم ولست بالاكتر حصى من هؤلاء القوم . أبو زيد أراد بالاكتر منهم حصى . والحصى العدد الكثير » . وانظر البيت فى : المقاييس 161/5 . وتهذيب الالفاظ 34 والاستقاق 65 وشرح سقط الزند 452 ورسائل الجاحظ 218/1 وميون الاخبار 123/4 والكمال 44/1 والاساس واللسان مادة (كثر / والتصريف الملوكى لابن جنى من 14 طبعة دمشق 1970 وتاج العروس — مستدرک كثر — الصحاح مادة (حصا) .

- 398 الدهم : العدد الكثير .
399 انظر المقاييس 104/6 .
400 وجن الجلد : أى لينه .
401 رواه الامام احمد عن يلعلى بن مرة بلفظ : لا تمثلوا بعبادي . وفى رواية عند الطبرانى : لا تمثلوا بعباد الله . وفى اسنادهما عطاء بن السائب وقد اختلط انظر مجمع الزوائد 248/6 . وفى رواية للطبرانى : لا تمثلوا بشيء من خلق الله بحية الروح . وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك — مجمع الزوائد 249/6 . وانظر الحديث فى النهاية 295/4 وتهذيب الالفاظ 35 والاساس مادة (مثل) .
402 انظر قول الفراء فى تهذيب الالفاظ 36 .
403 انظر جوامع اصلاح المنطق من 214 وتهذيب الالفاظ 36 .
404 انظر المثل فى اساس البلاغة 117/1 ومعناه : أى أى شيء ذهب به وانظر اللسان 90/4 وفى الصحاح : « ما أدري أى جراد عاره » والمثل فى تهذيب الالفاظ 36 وجمهرة الامثال 53/2 .
405 انظر تولى الاصمعى فى تهذيب الالفاظ من 36 .
406 هكذا فى الاصلين وكذلك وردت فى تهذيب الالفاظ من 36 ولم أجدها فى معاجم اللغة ، وصوابها : العثراء : وهم سلة الناس .
407 ورد فى تهذيب الالفاظ من 36 : « يقال دخل فى خمار أى خطأ ليس من كلام العرب » .

أى فرق (408) . والجماع : الجماعة من ضروب شتى (409) . قال أبو
قيس بن الأسلت (410) :

حتى تجلت ولنا غايّة من بين جمع غير جماع (411)

والأشابة : الاخلاط (412) . ويقال : أتانا بجد (413) من الناس ،
ودهم من الناس . وجاء فلان في ناهضته ، وهم الذين ينهض بهم فيما
يحزبه . وجاء في ظهرته وصاغيته (414) . والسامة : الخاصة . والحامة :
العامة (415) . ويقال : ثلّة من الناس ، وجبهة (416) من الناس . وجاءوا
جما غفيرا ، أى بجماعتهم . قال الفراء (417) كيف جهراؤكم ؟ أى جماعتكم
ودهماؤكم مثله . قال الكسائي (418) : قلت لأعرابي: ابنوا جعفر أشرف أم

- (408) في تهذيب اللفاظ 37 نسب هذا القول للاصمعي .
(409) العبارة والبيت الذي يليها في تهذيب اللفاظ 37 .
(410) ابن الأسلت : هو صيفي بن عامر الأسلت الأوسي (ت 1 هـ) جاهلي كان
رأس الأوس وشاعرها وخطيبها وقائدها في حروبها ، مات قبل أن يسلم .
انظر ترجمته في : الأشابة باب الكنى 935 وتهذيب ابن مساكس 452/6
ومعاهد التنصيص 25/2 والبيان والتبيين 23/3 و 262 والاغاني 154/15
وابن الأثير 284/1 والأعلام 303/3 .
(411) البيت لابن الأسلت ، وهو في المسلسل من 136 وروايته : « حتى تولت » .
ورويته في اللسان 407/9 : « حتى انتهينا .. » . والبيت في الاقتضاب في
شرح ادب الكتاب 358 وروايته فيه مطابقة لرواية بتخير اللفاظ ، والبيت
في جمهرة اشعار العرب 655 وفي تهذيب اللفاظ وفي المفصليات 285 .
وعجزه في المحجل لابن فارس من 167 ، وعجزه أيضا في ادب الكاتب لابن
قتيبة من 226 منسوبا لابن الأسلت .
(412) انظر تهذيب اللفاظ 38 .
(413) في الاصلين : نجد ، بالنون وهو تصحيف . ويجد من الناس ودهم : وهم
الناس الكثيرون . انظر تهذيب اللفاظ 39 .
(414) جاء في صاغيته : أي مع الذين يميلون اليه .
(415) انظر تهذيب اللفاظ 39 .
(416) جبهة من الناس : أي جماعة ، انظر تهذيب اللفاظ 40 .
(417) انظر عبارة الفراء في تهذيب اللفاظ 40 .
(418) انظر عبارة الكسائي في تهذيب اللفاظ 40 - 41 . والكسائي : هو أبو الحسن
علي بن حمزة الكسائي (ت 183 هـ) انظر ترجمته في : مراتب النحويين 74
وطبقات الزبيدي 138 وطبقات الفراء 535/1 وأعيان الشيعة 235/41 وانباء
الرواة 256/2 ونزهة الألباء 67 والانساب 482 والبداية والنهاية 201/10
وبغية الوعاة 162/2 وتاريخ بغداد 403/11 وتاريخ أبي السدا 17/2
وتنقيح المقال 286 وتهذيب التهذيب 313/7 وابن خلكان 330/1 وروضات
الحنات 471 وشذرات الذهب 321/1 والمبر 302/1 والفهرست 65
واللباب 40/3 ومرآة الجنان 421/1 والمزهر 407/2 و 419 و 423 و
463 والمعارف 445 ومعجم الادباء 167/13 ومعجم البلدان 28/2 و
و 293/4 ومعجم المطبوعات 1558 ومفتاح السعادة 130/2 و 331
والنجوم الزاهرة 130/2 وهدية المارغين 668/1 وايضاح المكنون 48/1 و
279/2 و 313 و 322 و 332 و 336 و 345 و 350 و 450 وكشف الظنون
108 و 1328 و 1330 ومعجم المؤلفين 83/7 ونور القبس 283 والاعلام
93/5 .

بنو أبي بكر بن كلاب ؟ قال : « اما خواص رجال فبنو أبي بكر ، واما
 جهرآء الحي فبنو جعفر » . قال الأصمعي (419) رأيتهم عاصبين بفلان ،
 اذا اجتمعوا عليه ؟ وقد عصبوا به ، وستكفوا به ، وحوله ، اذا استداروا .
 وقال ابن مقبل (420) :

خروج من الغمي اذا صك صكة بدا والعيون المستكة تلمح (421)

وقد تجمعوا تجمع بيت الادم . لأن بيت الادم تجتمع فيه اطرافه
 وزعانفه (422) . ويقال : تحبش الناس ، أي تجمعوا . وتأثفوا ، واصفقوا ،
 وأطبقتوا ، واحلبوا ، واجلبوا ، وترافدوا ، اذا اغان بعضهم بعضا (423) .
 وهم عليه يد واحدة (424)

باب الشر يقع بين القوم (425)

يقال : هم يتهوشون ، اذا كان بينهم اختلاط . وقد لحج بينهم الشر ،
 أي نشب (426) . قال ابن السكيت (427) : « يقال للرجل اذا لم يستوله
 الامر : قد اشتفر عليه الشأن وذهب يعد بني فلان فاشتفروا عليه ، أي
 كثروا فاختلط عليه كيف يعدهم » . ويقال : من دون ذلك مكاس ،

419 انظر تول الاصمعي في تهذيب الالفاظ 51 .

420 هو تميم بن أبي بن مقبل (ت نحو 25 هـ) . انظر ترجمته في : الممسة

291/2 والشعر والشعراء 366/1 والاصابة 195/1 والفرائد 113/1

وكتي الشعراء 289 وطبقات ابن سلام 55 والسبط 68 والاعلام 71/2

والمحبر 325 ومقدمة ديوانه الذي نشره الدكتور عزة حسن في دمشق

1962 ومجموع ما استمع 131/1 والاشتقاق 12 ووقعة صنين 601

ومجالس ثعلب 431 وزهر الاداب 19/1 وحياة ابن الشجري 131

والموشح 80 والمزهر 482/2 .

421 البيت لابن مقبل وهو في ديوانه من 29 ، وهو أيضا في المراجع التالية :

جمهرة الامثال 120/2 والميسر والقذاح 65 والمصور والمدود لابن ولاد -

طبعة ليدن 1900 ص 91 واللسان والصحاح والتاج مادة (كلف) وامالي

الغالي 15/1 وثمار القلوب 173 وتهذيب الالفاظ 52 ومعاني العسكري

(2) 243 والسبط 67 .

والغمس : الشدة والضييق . والعيون المستكة : عيون الذين حوله ينظرون

اليه والى غيره من القذاح .

422 انظر تهذيب الالفاظ ص 52 .

423 انظر تهذيب الالفاظ ص 53 - 54 .

424 جاء في تهذيب الالفاظ ص 54 : الاصمعي : هم عليه يد واحدة اذا اجتمعوا

عليه .

425 راجع باب الاختلاط والشر يقع بين القوم في تهذيب الالفاظ ص 90 وباب

الشذائد والنوائب ص 152 في الالفاظ الكتابية وباب التباس الامر وتلفظه

ص 26 وص 230 في الالفاظ الكتابية .

426 في الاصل : نشب . وانظر العبارة في تهذيب الالفاظ 91 .

427 انظر عبارة ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 91 - 92 .

وعكاس (428). ويقال: «التبس الحابل بالنابل» (429). الحابل: السدى. والنابل: اللحمة «واختلط المرعى بالهمل» (430)، إذا اختلط الخير بالشر، والصحيح بالسقيم. «واختلط الخائر بالزباد» (431)، أى الخير بالشر، والجيد بالردى، والصالح بالطالح، والشريف بالوضيع. لان الخائر من اللبن أجوده. والزباد: زبده وما لا خير فيه (432). ويقال: «اختلط الليل بالتراب» (433)، إذا اختلط على القوم أمرهم. انشدنى على بن ابراهيم (434) عن ثعلب (435) عن ابن الاعرابى (436):

- (428) وهو ان تأخذ بناصيته ويأخذ بناصيتك. انظر تهذيب الالفاظ 92.
(429) يضرب مثلا في اختلاط الأمر على القوم، حتى لا يعرفوا وجهه. ورواية المثل في تهذيب الالفاظ ص 92 مماثلة لرواية المتخير.
وروايته في جمهرة الامثال 110/1: اختلط الحابل بالنابل. وانظر المثل في فصل المقال 333 والمستقصى 41 واللسان (حبل).
(430) انظر المثل في جمهرة الامثال 110/1 والمستقصى 42 واللسان (همل) والميداني 238/1 رقم 1262 وتهذيب الالفاظ 92.
والهمل: المهلة التي لا زامى لها.
(431) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 92 وفي جمهرة الامثال 110/1 وفي فصل المقال 333 والميداني 240/1 والمستقصى 41 واللسان (خثر وزيد).
(432) انظر العبارة في تهذيب الالفاظ ص 92.
(433) انظر المثل في تهذيب الالفاظ ص 93 والميداني 240/1 والكنائيات 145.
(434) هو علي بن ابراهيم بن سلمة القطان: ذكره ياقوت في معجم الادباء 82/4 والسيوطي في بغية الوعاة 153 في شيوخ احمد بن فارس. وقد أكثر ابن فارس من الرواية عنه في كتابه - الصحابي -، كما ذكر في مقدمة معجمه المتايسس انه ترا عليه كتاب المين للخليل بن احمد. وقد روى عنه في متخير الالفاظ في غير موضع واحد. وقد ولد ابو الحسن سنة 254 هـ وتولى سنة 345 هـ وانظر ترجمته في: معجم الادباء 218/12 - 221 وطبقات المفسرين 4 والمعبر للذهبي 367/2 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الالباء 320 وغاية النهاية 516/1.
(435) ثعلب ابو العباس احمد بن يحيى الشيباني (200 - 291 هـ) انظر ترجمته في: نزهة الالباء 293 وتذكرة الحفاظ 214/2 وطبقات ابن ابي يعلى 83/1 والمسعودي 387/2 وابن خلكان 30/1 وتاريخ بغداد 204/5 وانباء الرواة 138/1 وبغية الوعاة 172 والاعلام 252/1 ومهرست ابن النديم 110 وياقوت 102/5 والمنظوم لابن الجوزي 44/6 ومروءة الجنان 218/2 وغاية النهاية وشذرات الذهب 207/2 وروضات الجنات 56/1 وطبقات المفسرين 41.

- (436) الارجوزة من غير عزو في مجالس ثعلب ص 425 - 426 وروايتها فيها:
لو ظمىء القوم فقاتلوا من فتى
يخلف لا يردمه خوف الردى
فيمثوا سمدا الى الماء سدى
في ليلة بيانها مثل العمى
بغير دلو ورساء لاستنى
أمرد يهدي رايه راي اللحى .

لو أشرف القوم على أرض العدى
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء لاستقى
ووجدوا ذا مرة جلد القوى
سمحا على أية اجريا جرى
امرد يهدى رأيه ذوى اللحي
مشر المئزر عن نصف النسا

قال الاصمعي : وقع في دهمة (437) لا يتجه لها ، أى خطة شديدة
« ووقع في الحظر الرطب » (483) . وذلك ان الانسان يقع في الشسوك
المحتظر فتصيبه منه شدة . ويقال : تباين ما بينهم ، أى انقطع (439) ،
« وما يدري فلان ايختر ام يذيب ؟ » (440) وذلك اذا بعل بأمره . واصله
أن تصب الزبدة في القدر ، وفي نواحيها اللبن ، فاذا أوقد تحتها خثرت .
ويقال : تشاخص هذا الأمر . اختلف . ويوم عماس ، أى مبهم (441) .
« وتشتاتما فكأنما جزرا ! بينهما ظربانا » (442) شبه قبح تشاتمهما بنتن
الظربان (442) . ويقال : « أمركم هذا أمر ليل » (443) ، اذا كان ملتبسا
مظلما . وبات فلان بليلة من ليالى الشوامت (444) . ويقال : لقيت منه جهدا

= ويلاحظ ان رواية المتخير اصح واكمل . وروية النص في البصائر والذخائر
مجلد 2 قسم 2 ص 863 موافقة لرواية مجالس ثعلب . وقد ذكر الجرجاني
في منتخب الكنايات ص 145 الابيات الاربعة الاولى وروايتها :

لو اشرف القوم على امر العدا
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء يستقى (كذا)

- (437) في تهذيب الالفاظ ص 93 : وقع في بهمة لا يتجه لها ، أى خطة شديدة .
(438) انظر المقاييس 81/2 وجمهرة الامثال 314/1 والكنايات 8 وتهذيب الالفاظ
94 واللسان والتاج مادة (حظر) ونوادير ابى مسهل 511 .
(439) انظر تهذيب الالفاظ 94 .
(440) يضرب في اختلاط الأمر . وانظر المثل في الميداني 281/2 رقم المثل 3868
وانظر اللسان مادة (خثر) وانظر المثل وشرحه في تهذيب الالفاظ 94 .
(441) انظر تهذيب الالفاظ 95 .
(442) في تهذيب الالفاظ : جررا . والظربان : دابة تشبه الكلب وهي اثنان الدواب
ريحا . وانظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 واللسان (ظرب) . وفي الاصلين :
(ضربانا) مكان (ظربانا) و (ضربان) مكان (ظربان) .
(443) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 والكنايات 145 وفيه : ويقال : هذا امر ليل
اذا كان ملتبسا مظلمسا .
(444) انظر اللسان مادة (شمت) (شمت)

جاهدا ومثلا (445) ماثلا . وهذا يوم ترشح منه الاصداغ . وقد غلت بهم القدور . وقد نال الوقود اقاصى الحطب ، اذا تناهى الشر . ويقال للامر الشديد : حصاة في خف . وقد اصابتنى بعدك شدى (446) . واصابتهم او شاز الامور ، أى شدائدها . وهذا يوم ذكر .

باب الشيء الذى لا يستقر

قال ابن قتيبة (447) ، تقول العزب للشيء الذى لا يستقر : هو على رجل طائر ، وبين مخاليب طائر ، وعلى قرن ظبى . قال الشاعر :

كان فؤادى بين أظفار طائر من الخوف فى جو السماء محلق
حذار امرى قد كنت اعلم انه متى ما يعدم من نفسه الشر يصدق (448)

وقال المرار يذكر فلاه تنزو من مخالفتها قلوب الأدلاء :

كان قلوب ادلائها معلقة بقرون الطباء (449)

(445) فى الاصل (مثلا) والتصويب من اللسان .

(446) روى القول من ابي زيد فى اللسان مادة (شدد) .
(447) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) . انظر ترجمته فى : طبقات النحويين 200 وانباه الرواة 143/2 وبغية الوعاسة 63/2 ونزهة الالباء 209 ومرآة الجنان 191/2 وتهذيب الاسماء واللغات 281/2 واللباب لابن الاثير 242/2 ووفيات الاعيان 251/1 ولسان الميزان 357/3 والنجوم الزاهرة 75/3 وتذكرة الحفاظ 185/2 وتاريخ ابي اللدا 57/2 وتاريخ بغداد 170/10 وشذرات الذهب 169/2 ومهرست ابن النديم 77 - 78 والمنظوم 102/5 والبداية والنهاية 48/11 وكشف الظنون فى مواضع عديدة وآداب اللغة العربية 170/2 ودائرة المعارف الاسلامية 260/1 والاعلام 280/4 وايضاح المكنون 356/1 و 134/2 ، 146 ، 506 . وتاريخ ابن الاثير 66/6 وتلخيص ابن مكتوم 100 وروضات الجنات 447 وطبقات ابن قاضي شهبه 177 و 178 والعبر 56/2 والمزهر 409/2 و 420 و 465 ومعجم المطبوعات 211 ومعجم المؤلفين 150/6 ومقدمة التهذيب للازهري 75 وميزان الاعتدال 503/2 وهدية العارفين 441/1 و 4/2 .

(448) البيتان لرجل تالهما فى الحجاج بن يوسف الثقفى ، راجع تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 347 وعيون الاخبار 145/3 .

(449) تاله المرار بن سميد الفقعسى ، انظر البيت فى شروح سقط الزند 132/1 والمنتخب 140 والاساس (عبر) والحصاسة البصرية 362/2 وفيها حرفت قلوب الى قرون . والبيت ايضا فى تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 488 منسوباً الى المرار وفى تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 130 من غير مزوء ، وفى امالى المرتضى 328/1 من غير مزوء . وانظر ترجمة المرار فى : الشعر والشعراء 588/2 والاغاني 151/9 والخزانة 193/2 والسمط 231 والمؤلف 268 ومعجم المرزبانى 337 والاعلام 82/8 والتبريزى 76/3 و 121/4 .

وقال امرؤ القيس : كاني وأصحابي على قرن أعفرا (450) .

باب الفنى '451'

يقولون للفنى : مكثر ، مترب ، مثر . وله مال جم ، ودثر . ولقد « جاء بالضح والريح » (452) ، « والطم والرم » (453) ، وهو ضانى المال وفلان مال نال ، وله عائرة عينين . « وله غنى طويل الذيل مياس » (454) ، « وله عائرة عين » (455) ، أى لا يسترثيه البصر ، أى لا يدركه بل تحار فيه العين . وفلان كثير الورق : صنوف المال من الذهب والفضة والعرض . وأنشد :

450 مجز بيت لامرؤ القيس في ديوانه - صنعة حسن السندويسي من 75 والبيت بتماه :

ولا مثل يوم في تداران ظلته كاني وأصحابي على قرن اعفرا

يريد انهم كانوا في ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمانينة . ورواية العسكري للمعز في ديوان امرؤ القيس - طبعة دار المعارف من 393 : « كاني وأصحابي بقلة عندرا » . والبيت في طبعة المعارف من 70 . والبيت ايضا في امالي المرتضى 329/1 وروايته : « ولا مثل يوم في تداران ظلته » . قال ويروى : « في تدار ظلته » . ورواية البيت في المنتخب من 140 :

ولا مثل يوم في تدار ظلته كاني وأصحابي على قرن اعفرا

والبيت في شروح سقط الزند 131/1 وروايته : « ويوم طويل في تداران ظلته » والمعز في الاساس مادة (عفر) 128/2 . وانظر ترجمة امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت نحو 80 ق هـ) في : الشعر والشعراء 50/1 وطلقات ابن سلام 44 والخزانة 302/1 والاماني 77/9 والاعلام 351/1 وتهذيب ابن عساكر 104/3 وشرح شواهد المغنى 6 وجمهرة اشعار العرب 124 والزوزني من 2 والذريعة 349/2 وصحيح الاخبار لابن بليهد 6/1 و 16 - 110 .

451 راجع باب الفنى والخصب في تهذيب الالفاظ من 1 وفي الالفاظ الكتابية باب الاستغناء من 41 وباب خفض العيش والرياحة من 78 .

452 أي جاء بكل شيء . انظر المثل في جمهرة الامثال 321/1 والميداني 108/1 والمستقصى 195 واللسان مادة (ضحج) وادب الكاتب 37 والاساس 42/2 ومصباح ثعلب 69 والاصلاح 295 وتهذيب الالفاظ 10 .

453 معناه جاء بالكثرة . انظر المثل في جمهرة الامثال 315/1 ومصل المقال 98 والميداني 108/1 والمستقصى 195 وتهذيب الالفاظ 9 واللسان مادة (طم) .

454 اصله مثل : « ان الفنى لطويل الذيل مياس » أي لا يستطيع صاحب المال ان يكتبه . انظر جمهرة الامثال 198/1 والميداني 34/1 وروايته منه : « ان الفنى طويل الذيل مياس » والمثل في المستقصى 164 والمنتخب 69 والالفاظ الكتابية 42 .

455 اصله مثل : (جاء بمائرة عين) ، اذا جاء بالمال الكثير يملا العين حتى يكاد يعمورها . انظر المثل في جمهرة الامثال 314/1 والمستقصى 196 واللسان مادة (مور) . وانظر ايضا : له مائرة عينين في الصحاح مادة (مسور) وتهذيب الالفاظ 6 .

البيك أشكو فتقبل ملتقى
وأغفر خطاياي وثمر ورتى (456)

وقال آخر :

وما ورق الدنيا بباقي لأهله ولا شدة الدنيا بضربة لازب (457)

ويقولون : عليه سواد من مال (458) . ورجل مرغب ، وواجد ، ميل . وله مال لا يبسه ولا يينه ، مثل لا يحصى . قال قطرب : مال ذو قنح ، ورجل كائر . وقال في قولهم : « جاء بالطم والرم » : الطم : ما اطمت به الريح نطار في الهواء . والرم : ما نبت فارتم (459) . قال ، ويقولون : « جاء بالسمر والقمر » (460) ، أى بكل شيء ، ويقولون : مشى ماله مشاء ،

إذا كثر (461) ، وقد تأثل مالا ، وأثل الله له مالا . وقد تقنى (462) بمد

(456) تاله المعاج ، انظر ديوانه من 40 ، والبيت في الصحاح 1565/4 واللسان 254/12 والاساس 400/2 وروايته في المصادر الثلاثة الأخيرة : (اياك ادمو) . وهو في المتايسس 102/6 وروايته (البيك ادمو) والبيت في اصدقاء الانباري 273 والشطر الثاني منه في اصلاح المنطق 101 وفي مجالس ثعلب من 7 . وانظر ترجمة المعاج وهو عبد الله بن رؤبة السعدي التميمي (ت نحو 90 هـ) في : الشمر والشمره 493 وشرح شواهد المغني 18 وتهذيب ابن عساكر 394/7 والموشح 215 .
(457) البيت لكثير بن عبد الرحمان الخزامي وروايته في ديوانه 280/1 :

وما ورق الدنيا بباقي لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم

والبيت في المسلسل 192 واصلاح المنطق 289 والافغاني 16/9 والتلعب والابدال 14 واللسان 34/2 مع اختلاف في الرواية ، وانظر ترجمة كثير (ت 105 هـ) في : الشمر والشمره 410 والافغاني 147/8 و 43/11 والموشح 143 ومعجم الزرياني 250 وشرح شواهد المغني 24 والخزانة 381/2 وابن خلكان 433/1 والمؤلف 169 والمعد 88/2 وطبقات ابن سلام 457 ومعاهد التنميص 136/2 والسمط 61 وبروكلمان 194/1 وشذرات الذهب 131/1 وعبود الاخبار 144/2 وتزيين الاسواق 43/1 والتبريزي 140/3 ورغبة الامل 134/2 و 206/3 و 112/5 والاعلام 72/6 .

(458) اي كثير من المال .

(459) ارتم : اكل .

(460) أى جاء بما طلع عليه القمر وما لم يطلع .

(461) جاء في كتاب — الاتباع — لأبي الطيب اللغوي من 109 : « يقال : مشت

الماشية وأمشت : إذا كثرت ، ومشى القوم ومشوا . إذا كثرت مواشيهم . قال الشاعر :

وقال ماشيهم : سبان سيركم وأن تقيموها به وأغبرت السوح «

وفي الاصل : مشا مشاً .

(462) في الاصل : تلتى ، بالغاء فالتاء ، وهو تصحيف .

أقلال . وخير مجنب ، أى كثير . ويقال : طمى ماله ، ونمى ماله ، وزكا ،
وربا (463) ، ووشى ، وأمر . قال غيره : مشى بعد ما أمشى ، أى افتقر
بعد الثروة . قال النابغة :

وكل فتى وان أمشى وأثرى ستخلجه عن الدنيا المنون (464)

وقال ابن السكيت (465) : يقولون : مشى على فلان مال ، أى تناسخ . والأمر :
البركة والنماء . وكذلك الأمرة . ومثل من الامثال : « فى وجه مالك تعرف
أمرته (466) أى نماءه وكثرتة ، يضرب مثلا للرجل يدل شاهده على
مكنونه ودخلته . قال ابن السكيت : الثروة (467) من
الرجال ، والثروة من المال . وقد أمر ماله . وفى الحديث : « خير المال سكة
مأبورة أو مهرة مأبورة » (468) . السكة : السطر من النخل . والمأبورة :
التي قد أبرت ، أى لقت ، والمأبورة : الكثيرة الولد . وتفسيره : خير المال
نتاج أو زرع . وقد ضفا مال فلان ، أى كثر . ويقال : انه لذو أكل فى الدنيا ،
أى ذو حظ وفلان من ذوى الآكال ، أى من ذوى القسم الواسع . وهو فى
غضارة من العيش الأسمى (469) : ان فلانا لمخضم ، أى موسع عليه من
الدنيا . قال الأصمى (470) : وأخبرنا ابن أبى طرفة قال : قال أعرابى
لابن عم له قدم عليه مكة : ان هذه ارض مقضم (471) (و) ليست بارض
مخضم . قال : وكل صلب يقضم ، وكل لين يخضم .

- (463) فى الأصل : ورى .
(464) البيت فى ديوان النابغة الذبياني من 257 وبه المنون : منون . وهو ايضا فى
الإمامى 174/1 والتصوير والمدود 113 والصحاح (مشى) واللسان مادة
(منن) و (مشى) . واللالي 434 ومجموعة المعاني من 8 والمعاني الكبير
198/1 والألفاظ الكتابية 41 .
(465) انظر تهذيب الألفاظ من 5 .
(466) المثل فى الألفاظ لابن السكيت من 2 وانظر جمهرة الامثال 93/2 وبه : (فى
وجه المال تعرف أمرته) ، والمال هنا : الماشية . وهو كتولهم : كم ظاهر دل على
باطن . وانظر فصل المتال 238 والمستقصى 252 واللسان (أمر) والميداني
69/2 رقم المثل 2729 .
(467) فى أوع : الثورة ، وهو تحريف . انظر مختصر تهذيب الألفاظ من 1 .
(468) انظر نص الحديث فى مختصر تهذيب الألفاظ من 2 ، وهو حديث مرسل رواه
الإمام أحمد بلفظ : « خير مال المرء مهرة مأبورة أو سكة مأبورة » عن سويد
ابن هبيرة (المسند 468/3) وأورده السيوطى فى الجامع الصغير 11/2 ،
وروايته فى النهاية 13/1 « خير المال مهرة مأبورة وسكة مأبورة » وفى
الجمان فى تشبيهات القرآن ورد بلفظ مماثل للمتخير ، وانظر الحديث فى
اللسان مادة (أمر) والمقاييس (أمر) واصلاح المنطق 249 .
(469) انظر النص فى تهذيب الألفاظ من 8 .
(470) انظر النص فى تهذيب الألفاظ من 8 وانظر قول ابن أبى طرفة فى الميداني 93/2
تحت المثل المنون : « قد يبلغ الخضم بالقضم » .
(471) الزيادة من تهذيب الألفاظ من 8 والميداني 93/2 واصلاح المنطق 208 .

الفراء : قد تجبر فلان مالا ، وذلك اذا عاد اليه من ماله ما كان ذهب (472) . ويقال : « وقع في الأهينين » (473) وهو الطعام والشراب . ويقال للذي أصاب مالا وافرا واسعا لم يصبه أحد : « أصاب فلان قرن الكلا » (474) . وقرن الكلا : انفه الذي لم يؤكل منه شيء . وفلان عريض البطن . يقال له ذلك اذا اثرى وكثر ماله (475) . ويقال : (476) : هو رخي اللب ، اذا كان في سعة يصنع ما شاء . وروى ابن السكيت في هذا الباب (477) : « جاء بالضح والريح » ، و « جاء بالحظر الرطب » (478) ، و « بالبووش البائش » (479) . ويقال : هو في ضرة مال يعتمد . وذلك أن يعتمد على مال غيره من أقاربه . ويقال : عيش رفيع (480) ، أى واسع وعيش غريب لا يفرع (481) اهله . قال الفراء : عام ازب مخصب . والغيداق (482) الكثير الواسع من كل شيء . وما أحسن غضارة آل فلان ، وآثاتهم (483) ! وما أحسن رثيهم (484) ! وما أحسن أمارتهم ! اذا كانوا يكثرون ويكثر أولادهم (485) . وما أحسن نابنة بنى فلان ، أى ما نبتت عليه (486) اموالهم . وفلان حسن الشارة والجر (487) .

باب منه آخر

يقال : هو متدع ، أى صاحب دعة . ونال فلان هذا الأمر وادعا أى

- 472 انظر النص في تهذيب الالفاظ من 9 .
473 يضرب مثلا لمن حسنت حاله . انظر المثل في الميداني 361/2 وروايته :
(وتموا في الاهمين) . والاهيمان : الاكل والشرب . وقال الازهري : الاكل
والنكاح .
وانظر المثل في تهذيب الالفاظ من 10 وفي اللسان مادة (هيغ) . وهو في
المستقصى 377/2 رقم المثل 1387 وروايته مماثلة لرواية المنخير .
474 انظر المثل في الميداني 397/1 رقم المثل 2102 وهو المستقصى 200/1 رقم
المثل 816 .
475 و 476 انظرهما في تهذيب الالفاظ من 10 . واللب : البلب .
477 انظر تهذيب الالفاظ من 10 - 11 .
478 انظر المثل في الميداني 179/1 رقم المثل 962 وتهذيب الالفاظ 11 .
479 انظر تهذيب الالفاظ من 11 .
480 في الاصل : (رفيع) بالميم المهملة وهو تصحيف . والتصويب عن التهذيب
من 13 .
481 في الاصلين : لا يفرع ، وهو تصحيف والتصويب عن التهذيب من 13 .
482 انظر القول في تهذيب الالفاظ من 13 .
483 الاثاث : الكثير من كل شيء .
484 في تهذيب الالفاظ : ما أحسن رثيهم : اي لباسهم وهو ما رايت وظهر .
485 انظر تهذيب الالفاظ من 14 .
486 في الاصل : نبت . وفي التهذيب : نبتت
487 حسن الشارة : حسن البزة .
حسن الجهر : يريد به الحسن والتبل . انظر تهذيب الالفاظ من 14 .

من غير تكلف ومشقة . والوديع : الرجل الساكن . ويقال : افعل (488) كذا في سراح ، ورواح . وورق الدنيا : نعميها . وفلان في عيش داج . وقد دجا ، وضفا عليهم . وهذا عبث لبد : صالح . وفلان في دنيا دانية ، أي نعميم .

بَابُ الْفَقْرِ '489'

يقال : هو فقير ، وقير (490) ، معدم مقتر ، وهو ذو فاقة ، وخصاصة . وهو صملوك ، مملق ، محدود (491) ، مدقع ، مختل ، وبه خلة . وهو معصب (492) . قال قطرب ، يقال للذقير : هو دامي الشفة ، مجدع ، قد جدعه الفقر . وهو مسيف . وساف المال : ذهب . وهو ممر مجرور ، جرره الدهر . وهو مخف (493) ، مخل ، معوز ، ومسكين كانع ، ومدقع ، أي لصق بالدقما ، وهو التراب . وهو مخف مخفق . وقد عال عليه (494) . ويقال : اكدي مكد ، إذا لم ينبت له مال ولم ينم . وامر الرجل : ذهب ماله . وفي الحديث (495) : « ما أمر من أدمن الحج والمرة » . قال أبو عبيدة : ورد رؤية (496) ماء لعكل وعليل فتية تسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : أرى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم ، قطعة من ابل . قالت : فهل من

- (488) في الاصل : افعل ، بفتح الهمزة واللام .
(489) راجع باب الفقر والجذب في تهذيب الالفاظ ص 15 وباب الفقر في الالفاظ الكتابية ص 39 وباب فسك العيش والجذب في الالفاظ الكتابية ص 87 .
(490) وقير : وقرة الدين ، أي ثقله . والوقير : المتقل دينا .
(491) المحدود : هو المحروم .
(492) المعصب : المحتاج ، والذي غصب بطنه من الجوع ، والذي غصبتة السنون أي اكلت ماله . انظر المقاييس مادة (غصب) 336/4 .
(493) المخف : القليل المال ، الخفيف الحال .
(494) مال عيلة : امتر فهو مائل .
(495) انظر نص الحديث في مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص 12 وجاء في لسان العرب 30/7 (معر) ما نصه : « وفي الحديث : ما أمر حجاج قط . أي ما افتقر مداوم للحج » . ورواه البيهقي في شعب الايمان عن جابر بن عبد الله بلفظ : ما أمر حجاج قط ، نقول لجابر : ما أمر ؟ قال : ما افتقر . قال البيهقي : في سننه محمد بن حبيد (ضعيف) (شعب الايمان - مخطوط - المجلد الثاني الورقة 79 - 79) . ورواه الطبراني في الاوسط والبرار ، قال البيهقي : بسند رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 208/4) وانظر الحديث في النهاية 100/4 وروايته : ما أمر حجاج قط .
(496) هو رؤية بن المعجاج التميمي البصري (ت 145) . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 495/2 ووفيات الاميان 187/1 والبداية والنهاية 96/10 وخزانة الادب 43/1 والامدي 175 ولسان الميزان 464/2 والمعيني 26/1 والاعلام 26/3 .

ورق ؟ قال : لا . قالت يآل عكل اكبرا وامعارا (497) ؟ وقد زمر فلان ،
وقفر (498) اذا قل ماله . قال الاصمعي (499) : فلان في الحفاف ، أى في
قدر ما يكتفيه ؟ وفلان يبعث الكلاب من مرابضها ، أى يثيرها من شدة
الحاجة (500) . وفي عيش بنى فلان ثيظف ، أى يبس . وقد ترب الرجل ،
اذا لصق (501) بالتراب . وقد نفق ماله ، وقل ، وذهب ؟ ونفقت نفاق (502)
القوم ، وهى جمع نفقة . كذا قال يعقوب . وقد ارملوا ، واقووا . واقفر
الرجل ، اذا بات القفر فلم يأو الى منزل ، ولم يكن معه زاد . وبات القواء
والوحش . ويقال : انفض القوم ، اذا ذهب طعامهم . وفي المثل : « النفاض
يقطر الجلب » (503) . أى اذا انفض القوم قطروا ابلهم يجلبونها للبيع وقد
كانوا يضمنون بها . ورجل ارمل (504) : محتاج . والعلقة من العيش : ما
يتبلغ به . وفي المثل : « ليس المتعلق كالمثاق » (505) أى ليس من عيشه

وردت الحكاية في جمهرة الامثال 314/1 — 315 مع اختلاف كبير في الرواية
ونصها : « عن ابي مبيدة قال : خرج رؤبة يفي ضالة ، فورد ماء لمكل ،
فوجد شابة هناك ، فقال لها : هل لك ان أتزوجك ؟ قالت : ومن أنت ؟
قال : رؤبة بن المعجاج ، قالت : فما مالك ؟ قال : كان عائرة عيين لمعلم ،
قالت : كم أتى لك ؟ قال : ستون سنة ، فنادت : يا لمكل ! آتلة ذات يد
وهرما ! فقال رؤبة :

لما ازدرت نقدي وقتلت ابلبي	تالتت واتصلت بعككل
خطبي وهزت راسها تستبلي	تسألني عن السنين كم لي !
نقلت لو عبرت ممر حسل	أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل	كنت رهين هرم أو قتيل «
	انتهسى .

- والايبات المذكورة من تصيدة قالها يمدح ابن المبرين ، انظر ديوانه ص 128
وانظر الايبات في الحيوان 8/4 و 116/6 والبيان 48/1 والكمال 348
واللسان مادة (فطحل) والميداني 454/1 و 85/2 وهو بدون نسبة في
امالي الغالي 234/1 والازمنة 229/1 وثمار القلوب 232 ومحاسرات
الرافع 305/2 والمخصص 171/10 .
وانظر الحكاية في اللسان (ممر) 30/7 وهى اقرب في روايتها الى رواية
المتخير وانظرها في تهذيب الالفاظ ص 19 وفي المخصص 287/12 .
(498) في الاصل : (ممر) بفاء ثم كاف وهو تصحيف .
(499) انظر قول الاصمعي في تهذيب الالفاظ ص 20 .
(500) انظر تهذيب الالفاظ ص 20 .
(501) في ع : لصق .
(502) في الاصل : (نفاق) بفتح النون . والتصويب عن تهذيب الالفاظ ص 21
ومعاجم اللغسة .
(503) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 14 والميداني 338/2 رقم المثل 4218
واللسان مادة (نفص) . يضرب لمن يؤمر باصلاح حاله قبل ان يتطرق اليه
الفساد .
(504) في ا : ارمل ، بفتح اللام .
(505) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ ص 14 والميداني 195/2 رقم المثل 3358
والاساس (علق) واللسان (علق) .

قليل يتعلق به كمن عيشه لين يختار منه ماشاء . وتقول العرب (506) :
« موت لا يجز الى عار خير من عيش في رماق » . الرماق : قدر ما يمسك
الرمق . ويقال : نخلة ترامق بعرق ، أى لا تموت ولا تحيا . قال أبو زيد :
« ماله اعد (507) ولا مريش » (508) ، الأهد السهم الذى ليس عليه ريش
والريش ذو الريش . « وما لفلان سعة ولا معنة » (509) ، « وما له
سارحة ولا رائحة » (510) و « ماله هارب ولا قارب » (511) ، و
« ماله دعيقة ولا جلياة » (512) أى لا شاة ولا ناقة . و « ماله هبع ولا
ربع » (513) ، الهبع : ما نتج في الصيف . والربع : ما نتج في الربيع . و
« ماله زرع ولا ضرع » ، (514) ، و « ماله سبد ولا لبد » (515) ، و
« ماله دار ولا عقار » (516) ، و « ماله ثاغية ولا راغية » (517) الثاغية

- (506) انظر المثل في الميداني 313/2 رقم المثل 4082 ومعناه : مت كرميا ولا ترض
بميش يمسك الرمق . والمثل أيضا في مختصر تهذيب الالفاظ من 14 والاساس
(رمق) واللسان (رمق) .
(507) في النسختين : اعد ، بالبدال المهمله ، وهو تصحيف .
(508) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 330/2 وامالي الغالي 91/1
ومختصر تهذيب الالفاظ من 14 - 15 والاساس مادة (تفخذ) واللسان
مادة (تفخذ) .
(509) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي الغالي
90/1 واللسان (سمن) والميداني 271/2 رقم المثل 3806 .
(510) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وامالي
الغالي 90/1 واللسان (سرح) والميداني 301/2 رقم المثل 4025 والاتباع
والمزوجة 36 .
(511) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 333/2 ومختصر تهذيب
الالفاظ من 15 وامالي الغالي 90/1 والاساس مادة (ترب) .
(512) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة
الامثال 267/2 وامالي الغالي 90/1 والميداني رقم المثل 3890 والفاخر 21
والاساس (دقق) .
(513) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة
الامثال 267/2 واللسان (هبع) والاساس (ربع) .
(514) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي الغالي 91/1 واصلاح
المنطق 384 والاساس واللسان مادة (ضرع) .
(515) أي ماله شيء ، قال المفصل ، قال أبو صالح : كل ما لان من الصوف والوبر
فهو لبد ، والسبد : الشعر .
وانظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجبهة الامثال 267/2 والميداني
149/2 ونوادير أبي مسحل 20/1 وادب الكاتب 39 وتهذيب اللغة 130/4
والمستقصى 331/2 والحيوان 429/5 واللسان مادة (سبد ، لبد) والفاخر
21 وامالي الغالي 90/1 واصلاح المنطق 384 والصاح والاساس والتاج
مادة (لبد) .
(516) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة الامثال 267/2 والميداني
285/2 رقم المثل 3891 والفاخر 22 وامالي الغالي 91/1 واصلاح المنطق
383 واللسان مادة (عقر) والاتباع والمزوجة 43 . والمقار : النخل أو
البنج .
(517) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجبهة الامثال 267/2 والفاخر =

من الغنم والراغية من الابل . وقد هلك نصاب ابل بنى فلان (518) وقال
 الاصمعي : عسرنا الزمان : اشتد علينا (519) . وهم في ضنف ، وحفف ،
 وقشف ، وشظف ، ووبد . كل هذا من شدة العيش . والماء المضاف : الذي
 كثرت عليه الشاربة . ويقولون في الشتم : القى الله ماله في النقيصة (520) .
 وفي شعر الهذلي (521) : فلان صفر المباءة (522) ، وهو الذي مرجعه الى
 وطن خال لا شيء فيه . وفلان يصادى من عيشه شدة ، أى يقاسى . ويقال :
 « ما له حلوبة ولا ركوبة » (523) ولا قتبوبة (524) ، ولا جزوزة (525) ،
 ولا نسولة ، أى ليست له ناقة تحلب ، ولا تركب ، ولا تقتب ، ولا التى يجز
 صوفها ، ولا ذات نسل . وهم فى عيش مترح ، أى شديد مبرح .

باب الكبر '526'

يقال : فى فلان كبر ، وعظمة ، وتكبر ، واستكبار ، وتخيل . وهو
 مزهو . وقد زهى علينا . وهو « أزهى من غراب » (527) . وان لفلان
 لصرا . والتصمير : امالة الخدين (528) عن النظر الى الناس وفى الحديث :

- = 21 واصلاح المنطق 383 والميداني 284/2 رقم المثل 3889 ونوادير ابي
 مسحل 20/1 واللسان (ثنا) والاساس (نقى) .
 (518) اي هلكت ابلهم فلم يبق الا ابل استطرفوها . انظر مختصر تهذيب الالفاظ
 ص 15 .
 (519) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 15 .
 (520) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 16 .
 (521) هو ساعدة بن جؤية الهذلي : شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام انظر
 ترجمته فى : خزانة البغدادي 476/1 والامدي 83 وسبط اللالسي 115
 والمعيني 544/2 وديوان الهذليين 167/1 - 242 و 208/2 - 222
 والاعلام 113/3 .
 (522) فى الاصل : المباءة . و (صغر المباءة) تقسيم بيت لساعدة بن جؤية ، روايته
 فى ديوان الهذليين 208/2 :

صغر المباءة ذي هرسين بمنعجف اذا نظرت اليه قلت قد فرجا

وصغر المباءة : اي خالي مبارك الابل .

ذي هرسين : ذي خلتين

منعجف : مهزول . قد فرجا : قد فتح ناه

(523) انظر المثل فى الاتباع والمزاوجة ص 30 .

(524) القتبويه : الناقة التى يشد عليها القتب

(525) فى الاصل : جزوره (براء بهمة / وهو تصحيف .

(526) راجع باب الكبر فى تهذيب الالفاظ 151 وباب التكبر فى الالفاظ الكتابية
 ص 133 .

قد فرجا : قد فتح ناه للموت .

(527) وهو انه اذا مشى يخال ، انظر المثل فى جمهرة الامثال 507/1 والحيوان

220/1 وفصل المقال 387 والميداني 221/1 والمستقصى 63 والالفاظ

الكتابية 133 .

(528) هكذا فى الاصلين . والصواب : الخد (بالافراد) انظر المتاييس 288/3

واللسان (صغر) وتام فصيح الكلام 33 .

« يأتي على الناس زمان ليس فيه الا اصعرا واثير » (529) . فالاصعرا :
الذاهب بنفسه . والاثير : من الثبور وهو الهلاك . ويقولون : لأثيمن
صعرك ، أي لأزيلن كبرك . ورجل مصبوع : اذا كانت فيه خيلاء . ومن
شعرهم ما يشبه هذا قول طرفة (530) :

ان امرأ سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابة شتمى

وانا امرؤ أكوى من القصر البادى واغشى الدهم بالدهم وأخبرنى أبو
الحسن على بن ابراهيم القطان قال : سمعت ثعلبا يقول : سئل ابن
الاعرابى عن بيتى جرير (531) :

اذا مشت لم تنبهر وتأودت كما أناد من خيل وج غير منعل
كما قال فضل الجبل عن متن عائذ اطافت بمهر في رباط مطول

فقال : ما سئلت عنهما ، وقد احسن جدا ، اراد انها لا ترفع من
الخيلاء ثوبها اذا ما سقط عنها ، ولكن تجره . ونحوه :

جارية بسفوان دارها تمشى الهويئا مائلا خمارها (532)
وقال آخر :

529 الحديث في النهاية لابن الاثير 263/3 وروايته : « يأتي على الناس زمان
ليس فيهم الا اصعرا أو اثير » .

530 البيتان لطرفة بن العبد البكري يمدح قتادة بن سلمة الحنفي ، واصاب توبه
سنة ثمانوه فبذل لهم واحسن اليهم . انظر ديوان طرفه ص 90 والاول في
الاصلاح 64 والتهديب مادة (سرف) والمعاني الكبير 811/2 وانظر ترجمة
طرفة في : طبقات الجبحي 115 والشعر والشعراء 117/1 والاهناسي
185/21 والموضح 57 ومعجم الشعراء 201 والخزانة 414/1 وبروكلمان
92/1 .

531 البيتان في شرح ديوان جرير - صنعة محمد اسماعيل عبد الله الصادي
ص 457 ، مع اختلاف يسير في رواية الاول . (تنهز) مكان (تنبهر) والوجاء
الحنا . والعائذ : الانثى التي وضعت حديثا . الجبل : للدابة كالثوب للانسان
والجمع (جلال) .

532 الرجز لمنظور بن حبة انظر تاج المروس 405/3 وبعده فيه :

قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وفي العمين للخليل ص 345 من غير عزو وتنتمه :

ينحل من غلبتها ازارها قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وهو في اضداد أبي الطيب ص 509 من غير عزو أيضا في أربعة اشطار
والارجوزة في سبعة اشطار في العمين 444/4 وفيه بعد الشطر الاول شطر
ثان هو : لم تدر ما الدهنا ولا تمسارها
وبعد الاشطار الأربعة آخران هما : =

فلا يغرنك جرى الثوب معتجرا (533) انى امرؤ في عند الجد تشمير

ونفخ الشيطان : الكبر . ويقولون : « كل ذات ذيل تختال » (534) .
ويقولون للمتكبر : كأن انفه في أسلوب (535) . ورأيته زاما بانفه ، أى رافعا
رأسه كبرا . والزبونة : الكبر . ويقولون : « هو أتية من أحقق ثقيف » (536)
يريدون يوسف بن عمر كان ذا تيه (537) .

باب صغر الهمة والنفس

يقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس . ويقال اسف ، اذا تتبغ

قلت لبواب لديه دارها

تيدن ، فاني حبها وجارها

والشاهد في المقاييس 342/4 والمخصص 47/1 والصحاح مادة (سفن)
وهاشميات الكهيت 74 . والخمسة الاولى في معجم ما استمعج 315/3 وفي
سفة جزيرة العرب ص 168 . والاشطار الاربعة الاولى في اللآلي 684
وبعضها في اللسان مادة (عصر) وفي الجهرة لابن دريد 354/2 وشرح
الحماسة للتبريزي 13/4 بترتيب مختلف . والشطران الخامس والثالث في
معاني الشعر 138 والشطر الخامس وحده في اعداد ابن الانباري 217 .
وفي نظام الغريب ص 67 ، وهي رواية انفرد بها الربيعي :
جارية « بشطنين » دارها تمشي الهويينا ساطعا خمارها
قد اعصرت او قد دنا اعصارها

ورواية الاثناندي في معاني الشعر وهي رواية انفرد بها :

معصرة لو قد دنا اعصارها

وتوهم الدكتور صلاح الدين المنجد في تعليقه على هذا الرجز فقال : هو
لمنصور بن مرثد الاسدي وقيل لمنظور بن خبه « . فظنهما رجلين ولم يفتن
للتصحيف والتحريف في اسمه . وصاحب الأرجوزة : هو منظور بن مرثد بن
مروة الفتمسي ، شاعر اسلامي ، وحبه اسم امه . وصحف اسمه في التاج
الى منصور بن حبه .

وسفوان : ماء بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على اربعة اميال من
البصرة ويسمى حاليا (صفوان) .

الاعتجار : لف العصابة على الراس .

(533) انظر المثل في جبهة الامثال 253/2 والميداني 134/2 رقم المثل 3004

والمستقصى 226/2 رقم المثل 763 .

(535) أسلوب : اي في طريق ، والمراد اذا لم يلتفت يمينا ولا شمالا .

(536) انظر المثل في جبهة الامثال 285/1 والميداني 99/1 والمستقصى ص 20 .

ويوسف بن عمر النعفي أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك وقيل : كان
أحمق من أمر ونهى في الاسلام (ت 127 هـ) . وانظر ترجمته في : وميات
الاميان 360/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 191/5 والتبئية والاشراف 281
والاخبار الطوال - طبعة بزيل - 339 ومرآة الجنان 267/1 والامسلام
320/9 .

(537) في الاصل : تيه .

مذاق الأمور ، كأنها يطلب اللقط في التراب . وقال :

وسام جسيمات الأمور ولا تكن مسفا الى ما دق منهن ذاتيا (538)

باب الجهل بالثمن

يقال : انه لشرق بالأمر ، أى جاهل . وفي امثالهم : « ما يدري أسعد الله أكثر أم جذام » (539) ، يضرب لمن لا يعرف القليل من الكثير . ويقولون : « ما يعرف هرا من بر » (540) ، « ولا يعرف حا من سا » (541) « ولا يدري أى طرفية أطول » (542) « ولا يعرف الوحي من السفر » (543) الوحي : الايماء والسفر : الكتابة . « وما يعرف الحى من اللى » (544) ، الحى : واضح الكلام . واللى : غيره . ويقولون : فى فلان غبوة . وهو « أجهل من فراشة » (545) .

باب العته والجنون '546'

يقال : عته ، وهو معتوه ، اذا نقص عقله . وجن ، من الجنون . ويقولون للشباب اذا تعجبوا من شبابه : ما له جن جنونه ! ولا يقال ذلك للشيخ . وهذه الكلمة من باب وصف الشباب . وقال الشاعر :

اذا أمنوا ترى احلام عاد وان فزعوا حسبت لهم جنونا

- (538) البيت فى الاساس 444/1 واللسان مادة (سلف) من غير عزو .
(539) انظر المثل فى جبهة الامثال 280/2 والميداني 109/2 والمستقصى 336/2 رقم المثل 1232 . وفى النسختين : جذام .
(540) قال الاصمعي : معناه لا يعرف شيئا من شيء . انظر المثل فى جبهة الامثال 401/2 والفاخر 43 والميداني 148/2 والمستقصى 337/2 واللسان (هرز) والاساس (هرز) والجمهرة وروايته : « لا يعرف هرا من بر » . وهو فى نوادر ابي مسهل 49/1 وادب الكاتب 45 .
(541) حا : زجر للفنم عند السقي ، وزجر للكلب عند السناد . وسا : زجر للحمار .
(542) ورد فى المستقصى 336/2 : « ما يدري أى طرفيه أطول . أى انسب ابيه افضل ام نسب امه ؟ » . وانظر المثل فى الميداني 214/2 رقم المثل 3502 والصحاح (طرف) وادب الكاتب 44 .
(543) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 .
(544) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 رقم المثل 1935 والميداني 160/2 والمستقصى 336/2 . وقيل أيضا : « ما يعرف الحو من اللو » .
(545) لانها تطلق بنفسها فى النار . انظر المثل فى جبهة الامثال 334/1 والاصمعي 34 والميداني 126/1 والمستقصى 27 .
(546) راجع فى الالفاظ الكتابية باب المس والتصورات والجنون ص 97 .

ويقال : بفلان سفعة من الشيطان ، أى أخذة (547) . وفى الحديث :
« رأى جارية بها سفعة » (548) . ورجل اشجع ، كأن به جنونا . والألس :
الحمق والجهل . وفى الحديث : « نعوذ بك من الألس والألق » (549) . قال
أبو عمرو : المحتضر : المجنون . ويقال : فى عقله صابة ، أى كأنه مجنون .
وقيل لأعرابى : يا مصاب . فقال : أنت أصوب منى .

بَابُ الْحَمَقِ '550'

يقال : امرأة محمقة : تلد الحمقى . وفى أمثالهم : (عرف حميىق
جمله) . (551) يضرب للرجل يأنس بك حتى يجترىء عليك . ويقال :
« هو أحق من ترب المقد » (552) يعنون عقد الرمل ، وذلك انه لا يثبت
بل ينهار . ويقال : ما ابين رعالته . وفى أمثالهم : « زاده الله رعالة كلما
ازداد مثالة » (553) . ومنه فكة ، أى استرخاء من حمق . ويقال : هو هببت ،
أى بارد الفؤاد ، ميت النفس . وهو متهوك : يقع فى الأشياء بحمق . وانه
لأحمق خطل ، أى سريع خفيف . ويقال فى الضعيف الرأى : هو واهن الرأى ،
ضاجع ، أى عاجز . وهذا رأى اعور ، من قولهم طريق اعور ، اذا لم
يكن فيه علم ولا أثر (554) . ويقولون : هو جفر ليس له زبر ، واصله البئر
اذا لم تطو . والامرة : الذى لا رأى له فهو يسمع من كل احد . وغلان سىء

- (547) أى مسس .
(548) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والائر 166/3 وفى صحيح مسلم 18/7
وفى اللسان مادة (سفع) .
(549) ورد الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والائر 60/1 وروايته : « اللهم نعوذ
بك من الألس ، اللهم انا نعوذ بك من الألق » .
وورد الحديث فى فقه اللغة للشمالبي ص 213 وروايته كرواية المتخير . وهو
فى الأساس مادة (الس) 18/1 وروايته : « والله انا نعوذ بك من الألس
والألق أى من الخيانة والكذب » .
(550) راجع باب الحمق والهوج فى تهذيب الالفاظ 187 وباب المس والجنون فى
الالفاظ الكتابية 97 وباب الجهل فى الالفاظ الكتابية 143 .
(551) انظر المثل فى جمهرة الامثال 50/2 والميداني 309/1 والمستقصى 160/2 .
وهيىق : اسم رجل .
(552) انظر المثل فى جمهرة الامثال 395/1 والميداني 152/1 والمستقصى 76/1 .
والاحيق يوصف بقلة التماسك والثبات .
(553) الرماله : الحماة . والمثالة : حسن الحال والهيئة . يضرب فى دعاء الشر .
انظر المثل فى المستقصى 109/2 والميداني 322/1 والاسساس (مثل)
واللسان (رعل) والبصائر والذخائر المجلد الثالث - القسم الاول ص 236 .
(554) فى كنايات الادباء للبرجاني ص 144 نسب هذا القول لابن الأعرابى . وفى
الحكم 246/2 : « وطريق أمور : لا علم فيه ، كان ذلك العلم مينه ، وهو
مثل » .

الرأى ، منقطع العتال . وهو « جرف منهال » وسحاب منجال « (555) ،
أى لا حزم له ، ولا عقل ، ولا يطمع فى خيره . ورجل قلع : مثلون لا يثبت
على شىء ، ورأى متخالج : ردىء .

باب سوء الخلق

يقال : هو سىء الخلق ، وفيه عرارة (556) وفى خلقه عسر . وهو
عقام (557) ، متزبع (558) ، وهو يتنمى ، إذا ساء خلقه كأنه اقمى . وهو
شرس ، ضرس ، مخرور ، غلق . وهؤلاء شركاء متشاكسون . ورجل زعر
معر ، أى سىء الخلق .

باب الالباء وقلّة الأنتياد

يقال : أبى اباء (559) ، وهم أببون وأبابة . والصعب : نقيض الذلول .
وهم « أصعب من رد الجموح » (560) . « وأصعب من رد الشخب فى
الضرع » (561) . ورجل عق فظ ، أى صعب لا ينتاد . وفلان شديد
الاخذع (562) ، إذا لم ينتد . وقد تحمس ، وتعاصى ، وامتنع . ويقولون
للرجل يأبى الأمر : هذا أمر لا تتغنى له قدرى (563) ، ولا تبرك عليه ابلى .

باب التمسف والتهور

التمسف والتهور : الهجوم على الأمر بلا تثبت . وهو من الجرف
الذى ينهار . والتجليح : التصميم فى الأمر .
وذئب مجلح ، إذا ركب رأسه . والترع : الذى يقتحم الأمور . خلاف
السورع .

- (555) انظر المثل فى الميداني 177/1 يضرب مثلا لمن لا حزم عنده ولا عقل ولا يطمع
فى خيره وفى الكتابات للجرجاني من 147 : « تيل لامرابي ما تتول فى ملان ؟
قال : جرف منهار وسحاب منجار ، لا يطمع فى خيره » .
(556) فى الاصل : فرارة بالفين المعجمة ، وهو تصحيف .
(557) المقام : من لا يولد له . والسىء الخلق .
(558) المتزبع : السىء الخلق القليل الاستقامة .
(559) فى الاصل : ابا ابا .
(560) انظر المثل فى جمهرة الامثال 568/1 والمستقصى 208/1 والميداني 417/1 .
والجموح : الفرس يمتاز فارسه على رأسه ويجري جريا غالبا .
(561) الشخب : ما يفرج من الفرع من لبن . وانظر المثل فى جمهرة الامثال 586/1
والميداني 413/1 والمستقصى 208/1 .
(562) الاخذع : مرق خفي فى موضع الحجابة من العنق .
(563) انك القدر : جعلها على الاتاني ، وهى الاحجار التى توضع عليها القدر .

باب الجبن '564'

يقال : هو جبان والجمع جبناء . ويقولون : الجبان حقه من فوقه .
ورجل رعديد . وقد انتفخ سحره . وفي الحديث : « نموذ بك من شح هالع ،
وجبن خالع » (565) . والورع ، واليراعة : الجبان . وهو هيبان (566) ،
منخوب . وهو « أجبن من صافر » (567) ، « وهو الصفر » (568) .
« وهو انخب من نعامة » (569) والكفل : الذى يكون فى مؤخر الحرب ،
انما همته الفرار .

باب الاحجام عن الحرب

يقال : احجم ونكص وانقدع وخام وهلك (570) ، وهو « أشرد من
حبارى » (571) ، « وأشرد من نعامة » (572) ويقولون : « كل أرب
نفور » (573) . ويقولون : « روغى جمار وانظرى أين المفر » (574) ،

- (564) راجع باب الجبن وضعف القلب فى تهذيب الالفاظ ص 176 وباب الجبان فى
الالفاظ الكتابية ص 68 .
- (565) رواه أبو داود عن أبي هريرة بقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع (سنن أبي داود 18/3 رقم
الحديث 2511) ورواه ابن حبان (ص 207 موارد الظمان / وأورده المنذرى
فى الترغيب والترهيب 60/5 وابن الاثير فى النهاية 65/2 وروايته فى الجبان
فى تشبيهات القرآن ص 269 : « أعوذ بك من الجشع والهلع » . وانظر
الحديث فى المخصص 11/3 واللسان مادة (هلع) .
- (566) فى تهذيب الالفاظ ص 178 : هيبان بدون تشديد .
- (567) انظر المثل فى جبهة الامثال 325/1 وفصل المقال 393 والميداني 184/1
والمستقصى 21 واللسان مادة (صفر) وتهذيب الالفاظ ص 182 والصحاح
مادة (صفر) .
- (568) المثل : « أجبن من صفر » وهو طائر من خشاش الطير ، ضرب به المثل
فى الجبن . انظر الميداني 185/1 وجبهة الامثال 325/1 والمستقصى 45/1 .
- (569) فى جبهة الامثال 394/1 : احجم من نعامة ، وكذلك فى فصل المقال 330 ،
والميداني 151/1 والحيوان 198/1 . وفى الامثال : أشرد من نعامة قال
الشامسر :

وهم تركوك اسلح من حبارى رات صقرا واشرد من نعامة

- انظر : اجاز القرآن للباتلاني ص 122 — تحقيق محمد عبد المنعم خلفه
هلع : نر ونكص . (570)
- فى مجمع الامثال : اسلح من حبارى 388/1 (571)
- انظر الميداني 388/1 رقم المثل 2051 . (572)
- انظر جبهة الامثال 154/6 والميداني 53/2 والمستقصى 223/2 يضرب
مثلا للرجل ينفر من كل شيء والأرب من الأبل : الكثير شعر الوجه حتى
يشرف على عينيه ، مكلما رآه نفر ، فهو دائم النفر . (573)
- انظر جبهة الامثال 488/1 والميداني 195/1 والمستقصى 105/2 واللسان
(جفر) . وفى النسختين : جمار ، وفى 1 : المفر . (574)

يقال ذلك لمن يطلب المخلص ولا مهرب له ، وجعار : الضيع ومن أبياتهم :

لحا الله قيسا قيس عيلان انها (575) أضاعت ثغور المسلمين فولت
فشاول بقيس في الرخاء ولا تكن أخاها اذا ما المشرفية سلت (576)

ويقال : انهزم القوم نعماميه . قال الاموه :

واجفل القوم نعمامية عنا وفئنا بالنهاب النفيس (577)

باب الفزع

يقال فزع وذعر ، وتقول العرب : اريته لحا باصرا ، أى امرا
مفزعا (578) . وقد أخذ الزويل ، أى الفزع . والوهل : الفزع . ورجل هيوّب ،
أى هيبان وفى مثل « اعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة » (579) .

باب الشنان والبغضة '580'

البغض والبغضاء بمعنى . وتقول العرب : بغض جده كما يقولون عثر
جده . ويقولون : قليته اقلية قلى ، وشنتته اشنوؤه . وتقول اشنا حق اخيك
أى سلم حقه اليه .

- (575) فى الاصلين : عيلان (بالعين المعجمة) وهو تصحيف .
(576) البيتان من شعر عبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاص فى يوم مرج راهط ،
وهما من أبيات يرد بها على زمر بن الحارث ، انظر مجالس ثعلب ص 347
— 348 وروايتهما فيها : أضاعت مروج .. الخ . والفرج : الثغر المخوف .
فشارك بقيس فى الطمان .. الخ
وانظرهما فى الطبري 42/7 وروايتهما فيه ، الاول مطابقة لرواية (المتخير)
والثاني : فباه بقيس فى الرخاء ..
وانظر (اللسان) مادة (شول) 400/13 وفيه الثاني فقط والبيتان فى الحماسة
شرح المرزوقي 1499 — 1500 وروايتهما كرواية المتخير . وفى التبريزي :
بقيس فى الطمان .
(577) الاموه : صلاة بن عمرو بن مالك الاودي من مخجج ، والبيت فى — الطرائف
الادبية ص 17 — تحقيق ونشر عبد الميزز المينى — القاهرة 1937 وقد
ضمت ديوان الاموه الاودي ، وانظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 149/1
والاغاني 41/11 والمعنى 421/1 ومعاهد التضمين 159/2
والشعراء 111 وسبط اللاتى 365 و 844 والمزهر 238/2 و 296 والمنتخب
من شمس العلوم 4 وجمهرة الانساب 386 وشعراء النصرانية 70 .
(578) ورد فى مجمع الامثال 177/2 : لارينك لحا باصرا — رقم المثل 3240 — .
وفى شرحه قال الخليل : لارينه امرا مغزما ، وقال ابو زيد : لحا باصرا اى
صادقا ، يقولها المتهدد .
(579) قاله سليك بن سلكة ، والمعنى اهوذ بك ان تخينني ، فاما الهيبة فلا هيبة ،
اى لست بهيوّب . انظر المثل فى الميداني 23/2 رقم المثل 2461 وانظر شرح
هذا المثل فى الميداني ايضا تحت رقم 2409 .
(580) البغضة : البغضاء ، والقوم الباغضون .

باب الكراهية

العرب تقول : « اساء كاره ما عمل » (581) . وذلك ان المكره على الشيء يبسء عمله . واعتنفت الشيء كرهته . وقد عاف الشيء عيانا اذا كرهه . والعيوف من الابل : الذي يشم الماء (582) وهو عطشان فيدعه . قال ابن الاعرابي : ما قلبى اليك بمتطلق ، اذا لم تشتته . وما تطلق نفسى لهذا الامر ، أى ما تنشرح . ويقال : حمضت نفسى من الشيء ، أى كرهته ومنه قولهم : ان للقلوب حمضة وللاذان فجة (583) .

باب رجوع الرجل فى اللؤم الى أصله والفاظهم فى اللؤم

تقول العرب : رجع عبد السوء الى محتده . ويقال : لؤم الرجل . وهو « الأم من كلب على عرق » (584) « والأم من سقب ريان » (585) قال الخليل : الاقتعاد : ان يقعد لؤم الأصل بالرجل عن الخير . يقال ما اقتعده عن الكرم الا لؤم أصله (586) . وقد تداركته اعراق سوء وقد وضع رضاعة . وفلان لئيم اعقد ، اذا لم يكن سهل الخلق . قال ابن الاعرابي ، قال رجل : بنو فلان يمتصرون العطاء ، ويبيعون الماء ، ويمبرون النساء (587) . يمتصرون : يرتجعون ثوابه . اخذت عصرته ، أى ثوابه . ويمبرون ، أى يختنونهن (588) .

- (581) انظر المثل فى : جبهة الامثال 197/1 والمستقصى 64 والميداني 338/1 رقم المثل 1805 .
 (582) فى الاصل : الماء
 (583) ورد فى التهذيب 224/4 مادة حمض : الاذن مجاعة وللنفس حمضة وفسره الازهري : ان الاذان لا تمي كل ما تسمعه ، وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستطرفه من غرائب الحديث ونوادير الكلام .
 (584) انظر المثل فى جبهة الامثال 180/2 والميداني 956/2 رقم المثل 3741 والمقاييس 287/4 . ورواية الميداني : عرق (بكسر العين) .
 (585) انظر المثل فى جبهة الامثال 220/2 والميداني 252/2 والمستقصى 120 . والسقب : ولد الناقة سامة يولد .
 (586) ونس رواية (العين) 160/1 : « والاقتعاد مصدر اقتعد ، من تولك : ما اقتعد فلانا عن السخاء الا لؤم أصله » .
 (587) هكذا ورد فى اساس البلاغة 96/2 مع تقديم وتأخير وانظر اللسان مسادة (مصر) .
 (588) جاء فى الاساس 96/2 : غلام معبر ، وجارية معبرة : لم يفتنا . وتتسول العرب فى شتائمهم : يا ابن المعبرة .

باب البخل*

يقال : هو بخيل مبخل . وهو « عنز عزوز لها درجم » (589)، يضرب للبخيل الموسر . والعزوز : الضيقة الاحليل . وفلان عتص اليدين (590) ، منقطع المعروف . وهو طبع طمع ، لحز ، لا تتدى صفاته . وهو جحد البيت (591) ، جحد النائل ، جحد اليدين متشزن (592) ، حصور . وهو قفل ، قبوض ، شنج اليدين ، ومجنوف اليدين ، جماد الكف . ويقولون : جماد له جماد ، أى لا زال جامد الحال . وفي ضده : جماد له جماد . وقد اضب فلان على ما في يديه . ونظرنا منه في وجه امرس املس ، أى كالحجر . أى انه بخيل لا خير فيه ، ورجل يبس : لا ينيل خيرا .

باب الارتداع وفسده

ردعته فارتدع . وقد ردعته روادع الشيب . وفلان شديد العنان ، أى لا ينقاد . وقد ذل عنانه : انقاد . ورجل مخلوع الرمن ، اذا لم يكن له زاجر . وهو منقطع العقال في الشر (593) . ولا يقرع أى لا يرتدع . وقد قرع ، اذا ارتدع . وقد عند فهو عنيد . ومن أمثالهم « لكل عنود نوى » (594) ، أى كل انسان منطلق لوجهته .

باب التمدى واللجاج

المحك : التمدى واللجاج . وقد اهتمج في الامر ، والتج ، وانهمك . والمهاوأة : الملاجة . وقد شرى في الأمر : لج .

* راجع في تهذيب الالفاظ : باب الشح ص 69 وفي الالفاظ الكتابية باب البخل ص 96 .

(589) انظر المثل في المعاييس 39/4 والميداني 25/1 رقم المثل 83 ونوادير ابسي مسجل 447/2 واللسان (عزز) ونوادير ابى زيد 95 .

(590) اي ملتوى اليدين .

(591) اي قليل الخير

(592) الغليظ الخشن

(593) انظر أساس البلاغة 263/2 مادة تطع .

(594) في مجمع الامثال ورد (لكل ذي عبود نوى) 194/2 ، اي لكل اهل بيت نجمة ، والمعنى لكل اجتماع افتراق ، ولكل امرئ حاجة يطلبها . ولم اظفر بهذا المثل في كتب الامثال والمعاجم التي رجعت اليها .

باب الحقد والضغينة *

الحقد ، والضغن ، والمثرة ، والضمد ، والسخيمة ، والغمر .

قال الاحنف (595) في كلام له : استشرت شأمتكم ، وأبى حسك صدوركم (596) . قال ابن الأعرابي : احتمل عليه قوله ، أى حقده . والدخن : الحقد . وفي الحديث : « هدنة على دخن » (597) . وفلان دخن الخلق . ورجل مغل : مضب على غل ، وقد غمر صدره على .

باب الغدر والخيانة **

يقال : غدر يغدر . واغدر : أتى بالغدر . وفي المثل : « هو قفا غادر شر » (598) . والأس : الخيانة والكذب . والختر : الغدر . وفي بنى فلان مخانة ، أى خيانة . والغلول : الخيانة فى الفئء ، وفي الحديث : « لا اغلال ولا اسلال » * أى لا خيانة ولا سرقة . وقد ادغل القوم بفلان ، اذا خانوه ، وسرقوه ، واغتالوه .

باب الخديعة والمكر والنكر

يقال : خدعته خدعا ، وخديعة . ورجل مخدع ، اذا خدع مرارا فى

-
- * راجع باب البغضاء والحقد من 38 — جواهر الالفاظ وباب الغضب والخدة والعداوة — تهذيب الالفاظ من 78 والالفاظ الكتابية من 17 باب الحقد والضغينة .
- (595) هو الاحنف بن قيس التميمي (ت 76 هـ) ، انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب 191/1 ، ابن سعد 66/7 وابن خلكان 23/1 وجهرة الانساب 206 وذكر اخبار اصبهان 224/1 وتهذيب ابن عساکر 10/7 والسير 81 وتاريخ الفهيس 309/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 129/3 والى باء البلوي 343/2 والاعلام 262/1 .
- (596) الشافة : الأذى والعداوة . والحسك : الحقد .
- (597) انظر الحديث فى : المستقصى 389/2 والميداني 382/2 و 161/1 ، ويضرب مثلا لمن يضمر اذى ويظهر صفاء . وقد أورده ابن الاثير فى النهاية 243/4 . وهو فى المقاييس وأساس البلاغة واللسان مادة (فلن) .
- ** راجع باب نكت العهد من 180 — الالفاظ الكتابية وباب الغش والدغل من 384 — جواهر الالفاظ .
- (598) يضرب مثلا للرجل الدميم الزري الذي له خصال محمودة . انظر المثل فى : جهرة الامثال 355/2 ومصل المقال 123 والميداني 384/2 والمستقصى 329 .
- * رواه الطبراني عن عمرو بن موفى بلفظ : لا اسلال ولا غلول ، — الجامع الصغير للسيوطي ورمز له بالصحة : 198/2 والحديث فى النهاية وهو فى الاساس واللسان مادة (غلل) .

الحرب . ومن أمثالهم : « ترك الخداع من أجرى من مائسة » (599) ،
 قاله قيس بن زهير (600) لحفيظة بن بدر (601) . ويقولون : « ترك
 الخداع من كتف القناع » (602) . وفي فلان خنعات (603) ، أى نكر وخبث
 وانتقال من طبع الى آخر . قال أبو عبيدة : التماحل : التماكر . يقال : ما حله
 عن حقه ، أى خادعه . والمحال : المكيدة . والادهان : اللين والمصانعة .
 والمداهن : المخادع المحابى . ويقال : « فلان يقرد فلانا » (604) ، أى
 يخدعه ليستمكن منه . وفي أمثالهم : « ضرب أخماسا لاسداس » (605) ،
 يضرب لمن يظهر شيئاً وهو يريد غيره والختل : الخدع فى غفلة . ومن
 أمثالهم : « مجاهرة اذا لم أجد مختلا » (606) ، أى أخذ حقى قهرا اذا لم
 أصل اليه عفوا . ويقولون : « هو اخبث من فئب الخمر ، واخبث من فئب
 الغضا » (607) والخلاف : المخادعة . ويقولون : « اذا لم تغلب
 فاخلب » (608) .

باب الحسد

تقول : حسده يحسده . وقال الأعرابى : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم
 من الحاسد : حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم . وغبطته ، وهو مثل

- (599) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 628/1 و 200 والفضي 28 والفاخر 220 ،
 ومصل المقال 136 والميداني 122/1 والمستقصى 190 .
 (600) هو قيس بن زهير العيسى (ت 10 هـ) انظر ترجمته فى : الميداني 184/1
 وابن أبي الحديد 150/4 وخرانة البغدادي 536/3 والكامل لابن الاثير
 204/1 والريزياني 322 وسرح العميون 69 ورفية الامل 88/4 وسبسط
 اللايىء 582 و 823 والتبريزي 106/1 و 221 و 11/2 والاعلام 56/6 .
 (601) حذيفة بن بدر ، ضرب به المثل فى سرعة السير (جاهلي) ، انظر ترجمته
 فى ثمار القلوب 111 والاعلام 180/2 .
 (602) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 287/1 و 570 والفاخر 184 .
 (603) هكذا فى الاصل . والذي فى تهذيب اللغة 167/1 واللسان مادة خنع : (خنعات)
 بضم الخاء والتون .
 (604) انظر المثل فى الميداني 27/1 رقم المثل 96 ونصه : (انه يقرد فلانا) .
 (605) انظر جمهرة الامثال 4/2 ومصل المقال 95 والميداني 283/1 والمستقصى
 236 واللسان مادة (حيس) و أساس البلاغة مادة (حيس) .
 (606) انظر المثل فى الميداني 309/2 رقم المثل 4056 .
 (607) الخمر : ما يستتر به من شجر ، والفضا : شجر معروف ، انظر المثل فى
 جمهرة الامثال 438/1 والميداني 174/1 والمستقصى 41 والحيوان 220/1
 (608) معناه : اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق والادارة .
 انظر المثل فى : جمهرة الامثال 66/1 ومصل المقال 102 والميداني 3/1 ،
 والمستقصى 150 واللسان مادة (خلب) والصاحح 122/1 .

الحسد (609). وفي الحديث : « هل يضر الغبط ؟ فقال : كما يضر العضاة
الخبط » * . ومثل : « الذئب مغبوط بذى بطنه » (610) لمن يغبط بما لا
جدوى له فيه . ويقول : اللهم غبطا لا هبطا (611) ، أى اجعلنا نغبط ولا
نهبط . وقد نفس فلان على فلان : حسده .

باب الخبب

يقال : لفلان دخامس . والدخمة : الخب . وله دغاول (612) وهو
« أخب من صب » (613) .

باب الغضب **

يقال : غضب ، واحتلظ . وفلان « يكسر عليك أرعاض النبيل
غضبا » (614) . وجاء فلان نافشا عنريته (615) ، وجاء رافعا بانفه ، أى
مغضبا . وقد وغر صدره ، ووغم (616) ، ووجر . وقد استقله الغضب ،
واحتمله . وجاء فلان يتلدع (617) . ويقال لمن سكن غضبه : تحللت عقده . ولن
غضب وتهايا للشر قيل : قد عقد ناصيته . وفلان يكاد يتمزع من الغيظ ،
أى كاد يتناطير شققا . وجاء وبه سكر علينا ، أى غيظ . ويقال للرجل إذا خف

609 ورد في اللسان مادة حسد 125/4 ما نصه : الحسد أن يرى الرجل لآخيه
نعمة فيتمنى أن تزول منه وتكون له دونه والغبط أن يتمنى أن يكون له مثلها
ولا يتمنى زوالها عنه .

* أورده ابن الأثير في النهاية 148/3 ، وانظر اللسان 126/4 . والخبط :
خرب ورق الشجر حتى يتحات عنه ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل
الشجرة وأغصانها .

610 انظر جمهرة الأمثال 461/1 وفيه : الذئب يغبط بذى بطنه ، يضرب مثلا
للرجل يظن به الغنى وهو فقير ، والشيع وهو جائع . وانظر المثل في : نصل
المقال 343 والميداني 187/1 والمستقصى 168 والمعاني الكبير 192/1
وأبي مسهل 381/1 .

611 انظر الدماء في المقاييس مادة غبط 411/4 واللسان مادة غبط وأساس
البلاغة 156/2 .

** راجع في تهذيب اللغات من 78 — باب الغضب وانظر باب الغيظ في
اللغات الكتابية من 19 وباب السخط والغيظ من 40 — جواهر اللغات .

612 أي غوايل .

613 انظر المثل في جمهرة الأمثال 439/1 والميداني 174/1 والمستقصى 40
والحيوان 43/6 .

614 انظر المثل في الميداني 36/1 رقم المثل 143 ، والرمط : مدخل النصل في
السهم .

615 مفرته : شمر ناصية الرجل .

616 الوغم : الحقد الثابت في الصدر .

617 في الأصل : يتلدع (بالبدال) وهو تصحيف .

حلمه : قد خفت نعامتة . واحتد فلان فنشب في حدته ، وغلق ، وحكى ابن الأعرابي : فلان لا يركض المحجن (618) ، أى لا يمتعض من شيء . ويقال : قد أصبحت مجبوحاً بك ، أى قد اشتد غضبك . ويقال : قد أذرتة فذئر ، أى حرشته فغضب . وفى صدر فلان عليك حماطة ، أى غيظ وموجدة . وهو يتحدم علينا ، أى اشتد غضبه . والحنظة ، والحنيطرة : الغضب . وفى المثل : « الحنايظ تنقض الاحتاد » (619) ، أى إذا كانت بينك وبين ابن عمك عداوة ثم رأيتة يظلم حميت له ونصرته . وفلان حامض الفؤاد ، إذا تغير وفسد . والتحرب : الغضب . وقد حربت فلانا ، وحرشته ، واحمشته . وقد انتفخ انتفاخ الضب الحرب . وحربه : أن يرتفع على برائته . وحميا الغضب شدته . والمتخبط : الشديد الغضب . والنفر : الغضبان . من نفر القدر وهو غليانها . وقد جاء فلان تغلى مراحله . وقد استشاط ، وشرى غضبا . وقد يقال : غضب مطر ، أى شديد فى غير موضعه . وقد انتفخ وريدها : إذا غضب .

باب الحرص والجشع '620'

قال الأصمى ، قلت لأعرابي : ما الجشع ؟ فقال : أسوأ الحرص . ويقال : أن نفسه لطلعة الى كذا ، أى منازعة اليه . وزعم فلان فى غير مزعم ، أى طمع فى غير مطمع . وهوطمع حريص . والطمع والطماعية بمعنى : وهو « اطمع من فلحس » (621) ورجل هاع (622) لاع (623) : حريص . والرشع : الطمع والحرص ؟ ويقولون : هو دامى الشفة ، أى حريص ملح .

618 فى الاصل : الحجر ، وهو تحريف والتصويب من اللسان 262/16 وفيه : المحجن : مما مقلنة الرأس كالصولجان وفلان لا يركض المحجن : لا فناء عنده .

619 انظر المثل فى جبهة الامثال 349/1 ونصه : الحنايظ تحلل الاحتاد . وانظر فصل المقال 179 و 195 وفيه الروايتان : تنقض وتحلل . وانظر الميداني 139/1 والمستقصى 125 واللسان مادة (حفظ) .

620 راجع باب الطمع فى تهذيب الالفاظ ص 437 وفى الالفاظ الكتابية ص 42 وباب الشره والحرص والسؤال فى تهذيب الالفاظ ص 253 . وباب الحرص والشره فى جواهر الالفاظ ص 78 .

621 انظر جبهة الامثال 14/2 والميداني 441/1 رقم المثل 2335 والميداني 347/1 رقم المثل 1868 ، وغلحس رجل من بني شيبان ، كان سيدا عزيزا يسأل سبها فى الجيش وهو فى بيته يبعث لعمه ، فاذا اطمعه سأل لامراته ، فاذا اطمعه سأل لبعيره . انظر المستقصى 225/1 و 152/2 ورواية (اللسان) اسأل غلحس .

622 انظر المثل فى : جبهة الامثال 333/1 والميداني 187/1 والمستقصى 23 .

623 رجل هاع : جزوع .

وقد دمي فوه ، وضب (624) فوه . أبو زيد : الطرف من الرجال : الرقيب
 العين الذي لا يرى شيئاً إلا أحب أن يكون له (625) ، فعيناه لا تشبعان ،
 من قوم طرفين . ومن أمثالهم : « أجشع من أسرى الدخان (626) . وهم
 قوم من تميم أرادوا المكبر أن يقتلهم ، فأمر باتخاذ طعام ، فلما ارتفع الدخان
 دعاهم فاغتروا بالدخان ودخلوا الحصن ، فاصفق الباب وقتلوا . فقيل :
 أجشع من أسرى الدخان . وقيل فيهم ليسوا بأول من قتله الدخان . وقد
 كلب فلان أشد الكلب . ومنيت فلانا حتى انتشرت نفسه وجاء فلان نائسرا
 أذنيه (627) . والاشراف : الحرص .

* بباب الظلم والغشيم *

قال أبو عمرو: الفوم عليه نسلح، أي مجتمعون (عليه بالعداوة) (628)
 وقد ضلع عليه ، وقد جنف عليه . وانت على ضلع جائرة . وضلع فلان مع
 فلان أي ميله . ويقال : هو « أظلم من حية » (629) لأنها تجيء إلى غير
 جحرها فتدخله . والرهق : الظلم . من قوله تعالى : « بخساً ولا
 رهقا » (630) . والعدوان : الظلم الصراح . والعدوة : عدوة اللص ، وعدوة
 المغير ، وعدوة السبع . ويقولون : كف عنا عاديتك ، وإياك والظلم فان الظلم
 يغشى بالرجال المغاشى . ويقولون يقول الشاعر :

فلا تك حفاراً بظلفك انما تصيب سهام الغي من كان غاويها
 اذا أنت أكثرت المجاهل كدرت عليك من الاخلاق ما كان صافيا *

ويقولون : اهتضمت فلانا . وفلان يتهدم على فلان ، أي يتوشب عليه
 بالظلم . (ويقال) ** لمن تسرع اليك : « ان حفرك الى لمتهدم » (631) ،

- (624) رجل لاع : السوء الخلق الحريم .
 (625) الضب : النسلان .
 (626) انظر العبارة في اللسان مادة (طرف) .
 (627) انظر المثل في الميداني 163/1 رقم المثل 852 واساسي البلاغة 443/2 .
 * تريب منه باب الاجتماع بالعداوة على الانسان - تهذيب الالفاظ ص 568 .
 (628) زيادة يستقيم بها المعنى .
 (629) المثل في : جبهة الامثال 29/2 وفصل المقال 388 والميداني 445/1
 والمستقصى 93 والحيوان 220/1 وأمالى القالي 12/2 .
 (630) تمتد الآية الكريمة : « ممن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا » 13 ك
 سورة الجن 72 .
 * البيتان للشاعر منظور بن مرشد بن مروة الفقمسي . انظر : معجم الشعراء
 للمريزباني ص 281 وروايتها فيه :
 ... تصيب سهام الغي من كان راميا .
 * لعلها : وتقول .
 (631) انظر : الميداني 65/1 رقم المثل 325 ونصه : ان جريك الى الهدم .

و « ان حبلك الى لأنشوطة » (632) . ويقال : تباخس القوم ، أى تغابنوا .
ويقال : تحسبها حمتاء وهى باخس (633) . ويقولون : الظلم انكد غبه
مشؤوم ، والغشم : الظلم . و « الحرب غشوم » (634) تنال غير الجانى .
واغمض فلان على الظلم ، اذا مضى عليه . « وركب القوم ام جندب » (635)
اذا ركبوا الظلم .

باب الحيف والجور ' 636 '

العول : الميل فى الحكم الى الجور . وقد عال فى حكمه ، اذا جار . وحدل (637)
عليه ، اذا جار . ويقولون : حدل وما عدل . واشط فلان ، اذا جار فى
قضيته . وماط فى حكمه يميظ ، اذا جار . والصبنة : الميل ، تقول : لا تصبن
على مع عدوى ، أى لا تمل . وكل شىء عدلته عن جهته فقد صبنته . كالمساوى
اذا صرف الكأس عن هو أحق بها .

باب استضمفت الرجل *

يقال : استضمفت فلانا . واحتقرته ، واستوضمته ، أى جعلته تحتى
كالوضم *** . ويقولون : « من عز بز » (638) و « اذا عز أخوك

- 632 انظر الميداني 65/1 رقم المثل 326 ونصه : ان حبلك الى انشوطة
633 يضرب لمن يتباله وبه دهاء ، انظر المثل فى الميداني 123/1 رقم المثل 625
وانظر اللسان والاساس مادة (بخس) .
634 انظر جبهة الامثال 358/1 والميداني 206/1 والمستقصى 125 واللسان
مادة (غشم) .
635 انظر جبهة الامثال 47/1 وفيه : ام جندب : الغشم والظلم واسم من اسماء
الداهية ، يقال : وقموا فى ام جندب ، وركبوا ام جندب .
636 انظر باب - الاجتماع بالعداوة على الانسان - تهذيب الالفاظ ص 568
وانظر باب اسماء الجور ص 299 - جواهر الالفاظ .
637 حدل (بكسر الدال) : ظلم .
* مما هو قريب المعنى منه راجع باب استتلال الشىء واستتمفاره - تهذيب
الالفاظ ص 599 وباب المذمة والاحتقار فى الالفاظ الكتابية ص 110
** الوضم : خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم ، وكل ما وثبت به اللحم من
الارض من خشب او حصير . قال الشاعر :

احسبتنا لحما على وضم ام خلتنا فى الباس لا نجدى

- 638 انظر المثل فى : الصحاح 862/2 وامالي الشجري 187/2 : وجبهة الامثال
288/2 و 257/1 و 360 والفهري 53 والفاخر 89 والميداني 174/2
والمستقصى 314 واللسان والاساس مادة (بز) والمعانييس 39/4 .

نهن « (639) ، أى اذا عابرك فياسره . ويقال : تفرعت فلانا (640) . قال ابن الأعرابي : خلعت عذاره ، واستلبت عصاه ، وحللت قلاوته ، اذا غلبه على أمر كان يعلو (641) به عليه . قال أبو زيد : يقال ما لى حاجة الاحاجة أنا عال بها . أى ظاهر عليها .

ويقال : عالنى فلان ، أى غلبنى . ويقال : فرس ساط ، لانه يسطو (642) على سائر الخيل . والفحل يسطو (642) على طروقتة (643) ، والتأبيس : القهر . قال اللحياني * : يقال : لن تأخذه أبدا بزة منى ، أى قسرا (644) ويقال : فلان مشدخ (645) لقرنه ، أى قوى عليه . ومسدح (646) أيضا .

باب الذهاب بحق الانسان

يقال : ذهب بحقى ، وامن بحقى ، والمع بحقى .

باب الشر يكون بين اثنين

يقال : بينى وبينه شوك القتاد . وفلان بات بليلة الشوامت ، ويقال : آذانا فلان ، وبرح بنا . والشذا (647) والأذى بمعنى . ويقال : « أدب فلان علينا عقاربه » (648) .

باب المنع من الشيء والردع **

يقال : اعذبتك عن كذا . واعذب عنك من لاخير فيه . والوزع : الكف ونجعت الرجل بما كفه عنى . ويقال : النجحة : أقبح الرد . والقدع : الكف

(639) راجع : جبهة الامثال 65/1 والضبى 60 والفاخر 64 ونصل المقال 195 والميداني 44/1 والمستقصى 53 واللسان مادة (هين) و البيان والتبيين 162/1 والكامل للمبرد 72/4 . ومعناه : اذا صعب اخوك فلن .

(640) فقتة او شتمته

(641) فى الاصل : يعلوا (بزيادة الف) .

(642) يسطو : فى الموضعين بزيادة الف .

(643) انظر اللسان مادة (سطا) .

* هكذا فى الاصل وفى الانتباه 255/2 : « اللحياني (بكسر اللام) (علي بن هازم) ، لغوي أخذ من الكسائي وعاصر الفراء وأخذ منه القاسم بن سلام » انظر ترجمته فى بغية الوعاة 185/2 وتلخيص ابن مکتوم 136 وتهذيب اللغة للازهري ص 10 وطبقات الزبيدي 213 ومراتب النحويين 144 والمزهر 410/2 ومعجم الأدباء 106/14 ونزهة الالباء 235 وطبقات ابن قاضي شهبه 144/2 .

(644) فى اللسان مادة بز ز نسب القول للكسائي .

(645) شدخ : كسر .

(646) سدحه : صرعه او ذبحه وبسطه على الارض .

(647) فى الاصل : الشذى .

(648) انظر المثل فى جبهة الامثال 455/1 وروايته : (ادب من عقرب)

** راجع باب ردك الرجل من الشيء يريده - تهذيب الالفاظ ص 551 وباب الكف من الامر - الالفاظ الكتابية ص 127 .

يقال : ما عكك عنا ؟ أى ما حبسك ؟ وعجفت نفسى عن الطعام ،
أعجنها (649) . قال ابن الأعرابى : خير فلان عصر مصر (650) ، أى قليل
منقطع . وتقول : ورعته عن كذا وكذا ، أى كفتته .

باب تكليف الانسان ما لا يطيق

تقول : حملته على عتب كرية . قال ابن السكيت : ابطرته ذرعه ، أى
كلفته فوق طوقه .

باب القوة والشدة *

يقال : هو شديد ، اديد (651) ، مصع (652) ، صليب ، ذو أيد ، ولوث ،
أى قوة ؟ ويقال : ماله مجلود ، أى جلادة . والملاوثة : الممارسة . والأضببط :
الشديد ، وشددت على يده ، وقويته . وقد قوى على الشيء . وهذا
مقواة لى على كذا وكذا .

ورجل شديد الخلق : مره . وامرأة مركنة : جيدة الخلق . قال بعضهم :
أصنام الرجال أقوىاؤهم ؟ تال : ولا يستعمل الا فى العبيد . ويقال بالتاء :
اصتام . وفلان ملاحك الخلق (653) وهو جلد ، صنيع ، وكيع (654) ، وهو
صلب العود . فان كان خوارا قيل : لين العود . ورجل مزير ، أى قوى

باب الضخم والسمن

هو سمين ، نحيف (655) ، ناشز القصيرى (656) . وهو ذو جرز ، أى
ذو خلق عظيم . وهو مبدان شكور ، أى سريع السمن ، وهو رنان

-
- (649) اي اجبسا .
(650) المصر : الحلب بأطراف الاصابع .
(651) الاديد : الشديد القوي .
(652) المصع : الضرب بالسيف .
(653) اذا دخل بعضه فى بعض ، انظر المتايبس 238/5 .
(654) الوكيع : الصلب المتين .
* راجع باب شدة الخلق والضخم فى تهذيب الالفاظ ص 129 وباب وصف بنية
الرجل فى الالفاظ الكتابية ص 284 .
(655) تقول : نحس : نحس : نحافة : كثر لحمه فهو نحيف ، ونحس نحوسا :
ذهب لحمه فهو نحيف . والكلمة من الاضداد .
(656) اسئل الاضلاع .

المعدين (657) ، وذلك اذا امتلا شحما ، فاذا ضربت معديه سمعت له رنيناً وضده ، الخفاق الحشا . وهو فعم . ملان . وامرأة متعاونة ، اذا كانت كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والمبهر : الضخم . وفلان جيد الوسط ، جيد الحجة (658) . وقد احتجز (659) بعض لحمه الى بعض . وامرأة رداح : ضخمة العجيزة والمآكم (660) . ويقال : تحلم الصبى ، اذا اقبل شحمه كأنه خرس ، أى دن . والجبل : الجافى الغليظ .

* باب الطول وحسن الخلق *

الشعموم : الطويل الحسن . والعسلوجة من النساء : ذات الخلق الحسن ، وكذلك الخليفة . والمخلق : الحسن الخلق . والشطيب : الطويل الدقيق . فان كان طويلا منحنيا : فهو حاقف .

** باب اللقاء وحالاته **

يقال : ما القاه الا الفينة بعد الفينة ، أى المرة بعد المرة . وما القاه الا عن عمر (661) ، أى بعد حين . وما القاه الا عدة الثريا القمر (662) ، أى الا مرة واحدة فى السنة ، لان القمر ينزل بالثريا مرة فى السنة . ولقيته ذات المويم (663) ، أى منذ ثلاثة أعوام . ولقيته بعيدات بين (664) أى لقيته بعد حين ثم أمسكت عنه ثم اتيته . ولقيته ذات صبحه (665) ، أى حين أصبحت . ولقيته ادنى عائنة (666) ، أى ادنى شىء تدركه العين . ولقيته

- (657) المعدان : الجنيان .
 * راجع باب الطول فى تهذيب الالفاظ من 239 وباب الحسن من 205 .
 ** راجع : باب اللقاء فى تريبه وابطائه : مختصر تهذيب الالفاظ من 360 .
 وانظر باب الوقت والحين فى الالفاظ الكتابية من 252 .
 (658) الحجة : ممتد الازار .
 (659) اهتجز : اجتمع .
 (660) الماكمة : لهمة على راسى الورك ، قال الشاعر :
 وماكمة يضيق الباب منها وكشعا قد جنتت به جنونسا
 (661) المثل فى الميداني 272/2 رقم المثل 3814 وروايته : (ما نلتقى الا عن عمر) .
 أى بعد شهر أو شهرين ، والحين بعد الحين .
 (662) المثل فى الميداني 370/2 رقم المثل 4398 وروايته فيه : (وعده عدة الثريا بالقمر ، وانظر الأساس مادة (عدد) .
 (663) انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل 3270 ، وفى أساس البلاغة واللسان مادة (موم) .
 (664) انظر المثل فى الميداني 196/2 رقم المثل 3363 وفى أساس البلاغة واللسان مادة (بعد) .
 (665) انظر المثل فى اللسان مادة (صبح) .
 (666) انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 وأساس البلاغة واللسان مادة (عين) ورواية المثل فى الميداني : لقيته أول عائنة .

أول ذات يدين (667) أى ساعة غدوت . ولقيته حين وأرى رثى رثيا (668)،
 أى اختلط الظلام . ولقيته حين قلت : «أخوك أم الذئب» (669) ؟ . «ولقيته
 سكة عمى» (670) أى فى أشد الهجرة حرا . ولقيته غشاشا (671)، أى على
 عجلة (672)، ولقيته أول عائنة، وادنى ظلم (673)، كل هذا أول شيء . ولقيته
 صخرة بحرة (674) ، إذا لم يكن بينك وبينه شيء . ولقيته قبل كل صبح
 ونفر (675) ، والصحيح : الصياح والنفر : التفرق . ولقيته بين سمع
 الأرض وبصرها (676) ، أى بارض خلاء ما بها أحد ؟ ولقيته التقاطا (677)
 إذا لم تردده فهجمت عليه . ولقيته نقابا (678) ، أى فجأة . قال ابن
 الاعرابى : مزرت فى طريق فناقبنى فلان ، أى لتينى على غير اعتماد ولا
 ميعاد (679) .

باب الدأب

ما زال فلان ذاك دأبه ، وديده ، وهجيره ، ودينه .

- 667 انظر المثل فى الميداني 178/2 رقم المثل 2247 وانظره فى اساس البلاغة
 واللسان مادة (يدي) .
- 668 فى الاصل (رثا) .
- 669 المثل لتأبط شرا ، انظر جمهرة الامثال 168/1 والميداني 50/1 ، ومعناه :
 اتاني حين اشتبهت الاشباح فى اول ظلمة الليل فلم يعرف شخص الرجل من
 شخص الذئب . انظر ايضا مختصر تهذيب الالفاظ ص 361 .
- 670 ورد فى الامثال : جاء سكة ممي ، ومعناه جاء حين قام قائم الظهيرة ، ومعنى :
 رجل غزا قوما فى قائم الظهيرة ، فصكهم سكة شديدة لصار مثلا لكل من جاء
 فى ذلك الوقت ، لانه كان خالف العادة فى الغارة لان وقتها الغداة . انظر :
 جمهرة الامثال 318/1 واللسان مادة (صكك) والاساس مادة (ممي)
 والميداني 182/2 رقم المثل 3268 وروايته فى الميداني مماثلة لرواية
 - المتخير - .
- 671 انظر اساس البلاغة واللسان مادة غشش .
- 672 انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 .
- 673 انظر المثل فى الميداني 206/2 رقم المثل 3458 ويريدون ادنى شبح . والمثل
 فى اساس البلاغة واللسان مادة (ظلم) .
- 674 انظر المثل فى الميداني 195/2 رقم المثل 3362 : اي خاليا ليس بيني وبينه
 حاجز . وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (صحر) ونوادير ابسى
 مسهل 73/1 .
- 675 ومعناه : لقيته قبل طلوع النجر . انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل
 3267 . وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (صبح ، نفر) .
- 676 قال أبو حبيد : انه لقيه فى مكان خال . انظر الميداني 183/2 رقم المثل 3276 .
- 677 انظر نوادر ابي مسهل 73/1 والاساس مادة لقط 351/2 .
- 678 انظر المثل فى الميداني 198/2 رقم المثل 3381 واللسان مادة (نقب) مادة
 (لقط) وفيه : وردناه التقاطا ونقابا : فجأة من غير ان نطلبه .
- 679 ورد هذا القول فى اللسان مادة (نقب) مع تقديم وتأخير .

باب الامر بفعل ما كان يفعله

يقال : خذ في هديتك ، أى فى أول أمرك . وارق على ظلمك (680) . كما تقول : ارفق بنفسك .

باب فى الجراحات والصرع والوجاع *

يقال : جرحه جرحا ، وخذعه (681) بالسيف ، وخبل يده : أشلها . ويقال : أشمره سنانا ، اذا الزقة به . والأشمار (682) : ان تطمن البدنة (683) فى سنامها حتى يسيل دما . وطعنه فاخثله بالرمح . وطعنه فجوره (684) وكوره (685) ، أى صرعه . وطعنه فسلقه ، أى القاه على ظهره . وقطره : القاه (686) على أحد شقيه . ونكته على رأسه : القاه . وهو قريح ، جريح ، كلیم . وقد أتت آتية الجرح ، أى مدته . وغفر الجرح ، اذا انتقض ونكس . وضيرى (687) العرق بالدم : اهتز . ونعر الجرح بالدم ، اذا ارتفع دمه . وبه آثار من الضرب ، وحبارات ، ونسدوب . واحدها ندب .

باب المرض '688'

يقال : هو مريض ، وجع ، شاك ، وصب (689) . والموصم : الذى يجد وجعا وتكسرا فى عظامه . والدوى : الهالك مرضا . وما بقى من المريض الا شفا (690) . ويقال : ان كان كاذبا فسحفه الله . قال الفراء : السحاف : المسل . ومرض فلان ثم أبل . وأفرق (691) . وبه عداد مرض ، وذلك ان

- (680) فى الاصل : ضلمك (بالضاد)
* راجع باب - الجراحات والقروح - من 64 - مختصر تهذيب الالفاظ .
(681) خذع اللحم : حزره وقطعه من غير بينونه .
(682) الأشمار : الصاتك الشيء بالشيء . انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 64 .
والأشمار : الإدماء بطمن أو رمي أو وجه بحديدة
(683) الأضحية من الأبل والبقر تهدي إلى مكة المكرمة .
(684) جوره : صرعه .
(685) كوره : القاه مكورا مجتما .
(686) زيادة يستقيم بها المعنى .
(687) فى الاصل : ضيرى : بكسر الراء ، والصواب ما اثبتناه . وضرى (بالفتح) سال . وضرا العرق : بدأ منه الدم لا يكاد ينقطع .
(688) راجع (باب المرض) فى مختصر تهذيب الالفاظ من 67 وباب الحمى من 74 . وفى تهذيب الالفاظ 109 و 119 وفى الالفاظ الكتابية باب الأمراض والملل من 172 وباب الحميات واجناسها من 173 . وباب المرض والملة من 300 من جواهر الالفاظ .
(689) وجع ، شاك ، وصب : كلها بمعنى مريض .
(690) أى غير قليل .
(691) يكون الأمرق من مرض لا يصيب الإنسان غير مرة واحدة .

يدعه زمانا ثم يعاوده . والرسم : مس الحمى . والرحضاء : العرق . والورد :
يوم الحمى . قال ابن الأعرابي ، يقال : برئت إليك من كل داء تداؤه (692)
الأبل .

* باب الرمي *

يقال : رأست الصيد : أصبت رأسه . وكليتته : أصبت كليته . وكذلك في
سائر الأعضاء . وهو ميدي ، ومرجول ، إذا أصبت يده ، ورجله . ويقال :
أقعصه ، إذا أجهز عليه . وأصردت السهم من الرمية ، إذا انفذته منها .
وصرد السهم وهو يصرد . ورميته فاشويته ، وذلك إذا تعدى المقاتل .
ويقال : رمى فأنمى ، إذا تحامل الصيد فغاب ، وأصمى : قتله مكانه ، ورمى
فاخطف : أي أخطأ .

باب الكسر '693'

يقال : حطمت الشيء ، وثمته (694) . ويقال : ضربته فوقرت (695)
العظم ، وذلك إذا صدعت العظم .

باب الطبيعة '696'

هي السجينة والسجية . ويقال : هو على آسان من أبيه ، أي على
طرائق . وهذا أمر طبعه الله عليه ، وطواه عليه . وقال :

فما حب أم العمر الاسجية عليها طواني الله يوم طوانسي
طواني على حب لها ونصيحة أجل وأنوف الكاشحين عوان (697)

- (692) في الأصلين : تداووه .
* راجع (باب الرمي) في مختصر تهذيب الالفاظ من 76 - 78 وفي الالفاظ
الكتابية باب الطعن والتصريح من 182 .
(693) راجع باب الكسر في تهذيب الالفاظ من 126 وفي الالفاظ الكتابية من 291 .
(694) في الأصلين : وثمته (بالتاء) وهو تصحيف . ووثم الشيء : كسره ودقه .
(695) في الأصلين : فوقدت (بالدال) وهو تحريف . ووتر العظم : صدعه .
(696) رجع : باب الطبيعة والسجية - مختصر تهذيب الالفاظ من 98 وفي الالفاظ
الكتابية باب كرم الطباع من 162 وباب سلك ملان في طريقة ملان من 5 .
(697) البيتان لابن الدمينية في ديوانه - تحقيق أحمد راتب النفاخ من 30 وروايتها
فيه :

وما حب أم العمر الاسجية عليها براني الله ثم طوانسي
طواني على حب لها وسجية أجل وأنوف الكاشحين عوانسي =

ويقال : تخيل أباه ، وتصيره . ويقال : ما ترك من أبيه مغداة ولا
مراحة ، يعنى من الشبه .

باب الزكاء وحدة الفؤاد '698'

يقال : هذا حديد الفؤاد ، شهم الفؤاد . والاصمان : القلب الفكى
والرأى الحازم . وانه لحول قلب ، أى ذو حيلة وتصرف ويقال : هو نقاب
المى (699) . ورجل حى النفس ، رواع (700) .

باب الشجاعة '701'

يقال : هو شجاع ، نهيك ، رابط الجأش ، احوس ، بطيء البراح ،
مغوار ، باسل ، مشيع . وانه لمسح بالسيف (702) ، هصور ، شديد الغمر ،
زميع (703) ، ماض ، ثبت الغدر (704) حرب ضرب (705) ، أى شديد

= ورد الاول فى مخطوطة مسالك الابصار منسوبا لابن الدمينة وروايته فيه :

وما حب أم الفمير الاسجية عليها طواني الله يوم طواني

وفى (النوادر والتعليقات) للهجري ورد البيتان وقد نسبهما للمخبل القيسى
(كعب) وروايتهما فيه :

وما حب أم الفمير الاسجية براني عليها الله حين براني
طواني على بذل لها ومودة أجل وانوف الكاشحين عواني

- وابن الدمينة هو عبد الله بن عبيد الله الخثمي (ت نحو 130 هـ)
وانظر ترجمته فى صدر ديوانه وفى المراجع التالية :
معاهد التنصيصي 160/1 ونسب اللالي 136 و 264 والمرزبانى 402 وشرح
الشواهد 145 والافغانى 144/15 والشعر والشعراء 617/2 ودائرة
المعارف الاسلامية 161/1 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقسى 1223
ومعجم المطبوعات 104 والتبريزي 131/3 و 145 وبروكلمان : س : 1 : 80
والاعلام 237/4 .
- (698) انظر باب حدة الفؤاد والزكاء - مختصر تهذيب الالفاظ ص 99 - 102 .
وراجع فى الالفاظ الكتابية باب سداد الراي ص 227 وثبات الجنان ص 23
وباب الحصانة واللعنة وصلابة الراي ص 335 - جواهر الالفاظ .
- (699) فى الإمليين : نقاب (بفتح النون) ، والصواب ما اثبتناه ومعناه : الرجس
العلاية .
- (700) رواع : شهم فكى .
- (701) راجع باب الشجاعة فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 102 - 107 والالفاظ
الكتابية ص 62 .
- (702) أى مجالد به .
- (703) هو من اذا ازمع أمرا لم يردده شيء .
- (704) ثبت الغدر : أى الثابت فى الأرض الرخوة ومواقع الزلل ومواقع القتال .
- (705) فى تهذيب الالفاظ لابن السكيت : حرب ضرب (بشكين الرائيين) .

المحاربة والضرب ، عبقرى يمنح حوزته ، ووصفت امرأة زوجها وقالت :
جمل ظمينة ، وليث عريئة ، وظل صخر ، وجواب بحر . وانشد ابن
الاعرابي :

لقد ابقت الايام منى مكلما صفا بصرة (706) ترمى ولا تتزلزل

باب الشرب '707'

المب : الشرب من غير مص . والتغمر : الشرب قليلا قليلا . وشرب فما
بقيت في جوفه هزمة (708) الامتلات . وشرب غشاش : قليل . وتشاففت
الاناء : شربت شفافته ، وهي البقية تبقى منه . ويقولون : « ليس الرى
عن التشاف » (709) وتصاببت الاناء ، اذا شربت صبابته ، وهي مثل
الشفافة : ويقال : اشرب وانتشح ، أى أرو . ويقال : نشح : امتلا . ونصح
روى . ونصح : شرب دون الرى . ورجل صباحان غبقان ، من الصبوح
والغبوق

باب في ذكر الشمس '710'

هى الشمس ، والغزاة ، وذكاء . وتقول العرب : اضاءت (711) ذكاء
وانتشر (712) الرعاء . وهى المهامة . والمهامة : البلورة . وهى الجونسة ،
والبيضاء ، والضح ومن قولهم : قامت الشمس كمين الاقبل (713) . ويقال
بزغت الشمس ، وذرت ، وشرقت . فاذا علت قيل : اشرقت . وتقول :
استوى حاجب الشمس ، وترفع .

-
- (706) فى الاصل : بصرة (بكسر الباء) والصواب ما اثبتناه . والبصرة : الارض
الخليطة ، والصفا : جمع صفاة ، الحجر الصلد الفخيم .
(707) راجع باب الماء وشربه فى كتاب تهذيب الالفاظ ص 674 .
(708) مزوم الجوف : مواضع الطعام والشراب .
(709) انظر المثل فى جبهة الأمثال 190/2 والمبداني 292/2 والمستعصي 295
واللسان والاساس مادة (شلف) ، ويضرب مثلا للفتنة ببعض الحاجة .
(710) راجع باب صفة الشمس واسماؤها ص 231 وباب طلوع الشمس ومغيبها
ص 233 من كتاب مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت وباب طلوع
الشمس ص 285 الالفاظ الكتابية .
(711) فى الاصل : اضاءت .
(712) فى ع : واستنشر .
(713) الاقبل : من كان فى عينيه قبل ، والقبل فى المينين : اقبال نظر كل من المينين
على الاخرى ، ورجل اقبل : كانه ينظر الى طرف انفه .

بَاب شِدَّةِ الْحَرِّ '714'

وغرة التيط : اشد الحر . وقد أوغرنا : دخلنا في الحر الشديد . ونحن في وقدة التيط . واصابتنا وقداث . وهذا يوم ذو أوار ووديقة (715) . قال ابن السكيت (716) : سمعت الكلابي يقول : اتيته في حمراء الظهيرة . وضحيث للشمس ، اذا برزت لها (717) .

بَاب تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْحَرِّ وَغَيْرِهِ '718'

صهرته الشمس ، وصقرته (719) ، واصابه سفع من سموم . ويقال : كافحته السموم مكافحة ، وكفاحا ، اذا قابلت وجهه .

بَاب فِي الظِّلِّ وَالْفَيْءِ

الظل : ما تنسخه الشمس ، وهو بالعداء . والفئء : ما نسخ الشمس ، وهو بالعشى (720) . والتبع : الظل . وظل دوم أى واسع . وظل وأرف (721) ، وقلص الظل : رجع الى مستقره نصف النهار . ويقال : عقل الظل ، اذا استوى على رأسك نصف النهار .

بَاب فِي الْفَجْرِ وَالنَّهَارِ *

وهو الابلق ، والاشقر ، والورد ، والصديع : الفجر . أول ما يبدأ منه .

- (714) راجع باب صفة الحر في مختصر تهذيب الالفاظ من 228 - 230 وشد الحر جواهر الالفاظ من 370 .
(715) الوديقة : الحر الشديد .
(716) انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 230 .
(717) انظر مختصر تهذيب الالفاظ 231 .
(718) انظر من 229 و 230 من مختصر تهذيب الالفاظ .
(719) الصقرة : شدة وقع الشمس .
(720) الظل ما كان أول النهار الى الزوال . والفئء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل فربى تنسخه الشمس ، والفئء شرقي ينسخ الشمس . قال حميد بن ثور الهالي :
فلا الظل منها بالضحى تستطيمه ولا الفئء منها بالعشى تذوق
انظر ديوانه من 40 - تحقيق عبد العزيز الميمني .
(721) في النسختين : وارق ، وهو تصحيف .
* راجع باب صفة النهار واسماؤه من 422 - تهذيب الالفاظ وباب طلوع النهار من 284 - الالفاظ الكتابية وباب سامات النهار من 287 الالفاظ الكتابية .
(722) انظر المثل في الميداني 385/1 رقم المثل 2045 وفي أساس البلاغة 198/2 مادة (غرق)

هو الفرق . وهو « ابين من فرق الصبح ، وقلقه » (722) . ويقال : نشق
 الصبح عن ربحانه . وانشق عن تباشيره ، وانبلج . وهذا وضع الفجر ،
 وقد أنار واسفر . وسراه النهار وضوحه . ويقال : قد قام قرن الضحى ،
 أى أوله . وتلك غزالة الضحى ، ورونتها ، وميعتها . وجاء في ريق
 الضحى (723) ، ورفيقة الضحى ، وأديم الضحى . ويقال : آتتك شد
 الضحى ، وشد النهار . وآتتك في شباب النهار ، وحده ، وذلك صدره .
 ويقال : لا افعله ما وضع النهار . انشدنى أبى (724) :

تالله لولا صببية صغار
 كأنما أوجههم أعمار
 تجمعهم من المتيك (725) دار
 مخافة يمسهم اقتار
 أو رحم يقطعهم وجار
 أو لاطم ليس له سوار
 وبالجناح ينهض الأطيوار
 وقد يعين الشرف اليسار
 لما رآنى مالك جبار
 ببابه ما وضع النهار

ويقال ، إذا ارتفع النهار : قد ترجل ، ومتع ، وتلع . فإذا اشتد الحر
 قيل : اظهر النهار . وذلك حم الظهيرة . وقد صام النهار ، وهى الغائرة
 حينئذ . ومن الفاظ الشعراء : نهار أزهر .

* باب زوال الشمس وبعد ذلك *

يقال : زالت الشمس ، وزاغت ، ودحضت . فإذا صليت العصر فذاك

(723) ريق الضحى : أوله .
 (724) وردت الأرجوزة فى كتاب مبادئ اللغة للإسكاني من 26 وروايتها فيه : ورد
 فى باب من أسماء الحجارة : والنهر ما يملا الكف ويسحق به العطر . قال
 بعض العرب فى النهر :

والله لولا صببية صغار	وجوههم كأنها أعمار
يجمعهم من المتيك دار	درادق ليس لهم دثار
بالليل إلا أن تشب نهار	رعوسهم كأنها أمهار
لما رآنى مالك جبار	ببابه ما طلع النهار

(725) المتيك : الأحمر من القدم .
 * راجع باب غروب الشمس من 286 — الألفاظ الكتابية

الاصيل ، وقصر العشى ، وآتيك مقصرا . فاذا كان بعد ذلك قلت : جنح
الاصيل . فاذا اصفرت الشمس قلت : لقيته في الصفراء . ويقال : غابت
الشمس الا شفا أى قليل (726) .

باب في القمر **

ما لم يستدر فهو هلال ، فاذا استدار فهو قمر . ويقال حينئذ : استدار
وحجر . واذا استوى ليلة ثلاث عشرة فهي ليلة السواء . وبعدها ليلة البدر .
وافتق القمر ، اذا اصاب فرجة من السحاب فخرج . ويقال : أصبحنا مطلقين ،
وبتنا مطلقين ، أى في ليل ونهار ليس فيه حر ولا قتر . واتساق القمر
استواؤه . وهو القمر ، والزبرقان . وقد ادنف القمر للغيوب .

باب الظلمة '727'

هي الظلمة ، والغييب . وليلة ليلاء ، ويوم أيوم . والسمر : الظلمة .
ويقال : جن الليل ، ودجا . وأتانا في جلب الليل ، أى سواده . ويقال :
ظلماء داجية ، وليلة خدارية . ومن الفاظ الشعراء : دجا الليل (728) ،
وانساب الظلام ، واغدف (729) .

باب في الشتاء والبرد '730'

يقال : أشتى القوم : دخلوا في الشتاء . وقد جمد الماء ، وجمس ،
وهرئت العبيد تحت المدر (731) . ويقال : هراة البرد قتله . ويوم احص
أغيير ، وهو ان تبدو الشمس ولا تنفع من البرد . ويقال : افرش القصر :
أقلع

- (726) كتب في هامش الاصل ما نمسه : بلغ عرضا باصله .
** راجع باب أسماء القمر وصفته ص 394 - تهذيب الالفاظ .
(727) راجع باب صفة الليل ص 242 من مختصر تهذيب الالفاظ وباب الظلمة
ص 288 الالفاظ الكتابية .
(728) ورد في الصحاح مادة (دجا) 2334/6 ما نمسه : قال الاصمعي : دجا الليل
انما هو البس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه تولهم : وجا
الاسلام ، أي توى والبس كل شيء .
(729) في النسختين : واغدن ، (بالنون) وهو تحريف ، واغدف الليل : ارخص
سدولسه .
(730) راجع باب البرد والزمهير ص 260 - الالفاظ الكتابية .
(731) الطين المتناسك اليابس

باب متخير الفاظهم في الحر *

يقال : حر يومنا ، وقاظ . وهذا يوم ومد (732) . وهذه هاجرة هجوم ، تهجم العرق : تخرجه . وهجم فلان ما في ضرع ناقته (733) . ويوم هجان (734) وقدان . ويقال : أيام معتدلات : طيبات ، ومعتدلات بالذال معجمة شديداً الحر .

باب الليل والنهار **

الملوان : الليل والنهار ، والجديدان والاجدان والفتيان ، ولا أفعل ذلك ما اختلف ابنا سمير . ويقال : تمليته حيناً ، أى عايشته . ولا أفعل ذلك عوض العائضين (735) . ولا أفعله آخر المسند (736) ويد الدهر ، أى آخره . ولا أفعله ابدا الا بيد ، وابد الآباد . ويقال : أتى عليه الدهر ، وطالت به الطيل . والأزلم الجذع : الدهر . واختلف عليه الردفان : الليل والنهار .

باب السماء والسحاب وغير ذلك

هى السماء والخضراء والخلقاء . وأم النجوم : المجرة . والنشء (737) أول ما ينشأ السحاب . ويقال : خرج له خروج حسن . والصبير (738) : السحاب الابيض . والقزع : القطع منه المتفرقة . والعنان : السحاب المعترض . وقد هاج السحاب : اذا خرج من العين ، واذا اغبط ايأما (739) يقال : الك . ونحن منذ أيام تحت عين . والطوارق : السحاب يطرقن ليلا . والجهام : الذى هراق ماءه . ويقال : لمن جاء بالخبيبة : جاء بجهام قد هراق ماءه . ويقال : أرشمت السماء ، اذا بدا منها برق . وتبسم البسرق ، وانكل (740) . وضحك السحاب : اذا برق . وبكى : اذا رعد . وتوالسى السحاب : اعجازه .

- * راجع باب العيظ والحر — الالفاظ الكتابية ص 259 وباب صفة الحر في تهذيب الالفاظ ص 383 .
- (732) الود : شدة الحر مع سكون الريح .
- (733) أى حلب كل ما به .
- (734) لعلها : وهجان .
- ** راجع باب الأزمنة والدهور من مختصر تهذيب الالفاظ ص 300 وتهذيب الالفاظ ص 500 وباب بمعنى لا أفعل ذلك أبداً — الالفاظ الكتابية ص 189 .
- (735) مرض العائضين : أى دهر الداهرين .
- (736) المسند : الدهسر .
- (737) فى الأصل : النشؤ .
- (738) فى الأصل : العبير . وهو تعريف .
- (739) أى ثبت مكانه لا يقلع .
- (740) لمع لمعانا خفيفا .

باب المطر *

أول المطر : الوسمى لأنه يسم الارض بالنبات . والولى : هو الذى يليه .
والجدا : العام . واستهلت السماء ، اذا ارتفع صوت وقعها . و (التتسى
الثريان) (741) : يريد ندى المطر القديم وندى الحديث . ويقال : أصابنا
جار الضبع ، وهو الذى ليس فوقه شىء (742) . وغيثت الارض فهى
مغيثة ، وقد غثنا . قال ذو الرمة : « ما رأيت أفصح من أمة بنى فلان ، قلت
لها : كيف كان المطر قبلكم (743) ؟ قالت : غثنا ما شئنا » (744) . وسيل
أرتى : جاءنا من سوى أرضنا . وأتانا مطر فجال : لم يدع شيئا الا جال
عليه . ودهنت (745) السماء الارض ، اذا بلتها . وقد نصرت أرض بنى
فلان ، أى مطرت .

باب الريح **

يقال : سرب الريح ، اذا هبت بليل . قال :

الا حبذا الارواح من قبل الحمى ويا حبذا بعد المنام انتيابها
جنوب سرت من ساكن الهضب بعدمها
مضى الليل واعتز النجوم انصيابها
انتتنا برياً من خزامى وحنوة (746)
بمبياء (747) لم تحلل خصيب جنبها

-
- * راجع باب مطر ص 443 - جواهر الالفاظ .
(741) يضرب مثلاً فى سرعة تواد الرجلين ، او سرعة الاتفاق بين الرجلين والامرين .
انظر المثل فى الميداني 184/2 رقم المثل 3278 والاساس 92/1 .
(742) رواية المثل فى الميداني 394/1 رقم المثل 2091 : « أصابنا وجر الضبع » .
وهو مثل تقوله العرب منذ اشتداد المطر ، يعنون مطراً يستخرج الضبع من
وجارها .
(743) فى متن الاصل : عندكم . وكتب فوقها لفظة : تبلكم ، واظنها تصويبا لها ، او
رواية اخرى .
(744) انظر هذا القول فى : المتايبس 403/4 ، والبيان والتبيين 71/2 ومخسر
السودان على البيضان (رسائل الجاحظ) 178/1 و المخصص 120/9
والمزهر 153/1 والاصلاح 255 ومجالس نعلب 288/1 واللسان 480/2
وصفة السحاب والغيث لابن دريد - طبعة ليدن ص 39 .
(745) دهنت بالتشديد هكذا فى الاصل والذى فى المعاجم بدون تشديد .
** راجع باب الرياح وهبوبها - الالفاظ الكتابية ص 274 .
(746) الحنوة : الريحانة .
(747) مبياء : الارض اللينة السهلة من غير رمل .

ومن الفاظ الشعراء في الريح : هوجاء ليس للبحا زبر (748) . ويقولون :
ريح تلتهم الجبال ، وريح زفوف التوالى (749) ، رحبة المنتسم . وريح
هيك نياف (750)

باب الفاظ مفردة مستحسنة

في الحديث : « اللهم أشدد وطأتك على مضر » * أي ضيق عليهم . قال
الخليل : مدهته في وجهه ، ومدحته إذا كان غائبا . ويقال : وركت الشمس
زالت . ويقال : لا يحل لامرئ أن يؤمر مفاء على مفىء ، قال معناه لا يحل
مولى على عربى ، لان المولى مفىء للعرب (751) . ويقال : أصابه في ارباع
جبينه ، أى نواحيه . ولا يقال نجم الا للثريا ، ولا كوكبة الا للزهرة (752) .
ويقال : خذ حثك مسمطا ، أى مرسلا جائزا . ويقال : سمط غريمه أى
أرسله . ويقال : بهم حار الخطاء (753) ، أى نزل بهم ان يتحيروا . (وهو
نسيج وحده) (754) أى ولد وحده ، ولم يكن توأمًا فيكون فيه ضعف .
وفلان يحدث الاباجير ، أى الاباطيل . وهذا شىء أطول به ، أى اتطول
واتفضل . ويقال : غالق على فرسه ، أى راهن عليه . ويقال : أفرع فزاعيه ،

(748) اي ليس لها عقل ينهاها . وهو مجز بيت لابن احمر نمه :

ولمت عليها كل معمصرة
هوجاء ليس للبحا زبر

انظر البيت في اعداد الأنيارى من 296 والكتاب 272/2 والاساس 392/1
وروايته فيه : ولمت عليه كل معمصة واللسان 403/5 وروايته كرواية
الاساس .

(749) جاء في اللسان 36/11 عن التهذيب : الريح ترف زفوفًا وهو هبوب ليس
بالشديد ولكنه في ذلك ماض .

(750) الهباب : ريح حارة تهب من اليمن وقيل باردة ، والنياب : المرتفعة .

* جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الوتر -
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم) ، وتنته : وأجملها عليهم سنين كسنى
يوسف 33/2 . ورواه مسلم في باب استحياب القنوت في جميع الصلاة 467/1
وفي النهاية في غريب الحديث والاثر 200/5 ونصه : اللهم أشدد وطأتك على
مضر وفي الجمان في تشبيهات القرآن من 347 : اللهم أشدد وطأتك عليهم
وأجملها سنين كسنى يوسف وانظر اللسان مادة (وطأ) 192/1 .

(751) جاء في الحديث الشريف (لا يلين مفاء على مفىء) ورد في (النهاية) 483/3 ،
المفء الذي انتحمت بلدته وكورته فصارت مينا للمسلمين .

(752) جاء في اللسان 216/2 مادة كوكب : « سمعت غير واحد يقول للزهرة من
بين النجوم الكوكبة يؤنثونها وسائر الكواكب تذكر » .

(753) الخطاء : هو الخطأ .

(754) أي ليس له ثان . كانه ثوب نسيج على حدته ليس معه غير . ويضرب مثلا لمن
بولغ في مدحه . انظر : الفاخر من 40 رقم المثل 84 ، واللسان 200/3 مادة
(نسيج) والاساس مادة نسيج .

أى أخرجها من أسفل ثيابه . ويقال : تدبرت الرجل اذا نظرت اليه من خلفه وهو يمشى أو هو قاعد . ويقال : لو لقيتني وأنا على دين غير هذا ، أى حال غيرها (755) . ويقال : رجل بشع لا تأخذه العين . ويقال : احمق ، بلخ . يبلخ على الناس : يتكبر . ويقال : أمر معهود اذا كان أمس . وأمر موعود ، أى يكون غدا (756) ويقال : بينهم ذمة ، أى ألفة . ورجل ميل : ذو مال . وفى الحديث : (الدموع خفر العيون *) ، الخفر : جمع خفرة وهى الامان . يقول : هى امان لها من النار . ويقال : كذب ، ودجل . ومشر أهله ، أى كساهم وأعطاهم . ويقال : تكلم الكرع ، أى السفلة . ويقال : شر المال القلعة (757) أى الذى يتحول عنه . وفى الحديث : « ما رؤى ضاحكا متشطيا » (758) ، أى ضاحكا شديدا . ويقال : استشاط الحمام ، أى طار . وهو نشيط . وفى الحديث « اعفوا الصيام » (759) ، أى لا تمسوا النساء ، وكونوا عنهن اعفاء . ويقال : هلالنا تمر ، أى هو كبير مضىء . ويقال : لا يقبل الله عز وجل من الدعاء الا النخيلة ، أى ما يتنخل ويختار (760) . ويقال : ما أكلت اليوم الا علقه من طعام ، أى شيئا قليلا . ويقال : فتنة ناقرة ، أى تنقر البطون : تشقها . ويقال : هو كالجمل الرداح لا غدو ولا رواح . الرداح : الثقيل . ويقال : نام نومة رداحا . ويقال : لك ذلك على غيراء ظهره ، أى هو لازم له ، وذلك اذا طلب الرجل الى رجل حاجة (761) . ويقال : تخلع فى الشراب اذا شرب الليل والنهار . ويقال : مجنون ، محنون (762) ، الحن : ضعفاء الجن . ويقال : نظر فلان نشفعت عينه ، اذا رأى الشخص شخصين . ويقال : ما عليه وراء ، أى ليس عليه شىء يواريه . وفلان خير من فلان بالمثلين أى هو خير منه مرتين . ويقال : أضل الدليل الطريق ثم انتعش ، أى أخذ بعد ذلك الطريق . ويقال : هو يتتفر العلم ، أى يطلبه (763) . وهو

- (755) جاء فى اللسان 28/71 مادة (دين) : قال النضر بن شميل سألت اعرابيا عن شىء فقال : لو لقيتني على دين غير هذه لاخبرتك .
(756) ورد فى التهذيب 137/1 مادة (عهد) : « وقال النضر بن شميل : تسأل الخليل بن أحمد : فعل له معهود ومشهود وليس له موعود . قال : مشهود هو الساعة ، والمعهود ما كان من أمس ، والموعود ما يكون غدا » .
*
(757) فى الأصل بفتح القاف ، والقلعة : العارية ، ولا تدوم فى يد مستميرها بل تنقلع الى مالكها . وفى الحديث الشريف (بنس المال القلعة) : انظر النهاية 102/4
(758) نص الحديث فى النهاية 519/2 : ما رؤى ضاحكا مستشطيا .
(759) لم أرف له على تخريج بهذا اللفظ .
(760) فى الحديث الشريف : لا يقبل الله من الدعاء الا الناخلة . النهاية 33/5 .
(761) راجع اللسان والاساس مادة (غير) .
(762) المحنون : الذى يصرع ويفيق زمانا .
(763) فى الحديث الشريف : النهاية 210/3 : قبلنا ناس يتتفرون العلم .

جميل دوائر الوجه ، أى نواحيه . ويقال : حاجة حائجة أى مهمة . ويقال : ولدت بالمدينة ، وبها اتلدت ، وأتلدت ، أى وبها ولد لى الولد والمبيد والاماء . ويقال : قضاه حقه بعد الحى واللى ، أى بعد ما حواه أى ضمه ولواه أى مطله . ويقال : بياك الله أى رفئك (764) وببيت البناء : رفعته . ويقال : رجل ذو فوق أى هو صحيح العمل . والسهم ما دام ذا فوق فهو صحيح ، فاذا ذهب فوقه ذهب ، ويقال : (765) تركت الامر شأوا مغربا أى بعيدا . ويقال : أصابت الارض خطرات من مطر أى فى مواضع متفرقة . ويقال : تغنى فلان بفلان أى هجاه . ويقال : هو مهذب العود تقذور للقذى . ويقال : أرض حبرة أى مخضرة . ويقال : احاط القوم بالقوم ثلاثة أطواق ، أى ثلاثة صفوف . ومتى انت منا ، أى متى تاتينا . وتقول : استضحيت استضحاء ، أى جلست فى الضح ، وهى الشمس . ويقال : قد عسكر الليل (766) أى سد المناظر . ويقال : هو اخلق من المال ، أى ليس له مال . ويقال : كان ذاك حين غارت عينه ، أى نامت . ويقال : رزق فلان الكنيت ، أى يكتت اليه من الرزق ما يريد . يكتت : يضم . ويقال : شعبت بين الناس أى فرقت جمعهم . ويقال : لا يوقى من لا يتوقى . ويقال : مثل الماء أعز منقود وأهون موجود . وفلان من أذرع الناس خطوا ، أى أسرعهم ، وفلان كريم السن أى الاصل ، ويقال : تمرس الرجل فى امانتبه أى أخفها (767) . ومن الالفاظ السهلة تولهم : فلان حسن التوصل ، لطيف التوصل ، ويقال : فلان كميم عن الحجة (768) ، اذا كان لا يقوم لحجة نفسه ومن الفاظ الشعراء : هذا يوم منسدل السحابة ماطر . وهذا امر لا يحصى ولا يقصى أى لا يبلغ أقصاه . ويقال : ذهب القوم تحت كل كوكب . وذهبوا عباديد (769) وايدى سبا . وذهبوا أخول أخول (770) وفى وفلان عن اموال الناس مسكة أى امسك . وشعروحف (771) ، غداف اللون ، غريب (772) . تقول لليوم الذى يقصره السرور : كوم كابهام القطاة ،

- (764) من معاني بياك : تصدك بالتحية ، وتربك واضحك وبواك منزلا . راجع (الفاخر) ص 2 .
(765) الفوق فى السهم : موضع الوتر منه .
(766) أى اظلم ، وعسكر الليل : ظلمته .
(767) قدر ونقض العهد .
(768) كوم الوماء : شد رأسه ، وكوم البعير : شد فيه ، وكوم الخوف فلانا : دفعه فلا يرجع .
(769) العباديد : الخيل المتفرقة فى ذهابها وايابها .
(770) أى واحدا بعد واحد .
(771) أى كثيف .
(772) الاسود العالك .

ويوم كإبهام الحباري (773) ويوم كسألقة الذباب . ويقولون في قصر الليل:
 لم يكن غير شفق وفجر . واختلج الهم في الصدر واعتلج . ويقولون :
 زفرات يألمن قلب الجليد . (774) . ويقولون : مات حقدى بحياة عذرك
 ويقولون : لا تجرني مرارة امتنان الشافعين . ويقولون في الخمر :
 تخالس العقل وتسرع في الوفر . ويقولون : قضمت الخمر ما له . ويقولون :
 لا أفعله ما حسن الصبا بالشباب . ويقولون : ليس لحديث الموموق (775)
 ثمن . ويقولون : نظر غرب عائر ليس بقاصد . قال : وانشد الفرزدق قول
 سالم بن دارة :

امن نظر غرب بكيت صبابة وقد تمرح العينان للنظر الغرب (776)

قال : قاتله الله ، ما امرح المينين احد قبله . ويقولون : عصى الدمع (777)
 امر الصبر . ويقول الشاكي : فلان عذاب رعب على به الدهر (778) وهذا
 امر اضحى من الشمس . ويقولون : فلان اذا سأل الحف ، وا (ذام) (779)
 سئل سوف (780) ، واذا حدث حلف ، واذا وعد أخلف . ويقولون : هو
 ينظر نظر حسود ، ويعرض اعراض حقوق . وما يبالي فلان على أى

(773) ورد في مجمع الامثال للميداني 128/2 رقم المثل 2970 : اتصر من ايهام
 الضب ومن ايهام الحباري ومن ايهام القطاة وانظر المعاني الكبير 651/2
 والمستقصى 283/1 رقم المثل 1197 و 1199 .

(774) مجز بيت لبشار بن برد ومصدره : عندها الصبر من لقائي وعندي انظر
 ديوانه 272/2 . ورواية المجز في الاغانى 187/3 : زفرات ياكلن قلب
 الحديد . وانظر ترجمة بشار بن برد (ت 167 هـ) في وفيات الاعيان 88/1
 ومعاهد التنصيص 289/1 وتاريخ بغداد 112/7 والشعر والشعراء 643
 وامالي المرتضى 96/1 وخزانة البغدادي 541/1 والافاني (طبعة دار
 الكتب) 135/3 و 242/6 والكمال للبرد 134/2 ونكت الهميان 125
 والبيان والتبيين 49/1 والاعلام 24/2 والنهرست 159/1 وطبقات ابن المعتز
 2 - 5 والنجوم الزاهرة 53/2 والموشح 246 وأبو الفداء 11/2 ولسان
 الميزان 15/2 ومجمع المؤلفين 44/3 .

(775) الموموق : المحبوب .

(776) البيت لسالم بن دارة الغطفاني ، شاعر مخضرم (ت نحو 30 هـ) ، انظر
 ترجمته في : الشعر والشعراء 315/1 والخزانة 289/1 و 557 والافاني
 254/21 والاصابة 161/3 والموظف 166 وفضل القتال 22 والميداني
 154/2 والمسكوي 217/2 والسميط من 688 و 862 وشرح التبريزي
 205/1 والاعلام 116/3 .

(777) في النسختين : الدمع (بفتح الميم)

(778) يضرب مثلاً لمن استقبله الدهر بشر شديد ، وروايته في الميداني : 34/2
 رقم المثل 2542 : مذاب رعب به الدهر عليه .

(779) ما بين سا () ساقط من النسختين .

(780) انظر المثل في مجمع الامثال 29/1 رقم المثل 112 ، قاله عون بن عبد الله بن
 عتبة في رجل ذكره .

قطريه (781) وقع . وفلان متشبه اذا كان ممزوج الحسب ، ومثله ذو
الوصم ، وفو القادح ، ومثله المدخول (782) ، وذلك كله الذى فى أصله
مغمز . ويقال ، للرجل الداى : هو داهية الغبر (783) . ويقال : هو الذى
لا يستقيم منه امر الا انتقض من جانب آخر ، شبه بالدبرة التى بين اعلاها
واسفلها دو . ويقولون : رجل مسبه أى ذاهب العقل . ورجل مسفار : قوى
على السفر . ويقولون رجل مشؤوم ، احص ، انكد ، نحس ، دا حس (784)
ورجل هدار ، وهذار ، كثير الكلام . وهجار : كثير الجلبة ، وربذ ،
ومهرق (785) . فاذا كان قليل الكلام قيل : نزور مسيك ، قدع . ويسمى من
الادلاء الذى يشم التراب : السواف ، والذى يعرف الماء تحت الارض
الارض السمام ، والذى يزجر الطير العائف ، والذى يضرب بالحصى
الطارق (786) ، والذى ينظر فى الخيلان الحازى ، الذى ينظر فى الاعضاء
القائف . وفى صفة الصحارى : جداء (787) مثل الترس . وفى صفة السيوف :
يقيل الموت تحت ظلماتها . ويقول الرجل لآخر : لترغب فى كذا ؟ فيقول نعم
بمبنى . ويقال : هذا امر مرغ ، أى يرغب فيه . ويقال : تطاوت بهن
النوى ، ويقال : زفت ، ورمت بهن المرامى . ويقولون : طوارق هم احتضرن
وسادى . ويقال : فلان كدر العيش ، مرثق العيش ؟ ويقال : طواه الدهر
ودارت عليه صروف الليالى ، اذا مات ، ويقال : التى مراسيه بالمكسان :
أقام به ، ويقال : ذكت نار الشوق فى فؤادى ، ويقال : كان ذلك فى نهضة
الضحى . ويقول قائلهم :

كأنى اخو ظمأ سدت عليه المشارع

ويقال : شرب حتى نقع ويضع ، وهذا ماء نقوع وبضوع ، أى
مرو (788) . وغبر الهوى والشىء : بقاياها . ويقال : استوى حاجب الشمس
وترفع . ويقال : ليس للمقيد الا أن يحن - وتقول : مزجت الشنراب
وشججته ؟ ويقال : صرفه اذا شربه صرفا . ويقال : « سدك بامرئ »

- (781) أى على أى شقيه .
(782) الذى ينتسب الى قوم ليس أصله منهم .
(783) جاء فى اللسان مادة غبر 306/6 : داهية الغبر : داهية عظيمة لا يبتدى لملها
قال أبو عبيد من أمثالهم فى الدهاء والأرب : أنه لداهية الغبر .
(784) أى بنسب .
(785) هكذا فى الاصلين ولعلها مهرف (بالفاء) من الهرف : وهو الهذيان .
(786) فى النسختين : الطارق (بضم القاف)
(787) أى يابسة لا ماء فيها .
(788) من أمثال العرب : حتام تكرع ولا تنقع : انظر الصحاح 1293/3 و (حتى
متى تكرع ولا تبضع) : انظر الصحاح 1187/3 .

جعله « (789) اذا ابتلى بمن يمازحه . ومن الفاظ الشعراء : ما سرق سرق
منى سارق . ويقال : الطير تحوم حول الماء ، وتلوب ، وتسوم ، وترنق (790)
ويقال : فعلت ذلك والزمان وريق . ويقال : غضب عليه وكسر فيه حرنسا
به (آ) . وفلان ييسمو (791) بعرنين اشم . وفي الذم : لا يعاف ظلامته ،
ولا يعلم اين الوفاء من الغدر . وسقناهم على صغر (792) . ويقال : هو
أقصر يدا ، والأم من أن يبلغ على الامر . ومن الأبيات التي يتمثل بها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا ولكن باطراف الردينية السمر

ويقال : لقيناها فما خمسوا فينا بناب ولا ظفر . ويقال : بات فلان
بحيث بنى اللؤم (793) بيته ، ويقال : سنع فلان لى وبرح لأكله فما كلمته
كأنه يريد آتاني من كل جانب (794) . ويقال : كان ذاك في أيام الصبا (795)
وفي ليالينا العوارم . هذه أرض بيداء محال ، وهذه أرض نازحة
الصوى (796) أى الاعلام . ويقال : بك تثبت (797) رعى هذا الامر .
ويقال للقوم يوصفون بالفضل والشرف والحسب : أولئك قوم عين الماء فيهم .
ويقول : الى الله منك المشتكى والمعول (798) . ويقال : استدارت عليهم

- (789) انظر جمهرة الامثال 217/2 وفيه : سدك به جعل وهو دويبة تتبع الذي
يريد الغائط . ويضرب لمن يفسد شيئا والمثل في الميداني 342/1 رقم المثل
1822 وهو في المستقصى 118/2 رقم المثل 408 وفيه . يضرب لمن لج به من
يدغمه عن حاجته وهو في المعاني الكبير 269/2 .
(790) ترنق : اي تخفق بجناحها
(ت 1) : لعلها : حد نابه .
(791) في الاصل (يسموا) بزيادة الف .
(792) هو الصفار والذلة .
(793) الواو غير مهموزة في الاصل .
(794) السنانح : ما يأتي من اليمين والعرب تتعامل به . والبارح : ما يأتي من
اليسار والعرب تتشائم منه .
(795) في الاصلين : الصبي .
(796) الصوى : جمع صوة وهي الحجر يكون علامة للطريق .
(797) رعى : في الاصلين رعا .
(798) عجز بيت للاخطل وتباه :

لقد أوتع الحجاب بالبشر وقمة الى الله منها المشتكى والمعول

انظر : ديوان الاخطل ص 10 وانظر ترجمة الاخطل وهو غياث بن غوث
التخلي (ت 90 هـ) في ديوانه وفي المراجع التالية :
الافاني (طبعة دار الكتب) 280/8 والشعر والشعراء 393 وشرح شواهد
المغني 46 وخزانة البغدادي 219/1 ودائرة المعارف الاسلامية 515/1
والموشح 132 ومعجم الشعراء 21 وكشف الظنون 774 وتغائن جريير
والاخطل 52/3 والامام 318/5 ومعجم المؤلفين 42/8 .

عقاب المنايا . ويقول : خيل انطوت من السرى . ويقال : نحن في محله
 محلال (799) . ويقال : شردهم واذلهم . ويقال : حل فلان صرار الشر ،
 ويقال في القوم يفلون بعد العز : صارت أيمنهم أشملاء ، ويقال للأمر يشتهر :
 تد تصفت به الأحاديث ، ويقال للرجل يسكن الأمر الهائج : قد جذ أخية
 الشغب (800) . ويقال : له ملك لا طريف ولا غضب . وفلان مستخسف
 للنوائب ، وهذه حرب عضوض . ويقال للبخیل : هو عارى الخوان . ويقال
 للرجل يسر بصنيع نفسه : انما أجریت وحدك . كما يقال : « كل مجسر
 بالخلاء يسر » (801) . ويقال : عيش كحاشية البرد ، وعيش كحاشية
 الفرند . ويقال : فرس حطم (802) عثور (803) ، ومضى فرسه لا طبعا
 ولا مبهورا (804) . ويقال : في بنى فلان رباط اللؤم (805) . ويقال للرجل
 يشتد عليه الأمر : لقد لاقيت مطلقا (806) وعرا . ويقال : سيقت نساؤهم
 سوق الجلائب (807) . ويقال : جاء بجيش كسواد الليل . ويقال : وسمه
 وسما ذا حبار أى ذا اثر . وسيوف رفاق (808) النواحي كانها عقائق .
 ويقال : تركوا اسرى وقتلى وأشلأ مفادرة . ويقال للاحمق : هو
 يتهوك (809) . ويقال : له حسب اشم ونبعة لا تتطع . ويقال للذى يستذل :
 له نبل قصار وقوس ليس فيها منزع (810) . ويقال : ضاق به الطريق وعز

799 هي التي تحل كثيرا .
 (800) في ا : أخية ، والنصوب من (ع) . وفي النسختين : الشغب وهو تصحيف
 والصواب : الشغب وهو تهيب الشر . قال الاخطل :

لقد علمت تلك القبائل اننا مصاليت جذامون أخية الشغب
 وأخية وأخية وأخية بمعنى وهي الخشبية التي تدفن في الارض تربط
 بها الدابة . ومعنى العبارة : انه استاصل دعائم الشر .
 (801) انظر المثل في : جمهرة الامثال 142/2 ، يضرب مثلا للرجل يعجب بالفضيلة
 تكون منه من غير ان يتيسر بفضائل غيره . وفيه : في الخلاه . وانظر فصل
 المقال 172 والمبدائي 54/2 والمستقصى 269 والبيان 203/1 والحيوان
 88/1 .
 (802) المهزول المسن .
 (803) الكثير العثار .
 (804) الطبع : اللؤم والدنس ، والمبهور : المتطع النفس امياء قال جرير في وصف
 السيف :

وإذا هزرت تطعت كل ضريبة وخرجت لا طبعا ولا مبهورا

(805) الواو في الاصلين ساقط المهمة .
 (806) مطلع الجبل : مصعده وماتاه .
 (807) الجلائب : ما يجلب من خيل وابل من بلد الى آخر للبيع .
 (808) في النسختين : رقان وهو تحريف .
 (809) التهوك : التحير والوتوع في الامر على غير بصيرة .
 (810) في الاصل : منزع (بفتح الميم)

عليه الورد والصدر. ويقال للممدوح (811): يقصر دون غلوته المغالى (812) ويقال: تركت القوم يديرون الامور اذا دبروها. ويقال: فلان نبعة قومه يعصبون به. ويقال: تعايا به الايراد والصدر، اذا عى بأمره. ويقال في الذم: قوم تناهت اليهم كل فاحشة. ويقال: كان ذاك وفي عيشنا غرر. ويقال للقوم يوصفون بالجشع: هم خضع الى الطمع القليل. وفي المدح: هم نجب من السر العتيق. ويقولون: مكان متماحل جذب المعرس، ومكان نابى المناهل طامس الاعلام. ويقال: له ملك أفنيح (813). ويقال: ما عجوزه بمنجبة، ولا أبوه بنحيل. ويقال: هو عز بناه الله يوم بنى الجبال، ويقال للشجاع: يستهزم الجيش باسمه. ويقال: كان ذاك حين لا ينبع زماننا بزمان. ويقال: أنت على وضع السبيل. ويقال في ذكر الشرف: باذخ، صعب الذرى، ممتنع الاركان. ويقال: دعوت فلانا فانجد الدعوة، اذا أجاب. ويقال: فلان حسن الجهر، أى الهيئة والمنظر. ويقال: ما هو بذى طعم، أى ليست له نفس ولا حيلة ولا نجدة، ويقال: أنت أبطنت فلانا دونى، أى جعلته أخص منى (814). ويقال: بينه وبينه شأو بطين، اذا كان ما بينهما بعيدا. ومن باب التخصيص: باطن فلانا فلان وظاهره (815) اذا كان يعلم أمره كله، ويقال: تفرع فلان القوم اذا ركبهم وشتمهم. ويقال: بثس ما أفرغت بهذا الأمر، أى بثس ما ابتدأت به. ويقال: للرجل اذا تزوج في أشراف القوم: تفرع في بنى فلان. ويقال: هو الزم لك من شعرات قصك (816)، ويقال: فرس ينم أنفاس الجياد، وذلك اذا اتعبها حتى تنبهر وترتد أنفاسها في اجوافها. وفي كلامهم: ذهب كلب (817) الشتاء، ووجد الدفء (818)، وساخ الثرى، وماد (819) العرق، وأورق العود، واختلفت رؤوس (820) الابل، ولفظت الارض النبات. ويقال: استجزرت الغنم اذا سمنت. ويقال: ليل غداف (821) الاهداب، ويقال: رجل الوث بطيء منتشر غير احوذى ولا مشمر. ويقال: اقبل

- (811) في الاصل الواو ساقطة .
(812) المغالى: الراجع يده بالسهم يريد به اقصى الغاية .
(813) الامنيح: الواسع .
(814) في اللسان 200/16: ابطنت الرجل اذا جعلته من خواصك . وانظر العبارة في اللسان في الموضع المذكور مادة (بطن) .
(815) في الاصلين: ظاهره .
(816) القص: الصدر، وانظر المثل في جميع الامثال 250/2 رقم المثل 3714 وروايته فيه: « الزم من شعرات القص ». والمعنى انه لا يفارقك .
(817) اي حدته .
(818) في الاصلين: الرف (بالراء) وهو تحريف .
(819) في الاصلين: ماد بدون همز، وماد العرق: امتلا ربا .
(820) في الاصلين: رؤس بواو واحدة .
(821) في ا: غداف، تصحيف .

صارا ما بين عينيه (822) من الغضب . ويقال : انا استوثق منه واستمهد .
ويقال : أيام غر محجلة ، وأيام طوال وكبار . ويقال : هو شيطان يخاه .
ذبابه . ويقال : فعلت به ما ساء وجهه ، ويقال هو عنيف عاف (823) عن
كل قبيح . ويقال : هو شؤم (824) الدغشوم . ويقال : جاء بجيش كركن
الطود لا تسابير حجرتاه ، (825) ويقال : ما ردك عنى بقيا على ولكن لم
تجد متقدما . ويقال : مفازة (826) مثل ظهر الاديم مسحاء مابها اثر .
ويقال : اتانا بعد طبق من الليل (827) . ويقال : اتانا أمر طبسق ، أى
عظيم (828) . ويقال : ما تتعدنى عنك شغار (829) ، أى ما عاقنى . ويقال :
أرض بعيدة لا يقصيتها البصر ، أى لا يبلغ أقصاها . ويقال فى الدعاء : امض
أصبت غنامة وسلامة .

ويقال : هو فى عيش ماصر ، أى بلافة لا خير فيه ، وهو من قولك عنز
مصور ، أى قالصة اللبن . ويقال : لهم غلة يمتصرونها ، أى يأخذونها (830)
قليلًا قليلا ، ويقال : فسد الجرح ، وعرب ، وخرّب ، وفى لسانه خرب أى
فحش ، وليس هو من الخرابة ولكنه من الخرب . قال :

أرحنى واسترح منى فانى ثقيل محملى خرب لسانى (831)

ويقال : ناهيك به وجازيك به (832) . ويقال : له عيال متضانون ، اذا
كثروا وقل مالهم . والاصل الضف فى العيش والقتلة ، ويقال : أتت عليهم
السنة وازمتمهم (833) ويقال : جاء حين انفتق ضوء الصبح . ويقال : مضى
ذلك الدهر ونسل . ويقال : هو جواد يعطى الرغائب . ويقال :

وكان ضياء يتبع الناس أمره كما يهتدى السارون بالقمر البدر

- (822) أي بعض ما بينهما .
(823) فى النسختين : حاف .
(824) فى الاصلين : توم ، وهو تعريف .
(825) حجرتا الجيش : ميمته وميسرته .
(826) المفازة لغة المنجاة ، سميت بذلك تناولا .
(827) طبق الليل : معظه أو بعضه .
(828) وجاء فى نوادر أبى مسحل 22/1 : نزلت بهم احدى بنات طبق وهى الدواهي .
وانظر اللسان مادة طبق 83/12 .
(829) فى أ بضم الشين والصواب ما أثبتناه ومعناه : العداوة والطرده والنفي .
(830) فى أ : يأخذنها .
(831) البيت فى مقاييس اللغة 353/2 مادة (خرب) من غير مزو . وهو فى اللسان
مادة (خرب) 372/1 من غير مزو . وهو فى أساس البلاغة مادة (خرب)
295/1 من غير مزو أيضا .
(832) بمعنى حسبك به .
(833) أى استاصلتهم .

ويقال : تهدم عرشه ، وشالت نعامته : وأشرف على الردى . ويقال :
هو معيب ، موصوم الأديم . ويقال : هو يحطب على نفسه النكراء . ويقال :
للرجل يصاب بشدة بعد شدة : هو يعل بجذع بعد عقر . ويقال : فرس
سامى المعذر (834) صافى أديم الخد . ويمدح الرجل فيقال : هو معقل
الجانبيين (835) . ومؤتلف الغارمين . وجاء فلان فى ليف واشابات ملزقة .
ويقال : البغى مصرعه ، والبغى مقصمة ، ويقال للأمر يكون ثم يمضى :
درجت ما درجت ثم انقضت ، يشبه بالليله تمضى . ويقال (836) : نظرت
اليه فرويت منه عيني . ويقال : تهور كبر الليل (837) ويقال : رجل حاد اخو
مشايحة (838) ذفيف (839) ، ويقال : التقينا وكلانا حنق أنوف ، ويقال فى
صفة السيف : أبيض يخطف الأبدان . ويقال : افعله ما دعا الله عابـد .
ويقولون فى صفة الحرب : الموت راكد والمنايا مطلة . ويقال : قد أغلق صدره
على الحسد . ويقال : هو أبلخ (840) ضخم الكبر . ويقال فى الذم : توبته مبطنة
بكفر . ويقال للرجل الرث الهيئة : خلق الأدراس (841) أشعث ، شاحب .
وقال بعض العرب : أرمت على عنصوة من المال ابقتها السنة حتى جاء الله
جل وعز بالحيا . أرمت . امسكت عليها واعتصمت بها ، والعنصوة : البقية ،
والحيا : الغيث . ويقال : تهاون بالأمر وفسخ عنه . ومضت من الليل ساعة
ثم تهجدنا فلان ، اذا جاء فى ذلك الوقت . ويقال : أكل معى فاخضمته ، أى
القمته . ويقال : هو حنيك ، أى شديد الأكل . ويقال : محجة الطريق ، وملكه
وعدله ، أى وسطه . ويقال : فذنه بقذيفة قبيحة اذا شتمه . ويقال : ضلينا
أعقاب الفريضة تطوعا ، وصلينا اكساءها (842) . ويقال : ماللت له الشىء ،
اذا أخبرته بقلته وان كان كثيرا لثلا يطمع فيه . وكأثرت له ، اذا أخبرته
بكثرتة تطيبيا لقلبه . ويقال : هم على مصابة آباءهم ، أى على طريقهم
وقصدهم ومذهبهم . وتتادعوا على ، اذا جاءوا يتلو (843) بعضهم بعضا .
ويقال : بقيت عندنا ثذب من مال ، ونصايا من مال ، يراد ما أبقتة السنة .

- (834) موضع العذار من الفرس .
(835) فى الأصل : الحانبين وهو تصحيف . والجانب : الغريب . والغارم : الذى
لزمه الدين .
(836) فى الأصلين : فيقال .
(837) فى الأصلين : كبر ، وهو تصحيف . وتهور : مضى . وكبر : معظم .
(838) أخو مشايحة : أخو حذر وجد .
(839) الذفيف : الخفيف السريع .
(840) الأبلخ : المتكبر الاحبى .
(841) خلق الأدراس : بالى الثياب .
(842) اكساءها : أى مأخبرها .
(843) فى الأصلين : يتلوا بزيادة الف

ويقال في الذم : سألت عليهم شعب المازي . ولهم صبر على عض الهوان .
ويقال : هو يفتق الحزن ويصطحبه . ويقال في المدح : يستوحش الدهر
لفراقهم . ويقال : حرب شملت اصداغها . وفلان بعيد مسافة الرأي ، اذا
مدحوه بجودة الرأي . ويقال : كفه ، ضمنت يسار المعدين . ويقولون : فعلنا
ذاك والخير يومئذو عينين والشر أعمى . ويقال : هو أكثر ذنوباً من
الزمان . ويقال في المدح : بيده ناصية الوفاء . ويقال : لا تلمنى (844) في
أمر يعذرني فيه الاجتهاد . ويقال : دبغت عيني . ويقال : أقبل الليل يسحب
النجوم . ويقال : هذا الشيء همى ووسنى . ويقال للبليد : في فؤاده
هذنة (845) ، أى نومة وقلّة انتباه ، وفي فؤاده هبنة مثل ذلك . والرشد :
الضعفة من الناس . يقال : تركنا على الماء رثدا لا يطيقون تحملا . ويقال :
المبد (846) أو شلّ اليوم حظا ، فانه يكون آخرهم وأقلهم حظا . ويقال :
استوضحت الشيء وذلك اذا نظرت اليه ، ووضعت يدك على حاجبك من
الشمس . والشيفة : الذي يشتاف للقوم ، ينظر ويرقب . السيقة الطريدة .
قال :

وهل انا الامثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبات عقر (847)

ويقال : ما رأيت في الخالفة شرا منه ، أى انه ردىء الادياء . ويقال :
أبيعك العبد وأبرأ اليك من خلفته (848) ، وهو هوفه (849) وسوء أخلاقه .
ويقال : فتى زين للمواكب والشرب . وفي استعارتهم : أصبح عرنين

- (844) في الاصل : لا يلبنى (بالياء) .
(845) جاء في المخصص 49/3 : الهدان : الاحمق الوخم الثقيل .. والاسم الهدن
والهدنة
(846) المبد : الذي يتولى اعطاء كل شخص بدته ، أى نصيبه .
(847) البيت في اللسان مادة (جبا) : 35/1 من دون مزو وهو في اللسان مادة
(سوق) من دون مزو أيضا .
وهو في الصحاح مادة (سوق) 1500/4 من غير مزو .
وهو في الصحاح مادة (جبا) 40/1 وقد شرح المحقق في الهامش انه لنصيب
بن ابي محجن .
وهو في تاج العروس (ساق) 387/6 لنصيب بن رباح وهو في ديوان
(شمر نصيب بن رباح) - جمع وتقديم الدكتور داود سلوم - بغداد 1968
- ص 92 .
وجبا : تأخر وخنس ، وفي معنى البيت لمن وقع بين شرين لا ينجو من أحدهما
قالوا : « كالأشقر » ان تقدم نحر ، وان تأخر عقر . انظر جمهرة الامثال
. 152/2
(848) أى مساده ، وانظر النص في اللسان مادة خلف 441/10 .
(849) في الاصلين : هوفه (بالفاء) وهو تحريف . والصواب : بالفاء وهو الحمق .

المكارم أجدع (850) ، وفي المدح : هو امرؤ تعلق به حدق الغفاسة (851) وأنفس الهلاك . ويقولون : مان طيب الثرى . ويقال في الرجل يستطيل على جلسائه : هو رب على من يقاعد . وفي المدح : عف الشماثل طيب الاخبار . وفلان تمنى اليه المفاخر . ويقولون : قد قوس من الكبر . ويقولون : نزلت افضى حجرة الحى . ويقال : له لسان غير ملتبس وقلب غير مزؤد (852) ويقولون : في اليأس ناه . ويقولون : دهر شره دون خيره . ويقال في المدح : هو أبيض وضاح . ويقال لمن تغافل عن اساءة صديقه : « ارتوى مآءه » (853) على رنق . وفلان يتشمس من فلان ، اذا كان ياباه ويفر من فعله . ويقال : هو بعيد القلب ، حلو اللسان . ويقال : قد غلقت من فلان بأسباب متان . ويقال للرجل العبوس : لا يتبسم وما يبدي عن ظهر واضحة وتقول : انا محنى الضلوع على مودتك . ويقال في الذم : هو يضيع ثغور الحقوق . ويقال : حار ماء عيني في جفنى . ويقال فيمن لا محصول له : لا خل هو ولا خمر ؟ ويقال للدهر : هو أعصل (854) ذو شغب وفلان في مخفوض من العيش بارد . ومكر فلان بفلان ، واوبقه (855) وحفر له عاثورا (856) . ويقال : ترك هذا الأمر نفسى شعاعا ، أى متقسمة . ويقال : كان ذاك ووجه الدهر بالخير مقبل . ويقولون للمحتاج قد غضته الحاجة . ويقال : كان ذاك وغصن الشباب وريق ناعم الشعب . ولا أفعل ذلك وما استن جارى الماء . ويقال في الذم : هو جبان الليل ، نوام الضحى . ويقولون في حسن الطاعة : هو فيما تدعوه قدح (857) مقوم . ويقال : سألته فنكد (858) . ويقال : سألته فأحقدت اذا لم أصب منه شيئا ، واذا اعطى قليلا قالوا أوشى ، فان أعطى كثيرا فقد اركز وكل هذا مستعار من فعل المعدن . وقال أعرابى لرجل كلمه بكلام قبيح : ادبر بشر ما أقبلت به . وتقول : ما بها انسان ولا صافر (859) وما أحسن محياها وجهه

- (850) في الاصلين : اجدع ، وهو تصحيف .
(851) جمع عاني ، وهو كل طالب فضل او رزق . وفي الاصل الغفاة وهو تحريف .
(852) غير مزع ولا خائف .
(853) ما بين توسين بطموس في ا وهو بياض في ع تتلوه : اءه
(854) الموج في صلابة .
(855) في ع : ابقه ، وهو تحريف . واوبقه : اهلكه .
(856) العاثور : حفرة تحفر للاسد . يقال لمن تورط : قد وقع في عاثور شر ، اي في شدة .
(857) القدح : السهم قبل ان ينصل ويراش .
(858) في ع : فنكل ، وهو تحريف . ونكد الرجل : كثر سؤاله وقتل خيره .
(859) انظر المثل في جوامع كتاب اصلاح المنطق — زيد بن ربيعة حيدر آباد الدكن — 1354 هـ ص 213 .

وسنته (860) . وهو عظيم القمة والشرف . وفلان حديد الناظر
والبرقاء (861) والصادقة والطارقة (862) . وهو حسن المعطس والمرسن
والرابع أى الآنف . وهو جيد المنصل والمقول والمذود ترديد اللسان . وهو
حسن الهادى والتليل والابريق يريد الجيد (863) . وهو حسن اللسبة
والنحر (864) . وهو حسن السالفتين (865) والصفحتين والصلينين (866)
واللديدين والليتين (867) . وهو حسن الحيزوم (868) واللبان والقمص
والبرك (869) . وهما عضداه وضبعاه (870) . وهى الاضلاع والحوانسى
والجوانح . وهى الخاصرة والقرب (871) والصفاق (872) . وهو الجنب
والحنو والذف والحصير والصل . وهو البطن والجفرة . وهو المتن والمطا
والقرا (873) للصلب . وهو الجسد والجثمان والأجلاد . وهى القوابض
والبنان . وهى المفاصل والأبداء والآراب والفصوص والأوصال والكسور .
وهو الدم والتجيع والبصيرة والتامور والعلق واللون والليط والنقبة والديباج
وهو الشخص والزائلة والسواد والآل . وهو العقل والمعقدة والمسكة
والحصاة والنهية والارب . وهو الحلق والموق والأمن والوره . وقد تسمع
وارعى واصاخ واصنى وتوجس . وهو الصوت والركز (875) والفديد
والنبأة . وهو السرار والهمس والوحى والمواهسة والسواد . وهو الجهر
والاشادة والاصاتة والاسماع ، وهو الشم والسوف والتنسم . وهو طيب
الريح والريا والنشر والارج العرف والنشوة . ونظرت وكلات ورمقت
ورنوت . وهى الطبائع والسلائق والنحائث والضرائب . ويقال :
تزوج (876) فى بنى فلان وصاهر واتصل ، وقد بنى على أهله وتبعل . وهو

- 860 سنة الانسان : وجهه .
861 يقال للمين برقاء لسواد حدقتها وبياض شحمتها .
862 لعلها الطارقه .
863 الجيد : العنق أو طوله .
864 النحر : موضع الغلادة ووسطها يقال له : اللبة .
865 السالفة : صلحة مقدم العنق .
866 الصليف : ناحية العنق .
867 الليت : صلحة العنق وما خلفه مذبذب القرط .
868 الحيزوم : الصدر .
869 البرك : وسط الصدر .
870 الضبع : وسط العضد . العضد كلها . الأبط . وقيل ما بين الأبط الى نصف
العضد من أهلى .
871 غبظت بفتح الغاف والذى فى اللسان مادة (قرب) بضم الغاف .
872 الصفاق : الجلد الأسفل دون الجلد الذى يسلخ وهو الذى يسك البطن وإذا
انشق كان منه العنق .
873 القرا : متصل الظهر بالعنق .
874 فى الأصلين : الأبداء وهو تصحيف .
875 هكذا فى الأصلين بفتح الراء والذى فى المعاجم بكسرهما .
876 فى الأصل (تزوج) بألحاء المهملة .

الطلاق والبين والرد والتخلية والسراح . وعمت المرأة وعقرت وحالت
واعطاطت . وفي خلافة حملت وعلقت وضمت . فاذا قرب ولادها قيل
أحجنت (877) وأدنت . فان استطت قيل : أجهضت وازلقت . واخذجت اذا
أتت به ناقصا . ويقال : ولدت المرأة ومصمت وقذفت . ويقال : هو وسخ
درن قشفت . ويقال للأثر : البلد والندب والحبار . ويقال : مشى وخطا ورأس
وماس ودرج . فاذا عدا قلت : احضر وخشف (878) وبفلان خفة وطيرة
وبادرة . ويقال : جاء بغثة واغتتالا والتتاطا وبدها وفلاطا وغشاشا .
وتقول : لا اثم عليك ولا جنف . وفلان يدارى فلانا ويفانيه ويدامله
ويصاديه . وهو يمكر به ويمحل ويختل ويأدو (879) له . ويقال : بخسه حقه
ونقصه والته . ويقال : جاع وغرث وسغب وطوى . فان كان واجدا ولم
يأكل قيل : طوى . وفي ضده شبع وبه كظة وثقلة . وهو العطش والغيم
والغلة والأوام . وفي الرى : النقوع والبضوع . فاذا ثقل الشرب قيل :
تمزز وتشفف . وقد غص وجرض وشرق . ويقال : به رعدة وقل وافكل .
ويقال للمرق : الرشع (880) والمسيح والحميم والنجد . ويقال : بكسى
ونشج . ويقال : نشط وعرض (881) والميعة النشاط . ويقال : اعيا وبلح وطلح
وانبهر وحسر وكل كلالا . وهم الناس والانام والورى والعالم والنفر
والصحب والحضيرة والأسرة والزمرة واللثة . وهو فرد ووحد (882) .
ويقال : صديقه وخله وخطمه وسجيده وعشيرته . وهى زوجته وحنثه
ووعيدته وربضه . وهو تربه ورثده وحنثه . وهى الحاضنة والكافلة والرابة .
وهم الخدم والمناصف والعسفاء والحفان . وهذا زعيمك وكفيك وغريرك
وضمينك وقبيك . وهم من انفس العرب وسرهم وعينتهم وعقليتهم . وفي
ضده من ارذالهم واوشاظهم واشراطهم . وهى القرابة والسهمة والال .
ويقال : جئت فى ابانه وعدانه . ويقال : هى غايته وقصاه . ويقال : هما سواء
وبواء وشرع . وقد والى بين شيئين ولاء ، وعادى عداء ، وواصل وصالا .
ويقال : هو حدل غير عدل . وقد ماط على فى الحكم . وقد اصلحت بين القوم ،
واسوت ، ورأبت بينهم . وقد غفرت الامر بغفرته (883) ، وانا اعطف على
فلان واعينه واشبل عليه . وقد اختلط على القوم أمرهم واربت . وقد عميت

- (877) أحجنت : أي اموجت من ثقل حملها وفي الاصل احجنت وهو تحريف .
(878) فى الاصل : حشف بالحاء وهو تصحيف .
(879) فى الاصل : ويادوا ، بالف زائدة وبدون همز ، انظر اللسان مادة (ادا)
(880) فى الاصل : الوشح وهو تحريف والصواب ما اثبتناه ، وهو العرق من
تعب أو حمى .
(881) فى النسختين : مرض ، وهو تصحيف .
(882) فى ع : وحد .

عليه الخبر ودمست عليه الخبر . ويقال بلغنى فزو من الحديث ، ورس من الحديث ، اذا بلغك بعضه . ويقال : رجعت الى الحق وامرغت وعنوت . ويقال : تفرق القوم ، وطالوا ، وتمايطوا . ويقال : حبسه وشجره . ويقال : لقيته مصارحة وكفاحا . ويقال : لقيته بين الظهرانيين ، ولقيته عن عفر أى بعد شهر ونحوه . ويقال : ملكت فلانا أمره ، وسومته أمره ، وديننته فى أمره ، أى ملكته آياه . قال الحطيئة :

لقد دينت امر بنيك (884) حتى تركتهم ادق من الطحين (885)

ويقال : ذهب بحقه ومصح بحقه . وحدثت هذا الخبر عن فلان ، ودبرته عن فلان ، بمعنى ، ونظرت فأشب لى فلان اذا رأيت من غير ان ترجوه . أو تحتسبه . ويقال : عظمت فلانا ورجبته ، وفلان يرغل أى يعظم . قال ذو الرمة :

اذا نحن رفلنا أمرا ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر (886)

قال الشيخ أبو الحسين احمد بن فارس أطال الله بقاءه : الكلام كثير ، ومن طمع منا فى الاحاطة بجمعيه فقد زعم غير مزعم ، وارجو ان يكون ما كتبناه نائما فى بابه ، لمن حفظه وأحسن تصريفه فى خطابه وكتابه ان شاء الله

قوبل بأصله الذى نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبى محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

883 اي اصلحه بما ينبنى أن يصلح به انظر المنجد ص 583 .
884 فى النسختين : نيتك وهو تعريف .
885 البيت للحطيئة من تصيدة يهجو فيها امه : ديوان الحطيئة — تحقيق نعمان أمين طه ص 278 وروايته :

لقد سوست امر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين

(وادق من الطحين) ذهب مثلا : انظر جبهة الامثال 455/1 والمستقصى ص 50 والميداني 183/1 . وانظر البيت فى الصحاح والتاج مادة (دين) . وفى الاساس واللسان مادة (دين) ومادة (سوس) .
886 البيت فى ديوان ذي الرمة ص 238 وروايته :

اذا نحن سودنا امرا ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ابن خالويه اللغوي ونسب كتابه الحجة إليه

الأستاذ عبدالعال سالم مكرم
أستاذ بجامعة الكويت

شارك الاستاذ عبد العال سالم مكرم بدراسة حول « كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة في مسابقة المکتب الدائم حول اللغة وقد نسب هذا الكتاب الى ابن خالويه وقد تم تحقيق المخطوط ببحث لائبات هذه النسبة ، ونحن ننشر هذه المقدمة مع نقد لها للاستاذ محمد العابد الفاسي :

البغية (2) وقد سجل الرواة في سنة اربع عشرة وثلاثمائة دخل بغداد ليتلقى عن شيوخها ، وبأخذ عن اعلامها .

هذا ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ، وان تعرضت لسنة وفاته ، فقد اجتمعت على انه توفي بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (3) .

شيوخه :

من شيوخه الذين كان لهم اثر كبير في تكوينه العلمي والثقافي :

1 - ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد على القرآن الكريم والقراءات .

وهو : احمد بن موسى بن العباس التميمي ، كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخرا انه اول من سجع السبعة ، وكان اليه المرجع في فن القراءات (4) .

ابن خالويه شخصية لم تظهر بالدراسة الواسعة بعد ، لانه في مجال القراءات ، والنحو واللغة لا تقل عن هؤلاء الاعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كابي علي الفارسي ، وابن جنى وغيرهما .

ولم يهده الترجمة الموجزة انير الطريق امام الباحثين ليتجهوا الى تراث هذا الرجل المطبوع والمخطوط ، ليقوموا في ضوءه دراسات وبحوثا ، تظهر مكانة الرجل في عصره ، ومكانة تراثه بين ترائنا الخالد .

نسبه :

سجيات كتب الطبقات ان اسمه : الحسين بن احمد ان خالويه بن حمدان : وكنيته : عبد الله (1) .

نشأته :

ذكر ياقوت انه نشأ في همدان ، ثم وفسد الى بغداد بعد ذلك ، وبشاركه في هذا الرأي السيوطي في

- (1) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
- (2) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
- (3) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 220 ، غاية النهاية 1 / 237 .
- (4) غاية النهاية 1 / 142 .

2 - ابن دريد :

وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،
تلقى عليه ابن خالويه النحو والادب . وكان ابن دريد
شاعرا كثير الشعر ، ومن شعره المقصورة المشهورة ،
والتصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور
والممدود (1) ولما مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم
واحد ، ودفنا في مقبرة الخيزران ، قال الناس : مات
علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بابن دريد كل منفعة
لما غدا نالت الاحجار والتراب (2)

وكنت ابكي لفقد الجود آونة
فصرت ابكي لفقد الجود والادب

3 - ابن الأنباري :

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري
النحوي ، كان من أعلام الناس وأفضلهم في نحو
الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة .

وكان ابن الأنباري - كما يذكر الرواة - مهتما
بالدراسة القرآنية فقد ذكروا أنه كان يحفظ ثلاثمائة
الف بيت شاهد في القرآن الكريم (3) .

وقال عنه : محمد بن جعفر التميمي : « أما أبو
بكر بن الأنباري فما رأينا أحفظ منه ، ولا أهر منه من
علمه . (4)

ويحكى ابن الأنباري عن نفسه فيقول : أنه كان
ياخذ الرطب ويشمه ويقول : « أما أنك طيب ولكن
أطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم » (5) .

4 - أبو عمر الزاهد :

هو أبو عمر : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم
اللغوي الزاهد كان من أكابر أهل اللغة ، واحفظهم لها ،
أخذ من أبي العباس ثعلب ، وكان يعرف بغلام ثعلب .
وقال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان
الاسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الأولين والآخرين
أحسن من كلام « أبي عمر الزاهد » .

وقال فيه أبو العباس الشكري يمدحه :

أبو عمر أوتي من العلم مرتقى
يزل مساميه ويردي مطاوله

قلو أنني أقسمت ما كنت كاذبا
بأن لم ير الراؤون خيرا يعادله

إلى أن يقول :
إذا قلت شارفنا وأخبر عنمه
تفجر حتى قلت هدى أوائله (6)

5 - أبو سعيد السيرافي :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان
السيرافي النحوي كان من المع نجوم عصره فسمى
إليه ابن خالويه ، وجلس في حلقاته ، وتأثر به تأثرا
كبيرا ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنتمرض
له فيما بعد ، ذلك لأن أبا سعيد كان كما يقول المرحوم
الاستاذ أحمد أمين : « زعيم المحافظين في عصره (7) »
حيث يرى أن اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس
والمقتل .

وبهذا المنهج استطاع السيرافي أن يهزم (متى)
المنطقي في مناظرة مشهورة جعلت الوزير ابن الفرات
- وكان مشاهدا لها - يقول في السيرافي « عين الله
عليك أيها الشيخ ، فقد نديت أكبادا وأقررت عيوننا ،
وبيضت وجوها ، وحكت طرازا لا يبليه الزمان ، ولا
يتطرق إليه الحدثنان (8) » .

- (1) نزهة الألبا - 174 .
- (2) نزهة الألبا - 175 .
- (3) نزهة الألبا - 179 .
- (4) نزهة الألبا - 181 .
- (5) نزهة الألبا - 181 .
- (6) نزهة الألبا - 189 .
- (7) ظهر الاسلام - 2 - 91 .
- (8) الامتاع والمؤانسة : 1 - 128 ، 129 .

وبعد

حياته الاجتماعية :

فيما يبدو ان ابن خالويه كانت معيشته ضنكا من الرزق فهو ، وان صحب سيف الدولة في حلب ، ثم صحب ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان بعد وفاة سيف الدولة فهذا لم يعطه الاستقرار الاقتصادي في الحياة رغم ذلك ، فقد كان يجري وراء المال ليستر الموز ، وبعد الفاقة يدل على ذلك قوله لسيف الدولة حينما سأل جماعة في مجلسه :

هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصورا ؟
فقالوا : لا .

فقال ابن خالويه : انا اعرف اسمين لا اقولهما الا بالف درهم لثلا يؤخدا بلا شكر (5) .

ويدل على ذلك قوله أيضا قوله :

وكم قائل قالى رايتك راجلا
فقات له من أجل أنك فارس

وقوله :

الجود طبعي ، ولكن ليس لي حال
فكيف يبذل من بالقرض يحتال

فهاك حظي فخذة اليوم تذكرة
الى اتسامي فلي في الغيب آمال (6)

معاصره :

أبو علي الفارسي :

في عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرته ، ومكانته في النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن ابن عبد الفقار ابن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من أكابر أئمة النحو، وشغل الناس بأرائه في القياس والعلة ، والمنطق والجدل حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد .

فاذا كان التلميذ صنعة استاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه في تكوين شخصيته ، وتربية عقله وسمو تفكيره - كبيرا لانه جلس في حلقات هؤلاء الاعلام الذين ملأوا الدنيا بأثارهم الفكرية وانتاجهم الادبي الذي خلد ذكرهم ، وعطر في التاريخ سيرتهم .

رحلاته :

ذكر « انباه الرواة » انه دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وهي رواية النحوي اليمني في كتابه « الاترجة » حين تعرضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصته :

« ومن المشاهد على ذلك ان الحسين بن خالويه الامام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، واقام بها شرح ديوان ابن الحائك وعنى به ، وذكر غريبه واعرابه »

قال صاحب الانباه :

وام اعلم ان ابن خالويه دخل اليمن الا من كتاب « الاترجة (1) » هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والاسلام الى قريب من زماننا هذا ، وما رايت منه نسخة ، ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت في كتاب الوالد احضرت بعد وفاته من ارض اليمن (2) .

على اية حال كانت ، ان صحت هذه الرواية فمن المؤكد ان رحلته هذه الى اليمن كانت قبل رحلته الى حلب حيث سكنها ، وعاش في كنف سيف الدولة بها ، وهناك انتشر علمه (3) .

ويزيد « الانباه » انه تصدر أيضا بميا فارقين ، وحمص للافادة والتصنيف (4) .

واخيرا استقر به المقام في « حلب » حيث وافاه الاجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة .

- (1) الاترج : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم فاكهة معروفة ، الواحدة : اترجة .
- (2) الانباه 1 - 326 .
- (3) البغية 1 - 529 .
- (4) الانباه 1 - 325 .
- (5) البغية 1 - 503 .
- (6) البغية 1 - 530 .

وقال فيه أبو طالب الميدي : ما كان بين سيبويه
وأبي علي افضل منه (1) .

وهذه المنزلة التي وصل اليها أبو علي في النحو
جعلت مضد الدولة يقول : انا غلام أبي علي في النحو (2)

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وأبي علي
الفارسي على أشدها . فقد كتب أبو علي كتابه
« الاغفال » وذكر فيه ما أهمله شيخه أبو اسحق
الزجاج في كتابه « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد
الذي وجهه أبو علي الى أستاذه الزجاج في « الاغفال »
لم يرض ابن خالويه فتعقبه فيما كتب . وعقب على
تعقبه أبو علي في كتاب سماه « نفوس الهاذور » وبسط
الكلام فيه كل البسط وقد أورد البغدادي في خزائنه
طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي
وابن خالويه ، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن
خالويه : ان الواو اذا كانت في أوائل القصائد نحو :
وقام الاماق ... الخ . فانها تدل على رب فقط ،
ولا تكون للمطف ، لانه لم يتقدم ما يحطف عليه بالواو .

وقال الفارسي في نفوس الهاذور : هذا شيء لم
نعلم احدا ممن حكينا قوله ذهب اليه ولا قال به (3) .

وقال ابن الانباري في نزهة الالباء : « انه اجتمع
هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لابن
علي : نتكلم في كتاب سيبويه فقال له أبو علي : بل
نتكلم في الفصيح .

ويحكى انه قال لابن علي كم للسيف اسما ؟ قال :
اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل أسماء كثيرة ،
وأخذ يعددها نحو الحسام - والمخمد ، والقضب .
فقال أبو علي : هذه كلها صفات (4) .

ولم تكن منافسة ابن خالويه لابن علي الا صدى
لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لابن علي
الفارسي ، فقد كان أبو علي - كما يقول أبو حيان
التوحيدي - « متقدا بالفيظ على أبي سعيد وبالحميد
له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله الى آخره
بفريبه وأمثاله ، وشواهد وآياته وذلك فضل الله

بؤتيه من يشاء ، لان هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ،
ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة عندهم ،
وفيض كلامهم (5) .

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه
ابن خالويه ارسل الى سيف الدولة ليعلمه تطاول
الفارسي على السيرافي ، وهو تطاول غير محمود ،
لان منزلة السيرافي وبخاصة بمد هزيمة (منسى)
المنطقي نسجت حوله ثوبا من القدسية والمهابة ،
فلا يليق بأبي علي أو غيره ان ينال هذه الشخصية التي
أعلت لغة العرب وذلك مصابب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرقعة
فأرسل الى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه
التهمة ، ويزيل اللبس ومن العبارات التي ضمنها
رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يدل على
قلة تحفظ هذا الرجل - (يعني بذلك ابن خالويه) فيما
يقوله : هو قوله : لو يبقى عمر نوح ما يصلح أن يقرأ
على السيرافي مع علمه بأن ابن بهراذ السيرافي يقرأ
عليه الصبيان ومعلوم ، أفلا يصلح أن أقرأ على من
يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا يخفاء فيه ، كيف وقد
خلط فيما حكاه عنى ؟

واني قلت : ان السيرافي قد قرأ على - ولم
أقل هذا ، انما قلت تعلم منى ، أو أخذ منى هو أو غيره
ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم ، وليس قول
القاتل : تعلم منى مثل قرأ على ، لانه يقرأ عليه من لا
يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه وتعلم ابن
بهراذ السيرافي منى في أيام محمد بن السري وبعده
لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الوراق .

ومحمد بن أحمد بن بونس ، ومن كان يطلب هذا
الشان من بني الأزرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير
من الفرس الذين كانوا يرونه يفشاني في (صف
شوينز) كمجد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لانه
كان جارى بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر
اخوه ، فينتقل الى داره التي ورثها عنه في درب
الزهراني (6) .

(1) نزهة الالباء 208 .

(2) معجم الادباء 7 - 234 .

(3) خزائنة الادب 1 - 39 .

(4) نزهة الالباء - 208 .

(5) الامتاع والمؤنسة - 131 .

(6) المسائل الحلبية لابن علي الفارسي ، ورقة 114 ، مخطوط رقم 266 نحو تيمور .

واني حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ليكون مثالا واضحا يدل على مدى التنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ليظفر كل منهما بقلب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية أخرى .

2 - المتنبسي :

لم يكن أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي شاعرا يملا الدنيا بأشعاره وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغويا نحويا متضلعا يدل على ذلك أن أبا الطيب « اجتمع هو وأبو علي الفارسي ، فقال له أبو علي : كم جاء من الجمع على وزن فعلى ؟ بكسر الفاء ، فقال المتنبسي : حجلى وطرزى جمع حجل وطربان . قال أبو علي : نسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثا فلم أجد احدا وقال في حقه : ما رأيت رجلا في معناه مثله (1) .

اتصل المتنبسي بسيف الدولة يمدحه ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى انه لما انشد سيف الدولة بين حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه

كان هناك ابن خالويه . فقال له : يا أبا الطيب : انما يقال : شجاء ، توهمه فعلا ماضيا ، فقال أبو الطيب : اسكت فما وصل الامر اليك (2) .

وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة : لولا ان أخي جاهل لما رضى ان يمدى بالمتنبسي ، لان معنى المتنبسي كاذب ، ومن رضى ان يمدى بالكذب فهو جاهل ، فقال : لست أرضى ان امدى بذلك ، وانما يمدوني به من يريد القرض مني ، وليست اقدر على المنع (3) .

وذكر الرئيس أبو الحسين محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب : « المفاوضة » : حدثني أبو الفرج

- (1) نزهة الالبيا - 201 .
- (2) نزهة الالبيا - 201 .
- (3) نزهة الالبيا - 200 .
- (4) انباه الرواة - 1 - 327 .
- (5) نزهة الالبيا - 222 .
- (6) نزهة الالبيا - 221 .

عبد الواحد بن نصر البغاه قال : « واذكر ليلة وقد استدهى سيف الدولة بكرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفا أزرق ، فحشا فيه سيف الدولة شيئا صالحا ، ومددت ذيل دراعتي وكانت ديباجا ، فحشا الى فيها ، وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا ، او يطلب شيئا منها فمافعل ففاظه ذلك ، فنشرها كلها ، فلما رأى المتنبسي انها قد فاته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فمزمهم عليه سيف الدولة . فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحى ومضت له ليلة عظيمة وانصرف .

وخاطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتعاطم تلك العظمة ، ويتصنع الى مثل هذه المنزلة الا لحماقته (4) .

3 - ابن جنسى :

أبو الفتح عثمان بن جنى النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفي ابن جنى سنة 392 هـ على حين توفي ابن خالويه 370 هـ (5) ، وقد تتلمذ ابن جنى على ابن علي الفارسي ، وصحبه أربعين سنة وكان سبب صحبته اياه ان أبا علي الفارسي سافر الى (الموصل) فدخل الى الجامع ، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الفاء نحو قام - وقال : فاهترض عليه أبو علي فوجده مقصرا ، فقال له أبو علي : زبيت قبل ان تحصوم ، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جنى ، وسأل عنه ، فقيل له : هو أبو علي الفارسي النحوي فاخذ في طلبه وصاحبه الى أن مات أبو علي ، وخلفه ابن جنى ودرس النحو ببغداد بعده ، واخذ عنه (6) .

والذي يمينني من هذه المعاصرة ان ابن جنى تتلمذ على أبي علي الفارسي وان ابن خالويه تتلمذ على أبي سعيد السيرافي ، والشيخان رأسان في عصرهما ، عاشا في مجال النحو واللغة يبدمان ما شابه لهما الإبداع ولكنهما افترقا في المنهج والطريقة ، وقد

مكاته اللغوية والنحوية :

ابن خالويه كانت له قدم واسعة في الدراسات اللغوية ، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا وابن دريد له في اللغة كتاب « الجمهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ، ورجال الأدب منذ تأليفه ، فأبو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الأبيات:

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني اني سايمهما
ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لمجز واقتار وصيبة
صغار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم املك سوى سفح عبرتي
مقالة مكوي الفؤاد حزبي

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرالم رب بهن ضيني

قال: فارسلها الذي اشتراها ، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى (4) .

وابن خالويه كان رواية لهذه الجمهرة ، وقد كتب عليها حواشي من استداركه على مواضع منها ، ونبه على بعض أوهام وتصحيحات (5) .

ولمكاته ابن خالويه اللغوية رد على ابن دريد ، ونقده في مسائل عديدة من جمهرته .

فمثلا يقول السيوطي : ليس في الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات الا أول .

قال في الجمهرة : هو فوهل ليس له فعمل ، والاصل : وول قلبت الواو الأولى همزة ، وأدغمت إحدى الواوين في الأخرى ، فقالوا : أول .

أثرت هذه التفرقة في نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج .

فالفارسي وتلميذه يكثران من المنطق والعلة ، وأبو سعيد وتلميذه لا يخلان بأقيسة المنطق ولا يميزان التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وإنما يخلان بالرواية والأثر ، والنساع ، وما نقل من العرب يدل على ذلك قول بعض الأدباء في رؤس النحو الثلاثة الفارسي ، والروائي ، والسيرواني : « كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فأما من لا نفهم من كلامه شيئا ، فأبو الحسن الروائي ، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض ، فأبو علي الفارسي ، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي (1) » .

هذا وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد في كل المجالس العلمية والأدبية التي تعقد فيه مناظرات عديدة بين الفارسي وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمنتبني من ناحية أخرى .

وكان ابن جنى يشهد هذه المجالس ، وتوثقت سلته بالمنتبني حتى قال فيه المنتبني : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وهذا التقدير الأدبي من جانب المنتبني جعل ابن جنى يشرح ديوانه شرحا كما يقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين : « استفاد منه كل من شرح الديوان بعده لاتصاله بالمنتبني ومعرفته بطروف شعره التي كثيرا ما تحدد المعنى ، وتمنع التاويلات (2) » .

وكما توثقت الصلة بين ابن جنى والعالم النحوي وبين المنتبني الشاعر كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه والعالم النحوي وبين الشاعر أبي فراس الحمداني الذي كان الرواية الوحيد لشعره وديوانه وقد صور هذه المنافسة المرحوم أحمد أمين حيث قال ما نصه : « فكان في القصر - يقصد قصر سيف الدولة - حزيان ، حزب للمنتبني منه ابن جنى النحوي وحزب عليه منه ابن خالويه اللغوي وأبو فراس الشاعر (3) » .

(1) نزهة الألبا - 211 .

(2) ظهير الإسلام - 1 - 186 .

(3) ظهير الإسلام - 1 - 186 .

(4) المرهبر - 1 - 95 .

(5) المرهبر - 1 - 95 .

والاعراب سال الناس ، فقال : ارحموا شيخنا
ضميفا (6) .

والامثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفى بما
ذكرت منها حبا في الإيجاز .

والسؤال الذي يقال هنا ان لابن خالويه آثارا
لغوية تشهد بفضله وتشير الى قدره، وهي آثار لا تنكر
لانها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه في النحو
كاللغة ؟ في رأيي ان ابن الأنباري ظلم ابن خالويه حينما
قال عنه في مجال النحو : « ولم يكن في النحو
بذلك (7) » .

لان ابن خالويه له آراء في النحو لا تقل عن آرائه
في اللغة كما يبدو ذلك عند دراستنا لكتاب الحجة .

ولعل السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو
هو انه كان يؤمن بان اللغة تؤخذ سماعا ، لا قياسا ،
والتأليف النحوي كما جرت به عادة النحاة - يدور
حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ومن اجل ذلك
لم يؤلف كتابا عديدة في النحو او في اصوله كما فعل
الفارسي وتلميذه ابن جنى ، اللهم الا كتاب : الجمل في
النحو ، وكتاب : اعراب ثلاثين سورة وكتاب المبتدا
في النحو ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا وقد
سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : كان اماما أحد
افراد الدهر في كل قسم من اقسام العلم والادب ،
وكان اليه الرحلة من الافساق ، وكان آل حمدان
يكرمونه (8) .

عقيدته :

يذكر سالم الكرفوكي وهو مستشرق ، حقق
كتاب « اعراب ثلاثين سورة » ان ابن أبي طي : قال عنه
كان اماميا عالما بالمذهب على حين يرى الذهبي في
تاريخه انه كان صاحب سنة ، وابن حجر يؤيد تشيعه

وقال ابن خالويه : الصواب : ان اول : افعل
بدليل صحة من اياه ، تقول اول من كذا (1) .

ومما يدل على اتساعه في حفظ اللغة رده على
ابن دريد حينما قال في جمهرته : لم يجيء في الكلام
فعل فعلا الا حرفان : حنق حنقا ، وضرط ضرطا .

قال ابن خالويه : وحكى الفراء : حلف حلفا ،
وحبق حبقا ، وسرق سرقا ، ورضع رضعا (2) .

وابن خالويه حس مرهف في ادراك اسرار اللغة
وتدوقه لها :

قال السيوطي : لم يات اسم المفعول من افعل
على فاعل الا في حرف واحد ، وهو قول العرب
اسمت الماشية من المرعى ، فهي سالمة ، ولم يقولوا
مسامة .

قال تعالى : « فيه تميمون(3) » من اسام يسيم .
قال ابن خالويه : احسب المراد اسمتها انا فاسمت
هي فهي سالمة ، كما تقول : ادخلته الدار فدخل ،
فهو داخل (4) .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ
له : قال في كتاب ليس : قات لسيف الدولة بن
حمدان : قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم
اسبق اليها وذلك ان النحويين زعموا انه ليس في
الكلام مثل رحيم وراحم ، ورحمان الانديم ونسادم ،
وندمان ، وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك:
حميد ، وحامد وحمدان (5) .

ويؤمن بلفظ الاعراب ، يستشهد بها في مواطن
الاستشهاد قال في شرح الدرديدية :

كل اسم على فعيل ثانية حرف حلق يجوز فيه
اتباع الفاء العين نحو : بعير شمير ، وغيف - رحيم
اخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي ان شيخنا من

- (1) المزهر - 1 - 60 .
- (2) المزهر - 2 - 75 .
- (3) النحل : 10 .
- (4) المزهر - 2 - 88 .
- (5) الزهر - 2 - 90 .
- (6) المزهر - 2 - 90 .
- (7) نزهة الالبيا 208 .
- (8) انبساط الرواة 1 - 326 .

ويقول : كان صاحب سنة . في الظاهر فقط ليقرب
الى سيف الدولة الحمداني .

وفي رأي سالم الكرفوكي انه امامي لانه الف
كتاب « الإمامة » ومن هذا الكتاب تظهر روح تشييمه
واضحة جلية ، ذلك لانه ذكر في كتابه اشياء لا يقولها
اهل السنة .

وفي رأي ان ابن خالويه لو كان اماميا لاشتهر
امره ، وفضحه اعداؤه ومنافسوه في وقت كانت
تعد فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بانه امامي لهجاءه ،
واظهر عواره لسيف الدولة السني ، ليعمده من بلاطه ،
ويطرده من بلاده ، ولو كان ابن خالويه اماميا لما سكت
عنه ابو علي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها
الى سيف الدولة مدافعا عن النعم التي كان يوجهها
اليه ابن خالويه .

ولو كان ابن خالويه اماميا لما تعبد على المذهب
الشافعي ، لان الشافعي سني ، وقد ذكره السبكي في
طبقات الشافعية .

وليس تأليفه لكتاب الامامية يجعله اماميا ،
فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتأليف في مجالات
مختلفة . ومن ثم الف كتابه ليدل على انه ملم بأحداث
عصره وبتاريخ مجتمعه .

انتاجه العلمي :

السيوطي في « البغية » ينص على ان من
تصانيفه الجمل في النحو - الاشتقاق -
القراءات - اعراب ثلاثين سورة - شرح الدرديدية -
المقصود والمدود - الالفات - المذكر والمؤنث - كتاب
ليس - كتاب اشتقاق خالويه - البديع في القراءات (1)

ويزيد كتاب الانباه على البغية ما يأتي :

كتاب الاسد - تلفية ما اختلف لفظه ، وانفق
معناه لليريدى - المبتدأ في النحو - تذكرته ، وهو
مجموع ملكته بخطه (2) .

ومعجم الادباء يزيد على ما ذكر :

كتاب الال : ذكر في اوله ان الال ينقسم الى
خمسة ومشرين قسما ، وذكر فيه الائمة الاثنى عشر
ومواليدهم ووفياتهم ، وغير ذلك (3) .

وغاية النهاية يزيد ما يأتي :

حواشي البديع في القراءات - كتاب مجدول من
القراءات الفه لمضد الدولة (4) .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه ازيد
على هؤلاء الرواة ما يأتي :

1 - كتاب الريح : وهو مخطوط يتكسون من
ثلاث ورفات مخطوط رقم 525 هـ - دار الكتب اوله :
قال الشيخ ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي :
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله ، وصحبه اجمعين ، وبعد فان الريح اسم
مؤنثة ... الخ .

2 - كتاب اسماء الله الحسنى :

فقد نص في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » ان له
كتابا في اسماء الله الحسنى ، وقد قال في ذلك ما نصه :
« وقد صنفتها في كتاب مفرد ، واشتقاق كل
اسم منها ومعناه (5) » .

3 - رسالة في قوله : ربنا لك الحمد ملء
السموات الى آخره .

وقد اشار الى هذه الرسالة الشيخ محي الدين
يحيى النووي في كتابه « تصحيح التنبيه » في الفقه
على مذهب الامام الشافعي للشيخ ابي اسحاق
الشيرازي .

وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد من
السموات ، يجوز ملء بالنصب والرفع ، والنصب

(1) البغية 1 - 530 .

(2) الانباه 1 - 325 .

(3) معجم الادباء 9 - 204 .

(4) غاية النهاية 1 - 237 .

(5) اعراب ثلاثين سورة 14 .

اشهر ، وممن حكاها ابن خالويه ، وصنف في
المسألة (1) .

اشهر ، وممن حكاها ابن خالويه ، وصنف في
المسألة (1) .

وليس لابن خالويه عمل في هذا الديوان غير
روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقوائد التي
احتواها الديوان .

4 - شرح ديوان ابن الهالك حيث فنى
بفريه واعرابه (2) .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر
الديوان وتحقيقه في جزئين 1944 م وطبع في بيروت .

5 - كتاب مختصر في شواذ القراءات من
كتاب « البديع » .

10 - كتاب شرح فصيح لعسب نقل عنه
السيوطي في المزهري (7) وبعد .

عنى بنشره المستشرق ج برجستراسر وطبع
بالمطبعة الرحمانية بمصر 1934 .

فان هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه ،
من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ،
ومكانته السامية في عصره ، وفيما بعد عصره الى
يومنا هذا .

6 - كتاب الشجر : وينفي نسبة الكتاب اليه
المستشرق ج برجستراسر فيقول : « ليس مصنفه
بل الحقيقة ، مصنف اللغوي ابي زيد صاحب كتاب
« النوادر في اللغة (3) » .

ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا
على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته في حقل النحو واللغة .

7 - العشرات في اللغات : اي اللغات التي لها
عشر معانسي .

وهو مخطوط بمكتبه جيد موثق بطهران ، ونسخ
سنة 760 هـ (4) .

كتاب الحجة

توثيقه - منهجه

8 - كتاب الهاذور الذي رد فيه على ابي علي
الفارسي حينما الف كتاب « الاغفال » ليرد على شيخه
ابي اسحاق الزجاج (5) .

توثيقه :

9 - شرح ديوان ابي فراس الحمداني .

وقد جاء في مقدمة شرحه ما نصه :

كان من مراجعي في اعدادي لرسالة الدكتوراه
« القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية » (8)
كتاب الحجة لابن خالويه ، قرائه ، فراغني فيه اسلوبه
الجزل ، وعبارته المختارة ، وعرضه للقراءات في ضوء
النحو واللغة عرضا جذابا ، لا يبعد القارئ منه ، ولا
يجعل الملل يتسرب الى نفسه ، يعطيك النتيجة في
صراحة ووضوح من غير أن يجهد نفسك ، أو يتعب
عقلك ، من غير استطراد ، بتسيك موضوع الحديث
كما فعل الفارسي في حجته .

قال ابو عبد الله الحسين بن محمد بن احمد بن
خالويه ، من حل من الشرف السامي ، والفضل
والكرم الذائع ، والادب البارع والشجاعة المشهورة ،
والسماحة الماثورة ابو فراس الحرث بن سعيد بن
حمدون بن الحارث العدوي . كان سيف الدولة ...
مثقفة ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبة ، يلقي
الي شعره دون الناس ، ويخطر على بشره حتى
سبقتني واياه الركبان ، فحملت منه ما القاه الي

(1) التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي - 15 .

(2) انظر ص 5 من الكراسة .

(3) مقدمة مختصر شواذ القراءات - 6 .

(4) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج 2 ص 13 .

(5) خزنة الادب 1 - 352 .

(6) شرح ديوان ابي فراس الحمداني .

(7) المزهري : 1 - 213 ، وغيرها .

(8) نشر دار المعارف بالقاهرة 1968 م .

لهذا صمم عزمي على ان احقق هذا الكتاب بعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لما فيه من النفع الكبير والخير العميم .

وهالدا احقق رغبتني في تحقيقه ، وافي بالدين الذي حملته على عاتقي منذ ان هشت في هذا الكتاب اثناء دراستي للدكتوراه واقتضى منهج التحقيق ان اوثق هذا الكتاب لا تاكذ من نسبه الى ابن خالويه ، لان هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد في كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحججة ، وان ذكرت ان له كتابا في القراءات حملت اسما مختلفا ، ولم يحمل وايجد منها اسم الحججة ، ويمد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت ان اصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد ، وبإيمان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبه الى ابن خالويه صحيحة ، واليك الدليل

1 - تلمذة ابن خالويه لاستاذة ابن مجاهد فوضت عليه ان يحيا في الدراسة القرآنية، ويتمكن منها ، ويلم بالقراءات ويدافع عنها ، وابن مجاهد - كما قدمت سابقا - اول من سبغ السبعة وكان اليه المرجع في فن القراءات كما يقول ابن الجوزي (1) ، وابن مجاهد حينما سبغ السبعة ، ولف كتابه القراءات السبع شرحه ابو علي الفارسي وسمى بالحججة ثم اختصرها ابو محمد مكي بن طالب المصري المتوفى 437 هـ ثم اختصر هذا الشرح ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ (2) .

فاذا كان ابو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح ايضا تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه وقدم لنا اثنا ضحما تحدثت منه فيما سبق .

ومن اهم الفروع التي كانت تشغل اذهان العلماء اذ ذاك علم القراءات والاحتجاج بها في مجال اللغاة والنحو .

وقد اسهم في هذا الاحتجاج بالتأليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351 هـ حيث الف كتاب السبعة بملها الكبير (3) .

وابو محمد بن الحسن بن مقسم المطار المتوفى 362 هـ حيث الف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة لملها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر (4) .

هذا فضلا عن تأليف ابن علي للحججة كما قدمت ، وابن جنى للمحاسب في القراءات الشاذة .

ومن اجل ذلك الف ابن خالويه كتابه الحججة في القراءات السبع ليبدلي بدلوه بين الدلاء ، ويسهم في هذا العلم الذي شغل اذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتابا في القراءات : كتاب البديع - كتاب مختصر شواذ القراءات - كتاب مجدول في القراءات الفه لعضد الدولة كما نص على ذلك ابن الاثير في غاية النهاية (5)

وقد اشار ابن خالويه الى ان له كتابا في القراءات فيقول في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى « انعمت عليهم (6) » .

« اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا قلت : عليهما قال الله عز وجل « يخافون انعم الله عليهما (7) الا يعقوب الحضرمي ، فانه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات (8) » .

- (1) غاية النهاية 1 - 142 .
- (2) كشف الظنون م 2 نهر 1448 .
- (3) الفهرست 433 .
- (4) الفهرست 33 .
- (5) غاية النهاية 1 - 237 .
- (6) الفاتحة 7 .
- (7) المائدة 33 .
- (8) اعراب ثلاثين سورة 32 .

وفى كتابه الحجة نجد هذا التعليل الذي اشار اليه (1) والسؤال الذي يقال هنا لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ؟ ولم لم تذكر فى كتب الرواة على حين ذكروا ان له كتباً فى القراءات ؟

ابن خالويه هي « الحجة » لانه فى الاحتجاج من ناحية ، ولان عبارته فى المقدمة تستوجب هذه التسمية من ناحية اخرى .

4 - التنافس العلمي فى عصر ابن خالويه يفرض عليه أن يؤلف كتابه الحجة فى القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافساً للفارسي وابن جنى ، فاذا كان الفارسي يؤلف الحجة فابن خالويه يؤلف الحجة واذا كان ابن جنى يؤلف المحتسب فى القراءات الشاذة ، فابن خالويه يؤلف كتابه فى شواذ القراءات .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي فى التأليف وفى موضوع بعينه فى كثير من الاحيان .

والدليل على ذلك أن ابا بكر محمد بن الحسن مقسم الف كتاب السبعة بعلمها الكبير - وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر ، كذلك الف محمد ابن الحسن الانصاري فى نفس الموضوع حيث الف كتاب السبعة بعلمها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط وكتاب السبعة الاصغر (5) .

واذا كان الفارسي يقدم كتاب الحجة لمضد الدولة حيث يقول فى المقدمة : اما بعد - اطال الله بقاء مولانا الملك السيد الاجل المنصور ، ولي النعم عضد الدولة ، وتاج الملة - الى أن يقول : فان هذا الكتاب تذكروا فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (6) .

اقول اذا كان الفارسي يقدم كتابه الحجة لمضد الدولة فابن خالويه يقدم له ايضا كتاباً مجسوداً فى القراءات (7) .

5 - ومن اوضح أدلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته الى ابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى ، ويتمثل هذا التشابه فى مدة ظواهر قلما تتخلف أجملها فيما ياتي :

1 - اقول قد يرجع ذلك الى أن الكتاب فى القراءات فاستغنوا بذكرها من كلمة « الحجة » مع أن تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو دائماً فى كل مسألة يكرر هذه العبارة ، والحجة لمن قرأ الخ .

2 - وما لي اذهب بعيداً . وقد قدمت فى انتاجه العلمي أن لابن خالويه كتباً عديدة لم ترد فى كتب الطبقات التي بين ايدينا . ككتاب معجم الادباء والانباء والبنية مع أن ابن خالويه اشار الى بعضها كاشارته الى أن له كتاباً فى أسماء الله الحسنى ، وذلك فى كتابه « اعراب ثلاثين سورة (2) » .

3 - التسمية بالحجة من عمل المتأخرين : ولعل التسمية بالحجة جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة للفارسي وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لعضد الدولة باسم الحجة ، وانما قدمه بهذه العبارة :

« فان هذا الكتاب تذكروا فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابي بكر احمد بن موسى ابن العباس ابن مجاهد (3) » .

وابن خالويه لم يشر فى مقدمته الى هذه التسمية ، وان اشار الى أن كتابه فى الاحتجاج . يقول : اني تدبرت قراءة الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تادية الرواية ... الى أن يقول : وانا بعون الله ذاكروا فى كتابي هذا ما اجتج به اهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم (4) .

ولما كان كتاب ابي علي فى الاحتجاج سمي بالحجة فيما بعد ذلك كذلك كانت انساب تسمية لكتاب

(1) انظر الحجة 3 .

(2) انظر ص 18 ، ص 19 من هذه المقدمة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(3) مقدمة الحجة للفارسي ، نسخة مصورة .

(4) مقدمة الحجة لابن خالويه ص 1 .

(5) الفهرست 32 ، 33 .

(6) الحجة لابن علي الفارسي : ص 3 - نسخة مصورة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(7) غاية النهاية 1 - 237 .

أ - الإيجاز والاختصار فهو في مقدمة الحجة
يقول :

« وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به
أهل صناعة النحولهم من معاني اختلافهم ، وتارك ذكر
اجتماعهم وائتلافهم ... الى أن يقول: جامعا ذلك بلفظ
بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقترب على مریده
وليسهل على مستفیده (1) .

وفي كتابه « اعراب ثلاثين سورة » يؤكد هذه
الظاهرة فيقول : « اني قد تحريت في هذا الكتاب
الاختصار والإيجاز وما وجدت اليه سبيلا ليعم الانتفاع
به ، ويسهل حفظه على من اراده (2) » .

ب - ومن الظواهر اذا تحدث عن مسألة ،
وحرر القول فيها ثم عرضت مسألة اخرى تشبهها لا
يعيد القول فيها وانما يحيل اليه ، وهذه الظاهرة
واضحة في الحجة وفي كتابه القراءات المخطوط
بالجامعة العربية ، وفي اعراب ثلاثين سورة .

ج - الاكثار في هذه الكتب من النقل عن ابي
مجاهد وابن الانباري ، وغيرهما من الاعلام الذين
سبقوه .

د - ومن ادلة التوثيق أن الاعلام الذين سجلهم
ابن خالويه في كتابه كانوا اسبق منه زمنا مما يدل
على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه .

ه - ومن الادلة تقارب بعض النصوص في
مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجة ، ولا
ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا بأسلوبها وكلماتها في
هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ، واليك
الدليل :

من كتاب القراءات :

1 - ففي كتاب القراءات المخطوط بالجامعة
العربية رقم 52 قراءات والمنسوب الى ابن خالويه ورد
ما نصه :

- (1) الحجة 1 .
- (2) اعراب ثلاثين سورة 14 .
- (3) الاحقاف 20 .
- (4) القراءات نسخة مصورة ميكروفيلم رقم 52 ، قراءات - الجامعة العربية .
- (5) الحجة - 197 .
- (6) فصلت 16 .
- (7) التمر 19 .

« اذهبتم طيباتكم (3) » قرأ ابن عامر اذهبتم
بهمزتين الاولى الف توييح بلفظ الاستفهام ، ولا يكون
في القرآن استفهام ، لان الاستفهام استعمال ما لا يعلم
والله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها ، فاذا ورد عليك
لفظ من ذلك فلا يخلو من أن يكون توييحا أو تقريرا
أو تعجبا أو تسوية ، أو ايجابا أو امرا .

فالتوييح : اذهبتم ؟ والتقرير أنت قلت للناس ؟
والتعجب ما القارعة ؟ ما الحاقة ؟ ، وكيف تفكرون ؟ ،
والتسوية: سواء عليهم انذرتهم ؟ ، والايجاب : اجعل
فيها من يفسد فيها ؟ ، والامر : اسلمتم معناه :
اسلموا (4) .

وهذا النص مذكور في الحجة على النحو التالي:

اذهبتم طيباتكم :

« وكل لفظ استفهام ورد في كتاب الله عز وجل
فلا يخلو من احد ستة اوجه ، اما أن يكون توييحا أو
تقريرا أو تعجبا أو تسوية أو ايجابا أو امرا ، فاما
استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لان
المستفهم مستعلم ما ليس عنده ... والله عالم بالاشياء
قبل كونها .

فالتوييح اذهبتم ، والتقرير : أنت قلت
للناس والتعجب : كيف تفكرون بالله ، والتسوية :
سواء عليهم انذرتهم - والايجاب : اجعل فيها من
يفسد فيها .

والامر : اسلمتم ، فعلى هذا يجري ما في كتاب
الله فاعرف مواضعه (5) .

2 - في أيام نحسات (6)

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر : نحسات باسكان
الحاء ، « وشاهدتهم في يوم نحس (7) » أي في يوم
شؤم وبلاء . ويجوز أن يكون اراد : ونحسات مثل
فخذات ، فاسكنوا تخفيفا ، وقرأ الباقون يكسر

الحاء ، وحجتهم ان النحسات صفة تقول العرب : يوم نحس مثل رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

(كتاب القراءات رقم 52 بانجامة العربية) .

وقال في الحجة :

في ايام نحسات : يقرأ باسكان الحاء وكسرها ،
فالحجة لمن اسكن انه اراد نحس ، ودليله قوله تعالى :
« في يوم نحس مستمر » ويحتمل ان يكون اراد كسر
الحاء فاسكنها تخفيفا والحجة لمن كسر انه جملة جمعا
للسفة من قول العرب : هذا يوم نحس وزن هذا رجل
هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم

طيا وبهراء قوم نصرهم نحس (1)

وبمقارنة هذه النصوص نتبين ان كتاب القراءات
يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب
الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد .

والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية . وذلك
لان القراءات المصورة بممهّد المخطوطات بالجامعة
العربية رقم 52 - قراءات - منهج ابن خالويه فيه
يقوم على الاستطراد والاطناب ، فهو يسند القراءة
لاصحابها في سلسلة طويلة ، وهو يتحدث من تفسير
معاني الآيات ، واسباب نزولها ، ويحشد قصصا
عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها،
والاحتجاج بها الا جزاء من هذا المنهج ، فكتابه في
حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب
التفسير التي تترجم لهذه الأغراض جميعا .

اما كتاب الحجة فهو كتاب موقوف على القراءات
وحدها في مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسير
المعنى الا في القليل النادر الذي يعد على الاصابع .

ولعله من الجائز ان يكون كتاب القراءات اسبق
في التأليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب
وهذبه ، وجعله مقصورا على القراءات وحدها، وظاهرة
التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق
برجستراسر يقول عنه : « وكان من عادة ابن خالويه
ان يهدب مصنفات مشايخه (2) » وازيد فاقول :
ان يهدب مصنفاته ايضا ، ليس كتاب « مختصر في شواذ
القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر
هو تلخيص كتابه البديع في القراءات الشاذة . ؟

من كتاب اعراب ثلاثين سورة :

1 - « مالك يوم الدين (3) » قال اهل النحو :
ان ملكا امدح من مالك ، وذلك ان المالك قد يكون غير
ملك ولا يكون الملك الا مالكا (4) .

وقال في الحجة :

مالك يوم الدين : والحجة لمن طرحها (اي
الالف) ان الملك اخص من المالك و امدح ، لانه قد
يكون المالك غير الملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (5) .

2 - وما ادراك ما الطارق (6)

قال في اعراب ثلاثين سورة ، حدثنني ابن مجاهد
عن السمري عن الفراء قال : كل ما في كتاب الله :
وما ادراك فقد ادراه وما يدريك فما ادراه بعد (7) .

وقال في الحجة : وما كان في كتاب الله تعالى
من قوله : وما ادراك فقد ادراه ، وما كان فيه من
قوله : وما يدريك ، فلم يدركه بعد (8) .

من كتاب ليس :

قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب فعل
يفعل بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح

(1) الحجة - 188 .

(2) مختصر في شواذ القراءات بتحقيق المستشرق برجستراسر (المقدمة) .

(3) الفاتحة - 4 .

(4) اعراب ثلاثين سورة - 27 .

(5) الحجة - 2 .

(6) الطارق - 2 .

(7) اعراب ثلاثين سورة - 40 .

(8) الحجة - 237 .

الا ثلاثة : نعم بنعم ، بيس يبيس ، ينس ينس ، وقد
يجوز فيهن الفتح وسمع (1) .

وقال في الحجة :

قوله تعالى : تحسبهم (2) يقرأ بكسر السين
وفتحها ، والحجة لمن كسر ان العرب استعملت الكسر
والفتح في مضارع اربعة افعال : يحسب ، وينعم ،
ويبس ، وييس حتى صار الكسر فيهن افسح (3)
من كتاب الريح :

قال ابن خالويه :

وامهات الريح اربعة : الشمال وهي للسروح
والنسيم عند العرب ، والجنوب للامطار والانداء -
والصبا لانفاح الاشجار ، والذبور لعذاب والبلاء ،
نموذ بالله منها ، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا هبت الريح يقول : « اللهم اجعلها رياحا ، ولا
تجعلها ريحا (4) » .

وقال في الحجة : وتصريف الرياح (5) ...
فالحجة لمن افرد انه جعلها هدابا ، واستدل بقول
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا لا ريحا .

ثم قال والارواح اربعة استت اسمائها على
الكعبة ، فما استقبلها منها فهي الصبا والقبول وما
جاء من عينها في الجنوب ، وما جاء من شمالها في
الشمال وما جاء من مؤخرها فهي الذبور وهي روح
العذاب نموذ بالله منها (6) .

8 - قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم
لانه نسخ سنة 496 هـ وهو تاريخ قريب من عصر
المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما على حين نجد كتاب
القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة 600 هـ

بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن
الحسين (7) .

وكتاب اعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار
الكتب عام 1941 م امتدت فيه على النسخة التي
ضمتها مكتبة الشنقيطي رقم 7 - تفسير دار الكتب ،
وقد تمت كتابة النسخة في العشر الاولى من شعبان
الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ،
وملك بمدينة صنعاء المحروسة (8) .

وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال
النسخ من الكتب الاخرى التي وصلت اليها امثال
كتاب القراءات ، واعراب ثلاثين سورة . نعم ان
الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة طلعت رقم
134 قراءات ، وقد اشار اليها بروكلمان في كتابه :
تاريخ الادب العربي (9) وقد حاولت العثور على نسخة
اخرى لا قابها بها حتى يتيسر التحقيق ، وينكشف
الغموض ، ولكن لم يتيسر لي ذلك على الرغم من
اطلاحي على فهارس المكتبات العربية والافرنجية ،
لهذا كانت هذه النسخة هي عمدي في التحقيق ، وقد
يسرت لي مصابها واستقام نصها بفضل الله وعونه ،
والهامه وتوفيقه . هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة
في مكتبات العالم لا يفض من قدره ، ولا ينزل من
مكانته ، فترائنا العربي ذهب معظمه بسبب الاحداث
الجسام ، والفتن التي حلت بالعالم الاسلامي والعربي
في العصور المختلفة .

ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذلت بها
الصحف الاخيرة من الحجة ، وهي : « قوبل وصحح
باصله المكتوب منه » ولكن ذهب هذا الاصل ؟

اقول : ذهب هذا الاصل ، لان ظاهرة ضياع
الكتب وفقدانها ليست غريبة على ترائنا العربي ، فهذا
هو ابو علي الفارسي ذكر « ان بعض اخوانه سألته

(1) بيس - 4 .

(2) البقرة - 273 .

(3) الحجية - 29 .

(4) كتاب الريح - 2 .

(5) البقرة - 164 .

(6) الحجية - 21 .

(7) فهرس مخطوطات الجامعة العربية - 12 وفهرس المخطوطات الاولى 1 - س - 276 .

(8) فهرس دار الكتب .

(9) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ج 2 - 140 .

وأنه بهذا العمل الذي انفرد به استطاع ان يفتح باب الاحتجاج بالقراءات فى مجالي اللغة والنحو ، فتسابق تلاميذه ومعاصروه فى التأليف فى هذا الفن .

وأول من شرع فى هذا من معاصريه « أبو بكر محمد بن السرى شرع فى تفسير صدر من ذلك فى كتاب كان ابتدا بأملائه ولكنه لم يتمه (4) » .

وأمكن لأبى علي الفارسي ان ينجح فيما قصر فيه محمد بن السرى فألف كتابه الحجة فى الاحتجاج بالقراءات .

ولما كان كتاب الحجة بين أيدينا مخطوطا حيث تضم دار الكتب والمكتبة الأزهرية نسخا منه ، ومطبوها منه الجزء الاول الذي قام بتحقيقه استاذنا علي النجدي والرحوم الدكتور النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي وهم فى هذا التحقيق قدموا جهدا جبارا يتناسب مع هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لأبى خالويه نتبين اختلاف المنهجين ، وتبين الطريقتين : فأبو علي فى حجته يفوس الى الاماق ، فمن لم يكن ذا مقدرة على الفوس لا يستطيع ان يتابع الفارسي ، ولا يستطيع ان يصل الى الجوهر المنشود ، فكثرة الاستطرادات ، وضخامة التعليقات قد تحول بينه وبين ما يريد .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتابا لا يفهمه الا القالة . ولا تهضمه الا فئة خاصة . تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية ، تؤمن بالقياس ، وتجري وراء العلة . وحتى فى عصره عصر الأزدهار الفكري عصر المناظرات التي كانت تتمدد حلقاتها فى بلاط الأمراء لم ياق هذا الكتاب قبولا حسنا ولم يصادف فى نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد المبذول فيه .

وبكفيينا فى هذا المقام شهادة تلميذه ابن جنى فى ذلك وهي شهادة على النفس لان أبا علي ابن جنى بمثابة الروح من الجسد .

بفارسى أملاه شيء من ذلك فأملى عليه صدرا كبيرا ، وتمضى القول فيه ، وأنه هلك فى جملة ما فقدته ، وأصيب من كتبه .

قال عثمان بن جنى . وان وجدت نسخة ، وامكن الوقت عملت باذن الله كتابا اذكر فيه جميع المعتلات فى كلام العرب (1) ، ولم يكتب ابن جنى بما حدث من شيخه من ضياع كتابه الذي أملاه بفارس ، بل بين فى وضوح أكثر « أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين ، قال : وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقراته على اصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئا البتة الا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن (2) » .

اذن فظاهرة ضياع الكتب ظاهرة سائدة حتى فى عصر المؤلفين انفسهم ، وقد بلى بهذه الظاهرة المجتمع الاسلامي منذ ان أصبحت الدولة دويلات ، وزاد خطرها أكثر حينما زحف التتار على بغداد ، فالتهم معظم تراث الاجداد ، وماني اذهب بعيدا وهذا السيوطي جماعة الكتب الذي لا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكرها ، والتعريف بها يقول فى كتاب « ليس » لابن خالويه : « انه كتاب حافل فى ثلاث مجلدات ضخمة » وقد طالعتة قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الان (3) .

مع ان كتاب « ليس » المطبوع بمطبعة السعادة بتصحيح أحمد بن الشنيطي ليست فيه هذه الضخامة التي ذكرها السيوطي مما يدل على ان الكتاب ضاع معظمه .

على أية حال نحن نحمد الله اذ حفظ لنا كتاب الحجة من الفه الى يائه لم يضع منه شيء ونحمده اذ وفقنا الى تحقيقه وبسر لنا أمره ، حتى جاء ، وقد وضيت عنه نفسي كل الرضا وأسأل الله ان يتم النفع به .

مقارنة بين حجة ابن علي وحجة ابن خالويه :

قدمت ان ابن مجاهد هو اول من سجع السبعة ،

(1) معجم الادبياء : 7 - 256 .

(2) معجم الادبياء : 7 - 256 .

(3) المزهر - 2 - 3 .

(4) انظر مقدمة الحجة - رقم 462 ، قراءات نسخة مصورة بدار الكتب ، وانظر مقدمة المحتسب لابن جنى مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

يقول ابن جنى فى كتابه المحتسب ما نصه « فان ابا علي رحمه الله حمل كتاب الحجبة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفوه عنه كثير من الملمساء (1) » .

ويقول فى موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى فى سورة الانعام « تماما على الذى احسن (2) » .

« وقد كان شيخنا ابو علي حمل كتاب الحجبة فى قراءة السبعة فاهمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدمى العربية فضلا عن القراءة ، واجفاهم عنه (3) » .

واما كتاب الحجبة لابن خالويه ، فان ابن خالويه فى حجتة نهج نهجا آخر ، نهجا يقوم على الرواية والسماع ، فليست اللغة فى نظره تؤخذ من المنطق ، او تقوم على الاقيسة كما كان يفعل ابو علي فى الحجبة .

ولعل السر فى تاليف الحجبة لابن خالويه انه احس فى مرارة ان كتاب ابي علي ، لا ينتفع به الخاصة فضلا عن العامة فحفزه ذلك الى تاليف كتابه فى أسلوب سهل ممتع وفى عرض يشرق عليك بهائه ويستولى على نفسك جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليتحقق الهدف الاكبر من تاليفه ، وهو انتفاع الناس به او كما يقول : « قاصد قصد الابانة ، فى اقتصار من غير اطالة ولا اكنار » . . جامعا ذلك بلفظ بين جزل ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيدة (4) .

قيمة كتاب الحجبة لابن خالويه فى عصرنا الحاضر :

ونحن نعيش فى عصر السرعة ، ومن متطلبات السرعة الصراحة والوضوح ، صراحة الانكار ، ووضوح المعاني وتحديد الالفاظ ، والوصول الى الهدف من اقرب طريق وايسر سبيل .

وكل ذلك تجده فى الحجبة متمثلا فى كل صفحة من صفحاته بل فى كل سطر من سطوره .

ولا اخفى سرا اذا قلت : ان هذا المنهج الذى التزمه ابن خالويه اعجبني وسحرني ، اعجبني لانى استطعت ان اقف على كل مسائل الاحتجاج فى وقت

قصير ، وسحرني لانه يقدم لى خلاصة مهذبة واضحة المعالم ، بينة السمات فى قراءات القرآن الكريم ، والاحتجاج بها .

فنحن اذن فى اشد الحاجة الى هذا الكتاب للوقوف على القراءات القرآنية فى ضوء النحو واللغة من ناحية ولأنه اقدم كتاب ظهر فى القراءات السبع هو وحجة الفارسي من الناحية الاخرى .

وصف كتاب الحجبة لابن خالويه :

فى الصفحة الاولى من الحجبة تجد ما ياتى :

كتاب الحجبة فى قراءات الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين فى الرواية للعلامة المحقق امام النحو واللغة ابن عبد الله الحسين بن خالويه رحمه الله ، وحياه من الخير ما يتوالى . قراءات 134 - طلعت .

وفى هامش الصفحة تجد تملكا لهذه النسخة ، ففى قد دخلت فى نوبة العبد الفقير الى الله ابراهيم السدى المصري سنة 1191 هـ ، وكتب انه اطلع على النسخة فراها ومن غير شك ، فان هذه التملكات العديدة تدل على قيمة هذه النسخة ، وتسبق العلماء فى اقتنائها الى ان وصلت الى مكتبة طلعت .

وفى آخر صفحة من الكتاب ذيلت بهذه العبارة:

وقع الفراغ من نسخة كله فى ذي الحجبة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

وتحت هذا التذييل تذييل آخر ، وهو :

« قوبل وصحح بأصله المكتوب منه »

ومن ناحية الخط فانه كتب بخط النسخ الذى كانت تسود الكتابة به فى هذا العصر ، وقد وقفت على ذلك بعد مقارنة قيمت بها فى مخطوطات القرن الخامس الهجري . وقد نسخت من هذه النسخة القديمة نسخة اخرى بقلم معناد تمت كتابتها فى 28 شوال سنة 1355 هـ ، وهذه النسخة مخطوط رقم 219523

- (1) انظر مقدمة الحجبة ، وانظر مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الاملى للشؤون الاسلامية .
- (2) الامم - 154 .
- (3) مقدمة المحتسب لابن جنى من مطبوعات المجلس الاملى للشؤون الاسلامية .
- (4) مقدمة كتاب الحجبة - 1 .

دار الكتب (1) ولم اعتمد عليها ، بل اعتمدت على الاصل الذي كتبت منه وهو النسخة التي كتبت في 496 هـ .

منهج ابن خالويه في الحجة وآراؤه :

1 - اعتمد في حجته على القراءات المشهورة ، تاركا الروايات الشاذة المنكورة (2) .

2 - الاجاز والاختصار حتى يفهم القارىء او الدارس المراد من غير استطراد ممل ، او أسلوب معقد ، يقول في المقدمة : « وقاصد قصد الابانة في اختصار ، من غير اطالة ولا اكثار » .

3 - عرض القراءات من غير سند الرواية ، لان هدفه الاجاز ولا يلجا الى نسبة القراءات الى اصحابها الا اذا دعت الضرورة لذلك ، ليتبين مكانة من قرأ بها في حقل الدراسات القرآنية .

4 - واذا عرض لمسألة ، وبين وجه التعليل والحجة فيها ثم تكرر نظيرها ، لا يعيد القول فيها ، وانما يحينك الى الموضوع حرصا على الوقت ، وايمانا بالاجاز .

5 - اللغة في نظره لا تقاس ، وتؤخذ سماعا يقول في قوله تعالى « المتامل (3) » : والدليل على أن اللغة لا تقاس ، وانما تؤخذ سماعا قولهم : الله متامل من تعالى ، ولا يقال : متبارك من تبارك (4) .

وفي قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » (5) يقول : فاما امالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » فان كان اماله سماعا من العرب ، فالسؤال منه ويل (6) .

6 - ومن منهجه ان لغة العرب ، وان اختلفت حجة يؤخذ بها ويعتمد عليها ، يقول في قوله تعالى : « وان كنتم للرؤيا تعبرون (7) » وري عن الكسائي انه امال هذه وفتح قوله لا تقصص رؤياك (8) .

فان كان فعل ذلك ليفرق بين النصب والخفض فقد وهم ، وان كان اراد الدلالة على جواز اللغتين فقد اصاب (9) .

7 - ويطمئن الى اهل قول اللغة لانهم اصحاب رواية وسماع يقول في قوله تعالى « ولائك نسي ضيق (10) » يقرأ بفتح الضاد وكسرهما ، وقد ذكرت حجته آنفا ، وقلنا فيه ما قاله اهل اللغة (11) .

8 - ويميل الى لغة اهل الحجاز :

يقول في قوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس (12) » يقرأ بكسر القاف وضمها ، وهما لفتان فصيحتان ، والضم اكثر لانه لغة اهل الحجاز (13) .

9 - يدافع عن القراءات السبع ، ويتهم من يصف حمزة بانه لا يعرف العربية ، واتساع كلام العرب (14) .

- 1 (انظر : فهرس المخطوطات : القسم الاول ا - س ص 276 .
- 2 (مقدمة كتاب الحجة - 1 .
- 3 (الرمسة - 9
- 4 (الحجة - 99 .
- 5 (البقرة - 19 .
- 6 (الحجة - 7 .
- 7 (يوسف - 43 .
- 8 (يوسف - 5 .
- 9 (الحجة - 94 .
- 10 (النمل - 70 .
- 11 (الحجة - 154 .
- 12 (الاسراء - 35 .
- 13 (الحجة - 111 .
- 14 (انظر : ص 172 عند قوله تعالى : « ومكر السيء » .

10 - ومن منهجه ان القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة والفاظ الامثال ، فقد انكر الخفض على الجوار في قوله تعالى : « وارجلكم (1) » .

11 - لا يرجع الى تفسير المعنى الا في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى : « جعلنا له شركاء فيما آتاهما (2) » .

12 - من النادر تعرضه لاهراب الشواهد التي يحتج بها ، ولكنه في بيت :

يا رب سار بات لن يؤسدا

تحت ذراع العيس او كف اليد

فانه يتعرض لاهراب مواضع من البيت ، مفسرا بعض كلماته (3) .

13 - يعتد برسم المصحف : انظر ص 8 من الحجة منذ قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير (4) » .

وقوله تعالى : « ثم اتخذتم (5) » حيث ذكر ان من اظهر ابي بالكلمة على اصلها ، واغتمم الثواب في كل حرف منها (6) .

14 - وابن خالويه يستشهد بالحديث الشريف في عدة مواطن من كتابه الحجة ، انظر مثلا ص 14 ، ص 18 ، ص 38 ، ص 58 .

15 - وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة ، لا يتمصب للبصريين ولا للكوفييين ، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجع بأدلة براها وقد يختلف عنها بآراء متحسرة .

وظهور هذه النزعة التجديدية في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه « في حلب اخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجا جديدا ، لانه لم يتبع طريقة الكوفييين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان احلى واحسن (7) » .

قراءات لم ترد الا عن طريقه :

وذلك في قوله تعالى : « فله عشر امثالها (8) »

قال : يقرأ بالتنوين ، ونصب الامثال ، وبطرحه والخفض فالحجة لمن نصب ان التنوين يمنع من الاضافة فنصبت على خلاف المضاف ، والحجة لمن اضاف انه اراد فله عشر حسنات ، فاقام الامثال مقام الحسنيات (9) .

وليس في كتب القراءات التي بين ايدينا الا حذف التنوين وجر اللام بالاضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الامصار ما عدا الحسن البصري ، فانه كان يقرأ عشر بالتنوين ، وامثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير ان اجماع قراء الامصار على خلافها .

اما رواية النصب ، فلم اجدها الا عند ابن خالويه .

ينسب الى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين ايدينا .

يقول في قوله تعالى : (بنصب (10) اجمع القراء على ضم النون الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لفتان(11) كذلك ينسب اليه قراءة اخرى لا نراها

(1) المائدة 6 ، انظر : ص 49 من الحجة .

(2) الاحرف 190 ، وانظر : ص 76 من الحجة .

(3) الحجة - 102 .

(4) البقرة - 20 .

(5) البقرة - 51 .

(6) الحجة - 11 .

(7) مقدمة مختصرة في شواذ القرآن 6 .

(8) الانعام - 160 .

(9) الحجة - 66 .

(10) سورة ص 41 .

(11) الحجة - 179 .

2 - ومع احترامه للسمع وإيمانه بالرواية فإنه لا يستطيع أن يتخلص من النزعة النحوية التي تؤمن بالعلة وتقدس المنطق .

يقول في قوله تعالى : « وكل أتوه (5) » : فإن قيل : لم اختص ما يعقل بجمع السلامة دون ما لا يعقل فقل : لفضيلة من يعقل على ما لا يعقل ، ففضل في اللفظ بهذا الجمع كما فضل بالاسماء الاعلام في المعنى ، وحمل ما لا يعقل في الجمع على مؤنث ما يعقل ، لان المؤنث العاقل فرع على المذكور ، والمؤنث مما لا يعقل فرع على المؤنث العاقل فتجانسا بالفرعية ، فاجتمعا في لفظ الجمع بالالف والتاء (6) .

وبعد ، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وعشت في مجاله أجمل الساعات ، تفرمني نشوة روحية ، لأنها دراسة في رحاب القرآن فان جاء هذا العمل وانيا بالفرض ، محققا للهدف فبتوفيق الله والهامة ، وان جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبدلت ، والمجتهد ان أصاب فله اجران وان أخطأ فله اجر .

أرجو من الله ان ينفع به ، وان يشير الطريق امام الدارسين في القراءات ، والنحو ، واللغة ، ليسهموا في استمرار هذه الدراسات ونشرها حتى لا يبطلها سيل المادية الجارف في عصرنا الحاضر . انه نعم المولى ونعم النصير .

في المصحف الذي بين ايدينا عند قوله تعالى « وعزني في الخطاب (1) » .

قال : اسكان الياء اجماع الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح لقنة الاسم ، وكذلك قوله وعزني بالتشديد اجماع الا ما رواه ايضا عنه بالتشديد واثبات الالف وهما لفتان (2) .

تقديم منهجه :

وابن خالويه لم يلتزم منهجه فقد خرج عنه في عدة مواضع :

1 - مع الامثلة المتعددة التي تدل على اعتداده برسم المصحف فإنه قد خرج من هذه القاعدة في قوله تعالى : « بالغداة والعشي (3) » قال : يقرأ بالالف وبالواو في موضع الالف مع اسكان الدال .. ثم قال .. « والحجة لمن قرأ بالواو انه اتبع الخط لانها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة لانها انما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة (4) » .

وفي هذا مخالفة صريحة للمنهج مع ان هذه القراءة قراءة ابن عامر من القراء السبعة .

- (1) ص 23 .
- (2) الحجة - 179 .
- (3) الانمام - 52 .
- (4) الحجة - 57 .
- (5) النمل - 87 .
- (6) الحجة - 155 .

نسبة الحجة إلى أبه قال الوير لا تصح

محمد العابد الفارسي، الأستاذ بجامعة القرويين

حافظ مكتبة الجامعة

السبع لابن مجاهد فليس بدعا أن يتولى هذا الشرح أيضا تلميذه ابن خالويه لأنه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه ، ومن ذلك علم القراءات ومن أجل هذا الف ابن خالويه كتابه الحجة ليدلسي بدلوه بين الدلاء وكل الذين ترجموا لابن خالويه أكدوا أن له كتابا في القراءات ، ثم قال :

والسؤال الذي يرد هنا لم لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ولم لم يذكر هذا في كتب الرواة في حين ذكروا أن له كتابا في القراءات . . . :

أقول قد يرجع ذلك إلى أن الكتاب « الحجة » هو في القراءات فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجة . قلت جميع ما كتبه المحقق هنا في الدليل الأول لا يثبت الفرض المطلوب لأن كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع في الدراسات القرآنية والف فيها لا يكفي ذلك دليلا على إثبات نسبة كتاب الحجة له ، وأما كونه ليس بدعا أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره ، فصحيح ولكن المسألة مسألة اثبات لا مسألة احتمال وتخمين ، ومن المعلوم أن ابن خالويه الف في القراءات وذكر منها مترجموه عدة كتب مثل : البديع وكتاب مختصر شواذ القراءات وغير ذلك مما سمي في ترجمته ، فلماذا أجمع أصحاب الطبقات على عدم ذكر كتاب الحجة ، وأما كون كتاب الحجة من كتب القراءات فاستغنوا بذكرها عن كتاب الحجة فنحن نتساءل لماذا لم يذكروا كتاب الحجة الذي هو أفيد لها لو ثبت واستغنوا بذكره عن باقي كتبه في القراءات ، لعدم التمريح عليه بالمرة والاقتصار على ما هو أقل منه نائدة يكاد يكون واضحا في عدم ثبوت هذه النسبة .

(2) قال المحقق : وما لي أذهب بعيدا ولا بين خالويه كتب عديدة لم ترد في كتب الطبقات وابن

أرى لزما على أن اتحدث بصفة خاصة عن الفعل الذي مقدمه المحقق الدكتور عبد المال سالم مكرم في المقدمة التي كتبها من كتاب الحجة ، حيث قال : « اقتضى منهج التحقيق أن أوثق هذا الكتاب لاناكد من نسبه لابن خالويه لأن هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب إلى ابن خالويه » ثم حصر المحقق دليل هذا الشك في كونه لم يرد في كتب الطبقات التي تعرضت لذكر ابن خالويه وانتاجه وإن ذكرت له موضوعات أخرى في فن القراءات حملت أسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة . إلا أن المحقق لم يذكر هؤلاء المعاصرين الذين تشككوا في صحة هذه النسبة ولو عرفوا لامكننا الاطلاع على رأيهم الكامل في الموضوع بكل دقة ولتأني للباحث معرفة حجة أو على الأقل شبهه التي اوقعت في هذا الشك .

وقد حاول المحقق أن يبرز رأيه في تثبيت هذه النسبة بعد دراسات قام بها لهذا الكتاب ومع باقي مؤلفات ابن خالويه فاستنتج بإيمان لا يتطرق إليه الشك أن نسبة هذا الكتاب لابن خالويه صحيحة . وقد حصر دليل الإثبات في نقط ثمان نستعرضها بإيجاز ثم نقف بنظرنا حول كل نقطة من نقط أدلته .
قال :

(1) تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسات القرآنية ويتمكن منها ويلم بالقراءات ويدافع عنها ، ثم قال :

وابن مجاهد حين ما سبغ السبعة والف كتابه القراءات السبع شرحه أبو علي الفارسي وسمى شرحه بالحجة ثم اختصره أبو محمد مكي ، قال المحقق فإذا كان أبو علي الفارسي بشرح القراءات

ولو نسبيا ، اما النقل عن ابن مجاهد وابن الانفاس وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه فليس دليلا على ثبوت النسبة كما هو بديهي .

(6) قوله : ومن ادلة التوثيق ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه انهم كانوا يسبقونه منه زمانا كما يدل على ان الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه ، نقول هذا من الاستدلالات الواهية ومتى كان النقل عن اعلام سابقين في الزمان دليلا على تثبيت نسبة كتاب لشخص معين ما لم تقم ادلة خارجية على تصحيح هذه النسبة .

(7) قول المحقق : ومن الادلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه ، لاخرى مع بعض نصوص الحجة . قال : ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا باساليبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ثم اورد بعض الشواهد على ذلك من كتاب القراءات لابن خالويه المخطوط بالجامعة العربية الى ان قال :

وبمقارنة هذه النصوص يتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد . نقول هذه المشابهة او المقاربة بين النصوص لا تفيد شيئا في الواقع ومجرد لقاء الباحث نظرة على كتاب الحجة لابي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون والقراء والمفسرون الاقدمون والمعاصرون للفارسي ولابن خالويه يجد ان جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة في المعنى وحتى في اللفظ في بعض الاحيان ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن ان نستدل بذلك على اثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب لاسيما وكتاب القراءات هو بنفسه في حاجة الى اثبات خاص ، ومن المعلوم ان بعض الكتب المنسوبة الى ابن خالويه وقع القدح في صحة نسبتها كما وقع في كتاب الشجر ، والحق انه من تصنيف ابي زيد اللقوي صاحب كتاب النوادر في اللغة كما اورد المحقق نفسه .

(8) الدليل الثامن من عند المحقق مما يحاول به اثبات كتاب الحجة لابن خالويه . قدم النسخ قال : وتاريخ نسخ كتاب الحجة الذي قيمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما في حين بعض كتبه الاخرى نسخت سنة 600 وسنة 772 قال : وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال النسخ من الكتب الاخرى ، ثم قال : ان الكتاب نسخة فريدة احتفظت

خالويه اشار الى بعضها مثل كتابه في اسماء الله الحسنى نقول : هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بان يذكر في اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر في كتب الطبقات ولا ذكر في باقي كتب ابن خالويه لهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه لان كتب الطبقات لم تذكره ولان ابن خالويه لم يشر اليه في تضاميف كتبه .

(3) الادلة في نظر المحقق ان التسمية بالحجة من عمل المتأخرين وان التسمية جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة لابن خالويه وحتى كتاب الحجة لابن علي الفارسي لم يقدمه ابو علي لعهد الدولة باسم الحجة الخ .

لا ادري ماذا يقصد الاستاذ المحقق من هذه النقطة الثالثة . ولا ادري ما هو مبنع اثر تاخير التسمية في موضوع اثبات النسبة او عدم اثباتها .

على اننا نؤكد ان النسخ المتينة التي توجد من كتاب الحجة لابي علي الفارسي مكتوب بظفر اول ورقة من اجزائه بخط عريق في القدم من نسخة كان يمتلكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . فمن ابن الجزم بان ابا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة وقد اطبقت فهارس الاشياخ الاقدمين على تسمية كتاب ابي علي الفارسي بكتاب الحجة وكذلك اطبقت نقول اشياخ القراءات في كتبهم على هذه التسمية ولم يشر واحد منهم على ان التسمية من وضع غيره .

(4) الادلة قول المحقق : التنافس العلمي في عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتاب الحجة في القراءات وانا لا ادري ما وقع هذا الدليل والتنافس العلمي ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من اصله ، وقد وقع التنافس في كثير من الفنون في عصره وام يؤلف ابن خالويه في جميع تلك العلوم المتنافس فيها .

(5) خامس الادلة قوله : ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ونسبته لابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى وجمل المحقق هذا الاسلوب والمنهج محصورا في الايجاز والاختصار وفي اشياء اخرى ذكرها . نقول ان الاسلوب والمنهج الذي كان سائدا في عصر ابن خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تعلمت لابن مجاهد وابو علي الفارسي في كتبه لم يكن يتبع غير طريقة الايجاز

بها مكتبة طلعت رقم 134 قرأمت وقد أشار اليهيا بروكلمان على كتابة تاريخ الأدب العربي . ثم قال : وقد حاولت العثور على نسخة اخرى حتى يتيسر التحقيق ويتجلى الغموض . ثم قال اخيرا : هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا يتقص من قدوه ولا ينزل به من مكانه ولا أدل على ذلك من هذه العجزة التي ذيلت بها الصفحة الاخيرة من الحجة وهي « قوبل وصحح بأصله المكتوب منه ولكن ابن ذهب هذا الاصل اقول يعني المحقق ذهب هذا الاصل لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدانها ليست غريبة عن لغتنا العربي ه » .

وهكذا نلاحظ ان ما قام به جناب المحقق من محاولات لاثبات نسبة الحجة لابن خالويه لا يصمد امام البحث العلمي ، فتاريخ النسخ المكتوب باخر نسخة الحجة التي امتدداها المحقق لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة عارية من اسم الناسخ ولو ذكر لا يمكن البحث عنه ومعرفة وزنه وقيمته زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري يعرف هذا بالبداهة من له خبرة بالخطوط وتطوراتها والمقابلة المذكورة لا تفيد أي شيء لان كاتبها مجهول ، وقد هودتنا المصادر العلمية بالاندلس وغيرها ان الناسخين يذكرون الاصول التي اعتمدها في نسخهم مع التمرير باصحابها وذكر الاسانيد التي توصلهم الى مؤلفيها ثم يذكرون المقابلة والسماع والطباق وتاريخ كل دولة من دول المقابلة ومع من كان يقابل وهذا شيء لا نجده مقتضورا في كتب الاقدمين على كتب التفسير والحديث بل نجده كذلك واضحا في كتب النحو واللغة والاداب ، وهذا ابو علي الصديقي محقق كتب الحديث نراه يطبق منهجه في كتب اللغة والنحو وسائر الفنون الاسلامية ، وهم وقفنا على نسخ من كتاب سيبويه بلغت الدرجة في الاتقان واجادة الرواية مع كتب السماع ، وهذه فهرسة الكاتب الراوية ابن بكر بن خير الاموي الفاسي يعطي فيها المثال الواضح والنموذج المثالي لعمل الاندلسيين في هذا الباب ، ونرى ابن خير يذكر في كتب القراءات التي يروها باسانيد كتاب الحجة لابن علي الفارسي هكذا :

كتاب الحجة لاختلاف القراء رحمهم الله تأليف أبي علي الحسين بن عبد الغفار الفارسي النسب السوي المولد النحوي رحمه الله حدثني به شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد المقرئ (صفحة 42 طبع مدريد) كما ذكر في الصفحة نفسها : كتاب اختصار الحجة المذكور تأليف أبي عبد الله محمد بن شريح بن أحمد المقرئ رحمه الله وقد أكثر ابن

خير من ذكر اعطت الكتب الكبرى في مصورها الاولى بالنسبة للمشاركة والمشاركة كما ذكر كتاب المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي تأليف أبي محمد مكي ابن أبي طالب ولم تعرج الفهرسة المذكورة ولا غيرها من الفهارس والمعاجم وطبقات القراء على كتاب الحجة المشهور لابن خالويه ، وفي خزائن القرويين بقية من اجزاء هذا الكتاب العظيم الذي خلفه ابو علي الفارسي معجزة من مفاخر هذا العقل الوهاب العالم بأسرار اللغة العربية ومقاييسها وفي هذه البقية عنوان احد اجزائه المكتوبة في الرق .

الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . واسفله : لملي بن محمد بن علي الشاري نفعه الله به . وبالاسف الشديد لم يبق من هذه النسخة المتينة الا بقايا لا تتجاوز اوراقا معدودة ، ولكن من لطف الله وجود نسخ تامة في الشرق الاسلامي في دار الكتب والمكتبة الاهرية وقد طبع منه الجزء الاول بتحقيق العالم علي النجدي ورفاقه .

فالذي يظهر لنا اذن بعد تتبع ملاحظات الاستاذ المحقق في خصوص اثبات نسبة كتاب الحجة لابن خالويه لان ذلك لا يمكن من طريق التمهيص العلمي ، لما لا يمكن ان نفيه عنه نفيا قاطعا ، والذي تميل اليه النفس هو ان كتاب الحجة هذا احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الاضائي لابن علي الفارسي لعالم مجهول والذي جعلنا نبيل الى نفي هذه النسبة هو ان جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليف الحجة ولم يعرج اصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ، ومن المعروف امتناء الاندلسيين والمغاربة والمشاركة بين القراءات وتصفحهم الدقيق لكل ما كتب في الفن في العصور السابقة ، وروايتهم ذلك بالاسانيد القوية ، ولم نر فردا منهم اشار اليه ولا لمح الى وجوده ، اما التعليل بظاهرة ضياع الكتب وفقدانها حتى لم يبق الزمان الا على نسخة واحدة ، فهذا يمكن قبوله لو ذكر الكتاب ولو مرة في مصدر من المصادر القديمة لاسيما ونحن نعرف قائمة طويلة من الكتب الضائعة لسبب من الاسباب ولكن في الوقت نفسه نجزم بنسبة الكتاب الضائع لصاحبه المعين بسبب تعدد ذكره في المصادر والاشارة اليه وحيدا لو كانت نسخة مكتبة طلعت التي مر عليها المحقق نسخة علمية عليها سماعات وقراءات بخطوط عاماء معروفين في التاريخ لو كان ذلك لوقع بعض الاطمئنان .

حول تحقيق كتاب ابن الجوزي

تقويم اللسان

الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني

- الرباط -

وقد شرعنا في تحقيق (المخطوط)
فوجدنا انه كثير التصحيف ، وراينا من
الضروري ان نرجع الى المراجع اللغوية : كلسان العرب
والصاحح ، والقاموس ، وتاج العروس ، و (تكملة
اصلاح ما تفلط فيه العامة) للجواليقي و (المغرب من
الكلام الامجمي) للجواليقي ، و (شفاء الغليل ، فيما
في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي .
فوجدنا ان كثيرا مما ينتقده ابن الجوزي يجيزه بعض
واخر افسرنا في تسجيل التعليقات التي لم تكن نظن
اول الامر اتنا في حاجة اليها !

وبينما نحن نواصل عملنا قرانا في بعض الصحف
نبا طبع الكتاب ا فلم تلبث همتنا ان فترت عن مواصلة
العمل ا في انتظار الاطلاع على الناشر . ولكننا لم
نتوقف للوقوف عليه ا شأنه في ذلك شأن كثير من كتب
التراث والدراسات الجادة التي تطبع في البلاد العربية
ولا يصل منها شيء للمغرب ا

واخيرا ارتأى الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله اننا
بدلنا مجهودا فيما حققناه من الكتاب لا موجب لقيامه،
فقد يكون في نشر ما اتممنا تحقيقه في (مجلة اللسان
العربي) التي يصدرها (المكتب الدائم) فائدة لبعض
القراء ، فلم ار مانعا من الموافقة على ذلك .

على امل ان تسمح لنا ظروفنا بالتمام بتحقيق ما
بقي من الكتاب ، واعادة النظر مرة اخرى فيما علقناه ا

عندما طلب مني صديقي الاستاذ عبد العزيز
بن عبد الله ان اختار رسالة مخطوطة تتناول موضوعا
لغويا لنتعاون معا على تحقيقها ونشرها ، في نطاق
نشاط (المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن
العربي) التابع (لجامعة الدول العربية) والذي يوجد
مركزه بالرباط . اتجه ذهني الى كتاب (تقويم اللسان)
لابي الفرج ابن الجوزي ، الذي توجد منه نسخة
مخطوطة في (قسم المخطوطات التابع للخزانة العامة
للكتب والمستندات بالرباط) ضمن مجموع يحمل رقم
د 1872 فهو :

1 يذكر الالفاظ التي يخطئها الناس في
استعمالها ويبين وجه الصواب فيها .

2 - وهو رسالة صغيرة تقع في 20 ورقة .

3 - ثم هو من تأليف وامظ شهير ، ومؤلف
مكرر وقد وافق الصديق على الفكرة .

ورجعنا الى (فهرس المخطوطات المصورة)
بمعهد احياء المخطوطات العربية ، ج 1 تصنيف المرحوم
الاستاذ فؤاد سيد . فوجدنا فيه نسختين :

احدهما بعنوان (غلطات الموام) رقم لفة 190
ص 362 مصورة من مكتبة لالهلي باستانبول .

والثانية بعنوان (ما تلحن فيه العامة) رقم لفة
227 ص 368 مصورة من مكتبة شهيد علي .

وصف المخطوطة

نسخة مخطوطة في مكتبة طلعت برقم 427 لفة ...
(ص 85) .

وسماه الخوانساري في (كتاب روحدات الجنات
في احوال العلماء والسادات) ص 427 : (تقويم غلط
اللسان) ا

كما ذكر العلوجي (مختصر تقويم اللسان) ا
رقم 357 ، وقال ان منه نسخة في مكتبة مدرسة
سبسالار .

واما الاسم الثاني وهو (غلطات العوام) فذكر
العلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) (ص 85) ان
بروكلمان ذكره ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة يحيى
افندي باستانبول .

واما الاسم الثالث وهو (ما تلحن فيه العامة)
فقد ورد في (كشف الظنون) (ما يلحن فيه العامة)
وقال عنه : مختصر في فصول ... ذكر فيه وانتخب
من كتب هذا الباب ما نعم به البلوى دون ما يشذ
استعماله ويندر . (ج 2 ضلع 1577 طبع استانبول
1362 هـ 1943 م .)

وذكره ايضا البغدادي في (هدية العارفين) (ج 1
ضلع 522) على انه كتاب آخر غير (تقويم اللسان) !

وزاد عبد الحميد الطوجي في (مؤلفات ابن
الجوزي) رقم 86 (تقويم اللفة) وقال : ذكره بروكلمان
ومنه عدة نسخ مخطوطة في المكتبة البودلية ، وفي برلين
وفي الايسكوريال ، وفي خزانة لالهلى باستانبول .

ويلاحظ ان الرقم الذي ذكره لنسخة لالهلى هو
3573 ، وهو نفس الرقم الذي في (فهرس المخطوطات
المصورة) باسم (غلطات العوام) ا

وهكذا يتأكد ان جميع هذه الاسماء اسم لسمى
واحد الا ان يكون (مختصر تقويم اللسان) مختصرا
من هذا .

تقع مخطوطتنا من (تقويم اللسان) في 42 ص ،
في اولها اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وبعض التملكات ،
منها تملك يوسف الانصاري بتاريخ 1177 هـ وتوقيعه
وطابعه .

وفي اخرها : كذا ، وهو خطأ ، لان اليوم انقضى .
وهذا آخره والله اعلم . ووافق الفراغ من كتابتها في
يوم الاربعاء المبارك ثامن عشر شهر شعبان المكرم من
شهور سنة تسعة وأربعين والف .

وهي بخط مشرقى جميل ، خالية من تسمية
الناسخ ومسطرتها 25 .

هل هو مؤلف واحد او اكثر ؟

ذكرنا فيما سبق ثلاثة أسماء هي :

1 (تقويم اللسان) وهو اسم نسختنا ، وهو
الاسم الذي ذكره سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان)
وقال : انه جزآن ا (د ص 484 من القسم الاول من
الجزء الثاني ، طبع حيدرآباد الدكن 1370 هـ 1951 م)

وهو ايضا الاسم الذي ذكره ابن رجب في (الذي
على طبقات الحنابلة) مما نقله ابن القطيبي من خط ابن
الجوزي ، وقال : انه مجلد ا (د ج 1 ص 419 طبع
القاهرة 1373 هـ 1952 م) ثم اعاد ابن رجب ذكره
- مرة اخرى - فيما استدركه على ابن القطيبي ا
(ص 420) .

وهو ايضا الاسم الذي ذكره اسماعيل البغدادي
في (هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين)
(ج 1 ص 521 طبع استانبول 1951) .

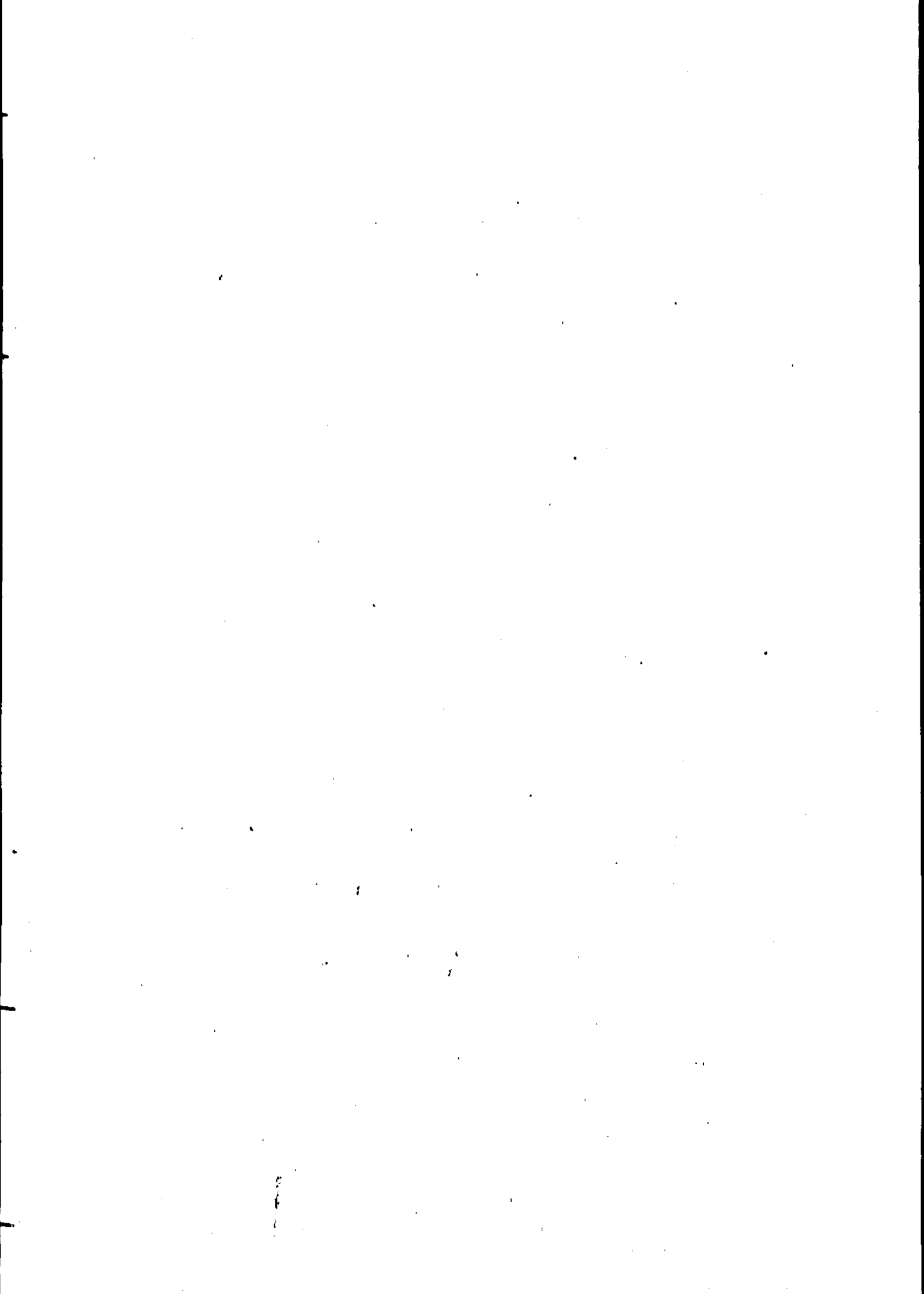
وذكر عبد الحميد العلوجي في (مؤلفات ابن
الجوزي) رقم 85 (تقويم اللسان) وقال ان منه

Handwritten text, mostly illegible due to fading and bleed-through.

Handwritten text, mostly illegible due to fading and bleed-through.

نشاطات الجمعية والمكتب الدائم للتغريب

- ♦ المكتب الدائم في سنته الثامنة
- ♦ مسابقة المكتب الدائم
- ♦ نشاط الجمع السوري للغة العربية
للاستاذ جعفر الحسني
- ♦ مشروع النظام الاساسي لاتحاد الجامع اللغوية العلمية
العربية
- ♦ بين المجلة وقرائها
- ♦ مجلة المجلات : اللغة العربية
للاستاذ احمد العايد



المكتب الدائم في سنته الثامنة

1962 - 1970

4 (متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

ونلخص فيما يلي مختلف المنجزات والنشاطات التي قام بها المكتب منذ انشائه الى ان انضم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

1 (منجزات السنوات (من 1962 الى 1965)

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه في جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثي لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد ما يلي :

— مجلة « اللسان العربي » ، وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية ، وكذلك مختلف نشاطات المكتب والمجامع والجامعات والشخصيات العلمية في الوطن العربي وفي بقية العالم في ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفترة ثلاثة اعداد (الاول والثاني والثالث) .

— سلسلة معاجم علمية تعاون على تأليفها مع بعض المؤسسات العربية والمجامع اللغوية والعلمية والافراد العالميين وهي :

- 1) معجم الرياضيات
- 2) معجم الفيزياء
- 3) معجم الكيمياء

انعقد مؤتمر التعريب من 3 الى 7 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربي من تجربة الشرق العربي في حقل التعريب ، وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية بناء على قراره رقم 2541 د - ج - 4 - 1969 في دور انعقاده العادي الحادي والخمسين على النظام الاساسي للمكتب واقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية هدفها بتلخيص فيما يلي :

1 (تلقى وتتبع ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله ومقارنته وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل بالفراض التعريب وعرضه على مؤتمرات التعريب .

2 (التعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى النتائج العلمية التي تنتهي اليها الجهود في تلك البلاد .

3 (العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في البلاد العربية .

(2) سلسلة معاجم صغيرة تعنى بالمصطلحات الحضارية كجزء من معجم المعاني وهي :

- معجم الاسماء والعلوم والفنون والمذاهب والنظم .
- معجم الاجهزة والالات
- معجم الالعب واللعب العربية القديمة
- معجم السماكة والاسماك
- معجم الالوان
- معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار والمعادن والفلزات
- معجم الاطعمة
- المعجم المنزلي
- معجم البناء

(3) معجم الحساب الابتدائي :

وهو معجم فرنسي - عربي للمصطلحات المستعملة في المدارس الابتدائية وضع طبقا لحاجيات المدارس بالمغرب العربي .

(4) استجابة لرغبة وزارة الفلاحة والمصلحة التوبوغرافية المغربية قام المكتب بتعريب القسم الاول من المعجم الاخراطي المتعدد اللغات الذي امدته الجمعية الاخراطية الدولية بعدما قررت الموافقة على طاب ممثل المغرب باضافة اللغة العربية الى لغات المعجم الست ، وقد صدر هذا العمل ضمن العدد السابع من مجلة « اللسان العربي » .

وتجدر الملاحظة هنا الى ان المكتب يتلقى بصفة مستمرة من الوزارات والمؤسسات الحكومية وفيها بالمغرب قوائم المصطلحات التقنية في مختلف العلوم والفنون قصد تزويدها بالمقابل العربي .

(5) اعداد مشروع معجم الاقتصاد والقانون الذي سيورع خلال هذه السنة على نطاق واسع في الوطن العربي لاجل الدراسة وابداء الرأي من طرف المختصين في الموضوع .

وبالاضافة الى ذلك فقد قام المكتب بمعدة نشاطات موازية لما انجزه خلال السنوات السبع الماضية تلخص فيما يلي :

— المشاركة في عدة مؤتمرات ومناسبات عربية كبرى مثل معرض طرابلس سنة 1963 واشرافه بجانب الجامعة العربية على المؤتمر الثاني للمصطلحات

(4) معجم الفقه والقانون

(5) معجم الاشغال العمومية

(6) معجم السياحة

(7) معجم الطحانة والخبازة والفرانة

(8) معجم مصطلحات السيارة

هذا وقد وزعت في وقتها في العالم العربي وتوصلنا بملاحظات في شأنها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب المكتب الدائم على تحضير ندوة في خصوص تأليف معجم مدرسي موحد انطلاقا من اقتراح ممثل الجمهورية العربية المتحدة في المجلس التنفيذي للمكتب الدائم بالرباط (الدورة الاولى لعام 1962) ، غير ان الندوة المقررة في شأنه لم تنعقد لعدم توفر الخبراء الذين كان من المقرر ان يناط بهم مراقبة الاعمال الاولية لاعداد هذا المشروع .

ونعد الآن لهذه الندوة باعداد معجم ابتدائي للعلوم ثم معجم ابتدائي حضاري بالاضافة الى معجم الحساب .

(ب) منجزات السنوات (من 1966 الى 1970)

استهل المكتب عمله باديء ذي بدء بوضع تصميم عشاري للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد معجم علمي وتقني عام وزع في ابانه على الدول العربية من اجل ابداء الرأي والمشاركة في تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينما في تنفيذ هذا المشروع مستهلا عمله بوضع جزرات (بطاقات) باللغات المختلفة للمصطلحات التي توصل بها من الجامعات والجماعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والشخصيات العلمية بالوطن العربي وكذلك من الخبراء العرب ومن مراسلي المكتب الذين هينتهم مختلف الحكومات العربية في مختلف الشعب العلمية والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزرات لحد الآن ثلاثمائة الف جزارة وما زال عددها في حالة نمو مستمر .

وفي نطاق هذا التصميم اصدر ما يأتي :

(1) مجلة «اللسان العربي» (اربعة اعداد) (الرابع والخامس والسادس) أما السابع فقد صدر في جزئين (الاول للدراسات والابحاث اللغوية والثاني للمعاجم التي وضعها المكتب وبعض مراسليه في مختلف الفنون والعلوم) .

العربية بالجزائر سنة 1964 وشارك في مؤتمرات وزراء التربية الصرب بيفساد والكويت وفي عدة اجتماعات أخرى عقدت في بعض الدول العربية .

— تنظيم سلسلة من المهرجانات كأسبوع التعريب بالمغرب سنة 1964 والمواسم الثقافية والقضائية والعلمية المشتملة على المحاضرات والندوات والمعارض قصد التعريف بالكتاب العربي في فنونه المختلفة وكان الغرض من هذه الاعمال هو التعريف بجهود الدول العربية في حقل التعريب وما وصلت اليه العربية في ميدان الثقافة والعلم بالإضافة الى توعية الجماهير لاحتلال اللغة العربية المكانة اللائقة بها في المجتمعات العربية وخصوصا منها اقطار المغرب العربي نظرا لحاجته الماسة للتعريب .

وفي نطاق هذه الحملات اصدر المكتب مفعما لمحاربة الدخيل الاجنبي تحت عنوان (قل ولا تقل) وقد كان محل اهتمام بالغ من لدن اجهزة الاعلام في اقطار المغرب العربي . وقد صمم المكتب الدائم العزم على محاربة الدخيل الاجنبي خاصة في التمييز الاشهاري في مجالات التجارة والصناعة فالتفق في المغرب مع المسؤولين الاداريين على اعادة النظر في اللوائح الاشهارية من اجل تصحيحها في المتاجر والمصانع ، وما اقرته وزارة الداخلية المغربية في هذا الشأن اجبار اصحاب المنشآت والمؤسسات التجارية والصناعية الجدد على تقديم طلب رخصة خاصة يحتوي على تسمية المؤسسات او المنشآت للتصديق عليها من طرف مكتبنا .

والى جانب ذلك انشا في مبنى للحكومة المغربية (مقره القديم) مكتبة تحتوي على كتب ومجلات علمية وثقافية وضمت رهن اشارة المثقفين والباحثين والاساتذة والطلاب للاستفادة منها وللتعريف بجهود الدول العربية في مختلف الميادين العلمية والثقافية والفنية ، وما زال يناشد الدول العربية لتبنيها وتنويعها نظرا للاقبال المتزايد لروادها .

برامجه وجدوله خلال سنة 1970 - 1971

(1) اعداد مجلة اللسان العربي (المجلد الثامن في ثلاثة اجزاء) في نفس نسق المجلد السابع .

(2) تنسيق المشاريع المعجمية التي اصبح المكتب يتبناها بتكليف من مجلس جامعة الدول العربية

في موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية بين الدول العربية في خصوص المعاجم الآتية :

- معجم الرياضيات
- معجم الكيمياء
- معجم الطبيعة (الفيزياء)
- معجم الحيوان
- معجم الجيولوجيا
- معجم النبات

وبما ان الاجوبة التي توصلنا بها من الدول العربية لم تتضمن اراء كل من سوريا - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - فقد اضطر المكتب الى اعداد معاجم اضافية تكميلية تشمل بقية الحصيللة العلمية التي لم ترد في هذه المشاريع .

ونظرا لصيغة الاستعمال التي تكتسيها هذه المشاريع فقد اعطيناها الاولوية واجلنا عملنا فيما يتعلق ببعض المشاريع المعجمية التي تضمنها تقريرنا المقدم الى مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (آذار - مارس 1970) باستثناء ما يرد علينا من المنظمات العربية من اجل التحقيق والتنسيق والتي تفرضها الحاجيات الملحة المفروضة في الوطن العربي نذكر منها على سبيل المثال :

— مشروع القاموس البريدي الذي احواله علينا الاتحاد البريدي العربي من اجل ابداء رأينا في محتواه ، وقد وضعنا تقريرا عنه يتضمن ملاحظتنا واقتراحاتنا في الموضوع . وبالفعل فقد تم اخراج هذا القاموس متضمنا التعديلات التي ادخلنا عليه .

— مشروع معجم المصطلحات البترولية الذي ورد علينا من المنظمة العربية للبترول من اجل تنسيقه . وقد قمنا باعداد الاقسام الثلاثة الواردة علينا مع وضع المقابلات الفرنسية واضافة مشروع معجم ملحق حاولنا ان نستقصى فيه ما فات المشروع الاول من مصطلحات انطلاقا من احدث المعاجم المستعملة في منظمات البترول العالمية .

— اعداد معجم علمي للمدارس الابتدائية العربية تميما لما ورد في معجم الحساب الانف الذكر من المصطلحات العلمية .

مسيطرة العمل في خصوص تنسيق المصطلحات

يتلخص المنهج الذي وضعه المكتب لتنسيق المعاجم في :

أ - استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف المصطلحات المقترحة للدلول الواحد .

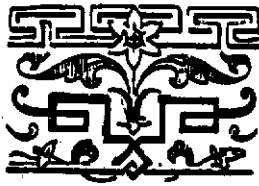
ب - وضع المقابلات الاجنبية بنفة نائثة وهي الفرنسية او الانجليزية بالاضافة الى العربية في خصوص المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف في المناهج بين الدول العربية التي كانت تستعمل اللغة الانجليزية في التعليم والدول العربية الاخرى التي كانت تستعمل الفرنسية .

وإذا كان للمعجم صيغة تكنولوجية دولية فإننا سنحاول اضافة لغات اخرى كاللمانية والروسية

ج - استقراء المفاهيم على الصعيد العالمي في الاطار المحدد للمعجم .

د - ميده الاحتفاظ بالمشروع الاصلي لكل معجم واطافة مقابل اجنبي ثان انجليزي او فرنسي مع اثبات ملحق عن المصطلحات الاضافية المستعملة في هذا النسق او ذلك من الوطن العربي .

هـ - اصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء خاص في كل طبعة من مجلة « اللسان العربي » مع طبعة اخرى مستقلة لكل مشروع معجم ضمن ملحقه مرتين تريبا موحدا ، وذلك من اجل عرضها على الاخصائيين والخبراء في البلاد العربية والدول العربية المهتمة بالاشتراق والاستعراب تمهيدا لعرضها على ندوة الخبراء العرب تتمقد في احدي المواسم العربية باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت اشراف جامعة الدول العربية وذلك لاقرارها نهائيا والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة في الجهاز التعليمي بالدول العربية .



مسابقة المكتب الدائم

وقد وردت على المكتب - تلبية لندائه -
الابحاث والمخطوطات الآتية :

1 (منهج التويري في « نهاية الارب في فنون الادب »
المبد الحليم الندوي
استاذ الادب العربي بالجامعة العاية الاسلامية
- دلهي الجديدة - (الهند)

2 (كتاب « الحجة في قرارات الائمة السبعة من
اهل الانصار الخمسة »

شرح وتحقيق ودراسة :
عبد العالي سالم مكرم
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها
من كلية دار العلوم ، والمدرس بجامعة الكويت

3 (نحو العربية الدارجة
محمد بن عبد الرحمان مادير

4 (الارجوزة المسماة « بالمورث لمشكل المثلث »

صححها وشرحها :
محمد بن رمضان شاوش
الاستاذ بشانوية الحكيم ابن الزرجي
تلمسان - (الجزائر)

في اواخر عام 1969 شرع المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في الوطن العربي في تنظيم
مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة
عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ،
وقد اختار لتدشين هذه البادرة أن يكون موضوع
المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والاسلامي
ما يلي :

- تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة
العربية -

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم
او ما يقابلها من عملات اجنبية مع جوائز ثانوية اخرى
ويشترط أن يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة
العربية على شكل معجم او دراسات او ابحاث لميسة
(لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار،
كما يشترط أن يكون البحث مستوياً أصيلاً لم ينشر
قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم
المتوسط ، ومعلوم ان المسابقة تسهر عليها في كل
قطر مربي الشعب الوطنية للتعريب العاملة في نطاق
المكتب الدائم داخل هذا القطر وقد اشرفت الشعب
المقرية للتعريب هذا العام على هذه المباراة اللغوية
الاولى برئاسة الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي
وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي
ومعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في دائرة
وزارته الخوقرة التي تسهر على عمل الشعب المذكورة.

- 5 (الأضداد في اللغة
للاستاذ حسين محمد (ج . ع . م .)
وقد تشكلت لجنة برئاسة الاستاذ محمد الفاسي
عقدت اجتماعها الاول صباح يوم الاربعاء 17 / 9 / 1970
وقررت ما يلي :
- اولا :
- 1 - اسناد بحثي : « العوامل الطارئة على اللغة »
« وابو اسحاق الفزى »
الى السيد هلال الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس
- 2 - اسناد بحثي : « متخير الالفاظ »
و « دراسة وبحث حول اللغة العربية »
الى السيد احمد الأخضر فزال
الاستاذ بجامعة محمد الخامس
- 3 - اسناد بحث : « كتاب الحجة في قراءات الائمة
السبعة »
الى السيد العابد الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين
- 4 - اسناد بحث : « من اسرار العربية في البيان
القرآني »
الى السيد محمد بهاء الدين الاميري
الاستاذ بدار الحديث الحسنية
(جامعة القرويين)
- 5 - اسناد بحث : « الأضداد في اللغة »
الى السيد محمد ابراهيم الكتاني
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس
ومحافظ قسم المخطوطات بالخرانة العامة
بالمغرب
- 6 - اسناد بحث : « الارجوزة المسماة بالموروث
لمشكل المثلث »
الى ابن عبد الهادي المنوني
خبير في قسم المخطوطات في الخزانة العامة
والخرانة الملكية بالمغرب
- 6 (العوامل الطارئة على اللغة
للدكتور محمد هيد
كنية دار العلوم - القاهرة
- 7 (معاجم الابنية في اللغة
للدكتور احمد مختار عمر
ماجستير فقه اللغة من القاهرة
دكتوراه فقه اللغة من كمبودج
- 8 (حول اللغة العربية
الاستاذ احمد عبد الرحيم السايح
(من شيوخ الازهر)
- 9 (اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل
محمد محمود حمزة
الطالب بكلية الحقوق - جامعة القاهرة
- 10 (نحو الامية في العالم العربي (المشكلة . . الحلول)
حسن نوفل
ماجستير في اللغة العربية
- 11 (« متخير الالفاظ »
تصنيف احمد بن فارس
مخطوط حقيقه وقدم له الاستاذ هلال ناجي
(العراق)
- 12 (ابو اسحق الفزى
الاستاذ رفيق حسن الحليمي
- 13 (دراسة وبحث حول اللغة العربية
الاستاذ محمد يوسف نور الدين (لبنان)

ثالثا :

اتفقت اللجنة على ان تعقد اجتماعا ثانيا يوم 31 اكتوبر 1970 تقدم فيه نتائج دراساتها وتحديد القيم العلمية لبحوث التي اسندت اليها .

وقد انعقد هذا الاجتماع بالفعل وبعد مناقشة طويلة ومروضة قدمها كل عضو حول ما اسند اليه من مخطوطات وابحاث تقرر ما يلي :

— الاحتفاظ بالجائزة الاولى :

— الجائزة الثانية منحت للاستاذ هلال ناجي من العراق عن كتابه « متخير الالفاظ » وقدرها 3000 درهم (اي نحو 600 دولار)

— الجائزة الثالثة منحت للاستاذ حسين محمد من الجمهورية العربية المتحدة من كتابه « الاضداد في اللغة » وقدرها 2000 درهم .

— الجائزة الرابعة منحت للدكتور محمد عيد من الجمهورية العربية المتحدة عن كتابه « العوامل الطارئة على اللغة » وقدرها 1000 درهم .

7 - اسناد بحث : « اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل

الى ادريس الكتاني
الاستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

8 - اسناد بحث : « معاجم الابنية في اللغة العربية »

الى محمد بن تاويت
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

9 - اسناد بحث : « حول اللغة العربية »

الى الاستاذ عبد الحق فاضل
خبير في المكتب الدائم

ثانيا :

الفاء البحوث التالية من المسابقة

1 - نحو الامية في العالم العربي : المشكلة . والحلول

2 - نحو العربية الدارجة

3 - منهج النويري في نهاية الارب في فنون الادب : بحث ودراسة .



نشاط المجمع السوري للغة العربية

الأستاذ جعفر الحسني ، الإصمبية العام
« دمشق »

مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة
المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا أن نحتفل بعيده الذهبي
على نطاق عربي شامل امتزاجا بجمله وخدماته التي
اسداها للغة العربية وثقافتها .

ان تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس
مجامع علمية في اقطار عربية اخرى كالاردن ولبنان
ولم يكتب لجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ،
الا ان مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقا الى
العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم
مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم
به مجمع دمشق الذي هو اقدم الجامع في العالم
العربي .

ولئن ماتنا تحقيق امنية التكريم على الوجه الذي
كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار
وان تكتب له السلامة والازدهار على مر الايام ليستمر
في أداء رسالته حتى يتبها خدمة للغة العربية وثقافتها.

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا احصاء جميع ما
حققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية وانني لاكتفي
باحالة من يرغب في معرفة ذلك الى مقال الاستاذ
الدكتور حسني سبوح الذي نشره في عدد مجلة المجمع
الخاص الصادر حديثا ، والذي وزع في حينه ليجد فيه
ما ينتق اللغة ويطلني الأوار أو ان يعود الى مجموعة

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة
مجلس المجمع الختامية لدورة عام 1968 - 1969 م
مع ذكرى مناسبة مزينة هامة هي ذكرى مرور خمسين
عاما على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح ليما
بعد مجمع اللغة العربية بدمشق . فلقد استقلت سورية
العربية عام 1918 بعد جهاد طويل وولدت مع هذا
الاستقلال فكرة انشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة
العربية التي طغت عليها العجمة خلال العهد التركي
الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع
المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشيا
مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي
عام 1919 م اي قبل خمسين عاما خلت وضمت اليه
دار الكتب الظاهرية وجعل متره المدرسة العادلية
الكبرى بعد ان حررت من واضع اليد عليها ، وبعد ان
رمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية
تعد من اقدم المدارس بدمشق واشهرها وأجملها ،
انشأها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل
أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ،
والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع
فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا
لقد درس فيها عدد من ائمة العلماء الاعلام منهم ابن
خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس
المجمع دارا للآثار الاسلامية ومرض في احدى غرفه
ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من

مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل
لأعماله منذ تاسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (44) مجلدا
يبلغ مجموع صفحاتها نحواً من (30) ثلاثين ألف صفحة
تضم مختلف الأبحاث اللغوية والنحوية والتاريخية
والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة
غنية بشتى نروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة
الملاحق لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية
واللغوية الحديثة في سائر الاقطار العربية .

ان اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات
الأخرى فهي لا تقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي
حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جديداً ،
وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فان أمرها يعود
على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يعلمان من علماء
العربية في الاقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث
القيمة والمفالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه
البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ما حققه العلماء
من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده
ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بحث
الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على إلقاء سلسلة من
المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال
والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة
مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في جلة جهوده ،
براقبة الأتلام وتتبع هنواتها في باب (عثرات اللسان
وعثرات الأتلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في
تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تاسيسه (125) كتاباً من
عيون تراثنا الأدبي القديم وحققت أكثر هذه الكتب أعضاء
المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها
من الاقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (44)
مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك
مجموع ما طبعه (179) مجلداً هي من أمهات كتب
الراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لاسيما
إذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لعضويته أصحاب
الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها
نضم إليه خلال مدة وجوده (251) عضواً بين عامل
ومراسل وجعلهم من اعلام العرب والمستشرقين ، وقد
تولى منهم إلى رحمة الله (166) عضواً وبقي منهم

(75) عضواً ما زالوا بحمد الله يعملون وينتجون ،
بمد الله بعميرهم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لحة عاجلة من ماضي مجتمنا
واليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (1967 -
1968) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، تقرر
بعض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد
أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

1 - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي
الدهان .

2 - تطلب السرور في أوصاف الخبور لأبي اسحق
ابراهيم المعروف بالرتيق النديم التيزواني تحقيق
الأستاذ أحمد الجندي .

3 - التنبية على حدوث التصحيف لحيزة بن الحسن
الأسفهانى ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة
السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين
الموحى .

4 - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد
الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كتون .

5 - خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء
الشام) للعماد الأسفهانى الكاتب تحقيق الدكتور
شكري نبيل .

6 - مفرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم
الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

7 - مفرس مخطوطات دار الظاهرية (قسم الطب)
وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .

8 - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ النفاخ
والدكتور حسين عطوان .

9 - مفرس المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق
لابن عساكر . وضع الأنسة ملك هنانو .

10 - مجلة مجمع اللغة العربية (43) لسنة 1968
ويوجد تحت الطبع :

1 - كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال
المسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .

2 - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان
للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

3 - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .

4 - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني ايوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

الجلسة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (44) لعام 1969 المعدادان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (438) صفحة اشترك في تحريره اعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

1 - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضوا مراسلا

2 - الاستاذ ناصر الدين الاسد (الاردن) عضوا مراسلا

3 - الدكتور نيمصل دبدوب (العراق) عضوا مراسلا

4 - الاستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضوا مراسلا

استقبال اعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين كريمتين رشحها لعضوية المجمع علمها وفضلها واخلاصها لمبادئ المجمع وهما الاستاذان : وجيه السمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من اعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الاستاذ الرئيس برحلة الى مصر والمراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معهما تعزيز العلاقات الاخوية فيما بين الجامع الثلاثة والتعاون فيما بينهم من طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثيرة ومفيدة تكلت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات فعلا .

اهداء مكتبات :

1 - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الامير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع

ما اوصى به المرحوم من كتب واثاث ومخطصات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والاحصاء.

2 - كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقسي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمسامي الاستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

3 - واهدى الاستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلاولئك جميعا شكر المجمع وتقديره .

انشاءات :

ان مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل اسباب الراحة.

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة ان يذكر بالاسف والرحمة الاعضاء الراحلين من وانتمهم المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الاستاذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة واجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دمي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للطبوعات العلمية الذي سيعقده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لبي المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الاستاذ الدكتور حسني سبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري نيمصل في الحفل الذي اقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تابيناً للمغفور له الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، واحد اعضاء مجمع القاهرة سابقا .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الازريربجانية .

ب - مهرس مخطوطات قسم الطب للاستساذ
سامي حمارنة .

ج - كتاب « ترويح القلوب في ذكر الملوك بني
أيوب » تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د - مهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع
الإستاذ ناصر الدين الألباني .

هـ - طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في
أسماء الأشياء للمسكري . تحقيق الدكتور
عزة حسن .

2 - المباشرة بطبع الكتب الآتية :

أ - ديوان الشاعر ابن أهرم تحقيق الدكتور محمد
عطوان الأستاذ في الجامعة الأردنية .

ب - ديوان مرقلة الكلبى تحقيق أحمد الجندي .

ج - طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة
أسماء الحمصي .

د - طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري
بمصل .

هـ - طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي
الدعان .

و - طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر
والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي
وتحقيق الأستاذ عارف النكدي .

ز - طبع مهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك
عند العرب وضع الأستاذ إبراهيم الخوري .

ح - طبع مهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع)
من الجزء 31 - 40 - وضع الأستاذ عمر
رضا كحالة .

ط - طبع مهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في
دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي - طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ
دمشق لابن عساكر تحقيق الأئمة ملك هنانو .

ك - طبع المجلة (45) من مجلة المجمع .

3 - وقد قرر المجمع إعادة طبع أكبر عدد من
مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نفذت وبأثر
طبع المجلد الأول من المجلة .

أما في خصوص دورة المجمع لعام 1969 -
1970 فقد كانت مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين
سنة على تأسيس مجتمنا هذا ، ولقد كانت المرحلة
التي مرت بنا مرحلة انشاء وتأسيس ، لفترة وضعت
ليها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا
الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد،
يرمي إلى رفع مستوى المجمع وابعاد شأنه في كل هدف
من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه
المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم المائثر الذي
سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من
هذا العام 1969 وسيشارك المجمع في هذا العيد الكبير
ليحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه، وقد خصصت
له أيام خاصة يتحدث بها الجمعيون عن تاريخ المجمع
ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها
وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من
خدمات كبرى وقد دعا المجمع إلى المشاركة في هذا
الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العامين
لمجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لمكتب التعريب في
الرباط .

المشروعات :

إن لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات
كثيرة نرجو أن يتحقق جلها إن لم تساعد الظروف على
تحقيقها كلها ومن أهمها :

1 - ملء الشواغر بانتخاب الأعضاء العاملين
والمراسلين في المجمع .

2 - والفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة إلى
ضرورة السعي لتعديل ملك المجمع ودار الكتب
الظاهريّة لأن كثرة الأعمال أصبحت تتطلب هذا
التعديل ، كما إن وضع المجمع قد أصبح يقضي
بتمديد بعض المراتب والدرجات في المديرية
المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

1 - سيمد المجمع إلى أكمل المطبوعات التي بوشر
بها سابقاً وهي :

أ - مهرس المجلد العاشرة من تاريخ ابن عساكر
وضع الأئمة ملك هنانو .

مَسْرُوعُ النِّظَامِ الأَسَاسِيِّ لِاتِّحَادِ المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ

ب - رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

المادة الخامسة : ينتخب أعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيسا وأمينا عاما وأمينين مساعدين ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السادسة : يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية، ويحدد مكان الاجتماع وزماته بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع بدعوة من أمين عام الاتحاد بناء على طلب مجتمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة .

المادة السابعة : تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الأغلبية المطلقة للأعضاء. وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين ، وفي حالة تساوي الاصوات يرجح الجانب الذي يضم اليه الرئيس

المادة الثامنة : اختصاص المجلس :

أ - النظر في الاعمال السنوية لمكتب الاتحاد واقرارها .

ب - النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية واقرارها .

ج - تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها .

المادة الاولى : ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ، ويكون مقره مدينة القاهرة .

المادة الثانية : يتألف الاتحاد من :

أ - مجمع اللغة العربية في دمشق .

ب - المجمع العلمي العراقي في بغداد .

ج - مجمع اللغة العربية في القاهرة .

د - كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

المادة الثالثة : اهداف الاتحاد :

أ - تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في الامور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

ب - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

المادة الرابعة : يدير اعمال الاتحاد مجلس يسمى (مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ويؤلف على الصورة الآتية :

أ - عضوان من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو ، أربع سنوات قابلة للتجديد .

د - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها الجامعات المختلفة واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك .

هـ - وضع المشروعات التي تحقق اهدافه ، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد .

و - النظر في الاقتراحات المتصلة بأهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في العالم العربي أو خارجه .

ز - تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد ، تشارك فيها الجامعات الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

ح - وضع الأنظمة الداخلية اللازمة لسير العمل المادة التاسعة : بمقتضى مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد الجامعات الأعضاء

المادة العاشرة : مكتب الأمانة العامة في المقر الرسمي للاتحاد ، وللأمين العام أن يستعين بمن تدمر الحاجة إليهم من الموظفين .

المادة الحادية عشرة : اختصاصات الأمانة العامة :

أ - تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية .

ب - تقديم تقرير سنوي عن أعماله إلى مجلس الاتحاد .

ج - إعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د - تحضير المجلس وعرضها عليه ، وتسليم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة .

هـ - ينوب الأمين العام المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد ، كل في مجتمعه .

المادة الثانية عشرة : تتكون مالية الاتحاد من :

أ - اشتراكات الجامعات الأعضاء التي يحددها مجلس الاتحاد .

ب - الأمانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة للدول العربية .

ج - الهبات والإعانات التي يقبلها مجلس الاتحاد

المادة الثالثة عشرة : تودع أموال الاتحاد في مصارف عربية يمينها مجلس الاتحاد ويرسم المجلس طريقة الأيداع والسحب .

المادة الرابعة عشرة : تحدد اللائحة الداخلية إجراءات تنفيذ النظام الأساسي للاتحاد . ولمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه متى أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع المادة الخامسة عشرة : يصبح النظام الأساسي للاتحاد نافذا بمجرد موافقة الجامعات الأعضاء عليه .

القاهرة في 30 أبريل (نيسان) 1970

التواقيع :

المجمع العلمي العراقي

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

اللواء محمود شيت خطاب

مجمع اللغة العربية في القاهرة

الدكتور طه حسين الأستاذ زكي المهندس

الدكتور إبراهيم مدكور

مجمع اللغة العربية في دمشق

الدكتور حسني سبيع الدكتور عدنان الخطيب

بين المجلة وقرائها

تجلى عناية القراء الكرام في السيل العارم من الرسائل التي تنهال على المكتب من مختلف الاصقاع في العالم العربي والاسلامي .
♦ ونحن اذ نشكر هذا الاهتمام والحماس ، ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقرائها من اساتذة وطلبة وباحثين ، يسرنا ان نجعل من المجلة ميداناً للنقاش العلمي الحر ، لذا فالمجلة ترحب بكل ود بناء، او عرض لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم .
♦ كما يسر المكتب الدائم للتعريب ان يتلقى ملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

من الجمهورية العربية السورية :

— ومن السويداء كتب السيد جميل أبو ترابي يقول : « انها لجهود جبارة يخطوها مكتبكم في احياء لغة الضاد ، ونشر التراث العربي ، ولا يسع المرء الا ان يتقدم بالشكر والثناء للسيد رئيس تحرير مجلتكم الزاهرة ولكل من يساهم في الكتابة فيها »

— ومن السيد محمد يحيى رائف مدير الشؤون الاجتماعية والعمل بحلب تلقينا كلمة رقيقة يقول فيها « لقد وجدت في مجلتكم «اللسان العربي» الابحاث المفيدة والمقالات الشيقة في اللغة والترجمة والتعريب الشيء الذي الئج صدري»

— ووصلتنا رسالة شكر من السيد المستشار فاضل البصمدجي بشني فيها على « الجهود الصادقة المبذولة في سبيل امداد واخراج هذه الجلسة الراقية .. »

— تلقينا رسالة من الاستاذ حسن كمال محافظ فرع الفن الحديث في المتحف الوطني بدمشق جاء فيها : « لقد قرأت بشغف ولذة كبيرين ما حوته مجلتكم ومعاجمكم من المعارف المفيدة ، التي يجد فيها الباحث الكثير من الفائدة بما تتوفر عليه من جهود كبيرة والتي حسدت لها - ولا شك - طاقات جبارة حتى امت غنية بالشكل الذي نراها عليه . »

— ومن دمشق ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد وليد الجلاد يقول فيها : « كان لنا شرف الاطلاع صدفة على مجلتكم «اللسان العربي» فبهرنا الجهد المبذول فيها ، والروح العلمية التي تسود صفحاتها ، وما في تضاميفها من ثروة لغوية ثمينة نحن بأشد الحاجة الي مثلها ، حيث وجدنا فيها اجوبة لكثير من التساؤلات التي كانت تعترضنا حيال بعض التماييز والمصطلحات التي تنقص لفتنا ، ويختلف المترجمون في استنباطها .. »

جديد .. وانه لمن دوامى الفبطة وحب الاطلاع
والمعرفة ان اشرف باللقاء معكم على صفحات مجلتكم
من خلال سطورها النيرة » .

— * —

من الجمهورية العربية المتحدة :

— من القاهرة بمت الينا الاستاذ محمد
توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى
للشؤون الاسلامية يحيي فيها جهود المكتب فى خدمة
الاسلام والمسلمين «

— ومن القاهرة ايضا وصلتنا كلمة رقيقة من
الاستاذ الكبير محمود تيمور جاء فيها : « ومن نافلة
القول الاشارة بهذه الجهود الخصبه الواسعة التى
تسفر عنها تلك البحوث والدراسات المنشودة فى ذلك
المجلد الحافل الغزير ، واني لاشعر بان تهنتكم بهذا
العمل العظيم ايسر ما يجب على كل مثقف يبغى الخير
لوطن العربي » .

— وهذه رسالة الاستاذ احمد الحلوي
الامين العام للاتحاد البريدي العربي يقول فيها : « ولا
يسمى الا ان اقدم الشكر الخاص لمكتبكم الموقر على
جهوده الصادقة ونشاطه الكبير فى الابحاث اللغوية
والتعريب فى العالم العربي »

— * —

من الجمهورية العراقية :

— من بغداد وجه الينا الاستاذ هادي قاسم
كلمة رقيقة جاء فيها :

« لقد اطلعت على مجلتكم الغراء «اللسان العربي»
التي يصدرها مكتبكم فى عدة مجلدات واجزاء ،
فوجدتها غاية فى الروعة والنفاسة ، ارجو لكم
التوفيق فى خدماتكم الجليلة التى تقدمونها للامة
العربية فى نشر الثقافة والوهم العربي وتوسيع
افاق اللغة ، ولعمري انها بادرة طيبة ارجو لكم التقدم
المطرد »

— وتلقينا رسالة من الاستاذ حسن سيف
الدين من الموصل يقول فيها : « لقد تحكمت الصدفة
بى واكتحلت عيناي دون قصد على المجلة البجيلة ،
وما كادت انامى تقاب بعض صفحاتها الا ووجدت
نفسى اسير الاسطر وحبيس مواضعها الشيقية ،
وصرت مشدودا الى بحوث هذه المجلة «اللسان العربي»

— وهذه رسالة اخرى من دمشق بمت بها
السيد الرائد عبد الوهاب مرور تقتطف منها ما يلى :
« ان مجلتكم «اللسان العربي» لجديزة بان يفخر
بها كل عربي من مشرق البلاد الى مغربها ، كيف لا
وهي تحمل لواء كلمتى السحر اللتين توحدان امة
العرب وهما «لغة القرآن» اننى لاشكركم على جهودكم
الجبارة المبذولة من اجل اصدار هذه المجلة » .

— ومن دمشق ايضا تطالعنا رسالة الاستاذ
صبحي زخور ليقول فى مقدمتها : « .. واذا مكفت
على مطالعة بحوث مجلتكم الغراء الفيتنا مجلة رصينة
لما حوت من مقالات ودراسات قيمة وتساوت من
قضايا اللغة العربية ، ولا ريب ان صدور مثل هذه
المجلة سيد فراها فى المكتبة العربية التى نفتقر
الى امثالها مما يفرض بامتنا العربية للوصول الى وحدة
المصطلح العلمي ووحدة الكنة العربية فى جميع
الميادين .. »

— وكتب الدكتور صالح حباب يقول : « اطلعت
على عدد من مجلة «اللسان العربي» فاعجبت اعجابا
كبيراً بها وبالجهود الكبيرة التى يبذلها القائمون عليها،
ووثقت بانها ستنهض باعباء المهمة الضخمة الملقاة عليها
ان شاء الله »

— اما رسالة الاستاذ ذو النون رمضان فقد
كانت تتضمن ما يلى : « اطلعت على ما تضمنته
«اللسان العربي» فالفينا ذرة ثمينة فى التأليف
العربية التى لا يستغنى عنها ، وانا لجوهرة نادرة ..
يفيد المرء فيها ويستفيد »

— وهذه رسالة اخرى وصلتنا من حلب من
الدكتور توفيق برو جاء فيها : « .. والحق ان
مستوى السمو الذى تحتله مجلتكم الراقية فى دنيا
الفكر العربي تنفود فيه »

— ومن حلب كذلك تلقينا كلمة شكر من
الاستاذ علي حافظ مدير على شركة المدينة للطباعة
يبدى فيها : « اعجابه بمواضيع المجلة وكتابتها
واهدافها النبيلة »

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاريء
بكري الخطيب وهي رسالة طويلة تقتطف منها
ما يلى : « .. وجاءت مجلتكم لتكون
فخرا للاسماء «اللسان العربي» وحق لها ولن اشرف
على تسميتها ان ينال الشرف ويكون له الكرم والفخار،
ويتيه امتزاز بانه يعلى الكرامة وينبت الاصل من

التفانية لهذه اللغة العظيمة لغة القرءان الكريم ولغة السنة المحمدية المشرفة ، هذه اللغة التي صعدت في سماء العلم والمعرفة في عهد الدولة الاسلامية ، وهذه اللغة التي غدت اللغات بالعلوم المختلفة »

— * —

من الملكة المغربية :

— من الدار البيضاء كتب السيد انجارن هلي يقول : « تحياتي وتقديري لكم ولكافة العلماء الاجلاء الساهرين على خدمة لغتنا القومية وبعد ، فلقد اطلمت اخيرا على المجلة الدورية التي يصدرها مكتبكم الموقر ولحسن الحظ كان العدد الذي اطلمت عليه هو العدد الممتاز الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرءان الكريم ، هذا العدد القيم الذي نال اعجابي وتقديري واهتزازي بنشاط مكتبكم الذي جماني استبشر خيرا بمستقبل اللغة العربية في كافة انحاء المعمورة » .

— ومن الدار البيضاء كذلك تلقينا رسالة من القاريء الكريم عبد الحق بن حدو جاء فيها : « ان « اللسان العربي » هو المجلة التي يحق للمتكلمين باللغة العربية في كل مكان ان يعتمدوا عليها في توحيد هذه اللغة التي اصبحت الفوضى تم بمض المصطلحات العلمية التي تنقل اليها بالفاظ عديدة وبتعبير مختلفة ، فما احوجنا الى هذه المجلة وامثال هذه المجلة حتى تصبح لغتنا العربية في مستوى اللغات الحية العالمية »

— وهذا السيد محمد المقرري من مدينة فاس يقول : « يطيب لي ان امبر لكم عن اعجابي وتقديري للجهود الكبيرة التي يقوم بها مكتبكم في سبيل اعلاء شأن العربية والاسلام ، كما اهنئكم على النجاح الكبير الذي احرزتم عليه مجلتكم الفراء « للسان العربي » .

— اما السيد الفشار حبيب فقد جاء في رسالته : « لقد تركت في نفسي مجلتكم ، الصدى الحسن، والاثر الطيب، انها ظاهرة ايجابية بما تحويه من طاقات فكرية ، وبما تأتي به من اخبار وبحوث شيقة »

— * —

من الجمهورية التونسية :

— ومن عاصمة الجمهورية التونسية كتب الاستاذ الطاهر قيقة مدير الفنون والآداب يقول : « انه

او اسفر بكنمة اصح ، وصرت انفحصها موضوعا موضوعا حتى اكلت الاطلاع بكل شوق على سائر المواضيع من (القرءان والمعجم الصوفي) الى (التطور الحي في اللغة) حتى (المعجم الفقهي المالكي) الى ان حلت بين القوافي السلسات لقصيدة من نبرات الشباب فوجدتها - والله -

تشع من نبرات (الملم) ذذبدة .. الخ

— ومن بغداد بعث الينا الاستاذ عبد الجزار يقول : « .. وقد تركت جانبا كل ما كان في تناول يدي من المطبوعات وانصرفت الى دراسة هذه المجلة الحبيبة الحافنة بكل جديد ومفيد من المقالات والبحوث اللغوية والادبية والدينية ، ومما زاد من سروري ان هذا العدد يضم باقة ممتازة من البحوث المتطقة بالقرءان الكريم الذي كان وما زال وسيبقى الى ما شاء الله ، عنوانا للامة العربية ونبراسا لهم يستضيئون به ويشهدون بهديه » .

— وهذه القارئة الكريمة مي الحسنى من بغداد كذلك تقول : « وبعد : ففي غمار الضياع الذي يعيشه اللسان العربي ، ومن خلال المد الذي يحاول ان يجرف بتياره الهادر لغة الضاد ، تطلعت الى لوح نجاة احاول التثبث فيه لاجد الامن للفتي والسلامة لها .. فرايت في مجلتكم الموقرة ما تهفو اليه الروح وبتطلع اليه الفكر »

— ورسالة اخرى من بغداد كذلك بعث بها الينا الاستاذ فيصل عبد الله الدليمي جاء فيها : « اطنمت على مجلتكم المختارة « اللسان العربي » الفراء ووجدت فيها خدمة كبيرة للغة العربية ، وانني لاعتز وافخر بكم على جهودكم الجمة التي تهدف الى تطور اللغة العربية ورفع مستواها الادبي والعلمي والتي ابرزت نتائج خيرة ومثمرة في العالم العربي »

— ومن القارئيين الكريمين محمد حاسم معروف الكواز وكامل جاسم الهيبي وصلتنا رسالة يقولان فيها : « لقد اطلمنا على العدد السادس من مجلتكم الفراء « اللسان العربي » وما كادت ابدينا تلمسها واميننا ننظر فيها الا ولهمرنا السرور والفرح لاننا شعرنا منذ ذلك الوقت اننا وجدنا ضالتنا التي كنا نبحث عنها منذ سنوات عديدة حتى قدر الله تعالى لنا ان نجدها متمثلة في مجلتكم «اللسان العربي» ان اصدار هذه المجلة لعمل عظيم وجليل وسوف يحفظه التاريخ في سجل الخالدين بفضل خدمتكم

ليساعدني ان اعبّر لكم عن تقديري للمجهودات التي بذلوها في اداء مهمتكم الشاقة فعلا ، وانه لمعمل جليل هذا الذي تقومون به لخدمة اللغة العربية كي تصبح بحق لغة عمل تؤدي رسالتها على احسن وجه .. »

— * —

من الجمهورية العربية الليبية :

— وهذه رسالة الاستاذ المهندس علي محمد حسين المرجا بعث بها الينا من طرابلس جاء فيها :
« اطلمت وكلي فخر واعتزاز على الجزئين الاول والثاني من المجلد السابع من مجلتيكم المصماء « اللسان العربي » وقد كان لما وجدته من هديين الجزئين اثر كبير في نفسي اذ كانا غائبي المنشودة التي كنت احس بنقص كبير يعترضني بمجزي عن ايجاد الكلمات المناسبة التي تقابلني دائما عند كتابتي او عند ترجمتي لاحد التقارير الفنية او عند كتابتي لمصطلحات فنية على الخرائط المختلفة وغيرها . واني اذ اشكركم على مجهودكم الكبير ادرك ان عملكم هذا خدمة جلية لامتنا العربية يعيد لفتنا الخالدة تليد مجددا وينفض عنها غبارا تراكم عليها ، ظن بعض الحاقدين انه نال منها فاصبحت لا تجاري اللغات الحية الاخرى في ركب التطور .

— من طرابلس ايضا بعث الينا السيد محمد مختار رمضان برسالة جاء فيها : « مكنتني ظروف سعيدة - اشكر الله عليها - من ان اطلمت على مجلة « اللسان العربي » الفراء التي تصدر عن مكتبكم ، وقد لمست فيها مجهودا عظيما تجل في علم اللغة في اسمى معانيه وابهى حلله ، ولا يسعني الا ان احيي رجال العلم الذين قاموا بهذا المجهود وكل من ساهم فيه بقدر .. »

— ومنها ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ عمرو ابراهيم الجادوي يقول فيها : « وبعد اطلامي على مجلتيكم العظيمة « اللسان العربي » اعجبت بها كثيرا لانها مجلة تخدم اللغة العربية لغة القرآن ولغة الاسلام التي ما فتئت اهداه الاسلام يحاربونها ويطمسونها ، يريدون ان يطفئوا نور الله بالفواهم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، ان القضاء على هذه اللغة معناه القضاء على القواعد ودستورنا وبناسنا نحن العرب والمسلمين ، ليا رجال اللغة العربية تهيب بكم ان تتيقظوا لاولئك الهدامين وتحببوا

خطهم ، وتعاونوا مع بقية العلماء في الاقطار العربية الشقيقة الاخرى لخدمة هذه اللغة الحية وعميمها وفرض تعليمها والتحدث بها والقضاء حتى على العامية التي هي بدورها معول من معاول الهدم »

— * —

من الكويت :

— وصلتنا رسالة من الاستاذ مجرله احمد جاء فيها : « انسى اتابع باهتمام بالغ كل ما تبدلونه من مجهود كبير مشكور ، وما تقومون به نحو الجميع دون أي كلال او ملل ، والحقيقة اني مقدر لكم جميل صنمكم فيما هو خير الاجيال القادمة » .

— * —

من المملكة العربية السعودية :

— تلقينا رسالة من الطالب الجامعي صالح عبد العزيز عبد اللطيف من الرياض تقتطف منها هذه السطور : « لقد اطلمت على ما يصدره مكتبكم الموقر باسم « اللسان العربي » ذلك السفر القيم الذي هو اشبه بالموسوعة ، ولقد اعجبني - والله - بما حوته من مادة دسمة ومن لباب دون القشور في وقت عز فيها وجود نظائرها »

— * —

من الجمهورية السودانية :

— بعث الينا الاستاذ عبد الله يعقوب ابشر يقول : « يسرني ان اشيد بمجهودكم في هذا المضمون من اجل رغبة واعلاء شأن اللغة العربية في عالمنا العربي خاصة وفي العالم عامة »

— * —

من الجمهورية اللبنانية :

— وصلتنا كلمة رقيقة من جريدة « الاحرار » اشادت فيها بالطاقات والجهود الكبيرة المبذولة ، والمستوى الجيد للدراسات والابحاث في المجلة .

— ومن بيروت بعث الينا سيادة الاستاذ جوزيف زعرور وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة برسالة رقيقة جاء فيها :

« ان هذه الوزارة اذ تثني على الروح العلمية الرصينة المتجلية في صفحات الكتاب وهنئ النوايا

تمثل وطننا العربي الكبير وتحمل الاسم المشهور في هذا الوطن « ثم يضيف قائلا : « إذ أنها تصدر من بلاد عربية لحما ودما وهذه المجلة لاقت الإعجاب من كل مواطن عربي وهي أمنية كل مثقف صارف لتضايه »

— * —

من الهند :

— من ولاية كيرالا بالهند وصلتنا رسالة من الاستاذ عميد الكلية العربية بالولاية السالفة الذكر، وقد تفضل فأنحننا ببعض المعلومات عن ولايته وعن نشاط الترجمة القرآنية مشيرا الى مقالة فضيلة الاستاذ الشيخ طه الولي التي نشرت في العدد السادس من المجلة تحت عنوان : « ترجمة القرءان الى لغات شرقية وغربية » يقول القاريء الكريم : « .. وذلك ان في الهند ولاية تدعى ولاية Kerala State وهي إحدى ولايات الهند ،

يسكنها ثلاثة ملايين من المسلمين يتكلمون اللغة الملبارية ، وقد ترجم القرآن الكريم الى هذه اللغة الملبارية ، وأذكر هنا بعض أسماء المترجمين : (1) اللجنة المسماة (بالجمعية الادبية) Literature Society ترجمت بعض اجزاء

القرآن الكريم من الاول. (2) س - ان - احمد المولوي، ترجم القرآن الكريم كاملا الى اللغة الملبارية مع بعض الشرح والبيان لكثير من الآيات ، ومقدمة ضافية - (3) كي - عمر المولوي ، ترجم القرآن كاملا من اوله الى آخره باللغة الملبارية بالحروف العربية . (4) محمد امانى المولوي القاسمي ترجم القرآن الى الملبارية من سورة الكهف الى الناس - مع الشرح الشافي والمقدمة المسهبة ، (5) متاشيري كويكني المولوي ، ترجم القرآن الكريم كاملا وكتب لترجمته مقدمة السيد عثمان المهندس، ولا اذكر هنا أسماء بعض العلماء الذين ترجموا بعض السور مثل : «يس» وسورة «يوسف» وجزء «م» وغيرها وهم كثير « ثم يضيف السيد كريم فيقول : « ان العالم العربي والإسلامي في جهل من الاعمال الجارية التي تجري في ولاية كيرالا من اجل نشر التعاليم الاسلامية والآداب العربية » .

و « اللسان العربي » تشكر القاريء الكريم على هذه المعلومات القيمة وتود ان يبذل على اعمالها حتى

الطيبة التي كانت في اسس وضعه لخدمة لغة الضاد وتأهيلها لتقبل تحديات العصر العلمية ، وتفتنهما مناسبة لتعرب لكم من عميق شكرها وتقديرها . «

— ومن رأس المتن وصلتنا من الاستاذ الكبير عجاج نويهيض كلمة رقيقة يقول فيها : « .. اما سطوري هذه ، فهي لتسجيل الشكر للمكتب على ما يبذله من جهد متواصل في سبيل «اللسان العربي» موجهها محض شكري الى العلامة-التحرير الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله بصورة خاصة ، حياه الله وبياه ، وحقق مناه في خدمة اللسان الشريف ، فان الاستاذ الجليل ، قد نذر نفسه بفاية الاخلاص لخدمة الضاد ، فهو واخوانه في اهل الفضل والعلم والبحث والادب في العالم العربي ، قد جعلوا من مجلة « اللسان العربي » منبرا للاذهان العربية ، وفي ساحة هذه المجلة لتلقى الاقلام من مختلف الاقاليم ، مقدمة النباب والصورة ، ولهذا امست المجلة معهدا سيارا يجوب العالم العربي كله ، ومثل هذه الوسيلة لم تر الامة العربية من مثيل في العصر الحديث . «

— * —

من الخليج العربي :

— تسلما رسالة من الاستاذ احمد العمران المدير العام للتربية والتعليم بالبحرين جاء فيها : « .. ولا يسعني في هذا المقام الا القول بان تلك المجلة قد اخذت مكانتها الرموقة في العالم العربي وسواه بما لها من اهتمام مشكور بمواضيع ذات نفع كبير يذكر بالنسبة لجميع الناطقين بالضاد » .

— ومن المنامة كتب الاستاذ عيسى يقول : « وبعد : ببالغ السرور تلقيت مجلتكم المعبرة عن اللسان العربي، والناطق بلغة الضاد، واني لابارك لكم تلك الخطوة الكبيرة لتنتقيج لفتنا التي دخلت اليها بعض الكلمات الاجنبية وصارت متداولة بين اشقائنا العرب ، وجاءت مجلتكم لتمحو تلك الكلمات الدخيلة وتسمو بلغة الضاد الى مكانتها اللانقة بها »

— وهذه رسالة اخرى من الاستاذ ناصر احمد الصائغ يقدر فيها : « الجهود الكبيرة التي يبذلها المكتب في اصدار « اللسان العربي » التي

يهدا بمعلومات اضى واوسع من هذه الولاية
الاسلامية الهتدية .

— ووصلنا من بريطانيا ايضا رسالة شكر من
الطالب السمودي عبد الله منصور من جامعة
فلاسفو ينوه فيها : « بالجهود الطيبة المبذولة فى طي
مجلة : « اللسان العربي » ويعرب عن « اهجابها بما لما
فيها من ابحاث لغوية قيمة ودراسات جادة »

— * —

من هولاندا :

— من امشردام كتب الاستاذ الياس
راونثيسي يقول : « لقد اطلمت على العدد السادس
من مجلة اللسان العربي حبا فى الانتفاع بما تحويه
من الابحاث العلمية واللغوية الهامة وطمعا فى
الاستزادة من معلوماتها الشائقة ، وحتى نقف على
آراء اهل العلم واللغة ، ومتابعة ابحاثهم المفيدة . »

— * —

من الاوجنتيين :

— من (بوينس ايريس) تلقينا رسالة شكر
رقيقة من الاستاذ السيد الياس قنصل نقتطف منها
ما يلي : « واغتنم السانحة لايث اليكم باصدق
عواطف الامعجاب بما تقومون به من الجهود المشرى
سبيل اللغة العربية ، ان مطبوعات المكتب تدل على
تمق فى الدرس وفيرة على القومية ، ولا شك انه
مدين لكم بالهلب لمرانه »

— * —

من الولايات المتحدة الامريكينة :

— ووصلنا رسالة رقيقة من الدكتور زكى
عبد الملك استاذ الادب العربي والعلوم اللغوية بجامعة
يوطا ، نقتطف منها ما يلي :

« ارجو ان تتقبلوا ثنائى على العدد الاول ، فهو
فى رايى يضاهى ارقى المجلات العلمية الغربية فى
عمق مادته وحسن امداده ، وليس من شك فى ان
القراء فى العالم العربي كله وفى الغرب ايضا
سيرحبون بمجلة : « اللسان العربي » ترحيبا عظيما ،
وسيجدون فيها موردا خصبا للمعرفة ، ومنهلا صانيا
للعلم . »

— ومن الهند كذلك وجه الينا السيد مدير
الكلية الاصلاحية رسالة رقيقة جاء فيها : « ان
مجلتكم الفراء المفيدة كل الافادة « اللسان العربي » من
المجلات الادبية واللغوية النفيسة ، وخدماتكم الجليلة
فى هذا الميدان الواسع مشكورة ، اننا نهنتكم على
جهودكم فى هذه الناحية ، ونتمنى لكم كل توفيق
لخير العروبة »

— * —

من يوغوسلافيا :

— ووصلنا رسالة طويلة من الاستاذ
المستعرب توفيق مفتيتش نقتطف منها ما يلى :
« لقد سرني كثيرا عندما اطلمت على بعض النسخ من
مجلتكم الثمينه « اللسان العربي » ورايت انها تعين
فى مقالات قيمة على حل مشاكل هامة من المشاكل
التي تمه كل العرب والمستعربين اللذين لهم اهتمام
مخلص بحلها المقنع المفيد رايت ان لا اغنى لي عنها
لانفع بها فى خدمة اللغة العربية العزيزة وآدابها
الغزيرة . »

— * —

من بولاندا :

— تلقينا رسالة شكر من المستشرق ب. ر.
رافورسكي من مدينة وارسو يقول فيها : « انسى
اعتبر مجلة « اللسان العربي » عملا قيما فريدا من
نوعه فى ميدان اللغة ، والثقافة العربية اليوم . »

— * —

من بريطانيا :

— من جامعة كمبريدج بعث الينا المستر
ر. ل. بدويل من قسم دراسات الشرق الاوسط
برسالة رقيقة يمدد فيها مزايا المجلة واهميتها
بالنسبة للطلبة ، ويطلب الامداد السابقة من المجلة»

مجلة المجلات

اللغة العربية

الإستاذ أحمد العايد
(الجزائر)

نشرت مجلة «الفكر» الفراء التي تصدر بتونس مقالا للإستاذ أحمد العايد
تحت عنوان « اللغة العربية » ننشره شاكرين :

والفرنسية ، على أن كل صنف من هذه الأصناف قد يملك مبادئ اللغة الأخرى بالنسبة الى اللغة التي حصلت بها ثقافته ، لكنها مبادئ في معنى النبذ الطفيفة الخفيفة التي لا تفني ولا تسمن من جوع كما يقال .

ونعود اليوم الى اللغة العربية لنبدي في شأنها بعض الآراء والخواطر ، مساهمة متواضعة منا في ايجاد الحلول التي نراها صالحة في العاجل وفي الأجل للمشكل أو المشاكل التي تثيرها باعتبارها لغة تديبة ولغة حديثة ولغة معصرية حية تريد أن تجاري اللغات العالمية الأخرى فتصبح أداة التعبير والتأليف في المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنية خاصة فضلا عن المجالات الأدبية والفلسفية ومبادئ العلوم الإنسانية الأخرى اطلاقا .

وعندما أقول هذا مكان اللغة العربية ما زالت متأخرة عن ركب اللغات الحضارية العالمية العصرية أو كأنها ما زالت عاجزة عن أداء رسالتها الثقافية والتعليمية والتأليبية في أعلى مستوى ، بل قل أن هذا ما قد يقادر الى ذهن السامع أو القارئ لهذه الأسطر من أول وهلة .. والمشكل في الحقيقة ليس فيما تكررت الآن وإنما هو في تزامم اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة في مختلف ميادين النشاط أو الحياة اليومية ، سواء في الإذاعة والتلفزة أو المنزل أو الشارع أو حتى التأليف الأدبي كما سنرى .

لا يزال مشكل اللغة العربية - الفصحى والدارجة واللغة الثالثة - يشغل بال الكثيرين من مثقبينا في تونس ، وقد تناولته بالبحث عدد من رجال الفكر والأدب ورجال التعليم والطلبة ، والقيست في محاضرات وكتبات وبسطات ونظمت ندوات وسهرات وأسفار ، سواء بدور الثقافة أو بالنوادي الأدبية أو محلات اللجان الثقافية وغيرها في شتى أنحاء الجمهورية ولاسيما منذ الاستقلال الى اليوم .

وإن الدواعي التي ركز عليها أغلب من تكلم أو كتب في اللغة العربية من حيث وضعها التاريخي القديم والحديث وإمكاناتها ومكانتها وأهميتها في حياة الأمم الناطقة بها - ومن بينها تونس - تنقسم الى ثلاثة :

أولا : أن العربية هي لغة القرآن ، يحق لنا أن ننكب على درسها ونعتز بها باعتبارنا مسلمين .

ثانيا : أنها عنصر من عناصر ثقافتنا وقوميتنا يحق لنا كذلك أن نبحث عن طرق ترميمها ووسائل إحيائها وانعاشها والحاقها بركب اللغات العالمية العصرية المعترف بها والمتعامل بها في المحافل الدولية .

ثالثا : أنها - إذا صح التعبير - « مشكل اجتماعي » بالنظر الى أن المجتمع التونسي مثلا - وكذلك الشأن بالنسبة الى الجزائر أو المغرب الاتصى على سبيل المثال - يشتمل على ثلاثة أصناف من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، وصنف المثقفين باللغة الفرنسية وصنف المثقفين باللغتين العربية

وان ما نعتزم النظر فيه بهذا الصدد هو ، من ناحية ، وضع الفصحى التاريخي ، قديمه وحديثه ، ثم وضع اللغة الدارجة وامكانياتها ومكانتها في حياتنا اليومية ، ثم النظر في مستقبل العربية وتطورها أو بمقابلة اخرى اية لغة نريد ، فصلى مبسطة او دارجة مهذبة او لغة ثالثة هي بين الاولى والثانية ؟

1 - الفصحى : يرى الدارسون ان الفصحى لا يمكن ان تفضى عنها الطرف وانه لزام علينا ان نوليها كل اهتمام وعناية والا نترك الدارجة تزاوجها او تسابقها وذلك في ميدان التأليف خاصة ومختلف ميادين العمل والنشاط لان الفصحى هي لغة القرآن ولغة القواميس والمناجد ولغة الآثار الادبية قديما وحديثا ، هي لغة عبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون وابن المقفع والجاحظ وابى حيان التوحيدي وابن شرف وابن رشيق والحصري وابن شهيد وابن خلدون كما هي لغة السعدي وطه حسين ، هي لغة القصة اليوم والمسرحية والنقد الادبي ولغة الخطابة في المساجد والمناسبات الرسمية ..

ثم لانها لغة العلوم والفلسفة وعلم الكلام والعلوم الدينية قديما بالخصوص ، ثم هي لغة الصحافة المكتوبة والمذاعة والتلفزة حديثا ولغة التعليم في المدارس والمعاهد والكليات ولاسيما بالنسبة لحصص اللغة والنحو والادب العربي في كلية الآداب والعلوم الانسانية او بالنسبة لبعض المواد الاخرى مثل التربية الدينية والمدنية في مرحلتى التعليم الابتدائي والثانوي ، الخ ...

لكن هل هي لغة العلوم والتقنيات الحديثة وهل هي لغة العصر في ميدان البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية المعاصرة ، او - بمقابلة اخرى - هل يمكن للعربية ان تكون أداة تبليغ وتأييد اليوم في مثل هذه الميادين ؟

ان الجواب على هذا السؤال ، او ان ما يعترض العربية من مشاكل الاداء والتعبير فيما فكرت من مجال البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية ، يعرفه اولاً وبالذات كل من يعمل بمراكز التعريب والترجمة او بالجامع العلمية خاصة ، فاهل مكة ادرى بشعابها ، ولغائل ان يقول ان هناك حلا ... وهو الترجمة ، والراي عندي ان الترجمة من الهول الضرورية لكن غير الكافية لان المسألة ليست في نقل ما يصنعه الغير لحسب والاخذ من الاطبا من البعثة والعلماء ، بل ان يبدأ هذا ضروريا فهو لا يهل لمشكل اللغة العربية لجعلها لغة عصرية هائلة تناطح السحاب والنجوم او

قل القمر على سبيل الواتمية ، كما فعلت اللغة الانجليزية بالولايات المتحدة الامريكية اليوم ، نتكلم بها الرواد على سطح القمر ، وفي هذا من الاشارة والرمز ما يكفي تمبيراً عما نريد وتبليغاً لما نعتد ..

وفي سياق ما ذكرنا آنفاً ، أصبحت اللغة العربية كذلك لغة « يتعامل بها » باليونسكو ، مما يزيد مشكل النهوض بها و « تمصيرها » حدة واهمية .

2 - اللغة الدارجة : وضعها وامكانياتها :

ان نظرة الاغلبية الساحقة من المثقفين الى اللغة العامية هي نظرة « احتراز » ان لم نقل نظرة ازدراء وتمنع ، رغما من كونها لغة التخاطب اليومي في المنزل والشارع والادارة وفي اروقته المدارس والمعاهد والكليات فهي اذن اللغة السائدة بين الناس دون الفصحى التي ميدانها محصور في مئات المتعلمين والمثقفين ، والسبب في انحصار ميدان الفصحى ذلك ، واتساع نطاق العامية في تونس مثلا هو ان الآباء والاجداد لم يدرسوا - بكليتهم - اللغة العربية الفصحى ولم يتقنوها حتى تصبح بينهم لغة التخاطب ، و « التعامل » اليومي ، وهذا راجع الى ان تعليمها لم يكن منتشرا كما هو راجع بوجه عام الى الوضع التاريخي القديم الذي كانت عليه البلاد في مختلف جهوده واطواره ، ابتداء من المهد القرطاجني الى ما قبل الاستقلال . وقل ذلك بالنسبة الى الكثير من البلدان الناطقة بالعربية ، ما قرب منها او ما بعد ...

اما فيما يتعلق بوضع اللغة العامية وامكانياتها في ميدان التأليف اليوم بتونس فنلاحظ انها اندرجت منذ زمان في ميدان التأليف ، من ذلك مثلا المسرحيات الاذاعية او التلفزيونية التي عرضها التيلية او التربية الاخلاقية بدرس مواضع اجتماعية ، كما أصبحت لغة النشرة الاخبارية الخاصة بعموم الناس او التعليق باللسان الدارج ، ومن هنا يتسنى لنا القول ان اللغة الدارجة قد أخذت مكانها بعدد كبير من برامج الاذاعة والتلفزة ، فعرضت نفسها عرضا بحكم الواقع اي الوضع الحالي للمجتمع التونسي الذي ما زال في حاجة الى الدارجة ليكون مطلقا على ما يجري في البلاد والعالم من احداث واخبار ، الخ ...

ثم ان اللغة العامية قد اكتسحت من ناحية اخرى ميدان التأليف الادبي وخاصة القصة ، ونذكر في هذا الشأن على سبيل المثال محاولات الاديبين محمد العروسي الطوي والبشير خريف وغيرهما ممن أتمم

اللغة الدارجة الى جانب الفصحى لخللها بها باعتبار ان اللغة العامية قادرة احيانا على اداء المعنى المطلوب بأكثر واتمية وحيوية من الفصحى .

وإذا نظرنا في مستقبل اللغة الدارجة وخاصة في المجال الذي تستعمل فيه اليوم نرى ان نشر التعليم سيكون له مفعوله - أكثر فأكثر - في تهذيب هذه اللغة وصلتها ويجدر ان نلاحظ في هذا المجال ان اللغة الدارجة التي أصبحنا نتكلم بها اليوم ليست نفس اللغة التي يتكلم بها آباؤنا وأجدادنا منذ ثلاثين سنة ، وانها قد نمت وتهذبت ولاسيما بعد الاستقلال أي في بحر الخمسة عشر عاما الأخيرة ، والسبب في ذلك راجع - كما قلنا - من ناحية الى نشر التعليم ومن ناحية أخرى الى تأثير خطب الرئيس وخطب المسؤولين وتأثيرها في الناس وطبع لغتهم بطابعها ومن جهة ثالثة الى تأثير الحصص الإذاعية ثم التلفزيونية التي تعددت وتنوعت .

ومن شأن كل هذه العوامل ان تتفاعل وتساعد على تهذيب اللغة الدارجة وتقربها من الفصحى شيئا فشيئا على مر السنين .

اللغة الثالثة : وبما لا يجب اهماله ان ما نسميه او ما سماه بعضهم باللغة الثالثة كانت هي ايضا محاولة جربت في ميدان التأليف الأدبي وخاصة منه المسرحي وقد ظهرت هذه البادرة في مسرحيات توميق الحكيم ومحمود تيمور ، وحقيقة هذه اللغة انها بين الفصحى والعامية ، لها علاقة بالفصحى من حيث مראعاتها لقواعد النحو والصرف والرسم المتعارفة ، ولها صلة بالعامية من حيث بساطة الفاظها وتراكيبها وحتى النطق بها بالوقوف على السكون مثلا وهي محاولة طريفة يمكن تمييزها لحل مشكل الفصحى والعامية أي انتهاز التأليف والتعبير بلغة سلسلة طبيعة يفهمها الخاص والعام ، لكن انتشار مثل هذه اللغة الثالثة متوقف الى حد كبير على انتشار التعليق وامتساحه كل أصناف المجتمع ، الشأن في هذا المجال شأن الفصحى او يكاد ...

3 - كيف نهض باللغة العربية ؟

ليس الحل في الترجمة بحسب اذ هي كما رأينا ضرورية لكن غير كافية ، وانما الحل في تكوين اطارات كافية من حيث العدد والقيمة أي كما وكيفا كما يقال ، اطارات في أعلى مستوى تادرة على الخلق والابتكار والتأليف في ميدان العلوم والتقنيات خاصة ، أي تكوين

بحاثة وعلماة قادرين على مجاراة البحاثة والعلماة الامريكان والاوربيين في ميدان البحث والاكتشاف والاختراع بالمخابر العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشترط في هؤلاء البحاثة والعلماة ان يتضلعموا في العربية ليعبروا بها عن آرائهم ويصنفوا بها الكتب والمقالات . الحل اذن ينحصر في تكوين العقول والادمغة لا في الترجمة فحسب .

فاذا ظهروا الى الوجود - والمسألة مسألة زمن - أصبحوا قادرين على فرض لغة عربية علمية عصرية ، فنقتحم هذه اللغة المحافل العلمية والسياسية الدولية تقديرا للناطقين بها من أجل علومهم ومساهماتهم في تحقيق التطور البشري والتقدم الحضاري على صعيد عالمي . هذا هو الحل في الأجل ، لان الحياة على مراحل والتطور كذلك .

أما الحل في العاجل فهو ما بادرت اليه تونس وهو استعمال اللغة الفرنسية الى جانب اللغة العربية ، على ان هذا الحل قد يطول أمده ، ولا خير في استعمال اللغتين العربية والفرنسية ، بل حتى أكثر من لغتين في عالمنا اليوم ، عالم الحضارة والعلوم والتقنيات والاكتشافات المتعددة المتعاقبة ، علم غزو القمر والتحليق في الفضاء ، نريد فيه ان نلتحق بالأمم المتقدمة التي سبقتنا أشواطا وأشواطا في ميدان البحث العلمي والاختراع والاكتشافات التقنية .

وهكذا فان اللغة التي يمكن ان تصبح أداة التأليف العلمي والتدريس بالمعاهد والكليات هي اللغة الثالثة التي تعرضنا لها آنفا بشرط ان يخلتها ويفرضها - بالتأليف فيها قبل كل شيء - جمع البحاثين والعلماة الذين ننتظرهم سواء في ميدان الرياضيات أو العلوم الفيزيائية أو علوم الذرة وغزو الفضاء ، أو الطب في المخابر بالخصوص .

وإذا ما وصلنا الى هذا الطور ، الذي تصبح فيه اللغة العربية - اللغة الفصحى المبسطة - لغة التدريس والتأليف بمختلف مراحل التعليم ، فلا بد من الحفاظ على اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية أو الألمانية وغيرها من اللغات العالمية الحية بمدارسنا حتى يبقى التفاعل أو التبادل أو التلاقح حاصلًا بين الحضارات والثقافات فنكون هكذا قد حققنا ما نصبو اليه من تدميم ثقافتنا على أسس تومية وأصيلة من ناحية ، وفتح من ناحية أخرى على العالم الخارجي .

ولئن كان من السهل اليوم ان ندرس اللغات والعلوم الانسانية او مددا منها على الأقل باللغة

دون الآخر ، مما يجعل وسيلة التفاهم والتخاطب
صعبة متعددة .

خالل أن هو لفائدة لغة عربية فصحى بسيطة
تعرض نفسها مع الزمن بفضل عدة عوامل .

ومن هذه العوامل بالنسبة الى بلادنا ، انتشار
التعليم وعناية الحكومة بتطوير اللغة العربية وتنميتها
في نطاق التدريس والتأليف من الحفاظ على اللغسات
الأجنبية وخاصة الفرنسية باعتبارها اللغة العلمية
المناسبة القريبة من الأغلبية الساحقة من التونسيين
ضمانا لبقاء النتج على الثقافات والحضارات الأجنبية
والتفاعل مع العالم الخارجي وتحاشي الانكماش
والانغلاق على النفس .

وخالصة القول فقضية اللغة العربية هي قضية
تطور زمني ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار التعليم الى
أن يكتسح كافة أبناء الشعب التونسي بنسبة تربية من
النسبة المثلثي أي ما يقرب من مائة بالمائة ، كما هو
الشان في البلدان المتقدمة التي مرت على استقلالها
عقود من السنين ، وهي قضية تكوين اطارات عالية
كفاءة متندرة على البحث والاختراع والتأليف وبالتالي
على مرض لغة مجددة بسيطة منقحة لها تواجد
الفصحى مع تراكيب والفاظ واصطلاحات قريبة من
الاذهان ، يفهمها الخاص والعام . كما هي قضية عنابة
من طرف المسؤولين بتطويرها ونشرها كما هو الشان
بتونس ، وعلى صعيد اممي ، من طرف المسؤولين
بمختلف الاقطار الناطقة بها .

نعسى بذلك أن تصبح الى جانب اللغة الفرنسية
او الانجليزية او الالمانية او الاسبانية لغة « التعامل »
في المحافل الدولية السياسية والمنظمات الثقافية
والعلمية والاقتصادية والاجتماعية العالمية .

العربية ، فان كثيرا من المشاكل ما زالت قائمة في وجه
هذه اللغة : ومنها صعوبة تعريب العلوم والفنون
التعنية كلها في الأجل ، وقلة الاطارات الكفاة والكافية
في ميدان التدريس العالي باللغة العربية ، وكذلك
ادبار الشبان من الطلبة والطالبات من العربية كما
دلت على ذلك التجربة الاخيرة الرامية الى احصام
ساعة عربية في مختلف شعب التدريس الجامعي ، الخ .

وان دل هذا النور منهم على شيء فهو يدل على
نوع من المركبات ، مركب الشعور بالنقص ، المتمثل في
الازدراء والاستعلاء تجاه هذه اللغة .

اما فيما يتعلق باللغة الدارجة ونصيها من
الاستعمال فقد ينحصر - على الصعيد الداخلي - في
الميادين التي تسربت اليها اليوم ، سواء بالاذاعة
والتلفزة او ميادين التأليف المسرحي لبعض الروايات
المسلية او ذات النزعة التربوية الاخلاقية والاجتماعية
لمرضها بالاذاعة او التلفزة فضلا عن ميدان التخاطب
بالمنزلة والشارع والادارة .

على أنه من المسير أن نتصور اللغة الدارجة
هي اللغة الرسمية المثلثي التي قد تصبح لغة التأليف
والتدريس أو نشر العلم والثقافة في أي بلد من اقطار
المغرب أو المشرق وهذا راجع - اذا وضعنا المشكل
على الصعيد الأممي بين هذه الاقطار - الى ان لكل
بلد من هذه البلدان لفته الدارجة ولهجته ومصطلحاته
الخاصة : فكلية « شنطة » المصرية مثلا لا انفها
وأهم مكانها لفظة « فليجة » رغم أن هذه اللفظة
أعجمية غير عربية لكنها تستعمل في الدارجة التونسية.
وقل مثل ذلك بالنسبة الى الكثير من الكلمات ذات
الاصل التركي أو الفرنسي التي تزخر بها اللهجات
العامة في مختلف الاقطار العربية والتي تستعمل في بلد

552